مآثر الإنافة
في
معالم الخلافة

للقلقشندي

٧٥٦ - ٨٢٠ هـ

الجزء الأول

تحقيق
عبد الستار أحمد فراج

عالم الكتب

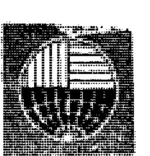
١ ـ فهرس موضوعات الكتاب

رقم الصفحة

١ ــ فهرس الموضوعات

١ ـ فهرس الموضوعات





بيروت ـ المزرعة بناية الايمان ـ الطابق الأول ـ ص . ب . ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ ـ ٣١٥١٤٢ ـ ٣١٣٨٥٩ ـ برقياً : نابعلبكي ـ تلكس : ٢٣٣٩٠

تقديم الكتاب

للأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد

هذا كتاب جديد نفيس تقدمه سلسلة التراث العربي إلى العلماء والمثقفين . ونفاسة الكتاب آتية عن الموضوع الذى يدور عليه . ذلك لأن الخلافة في الإسلام كانت أعظم مؤسسة سياسية — دينية ، حددت نظام الحكم ووضعت أسُسَه وطُرُقه . ولم يؤلَّف كتابٌ واحدٌ يشتمل على ما يتعلّق بالخلافة ، وإنما هى شذرات نجدُها متفرقةً في التواريخ وكتب الحديث والفقة والإدارة ، فجاء القلقشندى فجمع أخبارها ، منذ نشأتها إلى أيامه ، مفصّلة مبوبة ، حتى غدا هذا الكتاب أول مرجع يرجع إليه الباحث في هذا الموضوع .

وكنا اقترحنا على وزارة الإرشاد والأنباء تحقيق هذا الكتاب لشأنه الذى بيّنا ، واقترحنا أن يقوم على تحقيقه العالم المجتهد عبد الستار فرّاج ، فقبلت مشكورة اقتراحنا . وها هوذا الكتاب يصدر للناس .

والمعنيّون بالتراث العربى يعرفون ما حققه وأصدره الأستاذ عبدالستار من قبل ، من عيون المخطوطات القديمة النادرة ، وليس من سبيل إلى تعدادها كلها ، ويكفى أن نذكر أنه أخرج كتاب الورقة لابن الجراح ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، والوزراء للصابى ، ومعجم الشعراء للمرزبانى ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ، وأخبار أبى نواس لأبى هِفّان ، وشرح أشعار الهذليّين للسكّرى ، وأخرج تسعة أجزاء من كتاب الأغانى لأبى الفرج أتمّ بها ما صدر عن دار الكتب المصرية . وهذا كله نتاج غزير ، أوتى صاحبه عليه الكثير من الثناء والتقدير .

فالشكر مرة ثانية لوزارة الإرشاد والانباء التى خدمت دولة الكويت بإصدارها هذه السلسلة ، وجعلتها محل إعجاب العالم وخاصة المستشرقين ، الذين قدّروا ما صدر منها أعظم تقدير .

والله هو الموفق

بيروت صلاح الدين المنجد

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب «مآثر الإنافة في معالم الخلافة» من الكتب النادرة التى لم تطبع من قبل ، ألّفه القلقشندى صاحب كتاب «صبح الأعشى في كتابة الإنشا» ، والذى يرى كتابه «صبح الأعشى» يدرك مقدار ما للمؤلف من سعة اطّلاع وكثرة معلومات ، ويعرف أن تراثنا حافل بالمثمر المفيد .

وكتاب «مآثر الإنافة» تجرى فيه المعلومات بطريقة مرتبة ؛ في دقة ونظام بديع ، وتتوالى الحوادث والتواريخ بأسلوب سهل ممتنع ، بحيث ينطلق وراءها القارئ في غير ملل ولا سأم ، ثم تجيء بعد ذلك أنواع العهود والعقود والمخاطبات ، فيلمس القارئ ما بين العصور من تفاوت ، في الإنشاء والبيان ، من أسلوب جميل ، إلى سجع متكلف ، هذا إلى جانب ما ساقه المؤلف من طرائف وأوائل وتنبيهات تمتع القارئ وتزيد معلوماته ومعارفه .

وإن الشكر ليوجّه «إلى وزارة الإرشاد والانباء» في الكويت ، التى أفسحت صدرها لنشر تراثنا العربى في أحسن ثوب .

والقلقشندى أحمد بن عبد الله ، ولد سنة ست وخمسين وسبعمائة واشتغل بالفقه وغيره ، وسمع على علماء عصره ، وبرع في العربية نظماً ونثراً. وكتب في الإنشاء ، وناب في الحكم ، يجمع إلى كل ذلك تواضعاً ومروءةً وخيراً ، توفي يوم السبت عاشر جمادى الآخرة سنة ٨٢١ هـ وله خمس وستون سنة .

ترجم له السخاوى في الضوء اللامع باسم أحمد بن على بن أحمد بن عبدالله الشهاب بن الجمال أبى اليمن الفزارى القلقشندى ثم القاهرى . وترجم له صاحب شذرات الذهب في وفيات سنة ٨٢١ هـ فذكره أيضاً باسم أحمد بن على (١)

لكن النسخة المخطوطة التى حققتها من «مآثر الإنافة» كتب عليها ما يأتى :

« كتاب مآثر الإنافة في معالم الخلافة

مما قصد بتأليفه الديوان العزيزىّ العالى المولوىّ السيدىّ النبوىّ الإمامىّ الأعظمى المعتضدىّ . أعزّ الله به تعالى الدين

تأليف الفقير إلى الله تعالى

أحمد بن عبدالله القلقشندى الشافعى

قرن الله مقاصده بالقبول »

وقال السخاوى في الضوء اللامع : إن العينى والمقريزى ترجما للقلقشندى ، وذكرا أن والدهُ اسمه عبدالله . ثم عقب على ذلك بقوله : وهو وَهَمٌ .

إلاّ أن المثبت على مخطوطة « مآثر الإنافة » ينفى هذا الوهم ، وبخاصة أن النسخة خزائنية جميلة الخط ، مُحلاّة الغلاف ، وإن كان لم يثبت تاريخ نسخها ، ولولا مافيها من بعض الأخطاء لقلت إنها بخط المؤلف نفسه (٢) .

وقد صورت نسخة هذا الكتاب من مكتبة حميدالله .

وهذا الكتاب ألفه القلقشندى بعد كتابه « صبح الأعشى » وكتابه « نهاية الأرب في أنساب العرب » ، فقد أشار إليهما في « مآثر الإنافة » وبخاصة

---

(١) وجاء أيضاً في الأعلام للزركلى باسم أحمد بن على ، عن الضوء اللامع وبعض المراجع الحديثة .

(٢) انظر عن القلقشندى أيضاً ما نشره الدكتور عبد اللطيف حمزة في سلسلة أعلام العرب . وما كتبه الأستاذ إبراهيم الأبيارى في مقدمة كتاب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب .

« صبح الأعشى » الذى أكثر من ذكره عند ذكر العهود والمكاتبات .
ويلاحظ أن النصوص التى في «مآثر الإنافة» و«صبح الأعشى» تتفق في نقص بعض الجُمَل التى أدخلها محققو صبح الأعشى، وأن الكتابين يصحح كل منهما الآخر فيما دخلهما من تصحيف .

ويبدو أن « مآثر الإنافة » آخر ما ألفه ، ولم يُذْكَر هذا الكتاب في الضوء اللامع ولاشذرات الذهب وخفى اسمه على المحدثين ويقول القلقشندى في كتابه مآثر الإنافة الجزء الثانى صفحة ٢١١ ما يأتى : « إلى حين تأليف هذا الكتاب في مبادئ سنة تسع عشرة وثمانمائة ». وفي صفحة ٢٥٥ «وهو القائم بها إلى زماننا في سنة ثمان عشرة وثمانمائة » .

ومعلوم أن القلقشندى توفي في منتصف عام ٨٢١ هجرية. وما في هذا الكتاب وطريقته يُغْنيان عن أدلة تثبت أن صاحبه هُوَ القلقشندى. والقلقشندى نسبة إلى «قَلْقَشَنْدَة» بلدة من أعمال القليوبية بمصر. وهو أيضاً عربىٌ أصيل من قبيلة فزارة من ذبيان من غطفان ، وقد نص على ذلك في كتابه صبح الأعشى ج ١ ص ٣٤٥ قال :

« ومن فزارة بنومازن وبنوبدر ، فأما بنو مازن فهم بنو مازن بن فزارة . وأما بنو بدر فهم بنو بدر بن عَدِىّ بن فزارة ، قال في العبر : وفيهم كانت رياسة بنى فزارة في الجاهلية ، يرأسون جميع غطفان ، وتَدين لهم قيس وإخوانهم بنو ثعلبة بن عَدِىّ ، ومنهم كان حذيفة بن بدر صاحب الفرس المعروفة بالغبراء المقدم ذكرها « صفحة ٣٤٤ » ومن بنى بدر هؤلاء وبنى عمهم بنى مازن جماعةٌ بالقليوبية من الديار المصرية . قلت : وبنو بَدْرٍ هم قبيلتنا التى إليها نَعْتَزِى ، وفيها ننتسب ، وأهل بلدتنا قَلْقَشَنْدَة نصفهم من بنى بدر ونصفهم من بنى مازن » .

فلا عجب إذن أن يجد الكتاب قبولاً لدى دولة عربية كريمة هى الكويت ، فتنشره ضمن سلسلة « التراث العربى » التى نرجو الله أن يجعلها متصلة الحلقات ، جامعة لما يفخر به العرب في كل مكان وزمان .

عبد الستار أحمد فراج

(٢ آ) بسم الله الرحمن الرحيم

« وما توفيقي الا بالله عليه توكلت »

الحمد لله الذى جعل الخلافة الدّاوودية بإمامها الأعظم ثابتةَ القواعد، ومدّ رِوَاقها المُعْتَضدىَّ عـلى كافّة الأمة فأروى بصَوْب عِهاده المعاهد، وصيّر بيتها المعمور كعبةً للقُصَّاد ومحرابَها الإمامىَّ وِجْهَةً للمقاصد، وجمع لهـا نُعوت الفضل فى قَرَنٍ [١] فناصرُها المنصور، وطالعها الرشيد، ومُسترشِدها المهتدى إلى أَرشد المراشد، أَحمده على أَن رفع قدر الديار المصرية بنقل الخلافة المقدسة إليها، وقدّمها على سائر الممالك فأَمستْ ومَدارُها فى المُهمَّات عليها، وأَشهد أَن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يتجاوز فضلها الحدّ، ويتوارثها الخلف عن السلف،

---

(١) القرن : حبل يقرن به البعيران .

فيرويها الابنُ عن الأَب والأَبُ عن الجَدّ ، وأَشهد أَن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أَفضل نبى عمّت دعوته أَقاصِىَ الـكون على بُعْد المسافة ، وبقيت معجزتُه على مرّ الزمان حيث بشَّر عمَّه العباسَ أَن ببنيه تُخْتم الخِلافة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، الذين قُلِّدوا أُمور المِلّة فحَمَوْا سَرْحَها (١) وصانوا ، وحملوا أَعباء الشريعة فما ضَعُفوا عن حملها وما استكانوا ، صلاةً يدوم فى الوجود حُكْمُها ، ولا ينقطع على تعاقب الأَيّام رَسْمُها .

وبعد ، فلما كانت الخلافة هى حَظيرةَ الإِسلام ومُحيط دائرته ، ومَرْبَع رعاياه ومَرْتع سائمته ، بها يُحفظ الدِّينُ ويُحمَى ، وتصان بَيْضة الإِسلام وتَسكُن الدَّهْمَا ، وتُقام الحدودُ فتُمْنَعُ المحارمُ عن الانتهاك ، وتحفظ الفروجُ فتصان الأَنساب عن الاختلاط والاشتباك ، وتُحَصَّن الثغورُ فلا تُطرَق ، ويذاد عن الحُرَم فلا تُقْرَع جُنَّةُ جَماها (٢) ولا تُرْشق ، لا سيما الخلافةُ العباسية التى هى واسطة عقْدها ، (٢ ب) وخُلاصة سَبْكها وخالص نقدِها ،

---

(١) السرح : فناء الدار وكل شجر طال

(٢) الجمى : ظهر كل شىء ، وشخصه

وغاية طلبها وضالَّة نَشْدِها ، وكانت قد فَوّضت إلى الديار المصرية خِيامها فاستغنت بها عن السِّوَى . وحطَّت بِفنائها الأَنيقِ رَحْلَها فأَلْقت عصاها واستقرَّ بهـا النَّوى ، وتفيَّأَتْ ظلالَها فجعلتها دار الإمامة وقُبَّة الإسلام . وعلمت أنهـا خيرٌ مُستقرًّا فاستغنَت بها عن دار السلام [1] ، فكان لها بالبيت الحاكميِّ أَحمدُ عُقْبَى ، واستأْثرت من بَقاياه بخير أَئمة فجَرَّت أَذيالها تيهاً وماسَتْ بأَعطافها عُجْبـا ، ثم لم تزل تَحُثُّ مَطيَّتَها ، وتُعْمِل رَوِيَّتها ، إلى أن أَناخت بفناء الإمام الأَعظم ، والخليفة الذى إن كان فى الزمان متأَخِّرًا فهو فى الحقيقة مُقَدَّم ، والسيِّد الذى هو من آبائه الخلفاء الراشدين خيرُ خَلف ، فمن وَلَدِ المستكفى الأَكفاءِ ومن عَقب الحاكم الأَحـكم ، الإمامِ المعتضد بالله أَبى الفتـح داودَ أَميرِ المؤمنين بنِ الإمام المتوكل [2] عـلى الله أَبى عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أَبى الفتـح أَبى بـكر ، أَيّد الله تعالى به الدّين ، وأَعزّ بأَعلامه المنصورة عِصابةَ المسلمين ، فَأَنسَتْ مآثره المُعتضديّة ما عُرِف

---

(١) دار السلام : بغداد

(٢) في الأصل «الامام الأعظم بن المتوكل على الله» وعلى كلمة الأعظم علامة الإضراب عنها وانظر آخر الكتاب الخاتمة جـ ٣ صـ ٣٧٥ فنسبه كما هو مثبت .

للمعتضد الأوّل من المآثر ، وأربَتْ على الأوائل مناقبه الجليلةُ حتى قيل : كم ترك الأوّلُ للآخر ، وأشْعَرَتْ بالفَتْح كُنْيَتُه الشريفة فخَفَقتْ بالنصر راياتُه السُّود ، وآذنت بالفضل خلافتُه المعظَّمة ولا يُنكَر فَضْلُ الخلافة لداود .

أحببت أن أخدم خِزانته العالية بتأليفٍ فى معالم الخلافة يَشتمل على دقائق حقائقها ، ويتكفَّل بذكر لوازمها المستطرَفةِ ولواحِقها ، مُحَلِّياً له من جواهر المناقب المعتضدية بما يعلو به قدره ، وتغلو به قيمته ويرتفع به ذكْره ، ليسير هذا التأليف (٣ ا) بانتسابه إليه فى الآفاق سَير المَثَل ، ويُخَلَّد بذِكْر مناقبه الشريفةِ ذِكْرُه على مرّ الدهورِ وتعاقُب الدُّوَل ، وسمّيته « مآثر الإنافة فى معالم الخلافة » . على أنى أعتذر مما أتيت ، وأستغفر مما لمثله تصدَّيت ، إذ لم أكن من قبيل هذا الشَّان ، ولا من فُرسان هذا الميدان ، بل أميرُ المؤمنين أمتع اللهُ الوجودَ بوجوده بذلك أدْرَى ، وبمعرفته أجدرُ وأحْرى ، فكنت فى ذلك كناقل التمر إلى

هَجَر ، [١] ، والمقابل بِبُلالة الرَّشْحِ زاخرَ البحر وَهامِعَ المطر ، وإنما قصدت بذلك التقرُّبَ إلى خاطره الشريف ، والشكرَ لما أسلف من بِرِّه التالِدِ ونَوَاله الطَّريف ، واللهُ تعالى يَقْرِنه بالقَبول ، ويَبسُط بالمَمَادح المعتضديّة لسانَ مُؤلّفه فيقول ويطول .

وقد رتبته على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة .

المقدمة

فى معنى الخلافة ، ومن ينطلق عليه اسم الخليفة ، ومن تكون عنه الخلافة ، وكيفية النسبة إلى الخليفة ، وما يقع عليه من الكُنية والألقاب .

الباب الأول

فى وجوب عَقْد الإمامة لمن يَقوم بها ، وبيان شروط الإمامة التى لا تصحّ بدونها ، والطرق التى تنعقد بها ، وما يلزم الخليفةَ للرعية ، وما يلزم الرعيةَ للخليفة ، وما ينعزل به الخليفة ويخرج به عن الإمامة .

(١) في مجمع الأمثال في الباب الثانى والعشرين «كمستبضع التمر إلى هجر» قال أبو عبيد : هذا من الأمثال المبتذلة ومن قديمها ، وذلك أن هجر معدن التمر والمستبضع إليه مخطئ

البــاب الثانى

فى ذكر من وَلِىَ الخلافة من صدر الإسلام وهَلُمَّ جرّا إلى زماننــا (٣ب) وتفصيلِ حال كلّ خليفــة منهم وولاة أقطار الإسلام شرقاً وغرباً فى زمانه ، والحوادث والمَاجَرَياتِ الواقعــة فى أيامه ، وبيــان مَقَرّات الخلافة وما انْطوَتْ عليه من الأَقاليم ، وترتيبِ الخلافة على ما كانت عليه فى الزمن القديم ، وذكر المشاهير ممن ادَّعى الخلافةَ فى بعض الأَقاليم وبطلان شُبْهة دَعَاوِيهم .

البــاب الثالث

فى ذكر ما يُــكتب للخلفاء من البيعات والعهود فى القديم والحديث .

البــاب الرابع

فيما كان يُــكتب عن الخلفاء من ولايات ملوك الأَقاليم وأُمرائها ، وولايات الوزراء والقضاة ، والولايــة على الصلوات ، ونقابةِ ذوى الأَنساب ، وغير ذلك من سائر الولايات الدينية والديوانية ، وما يــكتب عنهم الآن .

الباب الخامس

فيما كان يُكتب عن الخلفاء فى الإقطاعات وتحويل السنين ، وإلزام أَهل الذِّمة الشرائطَ اللازمةَ لهم .

الباب السادس

فى المكاتبات الصادرة عن الخلفاء وولاة العهد بالخلافة ، والكتبِ الصادرة عن الملوك والوزراء ونحوهم إليهم .

الباب السابع

فى ذِكْر أَوائلَ منسوبةٍ إلى الخلفاء وغرائبَ ومُلَحٍ وأَعاجيبَ تتعلّق بهم .

الخاتمة

(١٤) فى ذكر طرف من مناقب الإمام الأَعظمِ المعتضدِ بالله خليفةِ العصر الموضوع له هذا الكتاب .

وهذا بسط هذه الترجمة وتفصيلها

مقدمة

فى معنى الخـلافةِ ، ومن ينطلق عليــه اسم الخليفة ، ومن تكون عنه الخلافة ، وكيفية النسبة إلى الخليفة ، وما يقع عليه من الـكُنية والألْقاب ، وفيه فصلان :

الفصل الأول

فى معنى الخلافة ، ومن ينطلق عليه اسم الخليفة ، ومن تـكون عنه الخلافة ، وكيفية النسبة إلى الخليفة .

أَما الخلافة فهــى فى الأَصل مصدر خَلَف ، يقال : خَلَفه فى قومه يخلُفه خِلافة فهو خَلِيفة ، ومنــه قوله تعــالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هٰرُونَ اخْلُفْنِى فى قَوْمى﴾ [1] ، ثم أُطلقت فى العُرْف العــامّ على الزَّعامة العُظمَى ، وهى الوِلاية العامّة على كافّة الأُمّة ، والقيامُ بأُمورها والنهوض

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٢

بأَعبائهـا . والخِلِّيفَى – بـكسر الخـاء وتشديد اللام المـكسورة – لغةٌ فى الخلافة حـكاها الجـوهرىُّ وغيره ، قال ابنُ الأَثير [1] فى « نهايته فى غريب الحديث » : وهو من المصـادر الدالّة على معنى الـكثرة ، ومنـه قولُ أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنـه : لو أُطيق الأَذان مع الخِلِّيفَى لأَذَّنت . يريد أَنه مشتغل عن الأَذان بـكثرة اجتهـاده فى ضبط أُمور الخـلافة وتصريف أَعنَّتها . [2] وقد (٤ ب) اختُلف فى لفظ الخليفة .

فقيـل : هو فَعِيلٌ بمعـنى مَفعول ، كجَريح بمعـنى مجروح ، وقتيـل بمعنى مقتول ، ويـكون المعنى أَنـه يَخلفه مَنْ بعـده ، وعليـه حُمِلَ قولُه تعـالى فى حق آدم عليه السلام ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فى الْأَرْضِ خليفَةً ﴾ [3] على قول من قال : إن آدمَ أَوّلُ من عَمَرَ الأَرضَ وخلفه فيها بنـوه بعـده .

---

(١) ابن الأثير هو أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى الملقب مجدالدين ولد سنة ٥٤٤ هـ وتوفي سنة ٦٠٦ انظر ترجمته في ابن خلكان .

(٢) في النهاية لابن الأثير مادة خلف جـ ا ص ٢١٥ المطبعة العثمانية سنة ١٣١١ : وفي حديث عمر : لو أطقت الأذان مع الخليفى لأذنت . الخليفى بالكسر والتشديد والقصر الخلافة وهو وأمثاله من الابنية كالرميا والذليلا مصدر يدل على معنى الكثرة يريد به كثرة اجتهاده في ضبط أمور الخلافة وتصريف أعنتها .

(٣) سورة البقرة الآية ٣٠

وقيل : هو فَعيل بمعنى فاعل ،كعليم بمعنى عالم ، وقدير بمعنى قادر ، ويكون المعنى فيه أنه يَخْلُف من بعده[1] ، وعليه حَمَلَ الآيةَ السابقة – وهى قوله تعالى ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ – من قال : إنه كان قبل آدمَ فى الأَرضِ الجِنُّ أَو الملائكةُ وإنه خلفهم فيها . واختاره أَبو جعفر النحاسُ [2] فى كتابه « صناعة الكُتَّاب » وعليه اقتصر الماوردى[3] فى « الأَحكام السلطانية » [4] قال النحاس : وعليه خوطب أَبو بكر رضى الله عنه بخليفة رسول الله ، وعلى ذلك ينطبق كلام البَغَوىّ [5] فى « شرح السنة » حيث سُمِّىَ خليفة لأَنه خلف الماضى قبله ، ثم قال النحاس : وإطلاق الخليفة على أَمير المؤمنين يحتمل الوجهين جميعا .

واختلف فى الهاء فى آخره ، فقيل : أدخلت فيه للمبالغة ، كما أدخلت فى رجل داهية للكثير الدهاء ،

---

(١) كذا في الأصل ولعلها « قبله »

(٢) أبو جعفر النحاس هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادى النحاس النحوى المصرى توفي بمصر سنة ٣٣٨ هـ انظر ترجمته في ابن خلكان وفي إنباه الرواة ومصادره فيه.

(٣) الماوردى أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصرى توفي سنة ٤٥٠ وعمره ٨٦ سنة انظر ترجمته في ابن خلكان .

(٤) في الأحكام السلطانية ص١٢ مطبعة السعادة سنة ١٩٠٩ ويسمى خليفة لأنه خلف رسول الله صلى الله عليه في أمته .

(٥) البغوى : هو الحسين بن مسعود توفي سنة ٥١٠ أو سنة ٥١٦ انظر شذرات الذهب ج ٤ ص ٤٨ وابن خلكان ترجمته .

وراوية للكثير الرواية ، وعلاَّمة للكثير العلم . وهو قول الفَرَّاء [١] واستحسنه النحاس ناقلاً له عن أكثر النحويين ، ونُقِلَ عن على بن سليمان [٢] تَخْطئته احتجاجاً بأنه لو كان كذلك لكان التأْنيث فيه حقيقيًّا ، وليس كذلك ، وقيل : الهاء فيه لتأْنيث الصيغة ، قال النحاس : وربما أَسقطوا الهاء منه وأَضافوه فقالوا ، فلانٌ خليفُ فلانٍ ، يعنون خليفته .

ثم الأَصل فيه التذكير نظراً للمعنى ، لأَن المراد بالخليفة رجلٌ وهو يُذَكّر فتقول : أَمر الخليفة بكذا ، على التذكير ، وأَجاز الكوفيون فيه التأْنيث على اللفظ (٥ ا) فيقال أَمرَتِ الخليفةُ بكذا . وأَنشد الفراء [٣] :

أَبوكَ خليفةٌ ولدَتْه أُخرى   وأَنت خليفةٌ ذاك الكمالُ

ومنع البصريّون ذلك محتجّين بأَنه لو جاز ذلك لجاز : قالت طلحةُ ، فى رجل اسمه طلحةُ ، وهو ممتنع ، قال النحاس : فإِن ظهر اسمُ الخليفة تعيَّن

(١) الفراء هو يحيى بن زياد ولد سنة ١٤٤ هـ ومات سنة ٢٠٥ انظر ترجمته في ابن خلكان .
(٢) على بن سليمان هو الأخفش الأصغر النحوى توفي سنة ٣١٥ هـ انظر ابن خلكان ترجمته .
(٣) انظر البيت في اللسان مادة خلف .

التذكير باتّفاق ، فتقول : قال الراضى الخليفةُ ونحو ذلك .

ويجمع الخليفةُ على خلفاء ، على معنى التذكير د اللفظ ، كما فى جمع كريم على كُرماء ، وظريف ظُرفاء . وعليه ورد قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَـ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ [(١)] ، ويجمع أيضاً عـ خلائف حملا على تأنيث اللفظ ، كما تجمع صحيفـ على صحائف ، وعليه جاء قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّـ جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ [(٢)] ، قال النحاس : ويجـ أن يُجمع على خِلافٍ ، ككريم وكِرام ، لأن الهاء زائد

وأما من ينطلق عليه اسم الخليفة . فقد ذهـ جماعة من أئمة السلف منهم أحمد بن حنبل رحمه إلى كراهة إطلاق اسم الخليفة على من بعد الحسن على رضى الله عنهما فيما حكاه النحاس وغيره محتجين بما رواه أبو داودَ والتِّرمذِى [(٣)] من حدي سَفِينةَ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(١) سورة الأعراف الآية ٦٩ .
(٢) سورة الأنعام الآية ١٦٥ .
(٣) الترمذى ج ٩ ص ٧١ وأبو داود ج ٢ ص ١٧١ .

الخـلافة فى أُمـتى ثلاثون سنـة ثم مُلْك بعد ذلك . قال سعيد بن جَهْمان ثم قال [لى سفينةُ] : أمسك خلافة أبى بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان ثم قال : أمسك خلافة علىّ وخلافة الحسن ، فوجدناها ثلاثين سنة . قال سعيـد : فقلت له : إنّ بنى أُميـة يزعمون أن الخلافة فيهم . قال : كذب بنو الزَّرْقَاء ، هم ملوك من شرّ الملوك .

والذى عليـه العُرْف المشـاع من صدر الإسلام وهلم جرّا إطلاقُ اسم الخليفـة على كل (٥ ب) من قام بأَمر المسلمين القيـامَ العـامّ على ما تقدم ، إما ببيعـة من أَهل الحل والعقد ، وإما بعَهْد ممن قَبْله على ما سيأْتى ذكره إن شاءَ اللهُ تعـالى . إلاّ أَن بعض السلف قد خصص ذلك بما إذا كان الإمام جاريا على منهاج العـدل وطريق الحق . فقد رُوى أَن أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنـه سأَل طلحـة والزبير وكَعْبا وسلمان عن الفرق بين الخليفة والمَلِك ، فقال طلحـة والزبير : لا ندرى ، فقال سَلْمَان : الخليفة : الذى يعْدِل فى الرعيـة ويَقسم بينهم بالسَّويَّة ، ويُشفق عليهم شفقة الرجل على أَهله ، والوالد على ولده ، ويقضى بينهم بـكتاب الله تعالى . فقال كعب : ما كنت

أَحسب أَن فى هذا المجلس من يُفَرِّق بين الخليفة والمَلِك . ولـكنّ الله تعالى أَلْهَم سلمانَ حُكْماً وعلْماً . وعلى ذلك يُحْمل ما رُوى أَن أَعرابياً قال لأَبى بكر رضى الله عنه : أَنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : لا ، قال : فما أَنت؟ قال : أَنا الخالِفة بعده . قال ابن الأَثير [1] : قال ذلك تواضعاً وهَضْماً من نفسه حين قال له أَنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أَى أَن الخليفة هو الذى يقوم مَقام الذاهب ويسدّ مَسَدَّه ، والخالفة هو الذى لا غناء عنده ولا خير فيه . على أَن البغوى قال فى «شرح السنة» : إنه يسمى خليفة ، وإِن كان مخالفاً لسيرة أَهل العدل .

وأَما من تكون عنه الخلافة فللعلماء فيه ثلاثة مذاهب :

المذهب الأَول أَن الخلافة تكون عن الله تعالى ، فيقال فى الخليفة : خليفةُ الله . وهو ما حكاه الماوردى فى «الأَحكام السلطانية» عن بعضهم لقيامه بحقوقه

(١) النهاية لابن الأثير جـ ١ ص ٣١٥ مادة خلف .

تعالى فى خلقه احتجاجاً بقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الْأَرْضِ﴾ (١) ثم قال : وامتنع جمهور الفقهاء من ذلك ونسبوا قائله إلى التجوز محتجّين بأنه إنما (١٦) يَسْتخلِف من يغيب أو يموت ، والله تعالى باقٍ موجود على الأبد لا يغيب ولا يموت . وذكر الشيخ محيى الدين النووى (٢) رحمه الله فى كتابه «الأذكار» نحوه ، وقال : ينبغى أن لا يقال للقائم بأمر المسلمين : خليفةُ الله . ويؤيد ذلك ما حُكى أنه قيل لأبى بكر الصديق رضى الله عنه : يا خليفة الله ، فقال : لست بخليفة الله ولكنى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : يا خليفة الله . فقال : ويلك لقد تناولتَ مُتناولاً بَعيداً ، إن أُمى سمتنى عُمر ، فلو دعوتَنى بهذا الاسم قبلتُ ، ثم كبرت فَكُنّيت أبا حَفْص ، فلو دعوتنى به قبلتُ ، ثم ولّيتمونى أُمورَكم فسميتمونى أَمير المؤمنين ، فلو دعوتنى بذلك كفاك . وأجاز البغوى ذلك فى حق آدم وداود عليهما السلام دون غيرهما ،محتجًّا

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٥ .

(٢) هو يحيى بن شرف توفي سنة ٦٧٦ ، شذرات الذهب حـ ٥ ص ٣٥٤ .

بقوله تعالى فى حقّ آدم : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فى الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (١) وبقوله فى حقّ داود ﴿ يَا داوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ ﴾ (٢) قال : ولا يسمى أحد خليفةَ اللهِ بعدهما .

وأجاز الزمخشرى (٣) فى «تفسيره» ذلك فى سائر الأنبياء عليهم السلام .

المذهب الثانى أن الخلافة تكون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقال فيه : خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه خلفه فى أمته ، وعليه ينطبق كلام الماوردى فى «الأحكام السلطانية» والنحاس فى «صناعة الكتاب» وعلى ذلك خوطب أبو بكر رضى الله عنه بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم فى المذهب الأول أنه لما قيل له : يا خليفة الله ، قال : لست بخليفة الله ولكنى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى ذلك ينطبق كلام البغوى فى « شرح السنة »

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠ .

(٢) سورة ص الآية ٢٦ .

(٣) هو محمود بن عمر توفي سنة٥٣٨ شذرات الذهب ج ٤ ص ١١٨ وابن خلكان ترجمته وانظر تفسيره ج ١ ص ٢٠٩ « إنى جاعل في الأرض خليفة » لأن آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبى .

حيث قال : الخليفة وخليفة رسول الله . وتبعه النووى على ذلك فى «الروضة» .

المذهب الثالث أن الخلافة قد تكون عن الخليفة قبل ذلك الخليفةِ ، فيقال : فلان خليفة فلان ، واحدا بعد واحد ، حتى ينتهى إلى أبى بكر رضى الله عنه (٦ ب) فيقال فيه : خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى ذلك خُوطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أول أمره بخليفة [خليفة] رسول الله .

وأما كيفية النسبة إلى الخليفة

فإنه يقال خَلَفِىٌّ بفتح الخاء واللام ، كما ينسب إلى حنيفة حَنَفِىّ . وقول العامة : درهم خَلِيفَتِىٌّ ونحوُه خطأٌ ، إذ قاعدة النسب أن يُحذف من المنسوب إليه الياء وتاء التأْنيث على ما هو مقرر فى كتب النحو .

الفصل الثانى

فيما يقع على الخليفة من الكُنية والأَلقاب .

أما ما يقع على الخليفة من الكنية ، فلم تزل الكُنى

جاريةً على الخلفاء من بدء الخلافة وهلم جرّا ، جريًا فى ذلك على عادة العرب فى الاهتمام بشأن الكنية ، والاعتناء بأمرها ، والتعظيم بوصفها ، فكانت كنيةُ الصّدّيق رضى الله عنه أبا بكر ، وكنية عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبا حَفْص ، وكنية عثمان رضى الله عنه أبا عَمْرٍو ، وكنية علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أبا الحسن . واستمر الأمر فيهم على ذلك إلى زماننا . بل ربما لزمت الكنيةُ أحدَهم حتى لم تكد تفارقه ، كأبى العباس السَّفاح ، وأبى جعفرٍ المنصورِ ، وغيرهما . وقد قال النووى فى «الأذكار» : والأدبُ أن يخاطِبَ أهلُ الفضل ومن قاربهم بالكنية ، وكذلك إن كُتِب إلى أحد منهم رسالة أو رُوى عنه رواية . وقد كان الأُوَلُ أكثر ما يعظم بعضهم بعضاً فى المخاطبات والمكاتبات ونحوها بالكنى ، وَيَرَوْن ذلك فى غاية الرفعة ونهاية التعظيم . ومما يجب التنبيه عليه هنا أنه إذا كان (١٧) للرجل ولد واحد كنى به بلا نزاع ، فإن كان له ولدان فأكثر كنى بأكبرهم. فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يُكنى أبا القاسم ، وكان القاسم أكبر بنيه .

وفى سنن أَبي داود والنَّسائي[١] ، عن شُريح الحارثى [عن أَبيه] [٢] أَنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه ، فسمعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكنونه بأَبى الحكم ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله هو الحكم ، فَلِمَ تكنى أَبا الحكم : فقال : إن قومى اختلفوا فى شىء فأَتونى فحكمت [٣] بينهم . فرضى كِلا الفريقين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أَحسن هذا ! فما لك من الولد ؟ قال : شُريح ومسلم وعبد الله . قال : فمن أَكبرهم ؟ قال شريح ، قال : أَنت أَبو شريح .

قال النووى : فلو تكنى بغير أَولاده فلا بأْس ، فلو لم يكن له ولد أَصلا بأَن لم يُولد له فإِنه يجوز تكنيته ، حتى الصغير ، قال : وقد كان تَكَنَّى جماعةٌ من الصحابة رضوان الله عليهم قبل أَن يولد لهم ، كأَبى هريرة ، وخلائقَ لا يُحصون من التابعين . قال : ولا كراهية فيه ، بل هو محبوب بشرطه . ثم قد

(١) أبو داود حـ ٢ ص ١٩٩ . والنسائى حـ ٨ ص ٢٢٦ .
(٢) اسمه هانىء بن يزيد بن نهيك انظر الإصابة حرف الهاء القسم الأول
(٣) في الإصابة : قال لأن قومى إذا اختلفوا في شىء أتونى فحكمت بينهم ...

يــكون للرجل كنيتان فأكثر ، فقد كان لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنــه ثلاثُ كنى : أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو لَيْلى .

وأما ما يقع على الخليفة من الألقاب فأربعــة ألقــاب :

اللقب الأول عبــدُ الله ، وأول من تلقب بــذلك من الخلفاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنــه ، فــكان يــكتب فى كتبه الصادرة عنــه : من عبد الله عمرَ أميرِ المؤمنين . وتبعه مَنْ بعده من الخلفاء على ذلك ولزموه ، حتى أن المأمون كان اسمه عبدُ الله ، فــكان يــكرِّر فى كتبه وعهوده لفظ عبد الله مرتين ، الأُولى منهما اللقب والثانيــة الاسم الخاص ، فــكان يكتب فى كتبه : من عبدِ الله عبدِ الله بن هارون . وفى العهود : هذا ما عهد (٧ ب) عبدُ الله عبدُ الله [1] بن هارون .

قلت : ثم أحدث الخلفاء الفاطميّون بالديار المصرية أيام قيامهم بها بعد ذلك : وَوَلِيّه . فكان يُــكتَب فى كتب خلفائهم : من عبد الله وَوَلِيِّه فلانٍ أميرِ المؤمنين . حتى كان

(١) في الأصل : « عبدالله بن عبد الله بن هارون » وهو لا شك سهو .

العــاضدُ آخرُ خلفائهم بها . وكان اسمه عبدَ الله ، فكان يُــكْتَب عنـــه : من عبدِ الله ووليِّه عبدِ الله . إلى آخره . ثم تبعهم على ذلك خلفاء بنى العباس بالديار المصرية أيضاً بعد تحول الخلافة من بغــداد إلى مصر ، والأَمرُ باقٍ على ذلك إلى الآن .

اللقب الثانى الإمام . وهو من الأَلقاب المُسْتجَدَّة للخليفة فى أَثناء الدولة العباسيــة بالعراق . والأَصل فى ذلك أَن الشّيعة كانوا يُعبِّرون عمن يقوم بأَمرهم بالإِمام ؛ من حيث إن الإِمام فى اللغة هو الذى يُقتدى به . وهم بأَئمتهــم مُقتدون ، وعند أَقوالهم وأَفعالهم واقفون ، لاعتقادهم فيهم العِصْمة . وكان إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس قد تلقب حين أُخذت له البيعــة بالخلافة بالإِمام ، نسْجاً على هذا المنوال ، وبقى فى خلفاء بنى العباس إلى الآن .

اللقب الثالث لقب الخلافة الخاص بها ، كالمنصور ، والهــادى ، والرشيد ، والمأْمون ، والمعتصم بالله ، والمتوكل على الله ، ونحوِ ذلك ، على ما سيأْتى ذكره فى تراجمهم

إن شاء الله تعالى . وقد كان الخلفاء الراشدون من الصحابة رضى الله عنهم بمَعْزِلٍ عن هذه الأَلقاب . واختُلِف فى بنى أُميــة ، هل كان لهم أَلقاب نحوُ ذلك ؟ فذكر القُضَاعىُّ فى «عيون المعارف فى أَخبار الخلائف» أَن خلفاء بــنى أُمية لم يتلقّب أَحدٌ منهم بأَلقاب الخلافة ، وإنما ابتُدِئ ذلك فى الدولة العباسية ، وحــكى ابنُ حَزْمٍ فى بعض مُصنّفاته أَن خلفــاء بنى أُمية تلقَّب منهم جماعــة بأَلقاب الخلافة ، وأَن أَوّل من تلقب منهم بأَلقاب الخلافة معاوية بن أَبى سفيان ، (١٨) وأَن لقبه كان الناصرَ لحقّ الله ، ثم تبعــه باقى خلفاء بنى أُميــة على التلقيب ، على ما سيأْتى فى تراجمهم إن شاء الله تعالى . قال ابن حزم : وليس بصحيح .

أَما خلفاء بــنى العباس فلا نزاع فى جَريان أَلقاب الخلافة عليهم من بدء أَمرهم وإلى آخر وقت ، وقد اختُلِف فى لقب أَبى العباس السّفّاح أَولِ خلفائهم فقِيل: القائم ، وقيل : المهدى ، وقيل : المُرْتضَى ، ثم تلقّب أَخــوه أَبو جعفــرٍ بعــده بالمنصــور ، واستمرّت الأَلقاب جارية

على خلفائهم كذلك ، إلى أن ولى الخلافة أبو إسحاق محمد[1] ابن الرشيد بعد أخيه المأمون ، فتلقب المعتصمَ بالله ، فكان أول من أُضيف فى لقبه اسمُ الله تعالى . وجرى الأمر على ذلك فيمن بعده من الخلفاء ، كالواثق بالله ، والمتوكل على الله ، والطائع لله ، والقائم بأمر الله ، والناصر لدين الله ، وما أشبه ذلك .

قلت : وكان من عادتهم أنه لا يتلقب خليفةٌ بلقب خليفة قبله ، بل يُقْتَضَبُ[2] لكل خليفة لقبٌ يخصّه ، إلى أنْ صارت الخلافة إلى الديار المصرية ، بعد انقراضها من بغداد بقتل التَّتر المستعصمَ ، على ما سيأْتى ذكره إن شاءَ الله تعالى ، فترادفوا على الأَلقاب السابقة متواردين على أَلقاب من سلف من الخلفاء ، فتلقب أَبو القاسم أَحمد بن الظاهر بأَمر الله أَولُ خلفائهم بها بالمستنصر بالله ، وهو لقب أَخيه المستنصر بالله بن الظاهر من خلفاء العراق . وتلقب بعده أَبو العباس أَحمد بن حسين ثانى خلفائهم بالحاكم بأَمر الله ، وهو لقب أَبى علىٍّ المنصور بن العزيز

(١) في الأصل : « أبو إسحاق ابراهيم بن الرشيد » وهو خطأ سيأتى صوابه في ترجمته وكما ذكر أيضا صوابا في كتابه صبح الأعشى حـ ٣ ص ٢٥٩.

(٢) يقتضب هنا معناها يرتجل . يقال : اقتضب الكلام إذا ارتجله .

ثالث خلفاء الفاطميين بالديار المصرية ، ثم لم يزالوا على اقتفاء آثار الخلفاء قبلهم إلى الإمام الأَعظم المعتضد بالله أَبى الفتح داود خليفةِ العصرِ ، فتوارد لقبه مع لقب خليفتين قبله ، وهما المعتضد بالله أَبو العباس أَحمد ابن المُوفق طلحة بن المتوكل على الله (٨ ب) جعفر السابع عشر من خلفائهم بالعراق . والمعتضدُ بالله أَبو الفتح أَبو بكر بن المستكفى بالله أَبى الربيع سُليمان من خلفائهم بمصر ، وهو جدّ الإمام المعتضد بالله لأَبيه ، ولم يتوارد أَحدٌ من الخلفاء قبله مع غيره من الخلفاء العباسيين على لقبٍ ثلاثَ مرات سواه .

واعلم أَن كثيرا ممن ادّعى الخلافة فى بعض الأَقاليم ، كالخلفاء الفاطميين بالمغرب وبالديار المصرية ، وخلفاء بنى أُمية بالأَندلس ، قد مَشَوْا على نهج خلفاء بنى العباس فى الأَلقاب ، فتلقب أَبو محمد عبيد الله أَولُ خلفاء الفاطميين بالمغرب المهدىَّ ، ثم تلقب بنوه من بعده بالمغرب والديار المصرية بأَلقاب الخلافة المضاف فيها اسمُ الله ، كالقائم بأَمر الله ، والمنصور بالله ، إلى أَن كان آخرهم العاضد لدين الله .

وجرى خلفاء بني أُميـة بالأَندلس في أَول أَمرهم على قاعدة خلافتهم الأُولى ، من عدم التلقيب من لَدُن أَوّلهم عبدِ الرحمن الداخل إلى أن ولى منهم عبدُ الرحمن بنُ محمد المعروفُ بالمقتول ، وهو الثالثَ عشرَ من خلفائهم بالأَندلس ، فتلقب بالناصر ، بعد أَن مَضَى في خلافتـه تسعٌ وعشرون سنةً ، وتبعـه مَنْ بعـدَه منهـم على ذلك ، إلى أَن ولى عبدُ الرحمن بنُ محمد بنِ عبد الملك بن الناصرِ عبدِ الرحمن المقدَّمِ ذكرُه فتلقب بالمرتضى بالله ، وهو أَول من أضيف في لقبه منهم اسم الله تعالى ، مضاهاة لخلفاء بني العباس في ذلك ، وجرى مَنْ بعده من خلفائهم على مثل ذلك ، إلى أَن كان آخرهم هشام بن محمد ، فتلقب بالمعتد بالله . وبزواله في سنـة ثمانٍ وعشرين وأَربـع مائةٍ انقرضت خلافتهم من الأَندلس . ثم تبعهم على ذلك ملوك الطوائف من بني هُودٍ وغيرِهم ، فتلقبوا بأَلقاب الخلفاء ، وكذلك المُوَحِّدون ببلاد المغرِب ، فتلقب إمامهم محمد بن تُومَرْتَ بالمهديّ ، وتبعه أَتباعه على ذلك(١٩) فتلقبوا بأَلقـاب الخلفاء ، إلى أَن كان الأَمر منهم في عَقِب أَبي حَفْصٍ

أَحدِ العشرة أَصحاب ابن تُومَرْتَ المذكور ، فنسجوا على منوالهم فى ذلك ، إلى أَن كان منهم أَبو عبد الله محمدُ بنُ أَبي زكريا يحيي ، فتلقب بالمستنصر بالله ، فكان أَوّلَ من أُضيف فى لقبه اسمُ الله منهم ، وتبعه مَنْ بعده على ذلك إلى زماننا .

قلت : وهؤلاء جميعهم على منوال بنى العباس ناسجون ، وعلى آثارهم مُقتفون .

* وأَين الثُّريَّا من يدِ المتناوِل *

اللقب الرابع أَمير المؤمنين ، وأَول من لُقِّب به أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أَثناء خلافته ، وكانوا قبل ذلك يَدْعُون أَبا بكر رضى الله عنه فى خلافته بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دعوا عمر بعده فى أَول خلافته بخليفة خليفة رسول الله .

واختلف فى أَصل تلقيبه بذلك ، فروى أَبو جعفر النحاس فى كتابه «صناعة الكتاب» بسنده إلى أَبي

وَبْرة [1] أن أَبا بكر رضى الله عنه كان يَجْلِد فى الشراب أَربعين ، فجئتُ عمرَ رَضى الله عنه فقلت : يا أَمير المؤمنين ، إن خالدًا بعثنى إليك . قال : فيمَ ، قلت : إن الناس قد تَخَافُّوا العقوبةَ . وانهمكوا فى الخمر . فما ترى فى ذلك ؟ فقال عمرُ لمن حوله : ما ترون ؟ فقال علىٌّ : نرى يا أَمير المؤمنين ثمانين جلدةً ، فقبِلَ ذلك عمرُ ، فكان أَبو وَبْرة ثم علىٌّ بن أَبى طالب أَوّلَ من لقبه بذلك . وذكر أَبو هلال العسكرى فى كتابه «الأَوائل» أَن أَصل ذلك أَن عمر رضى الله عنه بعث إلى عامله بالعراق أَن يبعث إليه رجلَيْن عارِفَيْن بأُمور العراق يسأَلهما عما يريد ، فأَنفذ إليه لبيدَ بنَ ربيعة وَعدِىَّ بن حاتم ، فلما وصلا المدينة دخلا المسجد . فوجدَا عَمْرو بنَ العاص ، فقالا له : استأْذن لنا على أَمير المؤمنين ، فقال لهما عمرٌو : أَنتما والله أَصبتما اسمَه . ثم دخل (٩ ب) على عمر فقال : السلام عليك يا أَمير المؤمنين ، فقال : ما بَدَا لَك يابن العاص ؟ لتخرُجَنَّ من هذا القول ، فقص عليه القصةَ فأَقره على ذلك ، فكان ذلك أَوّل تلقيبه بأَمير المؤمنين .

---

(١) فى الأصل « إلى ابن أبى وبرة » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٥ ص ٤٧٥ وقد جاء بعد ذلك صحيحا

قلت : ولزم هذا اللقبُ مَن ولى الخلافةَ بعده إلى الآن ، خلا خلفاء بنى أُمية بالأَندلس، فإنهم كانوا يُخاطبُون بالإمارة فقط ، إلى أَن ولى منهم عبدُ الرحمن بن محمد المعروف بالمقتول المقدّمُ ذكرُه ، فتلقب بأَمير المؤمنين ، واستمر ذلك فيهم إلى حين انقراضهم ، وملوكُ الحَفْصِيِّينَ من بقايا المُوَحِّدين بإفريقية يُخاطبون فى بلادهم بأَمير المؤمنين إلى الآن ، وتَرِدُ كتبهُم على ملوك الديار المصرية متضمِّنةً لذلك .

أَما ملوك الغرب الأَقصى الآن من بنى مَرِين فإنهم يُخاطبون بأَمير المسلمين ، جرياً على ما استقر عليه أَمرُ تلك البلاد من التلقيب بذلك ، من حينِ أَحدثَ هذا اللقبَ أَميرُ المسلمين يوسفُ بنُ تاشفين فى دولة المُلَثَّمين من لَمْتُونة من البربر .

البـــاب الأَول

بعد المقدمة ، فى وجوب عقد الإمامة لمن يقوم بها ، وبيان

شروط الإمامة التى لا تصح دونها . والطرق التى تنعقد بها . وما يلزم الخليفةَ للرعية ، وما يلزم الرعيةَ للخليفة ، وما ينعزل به الخليفةُ ويخرج به عن الإمامة ، وفيه ستة فصول :

الفصل الأَول

فى وجوب عقد الإمامة لمن يقوم بها . قال الماوردى : وعقدها لمن يقوم بها واجب بالإجماع وإن شذ عنه الأَصمُّ [1] . يعنى حيث لم يَقُلْ (١٠ ١) بوجوب ذلك ، مشيرا بذلك ، إلى أَنه لو ندَر المخالفُ مع كثرة المُجمعين لم تنقطع حجِّيَّةُ الإجماع ، كما هو الراجح فى كتب أَصول الفقه .

وقد [2] اختُلف فى أَصل وُجوبها ، فذهب قوم إلى أَن وجوبها ثابت بالعقل ، لما فى طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم عند التنازع ، ولولا ذلك لكانوا فوضى مهملين ، وقد قال الأَفْوه

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٣ : وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع .....

(٢) الأحكام السلطانية ص ٣

الأَوْدى وهو شاعر جاهلى (١)

لا يَصلح الناسُ فوضى لا سَراة لهم
ولا سراة إذا جُهَّالُهُمْ سادُوا

وذهب آخرون إلى أنها إنما وجبت بالشرع ولا أثر للعقل فى ذلك ، لأن الإمام يقوم بأُمورٍ شرعية كان يجوز فى العقل أن لا يرد التعبد بها ، فلم يكن العقل موجبا لها (٢) . واحتجّ لذلك بأنه لا بد للأُمة من إمام يقيم الدين ، وينصر السنة ، ويُنصف المظلومين من الظالمين ، ويستوفى الحقوق ويضعها مواضعها . قال الماوردى : ولا خلاف بين أهل العلم أنها فرض كفاية كالجهاد ونحوه إذا قام بها من هو أهل لها سقط فرضُها عن كافة الناس ، وإن لم يقم بها أحدٌ أثِم من الناس فريقان : أحدُهما أهلُ الحلّ والعقد حتى يختاروا للأُمة إماماً يقوم بأمرهم . والثانى أهل الإمامة حتى ينتصب للإمامة أحدهم . قال : ولا إثم ولا حرج على مَنْ عَدَا هذين الفريقين من سائر

(١) ديوان الأفوه : الطرائف الأدبية ص ١٢ وانظر فيه مراجع الشعر .

(٢) الأحكام السلطانية ص ٣

الأُمة فى تـأْخير إقامة الامام [1] قال النووى فى «روضته» فإن لم يـكن من يصلح إلا واحد تعيّنت عليه ولزمه طلبها إن لم يَبْتَدُوه .

الفصل الثـانى

فى شروط الإمامة ، وقد اعتبر أَصحابنا الشافعية رضى الله عنهم (١٠ب) لصحة عقدها أَربعة عشر شرطاً فى الإمام .

الأَول الذُكورة ، فلا تنعقد إمامـة المرأَة . واحتَـجَّ له بما رواه البخـارى [2] من حديث أَبى بَـكْرة رضى الله عنه أَنه قال : نفعنى الله بـكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أَيام الجَمَل بعـد ما كدت أَن أَلحق بأَصحاب الجمل فأُقاتل معهم . قال : لمـا بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أَن أَهل فارس ملَّـكوا بنت كسرى قال : لن يُفلح قومٌ وَلَّوْا أَمرهم امرأَةً . زاد الترمذى والنَّسائى [3] : فلما قدمت عائشةُ البصرةَ ذكرتُ قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَعصَمنى الله تعالى به .

---

(١) الأحكام السلطانية ص٣ مع اختلاف يسير فيالتعبير .

(٢) البخارى حـ ٩ ص ٥٥

(٣) الترمذى حـ ٩ ص ١١٩ والنسائى حـ ٨ ص ٢٢٧

والمعنى فى ذلك أن الإمام لا يستغنى عن الاختلاط بالرجال؛ والمشاورة معهم فى الأُمور، والمرأَةُ ممنوعة من ذلك، ولأَنَّ المرأَةَ ناقصةٌ فى أَمر نفسها حتى لا تملك النكاح، فلا تُجْعل إليها الولاية على غيرها .

الثانى البلوغ، فلا تنعقد إمامة الصبى لأَنه مُوَلَّى عليه، والنظرُ فى أُموره إلى غيره، فكيف يجوز أَن يكون ناظرا فى أُمور الأُمة ؟ على أَنه ربما أَخل بالأُمور قَصْدًا لعلمه بعدم التكليف .

الثالث العقل، فلا تنعقد إمامةُ ذاهبِ العقلِ بجنون أَو غيره، لأَن العقل آلة التدبير، فإذا فات العقلُ فات التدبيرُ . وقد قسم الماوردىّ [1] زوالَ العقل إلى مالا يرجى زواله وما يرجى زواله :

فأَمَّا ما لا يرجى زواله كالجنون والخَبَل فيمنع من عقد الإمامة، سواء كان مُطْبِقا لا يتخلله إفاقة أَو تخلله إفاقة، وسواء كان زمنُ الجنون أَكثرَ من زمن الإفاقة أَو زمنُ الإفاقة أَكثر من زمن الجنون .

(١) الأحكام السلطانية ص ١٤

وأما ما يرجى زواله كالإغماء فلا يمنع من انعقاد الإمامة ، لأنه مَرض قليلُ اللُّبْثِ سريعُ الزوال .

الرابع البصر ، فلا تنعقد إمامة الأعمى ، لأنه إذا مُنع عقدَ ولاية القضاء (١١ ا) وجواز الشهادة فمنعه صحّةَ الإمامة أولى .

أما عَشَاءُ العين – وهو أن لا يبصر معه ليلا – فإنه لا يمنع صحة عقدها ، لأنه مَرضٌ في زمان الدعة يرجى زواله .

وأما ضعف البصر فقد قال الماوردى [1] إنه إن كان يمنع معه معرفة الأشخاص إذا رآها فإنه يمنع من الانعقاد ، وإن كان لا يمنع معرفة الأشخاص عند رؤيتها لم يمنع من الانعقاد .

الخامس السمع ، فلا تنعقد إمامة الأصم ، وهو الذى لا يسمع البتةَ ، لأنه يتعذّر عليه بذلك سماعُ مصالح المسلمين ، ولأن ذلك يمنع ولاية القضاء ، فَلَأَن يُمنع ولاية الإمامة أولى .

أما ثقل السمع وهو الذى يدرك معه الصوت العالى فقد

(١) الأحكام السلطانية ص ١٥

قيل : إنه يمنع عقد الإمامة ، وقيل : لا يمنع .

السادس النطق . فلا تنعقد . إمامة الأخرس ، لما فى ذلك من فوات مصالح الأُمة بعدم القدرة على النطق عند الخطاب . واختُلف فى تمتمة اللسان ونحوها ، فقيل : يمنع انعقاد الإمامة وقيل : لا يمنع .

السابع سلامة الأعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض ، فلا تنعقد إمامة من ذهبت يداه أو رجلاه لعجزه عما يلحقه من حقوق الأُمة .

أما ما يمنع بعض العمل أو فقد به بعض النهوض ، كذهاب بعض اليدين أو إحدى الرِّجلين ، فالذى ذهب إليه الماوردى [1] وصححه الرافعى [2] من أئمة أصحابنا الشافعية أنه لا تنعقد معه الإمامة ، وخالف أبو سعد المُتَوَلِّى [3] من أصحابنا الشافعية فى ذلك ، فذهب إلى انعقادها . ولا أثر لما لا يؤثر فقده من الإعضاء فى رأى ولا عمل

---

(١) الأحكام السلطانية ص ١٥

(٢) الرافعى هو عبد الكريم بن محمد توفي سنة ٦٢٣ فوات الوفيات ترجمته وشذرات الذهب جـ ٥ ص ١٠٨

(٣) المتولى هو عبد الرحمن بن مأمون توفي سنة ٤٧٨ ابن خلكان ترجمته وشذرات الذهب ٢ — ٣٥٨ وفي الأصل كتب أبو سعيد .

ولا نهوض ، كقطع الذكر والأُنثيين ونحو ذلك .

قلت : وقد رأيت فى « مناهج الفكر ومباهج العبر » أن الخَصِىَّ إن خُصِىَ قبل التِّسع حُفِظت عليه صفات الطُّفولية حتى إذا غضب بكى كالطفل إذا غضب ، وإن خُصِى لما بعد ثمانى عشرة سنةً حُفِظت عليه صفات الرُّجُوليَّة . (١١ ب) وإن خصى لما بين ذلك فأَى الأَمرين كان إليه أقرب فهو إلى طبعه أميل ، فإن صح ذلك فينبغى أن يراعى مثله فى قطع الذكر والأُنثيين .

الثامن الحُرِّية : فلا تنعقد إمامة من فيه رقّ فى الجُملة سواء القِنُّ[١] والمُبعَّض ، والمُكاتَب والمُدَبَّر ، والمُعَلَّق عِتْقُه بصفة ، لأَن الرقيق محجورٌ للسيِّد ، فأُموره تُصدر عن رأْى غيره . فكيف يصلح لولاية أُمور الأُمة ؟

التاسع ، الإسلام : فلا تنعقد إمامة الكافر على أَى أَنواع الكفر أَصليًّا كان أَو مرتدًّا [٢] لأَن المقصود من الإمام

(١) القن الكامل العبودية والمبعض من فيه جزء حر وجزء رقيق . والمكاتب : من يفرض عليه مال إن أداه أعتق . والمدبر : من شرط عتقه بعد موت سيده ، والمعلق عتقه بصفة من يتوقف عتقه على حدوث أمر أو فعل أى صفة تحدث يتعلق بحدوثها عتقه .

(٢) فى الأصل أى أنواع الكفر كان أصليا كان أو مرتدا

مراعاة أُمور المسلمين والقيام بنصرة الدين ، ومن لا يكون مسلما لا يراعى مصلحة الإسلام والمسلمين .

العاشر ، العَدَالة : فلا تنعقد إمامة الفاسق ، وهو المتابع لشهوته ، المُؤْثر لهواه ، من ارتكاب المحظورات ، والإقدام على المنكرات ، لأَن المراد من الإمام مراعاةُ النظر للمسلمين ، والفاسقُ لم ينظر لنفسه فى أَمر دينه . فكيف ينظر فى مصلحة غيره ؟

أَما ما يتعلق بالاعتقاد لعروض شبهة ففى انعقاد إمامته معه خلاف ، وظاهر كلام الماوردى [1] أنه لا يمنع كما لا يمنع من ولاية القضاء وقبول الشهادة .

الحادى عشر ، الشجاعة والنجدة : فلا تنعقد إمامة الجبان ، لأَنه محتاج إلى الشجاعة ليتوصل بذلك إلى حماية البَيضة وجهاد العدوّ اللذين هما جُلُّ المطلوب من نَصْب الإمام . لأَنه يحتاج إلى تجهيز الجيوش ، وفتح البلاد والحصون ، وقتل الأَعداء ، فإذا لم يكن شجاعاً لم يستطع ذلك .

---

(١) انظر الأحكام السلطانية ص ١٤

الثانى عشر ، العلم المؤدى إلى الاجتهـــاد فى النوازل والأحـكام : فلا تنعقد إمامة غير العالم بذلك ، لأنـــه محتاج لأن يُصَرِّف الأُمور على النهج القويم ، ويُجريهَا على الصراط المستقيم ، ولأَنْ يعلمَ الحدود ويستوفى الحقوق ويفصل (١٢ ا) الخصومات بين الناس ، وإذا لم يــكن عالمـــا مجتهدا لم يقدر على ذلك .

الثالث عشر ، صحّة الرأْى والتديُّن : فلا تنعقد إمامة ضعيف الرأْى ، لأَن الحوادث التى تــكون فى دار الإِسلام تُرْفَع إليه . ولا يتبين له طريقُ المصلحة إلا إذا كان ذا رأْى صحيح وتدبير سائغ ، وناهيك أَن أَبا الطيب [المتنبى] [١] قد رجّح الرأْى على الشجاعة فى شعره فقال :

الرأْيُ قبــلَ شجاعةِ الشُّجْعـــــانِ

هـــو أَوّل وهـــى المحـــلُّ الثـــانى

الرابـــع عشر ، النسب : فلا تنعقد الإِمامة بدونه ، والمراد أَن يكون من قريش ، وهم بنو النضر بن كنانة ،

(١) في الأصل : «إن أبا تمام» وهو خطأ فلا يوجد في ديوانه وهو في ديوان المتنبى ص ٤١٢

ففى الصحيحين [1] من رواية ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان). وقد احتجّ الصديق رضى الله عنه على الأنصار يوم السقيفة – حين اجتمعوا على سعد بن عبادة [2] وقالوا : منا أمير ومنكم أمير – بقول النبى صلى الله عليه وسلم :(الأئمة من قريش) . فرجعوا إليه فى ذلك وأذعنوا لقوله . وقد ادّعى الماوردى [3] الإجماع على اعتبار هذا الشرط مع ورود النص به ثم قال : ولا عِبرة بِضِرارٍ حين شذَّ فجَوَّزها [4] فى جميع الناس . قال الرافعى من أئمة أصحابنا الشافعية : فإن لم يوجد قُرشى مستجمع للشروط فكنانىّ ، فإن لم يوجد كنانىٌّ فرجل من ولد إسماعيل عليه السلام ، فإن لم يكن فيهم رجل مستجمع للشرائط ، ففى " تهذيب البغوى » أنه يُوَلَّى رجلٌ من العجم . وفى « التتمة » للمتولى أنه يُوَلَّى جُرْهُمىٌّ .

قلت : وجُرْهم أصل العرب المستعربة الذين هم ولد

(١) البخارى حـ ٩ ص ٦٢

(٢) في الأصل : «سعد بن معاذ» وهو خطأ سيأتى صوابه. وسعد بن معاذ مات في حياة الرسول سنة ٥ من الهجرة وانظر الأحكام السلطانية ص ٤

(٣) الأحكام السلطانية ص ٤

(٤) في الأصل «فجورها» والتصويب من الأحكام السلطانية والسياق

إسماعيل عليه السلام ، وهم الذين نزلوا على إسماعيل وأُمِّه بمكة حين أَنزلهما بها الخليل عليه السلام ، فنشأَ إسماعيل بينهم ، وتعلم لغتهم ، وتزوج منهم ، وهم بنو جُرهم بن قَحطان بن عابر بن شالخ بن أَرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ، وقد (١٢ ب) أَوضحت الكلام على ذلك مبسوطا فى كتابى «نهاية الأَرب فى معرفة قبائل العرب» .

قال الرافعى : ولا يشترط فى الإمام كونه هاشميًّا ، لأَن أَبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ليسوا من بنى هاشم ، وهم أُصول الخلافة وأَئمة الإسلام .

الفصل الثالث

فى بيان الطرق التى تنعقد بها الخلافة ، ولها ثلاث طرق ، تترتب على كل طريق منها جملة من الأَحكام .

الطريق الأَول ، البيعة : وهى أَن يجتمع أَهل الحَلِّ والعقد الآتى ذكرهم ويعقدون الإمامة لمن يستجمع شرائطها ، ويتأَتَّى ذلك فى موضعين :

أحدهما ، أن يموت الخليفة الذى كان منتصبا عن غير عهد إلى أحد بعده .

والثانى ، أن يخلع الخليفة نفسه من الخلافة أو يخلعه أهلُ الحلِّ والعقد ، لموجب اقتضى خَلْعَه نفسَه أو خلع أهل الحل والعقد له ، ولذلك حالتان :

الحالة الأُولى أن يتعدَّد من اجتمع فيه شروط الإمامة ، فيختار أهل الحلّ والعقد واحدا منهم يقوم بأَمر الإمامة وينهض بأَعبائها ، وعلى ذلك كانت خلافة الصدّيق رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه لما تُوفِّى النبىُّ صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأَنصار إلى سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، وقالوا : منا أمير ومنكم أمير ، فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ابن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فأَسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : والله ما أردت إلاَّ أنى هيَّأْت كلاما أعجبنى خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس . فقال فى كلامه : نحن الأُمراء وأنتم الوزراء فقال (١٣ ا) حُبَاب بن المُنذر ، لا والله لا نفعل . منا

أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : لا ، ولكنا الأُمراء وأنتم الوزراء . فبايعوا عمرَ أو أبا عبيدة . فقال عمر : بل نبايعك أنت ، فأنت سيِّدُنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عمر بيده فبايعه ، وبايعه الناس ، أخرجه البخارى [١] والنسائى .

واعلم أن لصحة عقد البيعة خمسةَ شروط :

الأول أن يجتمع فى المأْخوذ له البيعة شروط الإمامة المتقدمة الذِّكْر ، فلا تنعقد مع فوات واحد منها [٢] إلاّ مع الشوكة والقهر ، على ما سيأْتى ، فلو جمع شروط الإمامة اثنان فأكثر قال الماوردى : [٣] استحب لأَهل الحل والعقد أن يعقدوها لأَسنهما ، فإن عقدوها للآخر جاز ، فإن كان أَحدهما أَعلم والآخر أَشجع روعى فى الاختيار ما يوجبه حكم الوقت ، فإن دعت الحاجة إلى رعاية الشجاعة ــ كظهور البُغاة وأَهل الفساد ــ كان الأَشجع أَحقّ ، وإن دعت إلى زيادة العلم ــ كسكون الفتن وظهور البدع ــ كان الأَعلم أَحق ، ولو

---

(١) البخارى جـ ٥ ص ٧ ولم أعثر عليه في النسائى ، وفي مسند أحمد جـ ١ ص ٥ نحن الأمراء وأنتم الوزراء
(٢) في الأصل منهما
(٣) الأحكام السلطانية ص ٥

تنازع اثنان مستجمعان للأهلية فى الإمامة ، فقد ذهب بعض العلماء إلى أن ذلك يَقْدَح فيهما جميعا حتى يُعْدَل عنهما إلى غيرهما . والذى عليه الجمهور أن ذلك لا يقدح ، لأن طلب الخلافة ليس مكروها ، وهل يُقْرَع بينهما عند التساوى أو يقدِّم أهلُ الحل والعقد من شاءوا منهما ؟ فيه خلاف .

الثانى : أن يكون المتولى لعقد البيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء وسائر وجوه الناس ، وفيمن تنعقد به البيعة منهم سبعة مذاهب :

أحدهما : أنها لا تنعقد إلا بأهل الحل والعقد من كل بلد ، ليكون الرضى عامًّا ، والتسليمُ لإمامته إجماعاً ، قال الماوردى [1] : وهذا مذهب مدْفوع ببيعة أبى بكر رضى الله عنه باختيار من حضرها (١٣ ب) من غير انتظار قدوم غائب عنها .

والثانى : أن أقل من تنعقد به أربعون لا دُونَهم ، لأن عقد الإمامة فوق عقد الجمعة ، ولا تنعقد بأقل من أربعين .

(١) الأحكام السلطانية ص ٤

والثالث : أقل من تنعقد به خمسة يجتمعون على عقدها . أو يعقدها أحدهم برضى الأربعة ، لأن بيعة أبي بكر رضى الله عنه انعقدت بخمسة ، وهم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وأُسَيد بن حُضَير وبشير [1] بن سعد ، وسالم مولى أبي حُذيفة ، ثم تابعهم الناس على ذلك . وقد جعلها عمر رضى الله عنه شورى فى ستة نفر ، تنعقد لأحدهم برضى الخمسة ، قال الماوردى [2] : وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة .

والرابع تنعقد بأربعة . لأن الشهادة فى الزنا تقوم بأربعة . فكذلك الإمامة .

والخامس : تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضى الاثنين الآخرين ليكونوا حاكما وشاهدين كما يصح عقد بولىٍّ وشاهدَيْن .

والسادس : تنعقد باثنين ، لأن رتبة الخلافة لا تنقص عن رتبة الحكومات ، والحاكم لا يُلزِم أحدَ الخَصْمين

---

(١) في الأصل « بشر » وكذلك في الأحكام السلطانية . والتصويب من الإصابة . فبشير بن سعد والد النعمان بن بشير يقال انه أول من بايع أبا بكر من الأنصار .

(٢) الأحكام السلطانية ص ٤

حقَّ صاحبه إلاَّ بشهادة عَدْلَين ، فكذلك لا يَلزم الناسَ الانقيادُ لقول الإمام إلا بعدْلَين .

والسابع : تنعقد بواحد ، لما روى أن العباس رضى الله عنه قال لعلى كرم الله وجهه : امدد يدك أُبايعك فيقول الناس عمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ابنَ أخيه فلا يختلف فيه اثنان . وقد قيل ، إن بيعة الصديق رضى الله عنه انعقدت ببيعة عمر وحده ، ولأنه حُكْمٌ وحكم الواحد نافذ .

< و > الثامن : وهو الأصح عند أصحابنا الشافعية رضى الله عنهم أنها تنعقد بمن تَيَسَّر حُضورُه وقت المبايعة فى ذلك الموضع من العلماء والرؤساء وسائر وجوه الناس المتصفين بصفات (١٤ ا) الشهود ، حتى لو تعلق الحل والعقد بواحد مطاع كفى ، لأن الأمر إذا لم يكن صادرا عن رأى من له تقدم فى الوضع وقول مقبول لم تُؤمن إثارة فتنة ، ولا التفات إلى أهل البلاد النائية ، بل إذا بلغهم خبر البيعة وجب عليهم الموافقة والمتابعة ، وقد شرط فى

« الأَحكام السلطانية »[1] فى أَهل الحل والعقد أَن يجتمع فيهم ثلاث صفات ، وهى العدالة ، والعلم ، والرأْى ، ووافقه على ذلك النووى فى « روضته » . وقال الرافعى : لا بد فيهم مجتهدٍ ، فإِن عقدت بواحد اعتبر فيه الاجتهاد ، وإِن عقدت بأَكثر من واحد اعتبر أَن يكون فيهم مجتهد.

الثالث : أَن يُجيبَ المبايَعُ إِلى البيعة ، حتى لو امتنع لم تنعقد إِمامته ولم يُجبر عليها . قال النووى فى « الروضة » إِلا أَن يكون من لا يصلح للإِمامة إِلا واحد فيجبر بلا خلاف .

الرابع : الإِشهاد على المبايعة فيما إِذا كان العاقد واحدا ، أَما إِذا كان العاقد للبيعة جمعاً فإِنه لا يُشترط الإِشهاد .

الخامس : أَن يتحد[2] المعقود له ، بأَن لا تعقد البيعة لأَكثر من واحد ، واحتُجَّ له بما رواه مسلم[3] فى

(١) الأحكام السلطانية ٣ وتصه أحدها العدالة الجامعة لشروطها والثانى العلم الذى يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها والثالث الرأى والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح وبتدبير المصالح أقوم وأعرف .

(٢) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل وجاءت بعد ذلك صحيحة في ص ٤٨ الحالة الأولى أن يتحد المعهود إليه بأن يعهد .....

(٣) صحيح مسلم حـ ١٢ ص ٢٤٢ وانظر أيضا فيه حـ ١٢ ص ٢٣٣ — ٢٣٤

« صحيحه » من حديث أبي سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا بُويع لخليفتين فاقتلوا الآخَرَ منهما) ، وفى رواية [1] له من حديث عَرْفَجة بن شريح[2] قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :(من أتاكم وأمركم جميعٌ على رجل واحد يريد أن يَشُقَّ عصاكم أو يفرِّق جماعتكم فاقتلوه) .

فلو عُقِدَت البيعةُ لاثنين معا لم تنعقد لواحد منهما ، فلو كانا فى إقليمين متباعدين ففيه وجهان لأصحابنا الشافعية : أَصحهما ما عليه الجمهور بطلانُ بيعتهما ، والثانى ما ذهب إليه (١٤ ب) الأُستاذ أبو إسحاق الإسفراييني ، واختاره إمام الحرمين : صحةُ بيعتهما جميعاً ، لأَنه قد تدعو الحاجة إلى ذلك ، وعلى ذلك كانت الخلافة الأموية بالأندلس ، والخلافة الفاطمية ببلاد المغرب والديار المصرية ، مع قيام الخلافة العباسية بالعراق وانسحابها على سائر الأَقطار والبلدان . ونسبه الماوردى فى « الأَحكام

(١) صحيح مسلم حـ ١٢ ص ٢٤٢ والإصابة ترجمة عرفجة بن شريح .

(٢) في الإصابة عرفجة بن شريح وقيل ابن صريح بالصاد المهملة أو المعجمة وقيل ابن شريك وقيل ابن شراحيل وقيل بن ذريح الأشجعى

السلطانية » إلى الشذوذ [1] ، وإن وقع العقد لهما على الترتيب فالأُولى صحيحة والثانية باطلة ، ولو سبق أحدهما وتَعيَّن ثم اشتُبه وقف الأَمر حتى يظهر ، فإن طالت المدة ولم يمكن الانتظار فقد قال الماوردى :[2] إنه تبطل البيعتان وتستأْنف لأَحدهما بيعة جَديدة . وفى جواز العدول إلى غيرهما خلاف قال النووى : الأَصح أنه لا يجوز .

الحالة الثانية : أن يتحد من اجتمع فيه شروط الإمامة ، وقد اختلف العلماء فيها إذا انفرد واحد بشروط الإمامـة . هل تثبت إمامته بمجرد تفرده بها من غير عقد بيعة؟ على مذهبين :

أحدهما انعقاد إمامته بذلك وإن لم يعقدها له أهل الحل والعقد ، لأَن المقصود من الاختيار تمييز من يستحق الولاية ، وقد تميز هذا بصفته ، وهو ما نقله الماوردى [3] عن بعض علماء العراق .

والثانى أَنها لا تنعقد إلا بعقد أَهل الحل والعقد ، لأَن

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٦

(٢) المصدر السابق ص ٧

(٣) المصدر السابق ص ٦ : فذهب بعض فقهاء العراق إلى ثبوت ولايته . . . . . .

الإمامة عقد ، فلا يصح إلا بعاقد ، كما لو انفرد واحد باستجماع شرائط القضاء ، فإنه لا يصير قاضياً حتى يُوَلَّى ، وهو ما عليه جمهور الفقهاء ، وعليه اقتصر الرافعى والنووى المعتمد على ترجيحهما .

الطريق الثانى ، من الطرق التى تنعقد بها الإمامة : العهدُ وهو أن يعهد الخليفة المستقر إلى غيره ممن استجمع شرائط الخلافة بالخلافة بعده ، فإذا مات العاهد (١٥ ا) انتقلت الخلافة بعد موته إلى المعهود إليه ، ولا يحتاج مع ذلك إلى تجديد بيعة من أهل الحل والعقد ، ولذلك حالتان :

الحالة الأُولى أن يتحد المعهود إليه بأن يعهد بالخلافة بعده إلى واحد فقط ، فيجب الاقتصار عليه ، والأَصل فى ذلك ما روى أنه لما مرِض أبو بكر الصديق رضى الله عنه مَرَضه الذى مات فيه دعا عثمان بن عفان وهو يومئذ كاتبه ، فقال له : اكتب . قال : ما أَكتب؟ قال : اكتب : هذا ما عهِد أَبو بكر خليفةُ رسول الله آخِرَ عهده بالدنيا وأَوَّلَ عهده بالآخرة أَنى استخلفت عليكم . ثم رهِقَتْه عينُه فنام . فكتب : عمر بن الخطاب . ثم استيقظ

أبو بكر فقال : هل كتبت شيئا ؟ قلت : نعم ،كتبتُ عمر بن الخطاب . فقال : أَما إِنك لو كتبتَ نفسك لكنتَ لها أهلا ، ولكن اكتب : استخلفت عليكم عمرَ بن الخطاب ، فإِن برَّ وعدل فذلك ظنى به ، وإن بدَّل أَو غيرَّ فلا علم لى بالغيب ، والخيرَ أَردت بكم ، ولكلِّ امرئٍ ما اكتسب من الإِثم ﴿وسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَب ينْقَلبُونَ﴾ (١) ثم دخل عليه عمرُ فعرَّفه ذلك ، فأَبى أَن يقبل ، فتهدده أَبو بكر رضى الله عنه وقال : هاتوا سيفى . فقَبِل ، ثم خرج عمر من عنده فدخل عليه طلحة ، فبكى ولامه على توليته عمر ، فانتهره أَبو بكر وقال : والله إن عمر لخير لكم . وأَنتم شرٌّ له . أَتيتَنى وقد وَكَفَتْ عينُك تريد أَن تصدّنى عن دينى ، وتردّنى عن رأْيى . قُمْ لا أَقام الله رِجلك .

واعلم أَنه لا بد لصحة الإِمامة بالعهد ـ والحالةُ هذه ـ من شرطين :

أَحدهما أَن يكون المعهود إليه مستجمعاً لشرائط الإِمامة

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٧ أما الجملة قبلها فهى مختصرة من الآية ١١ سورة النور « لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم » .

من وقت العهد ، حتى لو كان المعهود إليه صغيرا أو فاسقا عند العهد ، بالغا عدلا عند موت العاهد ، لم يصر بذلك العهد (١٥ ب) إماما ، بل لا بد من مبايعة أهل الحل والعقد له بالخلافة ، كما صرح به النووى فى « الروضة » وصوَّب الجزم به ، وإن توقّف فيه الرافعى .

الثانى أَن يقبل المعهودُ إليه العهدَ ، قال المتولِّى من أَصحابنا : فلو امتنع المعهودُ إليه من القبولِ بُويع غيره وكأَنه لا عهد .

واختلف فى وقت قبوله ، فقيل : بعد موت العاهد ، كما يقبل الوصى الوصية بعد موت المُوصى ، والأَصح أَن وقته ما بين عهد الخليفة وموته لتنتقل الإمامة عن العاهد إلى المعهود إليه مستقرّة بالقبول ، فلو أَراد ولىُّ العهد أَن يعهد بالخلافة إلى أَحد قبل موت الخليفة العاهد لم يجز ، لأَن الخلافة لا تستقر إلا بعد موت المستخلِف ، وفى معنى ذلك ما لو قال : جعلته ولىَّ عهدى إذا أَفضت الخلافة إلىَّ ، لأَنه فى الحال ليس بخليفة ، فلم يصح عهده ، فلو عهد لاثنين فإن كان العهد قد وقع لهما معا فهو باطل ، وإن وقع الترتيب فالحق

للأسبق ، كما تقدم فى البيعة .

قلت : ولو قيل باعتبار الإشهاد على العهد لـكان له وجه ، وقد أشهد المأمون على عهده لعَلىٍّ الرِّضى ، عَلَى ما ستقف عليه فى نسخة عهده فى الـكلام على عهود الخلفاء فيما بعـد إن شاء الله تعالى .

ثم اعلم أن المعهود إليهم على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول أن يكون المعهود إليه ولدا أو والدا . وقد اختلف العلماء فى جواز انفراده بالعهد لولده أو والده على ثلاثة مذاهب :

أحدها : أنه ليس له الانفراد بذلك لواحد منهما ، بل لا بد أن يوافقه أهل الحل والعقد على صلاحية المعهود إليه لذلك ، لأن ذلك منه بمثابة التزكية ليجرى مَجرى الشهادة . وتقليدُه على الأُمة مَجرى الحُـكم ، وهو لا يجوز أن يحكم لوالد ولا ولد .

والثانى : له الانفراد (١٦ ا) بذلك لكل واحد منهما ، لأنه أمير الأُمـة ، نافذ الأَمر لهم وعليهم ، فغلب حـكم

المنصب على حكم النسب . ولم يجعل للتهمة عليه فى ذلك طريقا .

والثالث : أن له الانفراد بذلك للوالد دون الولد ، لأن الطبع إلى الولد أميل منه إلى الوالد . ولذلك كان ما يقتنيه فى الأغلب مذخورا لولده دون والده .

الضرب الثانى ــ أن يكون المعهود إليه ليس بولد ولا والد ، بأن يكون أخا ، أو ابن أخ . أو عمّا . أو ابن عم ، أو أجنبيًّا ، فيجوز العهد بالخلافة إليه من غير استشارة أحد من أهل الحل والعقد فى ذلك . واختلف فى أنه هل يشترط فى لزوم ذلك للأمة ظهور الرّضى منهم بذلك أم لا ؟ على مذهبين :

أحدهما : الاشتراط ، لأن الإمامة حق يتعلق بالأمة ، فلم تلزمهم إلا برضى أهل الحل والعقد منهم .

والثانى وهو الأصح : عدم الاشتراطِ ، لأن الإمام أحّق بها ، فكان اختياره فيها أمضى وأنفذ ، ولذلك لم يتوقف عهد الصديق لعمرَ رضى الله عنهما عَلَى رِضَى بقية الصحابة .

الضرب الثالث : أن يكون المعهود إليه غائبا . ويختلف الحال فيه ، فإن كان مجهولَ الحياة لم يصحّ العهدُ إليه ، وإن كان معلوم الحياة صحّ وكان موقوفا على قدومه ، فإن مات العاهدُ وولىُّ العهد على غيبته استقدمه أهل الحل والعقد ، فإن طالت غيبته ، وتأَخر المسلمون بتأْخير النظر فى أُمورهم ، استناب أَهلُ الحل والعقد عنه نائبا يبايعونه بالنيابة دون الخلافة ، ويَمضى أَمرُه فيما يمضى فيه أَمرُ الخليفة أَن لو كان حاضرا ، فإذا قدم الخليفة الغائب انعزل المستخلَف وكان نظره بعد قدومه مردودا .

الحالة الثانية : أن يتعدد (١٦ ب) المعهود إليه بأَن يكون اثنين فأَكثر من أَهل الإمامة ، وهو على ضربين :

الضرب الأَول : أَن يجعلها الخليفة شُورى بينهم ، لم يقدم فيها أَحدا منهم على الآخر ، فيختار أَهل الحل والعقد بعد موت العاهد واحدا من المعهود إليهم أَو يُخرج الجميعُ أَنفسَهم من العهد ويبقى واحد منهم ، والأَصل فى ذلك ما رواه البخارىُّ [١] فى صحيحه من رواية عمرو بن ميمون

(١) البخارى حـ ٥ ص ١٧

الأَودى . أنه لما طُعِن أَميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل له : أَوصِ يا أَمير المؤمنين ، استخلفْ، قال : ما أَرى أَحدا (١) أَحقَّ بهـذا الأَمر من هؤلاء الرَّهْط الذين تُوُفِّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فعَدَّ (٢) علياً وعثمانَ والزُبيرَ وطلحـة وسَعْدًا وعبدَ الرحمن . وأنه لما قُبِض وفُرِغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهطُ . فقال عبد الرحمن بن عوف : اجعلوا أَمركم إلى ثلاثة منكم . فقال الزبير : قد جعلتُ أَمرى إلى علىّ ، وقال طلحة : قد جعلت أَمرى إلى عثمان . وقال سعد : قد جعلت أَمرى إلىعبد الرحمن . فقال عبد الرحمن بن عوف : أَيكما تَبَرَّأَ من هـذا الأَمر فنجعله إليه ، واللهُ عليه والإسلامُ لينظرَنَّ أَفضَلهم فى نفسه ، فأَسْكتَ الشيخان ، فقال عبد الرحمن : أَفتجعلونه إلَىَّ ، واللهُ علىَّ أَن لا آلُوَ عن أَفضلـكم ؟ قالا : نعم ، فأَخذ بيد أَحدهما وقال : لك من قرابة (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم والقِـدم فى الإسلام ما قد علمت ، واللهُ عليك لئن أَمَّرتك لتعدلَنَّ ، ولئن أَمَّرتُ عثمان لتسمعنَّ وتطيعنَّ ، ثم

---

(١) فى البخارى « ما أجد أحق » وفى رواية ما أحد أحق .

(٢) فى البخارى : فسمى عليا .

(٤) فى البخارى : لك قرابة ......

خلا بالآخر فقال له مثلَ ذلك . فلما أَخذ الميثاقَ قالَ : ارفع يدك يا عثمان ، فبايَعَه وبايع له عليٌّ ، وولج أَهلُ الدار فبايعوه .

واعلم أَنه إذا عهد لاثنين فأَكثر لم يجز لأَهل الحل والعقد (١٧ ا) أَن يختاروا واحدا منهم فى حياته إلا بإذنه ، لأَنه بالإمامة أَحق ، فامتنعت مشاركته فيها ما دام رأْيه صحيحا ، ولو مات لم يجز لأَهل الحل والعقد أَن يختاروا واحدا غيرهم ، بل لو نَصَّ على أَهل الاختيار لم يصح الاختيار مِن غير مَنْ نصَّ عليه ، لأَن ذلك من حقوق خلافته ، وإذا تعيّنت الخلافة بالاختيار فى أَحد المعهود إليهم جاز له أَن يعهد بها إلى غيره .

الضرب الثانى : أَن يعهد إلى اثنين فأَكثر ويرتِّب الخلافة فيهم بأَن يقول : الخليفة بعدى فلان ، فإذا مات فالخليفة بعده فلان ، فتنتقل الخلافة بعده على الترتيب الذى رتبه . واحتج لذلك بما ثبت فى « صحيح البخارى » [1] من رواية ابن عمر رضى الله عنهما أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمَّر على جيش مُؤْتَةَ زيدَ بنَ حارثة وقال : « إن قُتل فجعفر بن

(١) البخارى ج ٥ ص ١٤٣

أبي طالب ، فإن قُتل فعبدُ الله بن رَوَاحة ، وفي رواية فإن قُتل فليرتض المسلمون رجلا » . فتقدم زيد فقُتل ، فأخذ الرايةَ جعفرٌ ، وتقدَّم فقتل ، فأخذ الرايةَ عبدُ الله بن رواحة ، وتقدم فقتل ، فاختار المسلمون بعده خالدَ بنَ الوليد .

قال الماوردى [1] : وإذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فى الإمارة جاز مثله فى الخلافة . قال : وقد عمل بذلك فى الدولتين من لم ينكر عليه أحد من علماء العصر ، وقد عهد سليمان بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز بعده ثم إلى يزيد بن عبد الملك . قال : وفِعْلُ سليمانَ وإن لم يكن حجة فإقرار من عاصره من الناس ومن لا يأخذه فى الله لومة لائم هو الحُجَّة. وكذلك رتبها الرشيد فى ثلاثة من بنيه ، فى الأمين ثم المأمون ثم المؤتمن ، على كثرة من عاصره من فضلاء العلماء .

إذا علمت ذلك فلا نزاع فى أن الخليفة العاهد باق على خلافته ما دام حيا (١٧ ب) أما بعد موته فله ثلاثة أحوال :

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٤٠ وإذ فعل .....

الحال الأَول : أن يموت الأَول من المعهود إليهم فى حياة العاهد ، فتكون الخلافة بعده للثانى منهم .

الحال الثانى : أن يموت الأَول والثانى من المعهود إليهم فى حياة العاهد ، فتكون الخلافة بعدهما للثالث .

الحال الثالث : أن يموت العاهد ، والثلاثة المعهود إليهم أَحياء ، فالخلافة بعد موته للأَول منهم ، فلو أَراد الأَول الذى أَفضت الخلافة إليه أَن يعهد بها إلى غير الاثنين الباقيين من المعهود إليهم ممن يختاره لها ففيه مذهبان للعلماء .

أَحدهما : أَنه لا يجوز له ذلك إلا أَن يَستنزل عنها مُستحِقَّها من المعهود إليهم طوعا ، حملا على حكم الترتيب السابق ، فقد عهد السفاح إلى أَخيه المنصور ، وجعل العهد بعده لعيسى بن موسى ، فأَراد المنصور تقديم ابنه المهدىّ على عيسى ، فاستنزله عن العهد ، لحَقِّه فيه ، وفقهاءُ العصر حينئذ – على توفير وكثرة – لم يروا <له> فسحة فى صرفه عن ولاية العهد قهرا [1] .

(١) في الأحكام السلطانية ص ١١ قسرا

قال الماوردى [1] وظاهر مذهب الشافعى وعليه جمهور الفقهاء أنه يجوز أن يعهد بها إلى من يشاء ، ويصرفها عمن كان معه مرتبا فى العهد ، لأنه قد صار بإفضائها إليه عامَّ الولاية نافذ الأمر ، فكان حقه فيها أقوى ، وإنما استطاب المنصور نفس عيسى تألُّفاً لأهله ، لأنه كان فى صدر الدولة ، فعل ذلك سياسة ، وإن كان الحكم فى نفس الأمر سائغا .

الطريق الثالث ، من الطرق التى تنعقد بها الإمامة : القهر والاستيلاء ، فإذا مات الخليفة فتصدى للإمامة من جمع شرائطها من غير عهدٍ إليه من الخليفة المتقدم ، ولا بيعة من أهل الحل والعقد ، انعقدت إمامته ، لينتظم شمل الأُمة وتتفق (١٨ ا) كلمتهم ، وإن لم يكن جامعا لشرائط الخلافة بأن كان فاسقاً أو جاهلا فوجهان لأصحابنا الشافعية ، أصحهما : انعقاد إمامته أيضا ، لأنا لو قلنا لا تنعقد إمامته لم تنعقد أحكامه ، ويلزم من ذلك الإضرار بالناس ، من حيث إن من يلى بعده يحتاج أن يقيم الحدود ثانيا ، ويستوفى الزكاة ثانياً ، ويأْخذ الجزية ثانيا .

---

(١) الأحكام السلطانية ١١

والثانى : لا تنعقد إمامته ، لأنه لا تنعقد له الإمامة بالبيعة إلا باستكمال الشروط ، فكذا بالقهر .

الفصل الرابع

فيما يلزم الخليفةَ للرعية

وقد ذكر الماوردى [1] أنه يلزمه لهم عشرة أشياء :

أحدها : حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة ، فإن ظهر مبتدع ، أو زاغ ذو شبهة ، أوضح له الحُجَّة ، وبيَّن له الصواب ، وكفَّه عن ذلك بما يستحقه من الزجر ، ليكون الدين محروسا ، وحال الأمة فيه مضبوطا .

الثانى : حماية بيضة الإسلام والذبُّ عن الحُرَم ، ليتصرف الناس فى معايشهم ، وينتشروا فى أسفارهم ، آمنين على أنفسهم وأموالهم .

الثالث : تحصين الثغور بالعُدَدِ ووفور العَدَدِ ، حتى لا يظفر العدو بِغِرَّة فينتهك فيها مَحرما ، أو يسفك فيها دم مسلم أو معاهَد .

(١) الأحكام السلطانية ص ١٢ - ١٣

الرابع : جهاد الكفرة المعاندين للإسلام حتى يُسْلموا أَو يدخلوا فى ذمة المسلمين ، قياما بحق الله تعالى فى ظهور دينه على الدين كلِّه .

الخامس : تنفيذ الأَحكام ، وقطع الخصومات ، حتى لا يتعدّى ظالم ولا يضعف مظلوم .

السادس : إقامة الحدود (١٨ ب) لِتُتَوقَّى المحارم وتُصان الأَنفس والأَموال .

السابع : اختيار الأُمناء والأَكْفَاء وتقليد الولايات للثِّقات النُّصحاء ، لتنضبط الأَعمال بالكُفاة ، وتُحفظ الأَموال بالأُمناء .

الثامن : جباية أَموال الفَىْء والصدقات والخراج ، على ما أَوجبه الشرع نصًّا أَو اجتهادا ، من غير حَيْف ولا عَسْف .

التاسع : تقدير العطاء ، وما يستحقه كل واحد فى بيت المال ، من غير سَرَف ولا تقتير ، ودفعه إليهم فى وقت معلوم لا تأْخير فيه ولا تقديم .

العاشر : مشارفة الأُمور العامة بنفسه ، غير معتمد على

وُلاته وعماله ، فقد يخون الأَمين ويغش الناصح ، وقد قال تعالى ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ (١) ، وفى الصحيحين (٢) من رواية ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول « كُلُّكُمْ رَاع وكُلكُم مسئول عن رعيته . فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راعٍ ومسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته . قال : فسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَحسبه قال : والرجل فى مال أَبيه راع ومسئول عن رعيته ،فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وأَخرج الترمذى (٣) من حديث عمرو بن مرة الجهنى قال لمعاوية : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (ما من إمام يُغلق بابه دون ذوى الحاجات والمَسْكَنة إلا أَغلق الله أَبوابَ السماء دون خَلَّته (٤) وحاجته ومسكنته). فجعل

---

(١) سورة ص الآية ٢٦
(٢) البخارى حـ ٩ ص ٦٢ ومسلم حـ ١٢ ص ٢١٣
(٣) الترمذى حـ ٦ ص ٧٣
(٤) الخلة الحاجة والفقر.

معاويةُ رجلاً على مصالح الناس ، ولله < محمد بن > يزداد وزيرَ المأْمون حيث يقول مخاطباً له :

مَن كان حارِسَ دُنْيـا إنه قَمِـنٌ
أَنْ لا ينـامَ وكـلُّ النـاس نُـوَّامُ

(١٩ ا) وكيف تَرْقُد عَيْنَا من تضيَّفَـه[1]
هَمَّان من أَمره نَقْضٌ وإبـرامُ

الفصل الخامس

فيما يلزم الرعية للخليفة ، وهو أَمران :

الأَول : الطاعة ، قال الله تعالى ﴿أَطيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولى الْأَمْر منْكُمْ﴾ [2] فأَمرَ بطاعة أُولى الأَمر ، وهم ولاة الأُمور ، على ما ذهب إليه كثير من المفسرين ، والإِمامُ هو أَعظم ولاة الأُمور ، لعموم ولايته ، فهو أَحق بالطاعة ، وأَجدر بالانقياد لأَوامره ونواهيه ، مالم يخالف

(١) في الأصل : تضيقه . والتصويب من الأحكام السلطانية ص ١٣ والمعنى يقتضيه . فتضيفه : أتاه ضيفا

(٢) سورة النساء الآية ٥٩ وفي الأصل وأطيعوا الله ......

أَمر الشرع ، سواء كان عادلا أَوجائرا ، ففى « الصحيحين »[١] من رواية ابن عمر رضى الله عنهما أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (على المرءِ المسلمِ السمْع والطاعة فيما أَحَبَّ أَو كره إلاَّ أَن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) . وفى « صحيح مسلم »[٢] من رواية وائل بن حُجْر[٣] قال : سأَل سلمة بن يزيد الجُعفىُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : يا نبيَّ الله ، أَرأَيت إن قامت علينا أُمراءُ يسأَلونَّا حقَّهم ويمنعونَّا حقَّنا ، فما تأْمرنا ؟ فأَعرض عنه ، ثم سأَله ، فأَعرض عنه ، ثم سأَله فى الثانية أَو فى الثالثة فجذَبه الأَشعثُ بنُ قَيْس وقال : اسمعوا وأَطيعوا ، فإنما عليهم ما حُمِّلُوا وعليكم ما حُمِّلْتم .

الثانى : المعاضدة والمناصرة فى أُمور الدين وجهاد العدو . قال تعالى ﴿ وتَعَاوَنُوا عَلَى البرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[٤] ولا أَعلى من معاونة الإمام على إقامة الدين ونُصرته . وفى « صحيح

---

(١) البخارى حـ ٩ ص ٦٣ ومسلم حـ ١٢ ص ٢٢٦

(٢) مسلم حـ ١٢ ص ٢٣٦ والترمذى حـ ٥ ص ٥١ — ٥٢

(٣) الذى في صحيح مسلم عن علقمة بن وائل عن أبيه قال سأل سلمة بن يزيد الجعفى ....
أما في الترمذى فإنه وائل بن حجر فيكون علقمة عن أبيه وائل بن حجر

(٤) سورة المائدة الآية ٢

مسلم [١] عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(من خرج من الطاعة ، أو [٢] فارق الجماعة ، مات ميتةً جاهليَّة ، ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّةٍ : يغضب بعصبيَّة ، أو ينصر عصبية [٣] ، فقُتل (١٩ ب) فقتْلةٌ [٤] جاهليّة .) فذمَّ الخارج تحت راية عُمِّيَّة والداعىَ إلى العصبية . وهو مستلزم لنصرة الدين دون النصرة عليه .

الفصل السادس

فيما ينعزل به الخليفة من الخلافة أو ولى العهد من ولاية عهده ، وفيه مَهْيَعَان :

المَهيــع الأول : فيما ينعزل به الخليفة ، وهو على خمسة أضرب :

الضرب الأول الخلع : وله حالتان :

---

(١) مسلم جـ ١٢ ص ٢٣٨

(٢) في مسلم : وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية

(٣) في مسلم : يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة

(٤) كذلك أيضا في مسلم أما في النهاية لابن الأثير مادة عما جـ ٣ ص ١٣ فهى «فقتلته»

الحالة الأُولى : أن يخلع الخليفة نفسه من الخلافة لعجز من القيام بأُمور الناس ، من هَرَمٍ أو مرض ونحوهما ، فإذا خلع نفسه لذلك انخلع ، لأَن العزل [1] إذا تحقَّق وجب زوالُ ولايته لفوات المقصود منهما [2] .

أَما إذا عزل نفسه لغير عجز ولا ضعف ، بل آثر التَّرْك طلبا للتخفيف حتى لا تكثر أَشغالُه فى الدنيا ويتّسع حسابُه فى الآخرة ، ففيه لأَصحابنا الشافعية وجهان ، فى « التتمة » .

أَحدهما : الانعزال ، لأَنه كما لم تلزم الإجابة إلى المبايعة لا يلزمه الثبات .

والثانى : لا ينعزل ، لأَن الصِّدِّيق رضى الله عنه قال : أَقيلُونى . ولو كان عزْلُ نفسه مُؤَثِّرًا لما طلب منهم الإقالة . ولو عهد الخليفةُ العاجز عن القيام بأُمور الخلافة – لمرض أَو هَرَم – إلى غيره قبل عزل نفسه صحَّ عهده إليه ، وانعقدت ولاية المعهود إليه ، ولو مضى على ما هو عليه من العجز ، فلم يعزل نفسه ، ولم يَعْهد إلى غيره ، بايع أَهْلُ الحلّ والعقد غيرَه ليقوم بأُمور المسلمين .

---

(١) لعلها « العجز »

(٢) لعلها « منها »

ولو عزل نفسه من غير عُذر من عجز أو طلب تخفيف ففيه ثلاثة أوجه :

أصحها : أنه لا ينعزل ، لأن الحق فى ذلك للمسلمين لا له .

والثانى : ينعزل ، لأن إلزامه الاستمرار قد يَضُرُّ به فى آخرته ودنياه .

والثالث : (٢٠ ا) إن لم يُوَلِّ غيره أو وَلَّى من هو دونه لم ينعزل ، وإن ولَّى مثله أو أفضل منه ففى الانعزال وجهان :

الحالة الثانية : أن يخلعه أهل الحل والعقد .

قال المتولى : إن كان قد حدث فى حاله خلل فلهم عزله ،وإن كان مستقيم الحال فليس لهم ذلك ، لأنا لو جوَّزنا ذلك لأَدَّى إلى الفساد ، لأن الآدَمىَّ ذُو بَدَرَات ، فلا بدَّ من تغير الأحوال فى كل وقت ،فيعزلون واحدًا ويُولُّون آخر ، وفى كثرة العزل والتولية زوالُ الهيبة وفَواتُ الغرض من انتظام الأمر .

الضرب الثانى : زوال العقل ، فينعزل بالجنون المُطبق ،

وهو الدائم الذى لا ينفكُّ ، لأَن الجنون يمتد فى العادة ، فلو لم يَنْصِبوا إماماً آخر لأَدَّى ذلك إلى اختلال الأُمور ، ولأَن المجنون يجب ثبـُوتُ الولاية عليه ، فكيف يكون وَلِيًّا لـكافَّة الأُمَّة .

قال النووى : فلو جُنَّ فبايعوا غيره ثم أَفاق لم تَعُدْ ولايتـه ، بل يبقى الثـانى على ولايته . لأَن مبايعته صحيحة ، فلا يجوز أَن يبطل بأَمرٍ يَحدث فى غيره ؛ ولو استُخلف خليفةٌ ثم جُنَّ بعد استخلافه انتقلت الخلافة إلى خليفته ، لأَنه إذا استُخلف ثم مات انتقلت من الميت [1] ففى الجنون أَوْلى ، ولو أَفاق بعد ذلك لم ينعزل خليفته ، ولم يعُدْ هو إلى الخلافة ، لأَنه لو جُنَّ ثم أَفاق لم تعد الإمامة إليه إلاَّ بمبايعة ثانية .

الضرب الثالث : ذهاب الحواسِّ المؤثرة فى الرأْى أَو العمل ، ويتعلق الأَمر من ذلك بثلاث نقائص .

الأُولى : العمى ، فإذا طرأَ على الإمام أَبطل إمامتـه كما تبطل به ولاية القضاء وتُرَدُّ به الشهادة ، أَما ضعف البصر.

---

(١) فى الأصل إلى الميت . والسياق يقتضى ما أثبته

فقال الماوردى [1]: إن كان يعرف معه الأشخاص التى يراها لم تبطل إمامته ، وإن لم يعرف معه الأشخاص بطلت إمامته . واعلمْ أنه قد تقدّم عن الماوردى [2] (٢٠ ب) أن العَشَا وهو عدم الإبصار ليلا لا يقدح فى ولاية الإمامة ابتداءً : فلأَن لا يقدح فى استدامتها أَوْلَى .

الثانى : الصمم ، وفى انعزاله بطُرُوئه عليه ثلاثة مذاهب حكاها الماوردى [3] أصحها – وعليه اقتصر الرافعىُّ والنَّووى – أنه ينعزل بذلك كما ينعزل بالعمى ، لتأْثيره فى التدبير والعمل .

والثانى لا ينعزل ، لقيام الإشارة مقام السمع ، والخروجُ من الإمامة لا يكون إلا بنقص كامل .

والثالث : إن كان يُحسن الكتابَة لم ينعزل ، وإن كان لا يحسنها انعزل ، لأَن الكتابة مفهومة ، والإشارة موهومة .

أَما ثقل السمع وهو الذى يُدْرِكَ معه الصوتُ العالى دون

---

(١) الأحكام السلطانية ص ١٥
(٢) الأحكام السلطانية ص ١٥
(٣) الأحكام السلطانية ص ١٥

غيره فإنه لا ينعزل به .

الثالث : الخرس ، وحكمه حكم الصمم المتقدّم الذِّكر فى إجراء الخلاف فيه ، وكون الأَصح الانعزال .

أمّا ما لا يؤثر ذهابه فى الرأى والعمل كالخَشَم فى الأَنف الذى يمنع إدراك الروائح ، وفقد الذوق الذى يعرف به الطعوم ، فإنهما لا يوجبان العزل ، بلا خلاف . وكذلك لا ينعزل بتمتمة اللسان ونحوها .

الضرب الرابع : فقدُ الأَعضاء المُخلّ فقدُها بالعمل أَو النهوض ، كذهاب اليدين أَو الرجلين ، فإذا طرأَ عليه شيء من ذلك انعزل من الإمامة ، لعجزه عن كمال القيام بحقوق الأُمة .

أَما ما يؤثر فى بعض العمل أَو النهوض دون بعض ، كذهاب إحدى اليدين أَو إحدى الرجلين ففيه وجهان :

أَصحهما : أَنه لا يؤثّر ، وإن كان ذلك يمنع عقد الإمامة ابتداءً ، لأَن المعتبر فى عقدها كمالُ السلامة ، فيُعتبر فى الخروج منها كمالُ النقص .

والثانى : يؤثر ، لنقص الحركة . فلو كان ذلك لا يُؤثر فقده فى عمل ولا نهوض ، كقطع الذَّكَر والأُنثيين ، وجدْع الأَنف ، وسَمْل إحدى العينين ، فإنه لا يؤثر .

الضرب الخامس : بطلان تصرف الإمام (٢١ ا) للاستيلاء عليه وحجره ، ويدخل تحت ذلك صور :

إحداها : أَن يأْسر الكُفَّارُ الإمامَ ويقعَ اليأْسُ بذلك من خلاصه من أَيديهم ، فيخرج عن الإمامة ، ويستأْنف أَهل الحل والعقد ببيعة غيره ، فلو عهد بها فى حال الأَسر إلى غيره كان عهده باطلا ، لأَنه عَهِد بها بعد خروجه من الإمامة .

الثانية : أَن يأْسره أَهل البَغْى حيث كانوا قد أَقاموا لهم إماماً ووقع اليأْس من خلاصه منهم ، فيخرج بذلك من الإمامة ، لأَنهم قد انحازوا بدارٍ انفرَدَ حُكْمُها ، وخرجوا بها عن الطاعة ، فلم يبق لأَهل العدل بهم نُصْرة . أَما لو كان مَرْجُوّ الخلاصِ من أَيدى الكفار ، أَو أَيدى أَهل

البغى [1] فإنه يكون باقيا على إمامته ، وعلى كافة الأُمة استنقاذه من أيديهم .

الثالثة : أن تكون الإمامة قد ثبتت له بالقهر والاستيلاء فيجىء آخر ويقهره ويستولى على الأمر ، فينعزل الأول ويصير الإمام هو الثانى ، حفظا لنظام الشريعة ، وتنفيذا لأحكامها ، كما صرح به الرافعى والنووى وغيرهما من أئمة أصحابنا الشافعية .

قلت : وبمقتضى ذلك وقع الفقهاء فى زماننا هذا مع الملوك فى الأمر الخطر ، حيث لم يفهموا عنهم مقاصد الشريعة ، وذلك أنهم إذا أثبتوا ولاية الأول بالاستيلاء بالقهر دعاهم ذلك إلى أن يقولوا إن الخارج عليه باغٍ واجبُ القتالِ ، فإذا غلب الثانى حكموا ببطلان ولاية الأول وصحة ولاية الثانى ، ودعاهم ذلك إلى عكس القضية الأُولى ، فقالوا : إن الخارج عليه باغٍ واجبُ القتال ، فيظن أُولئك أن حكمهم بذلك إنما هو محاباة لصاحب الوقت القائم بالأمر ، من غير فهم المقصد الذى ألجأهم لذلك .

---

(١) في الاصل : العدل . وهو سهو ، وانظر الأحكام السلطانية ص ١٦ - ١٧

تنبيـــه : لو حُجرَ الإمامُ بغيره ، بأَن يستولى عليـــه من أَعوانه مَنْ يَستبدُّ بالتصرف فى الأُمور من غير تظاهـــر بمعصية ولا خروج (٢١ ب) عن طاعة ، فقد ذكر الماوردى[1] أَن ذلك لا يمنع إمامته ، ولا يقدح فى صحة ولايته ، وتكون الأَحكام الشرعية نافذة من المستبِـــدِّ بالأَمر ، كما لو استولى على نفس الإمامة بالقهر ، جمعا لشمل المسلمين وتنفيذًا لأَحكامهم .

الضرب السادس : الفسق ، وقد اختلف أَصحابنا الشافعية فى انعزال الإمام به على وجهين

أَصحهما عند الرافعى والنووى أَنه لا ينعزل به ، لمـا فى عزله من إثارة الفتنة ، بخلاف غيره من سائر الولاة فإنهم ينعزلون به .

والثانى – وبه جزم الماوردى[2] فى « الأَحكام السلطانية » – أَنه ينعزل به ، كما لا يصح عقد إمامته مع الفسق ابتداءً حتى لو عادت عدالتُه لم يَعُد إلى الإمامة إلا بعقد جديد .

---

(١) الأحكام السلطانية ص ١٦

(٢) الأحكام السلطانية ص ١٤

قال الماوردى : وذهب بعض المتكلمين إلى جواز إمامته وعود عدالته ، لِلخوف والمشقة فى استئناف بيعته مع عموم ولايته .

المهيع الثانى : فيما ينعزل به ولى العهد من ولاية عهده ، وهو على ضربين :

الضرب الأَول : العزل الصادر من جهة العَاهِد ، وقد اختُلف فى أَنه هل يجوز للإمام عزل ولى عهده على وجهين :

أَحدهما : ما ذهب إليه المتولى من أَصحابنا ، الجواز .

والثانى ما ذهب إليه الماوردى ، وصححه النووى ، أَنه لا يجوز له عزله ما دام متصفاً بصفات الإمامة ، وإن جاز له عزل سائر نوابه فى غير ذلك من الأُمور ، لأَنه مُستخلفٌ لولى العهد فى حق المسلمين ، فلايكون له عزله ، كما ليس لأَهل الحل والعقد عزل من بايعوه ، بخلاف غيره من سائر نُوَّابه فإنه يستخلفه لهم فى حقِّ نفسه ، فجاز له عزله ، فلو عزل العاهدُ ولىَّ العهد ، وعَهد إلى ثانٍ لم يصحّ عهد الثانى ، ويبقى الأَول على عهده ، ولو خلع الأَول نفسه بعد العهد إلى الثانى فلا بد من استئناف العهد إليه . (١٢٢)

الضرب الثانى : العزل الصادر من جهة ولىِّ العهد ، وقد صرح أَصحابنا الشافعية بأَنه لا يجوز لولى العهد أَن يستبد بعزل نفسه ، فلو استَعْفَى من عهده لم يَبْطُل عهده بمجرد الاستعفاء ، فلو أَعفاه الإمام نُظِر فإن وُجِدَ غيره ممن يقوم مَقامه صحَّ إعفاؤه حينئذ ، وإن لم يوجَدْ غيره لم يصحّ إعفاؤه .

الفصل السابع

فى ذكر الوظائف التى كانت تصدر عن الخليفة فى الزمن المتقدم ، وما يصدر عنه الآن من تفويض السلطنة إلى السلطان ، ويرجع المقصود من ذلك إلى عشر [1] وظائف.

الوظيفة الأُولى الوزارة ، وهى على ضربين .

الضرب الأَول : وزارة التفويض ، وهى أَن يستوزر الإمام من يُفَوِّض إليه تدبيرَ الأُمور برأْيه وإمضائه على اجتهـــاده ، وهى أَجلُّ الولايـــات بعد الخـــلافة ، قال الماوردى [2] : فهو ينظر فى كل ما ينظر فيه الخليفة .

---

(١) فى الأصل : عشرة وظائف

(٢) انظر الأحكام السلطانية ص ١٨ – ٢١

الضرب الثانى : وزارة التنفيذ ، والنظر فيها مقصور على رأى الإمام وتدبيره ؛ والوزير فيها واسطة بينه وبين الرعايا والولاة ، يُؤدّى عنه ما أَمر ، وينفذ ما ذكر ، ويُمضى ما حكم ، ويُجيز تقليد [١] الولاة . وتَجْهيز الجيوش ونحو ذلك ، وربما عبر عن هذا الوزير بالوساطة. وقد أَجاز الماوردى فى هذا الوزير أَن يكون ذميًّا [٢] وأَنكره عليه إمام الحَرَمين [٣] إنكارا شديدا .

الوظيفة الثانية : الإمارة ، وهى أَيضا على ضربين .

الضرب الأَول : إمارة الاستكفاء ، وهى التى تنعقد على [٤] اختيار من الإمام ، وتشتمل على عمل محدود ، ونظر معهود ، بأَن يفوض إليه الخليفة إمارة بلد أَو إقليم . ويوليه (٢٢ ب) على جميع أَهله . ويجعل إليه النظر فى المعهود من أَعماله .

الضرب الثانى : إمارة الاستيلاء ، وهى التى تنعقد

---

(١) في الأحكام السلطانية ص ٢١ ويخبر بتقليد الولاة

(٢) الأحكام السلطانية ص ٢٢

(٣) إمام الحرمين أبو المعالى عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجوينى (٤١٩ – ٤٧٨ هـ) ابن خلكان ترجمته

(٤) في الأحكام السلطانية ص ٢٤ عن اختيار

على [1] اضطرار ، بأن يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ، ويفوض إليه تدبيرها ، فيكون باستيلائه مستبدًّا بالتدبير والسياسة ، والخليفةُ بإذنه فى الأُمور منفذا [2] لأَحكام الدين ، ليخرج من الفساد إلى الصحة .

الوظيفة الثالثة : الإمارة على القتال ، وهى على أربعة أضرب :

الضرب الأول : الإمارة على قتال المشركين ، وهى تارة تكون مقصورة على سياسة الجيش وتدبير الحرب ، وتارة يُفَوَّض إليه جميع أحكامه ، من تدبير الجيش ، وسياسة الحرب وقسمة الغنائم وعقد الصلح . وغير ذلك ، حتى لا يخرج عنه شىء من أمرها .

الضرب الثانى : الإمارة على قتال أهل الردّة بأن يرتدّ قوم حُكم بإسلامهم إما بولادتهم على الإسلام وإما بإسلامهم عن كفر ، فيجهّز إليهم الإمام من يقاتلهم ، كما فعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين ارتدت العرب

(١) في الأحكام السلطانية ص ٢٤ : عن اضطرار

(٢) في الأحكام السلطانية ص٢٧ «والخليفة بإذنه منفذاً لأحكام الدين »وفي الأصل: يأذنه.

(٣) انظر الأحكام السلطانية ص ٢٩

بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

الضرب الثالث : الإمارة على قتال أهل البغى ، وهى أن تبغى طائفة من المسلمين ، ويخالفوا رأى الجماعة ، ويخرجوا عن طاعة الإمام بتأويل باطل ، فيجهز إليهم الإمام من يقاتلهم .

الضرب الرابع : الإمارة على قتال المحاربين ، وهم قُطَّاع الطريق ، بأن يجتمع طائفة من أهل الفساد على شَهْرِ السلاح وقطع الطريق وأخذ الأموال وقتل الأنفس ومنع السائل ، فيجهز إليهم الإمام من يقاتلهم حتى يرجعوا عن ذلك .

الوظيفة الرابعة : القضاء ، وهى القيام بالأحكام الشرعية وتنفيذها على أوامر الشرع وقطع المنازعات ، وقد كان (٢٣ ا) القضاء فى الزمن المتقدم قاصرا على قاض واحد من أى مذهب كان ، ببغداد التى هى قاعدة الخلافة حينئذ ، ويَنْصِبُ هو من يختاره من النُّوَّاب من أهل مذهبه أو غيرهم ، وربما جَعل بالجانب الشرقى من بغداد قاضيا ، وبالجانب الغربى منها قاضيا ، وربما وُلِّى القاضي بالبلاد

والنواحى من تحت يده ، وربما كان للناحية الواحدة قاض مستقل .

قلت : وعلى هذا النهج فى انفراد قاض كانت الديار المصرية فى الدولة الفاطمية ، حتى رأيت عهدا مكتوبا لابن النعمان فى خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمى قد كُتِبَ له بالديار المصرية وأجناد الشام وبلاد المغرب ، مضافاً إلى ذلك النظر فى الصلاة ودُور الضَّرْبِ ، ولم يزل الأمر جاريا بالديار المصرية على قاض واحد من لدن ذلك وإلى الدولة الظاهرية : بيبرس البندقدارى فى سلطنته ، والقاضى بها يومئذ القاضى تاج الدين بن بنت الأعز الشافعى ، فحدث فى أيامه ما أوجب نَصْبَ السلطان أربعةَ قضاةٍ ، من كل مذهب من المذاهب الأربعة قاض . والأمر على ذلك بالديار المصرية إلى الآن .

الوظيفة الخامسة : ولاية المظالم ، وهى قَوْدُ المتظالمين [١] إلى التناصُف بالرهبة ، وزجْرُ المتنازعين عن التجاحد بالهيبة ، وهى ولاية دائرة بين سطوة الولاة وتثبت القضاة [٢] ، وهى فى معنى حكم نائب السلطنة الآن بين

(١) انظر الأحكام السلطانية ص ٦٤

(٢) فى الأحكام السلطانية ص ١٤ : سطوة الحماة وثبت القضاة

الخصوم بأحكام السياسة .

الوظيفة السادسة : النقابة على ذوى الأنساب ، كنقابة الطالبيين ومن فى معناهم ، على معنى نقابة الأشراف فى زماننا .

الوظيفة السابعة : النظر على إقامة الصلوات الخمس والجمعة ، والصلوات المندوبة كالتراويح ونحوها ، وقد كانت هذه الوظيفة فى الزمن المتقدم وظيفة جليلة لا يليها إلاّ جليل القدر من أهل الدِّيانة .

الوظيفة الثامنة : الإمارة على الحج ، من تسيير الحَجِيج وتدبير أمرهم ، وإقامة الحج والقيام بمناسكه (٢٣ ب) وأحكامه .

الوظيفة التاسعة جِباية الصدقات . وهى الزَّكَوات الواجبة فى المواشى والنقود والزروع ، وتحصيلها من أربابها ، وحملها إلى بيت المال .

الوظيفة العاشرة : النظر فى الحسبة ، وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وما فى معنى ذلك مما ينخرط فى هذا السِّلك .

قلت : وقد كان فى الزمن المتقدم يُكتَب بكل ولاية من هذه الولايات عهد عن الخليفة بما يقع به التولية ، وتشملها علامة الخليفة على عادة الولايات فى ذلك ، ولم يزل ذلك مستمرًّا إلى حين انقراض الخلافة من بغداد . أَما بعد انتقال الخلافة إلى الديار المصرية فقد صارت علامة الخليفة مقصورة على عهد السلطان بتفويض الأُمور العامة إليه ، وتفاصيل الأُمور يشملها خطٌّ السلطان بحكم تفويض الخليفة ذلك إليه .

الباب الثانى

فى ذكر من ولى الخلافة من أول الإسلام وهلمَّ جرا إلى زماننا ، وتفصيل حال كل خليفة ، وترتيب أُمور الخلافة على ما كانت عليه فى الزمن القديم ، وذكر المشاهير ممن ادعى الخلافة فى بعض الأَقاليم وبطلان شبهة دعاويهم ، وفيه ثلاثة فصول .

الفصل الأَول

فيمن ولى الخلافة من صدر الإسلام وهلم جرا إلى زماننا وهم على أَربع طبقات :

الطبقة الأُولى الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم وهم خمسة خلفاء :

الأَول منهم

أَبو بـــكر الصديق رضى الله عنه ، بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو أَبو بكر بن أَبى قُحافة (٢٤ ا) عثمان بن

عامر بن عمرو بن كعب بن تَيْم بن مُرَّة جدِّ النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو والنبي صلى الله عليه وسلم فى عدد الآباء إلى مرّة سواء ، بين كلٍّ منهما وبينه ستة آباء ، ويقال : إنه كان اسمه فى الجاهلية عبدَ الكعبة ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله ، ولَقَبُه عَتِيق ، واختُلف فى سبب تلقيبه بذلك ، فقيل : لأَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :(أَنت عتيق من النار) . وقد جاء ذلك مُصرَّحا به فى « جامع الترمذى » من حديث عائشة رضى الله عنها . وقيل : تلقب بذلك لجمال وجهه . ولُقِّب بالصِّدِّيق لتصديقه خبر الإِسراء حين أَنكره المشركون [(١)]

وأُمه سَلْمى ، وتكنى أُمَّ الخَيْر بنت صَخْر ، وهى بنت عم أَبيه .

وكان رضى الله عنه آدم اللونِ طويلا خفيف العارضين غائر العينين ناتئ الجبهة أَجْنَأَ عارى الأَشاجع يخضب بالحناء والكَتَم [(٢)]

---

(١) بهامش الأصل : فيه وجه آخر أحسن منه مذكور في كتب العقائد في وجه تلقيب أبي بكر رضي الله تعالى عنه تصديقه النبى عليه السلام في النبوة من غير تلعثم. نعم عدم تردده في المعراج (تصديق) آخر ، وحسن ما ذكرنا غير خفى فافهم

(٢) الأجنأ : الذى يشرف كاهله على صدره ، والأشاجع . هى أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف وهى عروق ظاهر الكف . واحدها أشجع . والكتم نبت يخضب به الشعر ويصنع منه مداد للكتابة . وفي الأصل : أجنى عارى الأشاجع يخضب بالحنى ....

بويع له بالخلافة بالمدينة فى اليوم الذى تُوُفِّىَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأَول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وكان فى كفه خاتَمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ثبت أنه كان نقشه: محمد رسول الله. محمدٌ سطرٌ ، ورسولٌ سطرٌ ، والله سطرٌ ، وبقى حتى تُوفى فى ليلة الثلاثاء . وقيل يوم الجمعة لتسع ليال بقين من جُمادى الآخرة . سنة ثلاثَ عشرة من الهجرة ، واختُلف فى سبب موته ، فقيل سمَّته اليهود فمات بعد سنة ، وقيل اغتسل فى يوم بارد فحُمَّ ومات بعد خمسةَ عشرَ يوما ، وقيل مات بالسُّلِّ ، وعمره يومئذ ثلاث وستون سنة ، وغسلته زوجته أَسماء بنت عُمَيس ، وحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سرير عائشة ، وصلّى عليه عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه ، ودُفن فى حجرة عائشة عند النبى صلى الله وسلم ، ورأْسه قُبَالَةَ كَتِفَى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٤ ب) وكان له من الولد ثلاثة ذكور وهم: عبد الله ، من قُتيْلَة ، توفّى فى حياته . وعبد الرحمن ، من أُم رُومَان . ومحمد ، من أَسماء بنت عُمَيس . وبنتان ، وهما : عائشة

زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى شقيقة عبد الرحمن . وأسماءُ وهى شقيقة عبد الله .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويع له بالخلافة كان أُسامة بن زيد مُبْرِزا فى جيش أَمَّره عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من جملتهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فكان أَول أَمر نفَّذه فى خلافته أَن خرج لتشييع أُسامة ماشياً ، فهمَّ أُسامة بالنزول ، فمنعه أَبو بكر رضى الله عنه ، واستأْذنه فى إقامة عمر رضى الله عنه ليُعينه فى أُمور المسلمين ، فأَذن له فى ذلك . وكانت قبائل العرب خلا قريشٍ وثقيفٍ قد ارتدّت عن الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فجهز إليهم الجيوش وقاتلهم حتى عادوا إلى الإسلام .

قال الطبرى : وفى أَول خلافته أَتى الخبر بقتل الأَسود العَنْسى الذى كان قد تنبَّأَ بصَنْعَاءَ ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أَتاه الوحى بقتله قبل وفاته ، وأَخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم بذلك أَصحابَه ، وقيل : إنما قُتل فى خلافة أَبى بكر رضى الله عنه .

وفى أَيامه قُتل مُسَيلَمَةُ الـكَذَّاب ، وكان قد تنبأَ باليَمامة وتبعه خلق كثير ، فقتله وَحْشىٌّ قاتلُ حمزةَ عمِّ النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى أَيامه سار خالد بن الوليد رضى الله عنه بعد قتل مُسيلمة إلى العراق ، فصالحه أَهل الحِيرة على جِزْية حَمَلها إلى المدينة ، فكانت أَوَّلَ جزية حُملت إليها .

وفى أَيامه فتح خالدُ بن الوليد الأَنبارَ وعَيْنَ التَّمر من العراق ، وبعث السَّبْىَ إلى المدينة ، وتوجه إلى دُومة الجندل فقتل ملـكها أُكَيْدرَ الجَنْدَلِ وسبى ابنته [1] .

وفى أَيامه فُتحت بُصْرى من الشام ، وهى أَول مدينة فتحت بالشام .

وحج بالناس فى السنة الثانية من خلافته .

وهو أَول (٢٥ ا) من جمع القرآن بين دَفَّتَى المصحف حين أُصيب المسلمون باليمامة فى وقعة مُسيلمة ، والقرآنُ حينئذ فى صدور الرجال وفى الرقاع والعُسُب [2] فجمعه

(١) في الأصل : دومة الجبل فقتل ملكها أكيدر الجندل وسبى ابنه

(١) العسب جمع عسيب وهو جريدة من النخل كشط خوصها

وسماه مصحفاً ، فكان عنده إلى أن تُوفى ، فبقى عند حفصة أُمّ المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنه كُتبت المصاحف فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، وسُيِّرَت إلى الأَمصار ، على ما سيأْتى ذكره فى خلافة عثمان رضى الله عنه .

وكان رضى الله عنه يأْخذ من بيت المال فى كل يوم ثلاثة دراهم أَجْرَه ، فلما حضرته الوفاةُ قال لعائشة رضى الله عنها : انظروا ما زاد فى مال أَبى بكر مُذْ وَلِىَ الخلافة فَرُدِّيه على المسلمين ، فنظرت ، فإذا بَكْرٌ ، وَمَحَسَّةٌ ، وقَطيفةٌ لا تساوى خمسة دراهم ، فلما جاء ذلك عُمَرَ قال : رحم الله أَبا بكر ، لقد كلَّف من بعده تَعَباً .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم على مكة عَتَّاب ابن أَسِيد[1] < فأَقره أَبوبكر > وعلى صنعاءِ اليمنِ قيسُ بن

(١) في الأصل «عثمان بن أسيد» وكذلك في صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٦٥ وضبط أسيد بالتصغير وليس في الصحابة عثمان بن أسيد ويوجد عثمان بن أبى العاصى بن بشير الثقفى استعمله النبي على الطائف وأقره أبو بكر أما عتاب بن أسيد فهو الذى استعمله النبي على مكة لما سار إلى حنين واستمر وأقره أبو بكر على مكة .

عبد يغوث المرادى [1] ولاه النبي صلى الله عليه وسلم عليها ، فولى أبو بكر رضى الله عنه مكانه فيروز الديلمى ، ثم ولّى المهاجر بن أبي أمية وعكرمة بن أبي جهل على قتال أهل الردة . [ثم استقر اليمن فى ولاية يعلى بن مُنْيَة] .

الثانى من الخلفاء الراشدين

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وهو أبو حفص عمر بن الخطاب بن عبد العُزّى بن قُرْط بن رزاح بن عَدىّ بن كعب جدّ النبي صلى الله عليه وسلم ، وبينه وبين كعب ثمانية آباء ، ولُقِّب بالفاروق لِفَرقِه بين الحق والباطل حين أعلن بالإسلام . واختُلف فى أول من لقبه بذلك ، فقيل : رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل : أهلُ الكتاب . وقد جاء أن اليهود قالوا له : إنا نجد فى كتبنا أنك قرن قال : قَرْنُ مَهْ ، [2] قالوا : قرنٌ من حديد ، وأمه خَيثمه [3] بنت هشام [4] المخزومى .

(١) قيس بن عبد يغوث المرادى هو قيس بن مكشوح انظر ترجمته في الإصابة حرف القاف القسم الثالث

(٢) «مه» هنا هى ما وهاء السكت والمعنى : قرن أى شيء

(٣) كذا في الأصل . وفي الأصابة ترجمة عمر : حنتمة وكذلك نسب قريش ص ٣٤٧

(٤) في نسب قريش : هاشم بن المغيرة وفى الاصابة بنت هاشم .... ومن طريق ابن إسحاق أنها بنت هشام أخت أبى جهل

كان رضى الله عنه أبيض أمْهَق [1] ، طُوَالاً كأنه راكب (٢٥ ب) جمل ، أصلعَ الرأس .

ولى الخلافة بعهد من أبي بكر رضى الله عنه ، على ما تقدم ذكره فى الباب الأول فى الكلام على عهود الخلفاء ، ويويع له بها بالمدينة يوم مات أبو بكر رضى الله عنه ، لِتِسْع بقين من جُمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

قال ابن حزم [2] فى « نقط العروس » وكان سنه حين ولى الخلافة دون الستين سنة ، وكان فى كفه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلقاه عن أبي بكر رضى الله عنه بعد وفاته ، وقد تقدم ذكْر نقشه ، وبقى حتى توفِّى لأربعٍ بقين من ذى الحجة ، وقيل : لليلتين بقيتا منه . سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، طعنه أبو لُؤلؤة الفارسىُّ غلامُ المُغيرة بن شُعبة ـ وكان مجوسيا وقيل نصرانيا ـ ثلاث طعنات ، إحداهن تحت سُرَّته ، فبقى ثلاثا ثم مات ، وصلَّى عليه صُهَيْبٌ الرومىُّ ، ودُفن بحجرة

---

(١) الأمهق : الشديد البياض و ليس لامعا

(٢) ابن حزم هو على بن أحمد توفى سنة ٤٥٦ انظر شذرات الذهب جـ ٣ ص ٢٩٩

عائشة رضى الله عنها ، عند صاحبيه النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه ، ووجهه قُبالة كَتِفَىْ أَبى بكر ، وعمره خمس وخمسون سنة [١] . ومدة خلافته عشر سنين .

وكـان له خمسة أولاد ذكور ، وهم: عبد الله من زوجته زينب ، وعبيدالله من زوجته مُلَيْكة ، وزيد من أُم كلثوم بنت على بن أَبى طالب ، وعبد الرحمن وكنيته أَبو شَحْمة . وبنتان ، وهما : حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى شقيقة عبد الله ، وفاطمة [٢] وهى شقيقة زيد [٣]

الحوادث والماجريات فى خلافته

لمـا ولى الخلافة استكتب زيدَ بنَ ثابت وعبدَ الله بن خَلف الخُزاعى . وجعل على بيت المال زيدَ بن أَرقم . واستقضى شُريح بن الحارث ، قال الدولابى [٤] : وبقى فى

(١) كذا في الأصل ولعلها خمس وستون سنة

(٢) في نسب قريش اسمها رقية

(٣) انظر نسب قريش ٣٤٨ — ٣٤٩ فان له من الذرية أكثر مما عد هنا وهم عبدالله وحفصة أمهما زينب بنت مظعون . وزيد ورقية وأمهما أم كلثوم بنت على. وزيد الأصغر وعبيدالله أمهما أم كلثوم بنت جرول بن مالك، وعاصم بن عمر أمه جميله بنت ثابت وعبدالرحمن الاوسط أبو شحمة وعائشة أمهما أم ولد اسمها لهية وعبدالرحمن الأصغر أبو المجبر وزينب أمهما أم ولد وعياض أمه عاتكة بنت زيد بن عمرو وفاطمة أمها أم حكيم بنت الحارث بن هشام وعبدالله الأصغر أمه سعيدة بنت رافع

(٤) فى شرح القاموس مادة دلب يوجد محمد بن الصباح الدولابى محدث

القضاء بعد ذلك ستين سنة حتى مات سنة سبع وثمانين فى خلافة الوليد بن عبد الملك، عن مائة وعشرين سنة ، وقيل : إنما بقى خمسا وسبعين سنة . تعطل منها ثلاث سنين (٢٦ ا) فى فتنة ابن الزبير .

وفى أيامه كانت فتوح الأَمصار .

ففتح من بلاد الشام دِمشقُ صلحاً على يد أَبى عُبيدة ابن الجرَّاح وخالد بن الوليد ، وفُتحت بَيْسان وَطَبَريَّة وقَيْسَاريَّة وفلَسْطين وَعسْقَلان ، وسار بنفسه ففتح بيت المَقْدِس صُلْحاً . ثم فتح بعد ذلك بَعْلَبَكّ وحمْص وحَلَب وقِنَّسْرين وأَنْطاكيَة والرَّقّة وحَرَّان والمَوْصِل والجَزيرة ونَصيبين وآمِد والرُّها .

وفُتح من العراق القادِسِيَّة والمدائن على يد سعد بن أَبى وقاص ، وانهزم ملك الفرس إلى فَرْغَانَة وبلاد التُّرك .

وفتحت كُوَرُ دجلة والأُبلة على يد عتبة بن غزوان .

وفُتحت كُوَرُ الأَهواز على يد أَبى موسى الأَشعرى .

وفتحت نَهاوند وإِصْطَخر وأَصبهان وتُسْتَر والسُّوس

وأَذْرَبيجان وبعض أعمال خراسان .

وفى أيامه سُدَّت فروج الشام ورتِّبت دُرُوبها .

وفى أيامه غزا معاويةُ الروم حَتى بلغَ عمُّوريَة .

وفى خلافته بُنيت البصرة والكوفة .

وفى خلافته فى ثمانَ عشرةَ كان عام الرَّمادة بالحجاز ، وهو الغلاء الشديد ،فاستسقى عمر رضىالله عنه بالعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم فسُقوا ، وكتب عمر إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر يومئذ يشكو قحط الحجاز وما المسلمون فيه من الشدة ، فكتب إليه عمرو : لأُمدَّنَّك بِعِير طعامٍ أوّله عندى وآخره عندك . ثم أخذ فى حفر خليج القاهرة الذى فمه عند موردة الخلفاء بمصر ، فوصل به إلى بلْبيس ثم إلى السويس ساحل بحر القُلْزُم فى ثمانية أشهر ، وجرى فيه ماء النيل ، وحُملت الغلال فيه إلى السُّوَيس ، ثم من السويس إلى الحجاز ، فى عامه .

وفى أيامه فى سنة ثمان عشرة كان طاعون عَِمْواس . وهى بلدة بالشام نُسب الطاعون إليها . مات فيه خمسة وعشرون

أَلفا ، منهم أَبو عبيدة بن الجراح ومُعاذ بن جَبَل .

وقد تقدم فى أَلقاب الخلفاء أَنه أَول من لُقّب بأَمير المؤمنين .

وهو أَول من أَرخ بالهجرة ، وأَول من ختم الكتب بعد (٢٦ ب) النبى صلى الله عليه وسلم ، وأَول من جمع الناسَ على إمام واحد فى صلاة التراويح فى رمضان ، وأَول من اتخذ الدِّرَّة ليُعَزِّر (١) بها الجناةَ ، فكان لها عندهم من الهيبة ما لا فوقه ، حتى قال الشَّعبى : إن درَّة عمر لأَهيب من سيف الحجاج . على ما سيأْتى بيانه فى الباب السابع إن شاء الله تعالى .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر حين فتحها فى أَيامه عمرُو بن العاص رضى الله عنه بتولية منه ، وهو أَول من وليها فى الإسلام ، وهو الذى اختطَّ مدينة الفُسطاط على القُرب من قصر الشمع الذى كانت الفرس قد بنته حال ملكهم الديارَ المصرية ، وبنى الجامع العَتيق : ويقال : إنه وقف على إقامة

(١) عزره أدّبه . ضربه أشد الضرب .

محرابه ثمانون رجلا من الصحابة رضى الله عنهم .

وكان على الشام أبو عبيدة بن الجراح بولاية منه أيضا حين الفتح ، ثم صرفه عنه وولى مكانه معاوية بن أبى سفيان .

الثالث من الخلفاء الراشدين

عثمان بن عفان رضى الله عنه

وهو أبو عبد الله وقيل أبو عمرو[1] وقيل أبو ليلى عثمان ابن عفان بن أبى العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف جد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكنيته ذو النُّورين. لأَنه تزوج ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رُقَّية وأُم كلثوم

وأُمه أروى بنت كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف .

كان رضى الله عنه أسمر اللون معتدل القامة ، وقيل طُوَالا ، حسن الوجه ، بوجهه أثر جدرى ، عظيم اللِّحية ،

(١) في نسب قريش ص ١٠٥ وكان عثمان يكنى أبا عبدالله ويكنى أبا عامر(كذا وصوابه أبو عمرو) فعمرو أكبر أولاده الذين أعقبوا وجاء ذلك في شعر لنائلة بنت الفرافصة] :

ومالى لا أبكى وتبكى قرابتى وقد ذهبت عنا فضول أبى عمرو

أصلع ، يصفر لحيته ، وقيل : إنه كان يَشْبِك أسنانه بالذهب .

بويع بالخلافة بعد موت عمر رضى الله عنه غرَّة المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة ، وقد تقدم أن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه تركها شورى فى الستة المذكورين فى الباب الأول ، وهم عثمان وعلىٌّ وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص [وطلحة] ، فآل (٢٧ ا) الأمر منهم إلى عثمان ، على ما تقدم ذكره هناك .

قال فى « نقط العروس » واختلف فى سنّه حين وليها ، فقيل : إنه ولى وله ما بين ثمان وخمسين إلى إحدى وخمسين [1] سنة وقيل أقل من ذلك ، قال : والحق الذى لا شك فيه أنه لم يكن بلغ ستين سنة . وكان فى كفه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكر نقشه ، فبقى فى يده نحوا من ست سنين من خلافته ، حتى سقط منه فى بئر أريس من بئار المدينة ، فما قُدِر عليه ، فاتخذ

(١) لعلها ثمان وستين إلى إحدى وسبعين فقد قيل قتل وسنه اثنتان وثمانون سنة فيكون تولى الخلافة وسنه تسع وستون سنة وسيأتى ذلك فانظر إلى ما قيل في نقط العروس. ولعل النص: «فقيل إنه ولى وله ما بين ثمان وستين إلى إحدى وسبعين سنه وقيل ... إنه لم يكن بلغ سبعين سنة »

عثمان رضى الله عنه مكانه خاتما من فضة ، ونقش عليه فيما يقال : آمنت بالله الذى خلق فَسَوَّى ، وقيل : نقش عليه : لَتَصْبِرَنَّ أَو لَتَنْدَمَنَّ . وبقى حتى قُتل بداره يوم السبت ، وقيل يوم الجمعة ، لثمان بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، وقيل يوم الأَضحى من السنة المذكورة ، وسنه يومئذ اثنتان وثمانون سنة ، وقيل تسع وثمانون ، وقيل تسعون . ودفن يوم السبت ، وقيل الظهر ، وقيل دفن ليلا . وقبره بالبقيع خارج المدينة بأَرض يقال لها حَشّ كَوْكب كان عثمان اشتراها وزادها فيه ،[1] والحش : النبات .

وكانت مدة خلافته اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوماً[2] وقيل إلا ثمانية أيام . وكان له من الأَولاد الذكور : عبد الله الأَكبر وعبد الله الأصغر ، كلاهما[3] من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتا طفلين <وعَمْرو> وعُمَرُ وأَبان وخالد وسعيد والمغيرة[4] ، ومن الإِناث أُم سعيد وأُم أَبَان وعائشة وأُم عَمْرو وغير هؤلاء .

(١) في نسب قريش ١٠٢ والإصابة ترجمة عثمان : «كان عثمان اشتراه فوسع به البقيع».
(٢) في الأصل إلا اثنتا عشر يوما
(٣) في نسب قريش ١٠٤ عبدالله الأصغر أمه فاختة بنت غزوان
(٤) انظر نسب قريش ص ١٠٤ فلا يوجد المغيرة من أبنائه على كثرتهم

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى أيامه فتحت كرمان وسجستان ونيسابور وفارس وطبرستان وَهراة وباقى خراسان ، وفُتِحت أيضاً أرمينية ، وفُتِحت إفريقية وقبرص .

وقُتل يَزْدجِرد ملك الفرس بعد أن كان هرب إلى فرغانة وبلاد الترك .

وغزا معاوية القسطنطينية سنة (٢٧ ب) ثلاثين .

وفى أيامه توفى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم عن ثمان وثمانين سنة ، وكان من شأنه أنه إذا مرَّ به عُمَر وعثمان فى خلافتهما وهما راكبان ترجَّلا له إجلالا وتعظيما .

وتوفى أيضا عبد الرحمن بن عوف عن خمس وسبعين سنة ، وكان من أكثر الصحابة ثروة ، وأوصى لكلّ رجل من أهل بدر بأربع مائة دينار ، وهم حينئذ مائة رجل ، وقسمت تركته على ستة عشر سَهْما كلّ سهم مائة ألف دينار .

وفى أيامه وقع الاختلاف فى القراءات ، وقدِمَ حذيفةُ من غَزوة أرمينية فقال لعثمان : أدرك الناس لِئلا يختلفوا

فى القرآن اختلاف اليهود والنصارى فى كتابَيْهم ، قال : ولم ذاك ؛ قال : حضرت غزوة أرمينية ، فحضر أهل العراق وأهلُ الشام ، فكان كل فرقة منهم تُكَفِّر الأُخرى فى قراءتها. فأمر زيدا فكتب مصحفاً ،وعارضه بالمصحف الذى كان عند حفصة ، وهو الذى أُجمِع عليه فى زمن أبى بكر رضى الله عنه ، وأمر بكَتْب مصاحف على ذلك وأنفذها إلى الأمصار ، وحرق ما عداها من المصاحف ، وذلك بمحضر من الصحابة رضى الله عنهم .

ولايات الأمصار فى خلافته (١)

كان على مصر عمرو بن العاص فولاّها عثمانُ أخاه من

(١) يذكر المؤلف في بعض الأحيان أنه لم يعرف بعض ولاة البلدان ولهذا يراجع الولاة في كتاب « معجم الأنساب والأسرات الحاكمة » كما يأتى :

الولاية	صفحة
١ آمد	١٥٤
٢ إفريقية ويراد بها غرب مصر إلى ساحل المحيط الأطلسى صفحة	٧٥
٣ الأندلس	٨٥
٤ بانياس	١٥٤
٥ البصرة	٦٢
٦ بصرى	١٥٥
٧ بعلبك	١٥٢

الرّضاعة عبدَالله بنَ أَبي سَرْح ،ثم حضر إلى عثمان فى آخر سنة خمس وثلاثين واستخلف عليهـا عُقبـة بن عامر الجُهَنى . فوثب عليه محمدُ بن أَبى حذيفة فى شوال منها ، فأَخرجه منها وخلع طاعة عثمان ، وتأَمَّر علي مصر ، ثم عاد إليها ابن أَبى سرح ، فلم يمكنه من الدخول إليها ، فرجع إلى عسقلان ومات بها ، ولم يزل ابنُ أَبى حذيفة متأَمِّراً عليها حتى قُتِل عثمان ، ولم يزل على ذلك حتى قدم معاوية

= الولاية صفحة

٨ بغداد (بعد الخلفاء العباسيين بها) ٦١
٩ حصن كيفا ١٥٤
١٠ حلب ٤٩ ، ١٥١
١١ حماة ١٥٢
١٢ حمص ١٥٣
١٣ دمشق ٤٣ ، ١٥١
١٤ الرى ٧٠
١٥ سبيبة ١٥٤
١٦ سنجار ١٥٢
١٧ فارس ٧٤
١٨ الكرك ١٥٣
١٩ الكوفة ٦٧
٢٠ المدينة ٣٥
٢١ مصر ٣٨ ، ١٤٣ ، ١٦٢ ، ١٦٣
٢٢ مكة ٢٧
٢٣ الموصل ٥٥
٢٤ ميافارقين ١٥٢
٢٥ نيسابور ٧٥
٢٦ اليمن ١٥٢ ، ١٧٥

مصر ، ويقال : إن عثمان ولّى عليها أبَا يحي [1] العامريَّ .

وكان على الشام معاوية بن أبى سفيان ، فأمَّره عليها .

وكان على اليمن يعلى بن (١٢٨ ا) مُنْيَةَ [2] .

وكان على إفريقية وما معها من بلاد المغرب عبدُ الله بن أبى سَرْح من حين فَتْحِها عَلَى يده ، على ما سيأْتى ذكره .

الرابع من الخلفاء الراشدين

علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه

وهو أبو الحسن علىّ بن أبى طالب ، واسمه عبد مناف ، ابن عبد المطلب جدّ النبى صلى الله عليه وسلم .

وأُمه فاطمة بنت أَسد بن هاشم ، أَسلمت وهاجرت .

ولقبه حَيْدَرَة ، وهو أَول خليفة – وَلِى – أَبواه هاشميان .

---

(١) في الأصل أبو يحيى . وهذا جائز فيمن يلزم الكنية الواو إذا اشتهر بها صاحبها مثل أبوطالب . لكن المؤلف جرى على إعرابها بالأحرف .

(٢) يعلى بن منية هو يعلى بن أمية التميمى الحنظلى ومنية أمه « بضم الميم وسكون النون » وقيل هى أم أبيه انظر ترجمته في الإصابة . وفي الأصل : منبه

كان رضى الله عنه شديد الأُدمة حسن الوجه عظيم العينين بَطِينا أَصلع عظيم اللّحية كثير شعر الصدر ، مائلا إلى القِصر، كثير التبسُّم ، بويع له بالخلافة بالمدينة بعد قتل عثمان ، لثمان بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ؛ وتأَخر قوم عن مبايعته .

قال فى «نقط العروس » وكان عمره يومئذ دون الستين ، وكان نقش خاتمه : المُلْك لله الواحد القهار . وبقى حتى ضربه عبدالرحمن بن مُلْجِم المُرادى ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أَربعين من الهجرة ، فمات بعد ثلاث ، وعمره ستون سنة . وقيل : سبع وخمسون ، وقيل ثمان وخمسون ، وصلى عليه ابنُه الحسن . ودُفن بالكوفة عند مسجد الجماعة فى قصر الإمارة . وغُيِّب قبره .

وقال الواقدى : دُفن ليلا ، ومدة خلافته خمسُ سنين إلا ثلاثة أَشهر .

وكان له من الولد [1] أَربعة عشر ذكراً منهم : الحسن والحسين ومحسن من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه

(١) انظر نسب قريش ص ٤٠ — ٤٦

وسلم ، والعباس وجعفر وعبد الله وعثمان من أُم البنين الـكلابية ، وعبد الله وأَبو بـكر ومحمد الأَصغر ويحيى من أَسماء بنت عُميس ، وعمر من الصهباء بنت ربيعة ، ومحمد الأَوسط من أُمامة بنت أَبى العاص من زينب [(١)] بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحمد بن الحنفية من خَوْلة بنت جعفر من بنى حنيفة ، وثمانى عشرة امرأَة ، النسل منهم <فى> خمسة ، وهم الحسن والحسين من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحمد بن الحنفية وعُمَر والعباس . والشرف (٢٨ ب) منهم للحسن والحسين لانتسابهما إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، من حيث إن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أَن ينسب إليه أَولاد بناته ، بخلاف غيره من الأُمة .

وكان نقش خاتمه : الملك لله الواحد القهار .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويع بالخلافة أَقام بالمدينة أَربعة أَشهر ، إلى أَن اجتمع على عائشة أُمِّ المؤمنين رضى الله عنها طلحةُ والزبير

(١) أمامة بنت أبي العاصي بن الربيع أمها زينب . انظر ترجمتها في الإصابة وقيل إن أمامة لم تلد لعلي أحدا

وغيرُهما ، وحملوها على جمل يقال له عسكر ، وساروا بها إلى البصرة من العراق لطلب ثأر عثمان ، فخرج عليٌّ فى طلبهم فى سنة ست وثلاثين ، وانضم إليه أهلُ الكُوفة ، فكان بينهم وقعة الجمل المشهورة ، قُتل فيها من أَصحاب عائشة ثمانية آلاف ، فيهم طلحة ، وفر الزبير فقتل بوادى السِّبـاع .

قال القضاعى : ويقال : إنه قتل منهم سبعة عشر ألفا ، ويقال : إنه قُطِع على خِطام جمل عائشة مِمن يقوده إلى الحرب سبعون يدًا ، كلهم من بنى ضَبَّة ، كلَّما قُطعت يدُ رجل تقدَّم آخرُ مكانه ، وقُتِل من أَصحاب علىٍّ نحو ألف . ثم فى سنة سبع وثلاثين دعا معاويةُ بن أَبى سفيان بالأَمر لنفسه بالشام ، وسار من الشام ، إلى علىٍّ بالعراق ، وسار إليه علىٌّ ، فالتقيا بصِفّين على الفرات ، وكان علىٌّ فى تسعين ألفا ، ومعاوية فى مائة ألف . فقُتل من أَهل العراق خمسة وعشرون ألفا ، منهم خمسة وعشرون بدْريًّا وكان فى جُملة من قُتل منهم عَمَّارُ بنُ ياسر . الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم [1] : (تَقْتُلك الفئة الباغية) . وقتل من عسكر

---

(١) انظر صحيح مسلم حـ١٨ ص ٤٠ ، ٤١

معاوية خمسة وأربعون ألفا ، ثم تداعيا إلى الحُكومة ، فحكَّم عليٌّ وأهلُ الكوفة أبا موسى الأشعريَّ ، وحكَّم معاويةُ وأهلُ الشام عَمْرَو بنَ العاص ، واجتمع الحَكَمان بدُومَة الجَنْدل ، واتفقا على أن يخلعا عليًّا ومعاوية ويختارا للمسلمين خليفةً يرضونه ، لمكيدة كادها عمرو (٢٩ ا) ثم تقدما إلى الناس ، فبدأ أبو موسى فخلع عليًّا ، فقال عمرو : وأنا قد أثبت معاوية على الخلافة . فرضى أهل الشام ، وامتنع أهل العراق ، وخرجوا على عَلىٍّ فسُمُّوا الخوارج ، ثم عاد علىٌّ لقتالهم فى سنة تسع وثلاثين ، ثم لم يزل معهم فى حرب إلى أن قتله ابنُ ملجم ، على ما تقدّم ذكره ، ولم يَحُجَّ علىٌّ رضى الله عنه فى شىء من خلافته ، لاشتغاله بالحرب .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر أبو يحيى العامرى ، فتوفى سنة ست وثلاثين ، فولى مكانه قيس بن سعد بن عُبادة الخزرجىَّ ، ثم عزله وولى مالك بن الحارث الأشتر ، وكتب له بذلك عهداً ، فسار حتى بلغ القُلْزم ، فسُمَّ فى عسل شَرِبه فمات ، فولاها

من بعده محمدَ بنَ أَبي بكر الصديق رضى الله عنه ، فوَلَّى عليها سَهْلَ بن حُنَيْف [1] .

وكان معاوية مستولياً على الشام .

ولم أَقف على من كان بمــكّة والمدينة [2]

وولَّى على اليمن عبيــد الله [3] بن عباس ثم أَخاه عبد الله .

وولَّى على البصرة عثمانَ بن حُنَيف .

وولى على الكوفة دار إقامته عمارَ بنَ حسان .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبد الله بن أَبي سَرْح .

---

(١) كذا في الأصل ، ولم يذكر ذلك في صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٢٣ وإنما الذى ذكر أن محمد بن أبي بكر ولى مصر سنة سبع وثلاثين فمكث دون السنة . ثم وليها عن معاوية عمرو ابن العاص . ولم يذكر سهل بن حنيف في معجم الأنساب والأسرات ص٣٨ . لكن الأصل في ذكره لولاة الحسن ذكر أيضا سهل بن حنيف كما سيأتى كما ذكره في الولايات في أيام معاوية

(٢) في معجم الأنساب ص ٣٥ أن ولاة المدينة سهل بن حنيف وأبو أيوب وولاة مكة ص ٢٧ أبو قتادة الحارث بن ربعى الأنصارى وقثم بن العباس بن عبد المطلب وانظر ابن الأثير حـ ٣ ص ١٦٤

(٣) في الأصل عبدالله هذا وفي كتاب معجم الأنسان ص ١٧٥ عن ابن الأثير جـ ٣ ص ٧٢ ولى أيضا على اليمن جارية بن قدامة السعدى .

الخامس من الخلفاء الراشدين

الحسن بن عليٍّ رضى الله عنهما

وهو أَبو محمد الحسن بن علىّ بن أَبي طالب المقدم ذكره.

وأُمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان رضى الله عنه أَشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم من رأْسه إلى سرته ، والحسين رضى الله عنه أَشبه به من سرته إلى قدمه ، وهو أَكبر من الحسين بسنة واحدة ، وكان رضى الله عنه مِطْلاقا ، تزوَّج كثيرا من النساء ، فصعدَ عليٌّ كرَّم الله وجهه (٢٩ ب) المنبرَ وقال : أَيها الناس أَلاَ لا يُزَوِّجَنَّ أَحدٌ منكم الحسنَ بنَ عليٍّ فإنه مِطلاقٌ ، فنهض رجل من هَمْدان قبيلةٍ من اليمن وقال : والله لَنُزَوِّجَنَّه إنْ أَمْهرَ أَمهر كَثيفا ، وإن أَولد أَولدَ شريفا . فقال عليٌّ رضى الله عنه عند ذلك :

[و] لو كنتُ بوَّاباً على باب جَنَّةٍ
لقلت لهمدانَ ادْخُلى بسَلام

بُويع بالخلافة يوم موت أَبيه عليٍّ رضى الله عنه ، لسبع

عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة . وأوَّل من بايعه سعدُ بن عُبادة الأَنصارى ، وكانت يده شلاَّءُ ، فقيل : لا يتمُّ هذا الأَمر .

قال فى «نقط العروس» وكان عمره حينئذ ما بين ثلاثين سنة إلى الأَربعين .

وكان نقش خاتمه لا إلٰه إلاَّ الله الملك الحق المبين .

وبقى إلى أَن خَلَع نفسَه من الولاية وسلَّم الأَمرَ لمعاوية ابن أَبى سفيان ، كَفًّا للفتنة بين المسلمين ، فى ربيع الأَول ، وقيل فى جُمادى الأُولى ، سنة إحدى وأَربعين ، فكانت خلافته على القول الأَول خمسة أَشهر ونحو نصف شهر ، وعلى الثانى خمسة أَشهر وكسرا ، وعلى الثالث سبعة أَشهر وكسرا .

وتوفى بعد خلعه بالمدينة فى ربيع الأَول سنة تسع وأَربعين من الهجرة ، وقيل : توفى لثمان خلون من المحرم سنة خمسين ، وصلَّى عليه سعيدُ بن العاص ، ويقال : إن معاوية لما بلغه موته سجد شكرا .

وقد قيل : إن زوجته جَعْدَةَ بنتَ الأَشعث سمَّتهْ فمات ،

من حيث إن يزيد بن معاوية وعدها أن يتزوجها إن سَمَّته ، ففعلت ، ولم يُوف لها .

ودفن بالبقيع على القرب من قبر العباس بن عبد المطلب ، وقد بُنِى عليهما قُبَّةٌ عظيمة تُرى من خارج المدينة على بعد .

وكان له من الولد [1] حسن الأَصغر وزيد (٣٠ ا) وعمرو [2] والحسين الأَثرم . والقاسم وأَبو بكر وطلحة وعبد الله وعبد الرحمن .

والعقب منهم لحسن وزيد دون سواهمـا ، والقـاسم وأَبو بكر قتلا مع عمهما الحسين ، وعبد الله قتل بالطَّفِّ .

وكان له بنات أَيضـاً .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويع بالخلافة أَقام بالكوفة إلى شهر ربيـع الأَول سنة إحدى وأَربعين وقتل عبدَ الرحمن بنَ مُلْجم قاتلَ أَبيه ، يقال إنه ضربه بالسيف فاتقاه بيده فندَرَت [3]

(١) انظر نسب قريش ص ٤٦

(٢) في الأصل « عمر » والتصويب من نسب قريش ص ٥٠

(٣) ندر الشيء من موضعه : زال . وندر الشيء أيضا : سقط من جوف شيء فظهر .

ثم قتله بعد ذلك . وكان عليٌّ رضى الله عنه قد جهَّز قبل موته أربعين ألفا لحرب معاوية ، فتجهز الحسن بعد مبايعته للخروج بذلك الجيش ، وسار من الكوفة للقاء معاوية ، واشترط عليه شروطا وقال : إن أنت أجبت إليها فأنا سامع مطيع ، وكان مشروطه عليه أن لا يَسُبَّ عليًّا ، وأن يُعطيه ما ببيت مال الكوفة . فأجابه معاوية إلى ذلك ، وسلَّم الأمرَ إليه على ذلك ، ورجع إلى المدينة ، فبقى بها إلى أن تُوفِّى ، على ما تقدم ذكره ، وكان فى خَلْعه نفسه وتسليمِ الأمر لمعاوية ظهورُ مُعجزتين للنبى صلى الله عليه وسلم :

إحداهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حقه : (ابنى هذا سَيِّدٌ وسيُصلح اللهُ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) . فكان الأمر كذلك .

والثانية أنه حسب يوم تَسْلِيمه فكان تمام ثلاثين سنة ، وقد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم قال : (الخلافةُ بعدى ثلاثون سنة ثم تكون مُلْكاً) .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت عماله على الأَمصار عمال أَبيه المقدّم ذكرهم ، إذ لم يمض له من الزمن ما يسع فيه تغيير العمال مع اشتغاله بحرب معاوية .

فكان على مصر سَهْل بن حُنَيْف .

والشام بيد معاوية . وعلى اليمن عبد الله بن (٣٠ ب) عباس . وعلى البصرة عثمان بن حُنَيف . وعلى الكوفة عمّار بن حسَّان . وعلى إفريقية عبد الله بن أَبى سَرْح .

الطبقة الثانية من الخلفاء
خلفاء بنى أُمية

وهم أَربعة عشر خليفة ، وكانت مَقَرَّتُهم بالشام ، ومدة خلافتهم نيّف وتسعون سنة .

الأَول منهم معاوية بن أَبى سفيان

وهو أَبو عبد الرحمن معاوية بن أَبى سفيان واسمه صَخْر ابن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف جدّ النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد قيل إنه كان لخلفاء بنى أُمية هؤلاء ألقاب تخصهم كألقاب بنى العباس . وإن لقب معاوية كان الناصر لحق الله .

وأُمه هند بنت عُتبة بن رَبيعة بن عبد شمس .

أَسلم هو وأَبوه يوم الفتح ، وذهبت إِحدى عينى أَبيه يوم الطائف ، وذهبت الأُخرى يوم اليرموك .

وكان أَبيض طويلا ، إذا ضحك انقلبت شفته العليا ، وكان يَخضب بالحناء والكَتَم .

بويع بالخلافة البيعةَ العامّة حين سلّم إليه الحسنُ الأَمرَ بالكوفة ، فى الخامس والعشرين من شهر ربيع الأَول ، سنة إحدى وأَربعين من الهجرة ، وقال الدُّولابى : فى ذى الحجة ببيت المقدس سنة أَربعين ، وكان قد بويع قبل ذلك يوم اجتماع الحَكَمَيْن بصِفّين .

قال فى « نقط العروس » : وكان سنه يومئذ دون الستين سنة ، وكان نقش خاتمه : لكل عمل ثواب . وقيل : كان نقشه : لا قوة إلا بالله .

وهو أَوّل من رتّب الخلافة وأَقام أُبَّهتَها وأَجراها على قاعدة المُلْك ، وهو أول من عمل المقصورة فى الجامع من الخلفاء ليُصلِّيَ فيها يوم الجمعة . وأَول من رتَّب البريد فى الإسلام. على ما سيأْتى ذكره فى الباب السابع ، إن شاء الله تعالى ، وبقى حتى توفى بدمشق فى مستهل شهر رجب سنة ستين من الهجرة ، وقيل فى النصف من(٢١ ا) رجب ، وعمره ثمان وسبعون سنة ، وقيل خمس وسبعون ، وقيل سبعون .

واختلف فيمن صلّى عليه ، فقيل : ابنه يزيد ، وقيل إن يزيد كان غائبا وإن الذى صلى عليه الضحَّاك بن قيس ، ودُفن بدمشق ، بين باب الجابية وباب الصغير .

ومدة خلافته منذ اجتمع له الأَمر بتسليم الحسن إليه تسعَ عشرةَ سنةً وثلاثةُ أَشهرٍ وسبعةٌ وعشرون يوماً ، وقيل : وخمسةُ أيام .

قال الدولابى : وأَقام على الشام أَربعين سنة واليا عليها ، فى خلافة عمر أَربع سنين ، وفى خلافة عثمان اثنتا عشرة سنة كذلك ، وخمس سنين يقاتل عليّا ، ومنذ خلص له الأَمر إلى أَن مات تسع عشرة سنة ، ولما مرض دخل عليه

أَصحابه ليعودوه فأَنشد[١] :

وتَجَلُّـــدى للشامتين أُريهِـــمُ
أَنِّى لِرَيْبِ الدهرِ لا أَتضعضعُ

وإِذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَها
أَلفيتَ كلَّ تَميمــةٍ لا تَنفـــــعُ

وكان له ثلاثة أَولاد ذكور ، وهم : عبد الرحمن ويزيد وعبد الملك ، وأَربع إِناث هن : هِند ورَمْلة وصَفيَّة وعائشة .

الحوادث والماجريات فى خلافته

استلحق زيادا وادّعى أُخُوَّته فى سنة أَربع وأَربعين ، فكان عَوْناً له فى خلافته لِحِذقه ودهائه ، والناس لا يُثْبتون نسبه من أَبى سفيان ، فتارة يقولون زيادُ[٢] بن أَبيه ، وتارة يقولون زيادُ بن أُمه[٣] ، وفى أَيامه فى سنة ثمان وأَربعين غزا ابنُه يزيدُ القُسطنطينيةَ فى جمع من الصحابة رضى الله عنهم ، منهم أَبو أَيوبَ الأَنصارى ، فتوفى أَبو أَيوبَ فى هذه الغَزاةِ

(١) الشعر لأبي ذؤيب الهذلى انظر كتاب شرح أشعار الهذليين تحقيقي حـ ١ ص ١٠٢٨

(٢) في نسب قريش . يزيد وعبدالله وهند ورملة وعائشة انظر ص ١٢٧ ، ١٢٨

(٣) يقال له وهو مشهور زياد بن سمية

فى سنة اثنتين وخمسين ، ودفن فى أصل سور القسطنطينية ، فلما دفن قالت الروم : لقد مات (٣١ ب) منكم عظيم ، فقال يزيد : قولوا : هذا رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أقدمهم إسلاما ، وقد قبرناه حيث رأيتم ، والله لئن نُبِش لا يُضْرَب ناقوسٌ بأرض العرب ما كانت لنا مملكة ، فكانوا إذا أمحلوا كَشَفوا عن قبره فسُقُوا ، وبَنَى الرومُ على قبره بِنَاءً وعلّقوا عليه أربعة قناديل سُرُجاً .

وفى سنة أربع وخمسين عبر سعيد بن عثمان بن عفان نَهْرَ جَيْحون إلى سَمَرْقند والصُّغْد وهزم الكفار ، وقُتل فى هذه الغزاة قُثَم بن العباس ، ودفن بسمرقند ، ومات بقية إخوته بأقطار متباعدة ، فمات أخوه عبدالله بالطائف ، وأخوه الفضل بالشام ، وأخوه سعيد بإفريقية ، فيقال إنه لم يُرَ قُبورُ إخوةٍ أكثرَ تباعدا منهم .

وفى خلافته توفى سعيدُ بن زيد ، أحدُ العشرة المقطوع لهم بالجنة ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى سنة إحدى وخمسين .

وتوفى زيادُ بن أبيه فى سنة اثنتين وخمسين .

وتوفيت أُمُّ المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى سنة سبع وخمسين .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر سهل بن حُنَيف ، فولَّى عليها عمرو بن العاص ، وهى ولايته الثانية ، وبقى حتى تُوفِّى ليلة الفطر سنة ثلاث وأَربعين ، ثم وليها عنه أَخوه عُتبة بن أَبى سفيان إلى أَن مات ، ثم وليها بعده عُقبة بن عامر الجُهَنى ، فبقى حتى صرَفه وولَّى عليها مَسلمةَ بنَ مُخَلَّدِ ــ بضم الميم وتشديد اللام ــ الخزرجىَّ سنة سبع وأَربعين ، فمكث بها خمس عشرة سنة .

وولى على مكة خالدَ بن العاص بن هشَام .

وعلى المدينة مروان بن الحكم ، ثم عزله سنة أَربع وخمسين وولى مكانه سعيد بن العاص . (١٣٢) وجمع له بين مكة والمدينة ، ثم ولاهما مروان بن الحكم ، ثم عزله سنة تسع وخمسين ، وولى مكانه الوليدَ بنَ عُتبة بن أَبى سفيان .

وولّى علـى صنعاءِ اليمن فيروزَ الديلميَّ ، فبقى حتى مات سنة ثلاث وخمسين ، وولى على إفريقية وما يليها من بلاد المغرب معاويةَ بن حُدَيج – بالحاء المهملة المضمومة – السَّكُونىَّ ، سنة أربع وثلاثين ، ثم ولّى عليها عُقبةَ بنَ نافع[1] بن عبد قيس الفِهرى ، سنة خمس وأربعين ، فبقى عقبة بالقَيْرَوان ، وجعلها منزلا للجند ، وهى أولُ مدينة بنيت بإفريقية فى الإسلام ، ثم استعمل على مصر وإفريقية مسلمةَ بن مُخَلد فعزلَ مسلمةُ عقبةَ عن إفريقية ، وولّى عليها مولاه أبا المهاجر دينارًا ، سنة خمس وخمسين ، فغزا الغرب ، وبلغ تِلِمْسَان ، وهى الغربُ الأوسط ، وكان الغربُ الأقصى والأندلسُ بعدُ لم يفتحا .

الثانى من خلفاء بنى أُمية

يَزيدُ بن معاوية بن أَبى سفيان

وهو أبو خالدٍ يزيدُ بن معاوية بن أبى سفيان ، ويقال إنه كان تلقب : المستنصر على أهل الزَّيغ ، وأُمه مَيْسون بنت بَحْدلٍ الكلبيَّةُ ، وكان آدمَ اللونِ طويلا ، جَعْدَ

(١) في الأصل : مانع . والتصويب من كتب التاريخ وما سيأتى بعد ذلك .

الشعر أحور العينين ، بوجهه آثار جُدَرىّ ، حسنَ اللِّحية خفيفَها ، وكان قد أقام مع أُمه ميسون فى قومها بـنى كلب بالبادية ، فتعلم منهم الفصاحة ، وقال الشِّعر ، وكان السببُ فى ذلك أن معاويةَ يوماً سمع أُمَّه وهى تنشد أبياتا ، ظَهَر له بها رغبتُها عنه ، آخرُها :

وخِرْقٌ من بنى عمى فقيـــــرٌ
أَحـبُّ إلىَّ من عِلْجٍ عَلُـــوف [1]

فقال : ما كفاك حتى جعلتِنى علجا علوفا ؟ الْحَقِى بأهلك ، فمضت إليهم ويزيدُ معها ، فكان من أمره ما تقدم .

وَلِىَ الخلافةَ بعهد من أبيه معاوية ، وبُويع له بها بعد موت أبيه فى مُستهلِّ صفرسنة ستين ، وقيل : فى النصف منه ، وامتنع عن مبايعته عبد الله بن(٣٢ ب) الزُّبير ، والحسينُ ابن على رضى الله عنهما ، وقال ابن عمر رضى الله عنه : إن أجمع الناس على بيعته بايعتُه . ومقتضى كلام ابن حزم فى «نقط العروس» أنه وَلى وعمره ما بين العشرين

---

(١) الخرق : الكريم . والعلج : الضخم القوى ، ويطلق على الأعاجم .

والثلاثين سنة ، وكان نقشُ خاتمه : ربُّنا الله . وبقى حتى تُوفّى بحوارين من عمل حمص ، لأَربع عشرة ليلة خلت من ربيــع الأَول سنة أَربع وستين ، وهو ابنُ ثمان وثلاثين سنة ، وقيل : تسعٍ وثلاثين ، وحمل إلى دمشق ، ودفن فى مقبرة الباب الصغير ، وصلّى عليه ابنُه معاوية بن يزيد ، وكانت مدة خلافته ثلاثَ سنين وتسعة أَشهر ، وقيل : وستة أَشهر ، وكان له من الأَولاد الذكور مُعاوية وخالد وأَبو سفيان وعبــد الله الأَكبر وعبــد الله الأَصغر وعمر وعبد الرحمن وعتبة الأَعور ويزيد ومحمد وأَبو بكر وحرب والربيع وعبد الله الملقب أَصغر الأَصاغر وبنات (١) .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويع بالخلافة سار الحسينُ بن علىّ رضى الله عنهما ، بعــد ذلك بقليــل ، إلى الــكوفة ، ونزل بمكان يقال له كَرْبَلاء ، ووقع الحرب بها بينه وبين جيش يزيد ، فوقعت الــكَسرة على الحسين رضى الله عنه ، فقُتل فى يوم عاشوراء

(١) لم يذكر في كتاب نسب قريش من أولاده عمر وحرب والربيع وعبدالله ، وذكر واحدا منهم فقط ويقال له : الأسوار . وذكر ولدا آخر اسمه عثمان. وانظر في نسب قريش أسماء بعض بناته ص ١٢٩ — ١٣٠ .

سنة إحدى وستين ، وعمرُه تسع وخمسون سنة ، وقيل : خمس وخمسون ، وقيل : ست وخمسون ، وقُتل معـه من إخوته العباسُ وجعفرٌ وعبدُ الله وعثمانُ وعبيدُالله وأبو بكر ، وقتل معه أيضا القاسم وأبو بكر وَلَدَا أخيه الحسن وعدةٌ من أولاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأولاد عَقيل بن أبي طـالب ، واحْتُزَّت رأسُ الحسين رضى الله عنه وحُملت إلى عبيدالله[1] بن زياد ، فجعل يقرع فم الحسين بقضيب ، فقال له زيد بن أرقم : ارفعْ هذا القضيبَ ، فوالذى لا إله غيرُه لقد رأيت شفتىْ رسول الله (١٣٣) صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين .

ثم حُمِلت الرأس إلى يزيد بن معاوية ،فجهزها إلى المدينة النبوية مع نسائهم وأطفالهم ، فتلقاهم نساء بنى هاشم حاسرات ، وابنةُ عَقيل[2] بن أبي طالب تُنشد :

ماذا تقولون إنْ قـال النبيُّ لـكم
ماذا فعلتمْ وأنـتم آخرُ الأُمـمِ

(١) في الأصل : عبدالله بن زياد وهو سهو

(٢) في أنساب الأشراف : زينب بنت عقيل ترثى قتلى أهل الطف وخرجت تنوح بالبقيع .
وانظر عيون الأخبار حـ ١ ص ٢١٢

بِعِتْرَتِــى وبـأَهلى بعد مُعْتَقــــدِى

منهم أُسارى وصرعى ضُرِّجُوا بِدَمِ [1]

ما كان هذا جزائى إِذْ نصحت لــكم

أَن تَخلفونى بسُوءٍ فى ذَوِى رَحِمِــى

وقد حكى صاحب « درر السِّمط فى خبر السِّبط » أنه وُجد على حجر مــكتوبٍ تاريخُه قبل البعث بـأَلف سنة هذا البيت [2] :

أَترجو أُمَّة قتلت حُسينــــــــــــا

شفــاعــة جَدِّه يــوم الحِســاب

وقد اختُلف فى الموضع الذى دُفنت فيه هذه الرأْس [3] ، فقيل : بالمدينة عند أُمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل دفنت بباب الفراديس بدمشق ، وقيل : دفنت بِعَسقلان .

وقد حــكى القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر فى

---

(١) في انساب الأشراف :

ذريــتى وبنو عمى بمضيعــة منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم

(٢) في الاستيعاب على هامش الإصابة حـ ١ ص ٣٨١ في ترجمة الحسين : وهذا البيت زعموا قديما لا يدرى قائله

(٣) في الأصل : هذا الرأس

«خطط القاهرة » أن الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز الفاطمى بنى جامعه خارج بابي زويلة لتنقل إليه هذه الرأْس فيدفنها به ، ويجعله مَشهدا لها ، فبلغ ذلك الفائزَ أَحدَ خلفاء الفاطميين فقال : الأَحقُّ أَنْ تكون هذه الرأْس عندنا داخل القصر ، فأَخلى لها قاعة من قاعات القصر ودفنها فيها وجعلها مشهدا ، وهو المشهد المعروف الآن بمشهد الحسين.

ومما يؤيد صحة ذلك ما حكاه القاضى محيي الدين بن عبدالظاهر أَيضا : أَن السلطان صلاح الدين يوسف بن أَيوب حين استولى على قصر الفاطميين أَمسك خادماً من خدام القصر ، وعذبه بأَن حلق رأْسه وأَكفأَ عليها طاسا ، وجعل فيه خنافس (٣٣ ب) فأَقام ثلاثة أَيام لم يتأَثر بذلك ، فدعاه السلطان وسأَله عن شأْنه ، وهل معه طِلَّسْم وَقَاهُ ذلك : فقال : لا أَعلم شيئا ، غير أَنى حملت رأْس الحسين على رأْسى حين أُتى بها إلى المشهد . فخلَّى سبيله وأَحسن إليه .

ولم يَحجَّ يزيدُ فى مدة خلافته .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر مسلمة بن مُخَلَّد ، فولَّى عليها مكانه سعيدَ بنَ يزيدَ الأَزْدىَّ (١) فى سنة اثنين وستين [ثم وليها عبدالرحمن الفهرى] فبقى بها إلى ما بعد خلافة يزيد .

وكان على مكة والمدينة الوليدُ بن عُتبة (٢) فولى مكانه عَمْرَو بنَ سعيد الأَشدق ، ثم عزله سنة إحدى وستين ، وأَعاد الوليد بن عتبة ، ورَجعَ عقبةَ بنَ نافع إلى إفريقية وما معها من بلاد المغرب ، فاستولى على ذلك بعد أَبى المهاجر دينارٍ .

الثالث من خلفاء بنى أُمية

معاوية بن يزيد

وهو أَبو ليلى معاوية بن يزيد بن معاوية بن أَبى سفيان بن حَرْب ، ويقال : إنه كان يُلَقَّب الراجعَ إلى الله . وأُمه أُمُّ هاشم ، ويقال : أُم خالد بنت أَبى هاشم بن عتبة بن ربيعة

(١) في الأصل : « الأودى» والتصويب من صبح الأعشى ﺟ ٣ ص ٤٢٤ ومعجم الأنساب ص ٣٨ .

(٢) هو الوليد بن عتبة بن أبى سفيان

ابن عبد شمس . كان شابا دَيِّناً ، ولم أقف على شيء من حِلْيَته [1] .

بويع بالخلافة فى رابع عشَر ربيع الأَول سنة أربع وستين حين وفاة أَبيه ، وقيل : فى النصف من ربيع الآخر منها ، ومقتضى كلام ابن حزم أنه ولى الخلافة وسنُّه ما بين العشرين والثلاثين سنة ، وكان نقش خاتمه : الدنيا غَرورة .وبقى حتى توفى بعد ثلاثة أشهر من خلافته ، وقيل : بعد أَربعين يوما ، وقيل : بعد عشرين يوما ، وعمره إحدى وعشرون سنة ، وقيل : ثلاث وعشرون سنة ، وقيل : سبعَ عشرةَ سنة ، وصلى عليه أخوه خالد . وقيل (٣٤ ا) صلى عليه الوليد بن عتبة بن أَبى سفيان ، فكبَّر عليه تكبيرتين ، ومات قبل أَن يقضى صلاته ، فصلَّى عليه مروانُ بن الحكم . ودُفن بجنب قبر معاوية بن يزيد المذكور ، ولم أَقف له على عقب [2] ، غير أَنه كان يُكنى أَبا ليلى ، فيحتمل أَنه كان له بنت اسمها ليلى كنى بها ، ويحتمل أنه كنى بذلك من غير ولادة .

(١) بهامش الأصل بخط مختلف ما يأتى :
يدل على صلاح حاله وفلاح أحواله ما قاله :
ياليت ما كان لى معاوية   أبا ولا الخبيث يزيد

(٢) لم يذكر له أيضا عقب في نسب قريش .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى خلال خلافته بويع لعبد الله بن الزبير (١) رضى الله عنهما بالخلافة بمكة ، فى رجب سنة أربع وستين ، واستولى على مكة والمدينة ، ودان له أهل الحجاز واليمن والعراق ، وبويع له أيضا بحِمص وقِنَّسرين من الشام ، وكاد أن يتم له الأَمرُ بجُملته .

قال ابن حزم : وسنه حين بويع ما يزيد على ستين سنة ، وبايعه أهل العراق أيضا ، وهدم الكعبة وأدخل فيها الحجْر وجعل لها بابين مع الأَرض ، يُدْخَل من أحدهما ويُخْرَج من الآخر ، معتمدا فى ذلك على حديث. بلغه عن النبى صلى الله عليه وسلم . وخَلَّق (٢) الكعبة داخلها وخارجها ، وهو أول من خَلَّقها ، وكساها القَبَاطِىَّ ، وهى ثياب بِيض من عمل مصر ، ولم يزل يُقيم الحج للناس من سنة أربع وستين إلى سنة اثنين وسبعين .

---

(١) بهامش الأصل بخط مختلف ما يأتى : «وقال الشيخ الإمام ختم « خاتم » المجتهدين السيوطى إن عبد الله بن الزبير من خلفاء « الخلفاء » الراشدين . فإن قلت : الخلفاء الراشدين « الراشدون » كم هم ! قلت : سبعة أولهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وحسن بن على وعبدالله بن الزبير وعمر بن عبدالعزيز .

(٢) خلق الكعبة : طيبها بالخلوق ، وهو الطيب .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر عبد الرحمن الفِهْرى فأَقرّه عليها فمكث فيها اثنتين وعشرين سنة ، ويقال إن ابن الزبير ولّى عليها عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم .

وكانت مكة بيد عبد الله بن الزبير ، وكان على المدينة من جهة عبد الله بن الزبير أَخوه مصعب بن الزبير ، ولاه عليها سنة خمس وستين ، ثم نقله إلى البَصرة ، وولى مكانه جابر بن الأَسود بن عوف الزُّهرى ، ثم ولّى مكانه على المدينة طَلْحةَ (٣٤ ب) بن عبد الله بن عوف ، وولى عبدَ الله بنَ مُطيع الكوفةَ . وكان على إفريقية وما معها من المغرب عقبة بن نافع ، فأَقرّه عليها .

الرابع من خلفاء بنى أُمية

مروان بن الحَكَم

وهو أَبو الحكم ، وقيل : أَبو عبد الملك ، مروان بن الحكم بن أَبى العاص بن أُمية بن عبد شمس ، ويقال : إنه كان يلقب المُؤتمن بالله ، وأُمه أُميّة بنتُ عَلقمة بن

صفوان ، كان قصيرادقيقا أَوْقَص [١] ، بويع له بالخلافة بالجابيـــة من الشام ، فى رجب سنة أَربع وستين ، ثم جُدِّدت له البيعة فى ذى القعدة من هذه السنة .

قال ابن حزم فى «نقط العروس» وكان سنه يوم ولى الخلافة إحدى وستين [٢] سنة ، وكان نقش خاتمه : الله ثقتى ورجائى ، وبقى حتى تُوفِّى بالطاعون ، لثلاث خلوْنَ من رمضان سنة خمس وستين ، وعمره ثلاث وستون سنة ، ويقال : إن زوجته أُمَّ خالدِ بن يزيد بن معاوية خنقتْه ثم صاحت وقالت : مات فجأَةً ، ودُفن بمقبرة دمشق ، وكانت مدة خــلافته سبعة أَشهر وثمـــانية عشر يوما ، وكان له من الأَولاد : عبد الملك ، ومعاوية ، وعبيد الله وعبدالله وأبان وداود وعبد العزيز وعبـــد الرحمن وبشر ومحمـــد وبنات [٣]

الحوادث والماجريات فى خلافته

كان سلطانه بالشام خاصَّة ، وباقى الأَمْصار فى طاعة

(١) الأوقص : القصير العنق خلقة

(٢) في الأصل : إحدى وستون

(٣) ذكر في نسب قريش من أولاده أيضا أيوب وعثمان وعمر . ولم يذكر عبدالرحمن وانظر بناته في نسب قريش ص ١٦٠ — ١٦١

عبد الله بن الزبير ، والضحّاك بن قيس بالشام فى جماعة يحاربون لمبايعة ابن الزبير ، ثم كانت الوقعة بين الفريقين بمرْج راهِط بغُوطة دمشق ، فقُتِل الضحاكُ وانهزم من معه ، ثم سار مروان إلى مصر فى سنة خمس وستين فبايعه أَهلها .

ولايات الأَمصار فى خلافته

(١٣٥) كان على مصر من جهة ابن الزبير عبد الرحمن ابن جَحدم ، فطرده مروان عنها وولى مكانه ابنه عبد العزيز .

وكان على المدينة واليمن والعراق عمال ابن الزبير ، على ما تقدم ذكره فى ترجمة معاوية بن يزيد .

الخامس من خلفاء بنى أُمية

عبد الملك بن مروان

وهو أَبو الحكم ، وقيل أَبو مروان ابن الحكم بن أَبى العاص بن أُمية بن عبد شمس ، وهو أَول من سُمِّى عبد الملك فى الإِسلام ، ويقال : إِنه كان يلقب المُوثِّق لأَمر الله ، وأُمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أَبى العاص ،

كان أفوه مفتوح الفم ، مُشبَّك الأسنان بالذهب ، حازما فى أمره ، لا يَكل أَمَره إلى غيره ، ويقال : إنه كان فقيهاً عالمـا ، فلما ولى الخلافة استهوته الدنيا فتغير عن ذلك .

ومما يحكى أنه لما أتته الخلافة كان قاعدا يقرأ فى المصحف ، فأطبقه وقال : هذا آخر العهد بك ، وكان فى غايةٍ من الشُّحِّ ، حتى كان يقال له : رَشْحُ الحَجَر ، لبخله ، لأَن الحجر لا يرشح الماءَ إلاَّ نادرا .

يقال إن بعض أخصَّائه سمعه يقول : أَجِعْ كَلبك يَتْبَعْك . فقال له : يا أَمير المؤمنين ، أَمَا تخشى أَن يُلوِّح له غيرُك بِكِسْرة فيتركَكَ ويتبعَه ؟

وكان مع شحه أَبْخَر ظاهرَ البَخَر ، وكان إذا مرَّ الذباب على فمه سقط لشدَّة بَخَره ، ومن أَجل ذلك كان يلقب أبا ذُباب .

بويع بالخلافة بعد موت أَبيه مروان فى ثالث رمضان سنة خمس وستين ، واستقرّ له الأَمر بمصر والشام خاصَّة . والعراق والحجازِ واليمن مع ابن الزبير .

قال ابن حزم : وكان عمره حين ولى الخلافة ما بين الثلاثين سنة والأَربعين سنة ، وكان نقش خاتمه : آمنت بالله مُخلصا . وبقى حتى توفى فى النصف من شوال سنة (٣٥ ب) ست وثمانين ، وعمره ستون سنة ، ودفن بدمشق ، وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً ، منها سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة عشر يوما قبل قتل ابن الزبير ، وباقيها بعد قتله .

وكان له من الأَولاد : الوليد ، وسليمان ، ومروان الأَكبر ، ويزيد ، ومروان الأَصغر ، ومعاوية ، وهشام ، وبكار ، والحكم ، وعبد الله ، ومسلمة ، والمنذر ، وعنبسة ، ومحمد ، وسعيد ، والحجاج [١] ، ويقال إن عبد الملك رأى فى منامه كأَنه بال فى المحراب أَربعَ مرات ، فغمّه ذلك ، فوجّه إلى سعيد بن المسيِّب من سأَله عن ذلك فقال : يملك من ولده لصلبه أَربعة . فكان كذلك ، فولى منهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام .

---

(١) لم يذكر في نسب قريش من أولاده مروان الأصغر ولا معاوية ولا محمداً ، انظر ص ١٦١ — ١٦٥

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة منع الناس من الحج من حيث إن ابن الزبير كان يأخذ البيعة لنفسه على الناس فى الموسم ، فضجَّ الناس من منع الحج ، فبنى عبدُ الملك قُبَّة الصخرةِ ببيت المقدس ، وكان الناس يحضرونها يوم عرفة ويقفون عندها ، فيقال : إن ذلك سبب التعريف [1] ببيت المقدس ومساجِدِ الأَمصار .

وذكر الجاحظ فى كتاب «نظم القرآن» أن أَوَّلَ من سنَّ التعريف فى مساجد الأَمصار عبدُ الله بن عباس ، وأنكر العلماءُ عليه هذا النقل ، وذكر أبو عمر الكندى أن عبد العزيز بن مروان أول من سنَّ التعريف بالمسجد الجامع بمصر بعد العصر .

قال أَبو هلال العسكرى فى كتابه «الأَوائل» : وعبد الملك أول من ضرب الدراهم فى الإسلام ، وفى سنة تسع وستين سار عبد الملك بنفسه إلى العراق ، فلقيه مصعب ابن الزبير فى جيش ، فقُتل مصعبُ ، فدخل عبد الملك الكوفةَ بعد مقتل مصعب فبايعه (١٣٦) الناس . وفى

(١) التعريف أن يوقف بها كما يوقف بعرفة يوم عرفة وهو التاسع من ذى الحجة .

سنة ثلاث وسبعين ولّى الحجاجَ بنَ يوسف الثقفيَّ على مكة ، فسار الحجاجُ إلى مكة ، وحارب ابنَ الزبير ، وقبض عليه بعد حصار طويل ، وقتله وصلبه لثلاث عشرة ليلة بقيت من جُمادى الأُولى ، سنة ثلاث وسبعين ، وقيل : فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين . وفى سنة أربع وسبعين هدم الحجاجُ الكعبةَ من جانب الحِجْر وأخرج الحجْر منها . وجعله على الهيئة التى كان عليه فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، ورفع داخلها عن الأرض ، وسدَّ الباب الغربى ،وجعل الباب الشرقى يُصْعَد إليه على دَرَجٍ ،والأمر على ذلك إلى الآن .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر أخوه عبد العزيز بن مروان فأقره عليها ، فبنى بالفُسطاط الدار المُذهبة المعروفة بالمدينة ونزلها ، وهى دار عظيمة تُجاوز الوصف ، ثم صارت بعده منزلا لمن يلى إمارة مصر ، ثم صارت مساكن للعامة بعد ذلك .

قال القُضاعى فى « خططه » كان يُسكَبُ فيها فى كل يوم مائةُ راويةٍ ماءً ، وفيها عدة مساجد ، وعدة أفران للخبز ، وأقام على مصر عشرين سنة وعشرة أشهر وأياما ، وهو

الذى بنى القنطرة التى على خليـــج القاهرة عند السد الذى يـــكسر عند وفاء النيل .

ويقال : إنه ولى عليها عبد الله بن عبد الملك [1] ، فمكث فيها خمس سنين ، ثم ولى عليها بعده قُرَّةَ بن شَرِيك فى سنة تسعين ، فبقى عليها إلى أن مات عبد الملك ، وهو أول من وضع اللوح الأخضر على [2] الأُسطوانة الوسطى بالجامع العتيق بالفسطاط .

واستولى الحجاج بن يوسف على مكة بعد قتل ابن الزبير .

وولى عبدُ الملك على المدينة طارقَ بنَ عُمر ، فانتزعها منه صالحُ بنُ عبد الله ، ثم ولّى عبدُ الملك على مكة والمدينة وسائر أعمال الحجاز (٣٦ ب) واليمن الحجاجَ بنَ يوسف ، وعزل طارقا عن المدينة وجعله من جملة جند الحجاج ، ثم ولّى على مكة والمدينة سنة سبع وسبعين أبانَ بنَ

(١) في الأصل : «عبدالله بن عبدالله بن عبدالملك » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٢٤ .

(٢) في الأصل : « علو» هذا وفي صبح الأعشى حـ ٣ ص ٣٤٢ أن قرة بن شريك جعل في المسجد المحراب المجوف وأحدث فيه المقصورة . وأن أول من نصب اللوح الأخضر فيه هو عبد الله بن طاهر وهو أمير مصر في سنة اثنتى عشرة ومائتين .

عثمانَ بنِ عفّان ، ثم عزله فى سنة اثنتين وثمانين وولى مكانه هِشام بن إسماعيل المخزومى .

وولى على العِراقين وخراسان الحجاجَ بن يوسف ، ففتك بأهله وأبادهم ، وقتل جمعا من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم على ما سيأتى ذكره عند وفاة الحجاج فيما بعد إن شاءَ الله تعالى . وكان على إفريقية وما معها من المغرب عقبةُ بن نافع ، فقُتل ، فولّى عبدُ الملك مكانه حسانَ بن النعمان الغسانى ، فسار حتى دخل القَيروان ، وافتتح قُرْطَاجَنَّة قاعدة إفريقية قبل الإسلام ، وكان الغرب الأقصى والأندلس لم يفتحا بعد .

السادس من خلفاء بنى أمية

الوليد بن عبد الملك

وهو أبو العباس الوليدُ بن عبد الملك بن مروان ، المقدم ذكره ، ويقال إنه كان يلقب : المنتقم لله ، وأُمه ولادة بنت العباس [1] ، كان أسمر جميلا أقنى الأنف ، ويقال : سائل الأنف جدا ، بوجهه أثر جُدَرِىّ ، له سطوة شديدة ،

(١) كنيتها أم الوليد بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير من بنى عبس . انظر نسب قريش ص ١٦٢

لا يتوقف إذا غضب ، وكان كثير النكاح والطلاق ، يقال إنـــه تزوج ثلاثا وستين امرأة ، وكــان ضعيف البصر بالعربية بحيث يغلب عليه اللَّحْن ، دخل عليه أعرابى يشــكو صِهْرًا له ، فقال له الوليد : ما شانَك – بفتـــح النون – وهو يريد أن يسأله عن شأْنه ، فقال له الأَعرابى : أَعوذ بالله من الشين ، فقال أخوه سليمان : إن أَمير المؤمنين يقول لك ما شأْنُك – وضم النون – فقال الأَعرابى : خَتَنى ظلمــنى ، يعنى صِهْرَه ، فقال له الوليـــد : من خَتَنَـــك – بالفتح – فقال الأَعرابى : إنما ختننى الحَجَّام ، ولست أُريد ذا (١٣٧ ا) فقال سليمان : أَمير المؤمنين يقول لك : من خَتَنُك ؛ فقال : هذا . وأَشار إلى خَصْمه .

ولى الخلافة بعهد من أَبيه عبد الملك ، ثم بُويع له بها بعد وفاته يوم الخميس منتصف شوال سنة ست وثمانين .

قال ابن حزم : وكان سنه حين ولى ما بين الثلاثين والأَربعين سنة ، وكان نقش خاتمه : يا وليد إنك ميـــت ومحاسب ، وبقى فى الخلافة حتى توفى بدير مُرّان من الشام ، يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة ســـت

وتسعين ، وعمره ثمانٍ وأَربعون سنة وأَشهر ، وكانت مدة خلافته تسعَ سنين وسبعة أَشهر ، وقيل : وثمانية أَشهر ، وكان له من الأَولاد ثمانية عشر ذكرا ، وقيل : أَربعة عشر ذكرا ، منهم يزيد وإبراهيم ، ولى كل منهما الخلافة ، والعباس ، وكان فارس بنى مروان ، وعمر فحل بنى مروان ، كان يركب فى ستين من صلبه ، وعمر وعبد الكريم وبشر وغيرهم وبنات [1] .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى خلافته غزا أَخوه مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم وعاد ، وفى خلافته فتحت طُلَيطلة دار مُلْكِ الأَندلس على يد طارقٍ مولى موسى بن نُصير مُتولِّى إفريقية ، وحمل إليه منها مائدة سليمان بن داود عليه السلام ، وكانت من خليطين ذهبٍ وفضة ، عليها ثلاثةُ أَطواقِ لؤلؤٍ ، وكان من غريب الأَمر فى فتحها أَنه كان بدار المُلك بها بيتٌ مُغلق عليه أَقفال من حديد ، كلما وليها ملك جديد زادها قُفلا ، إلى أَن كان آخرهم ملك اسمه لُذَرِيق ، أَراد فتح

(١) انظر أولاده في نسب قريش ص ١٦٥ ولم يذكر من بينهم عبدالكريم بل ذكر عبدالرحمن وذكر من اسمه عمر واحدا فقط

ذلك البيت والاطلاع على ما فيه ، فنهاه كهنتهم عن فتحه ، فأبى إلا ذلك ، ففتحه ، فوجد داخله صندوقا مُقفلا ، ففتح ذلك الصندوق ، فإذا فيه سَفَطٌ من حرير فيه صور العرب راكبين الجمال ، وفيه مكتوب : (١٧٧ ب) إذا فُتح هذا البيت وأُخرج هذا السَّفَط ، وفُتح ، مَلَكَ أَصحابُ هذه الصور هذه البلادَ . فكان الأَمر كذلك .

وفى خلافته فُتحت عدَّةٌ من بلاد السند وما وراء النهر . وتغلغل الحجاج فى بلاد التُّرك . وتغلغل مسلمةُ بن عبد الملك فى بلاد الروم ففتح وسبى ، وفتح محمد بن القاسم الثقفىُّ بلادا من بلاد الهند .

وكان الوليد مع كثرة اعتنائه بالغزو وفتح البلاد مُغرما بالبناء ، وهو الذى بنى المسجد الجامع بدمشق ، ومن ثَمَّ نُسب إلى بنى أُمية وأَدخل فيه كَنيسة النصارى ، وأَتى فيه من حُسن الصنعة وزينة الزخرفة بما يدهش النظر ، ويحار فى وصفه الفكر ؛ إلاَّ أَنه قد تغيرت معالمه بما طرأَ عليه من الحريق مرة بعد أُخرى ، لا سيما ما عَرَاه من

تَمُرْلَنْك حين استيلائه على دمشق ، وزاد فى مسجد النبيِّ صلى الله عليه وسلم وزخرفَه ونمَّقه ورصَّعه بالفُسيفساء ، وهى الفصُّ المُذهب ، وأَدخل فيه حُجَر أَزواج النبيِّ صلى الله عليه وسلم وسائر المنازل التى حوله ، وكان القائم بذلك له عمر بن عبد العزيز ، وهو يومئذ أَميرٌ له على المدينة .

وهو أَول من اتخذ البيمارستان للمرضى ، وأَوّل من اتخذ دار الضيافة ، وأَول من بنى الأَميال فى الطرقات ، على ما سيأْتى ذكره فى الباب السابع إن شاء الله تعالى .

وأَنفذ إلى خالد بن عبد الله القَسْرىِّ عامله بمكة ثلاثين أَلف دينار صفَّح بها باب الكعبة والميزاب والأَساطين ، وجدَّد بناءَ المسجد الأَقصى وزخرفه . وفى أَيامه كان الطاعون الجارف (١) بالبصرة ، يقال : إنه مات فيه فى ثلاثة أَيام ثلاثمائة أَلف إنسان ، وفى أَيامه مات حبْرُ الأُمة عبدُ الله ابن عباس رضى الله عنهما فى سنة ثمان وستين ، وهو جد الخلفاء العباسيين ، وفى سنة خمس وتسعين أَخرج الوليدُ علىَّ بنَ عبد الله بن عباس من دمشق ، وأَنزله الحُمَيمة

(١) في هامش الأصل ما يأتى : « هذا الجارف لما ذكره العينى في تاريخه المسمى بعقد الجمان: كان ذكر الطاعون الجارف في زمن عبد الملك بن مروان في سنة سبعين وبالله التوفيق » .

من أَرض الشام ، فوُلد له بها نيِّفٌ [1] وعشرون ولدا ذكرا (١٣٨) ولم يزل بها إلى أَن بطلت دولة بنى أُمية .

وفى أَيامه كانت زلازل عظيمة أَقامت أَربعين يوما .

وفى أَيامه قتل الحجاجُ بنُ يوسف سعيدَ بنَ جُبير التابعىَّ الإمام الكبير فاختلط عقلُ الحجاج لوقته ، وبقى قليلا ثم مات فى رمضان سنة خمس وتسعين ، عن ثلاث وخمسين سنة ، وقيل : عن أَربع وخمسين ، وكان مدة ولايته العراق عشرين سنة ، وكان عدَّةُ من قتله فيها صَبْرًا مائة أَلف وعشرين أَلفا ، ومات فى محبسه خمسون أَلف رجل ، وثلاثون أَلف امرأَة . وما ربك بغافل عما يفعل الظالمون .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر قُرَّة بن شَرِيك ، فأَقره عليها فمكث سبع سنين .

وولَّى على مكة عمرَ بن عبد العزيز ، ثم ولَّى عليها بعده خالدَ بنَ عبد الله القَسْرىَّ .

---

(١) فى هامش الأصل ما يأتى : « النيف يجوز فيه التخفيف والتشديد يعنى الزيادة » .

وولّى على خراسان بعد الحجاج بن يوسف المهلَّبَ بن أبى صُفْرة .

وكان على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومى ، فعزله وولى عليها عثمان بن حَيَّان [1] .

وولى على إفريقية وما معها من بلاد المغرب موسى بن نُصير – بضم النون – فقَدم القَيْرَوانَ وبها صالح بن حسَّان فعزله عنها ، ثم رجع موسى بن نصير إلى المشرق واستخلف على إفريقية ابنه عبدَ الله بنَ موسى بن نصير ، واستقرَّ طارقُ بن زياد مولى موسى بن نصير على الأندلس من حين فتحها ، ثم قدم موسى بن نصير إلى الأندلس ونزل طُلَيطِلة ، وأقام بها سنتين واستخلف عليها ابنَه عبد العزيز بن موسى ، ثم توجَّه إلى الوليد بن عبد الملك بما معه من الغنيمة والسبى .

السابع من خلفاء بنى أُميـــة

سليمان بن عبد الملك

وهو أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان ، المقدم

(١) فى الأصل « حياه » والتصويب من نسب قريش ص ٢٨٦ عثمان بن حيان المرى

ذكره (٣٨ ب) ويقال : إنه كان تلقب : المهدىَّ بالله الداعى إلى الله . وأمه ولاَّدة أُمُّ أَخيه الوليد ، وكان أَبيض اللون جميلا طويل القامة ، فصيحا لَسنا أديبا ، معجبا بنفسه ، مُتوقِّفا عن سفك الدماء ، ويقال : إنه كان كثير النكاح شَرِها فى الأَكل ، يأْكل فى كل يوم نحوا من مائة رطل .

ولى الخلافة بعهد من أَبيه عبد الملك بن مروان ، وذلك أن عبد الملك رتَّب خلافته فى العهد على خلافة أَخيه الوليد المقدَّم ذِكْره ، فقال : الخليفةُ بعدى الوليدُ ، ثم بعد الوليدِ سليمانُ ، وبويع له بها بعد موت أَخيه الوليد يوم السبت النصفَ من جُمادى الآخرة سنة ست وتسعين .

قال ابن حزم : وكان عمره حين ولى ما بين الثلاثين والأَربعين ، وكان سليمان حين موت أَخيه بالرمْلَة من عمل لدّ . فبلغه الخبر بعد سبعة أَيام ، فسار إلى دمشق ودخلها .

وكان نقش خاتمه : آمنت بالله مخلصا . وبقى حتى توفى بدابق من أَرض قِنَّسْرين ، لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين ، وعمره خمس وأَربعون سنة ، بعد أَن عهد

بالخلافة بعده لعمر بن عبد العزيز ، ثم من بعد عمر ليزيد ابن عبد الملك ، وصلى عليه عمرُ بن عبد العزيز ، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام ، وكان له أربعة عشر ولدا ذكرا (١) .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى سنة تسع وتسعين خرج بنفسه لغزو القُسْطَنْطينيَّة حتى نزل بدابق ، وبعث أخاه مسلمة إلى القسطنطينية ، فنزل عليها وحاصرها ، وفتــح مدينة الصقالبة ، وبعث المهلَّب ابن أبى صفرة< إلى> خراسان ، ففتح جُرجان. وطبرستان ، وقد ذكر فى «مسالك الأَبصار» أنه هو الذى بنى مدينة الرَّملة ، ولعل ذلك قبل خلافته.

(١٣٩) ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر قُرَّة بن شريك ، فولّى مكانه عبدَ الملك ابن رفاعة ، فى سنة سبع وتسعين ، فمكث فيها ثلاث سنين وكَسْراً .

---

(١) انظر أولاده في نسب قريش ص ١٦٥

وكان على مكة خالد بن عبد الله القسرى ، فأقره عليها .

وكان على المدينة عثمان بن حيَّان [١] فولَّى مكانه أبا بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم . وكان على إفريقية عبد الله بن موسى بن نصير خليفةً بها عن أبيه موسى المذكور ، فبقى عليها ، وكان على الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير المذكور فاستقرَّ بها .

الثامن من خلفاء بنى أمية

عمر بن عبد العزيز

وهو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، ويقال إنه كان يلقب : المعصوم بالله ، وأمه أُمُّ عاصم بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . كان أسمر نحيفا حسن الوجه ، فى وجهه شَجَّةٌ [٢] من رَمْح [٣] دابة وهو غلام ، ولذلك يعرف بأشج بنى أُمية [٤] ، وقد رُوى أن عمر بن

(١) في الأصل « حياة » وانظر ما سبق من تصويبه ص ١٣٨ .

(٢) في هامش الأصل : رجل أشج بين الشجج في جسده أثر شجة : قاموس .

(٣) تحت كلمة « رمح » بخط صغير مخالف ما يأتى : الرمح بالفتح : الضرب .

(٤) بهامش الأصل بخط مختلف ما يأتى : قال الإمام « إمام » المحدثين شيخ المفسرين جلال الدين السيوطى رحمه الله : إن عمر بن عبد العزيز من خلفاء الراشدين على التحقيق سمعته من الثقة .

الخطاب رضى الله عنه كان يقول : إن من ولدى رجلا بوجهه شَيْنٌ (١) يملأُ الأَرض عَدْلا .

ولى الخلافة بالعهد من سليمان بن عبد الملك ، وبويع له بها بعد وفاة سليمان بدابق يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين .

قال ابن حزم : وكان سِنه حين ولى الخلافة ما بين الثلاثين سنة والأَربعين ، وكان نقش خاتمه : عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله ، وبقى فى الخلافة حتى توفى فى يوم الجمعة لخمس ، وقيل : لست بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وعمره تسع وثلاثون سنة ، ودفن بأَرض دير سَمْعان من عَمَل حِمْص ، وقيل : توفى بدير سمعان ودفن به . قال(٣٩ ب) صاحب حَمَاة : الظاهر أَن دير سمعان هو المعروف الآن بدير البَقرة من عمل مَعَرَّة النُّعْمَان ، قال : وكان موته بالسم من بنى أُمية ، عِلْماً منهم أَنه إن امتدت أَيامه أَخرج الأَمر عنهم ، وأَنه لا يعهد بعده إلا لمن يصلح للأَمر ، فعاجلوه .

---

(١) فوق كلمة شين بخط دقيق مختلف : يعنى العيب.

قلت : وفيما قاله نظر ، فإن عهد سليمان بن عبد الملك كـان متضمنا العهـد بعد عمر بن عبد العزيز ليزيد بن عبد الملك ، فلم يـكن لعمر أن يعهد لغيره .

وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً ، وقيل : خمسة أشهر فقط ، وقد قال العلماءُ فى قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله يبعث لأُمَّتى على رأْس كل مائة من يجدد لها دينها) : إنه كان على رأْس المائة الأُولى عمر بن عبد العزيز .

وكان له من الأَولاد أربعة عشر ذكرا ، منهم عبد الملك وكان ناسكا ، ومات فى حياته عن تسع عشرة سنة ونصف ، وعبد الله وكان شجاعا [1]

الحوادث والماجريات فى خلافته

بنى مسجد الجُحْفة ميقات الإحرام لحُجَّاج مصر ، واشترى ملطيَّة من الروم بمائة ألف أَسير ، وبناها ، وكان قبله خلفاءُ بنى أُمية يَسبُّون أَمير المؤمنين علىَّ بن أَبى طالب رضى الله عنه على المنابر من حين خَلَع الحسنُ نفسه فى سنة

---

(١) لم يذكر نسب قريش ولده .

إحدى وأربعين إلى أن وَلِيَ عمر بن عبد العزيز ، فأبطل ذلك وكتب إلى نوابه بإبطاله ، وجعل بدله قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ (١) الآية . فاستمر الخطباءُ على ذلك إلى الآن ، ومدحه كُثَيِّرٌ (٢) الشاعرُ بقوله :

وَلِيتَ فلم تشتُمْ عليًّا ولم تُخِفْ
بَرِيًّا ولم تَتْبَعْ سَجِيَّةَ مُجْرِم

وقُلْتَ فصدَّقْتَ الذى قُلْتَ بالذى
فعلتَ فأضحى راضيا كُلُّ مُسلِمِ

(١٤٠) ولايات الأمصار فى خلافته

ولّى على مصر بعد عبد الملك بن رفاعة أيوبَ بنَ شُرَحْبيل الأصبحىّ ، آخرَ سنةِ تسع وتسعين ، فمكث فيها سنتين وستة أشهر .

وكان على مكة عبدُ العزيز بن خالد بن أسيد عن سليمان

(١) سورة النحل الآية ٩٠

(٢) ديوانه جـ ٢ ص ١٢٢-١٢٣ وبين البيتين بيتان

ابن عبد الملك ، فأَقرَّه عليها .

وولَّى على المدينة عبدَ العزيز بن أرطاة ، فأَقام إلى أيام يزيد بن عبد الملك .

وولى على إفريقية بعد محمد بن يزيد إسماعيلَ بن عُبيد الله بن أَبي المُهاجر ، فأَسلم على يديه جميعُ البَربر ، وأَقام إلى أيام يزيد بن عبد الملك .

وكان على الأَندلس الحسنُ بن عبد الرحمن ، ثم السَّمْح ابن مالك الخَوْلانى ، فأَقام بها سنتين وتسعة أَشهر .

التاسع من خلفاء بنى أُمية

يزيد بن عبد الملك

وهو أَبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وأُمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أَبى سفيان ، ويقال : إنه كان يلقب القادر بصنع الله ، كان أَبيض جسيما مُدَوَّر الوجه ، شديد الكِبْر عاجزا ، وكان صاحب لهو ولذَّة ، وهو صاحب حَبابة [1] وسلاَّمة ، وهما جاريتان كان مُشْغُوفا

(١) ضبطها الأصل حبابة بضم الحاء . وفي نهاية الأرب حـ ٥ ص ٥٨ بفتح الحاء وهى بالفتح أيضا في الأغانى انظر مثلا حـ ٥ ص٨٤ طبع دار الكتب والجزء الخامس عشر نشر بيروت تحقيق عبد الستار فراج ترجمتها و (ترجمة سلامة القس في الجزء الثامن طبع دار الكتب).

بهما ، وماتت حَبّابة فمات بعدها بيسير ، قيل بسبعة عشر يوما ، أسفاً عليها ، وكان قد تركها أياما لم يدفنها ، لعدم استطاعته فراقها ، فعوتب على ذلك فدفنها ، ويقال : إنه نبشها بعد الدفن حتى شاهدها .

قلت : وأين مقام هذا من مقام الذى كان يهوى سَلاَّمة جاريَته الثانيةَ ، وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عمار[1] وذلك أنه مرَّ يوما بمنزل سيدها ، فسمع غناءها فهَويها ثم هويته (٤٠ ب) هى أيضا ، واجتمعا بعد ذلك فقالت له سلامة : إننى أُحبُّك ، فقال : وأنا أيضا أُحبك ، فقالت : وأنا أشتهى أن أُقبلك ، فقال : وأنا أيضا ، قالت : فما يمنعك ؛ قال : تقوى الله ، ثم قام وانصرف وتركها[2] . وكان عبد الرحمن هذا يعرف بالقَسّ لعبادته ، ولذلك عُرفت سلاَّمة هذه بسلامة القَسّ .

ولى الخلافة بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك له بها بعد عمر بن عبد العزيز ، على ما سيأتى ذكره فى الكلام على عهود الخلفاء للخلفاء ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) في الأغاني جـ ٨ ترجمة سلامة القس اسمه عبدالرحمن بن أبي عمار الجشمي

(٢) انظر القصة في ترجمة سلامة في الأغاني الجزء الثامن طبع دار الكتب

وقيل : إن أباه عبد الملك كان أدخله مع إخوته فى العهد إليهم ، فسلَّم لعمر بن عبد العزيز . وبويع له بالخلافة بعد موت عمر بن عبد العزيز فى يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة .

قال ابن حزم : وكان عمره يومئذ ما بين الثلاثين والأربعين . وكان نقش خاتمه : قِنِى السيئاتِ يا عزيز. وبقى حتى توفى بحَوْران من الشام ، لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وعمره تسع وعشرون سنة ، فيما ذكره القُضاعى فى «عيون المعارف» .

وقال المُؤَيَّد صاحب حماة فى «تاريخه» : كان عمره أربعين سنة ، وعليه ينطبق كلام ابن حزم ، حيث جعل ولايته فى ما بين الثلاثين والأربعين ، وكان له من الأولاد ثمانية ذكور ، منهم[1] عبد الله بن يزيد ، وَلَدَه سبعةُ خلفاء ، على ما سيأتى ذكره فى الباب السابع ، إن شاء الله تعالى ، ومنهم الوليد بن يزيد الآتى ذكره فى جملة الخلفاء .

---

(١) انظر أولاده في نسب قريش ص ١٦٦

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى أَيامه خرج يزيد بن المهلَّب بن أَبى صفرة ، فبعث إليه أَخاه (٤١ ا) فقاتله ، فقُتل يزيدُ بنُ المهلَّب وجميعُ آل المهلب ، وكانوا قوما كراما ، وفيهم يقول الشاعر [١]

نزلْتُ على آل المُهَلَّبِ شاتِياً
غريباً عن الأَوطان فى زَمَنِ المَحْلِ

فما زال بى إحسانهمْ وافتقادهمْ
وبِرُّهُمُ حتى حسبتُهُمْ أَهلى

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر من قِبَله بشرُ بن صفوان ، وقيل . صفوان نفسه ، ثم وليها عنه حنظلةُ أَخو صفوان .

وعزل عن مكة عبدَ العزيز بنَ خالد بن أَسِيد فى سنة ثلاث ومائة ، وأَضافها مع المدينة إلى عبد الرحمن بن

(١) في ابن خلكان ترجمة المهلب بن أبي صفرة : وللمهلب عقب كثير بخراسان يقال لهم المهالبة وفيهم يقول بعض شعراء الحماسة :

نزلت على آل المهلب شاتيا — بعيدا عن الأوطان في الزمن المحل

الضحّاك ، ثم عزله عن مكة والمدينة ، لثلاث سنين من ولايته ، وولّى مكانه عبدَ الواحد البصرى ، فبقى عليهما إلى أيام هشام بن عبد الملك . ولم أقف على عامله باليمن[1] .

وولى على العراقين عبدَ الله بن عمر بن عبد العزيز . وولى على إفريقية بعد إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر المقدّم ذِكرُه يزيدَ بن أبى مُسلم مولى الحجّاج ، فقدِمَها سنةَ إحدى ومائة ، فقتله البَرْبَرُ وأقاموا محمد بن يزيد الذى كان عليهم أوّلا ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك بذلك ، فأقرّه عليهم ، ثم ولّى عليها بعده بِشْر بن صَفوان الكلبىّ ، فقدمها سنة ثلاث ومائة ، ومات بها سنة تسع ومائة .

وكان على الأندلس عُقبة الكلبىّ ، فأقام بها إلى أيام مروان بن محمد الآتى ذكره .

---

(١) عمال اليمن نقلا عن معجم الأنساب ص ١٧٥ من الرسول إلى آخر بنى أمية : معاذ بن جبل بعثه الرسول ثم سار الأسود العنسى سنة ١٢ هـ وولى المهاجر بن أبى أمية سنة ١٣ • ويعلى بن أمية (٣٥) وعبيد الله بن العباس ٣٦ وعبد الله بن العباس سنة ٤٠ وجارية بن قدامة السعدى سنة ٤٠ وفيروز الديلمى (٤١) والحجاج بن يوسف (٧٣) ومحمد بن يوسف (٨٠) ويوسف بن عمر (١٠٦) والصلت بن يوسف (١٢٠) والقاسم بن عمر (١٢٨) وعبد الواحد بن سليمان .

العاشر من خلفاء بنى أمية

هشام بن عبد الملك

وهو أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان ، وقيل : إنه (٤١ ب) يلقب المنصور بالله ، وأُمه أُم هشام فاطمة بنت هشام المخزومى [١] ، كان أبيض رَبْعَةً جميلا سمينا منقلبـا [٢] ، له سياسة حسنة وتيقُّظٌ فى أمره ، مع مباشرته الأمور بنفسه .

ولى الخلافة بعهد من أخيه يزيد المقدَّم ذكْره ، وبويع له بالخلافة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وعمره يومئذ أربع وثلاثون سنة وأشهر ، وكان حين مات أخوه يزيد بن عبد الملك مقيما بالرّصافة من بلاد الشام فى دار له صغيرة ، فجاءته الخلافة على البريد ، فركب من الرصافة ، إلى دمشق ، فكانت بيعته ، ولما ولى الخلافة اختار الرصافة منزلا ، لطيب هوائها وبعدها من الوَباء ، وابتنى بها قصرين ونزلهما ، ومن هنالك نُسبت إليه فقيل

(١) فى الأصل : «وأمه أم هاشم فاطمة بنت هاشم المخزومى» والتصويب من نسب قريش ص ١٦٤

(٢) فى الأصل : منقلب

رصافة هشام ، وكان له من السُّتور والـكِسْوة والطُّرُز مالم يـكن لمن قبله من الخلفاء ، وكان نقش خاتمه : الحُـكْم للـحَـكَمِ الحـكيم .

قال ابن حزم : وكان عمره حين ولى الخلافة ما بين الخمسين والستين [1] ، وبقى فى الخـلافة حتى توفى بالرصافة لست خلون من شهر ربيـع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وعمره ثلاث وخمسون سنة ، وقيل أَربع وخمسون وشهور ، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة أَشهر وأَحد عشر يوماً : وقيل وتسعة أَشهر .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى أَيامه فى سنة ثمانَ عشرةَ ومائة غزا أَسدُ بنُ عبد الله القسرى بـلادَ التُّرك ، وقتل خاقان ملـكَهم فى جماعـة كثيرة من قومه ، وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة ، وفى سنة إحدى وعشرين (١٢٤) ومائة غزا مروان بن محمد ــ وهو على الجزيرة وأَرمينية ــ بلاد صاحب السَّرير ، فأَجاب

(١) هذا اختلاف كبير ، فعمره حين ولى بين الثلاثين والأربعين ، وحين توفي بين الخمسين والستين ، ومكث في الخلافة عشرين عاما تقريبا

إلى الجزية فى كلّ سنة سبعين ألف رأْس يؤديها ، وغزا مسلمةُ بن عبد الملك بلاد الروم ، فافتتح حصونا وغَنمَ. وغزا نصر بن سيَّار بلادَ ما وراء النهر ، وقتل مَلك التُّرك ، ثم مضى إلى فَرْغانة من بلاد الترك فسبى سبيا كثيرا .

وفى خلافته خرج زيد بن علىٍّ بالكوفة ، ودعا إلى نفسه ، وبايعه جمع كثير ، فقتله يوسفُ بنُ عُمر الثقفىُّ وصلبه ، وبعث برأْسه إلى هشام بن عبد الملك ، فنصبها بدمشق ، ولم تزل منصوبة حتى مات هشام ، ويقال : إن هذه الرأْس حملت بعد ذلك إلى مصر ، ودفنت بين مصر والقاهرة ، فى المشهد الذى بين الكيمان الآن المعروف بمشهد الرأْس . وإلى زيد هذا تُنسب طائفة الزَّيدية ، وهم فرقة من الشيعة .

وفى خلافته تُوفى الحسنُ البَصرى ومحمدُ بن سيرين ، وتوفى محمدٌ الباقرُ بن زين العابدين فى سنة إحدى عشرة[1] ، وتوفى نافع مولى عمر بن الخطاب فى سنة سبعَ عشرةَ ومائةٍ ، وتوفى الزُّهْرىُّ فى سنة اثنتين وعشرين ومائة .

---

(١) كذا بالأصل ولعلها « إحدى عشرة ومائة »

ولايات الأمصار فى خلافته

فى أيامه كان على مصر حَنظلةُ أخو صفوان ، فَوَلَّى عليها عِوَضَه أخاه[1] محمدَ بن عبد الملك فى سنة خمس ومائة ، فمكث فيها أشهرا ، ثم استعفى فولاّها حفصَ بن الوليد الحضرمىَّ ، ثم صرفه وولاها عبدَ الملك بن رفاعة ، فبقى بها حتى توفى .

قلت : وقد حكى القُضاعى فى « خطط مصر » فى الكلام على دار الإمام اللَّيث بن سعْد أنه كان لليث دارٌ ببلدتنا قَلْقَشَنْدة . فهدمها (٤٢ ب) عبدُ الملك بن رفاعة هذا عنادا له ، فعمَّرها الليثُ ، فهدمها عبدُ الملك ، فعمَّرها ، فهدمها ، فلما كان فى الثالثة بينما الليث نائمٌ إذا بهاتف يهتف به : قم يا ليث ﴿ ونُرِيدُ أَنْ نمُنَّ عَلَى الَّذينَ اسْتُضْعفُوا فى الأَرْض ونَجْعَلَهُمْ أَئمَّةً ونَجْعَلَهُمُ الْوَارثين﴾[2] فأصبح ابنُ رفاعة وقد أصابه فالجٌ[3] فأوصى إلى الليث وبقى ثلاثا ثم مات ، ويؤيد ذلك ما حكاه ابنُ يونس مؤرخ مصر فى « تاريخه » أن الليث وُلد بقلقشندة ، وأنه لا عبرة بما يقال : إنه منسوب إلى فارس .

(١) فى الأصل : أخوه

(٢) سورة القصص الآية ٥

(٣) الفالج : داء يحدث فى أحد شقى البدن فيبطل إحساسه وحركته

ثم تولاها بعد عبد الملك بن رفاعة أخوه الوليد بن رفاعة ، ثم توفى ، فتولاها عبد الرحمن بن خالد ، ثم صرفه وولاها حنظلةَ بنَ صفوان ، ثم صيره إلى إفريقية وولاها حفصَ بن الوليد ، وقيل ، وليها بعد محمد بن عبد الملك عبدُ الله بنُ يوسف الثقفى ، ثم عبدُ الملك بن رفاعة ، ثم أخوه الوليد ، ثم عبد الرحمن الفهرى [1] ، ثم حنظلة فى سنة عشرين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين وكَسْرًا إلى زمن الوليد بن يزيد بعده .

وكان على مكة والمدينة عبدُ الواحد البَصرى ، فعزله وولى عليهما إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، ثم عزله سنة أربع عشرة ومائة ، وولى مكانه على مكة والطائف دون المدينة محمدَ بن هشام المخزومى .

وأما المدينة فولَّى عليها بعد إبراهيم بن هشام خالدَ بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ، ثم عزله سنة ثمان عشرة ومائة ، وولى مكانه محمد بن هشام بن إسماعيل . ولم أقف على عماله على اليمن .

(١) في معجم الأنساب : الفهمى . أما في صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٢٤ فكالأصل .

[1]وكان على إفريقية بشرُ بن صفوان ، فعزله وولى عليها عبيدة بن عبد الرحمن السُّلَمى ، فقدمها سنة عشر ومائة ، ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن الحبحاب ، فقدمها سنة أربع عشرة ومائة ، وبنى جامع تُونس ، واتخذ بها دارًا لعمل المراكب البَحْرِيّة ، ثم عزله وولى مكانه كُلثوم بن عِياض ، فقدمها سنة ثلاث وعشرين ومائة ، ثم (٤٣ ا) بعث إليها حنظلة بن صفوان الكلبي ، فقدمها سنة أربع وعشرين ومائة ، ثم خرج عليه عبد الرحمن بن حَبيب سنة ست وعشرين ومائة ، فطرده عنها واستقلّ بإمارتها ، وأقام إلى أيام الوليد بن يزيد الآتى ذكره .

وكان على الأندلس عُقبة الكلبيُّ ، فأقام عليها أربع سنين وخمسة أشهر ، ثم وليها يحيي بن مَسلمة سنتين وستة أشهر ، ثم وليها حُذيفة بن الأحوص القَيْسى سنة واحدة ، ثم وليها عثمان بن سعد الخثعمى خمسة أشهر ، ثم وليها الهيثم بن عُبيد خمسة أشهر ، ثم وليها

(١) في صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٦ أن يوسف بن عمرو « عمر » كان على اليمن سنة ثمان ومائة .

عبد الرحمن بن عبد الله الغَافقى سنتين وثمانية أشهر ، ثم وليها عبد الملك بن قطار أَربع سنين ، ثم وليها عُقبة بن الحجاج خمس سنين ، ثم وليها بَلْخُ بن بِشر القيسى ، ثم وليها حُسام بن ضِرار الكلبىّ ، فأَقام بها إلى أَيام الوليد بن يزيد .

الحادى عشر من خلفاء بنى أُمية

الوليد بن يزيد

وهو أَبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، ويقال : إنه كان يلقب المكتفى بالله . وأُمه أُمُّ الحجَّاج بنت محمَّد بن يوسف أَخى الحجاج بن يوسف ، وكان أَبيض اللون رَبْعَة القَدِّ ، قد وَخَطه الشيبُ ، شاعرا فصيحا ، وكان مصروف الهمة إلى اللهو والأَكل والشرب وسماع الغناء ، وكان من ظُرفاء بنى أُمية ، بويع له بالخلافة يوم الأَربعاء لثلاث خلون من ربيع الأَول سنة خمس وعشرين ومائة ، ولم يل الخلافةَ من بنى عبد الملك أَسنّ منه ، لأَنه وليها بعد مجاوزة الأَربعين ، وكان نقش خاتمه : يا وليد احْذَر الموتَ . وبقى فى الخلافة حتى توفى قتيلا فى يوم

الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة عند قصر النعمان بن بشير ، وذلك أن ابن عمه يزيد ابن الوليد بن عبد الملك أحس منه كثرة تجروٍّ ولَهو [1] بعد أن رُمى بالكفر وغِشْيان (٤٣ ب) أُمهات أَولاد أَبيه ، فسار إليه وقتله هناك ، وعمره يومئذ اثنتان وأَربعون سنة . وقيل غيرذلك . وكانت مدة خلافته سنة واحدة وثلاثة أَشهر ، وكان له من الأَولاد ثلاثة عشر ذكراً وعدة بنات [2] ، وكان قد عهد بالخلافة لولديه عثمانَ والحَكَم ، فلما قتله يزيد حبسهما ، فبقيا فى الحبس حتى ولى مروان بن محمد الخلافَة فقتلهما .

الحوادث والماجريات فى خلافته

كان فى خلافة هشام مقيما بالبَرِّيَّة فى نفر من قومه فى أَسوأ حال ، فلما ولى الخلافة أَقبل على لذّاته من شرب الخمر وسماع الغناء ومعاشرة النساء . وزاد فى العطايا حتى خرج فى العطاء عن الحد ، وفى أَيامه تحرك أَمر الدولة العباسية ، ووصل إلى محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس هدايا من

(١) ضبطت في الأصل «تجر» بكسرتين تحت الراء

(٢) انظر أولاده في نسب قريش ص ١٦٧

خراسان ، وقدم عليه أبو مسلم الخراسانى داعى بنى العباس ، ثم مات محمد بن على فى آخر سنة خمس وعشرين ومائة بعد أن أوصى أن الأمر فى ولده لإبراهيم الإمام ، فإن قتل فابن الحارثيَّة يعنى السَّفَّاحَ .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر حنظلةُ بن صفوان ، وقال القضاعى : كان عليها حفص ، ثم صرفه عن الخراج .

وكان على مكة خالد بن عبد الملك ، وعلى المدينة محمد ابن هشام ، فولَّى عليها وعلى سائر أعمال الحجاز خالَه يوسفَ بن محمد بن يوسف الثقفى ، فى سنة أربع وعشرين ومائة ، فأقام إلى زمن مروانَ بن محمد آخر خلفائهم . ولم أقف على عامله على اليمن .

وكان على الأندلس حسام بن ضرار ، فأقره عليها .

(١٤٤) الثانى عشر من خلفاء بنى أُمية

يزيد بن الوليد

وهو أبو خالد يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن

مروان ، وأُمه شاهفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهران . يقال : إنه كان يلقب الشاكر لأَنعم الله ، كان أَسمر نحيف البدن مربوعاً ، وقيل : طويلا ، صغير الرأْس جميل الوجه خَفيف العارضين شديد العُجْب بنفسه ، بويع له بالخلافة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة بعد قتل الوليد بن يزيد .

ومقتضى كلام ابن حزم أَن عمره حين ولى الخلافة فيما بين العشرين والثلاثين ، وكان نقش خاتمه : يا يزيد قُمْ بالحق ، وبقى فى الخلافة حتى توفى بدمشق لعشرين بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، وعمره يومئذ أَربعون سنة ، وقيل : ست وأَربعون ، وقيل : ثلاثون ، وكانت مدة خلافته خمسة أَشهر واثنين وعشرين يوما .

قال القضاعى : وكان له عقب كثير ، ولم يذكر اسم أَحد منهم . (١)

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة أَظهر حسن السيرة ، إلا أَنه نقص ماكان زاده الوليد فى العطايا ، وردّها إلى ما كانت عليه فى

(١) لم يذكر عقب له أيضا في نسب قريش

زمن هشام بن عبد الملك ، فلقبوه لذلك الناقص ، وكان قد امتنع عن بيعته والدخول فى طاعته أَهلُ حمص وأَهلُ فلسطين ، فقاتلهم حتى أَذعنوا ودخلوا تحت الطاعة .

ولايات الأَمصـــار فى خلافته

كان على مصر حنظلة بن صفوان ، فأَقرّه عليها .

وكان على مـكة (٤٤ ب) والمدينة وسائر الحجاز يوسُف بن محمد بن يوسف الثقفى ، فأَقرَّه عليها . ولم أَقف على عماله على اليمن .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبد الرحمن بن حبيب ، فأَقره عليها .

وكان على الأَندلس حُسام بن ضرار ، فأَقره عليها ، فوليها بعده ثَوابة الجُذامى ، فأَقام فيها سنة واحدة

الثالث عشر من خلفاء بنى أُمية

إبراهيم بن الوليد

وهو أَبو إسحاق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن

مروان ، ويقال : إنه كان يلقب المقتدر بالله ، وأمه أم ولد اسمها نعمة ، وقيل خِشْف ، كان خفيف العارضين ، له ضفيرتان [1] من شعر ، ويقال : إنه كان عاجزا ضعيف الرأى . بويع له بالخلافة فى ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة .

قال ابن حزم : وسنه يومئذ ما بين الثلاثين والأربعين ، ولم يتمّ له الأمر لعجزه ، حتى كان أتباعه تارة يُسلّمون عليه بالخلافة ، وتارة بالإمارة ، وتارة بغير ذلك ، وكان نقش خاتمه : توكلت على الحىّ القيوم ، وبقى فى الخلافة حتى خَلع نفسه وسلّم الأمر إلى مروان بن محمد ، الآتى ذكره ، فى صفر سنة سبع وعشرين ومائة ، وبقى حتى قتله أبوعون يوم الزّاب . وقيل : غرق . وقيل : قتله مروان وصلبه ، ولم يقع لى ذكر أولاده [2] .

الحوادث والماجريات فى خلافته

كان بينه وبين مروان بن محمد قتال كثير ، كان آخر الأمر فيه انهزام إبراهيم المذكور وخلع نفسه ، كما تقدم .

---

(١) في الأصل . ظفيرتان

(٢) ولم يذكر له عقب في نسب قريش

ولايات الأمصار فى خلافته

(٤٥ ا) كان على مصر حنظلة بن صفوان ، فأقرّه عليها .

وكان على مكة والمدينة وسائر الحجاز يوسف بن محمد بن يوسف الثقفى ، فأقرّه على ذلك . ولم أقف على عماله على اليمن .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبد الرحمن بن حبيب ، فأقره عليها .

وكان على الأندلس ثوابة الجُذامى ، فأقرّه عليها .

الرابع عشر من خلفاء بنى أُمية

مروان بن محمد

وهو أبو عبد الملك مروانُ بن محمد بن مروان بن الحكم ، ويقال : إنه كان يلقب القائم بحقّ الله ، وأُمه لبابة جارية إبراهيم [بن] الأشتر ، وكانت كُردية ، ويعرف بالجَعْدىّ ، لأنه أخذ عن الجعد بن دِرْهم مذهبه فى الكلام فى القول بخلق القرآن والقَدَر ، ويعرف أيضا بحمار

الجزيرة ، لأَنه كان واليا بها من جهة الوليد بن يزيد ، وهو آخر خلفائهم ، وكان أَبيض أَشهل ضخم القامة كَثَّ اللِّحية أَبيضها ، شجاعاً حازماً صابرا على التعب ، وكان يُغرى بين القبائل ، وكان مع ذلك بليغا له رسائل .

ومقتضى[1] كلام ابن حزم أَنه كان سنه ما بين الثلاثين والعشرين ، وكان نقش خاتمه : اذْكر اللهَ يا غافل ، وبقى فى الخلافة حتى توفى قتيلا بالديار المصرية ، بقرية يقال لها بُوصير ، لثلاث بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة ، وكان له من الأَولاد[2] ذكران ، وهما : عبد الله وعبيد الله ، فهربا بعد قتله .

فأَما عبيد الله فهرب إلى الحبشة فقُتل بها ، وأَما عبد الله فيقـال إنه قُبض عليه وحُبس إلى أَيام الرشيـد فأُخرج ضريرا ومات ببغداد .

الحوادث والماجريات فى خلافته

(٤٥ ب) لما بويع له بالخلافة قصد يزيدَ بن الوليد لطلب

---

(١) في الأصل وتقضيه

(٢) لم يذكر أولاده في نسب قريش

دم الوليد بن يزيد وخلاص الحَكَم وعثمانَ - ولدَىْ الوليد بن يزيدَ اللَّذَيْن كان قد جعلهما أبوهما المذكور وليَّىْ عهده - من السجن ، فوجد يزيد بن الوليد قد مات ، وأخاه إبراهيم قد قُتل ، والحكم وعثمان ولدى الوليد فى السجن ، فحضر إليه أبو محمد السُّفيانى ، وكان معهما فى السجن ، فسلَّم عليه بالخلافة ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : إنهما قد جعلاها لك يا أمير المؤمنين ، وأنشده بيتا كان قد قاله الحكم فى السجن وهو :

فإنْ أُقْتَلْ أنا وَوَلىٌّ عهدى فمروانٌ أميرُ المؤمنينَا

ولما صارت إليه الخلافة عصى عليه أهل حمص وأهل غُوطة دمشق ، وأهلُ فلسطين ، فبعث من قاتلهم حتى انقادوا ودخلوا فى طاعته ، ولم يصحّ فى شىء من خلافته ، ولم يزل أمره مضطربا حتى ظهر أبو مسلم الخراسانى داعيةُ بنى العباس بخراسان ، فأخذ أمرُه فى الاضمحلال ، وجهز له أبو العباس السفاحُ عبدَ الله بنَ علىٍّ بن عبد الله بن عباس فى جيش ، وخرج مروان لملاقاته ، فالتقيا فى زَاب الموصل ، فانهزم مروانُ - وعبْدُ الله فى

أَثـــره — إلى نهر أبي فُطْرُس من فلسطين ، فالْتقيا ، فقتل خلق كثير من بنى أُمية ممن كان مع مروان ، وهرب مروان حينئذ إلى مصر ، وقد تلاشى حاله ، وتبعه صالح بن على بن عبد الله بن عباس ، حتى أدركه ببُوصير من صعيد مصر ، وقد اختبأَ فى كنيسة هناك ، فاحتزَّ رأسه وجهَّزها إلى السفاح ، فلما انتهت إليه خرَّ ساجدًا لله تعالى .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر حنظلة بن صفوان ، فعزله وولّى عليها عُتَابة [1] التُّجيبِى سنة سبــع وعشرين ومائة ، فمكث فيها خمس سنين أَو دونها ، ثم وليها (٤٦ ا) عنه حفصُ ابن الوليد سنة ثمان وعشرين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين وستة أَشهر ، ثم وليها عنه الفزارى [2] سنة إحـــدى وثلاثين ومائة . فمكث فيها سنة واحدة ، ثم وليها عنـــه

(١) هذا هو ضبط الأصل وفي صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٢٥ بدون ضبط . ويفهم من معجم الأنساب أنه عتاهية إذ عد من الولاة بعد حفص بن الوليد : حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن التجيبى ولم يذكر عتابة. وسيأتى في الأصل أيضا في (٤٦ ا) حسان بن عتاهية ولم يذكر في النجوم الزاهرة عتابة من الولاة ولا عتاهية من الولاة وكذلك لايوجد في كتاب الولاة والقضاة وإنما الذى تولى في سنة ١٢٧ هو حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن بن حسان بن عتاهية التجيبي . انظر كتاب الولاة والقضاة ص ٨٥ فيكون صواب الأصل (وولى عليها حسان بن عتاهية التجيبى) .

(٢) الفزارى هو المغيرة بن عبيد الله « انظر النجوم الزاهرة » ج ١ ص ٣١٤

عبد الملك بن مروان مولى لخم ، سنة إحدى وثلاثين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ، وهو آخر عمالهم عليها .

وقال فى «عيون المعارف» : وليها بعد حفص حسانُ بن عَتاهية ، ثم حفص بن الوليد ، ثم حوثرة بن سُهَيْل العجلانى [1] ، ثم المغيرة بن عبيد الله ، ثم عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير [2] إلى آخر أيام مروان .

وكان على مكة والمدينة والحجاز يوسف بن محمد بن يوسف الثقفى ، فولّى مكانه على ذلك عبدَ العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، ثم عزله فى سنة تسع وعشرين ومائة ، وولى مكانه عبد الواحد ، وهو آخر عمالهم بالحجاز .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبد الرحمن بن حبيب ، فأَقره عليها ، وكتب إليه بولايتها ، وهو آخر عمالهم عليها.

وكان على الأَندلس ثوابة الجذامى ، فولّى عليها يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، فاستقرّ إلى أن زالت دولتهم .

---

(١) في الأصل جويرية وفي كتاب الولاة والقضاة ص ٨٨ حوثرة بن سهيل وكذلك في النجوم الزاهرة حـ ١ ص ٣٠٥ حوثرة بن سهيل أخو عجلان الباهلى

(٢) في الأصل ثم موسى بن نصير لكن في النجوم الزاهرة حـ ١ ص ٣١٦ عبد الملك بن مروان ابن موسى بن نصير وكذلك الولاة والقضاة ص ٩٣ عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير مولى لخم. هذا وفي صبح الأعشى جـ٣ ص ٣٤٢ جاء ما يأتى « وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة أمر موسى بن نصير اللخمى وهو أمير مصر باتخاذ المنابر في جميع جوامع قرى مصر » ولا شك أن في الأصل وفي صبح الأعشى تحريفاً ونقصاً .

تذنيب

كانت مدة خلفاء بنىْ أُمية منذ خلص الأَمر لمعاوية وإلى أَن قتل مروان إحدى وتسعين سنة وتسعة أَشهر وخمسة أَيام وهى أَلف شهر تقريبا .

قيل : إنه لما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل فقال له : يا مُسَوِّدَ وجوهِ المؤمنين . فقال : لا تعذلنى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأَى فى منامه أَن بنى أُمية ينزون على منبره واحدًا فواحدا ، فساءه ذلك ، فأَنزل الله تعالى عليه ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (١) يعنى أَلف شهر يملكها بنو أُمية .

ولما قُتل مروان بن محمد آخرُ خلفائهم قَتَلَ السَّفَّاحُ سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقتل عَمُّهُ (٤٦ ب) علىّ ابن عبد الله بن علىٍّ نحوَ تسعين رجلا من بنى أُمية ، كانوا قد اجتمعوا إليه ، أمر بضربهم بالعُمُدِ حتى أَلقوا إلى الأَرض ، وكان ذلك وقتَ حضور الطعام ، فأَمر أَن تبسط عليهم الأَنطاع ويُمَدَّ عليهم الخِوان ، وأَكل الناس وهم

(١) سورة القدر الآيات من ١ – ٣

يسمعون أَنينهم حتى ماتوا جميعا ، وأَمر عبدُ الله بنبش قبور بنى أُمية بدمشق ، فنُبش قبرُ معاوية بن أَبى سفيان ، وقبرُ يزيد ابنه ، وقبرُ عبد الملك بن مروان ، وقبرُ هشام بن عبد الملك فوُجد صحيحاً ، فأَمر به فضرب مائة وعشرين سوطا ، وصُلب ثم أَحرقه بالنار وذرَّاه فى الهواء ، وتتبع بنى أُمية من أَولاد الخلفاء فقتلهم ، وكذلك قتل سليمانُ ابنُ علىّ بن عبد الله بن عباس بالبصرة جماعةً من بنى أُمية ، وأَلقاهم على الطريق ، فأَكلتهم الكلاب ، وتشتت من بقى من بنى أُمية هربا فى البلاد ، وهرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك إلى الأَندلس ، فبايعه أَهلها على ما سيأْتى فى الكلام على المدَّعين [1] للخلافة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثالثة من الخلفاء

خلفاء بنى العباس بالعراق

اعلم أَن الخلافة فى بنى العباس بالنصّ ، فقد رُوِىَ أَن العباس رضى الله عنه حين امتدح النبى صلى الله عليه وسلم بقوله :

(١) فى الأصل : المدعين .

مِن قَبلِها طِبْـــتَ فى الظِّـــلال وفى

مُسْتَوْدعٍ حيث يُخصَـفُ الـــوَرَقُ

ثم هَبطْـــتَ البـــلاد لا بَشَـــرٌ

أَنـــت ولا مُضغـــةٌ ولا عَلَـــقُ

بـــل نطفـــةٌ تـــركب السَّفيـــنَ وقد

أَلْجـــم نَسْرًا وأَهْـــلَه الغَـــرَقُ

تُنْقَـــلُ من صالـــبٍ إلى رَحـــمٍ

إذَا مضى عَالَـمٌ بَـــدَا طَبَـــقُ

حـــتى احتوى بَيْتَـــك المُهَيْمِـــنُ من

خِنْدِف عليـــا تحتُهـــا النُّطُـــق

وأنت لمـــا وُلِدْتَ أَشـــرقـــت الْـ

ـأَرض وضاءت بنورك الأُفُـــقُ

(١٤٧ ا) فنحن فى ذلك الضياء وفى النو

رِ وسُبْل الرَّشـــادِ نَخْـــتَرِقُ

أَسَرَّ إليـــه النبي صلى الله عليه وسلم أن قال : (ألا أُبشرك يا عمّ ؟ بي خُتمت النبوة ، وبولدك تُختم الخلافة) . وقد رأينا ذلك عِيانا ، وهو أنه مُذ آل الأَمر إليهم من بعـــد بنى أُمية وهو مستمر فيهم إلى يومنا هذا ، ولم يبرح عنهم ولم يتحول ، وهى معجزة من معجزاته التى أخبر فيهـــا بما سيـــكون ، وليست بـأَول معجزاته .

وجملة من كان بخلفائهم بالعراق سبعةٌ وثلاثون خليفة .

الأَول من خلفاء بنى العباس بالعراق

السفاح

وهو أَبو العباس عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب .

واختلف فى لقبه المتعلّق بالخلافة ، فقيل : القائم ، وقيل : المهتدِى ، وقيل : المُرْتَضى ، وغلب عليه السفّاح ، لـــكثرة ماسفح من دماءِ بنى أُمية ، يعنى : أَسالَ .

وأُمه ريطةُ بنت [1] عبيد الله بن عبد الله بن عبد المَدَان

(١) فى تاريخ الخلفاء ص ١٠٠ رائطة

الحارِثىّ . كان أَبيض اللون طويلا ، أَقْنَى الأَنفِ حَسنَ الوجهِ واللِّحية ،له وَفْرَةُ شَعَرٍ ، سديدَ الرأْى كريمَ الأَخلاقِ ، وافِر الجُودِ ، حتى يقال : إِنه وصل عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أَبى طالب رضى الله عنه بأَلفى أَلف درهم ، وهو أَول خليفة وصل بهذه الجملة .

كان قد بويع له بالكوفة يوم الجمعة لثلاثَ عشرة ليلةً خلت من شهر ربيع الأَول سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، قبل قتل مروانَ بنِ محمد آخرِ خلفاء بنى أُمية بثمانية أَشهر .

قال ابن حزم : كان سنه حين ولى ما بين الثلاثين والأَربعين ، وفيه نظر ، لأَنه سيأْتى أَنه توفى سنة ست وثلاثين ومائة ، وأَن خلافته أَربع سنين . وكان نقشُ خاتمه : اللهُ ثِقَةُ عبد الله وبه يُؤمن (٤٧ ب). وبقى فى الخلافة حتى توفى بالجُدَرِىّ ، وقال ابن أَزهر : سَمُّوه بالمدينة الهاشمية التى بناها بالعراق يوم الأَحد لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة ونصف ، فيما ذكره القُضاعى ، وقال صاحب حماة : ثلاثٌ وثلاثون سنة ، وصلّى عليه

عمه عيسى بن على بن عبد الله بن عباس ، ودُفن بالأنبار العتيقة ، وكانت مدة خلافته أربعَ سنين . وقد تقدم أنه كان قد بويع له قبل قتل مروان بثمانية أشهر ، فتكون جميع مدته أربع سنين وثمانية أشهر ، وكان له ولد يُسمى محمدا مات صغيرا ، وابنةٌ اسمها رَيْطة تزوجها المهدىُّ .

الحوادث والماجريات فى خلافته

سار بعد مبايعته بالخلافة من الكوفة إلى الحيرة من العراق فأقام بها ، ثم سار منها إلى الأنبار من العراق أيضا سنة أربع وثلاثين ومائة ، وبنى بها مدينة سماها الهاشميّة ونزلها ، واستوزر أبا سلمةَ حَفْصَ بن سليمان الخلّال ، وهو أول من لُقِّب بالوزارة فى الإسلام ، وكانوا قبل ذلك يقولون كاتباً ، ثم قتله ، واستوزر خالد بن بَرْمك ، وهو جدُّ البرامكة المعروفين بالجود ، واستقضى فى أول خلافته ابنَ أبى ليلى ، ثم استقضى غيره ، ولما بُويع خلع طاعتَه أَبو الوَرْد بن الكوثر بِقِنَّسْرين ، فسار إليه عبد الله ابن على بن عبد الله بن عباس فى جيش ، فهزمه وقتل أبا الورد ، ثم عاد إلى دمشق وقد خرج أهلها عن الطاعة ، فهربوا منه ، ثم آمنهم ، فدخلوا فى الطاعة .

ولايات الأَمصار فى خلافته

(٤٨ ا) كان على مصر أيام مروان بنِ محمدآخرِ خلفاء بنى أُمية عبدُ الملك بنُ مروان اللخمىُّ ، فعزله عنها وولّى عليها صالح بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فمكث فيها أشهرا قلائل ثم سار عنها ، فوليها عنه أبو عون عبد الملك مولى بنى أسد آخر سنةَ ثلاث وثلاثين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين ، ثم وليها عنه صالح بن على ثانيا فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، فأقام فيها إلى أيام أبى جعفر المنصور الآتى ذكره .

ووليَ على الشام عمُّه عبدُ الله بن على بن عبد الله بن عباس فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فبقى إلى أيام المنصور .

وَولِيَ على خراسان والجبال أبو مسلم الخراسانى .

وكان على مكة والمدينة وسائر الحجاز يوسف بن محمد ابن يوسف الثقفى ، فعزله وولى على ذلك عمه داود بن على ، وتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فولى مكانه فى جميع ذلك زياد بن عبد الله بن عبد الدار الحارثى ، ثم

ولى على مكة السرىّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس ، فبقى فيها إلى أيام أبى جعفر المنصور .

وولى على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسرى ، ثم عزله وولى مكانه رياح بن عثمان المُرّى ، ثم قتل فولى مكانه عبد الله بن الربيع الحارثى ، فبقى فيها إلى أيام أبى جعفر المنصور .

وولى على اليمن عمه داود ، ثم توفى فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فولى مكانه عمر بن زيد بن عبد الله بن عبد المَدَان [1] ، فتوفى فى سنة أربع وثلاثين ومائة ، فولى مكانه علىّ بن الربيع بن عبيد الله [2] .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب يوسف بن عبد الرحمن الفِهرى ، فبعث إلى السفاح بطاعته ؛ فأقرّه عليها ، ثم قُتل سنة سبع وثلاثين ومائة ، ثم غلب عليها عبد الملك بن

(١) في معجم الأنساب ص ١٧٦ « محمد بن زياد بن عبيدالله بن عبدالمدان الحارثى » وأحال المترجم على الطبرى ـ ٢ ص ١٢٥٢ طبعة أوروبا .

(٢) هوكذلك في صبح الأعشى أيضاً ـ ٥ ص٢٧ وفي معجم الانساب : عبدالله. هذا ونسوق الولاة من معجم الأنساب لتصل ما مضى وتربط ما سيأتى نقلا عن معجم الأنساب ص ١٧٦ : معن بن زائدة بن عبدالله ١٤٠ ويزيد بن المنصور (وناب عنه رجاء بن روح) وعلى بن سليمان الربعي ومنصور بن يزيد (١٦٤) وعبدالله بن سليمان مرة ثانية (١٦٦) وسليمان بن يزيد الحارثى ١٦٧ وإبراهيم بن سلم بن قتيبة ١٦٩

أَبى الجعد وأَساءَ السيرةَ ، ثم غلب عليها عبد الأَعلى بن السمح .

وكان على الأَندلس (٤٨ ب) يوسف بن عبد الرحمن الفهرى من زمن مروان بن محمد آخرِ خلفاء بنى أُمية ، فأَقام بها أَيامه ، وأَول أَيام أَبى جعفر المنصور بعده ، حتى استولى عليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان فى خلافة أَبى جعفر المذكور ، واستمرت بعده بيد بنى أُمية بالأَندلُس إلى حين انقراض دولتهم .

الثانى من خلفاء بنى العباس بالعراق

المنصور

وهو أَبو جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وهو أَخو السفاح المقدم ذكره ، وأُمه سلامه بنت بشير . وُلد بالحُميمة من أَرض الشَّراة ، وكان أَسمر نحيفاً خفيف العارضين ، يخضِب بالسواد ، قال فى « عيون المعارف » : يقال : إنه كان يُغَبِّر شيبَه بأَلْف مثقالمسك فى كل شهر ، وكان حازم الرأْى ، قد عَركته الأَيام ، على غاية من الحزم وصواب التدبير ، وكان أَخوه أَبو العباس

السفاح قد عهد إليه بالخلافة ثم من بعده إلى ابن أخيه عيسى ابن موسى ، وجعل العهد فى ثوب وختم عليه ودفعه إلى عيسى ابن موسى ، فاستنزل عيسى عن عهده ، وعهد بها لابنه المهدى ، وبويع له بها بعد موت أخيه السفاح فى اليوم الذى مات فيه لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وهو يومئذ بمكة ، وقام عمه عيسى ابن على ببيعته ، وأتته الخلافة تزهو بطريق مكة بالصُّفيَّة فقال : صفا أمرُنا إن شاءَ الله تعالى ، وكان نَقْشَ خاتمه . . [1]

قال ابن حزم : وكان سنه حين ولى ما بين الأربعين والخمسين ، وبقى فى الخلافة حتى توفى وهو محرم بالحج ببئر ميمون على أميال من مكة ، فى السادس من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة (٤٩ ا) وعمره ثلاث وستون سنة وقيل : أربع وستون . وصلَّى عليه إبراهيم بن يحي بن محمد بن على بن عباس ، ودفن بالحَجون ، وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة وثلاثة أشهر ، ويقال ثنتين وعشرين سنة إلا سبعة أيام .

ويقال : إنه ولد فى ذى الحجة ، وكان يتوقع أن يموت فى ذى الحجة ، فكان كذلك ، وكان له من الأولاد تسعة

(١) بياض بالأصل ولم نعثر على نقش خاتمه كما أنه لم يذكره في صبح الأعشى ج ٦ ص ٣٥٤

ذكور وهم : محمد المهدى الآتى ذكره ، وجعفر وبه كان يكنى ، وصالح وسليمان وعيسى ويعقوب والقاسم وعبد العزيز وعباس ، وبنت واحدة اسمها العالية [1] .

وهو أَول من مُشِى بين يديه بالسيوف المُصلتة والقِسِيّ والنُّشَّاب ، وهو أَول من لعب بالصَّولجان فى الإسلام ، على ما سيأْتى ذكره فى الباب السابع .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى أَيامه فتحت المُلْتان والقُنْدُهار من أَرض السند [2] وهدم البُدُّ وبُنِيَ موضعه مسجدٌ .

وفى سنة سبع وثلاثين قتل أَبا مسلم الخراسانى صاحب

(١) في جمهرة أنساب العرب زاد من أبنائه عليا وجعفرا المعروف بابن الكردية وهو غير جعفر الأكبر .

(٢) في فتوح البلدان ص ٤٣٩ – ٤٤٠ «أن الملتان فتحها محمد بن القاسم في أيام الوليد بن عبد الملك» . ثم كفر أهل هذه البلاد ففتحت في أيام المنصور انظر فتوح البلدان ص ٤٤٥ والبد: بيت فيه أصنام وتصاوير. وكان البد في الملتان تهدى إليه الأموال وتنذر له النذور ويحج إليه السند فيطوفون به ويحلقون رءوسهم ولحاهم عنده ويزعمون أن صنما فيه هو أيوب النبي صلى الله عليه وسلم

دعوتهم ، لأُمور اتهمه فيها[1] ، وكان أبو مسلم قد قتل في دولتــه ستمائة ألف صبرا .

وفى أيامه خرج قسطنطين ملك الروم إلى بلاد الإسلام وأخذ مَلَطيَّة عَنْوَة وهدم سورها ، فبعث المنصور عبدَ الوهاب ابن أخيه إبراهيم الإمام فى سبعين ألف مقاتل لعمارتها فعمرها فى ستة أشهر .

وفى سنة تسع وثلاثين ومائة أمر المنصور بالزيادة فى المسجد الحرام من جهة باب النّدوة ، وبنى مسجد الخَيْف .

وفى سنة إحدى وأربعين ومائة خرجت عليه الرّاوَنْدِيّة ، وهم قوم من أهل خُراسان يقولون بالتناسخ ، ويزعمون أن

(١) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتى : « وقال المأمون وقد ذكر أبو مسلم عنده : أجل ملوك الأرض ثلاثة وهم الذين قاموا بنقل الدول : الاسكندر وأردشير وأبو مسلم الخراسانى « < ابن > خلكان » وقال الزمخشرى في كتاب « ربيع الأبرار » إن أبا مسلم نهض وهو ابن ثمانى عشرة سنة وقيل وهو ابن ثلاث وثلاثين «تاريخ <ابن >خلكان» . وكان أبومسلم قد حج ولما عاد نزل الحيرة التى عند الكوفة وكان بها نصرانى عمره مائتا سنة يخبر عن الكوائن فأحضره وسمع كلامه . وكان في جملة كلامه أنه يقتل وقال : إن صرت إلى خراسان سلمت فعزم على الرجوع إليها فلم يزل المنصور يتخدعه بالرسائل حتى أحضره إليه وقتله ، وكان أبو مسلم ينظر في كتب الملاحم ويجد خبره فيها وأنه مميت دولة ومحيى دولة وأنه يقتل ببلاد الروم وكان المنصور يومئذ برومية المدائن التى بناها كسرى ولم يخطر بقلب أبو «أبى » مسلم أنها موضع قتله بل راح وهمه إلى بلاد الروم . «تاريخ<ابن> خلكان» إلى هنا انتهى ما بهامش الأصل . وفي ابن خلكان ترجمة أبى مسلم عبدالرحمن بن مسلم نجد النص الأول والأخير ولا نجد نص ربيع الأبرار ولا نص النصرانى .

رُوح آدم حلَّت فى عثمان بن نُهيك ، وأن أبا جعفر المنصور هو ربُّهُم الذى يُطعمهم ويسقيهم . فظفر بهم وقتلهم عن آخرهم .

وفى سنة خمس وأربعين ومائة خرج عليه محمد بن عبد الله (٤٩ ب) بن الحسن بن الحسن[1] بن على بن أبى طالب ، واستولى على المدينة ، وجرى بينه وبين المنصور مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها ، فجهز إليه المنصور جيشا فقتله هو وجماعته ، فخرج عليه أخوه إبراهيم[2] عقب ذلك ، فجهز إليه من قتله فى سنته .

وفى سنة خمس وأربعين ومائة بنى مدينة بغداد ، وانتقل إليهــا من مدينة الهاشميــة التى بناها أخوه أبو العباس السفاح ، وبنى الرُّصافة فى الجانب الغربى من بغداد لابنه المهدى .

وفى سنة ثمان وأربعين ومائة توفى الإمــام جعفر الصادق ابن زين العابدين .

---

(١) فى الأصل : «الحسين» ، والتصويب من كتب التاريخ وانظر نسب قريش ص ٥٣ و ٤٢٨

(٢) فى الأصل : «محمد» والتصويب من كتب التاريخ ومن نسب قريش ص٥٣ «فقتله بالمدينة واخاه إبراهيم ، خرج بعده بالبصرة . . . .

وفى سنة خمسين ومائة توفى الإمام أبو حنيفة رحمه الله.
وفيها توفى الإمام الشافعى رضى الله عنه [1] وفيها توفى مقاتل بن سليمان المُفسّر .

وفى سنة ثلاث وخمسين ومائة توفى أبو عمرو بن العلاء أَحد القراء السبعة .

وفى سنة خمس وخمسين ومائة فتح يزيدُ بن حاتم بن المُهلَّب إفريقيَّة من بلاد المغرب .

وفى سنة ست وخمسين تُوفى حَمزةُ بن حَبيب الزَّيَّاتُ أَحدُ القراء السبعة أَيضاً .

وفى سنة خمس وخمسين توفى الأَوزاعى إمام أَهل الشام فى الفقه وغيره .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر فى أَيام السفاح صالح بن على بن عبد الله

---

(١) في هامش الأصل ما يأتى: « وهذا غير صحيح فإن الشافعى رحمه الله توفي بعد الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله بأربعة وخمسين سنة هذا هو الصحيح . حاشية اتفق المؤرخين «المؤرخون» رحمهم الله أن أبا حنيفة توفي ببغداد على رأس مائة وخمسين سنة من الهجرة ثم توفي مالك بعده بتسع وعشرين سنة ثم الشافعى بعده بخمس وعشرين سنة ثم الإمام أحمد بعده بسبع وثلاثين سنة ثم البخارى بعده بخمس عشرة سنة ثم مسلم بعده بخمس ثم أبو داود بتسع سنين ثم النسائي بعده بتسع سنين وحمل إلى مكة مريضا ومات بها . قاله الدارقطنى رحمه الله تعالى »

ابن عباس ، فولى عليها بعده عبد الملك مولى بنى أسد [1] [ثم وليها صالح بن على ثانيا ثم عبد الملك] سنة تسع وثلاثين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين ، ثم وليها عنه النقيب[2] التميمى سنة إحدى وأربعين ومائة ، فمكث فيها سنتين ، ثم وليها عنه حُميد الطائى سنة ثلاث وأربعين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ، ثم وليها عنه : يزيد المهلّبى سنة أربع وأربعين ومائة ، فمكث فيها تسع سنين ، ثم وليها عنه عبد الله بن عبد الرحمن [3] بن معاوية ، سنة اثنتين وخمسين ومائة ، فمكث فيها سنتين وستة أشهر ، ثم وليها عنه محمد بن عبد الرحمن (٥٠ ا) بن معاوية سنة أربع وخمسين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ، ثم وليها عنه موسى بن علىٍّ اللّخمى فى سنة خمس وخمسين ومائة ، فمكث فيها سنتين وستة أشهر .

وكان على الشام عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس ،

---

(١) عبدالملك هو عبدالملك بن يزيد مولى الأزد انظر الولاة والقضاة ص ١٠١ والنجوم الزاهرة وكنيته أبو عون .

(٢) النقيب التميمى هو موسى بن كعب انظر النجوم الزاهرة حـ١ ص ٣٤٢ والولاة والقضاة ص ١٠٦

(٣) في الأصل عبد الرحمن بن عبد الرحمن والتصويب من صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٢٥ والولاة والقضاة ص ١١٧ والنجوم الزاهرة حـ ٢ ص ١٧

فصرفه وولى أبا مسلم الخراسانى الشام فى سنة سبع وثلاثين ومائة ، ثم قتله المنصور فى السنة المذكورة .

وكان على مكة والمدينة وسائر الحجاز السَّرِىُّ بن عبد الله ابن الحارث بن العباس ، فعزله فى سنة ست وأربعين ومائة ، وولّى على مكة محمدَ بنَ إبراهيم الإمام ، ثم عزله وولى مكانه إبراهيم ابن أخيه ، ثم ولّى مكانه جعفر بن سليمان .

وكان على المدينة عبد الله بن الرَّبيع الحارثى ، فعزله سنة أربعين ومائة وولى مكانه جعفر بن سليمان ، ثم عزله وولى بعده عمَّه عبدَ الصمد بن على .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبدُ الأعلى بن السَّمح ، فولى مكانه محمد بن الأشعث الخُزاعى ، فقَدمها سنة خمس وأربعين ومائة ، ودخل القَيْرَوان وبنى عليها سورا ، ثم ثاروا عليه وأخرجوه منها وولوا عليهم عيسى بن موسى الخراسانى ، ثم ولّى عليها أبو جعفر المنصور الأغلبَ بن سالم بن عقال التميمى ، فسار إليها ودخل القيروان فخرجوا عليه فقتلوه فى سنة خمسين ومائة ، فولّى عليها

عمرو بن حفص بن قَبيصة بن المهلّب بن أَبي صفرة العَتَكيّ[1] فقدِمها سنة إحدى وخمسين ومائة ، فنازعه البربر[2] وضعف أَمره عنهم ، فولّى عليها يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، فقدمها منتصف سنة خمس وخمسين ومائة ، فأَقام فيها إلى أن مات فى خلافة الرشيد فى سنة سبعين ومائة .

وكان على الأَندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهرى المقدّم ذكره ، فسار إليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان واستولى عليها فى سنة تسع وثلاثين ومائة ، وبقى بها حتى (٥٠ ب) توفى سنة إحدى وسبعين ومائة ، وكان قاعدة ملكهم مدينة قُرْطُبة

الثالث من خلفاء بنى العباس بالعراق

المهدى

وهو أَبو عبد الله محمد بن أَبى جعفر المنصور المقدم ذكره ، وأُمه أُم موسى بنت منصور بن عبد الله الحِميرى ، وكان أَسمر طويلا حسن الوجه ، بعينه اليمنى بياضٌ ، جوادا حازما وَصُولا لرحمه ، يباشر الأُمور بنفسه ، ولى الخلافة

(١) فى الأصل : « التميمى » وانظر ترجمة المهلب فى ابن خلكان

(٢) فى الأصل : الزبير

بعهد من أَبيه المنصور ، بعد استنزال ابن أَخيه عيسى بن موسى عن عهد السفاح بها إليه بعد المنصور ، ولما خرج أَبوه المنصور إلى الحج ، فى السنة التى مات فيها خرج معه ابنه المهدى ، فقال له : إن نفسى تحدثنى بالموت فى هذه السنة ، وذلك هو الذى دعانى إلى الحج ، فاتّق الله تعالى فيما عهدتُ به إليك من أُمور المسلمين ، ثم بويع له بعد موت أَبيه يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة . ووصل الخبر إلى بغداد بموت أَبيه والبيعة له فى منتصف ذى الحجة ، وكان نقش خاتمه : حسبى الله .

قال ابن حزم : وكان سنه حين ولى ما بين الثلاثين والأَربعين ، ثم بقى حتى توفى بماسَبَذَان [1] لثمان بقين من المحرم سنة ثمان [2] وستين ومائة وعمره اثنتان وأَربعون سنة ونصف ، وصلى عليه ابنه الرشيد ، ودفن بقرية يقال لها السرف ، ومدّة خلافته عشر سنين وشهر ، وقيل : وشهر ونصف ، وكان له من الأَولاد هارون الرشيد وموسى

(١) في الأصل : بما سندان والتصويب من صبح الأعشى ﺤ ٣ ص ٢٥٨

(٢) في صبح الأعشى ٣ — ٢٥٨ سنة تسع وستين ومائة في المحرم

وعليّ وعبدالله ومنصور ويعقوب وإسحاق وإبراهيم [1] ومن الإناث البانوقة [2] وعُلَيَّة وعبّاسة وسليمة .

الحوادث والماجريات فى خلافته

كان عادلا فى خلافته حتى يقال : إنه كان فى بنى العباس كعمر بن عبد العزيز فى بنى أُمية ، وكان إذا جلس للمظالم يقول : أَدخِلوا علىَّ القضاة ، فلو لم يكن رَدِّى المظالم إلاَّ للحياء منهم [3] (١٥١) .

ولما ولى الخلافة ردّ كثيراً مما أخذه أَبوه من الأَموال ، وأَطلق من كان فى السجون ، وزاد فى المسجد الحرام ، وبنى العَلَمين اللذين يُسعَى بينهما .

وردَّ نسب زياد بن أَبيه الذى كان قد استلحقه معاوية ابن أَبى سفيان إلى عُبَيد الرومى ، وأَخرجه من قريش .

وحجّ بالناس فى سنة تسع وخمسين ومائة وفرق فى الناس أَموالاً عظيمة ، ووسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) زاد في جمهرة أنساب العرب ص ١٩ وعبيد الله .

(٢) في الأصل البانوبه « بدون نقط » وعالية . هذا وانظر ترجمة علية بنت المهدى في الأغاني حـ ١٠ ص ١٦٢ طبعة دار الكتب .

(٣) كذا .

وفى سنة إحدى وستين ومائة أمر باتخاذ المصانع [1] بطريق مكة ، وتحديد الأَميال ، وتقصير المنابر وجعلها بمقدارِ منْبرِ النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى سنة ثلاث وستين ومائة غزا هارون الرشيد بلاد الروم فتغلغل فيها وبلغ القُسطنطينية وفتح فتوحا كثيرة .

واستوزر فى خلافته عدة وزراء ، منهم أَبو أَيوب المورياني . ثم خالد بن بَرْمَك مدة يسيرة .

وفى خلافته تُوفى سفيانُ الثَّوْرى ، وإبراهيم بن أَدهم الزاهد فى سنة إحدى وستين ومائة ، وفى أَيامه قُتل المُقَنَّع الخُراسانى ، وهو رجل ساحر خَيَّل للناس صورة قمر يَطْلُع ويراه الناس من مسافة شهرين ، وكان مُشَوَّه الصورة أَعور قصيرا ، فاتَّخذ وجها من ذهب وتقنَّع به ، فسمى المُقَنَّع ، وادعى مع ذلك الرُّبوبية ، وأَطاعه خلق كثير ، وكان له قلعة ، فحصروه بها حتى قتلوه .

وفى أَيامه هرب إدريس بن عبد الله بن إدريس بن

(١) المصانع جمع مصنع أو مصنعة وهو ما يجمع فيه ماء المطر كالحوض والمصانع أيضا: القرى والحصون والقصور .

عبد الله بن الحسن [1] بن الحسن بن على بن أَبى طالب إلى الغرب الأَقصى ، ودعا هناك لنفسه .

ولايات الأَمصار فى خلافتـه

كان على مصر فى أَيام أَبيه المنصور ، موسى بنُ علىٍّ اللخمىُّ ، فصرفه عنها وولاها عيسى الجمحى [2] سنة إحدى وستين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ، ثم وليها عنه واضح [3] مولى المنصور ، وقيل : منصور بن يزيد (٥١ ب) الرُّعَينى فى سنة اثنتين وستين ومائة ، ثم وليها عنه زيد بن منصور الحمْيرى فى وسط السنة المذكورة ، ثم وليها عنه يحيى أَبو صالح فى ذى الحجة منها ، ثم وليها عنه سالم بن سوادة التميمى سنة أَربع وستين ومائة ، ثم وليها عنه إبراهيم بن صالح بن علـى العباسى فى سنة خمس وستين ومائة ، ثم وليها عنه موسى بن مُصعب [4] فى سنة

---

(١) في الأصل «إدريس بن عبدالله بن إدريس بن عبدالله بن الحسين بن الحسن» والتصويب من جمهرة أنساب العرب ص ٤٣ ونسب قريش ص ٥٤

(٢) في الأصل : الحمى . وفي صبح الأعشى : اللخمى . وبهامشه عن المقريزى : الجمحى ، وهي كذلك في معجم الأنساب

(٣) في صبح الأعشى: أصبح . وصحح بالهامش عن المقريزى« واضح ». وهو كذلك في معجم الأنساب

(٤) في صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٢٦ «معين الدين ختهم» أما معجم الأنساب فكالأصل

ست وستين ومائة ، ثم قُتل فقام عنه خليفةً أُسامــةُ بنُ عمرو العامرى [١] فى سنة ثمان وستين ومائة .

وولى على الشام عبد الصمد بن على .

وكان على مــكة جعفر بن سليمان . ولم أقف على من بعده .

وكان على المدينة عبد الصمد بن على ، فعزله فى سنــة تسع وخمسين ومائة ، وولى عليها محمد بن عبد الله الكبيرى ، ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان ، ثم عزله وولى مكانه زفر بن عاصم .

وكان على اليمن يزيد بن منصور ، فعزله وولى مكانه رجاء بن رَوْح ، ثم ولى بعده على بن سليمان ، ثم عزله سنة اثنتين وستين ومائة ، وولى مكانه عبد الله بن سليمان ، ثم عزله سنة ثلاث وستين ومائة وولى مكانه منصور بن يزيد ثانيا [٢] ، ثم عزله فى سنة ست وستين ومائة وولى

(١) كذا في الأصل وصبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٢٦ وفي معجم الأنساب: عسامة بن عمرو المعافرى وانظر النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٥٧

(٢) كذا في الأصل وكذلك في صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٧ ولكنه لم يذكر كلمة «ثانيا» فلعل منصور بن يزيد هذا هو ابن يزيد بن منصور السابق وأقحمت كلمة «ثانيا» ويؤيد ذلك أن معجم الأنساب ذكره فقال : منصور بن يزيد بن المنصور (عباسى) وضع هامش : انظر ابن الأثير جـ ٦ ص ٤٩

مكانه عبد الله بن سليمان الرَّبَعى ، ثم ولى سليمان بن يزيد ثانياً [1] . فأَقام بها إلى أَيام الهادى .

وكان على إفريقية والغرب يزيد بن حاتم بن قَبيصة المهلَّبى ، فأَقام بها إلى أَيام الهادى .

وكان المستولى على الأَندلس عبد الرحمن الداخل الأَموى ، فأَقام بها إلى أَيام الهادى وبعده .

الرابع من خلفاء بنى العباس بالعراق

الهادى

(١٥٢) وهو أَبو محمد موسى بن محمد المهدى بن أَبى جعفر المنصور المقدم ذكره .

وأُمه الخَيْزران مولَّدة ، وهى بنت عطاء ، مولاة أَبيه ، وهى أُم الخلفاء .

كان طويلا جسيما أَفوه ، بشفته العليا تَقَلُّص ، شجاعا بطلا أَديبا جوادا صعب المَرَام . بويع له بالخلافة ببغداد

(١) سليمان بن يزيد لم يتقدم له ذكر وكذلك جاء هذا النص في صبح الأعشى ، أما في معجم الأنساب فقد ذكر أنه « سليمان بن يزيد الحارثى » ولم يتقدم له سبق ولاية .

يوم موت أبيه ، [1] لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وستين ، وقيل : تسع وستين ومائة ، وهو يومئذ غائب بجُرجان يحارب أهل طبرستان . وقام ببيعته أخوه الرشيد ، وكتب إلى الآفاق بموت المهدى وأخذ البيعة للهادى ، ولما بلغ الخبرُ الهادىَ نادى بالرحيل ، وسار على البريد مُجدًّا حتى دخل بغداد فى عشرين يوماً .

وقَضِيَّةُ كلام [2] ابن حزم أن سنه حين ولى كانت ما بين العشرين والثلاثين ، وكان نقش خاتمه : الله ربى ، وبقى فى الخلافة حتى توفى ببغداد ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، وعمره أربع وعشرون سنة ، وقيل : خمس وعشرون ، وقيل : ست وعشرون ، ويقال إن أُمه الخيزران قتلته بأن أمرت الجوارى فَغَمَمْنَ وجهَه وهو مريض فمات ، وصلى عليه أخوه هارون الرشيد ، ومدة خلافته سنة واحدة وشهر واحد وأربعة عشر يوماً ، وكان له من الأولاد [3] ستة ذكور وهم : عيسى وإسحاق وجعفر وإسحاق الثانى وموسى ، وكان موسى أعمى ،

---

(1) فى الأصل : مات أبيه .

(2) سبق أنه يستعمل كلمة «ومقتضى» .

(3) فى جمهرة أنساب العرب : ذكر أولاده الذكور ص٢٠ : جعفر وإسماعيل وعبدالله وموسى الأعمى وسليمان . هذا ولم يذكر إلا خمسة

وكان له عدة بنات ، منهن أم عيسى التى تزوجها المأمون .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى أيامه خرج الحسين بن على بن الحسن [بن الحسن ابن الحسن] بن على بن أبى طالب بالمدينة ودعا لنفسه ، وجرى بينه وبين عامل الهادى حرب ، قتل فيها الحسين وانهزمت جماعته ، وهرب إدريس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب إلى بلاد المغرب حتى وصل طَنْجة (٥٢ ب) واستولى على المغرب الأقصى ، وبقى إلى خلافة الرشيد ، ومن عقبه الأدارسة القائمون [١] ببلاد المغرب على ما يأتى ذكره .

وفى أيامه توفى نافع أحد القراء السبعة إمام أهل المدينة فى القراءة . ولم يحجّ فى شىء من خلافته .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر أسامة بن عمرو العامرى [٢] ، فولى

(١) فى الأصل : القائمين .
(٢) انظر ما تقدم عند ولايات سابقه .

مكانه الفضل بن صالح العبّاسى فى سنة تسع وستين ومائة ، ثم وليها عنه [على بن] سليمان العباسى فى آخر السنة المذكورة .

وكان على مكة والمدينة واليمن جعفر بن سليمان .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلَّبى ، فأَقرَّه عليها وبقى إلى أَيام الرشيد كما تقدم.

وكان المستولى على الأَندلس عبدالرحمن الداخل الأَموى ، فأَقام بها إلى آخر أَيام الهادى .

الخامس من خلفاء بنى العباس بالعراق

الرشيد

وهو أَبو محمد وقيل أَبو جعفر هارون بن محمد المهدى ابن أَبى جعفر المنصور .

وأُمه الخيزران أُمُّ أَخيه الهادى المتقدمةُ الذِّكر .

كان أَبيض اللون جميل الوجه طويلا سمينا ، قد وَخَطه الشيبُ ، سَمْحاً شجاعاً كثير الحج والغزو والصدقة

والصلاة ، حتى يقال : إنه كان يصلى فى كل يوم مائة ركعة ، وكان محبًّا للعلماء مقرِّباً لهم ، بويع له بالخلافة فى الليلة التى مات فيها أَخوه [1] الهادى فى منتصف ربيــع الأَول سنة سبعين ومائة .

ومقتضى كلام ابن حزم أَنه ولى وعمره ما بين العشرين إلى الثلاثين ، وكان نقش خاتمه : العظمة والقدرة لله . وقيل : كن مع الله على حذر . وبقى فى الخلافة (٥٣ ا) حتى توفى ليــلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنــة ثلاث وتسعين ومائة ، وعمره خمس وأَربعون سنة وخمسة أَشهر ، وقيل : أَربع وأَربعون وأَربعة أَشهر ، وقيل : ثمان وأَربعون . وكانت وفاته بطُوس من بلاد المشرق ، وصلَّى عليه ابنُه صــالح ، ودُفِن بطوس . ومــدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهر وتسعة عشر يوما . ولما حضرته الوفاة غُشى عليه ثم أَفاق ، فرأَى الفضل بن الربيــع فقال : يا فضل :

أَحين دنــا ما كنــت أَخشى دُنُــوَّه
رمتــنى عيــونُ الناس من كلِّ جانب

---

(١) في الأصل : أبوه .

وأصبحتُ مرحوما وكنت مُحَمَّداً

فصبراً على مَكروه مَرِّ العواقب

سأبكى على الوصل الذى كان بيننا

وأندُب أيَّام السرورِ الذَّواهب

ثم مات بعد ذلك .

الحوادث والماجريات فى خلافته

كانت خلافته فى غاية من العظمة والفخامة ، حتى يُحكى أنه كان يستلقى على قفاه وينظر إلى السحابة الحاملة للمطر ويقول : اذهبي إلى حيث شئت يأْتيني خراجك .

واستوزر يحيى بن خالد بن برمك وابنيه جعفراً [1] والفضل ، فكان لدولته بكَرمهم وحسنِ تدبيرهم أكملُ المفاخر .

وفى أيامه ظهر يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب بالدَّيلم ، ودعا إلى نفسه ، فبعث إليه

(١) في الأصل : وابناه جعفر والفضل .

الرشيد الفضلَ بن يحيي فى جيش عظيم فى سنة ست وستين ومائة ، فطلب الأَمان ، فكتب له به ، وكتب الرشيد خطَّه عليه ، فحضر إلى بغداد ، فأَكرمه الرشيد وأَعطاهُ مالا جزيلا ، ثم قبض عليه بعد ذلك وسجنه حتى مات فى السجن .

وفى سنة إحدى وثمانين (٥٣ ب) ومائة غزا أَرض الروم ، وفتح حصن الصَّفْصَاف ، وكان من أَعظم حصونهم .

وفى سنة تسعين ومائة كان على الروم ملكةٌ ، فخلعوها وملَّكوا عليهم ملكا اسمه نقفور [1] فكتب إلى الرشيد كتابا فيه : من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب ،

أما بعد ، فإن الملكة التى كانت قبلى أَقامتك مقام الرُّخِّ وأَقامت نفسها مقام البَيْدَق ، فحملتْ إليك من مالها ما كنت حقيقاً أَن تحمل أَضعافه إليها ، ولكن ذلك من ضعف النساء وحُمقهن ، فإذا قرأْت كتابى هذا اردُدْ إلىّ ما وصل إليك منها ، وإلا السيفُ بيننا وبينك .

(١) فى الأصل : « تغفور » فى هذا الموضع وما بعده وصوبنا من صبح الأعشى ح ٥ ص ٣٩٩

فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزّه الغضب ، وكتب فى جوابه :

من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ،

أما بعد ، فقد قرأْت كتابك يا ابن الكافرة ، والجوابُ ما ترى لا ما تسمع ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّار ﴾ [1] وفى سنة تسعين ومائة سار بنفسه فى مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا من المُرتزقة سوى من لم يرد الديوان [2] من الأتباع والمتطوعة ، حتى نزل هِرَقْلَة من بلاد الروم وحَصَرها ثلاثين يوما ، ثم فتحها ، وبثّ عساكره فى أرض الروم ففتحوا وخرّبوا ، وبعث ملكُ الروم بالجزية عن رَعيّته إليه .

ونقض أهل قُبرص العهدَ فأغزاهم من سواحل مصر والشام ، فسبي وغنم ، وغزا فى خلافته ثمانىَ غزوات ، وحج ثمانَ حَجّات .

---

(١) هى قراءة سبعية في قوله تعالى « وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار » سورة الرعد الآية ٤٢ قرأ بها بالإفراد نافع وابن كثير وأبو عمرو وهم من من السبعة انظر اتحاف فضلاء البشر ص ١٦٤ سورة الرعد

(٢) في الأصل الدير ان .

وعهد بالخلافة إلى ابنه الأَمين ، وجعل لابنـــه المأْمون خراسانَ ، وجعله ولىَّ عهده بعد الأَمين ، وكتب بينهما بذلك شرطاً وحَلَّفهما عليه ، وحجَّ بهما فى سنة ست وثمانين ومائة ، وعلّق الـكتاب فى الـكعبة .

ثم فى سنة تسعين ومائة عزل الرشيدُ الثغورَ كلَّهـا من الجزيرة وقِنَّسْرين وجعلها حَيِّزًا واحدا ، وسماها العواصمَ ، وأمر ببناية طَرَسُوس ، فبُنيت .

وفى أيامــه توفى الإمــام مالكُ بن أنس بمــدينة النبى صلى الله عليه (١٥٤) وسلم فى سنة ثمان وسبعين ومائة .

وتوفيت أُمه الخيزرانُ سنة ثلاث وسبعين ومائة ، فمشى فى جنازتها .

وأخباره كلها مشــكورة .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر علىُّ بن سليمان العباسىّ ، فوليها عنه بعده موسى بن عيسى العباسى فى سنــة اثنتين وسبعين

ومائة ، ثم وليها عنه محمد بن زُهير الأَزدى سنة ثلاث وسبعين ومائة ، ثم وليها عنـــه داود بن يزيد المُهلَّبى سنة أَربع وسبعين ومائة ، ثم وليها عنه موسى بن عيسى العباسى سنة خمس وسبعين ومائة ، فمات بها ، ثم وليها عنه عبد الله الضَّبّىّ فى أَوّل سنة سبـــع وسبعين ومائة ، ثم وليها عنـــه هَرْثَمة بن أَعْيَن سنة ثمان وسبعين ومائة ، ثم وليها عنه عبد الملك العباسى فى سَلْخ ذى الحجة من السنة المذكورة ، ثم وليها عنه عبيد[1] الله بن المهدى العباسى فى سنة تسع وسبعين ومائة ، ثم وليها عنه موسى بن عيسى التنوخى فى آخر سنة ثمانين ومائة ، ثم وليها عنه عبيد الله ابن المهدى ثانيا سنة إحدى وثمانين ومائة ، ثم وليها عنه إسماعيل بن صالح فى آخر السنة المذكورة ، ثم وليها عنه سُمَيَّةُ بن [2] عيسى بن إسماعيل سنة اثنتين وثمانين ومائة ، ثم وليهـــا عنـــه اللَّيث البيوَرْدىّ فى آخر السنة المذكورة ، ثم وليها عنه أَحمد بن إسماعيل فى آخر سنة تسع وثمانين ومائة ، ثم وليها عنه عبد الله بن محمد

(١) في الأصل : عبدالله وانظر صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٢٦

(٢) في صبح الأعشى بهامشه : « إسماعيل بن عيسى » نقلا عن المقريزى. وفي معجم الأنساب إسماعيل بن عيسى بن موسى

العباسى المعروف بابن زينب ، فى سنة تسعين ومائة ، ثم وليها عنه مالك بن دَلْهم[1] الكلبىّ سنة اثنتين وتسعين ومائة ، ثم وليها عنه الحسين بن الحجاج سنة ثلاث وتسعين ومائة ، فأَقام بها إلى أَيام ابنه[2] الأَمين .

وذكر فى «عيون المعارف» ما يخالف ذلك .

وكان على (٥٤ ب) الشام عبد الصمد بن علىّ ، فعزله وولى مكانه إبراهيم بن صالح بن على ، ثم توالت عليها عماله ، ولم أَقف على أَسمائهم .

وكان على مكة جعفر بن سليمان ، فولَّى عليها وعلى اليمن حمَّادا اليزيدى[3] سنة أَربع وثمانين ومائة ، فبقى إلى

(١) في الأصل : « عبد الله بن دلهمة » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٢٧ ومعجم الأنساب .

(٢) في الأصل : أيام أخيه .

(٣) في معجم الأنساب ص ١٧٦ : حماد البربرى . وكان قبله إبراهيم بن سلم بن قتيبة كان من سنة ١٦٩ نقلا عن ابن الأثير حـ ٦ ص٤٩. هذا وننقل تسلسل الولاة عن معجم الأنساب لأنه أهمل ذكرهم : سليمان بن يزيد الحارثى وإبراهيم بن سلم بن قتيبة سنة ١٦٩ وحماد البربرى سنة ١٨٤ ويزيد بن جرير سنة ١٩٦ والحسن بن سهل سنة ١٩٨ وإسحاق ابن موسى سنة ٢٠٠ وإبراهيم بن موسى سنة ٢٠٠ ثم بنو زياد .

أَيام الأَمين ، ولم أَقف على عامله بالمدينة (١) . وفى سنة اثنتين وثمانين ومائة ولّى الرشيدُ على السِّند داود بن يزيد المهلَّبى ، وعلى الجبل يحيى الجرشىّ ، وعلى طبرستان مَهْدَوَيْه الرازى ، وكان على الموصل وأَعمالها يزيد بن مزْيد الشيبانى [و] هو ابن أَخى مَعْن بن زائدة .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب يزيد بن حاتم بن قَبيصة المهلَّبى ، فتوفى وقام بأَمره بعده ابنه داود ، ولما بلغ الرشيدَ وفاةُ يزيد ولّى على إفريقية رَوْح بن حاتم أَخا يزيد (٢) المذكور ، فقَدِمَها منتصفَ سنة إحدى وسبعين ومائة ،

(١) عمال المدينة نقلا عن معجم الأنساب في العهد العباسى ص ٣٦ : داود بن على سنة ١٣٢ وزياد بن عبيدالله سنة ١٣٣ والعباس بن عبدالله سنة ١٣٧ وزياد بن عبيدالله مرة ثانيةسنة ١٤١ ومحمد بن خالد القسرى سنة ١٤٤ وعبدالله بن ربيعة الحارثى (١٤٥) وجعفر بن سليمان ١٤٦ والحسن بن زيد ١٥٠ وعبدالصمد بن على١٥٥ومحمد بن عبدالله الكثيرى١٥٩ ومحمد بن عبيد الله بن محمد ١٥٩ ومحمد بن عبد الله الكثيرى مرة ثانية سنة(١٦٠) وزفر ابن عاصم الهلالى (١٦٠) وجعفر بن سليمان بن على مرة ثانية١٦١وابراهيم بن يحيى ١٦٦ وإسحاق بن عيسى ١٦٧ وعمر بن عبدالعزيز بن عبدالله ١٦٩ وإسحاق بن سليمان ١٧٠ وعبدالملك بن صالح ومحمد بن عبدالله بن عبيدالله وموسى بن عيسى بن محمد وإبراهيم بن محمد ابن إبراهيم (١٨٣) وعلى بن عيسى بن موسى ومحمد بن إبراهيم وعبدالله بن مصعب وبكار ابن عبدالله بن مصعب ومحمد بن على وأبو البخترى وهب بن منبه وداود بن عيسى بن موسي ابن محمد ١٩٣ (ناب عنه ولده سليمان) والحسن بن سهل (١٩٨) وهارون بن المسيب ٢٠٠ وحمدون بن على ٢٠١ وعبيدالله بن الحسن بن عبدالله ٢٠٤ وصالح بن العباس ٢٠٩ وسليمان بن عبدالله بن سليمان ٢١٤ ومحمد بن صالح بن العباس ٢٢٩ ومحمد المنتصر بن المتوكل ٢٣٣ وصالح بن على ٢٤٦ وعلى بن الحسن بن إسماعيل ٢٤٧ ومحمد بن عبدالله ابن طاهر ٢٤٨ .

(٢) في الأصل أخو يزيد .

ومات فى رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ، وكان الرشيدُ قد بعث بعهده سرًّا إلى قرابتهم نَصْرِ بن حبيب المهلَّبى ، فقام بأَمرها بعد روح ، وسار ابنُه الفضل إلى الرشيد فولاَّه مكان أَبيه ، وعاد إلى إفريقية ونزل القيروان فى المحرم سنة سبع وسبعين ومائة ، ثم قتله ابنُ الجارود فى منتصف سنة ثمان وسبعين ومائة ، فولَّى الرشيدُ مكانَه هَرْثمةَ بنَ أَعين ، فسار إليها ودخل القيروان سنة تسع وسبعين ومائة ، ثم استعفى فأَعفاه الرشيد لسنتين ونصف من ولايته وولى مكانه محمدَ بن مُقاتل العَكِّىَّ ، فقدم القيروان فى رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة ، وكان سيئ السيرة ، فولّى الرشيدُ مكانه إبراهيمَ بنَ الأَغلب بن سالم التميمىَّ المقدَّم ذكره ، فقدم إفريقية فى منتصف سنة أَربع وثمانين ومائة ، وابتنى مدينة العباسِيَّة بالقرب من القيروان ، وانتقل إليها وبقى إلى خلافة الأَمين (١٥٥) الآتى ذكره .

وكان إدريس الأَكبر بنُ حسن المُثَلَّث بن حسن المُثَنَّى ابن الحسن السِّبط بن على بن أَبى طالب رضى الله عنه على المغرب الأَقصى ، وفتح أَكثر البلاد ، وبايعوه بها فى خلافة الهادى على ما تقدَّم ذكره فى الحوادث والماجريات

فى خلافته [1] . وكانت تِلِمْسان بيد محمد بن خزر بن صولات أَمير زَناتة ، فدخل فى طاعة إدريس الأَكبر هذا ، وحمل أَهلَ تلمسان على طاعته ، وأَمكنه من تلمسان ، فملكها فى سنة أَربع وسبعين ومائة ، واختط مسجدها الجامع ، ثم رجع إلى المغرب ، ثم ولَّى عليها أَخاه سليمانَ بن عبد الله ، فبقى بها إلى أَن مات إدريس الأَكبر ، وقام ابنه إدريس الأَصغر بملكه بعده ، فقدم تلمسان سنة تسع وتسعين ومائة ، فجدّد جامعها وأَصلح منبرها ، وأَقام بها ثلاث سنين ، وولاها لابن عمه محمد بن سليمان ، فبقى إلى ما بعد خلافة الرشيد ، ولم يزل حتى مات بمدينةِ وليلى ، سنه خمس وسبعين ومائة ، وترك حَليلةً له حاملا ، فوضعت ذكرًا اسمه إدريس على اسم أَبيه ، وكفلوه حتى شبَّ بايعوه بمدينة وليلى سنة ثمان وثمانين ومائة ، وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وافتتح جميع بلاد المغرب ، وضاقت به وليلى فابتنى مدينة فاس سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وانتقل إليها ، وقطع دعوة بنى العباس هناك ، وبقى إلى خلافة الأَمين .

---

(١) الذى تقدم في خلافة الهادى إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على ويفهم مما يأتى أنه إدريس بن عبدالله لقوله : وولى أخاه سليمان بن عبدالله .

وكان المستولى على الأَندلس عبد الرحمن الداخل الأَموى المقدم ذكره ، فتوفى فى شهر ربيـع الآخر سنة إِحدى وسبعين ومائة ، واستولى بعده على الأَندلس ابنُه هشـام بن عبد الرحمن إلى [1] سنة ثمان وسبعين ومائة ، وتُوفى ، فاستولى بعده ابنه الحكم وبقى إِلى أَيام الأَمين ، وفى أَيامه ارتجع الفرنج مدينة بَرَشْلُونة من الأَندلس.

السادس من خلفاء بنى العباس بالعراق

الأَمين

(٥٥ ب) وهو أَبو عبد الله . وقيل : أَبو موسى ، وقيل : أَبو العباس ، محمد بن هارون الرشيد ، وقد تقدم نسبه .

وأُمه أَمةُ الواحد ، وقيل : أَمَةُ العزيز ، ولقبها زُبيدة ، بنتُ جعفر بنِ أَبى جعفر المنصور المتقدم ذكره ، ولم يل الخلافة بعد علىّ عليه السلامُ وإِلى يَوْمئذ مَنْ أُمهُ هاشمية غيره .

وكان أَبيض اللون سمينا طويلا جميل الوجه سَبْطاً ،

(١) في الأصل في سنة ثمان .

أنزَع ،[1] شديدا فى بدنه ، سمحا بالمال ، قبيح السيرة ضعيف الرأى سفّاكا للدماء ، منهمكا فى اللذات واللهو .

ولى الخلافة بعهد من أبيه رتّبه فيه قبل أخيه المأمون ، وبويع له بالخلافة فى عسكر أبيه لسبع خلون من جُمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقيل صبيحة موت أبيه ، وكان غائبا ، ثم جُدِّدت له البيعةُ ببغداد بعد قدومه ، وكان أبوه الرشيدُ لمَّا علق الكتابَ الذى كتبه بينه وبين أخيه المأمون بالكعبة سقط من يد إبراهيم الحجَبىّ ، فتفاءل إبراهيم بذلك بسرعة انتقاضه ، فكان كذلك .

وكان نقش خاتمه : محمد واثقٌ بالله . وبقى حتى قتل ، على ما يأتى ذكره فى الحوادث ، لخمس ، وقيل :لستٍّ بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ، وعمره تسع وعشرون سنة ، وقيل : كان عمره ثمانياً وعشرين فقط ، فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أيام وكسرا ، وقيل : وستة

---

(١) الأنزع : من انحسر الشعر عن جانبي جبهته .

أشهر وثمانية عشر يوما ، وكان له من الأَولاد موسى وعبد الله وإبراهيم ، لم يل أَحد منهم الخلافة .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة انهمك فى اللهو ، واشتدت عنايته به ، حتى طلب الملاهى [1] من جميع البلاد وضمهم إليه ، وأجرى عليهم الأَرزاق ، واحتجب عن إخوته وأَهل بيته ، وقسم الأَموال والجواهر فى خواصّه . وفى الخصيان والنساء ، وعمل خمس حَرَّاقات [2] فى دِجلة ، واحدة على صورة (٥٦ ا) الأَسد ، وواحدة على صورة الفيل ، وأُخرى على صورة العُقاب ، وأُخرى على صورة الحَيَّة ، وأُخرى على صورة الفرس ، وأَنفق فى عملها أَموالا جَمَّة ، فتغيرت الدولة منه ، ونقِموا ذلك عليه .

واستوزر الفضل بن الربيع وزير أَبيه الرشيد ، واستقضى حمَّاد بن أَبى حنيفة ، وأَقام فى دَعة – والمأْمونُ بخراسان – سنتين وأَشهرا ، ثم أَغرى الفضلُ بن الربيع

---

(١) الصواب ذوى الملاهى أو الملهين .

(٢) الحراقة نوع من السفن فيها مرامى نيران يرمى بها العدو ، وظاهر أنها استعملت فيما خلا من مرامى النيران .

بينهما ، فنصب الأَمين ابنه موسى لولايــة العهــد بعــده ، وأَخذ له البَيعة ، ولقبه الناطقَ بالحقِّ ، وأَبطل اسم المأْمون من الخُطبة ، وجمع العهود التى كان الرشيد كتبها بينــه وبين أَخيه المأْمون فحرقها ، وذلك فى سنة أَربع وتسعين ومائة ، وجعل ولده فى حِجْر ابن ماهان ، ووجَّه علىَّ بن عيسى إلى خراسان لقتال المأْمون ، ووجه المأْمونُ طاهرَ بن الحُسين من مَرْو ، وعلى مُقدّمته هَرْثمةُ ، لملاقاة على بن عيسى ، فبقى الحرب بين الأَمين والمأْمون سنتين وأَشهراً ، ونزل طاهر بالأَنبار ، وهرثمةُ بالنَّهْروَان ، وسار طاهر إلى بغداد ، ولجأَ الأَمين إلى مدينــة أَبى جعفر المنصور ببغداد ، فحصره طاهرُ بن الحسين فيها ، فخرج الأَمين بعد العشاء الآخرة وعليه ثيابٌ بيض وَطَيْلسانٌ أَسود ، وجاءَ راكباً إلى شطِّ الدِّجلة ، فوجد حرَّاقة فركبها ، فطلبــه حُجَّاب طاهــر ، فسقط فى المــاء ، فأُخذ وحمل إلى طاهر فقتله

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر الحسين بن الحجّاج ، فولَّى عليهــا حاتمَ بنَ هرثمة بن أَعين ، سنة خمس وتسعين ومائة ، ثم وليها عنه عبَّاد أَبو نصر مولى كندة سنة ست وتسعين ومائة .

وذكر القُضـاعى أنه وليها بعده جابر بن الأَشعث ، والمعروفُ ما تقدّم .

وكان على الشام إبراهيم بن صالح بن علىّ ، ولم أَقف على من بعده فى أَيامه .

وكان على حمص إسحاق بن سليمان ، فعزله (٥٦ ب) الأَمين واستعمل مكانه عبدالله بن سعيد الحَرشى .

وكان على مكة واليمن حمَّادٌ اليزيدى ، فولّى على مكة داود بن عيسى ، ولم أَقف على من ولى باليمن ، ثم ولى على مكة محمد بن عيسى بعده . ولم أَقف على عامله بالمدينة ، إلاّ أَن محمد بن عيسى المذكور كان بهـا فى زمن الواثق ، فلم أَدرِ هل كان فيما قبل ذلك أَم لا .

وكان على إفريقية إبراهيمُ بن الأَغلب التميمى ، فمات فى شوال سنة ست وتسعين ومائة بعد أَن عهـد بالإِمارة لابنـه عبد الله ، وكان غائبا ، فقدم القيروان فى صفر سنة سبع وتسعين ومائة ، فبقى بها إلى أَيام المأْمون .

وكانت تِلِمْسانُ بيد محمد بن سليمان من قِبَلِ ابن عمه

إدريس الأَصغر بن إدريس الأَكبر ، فلما مات إدريس الأَصغر استقرت تلمسان بيد عيسى بن إدريس بن محمد ابن سليمان ، ثم صارت بعد ذلك إلى الحسن بن أَبى العيس ابن عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان ، وبقيت بأَيديهم إلى أَن انقرضت دولة الأَدارسة من الغرب .

وكان المستولى على الغرب الأَقصى إدريس بن إدريس العلوى ، فأَقام مستوليا عليه إلى أَيام المأْمون .

وكان المستولى على الأَندلس الحَكَم بن هشام ، فتوفّى لأَربع بقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين ، واستولى بعده ابنه عبد الرحمن بن الحكم ، فبقى إلى أَيام المأْمون أَيضاً .

السابع من خلفاء بنى العباس بالعراق

المأْمون

وهو أَبو العباس ، وقيل : أَبو جعفر عبد الله بن هارون الرشيد المقدم ذكره .

وأمه أُم ولد اسمها مَرَاجِل . كان أَبيض وقيل : أَسمر أَجنأ [1] أَعْيَن أَقنى طويلَ اللِّحية دقيقها قد وَخَطه الشيبُ ، ضيِّقَ الجبين ، بخدّه خالٌ أَسود ، كاملَ الفضل مُشاركا فى علوم كثيرة ، جوادا ، عظيم العفو ، حسن التدبير ، وكان قد أَحكم علم النجوم ، وإليه يُنسب الزِّيجُ (١٥٧ ا) المأْمونى ، وهو الذى نقل كتب الحكمة من اليونانية إلى العربية [2] اعتناء بها ، وكان يحب العَلَوِيين ويقوم بنصرتهم .

ولى الخلافةَ بعهد من أَبيه المُرَتَّبِ على عهد أَخيه الأَمين كما تقدم ، وبويع له بها وهو غائب بخراسان ، حيث ولايته يوم الأَحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة [3] وعهد بالخلافة حينئذ إلى علىٍّ الرِّضَى بنِ موسى بن جعفر العَلَوى فى سنة إحدى ومائتين ، وكتب له بذلك عهدا . على ما سيأْتى ذكره فى الكلام على العهود إن شاءَ الله تعالى .

---

(١) الأجنأ من أشرف كاهله على صدره . وفي الأصل : أجنى .

(٢) في هامش الأصل ، وضع عنوان بخط مختلف هو : « المأمون نقل كتب الحكمة من اليونانية الى العربية » .

(٣) في الأصل ومائتين . وبالهامش علق عليها بخط مختلف بقوله : لعله ومائة .

وكان نقش خاتمه : سل الله يعطيك ، وبقى حتى توفى بأرض الروم غازيا ، لثمانٍ خلون من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وسنُّه ثمانٍ وأربعون سنة ، ودُفن بِطَرَسُوس ، من مضافات حلب الآن ، وكان سبب موته فيما حكاه سعيد بن العلاَّف قال : دعانى المأْمون وهو جالس هو وأخوه المعتصم على شط نهر البديدون من بلاد الروم ، وقد وضعا أرجلهما فى المـاء ، فقال لى : أى شىء يُؤكل ليشرب عليه الماء الذى هو فى غاية الصفاء والعذوبة ؛ فقلت : أمير المؤمنين أعرف ، فقال : الرُّطَب ، فبينما هم كذلك إذ وصلت بغال البريد وعليها ألطاف من رُطب ، فشـكر الله تعالى على ذلك ، فتعجبنا جميعا ، وأكل وأكلنا من ذلك الرطب ، وشربنا عليه من ذلك المـاء ، فما قام من مكانه حتى حُمَّ . ولمـا مرض أوصى بالخلافة لأخيه المعتصم ، ثم توفى بالبديدون المذكورة ، لثمان خلون من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، وسنُّه ثمانٍ وأربعون سنة ، وقيل : تسع ، ودُفن بِطَرَسوس ، فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهـر .

وكان له من الأولاد : محمد الأكبر وعبيد الله ومحمد الثانى والعباس وعلى والحسن وإسماعيل والفضل وموسى وإبراهيم

ويعقوب والحسين وسليمان وجعفر وإسحاق وأحمد وهارون وعيسى [1] وعشر بنات .

(٥٧ ب) الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويع استوزر ذا الرياستين الفضلَ بن سهل ، وأقام بخراسان أحد عشر شهرا وأياما . وفى خلال ذلك بويع ببغداد إبراهيم بن المَهدىّ ، فسار إليه وصُحْبتُه علىٌّ الرِّضَى العلوىٌّ ولىُّ عهده ، ووزيره الفضل بن سهل ، وكان كلّما مرَّ ببلد أصلحه ، فلما وصل إلى سَرَخْس دخل الفضلُ ابن سهل الحمَّامَ ، فوَلَج عليه جماعةٌ فقتلوه ، فقُبض عليهم وحملوا إلى المأمون ، فقال لهم : من أمركم بقتله ؟ فقالوا : أنت ، فأمر بهم فضُربت أعناقهم ، وأظهر الحُزن عليه ، فلما وصل إلى طُوس مات علىٌّ الرضى بها فى سنة ثلاث ومائتين . يقال إنه سُمَّ فى رُمَّانٍ أكله ، فحزن عليه المأمون حزنا شديدا ، ودخل إلى بغداد فى سنة أربع ومائتين . وكان لباسُ المأمون لما دخل بغداد الخُضرةَ شِعَارَ العَلوِّيين ، فكان الناس يدخلون

---

(١) لم يذكر في جمهرة أنساب العرب من أولاده الفضل وموسى وسليمان وذكر عبدالله بدل عبيدالله وأضاف هارون الأصغر .

عليه فى الثياب الخُضْر ويَحرقون كل ملبوس يرونه من السَّوادِ ، ودام ذلك ثمانيــة أيام ، فشق ذلك على العباسِيّة ، فعــاد إلى السواد الذى هو شعار العباسيين [1] .

وهرب إبراهيم بن المهــدى [2] واستتر ، ثم عثر عليه المأمون فى سنة عشر ومائتين ، فعفا عنــه وأحسن إليــه ، ثم تزوج المأمون بُوران بنت الحسن بن سهل ، سنة عشر ومائتين ، فنثرت عليه جَدَّتُها أُمُّ الحسن بن سهــل ألْف حبَّة لؤلؤ من أنفس ما يــكون ، وأوقدت شمعــة عَنْبَرٍ بها أربعون مَنًّا [3] ، وكتب أبوها أسماءَ ضِياع فى رِقاع ونثرها على القُوَّاد والأُمراء ، فمن وقعت عليــه رُقعة أخذ الضيعة التى هى فيها ، على ما سيأتى ذكره فى الباب السابع إن شاءَ الله تعــالى .

وفى سنــة إحدى ومائتين أمر أن يُحصى عدد الموجودين من أولاد العباس ، فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفا ، ما بين ذكر وأُنثى ، وقيل : غير ذلك .

---

(١) فى هامش الأصل عنوان بخط مختلف هو : السواد هو شعار العباسيين .
(٢) فى الأصل : إبراهيم بن العباس وهو سهو .
(٣) المن : ميزان ١٨٠ مثقالا أو ٢٨٠ مثقالا .

وفى سنة عشر ومائتين احترقت مدينة الفسطاط ، وهو الحريق الأول (٥٨ ا)

وفى سنة [١] اثنتى عشرة ومائتين أظهر المأمون القول بخلْق القرآن ، وتفضيل على بن أبى طالب على سائر الصحابة ، وأنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا الناس إلى القول بذلك ، وكانت مِحْنة عظيمة على العلماء .

وفى سنة ست عشرة ومائتين توجّه إلى مصر ، فدخلها وفتح الهرم الأكبر من الأهرام التى على القرب من مدينة الجيزة ، بعد مشقة عظيمة ونفقة جزيلة ، ويقال : إنه وجد فى داخل أعلاه مَطهرةً فيها ذهب ، وكان المأمون ذا عقل راجح ، فأمر بوزنها وحضْر مقدار ما صُرف على فتح الهرم ، فإذا هو مقدار الذهب الذى وجد فى المطهرة ، فتعجب وكف عن التعرض لما وراء ذلك .

وكانت مقاصد المأمون كلّها جميلة ، خلا ما نحا إليه من القول بخلق القرآن والتشيع وبثّ علوم الفلاسفة بين المسلمين .

ومن قضاة زمانه يحيى بن أكثم .

(١) فى هامش الأصل عنوان بخط مختلف هو : وفى سنة اثنتى عشرة ومائتين أظهر المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل علىّ على الصحابة .

ولايات الأَمصار فى خلافتـه

كان على مصر أَبو نصر عبّاد . فولى عليها المطَّلب بن عبد الله الخُزاعى سنـة ثمان وتسعين ومائة [ثم وليهـا العباس بن موسى سنة ثمان وتسعين ومائة ثم وليهـا المطلب ابن عبد الله ثانياً فى سنة تسع وتسعين ومائة] ثم وَلِيها عنه السَّرِىُّ بن الحَـكَم البَلْخى باجتماع من الجند عليه فى سنة مائتين . ثم وليها عنـه سليمان[1] بن أَبى طالب فى سنة إحدى ومائتين ، ثم وليهـا السرىُّ بن الحـكم ثانيـاً بعهد من المأْمون ، ثم وليها عنه أَبو نصر محمـد [بن السرىّ] بعد موته فى سنة خمس ومائتين ، ثم وليها عنه أَخوه عبيد[2] الله بن السَّرِىّ بمبايعة الجند فى سنة ست ومـائتين ، ثم وليها عنـه عبـد الله بن طاهـر ابن الحسين فى سنـة عشر ومائتين . وهو أَول من جلب البطيـخ العَبْدَلىَّ إلى مصر من خراسان [3] فنُسب إليه . ثم عاد عبدالله بن طاهر إلى العراق ، واستخلف على مصر

(١) في صبح الأعشى : سليمان بن غالب .
(٢) في الأصل عبدالله .
(٣) في هامش الأصل بخط مختلف عنوان هو : أول من جلب البطيخ العبدلى إلى مصر من خراسان هو عبدالله بن طاهر .

عيسى بن يزيد الجَلُّودى فى سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم وليها عنه أَبوإسحاق المعتصم ، فأَمَّر عليها عيسى الجلُّودى. (٥٨ب) ثم صرفه وولَّى عليها عمر بن الوليد التميمى فى سنة أَربع عشرة ومائتين ، ثم وليهـا عيسى الجلّودى ثانيا فى آخر السنة المذكورة ، ثم وليها عَبْدَوَيه بن جَبَلة فى سنة خَمْسَ عشرةَ ومائتين ، ثم وليها منصور مولى بنى نصر وقيل: عيسى بن منصور ، فى سنة ستَّ عشرةَ ومائتين .

وولى المأْمون أَخاه المعتصمَ الشام ، وولَّى ابنه العباسَ الجزيرةَ والثُّغور .

وولى المأَمونُ لابتداء خلافته الفضلَ بنَ سهل على المشرق من جبال هَمَذَان إلى بلاد الُتبَّت من بلاد الترك طولا. ومن بحر فارس إلى الدَّيلم وجُرجان عَرْضا ، ولقَّبه ذا الرياستين ، يعنى السيفَ والقَلمَ.

وولى أَخاه الحسن بن سهل الحجازَ وديوان الخراج والعراقَ والجَبَل وفارس والأَهواز.

واستولى طاهرُ بن حُسين على واسط والمدائن. وأَبو السَّرَايا على البصرة ،

وكان على مكة محمد بن عيسى ، فصرفه وعقد على جميع الحجاز للحسن بن سهل مع غيره من الأقاليم .

وكان على اليمن إسحاق بن موسى بن عيسى بن محمد ابن على بن عبدالله بن عباس ، فقصده إبراهيم بن موسى ابن جعفر العَلَوىُّ ، فهرب منه إسحاق واستولى على اليمن إبراهيمُ ، واضطرب أمر اليمن حينئذٍ ، فولَّى المأمون عليه محمد بن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن أبيه ، وهو أول دولة بنى زيادٍ باليمن . وبَنَى محمدُ بنُ إبراهيم مدينةَ زَبِيد إحدى مدن اليمن العظام ، فى سنة أربع ومائتين ، وولى مولاه جعفراً الجِبال ، فعُرِفت بمِخلاف جعفرٍ إلى الآن ، وولى اليمن بعده ابنه إبراهيم بن محمد ، فبقى إلى أيام المعتصم .

وكانت خراسان بيد المأمون من عهد أبيه ، فولى عليها غسّان بن عبّاد ، فى سنة اثنتين ومائتين حين قدم العراق ، عند أخذ البيعة لإبراهيم بن المهدى ، ثم استعمل المأمونُ طاهرَ بن الحسين بن مُصعب [1] فى سنة خمس ومائتين على المشرق (١٥٩) من خراسان وما وراء النهر وغير ذلك ، فبقى إلى أن توفى فى جمادى الأولى سنة سبع ومائتين . ثم ولى المأمون عبدَالله

(١) في الأصل : « على » و التصويب من ابن خلكان ترجمته .

ابن طاهر خراسانَ وما وراءَ النهر ، فى سنة أربع عشرة ومائتين ، فبقى إلى أيام الواثق ، كما سيأتى..

وكان علـى إفريقية عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب ، فتوفى فى ذى الحجة سنة إحدى ومائتين ، ووليها بعده أخوه زيادة الله بن إبراهيم ، وجاءَ التقليد من قِبَلِ المأمون .

وكان المستولى على الغرب الأقصى إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر العلوى ، فمات سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وقام بالأمر بعده ابنه محمد بن إدريس ، فبقى إلى ما بعد خلافة المأمون .

وكان المستولى على الأندلس عبدالرحمن بن الحكم بن هشام الأموى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المأمون .

الثامن من خلفاء بنى العباس بالعراق

المعتصم بالله[1]

وهو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد ، وقد تقدم نسبه ، وهو أول من أُضيف فى لقبه اسم الله تعـالى من الخلفاء ، وأمه أم ولد اسمها مارِدة .

(١) فى هامش الأصل بخط مختلف عنوان هو : الثامن من خلفاء بنى العباس بالعراق المعتصم بالله .

وكان أبيض اللون مُشربا بحمرة ،أصهب اللِّحية ، حسن الجسم مربوعا ،طويل اللِّحية ،شجاعاً شديد البـــدن ، يحمل ألف رطل بغداديٍّ ويمشى بها خطوات فيما قيل ، وكان كريم الأخلاق ، انفرد عن أصحابه فى يوم مطير ، فرأى شيخاً معه حمارٌ عليه حِمْلُ شَوْك ،وقد توحّل الحمار فى الطين ووقع الحِمل عنه ،وهو ينتظر من يمرُّ به ليعينه على رفعه على الحمار ، فنزل المعتصم عن فرســـه وخلَّص الحمار من الطين ورفع الحِمْل عليه ،ثم لحقه أصحابه ، فأمر لصاحب الحمار بأربعة آلاف درهم . وقال ابن أبى دُوَاد : تصدق المعتصم وَوَهبعلى يدى مائة ألفٍ . وكان مع ذلك أُمِّيًّا لايحسن الكتابة ،ضعيفَ البَصَر بالعربية ، ويقـــال : إن (٥٩ ب) سبب ذلك أنه رأى جنازة بعض الخدم يوماً فقال : ليتنى مثل هذا حتى أتخلَّص من الكُتَّاب ؛ فقال له أبوه الرشيد : والله لا عَذَّبتُكَ بشىء تختار عليه الموت ،ومنعه عن الكتب من يومئذ .

وقد حكى الزَّجَّاجيُّوغيره أنه ورد عليه كتاب من بلادالجبل فيه : مُطِرْنا مطرًا كثُر عنه الكَلأُ . وكان يتقلَّد العَرْضَ وقراءة الكتب عليه كاتبهُ محمد بن عمَّار ، فقال له : ما الكلأ ؟ فقال :

لا أدرى ، فقال : إنَّا لله ، خليفة أُمِّىٌّ وكاتب عامِّىٌّ ، ثم قال : من يقرب منا من كتاب الدار؟ فعُرِّف بمكان محمد بن عبدالملك الزيَّات ، وكان يقف على قهْرَمةِ الدار ، فأَمْر بإشخاصه ، فأُتِىَ به ، فقال له : ما الكلأُ ؟ فقال : النبات كلُّه رَطْبُه ويابسه ، فإذا كان رطبا قيل له : خَلًى ، فإذا كان يابسا قيل له : حشيش ، ثم أَخذ فى ذكر النبات من ابتدائه إلى اكتهابه [1] إلى هيجه ، فأُعجب به المعتصم وقال : لِيتقلَّدْ هذا العَرْضَ علينا . ثم خُصَّ به حتى استوزره .

بويع له بها يوم مات أخوه المأْمون بِطَرسُوس ، لثمانٍ خلون من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، بعد أَن حاول بعض أَهل الدولة مبايعةَ ابنِ أَخيه العباسِ بن المأْمون ، فلم يتم لهم ذلك ، وكان نقش خاتمه : الله ثقة أَبى إسحاق بن الرشيد وبه يؤمن .

وبقى حتى توفى بمدينة سامُرَّا ، يوم الخميس لاثنتى عشرةَ ليلة بقيت من شهور ربيع الأَول ، وقيل : فى منتصفه سنةَ سبع وعشرين ومائتين ، وسنُّه ثمانٍ وأَربعون سنة ، ومدّة

(١) اكتهابه أن تعلوه غبرة مشربة سوادا أو أن يتغير لونه .

خلافته ثمان سنين وثمانيـــةُ أَشهر ويومان . وكان له من الأَولاد ثمانيـــة ذكور ،منهم : هارون الواثق ، وجعفر المتوكل ، وأَحمد المستعين ، كل من الثلاثة ولى الخلافة ، وكان له أَيضاً ثمان بنات [1] .

الحوادث والماجريات فى خلافتـــه

لما بويع بالخلافة وصار إِلى بغداد على ما تقدم بنى مدينة سماها (١٦٠) سُرَّ مَنْ رأَى ،ثم تساهل الناس فيها فقالوا سامُرَّا ،ونزلها واستخلف ببغـــداد ابنه الواثق ، واستوزر الفضل بن مروان ، فغلب على أَمره حتى لم يبق للمعتصم معه يد ،ثم قبض عليه واستوزر أَحمد بن عمار ، ثم محمد بن عبد الملك الزيات .

وكان على رأْى أَخيه المأْمون فى القول بخلق القرآن ، فأَحضر الإِمــام أَحمد بن حنبـــل فى سنـــة تســـع عشرة ومائتين ، وامتحنه بالقول بخلق القرآن فامتنع ، فضربه حتى تقطَّـع جلدُه ، وقيَّده وحبسه .

وفى سنـــة اثنتين وعشرين ومائتين فتـــح عَمُّوريَّة من

(١) انظر أولاده في جمهرة أنساب العرب ص ٢٢ .

بلاد الروم ، وكان السبب فى ذلك أنه بلغه أن امرأة هاشمية مأسورة فى يد ملك الروم صاحب عمّورِيّة صاحت : وامعتصماه ، فقال لها ملك الروم : لا يأتى المعتصم لخلاصك إلاّ على أبلق [1] . فأعظمه ذلك ، ونهض لوقته ونادى فى عسكره بركوب الخيل البُلْق ، وركب أبلق ، وخرج وفى مقدّمة عسكره أربعةُ آلاف أبلق ، وقد تجهّز جهازا لم يتجهزه أحد مثله من السلاح وغيره ، وسار حتى وصل عمّورِيّة ، وأقام عليها المنجنيقات حتى هدم فرْجا من أسوارها ، وولج المسلمون البلد عَنْوَةً ، فقتلوا وسَبَوْا ونهبوا . أقام عليها خمسة وخمسين يوما حتى خلص تلك المرأة ، ثم سار حتى دخل سامُرَّا .

وفى سنة عشرين ومائتين خرج من بغداد لبناء سامُرَّا ، واستخلف على بغداد ابنه الواثق ، وقبض على وزيره الفضل ابن مروان ، وكان قد استولى على الأمور حتى لم يبق للمعتصم معه أمر ، وولى مكانه محمد بن عبد الملك الزيات ، وكانت طائفة من أهل دولته قد حاولت مبايعة العباس بن

---

(١) الأبلق ما في لونه سواد وبياض .

المأمون ، فظفر به فى طريقه ، فقبض عليه ومنعه شرب الماء حتى مات .

وفى أيامه توفى إبراهيم بن المهدى الذى كان قد بويع بالخلافة فى زمن المأمون .

ولايات الأمصار فى خلافته

(٦٠ ب) كان على مصر نصر بن عبد الله الصُّغْدى المعروف بكندر [١] ثم وليها عنه المسعودى [٢] فى أول سنة تسع عشرة ومائتين . ثم وليها عنه المظفَّر بن كندر [٣] فى وسط السنة المذكورة أشهرا قلائل ، ثم وليها عنه أبو العباس موسى بن ثابت فى آخر السنة ، ثم وليها عنه ابن كندر ثانيا [٤] فى سنة أربع وعشرين ومائتين ، ثم وليها عنه على بن يحيى الأرمنى فى سنة ست وعشرين ومائتين ، فبقى بها إلى أيام الواثق .

(١) كذا في الأصل والذى في معجم الأنساب : « الصغدى المعروف بكيدر » والذى في صبح الأعشى « كيدر » وسقط الاسم السابق ، وبالهامش كيدر عن المقريزى وانظر النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣١٨

(٢) لم يذكر فى معجم الأنساب ،وذكر في صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٢٧

(٣) انظر الهامش قبل السابق

(٤) في صبح الأعشى مالك بن كيدر وكذلك في معجم الأنساب .

وكان هو على الشام فى أيام أخيه المأمون ، ولم أقف على من وَلَّاها هو فى خلافته [1] .

وكان الحجاز : مكة والمدينة وغيرهما ، فى خلافة المأمون فى ولاية الحسن بن سهل ، ولم أقف على من وليه بعده فى خلافة المعتصم .

وكان على اليمن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيد الله ابن زياد بن أبيه ، فأقره [وتوفى فولى ابنه محمد] وبقى إلى أيام المتوكل وبعده .

وكانت خراسان وما وراء النهر بيد عبد الله بن طاهر ، فبقى إلى ما بعد خلافة المعتصم .

وكان على إفريقية زيادة الله بن إبراهيم ، وتوفى فى شهر رجب سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وتولى مكانه أخوه أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، وتوفى فى ربيع [2] سنة ست وعشرين ومائتين ، وتولى بعده ابنه أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم ، فدانت له إفريقية ، وبنى مدينة بقرب تاهَرْت سماها العباسية سنة

(١) انظر معجم الأنساب ولاة دمشق وغيرها .

(٢) كذا في الأصل بدون تبيين أى الشهرين وكذلك في صبح الأعشى ج٥ ص١٢

تسع وثلاثين ومائتين ، وبقى إلى أيام الواثق .

وكان تلمسان بيد الحسن بن أبى العيس بن عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان ، فلما ظهرت دعوة عبيد الله المهدى الفاطمى بالمغرب نهض قائده موسى بن أبى العاقبة إلى تلمسان وملكها من الحسن بن أبى العيس فى سنة تسع عشرة ومائتين ، وبقيت بيد عمال المهدى إلى سنة أربعين وثلاثمائة (١٦١) وكان المستولى على الغرب الأقصى محمد بن إدريس بن إدريس العلوى ، فتوفى سنة إحدى وعشرين ومائتين ، بعد أن استخلف فى مرضه ولده عليًّا ابن محمد وهو ابن تسع سنين ، فأقام إلى أيام الواثق .

وكان المستولى على الأندلس عبد الرحمن بن الحكم الأموى فبقى إلى أيام الواثق .

التاسع من خلفاء بنى العباس بالعراق

الواثق بالله

وهو أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله بن الرشيد ، وقد تقدم نسبه ، وأمه أم ولد رومية اسمها قراطيس .

كان أبيض مُشْربا بحُمرة، حسن الجسم، فى عينه اليسرى نكتة بياض، وكان كثير الإحسان إلى أهل الحرمين، حتى لم يبق بهما فى أيامه سائل، ولما بلغهم موتُه كان نساء المدينة يخرجن كل ليلة إلى البَقيع ويبكينه .

بويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبوه المعتصم، لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول فى منتصفه سنة سبع وعشرين ومائتين، وكان نقش خاتمه : الله ثقة الواثق، وبقى حتى توفى بالاستسقاء بسامُرَّا يوم الأربعاء لستٍّ بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وعمره يومئذ ست وثلاثون سنة وأشهر، وقيل : سبع وثلاثون، ودُفن بسامرا، وصلّى عليه أخوه المتوكل . ومدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام .

ومن عجيب أمره أنه لما اشتد به المرض أحضر المنجمين، فنظروا فى مولده، فقدَّروا له أن يعيش خمسين سنة مستأْنفة بعد ذلك، فلم يعش بعد قولهم غير عشرة أيام، فسبحان المستأْثر بعلم الغيب .

وكان له من الأولاد محمد المهتدى بالله ، ولى الخلافة وعبد الله وأحمد وإبراهيم ومحمد وعائشة [1]

الحوادث والماجريات فى خلافته

(٦١ ب) لما بويع بالخلافة ، وزر له محمد بن عبد الملك الزيات وزير أبيه ، وجرى على مذهب أبيه المعتصم وعمه المأمون فى القول بخلق القرآن ، وامتحان الناس فى الدين ، وكان يُعاقب من امتنع من القول بخلق القرآن أو برؤية الله تعالى فى الدار الآخرة ، وكان يبالغ فى إكرام العَلويين على قاعدة المأمون .

وفى أوائل خلافته ثارت القيسية بدمشق وحصروا أميرهم ، فجهّز إليهم الواثقُ جيشا حتى رجعوا وأذعنوا للطاعة .

وفى خلافته فى سنة ثمان وعشرين ومائتين فتح المسلمون عدة أماكن من جزيرة صقلّية .

وفى سنة ثلاثين ومائتين توفى عبدُ الله بن طاهر بخراسان وهو يومئذ أميرها .

---

(١) فى جمهرة أنساب العرب لم يذكر أحمد وجاء بدله : على ، وذكر أن له بنات ، تزوج المستعين وأخوه عبدالله اثنتين منهن .

وفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين توفى أبو يعقوب البُوَيطى أحد أصحاب الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وكان ممن امتُحن بالقول بخلق القرآن فلم يُجب ، وتُوفى أيضا ابن الأعرابىّ اللغوىّ .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر فى خلافته [على بن] يحيى الأرمنى ، فوليها عن الواثق عيسى بن منصور الجَلُّودى ثالث مرة فى سنة تسع وعشرين ومائتين ، قال القضاعى : ثم وليها أشناس [1] ، ثم رُدَّت إلى إيتاخ ، يعنى حاجب الواثق ، فأَقرَّ بها عيسى بن منصور المقدّم ذكره ، فبقى إلى أيام المتوكل الآتى ذكره . ولم أدر من عمل له على الشام .

وكان على مكة والمدينة فى أيامه محمد بن عيسى .

وكان على اليمن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن عبيد الله بن زياد بن أبيه ، فبقى إلى أيام المتوكل .

وكان على إفريقية محمد بن الأغلب بن إبراهيم ، فبقى إلى أيام المتوكل .

(١) فى الأصل : أشياس .

وكانت تلمسان، من الغرب الأَوسط ، بيد العُبَيْديِّين الفاطِميّين .

وكان المستولى على الغرب الأَقصى عُليشاً بن محمد الإِدريسى، فبقى إلى أَيام المتوكل .

وكان المستولى على الأَندلس عبد الرحمن بن الحكم، فبقى إلى أَيام المتوكل أيضا .

(١٦٢) العاشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المتوكل على الله

وهو أَبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد، وقد تقدم نسبه .

وأُمه أُم ولد تركية اسمها شُجاع . كان أَسمر اللون مربوعاً خفيف العارضين، بويع له بالخلافة لستّ بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، بعد أَن همَّ كُبراء الدولة بعد موت الواثق بالبيعة لمحمد بن الواثق وأَلبسوه قلنسوة ودُراعة سوداء وهو غلام أَمرد قصير ،

فنازعهم فى ذلك بقيّة أهل الدولة ، ولم يروا مصلحة فى ولايته ، فأضربوا عنه ، ثم تنازعوا فيمن يولونه ، وذكروا عدَّة من بنى العباس ، ثم أحضروا المتوكل ، فقام أحمد ابن أبى دُوَاد قاضى القضاة فى زمن أخيه الواثق ، وألبسه وعمَّمه وقبَّل بين عينيه ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فبايعه الناس وعمرُه يومئذ ستٌّ وعشرون سنة . وكان نقش خاتمه : على إلٰهى أتَّكل . وبقى حتى توفى ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين قتيلا بمجلس شرابه ، ويقال : إن سبب قتله أنه كان أخذ البيعة لأولاده الأربعة : محمدٍ المنتصر ، ثم الزُّبير[1] ، ثم المعتزّ ، ثم إبراهيم المُؤيَّد ، فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وكان يقدّم المعتزَّ على المنتصر ، والمنتصر أسنُّ منه ، فدسَّ عليه المنتصرُ من قتله غيلةً ، فرمى وزيرُه الفتحُ بنُ خاقان نفسَه عليه فقُتل معه ، ودُفنا فى قبر واحد فيما يقال . وكان عمره يوم مات إحدى وأربعين سنة ، وصلَّى عليه ابنه المنتصر ودفن فى القصر الجعفرىّ . ومدّةُ خلافته أربعَ عشرةَ سنةً وتسعةُ أشهر وتسعةُ أيام .

(١) سيأتى فى صفحة ٢٤٤ أن الزبير من أسماء المعتز .

وكان له من الأَولاد محمد المنتصر والمعتز ، كلاهما ولى الخلافة ، وموسى وكان أَحدب ، وإبراهيم المُؤيد ، وطلحة الموفق ، وإسماعيل والمعتمد [1] وغيرهم .

(٦٢ ب) الحوادث والماجريات فى خلافته

لمـا ولى الخلافة أَبطل ما كان أَحدثه المـأْمون ومَنْ بعده من القول بخلق القرآن ، وحسم المـادة فى ذلك . وحَظِىَ فى زمانه أَهلُ الأَدب ، إلا أَنه كان شديد البُغض لعلىٍّ بن أَبى طالب رضى الله عنـه ولأَهل بيتـه ، على خلاف ما كان عليـه المـأْمون .

وكان من جملة ندمائه عُبادةُ المُخنَّث وكان يشدُّ عـلى بطنه مخدَّة تحت ثيابـه . ويـكشف رأْسه وهو أَصـلع ويرقص ويقول :

قد أَقبـل الأَصلعُ البطيـــنْ
خليفـــة المسلميـــنْ

(١) انظر أولاده في جمهرة أنساب العرب ص ٢٣ هذا والمعتمد هو أبو العباس أحمد ولى الخلافة أيضا .

يعنى عليا رضى الله عنه . والمتوكل يضحك ، ففعل ذلك يوماً بحضرة ولده المنتصر . فقال له : يا أمير المؤمنين إن عليًّا ابنُ عمك ، فكُلْ أنت لحْمَه إذا شئت ، ولا تدعْ مثل هذا الكلب وأمثاله يطمع فيه ، فقال المتوكل للمغنين غنوا .

غــار الفــتى لابــن عمِّــه
رأسُ الفــتى فى حِــرِأمِّــه

وبلغ من بغضه لعلىٍّ وأهل بيته أنه فى سنة ست وثلاثين ومائتين أمر بهدم قبر الحسين بن على وما حوله من المنازل ، ومنع الناس من زيارته .

ومن غريب ما اتّفق له فى ذلك أنه طلب عليًّا الزَّكِىَّ ، ويقال : عَلىٌّ الهادى وعلىٌّ التقىُّ أَحد الأَئمة الاثنى عشر ، وبعث إليه جماعة من الترك ليُحضروه ، فهجموا عليه ببيته ، فوجدوه فى بيت مغلق وعليه مِدْرَعةُ شَعَرٍ ، وهو مستقبلٌ القبلةَ يترنَّم بآيات من القرآن فى الوعد والوعيد ، ليس بينه وبين الأَرض بساط إلاَّ الرمل والحصا ، فحُمِل إلى المتوكل ، والمتوكلُ فى مجلس شرابه ،

والـكأسُ فى يده ، فلما رآه المتوكل أَعظمه وأَجلسه إلى جانبه ، وناوله الـكأْس ، فقال : يا أَمير المؤمنين ما خامر لحمى ودمى قطٌّ فأَعفنى ، فأَعفاه ، وقال : أَنشدنى شعرا (٦٣ ا) فقال : إنى لقليل الرواية للشِّعر ، فقال : لا بد من ذلك ، فأَنشده :

باتوا على قُلل الأَجْبَال تحرسهمْ
غُلْبُ الرِّجال فما أَغْنتْهُمُ القُلَلُ[1]

فاستُنْزِلُوا بعد عِزٍّ من معاقلهمْ
وأُودعوا حُفَرًا يا بئس ما نَزلُوا[2]

ناداهُمُ صارِخٌ من بعد ما قُبِرُوا
أَين الأَسِرَّةُ والتيجان والحُللُ

أَين الوجوهُ التى كانت مُنعَّمَةً
من دونها تُضْرب الأَستارُ والـكِللُ

فأَفصح القبرُ عنهمْ حين سَاءَلهمْ
تلك الوجوهُ عليها الدودُ يقْتَتِلُ

---

(١) في الأصل : « قلل الجبال » والتصويب من ابن خلكان ترجمة أبي الحسن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا ويعرف بالعسكرى .

(٢) في الأصل : ما بدلوا والتصويب من المرجع السابق ويؤيده قوله واستنزلوا .

يا طـال ما أكلوا دهـرًا وما شربـوا
فأصبحـوا بعد طولِ الأكلِ قد أُكِلُوا

فبكى المتوكل وأمر برفع الشراب وقال : يا أبا الحسن ، عليك دين؟ قال : نعم ، أربعة آلاف دينار ، فدفعها إليه ورده إلى بيته مكرما .

وفى أيامه كانت زلازل عظيمة بقُومِس وما يليها ، ومات من الناس ممن سقطت عليه الدور خمسةٌ وأربعون ألفا وستة وتسعون [1] وكان قبل ذلك بفارس وخراسان والشام واليمن ، وكان يُسمع فى الزوابع أصواتٌ مُنْكرة ، وتهدَّمت الحصون والمنازل والقناطر . وتدكدكت المدائن من العراق وبالِس والرَّقَّة وحَرَّان ورأس العَيْن والرها وطرسوس والمصيصة واللاذقية وسواحل الشام ، وسقط من أنطاكية ألف وخمسمائة دار ، ومن سُورها نيِّفٌ وتسعون بُرْجاً ، وتقطع جبلها الأقرع وسقط فى البحر وهاج وطلع منه دخان أسود مُنتن ، وغار فيها نهر لا يُدْرى أين ذهب .

وفى سنة ست وأربعين سمع أهلُ تِنِّيس من مصر ضجّةً عظيمة مات منها خلق كثير .

---

(١) فى الأصل : خمسا وأربعون ألفا وستا وتسعين .

ولايات الأَمصــار فى خلافتــه

كان على مصر عيسى بن منصور الجلُّودى ، فوليها عن المتوكل علىٌّ بن يحيي ثانيا فى سنة أَربع وثلاثين ومائتين ، وقيل : وليها هَرْثمة بن نَصر ، ثم ابنه حاتم ، ثم علىّ بن يحيي المذكور ، ثم ردت إلى محمد (٦٣ ب) المنتصر [١] ، فاستخلف فيها إسحاق بن يحيي بن مُعاذ فى سنة خمس وثلاثين ومائتين ، ثم وليها عبد الواحد [٢] بن يحيي فى سنة ست وثلاثين ومائتين ، ثم وليها عنــه عنبسـة الضَّبِّــىُّ فى [٣] سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، ثم وليهــا عنــه يزيد بن عبد الله فى سنــة اثنتين وأَربعين [٤] ومائتين . وفى أَيامه كان القاضى بها الحارث بن مســكين ، ثم بــكّار بن قتيبــة ، وبقى بهــا إلى أَيام المنتصر والمستعين بعــده .

ولم أَدر من كان على الشام فى أَيامه .

---

(١) في الأصل محمد بن المنتصر .

(٢) في صبح الأعشى : « خزاعة » هذا وفي معجم الأنساب : خوط عبد الواحد بن يحيى وبهامشه عن النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٢٨٨. « عبد الواحد بن يحيى » فيكون لفظ خوط لقبا لعبد الواحد وما في صبح الأعشى خزاعة تحريف عن خوط أو أن كلمة خوط تحريف عنه.

(٣) في صبح الأعشى : « عقبة الضبي » أما في معجم الأنساب فكالأصل .

(٤) في الأصل : اثنتين وثلاثين .

وكان على مكة والمدينة محمد بن يحيي[1] ، فعزله وولّى عليها ابنَه المنتصر بن المتوكل ، ثم وليها علىٌّ بن عيسى بن جعفر بن المنصور ، ثم عزله سنة سبع وثلاثين ومائتين ، وولّى مكانه عبدَ الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى ، ثم عزله سنة ثنتين وأربعين ومائتين ، وولّى مكانه عبدالصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام .

وولّى المتوكل فى سنة ثلاث وثلاثين ابنه المنتصرَ على الحَرَمَين واليمن والطائف . وكان قد ولى على اليمن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم من بنى زياد بنْ أبيه .

وكان على إفريقية محمد بن الأغلب بن إبراهيم ، فتوفى سنة ثنتين وأربعين ومائتين ، وَوَلِيَ مكانه ابنُه أبو إبراهيم أحمدُ بنُ أبى العباس محمد بن الأغلب ، وكان مولعا بالعِمارة ، فبنى بإفريقية فيما يقال نَحْوًا من عشرة آلاف حصن بالحجارة والكِلْس وأبواب الحديد ، وبقى إلى أيام المنتصر الآتى ذكره .

---

(١) في معجم الأنساب ص ٢٩ محمد بن داود بن عيسى كان على مكة ومحمد بن صالح بن العباس كان على المدينة .

وكان المستولى على الغرب الأَقصى عليشا بن محمد [1] الإدريسى ، ومات سنة أربع وثلاثين ومائتين ، واستولى بعده أَخوه يحي بن محمد بعهد منه له ، فتزايدت عمارة فاس وغيرها فى أَيامه ، ثم مات فولى بعده ابنه يحي بن يحي .

وكانت تلمسان بيد العُبَيديّين .

وكان على الأَندلس عبد الرحمن [بن الحكم] ، بن هشام فتوفى فى ربيع الآخر (١٦٤) سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، واستولى بعده ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، فبقى إلى أَيام المنتصر .

الحادى عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المنتصر بالله

وهو أَبو جعفر محمد بن جعفر المتوكل المتقدم ذكره .

وأُمه أُم ولد رومية اسمها حَبَشِيَّةُ . كان أَسمر مربوعا أَعين أَقنى قصيرًا ، عظيم اللحية حسن الجسم ذا شهامة مَهيبا

(١) في الأصل : عليا بن محمد .

راجح العقل كثير الإنصاف . بويع له بالخلافة يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة أربع وأربعين ومائتين ، وذلك أنه حضر الناسُ والقوّادُ والعساكر واجتمعوا بباب الخلافة ، فخرج إليهم وزيرُه أحمد بن الخصيب ومعه كتاب من المنتصر يقول فيه : إن الفتح ابن خاقان قتل المتوكل فقتله به ، فبايع الناسُ المنتصر حينئذ . وكان نقش خاتمه : يُؤتى الحَذِر من مأمنه . وقيل : كان نقشه : أنا من آل محمد ، الله وليِّى ومحمد .

وبقى حتى توفى بمرض الذَّبحة بسامُرَّا يوم الأَحد ، وقيل ليلة السبت لخمس خلون من ربيع الأَول ، وقيل لثلاث خلون منه ، سنة ثمان وأربعين ومائتين ؛ وكانت مدة مرضه ثلاثة أيام ، ويقال : إن الطيفوريَّ الحجَّام سمَّه فى مَحاجمه . وكان عمره يوم تُوفِّى خمسا وعشرين سنة وأشهرا ، وقيل ستا وعشرين سنة . ويقال : إن مولده كان فى ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، ومدة خلافته ستة أشهر ويومان ، وكان له من الأَولاد أربعة أولاد ذكور . ولم أقف على ذكر أسمائهم [1] .

(١) في جمهرة أنساب العرب ص ٢٤ ذكر أسمائهم وهم : عبدالوهاب وهارون وهارون آخر وعيسى والفضل والعباس وعلى وعبيد الله وعبدالصمد ومحمد أبو عبد الله سكن مصر وأحمد وجعفر .

الحوادث والماجريات فى خلافتـــه

لمــا ولى الخلافة أظهر حبّ على بن أبي طالب رضى الله عنــه وأهــل بيتــه (٦٤ ب) عــلى خلاف ما كان أبوه المتوكل ، وأمــر الناس بزيارة قبــر الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهما ، وآمن العلويين وكانوا خائفين أيام أبيــه .

وفى سنة ثمان وأربعين ومائتين خلع المنتصرُ أخويــه المعتزَّ والمؤيّدَ من عهد أبيهما إليهما بالخلافة بعد خلافته على الترتيب المتقدم ، وأخذ خطوطهما بإحلال الناس من بيعتهما بعد أن أخافهما وأهانهما ، ولم يَطلْ زمنُ خلافته فتــكثر حوادثهــا .

ولايات الأمصار فى خلافتـــه

كان على مصر فى أيامه يزيد بن عبد الله ، فأقره عليهــا أيام خلافتــه كلها .

ولم أدر من كان عــامله بالشام ولا مكة والمدينـــة [1] .

---

(١) في ابن الأثير حوادث سنة ٢٤٨ ج ٧ ص ٣٩ ان المنتصر لما ولى الخلافة كان أول ما أحدث أن عزل صالح بن على عن المدينة واستعمل عليها على بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد .

وكان اليمن بيد بنى زياد بن أبيه .

وكان على ما وراء النهر إسماعيل بن أحمد السامانى .

وكان على خراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر ، فبقى إلى ما بعد خلافة المنتصر .

وكان على إفريقية أبو إبراهيم أحمد بن محمد [بن] الأغلب ، فبقى إلى آخر خلافته .

وكان المستولى على الغرب الأقصى يحي بن يحي بن محمد ، من الأدارسة المقدم ذكرهم ، فمات وقام بالأمر بعده ابن عمه على بن عمر بن إدريس الأصغر . واستولى على جميع ممالك الغرب الأقصى .

وكان على الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، فبقى إلى ما بعد خلافته .

الثانى عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المستعين بالله

وهو أبو العباس أحمد بن المعتصم محمد بن الرشيد .

وأُمه أُم ولد اسمها مُخارق . كان سمينا صغير العينين كبير اللّحية أَسودها ، بوجنته خال ، وكان فيه لين وانقياد لأَتباعه ، مُهملا لأُموره ، شديد الخوف على نفسه ، وقال الدُّولابى . كان رجلا صالحاً (١٦٥) بويع له بالخلافة بعد وفاة المنتصر المتقدم ذكره باتفاق من كبراء الدولة مثل بُغَا الكبير وبُغا الصغير ، وأَحمد بن الخصيب [1] وغيرهم ، يوم الاثنين لست خلون من ربيع الآخر وقيل : لأَربع خلون منه سنة ثمان وأَربعين ومائتين ، كراهة أَن يُقيموا بعضَ بنى المتوكل لكونهم قتلوا أَباهم .

وكان نقش خاتمه : فى الاعتبار غنىً عن الاختبار . وبقىِ حتى خُلع فى سنة إحدى وخمسين ومائتين ووُجّه إلى وَاسِط بعد خلعه ، فكتب المعتز إلى أَحمد بن طولون بقتله ، فامتنع ، فتسلمه سعيد بن صالح الحاجب فضربه حتى مات ، وكفَّن ابنُ طولون جُثته ودفنها ، وحمل رأْسه إلى المعتز فأَمر بدفنها ، وكان عمره يوم تولى الخلافة أَربعا وعشرين سنة ، وولى ثلاث سنين وثلاثة أَشهر إلا أَياما ، وقيل : أَكثر من ذلك . ويقال : إن ولادته كانت فى رجب سنة إحدى عشرة ومائتين .

(١) فى الأصل : محمد بن الحصيب . انظر التصويب من ابن الأثير حـ ٧ ص ٤٠ .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة قبض على المعتز والمؤيد ابنى المتوكل وحبسهما بالجَوْسَق بسامُرَّا ، وثبت أَمره وفوّض أَمر بيت المال إلى أُمه وإلى أَتامش التركى وشاهك الخادم ، فأَفسدوا ماله وأَضاعوه . وفى أَيامه جرى بين المسلمين والروم وقعةٌ عظيمةٌ بمَرْج الأَسقُف ، هُزِم فيها المسلمون وقُتل مُقدَّم عسكرهم (١) .

وفى أَيامه ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد ابن على بن الحسين بن على بن أَبى طالب ، بالكوفة ، وكثر جمعه ، فجهز إليه محمدُ بن عبد الله بن طاهر جيشا من خراسان فقتلوه وحملوا رأْسه إلى المستعين .

وفى سنة تسع وأَربعين ومائتين تشغَّبت الجند الشاكريَّة والعامة ببغداد على الأَتراك بسبب استيلائهم على أُمور المسلمين ، يقتلون من شاءُوا من الخلفاء ويستخلفون من أَحبوا ، من غير نظر للمسلمين . (٦٥ ب) وثارت فتنة أَيضا بسامُرا بين العامة والأَتراك . وفتحت العامة السجون وأَطلقوا من فيها .

(١) كان المقدم هو عمر بن عبيدالله الأقطع . ابن الأثير حـ ٧ ص ٤١ حوادث سنة ٢٤٩ .

وفى سنة إحدى وخمسين ومائتين اتفق بُغا الصغير ووصيفٌ التركى وقتلا باغر التركى ، فتشغبت الأَتراك وحصروا المستعين وبُغا ووصيفا فى القصر بسامرا ، وهرب المستعين وبغا ووصيف فى حرَّاقة إلى بغداد واستقرُّوا بها . واجتمع أَهل الدولة بسامرا على المعتز بن المتوكل فبايعوه ، وجهَّز أَخاه طلحة بن المتوكل وجهزه فى خمسين أَلفا من الأَتراك ، وسيرهم إلى بغداد ، فجرى بينهم حرب كبيرة ، واتفق كبراءُ الدولة ببغداد على خلع المستعين ، وأَلزموه ذلك ، فخلع نفسه فى السنة المذكورة ، ثم نقل من الرُّصافة إلى قصر الحسن بن سهل ، بعياله وأَهله ، وأُخذ منه البردة والقضيب والخاتم ، ووجّه به إلى واسط مع أَحمد بن طولون .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر فى أَيامه يزيد بن عبد الله ، فولى عليها بعده مزاحم بن خاقان فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، ثم وليها عنه أَحمد بن مزاحم فى سنة أَربع وخمسين ومائتين ، فبقى بها إلى آخر أَيامه . ولم أَقف على عماله

بالشـام ولا مـكة والمدينـة [1] .

وكان اليمن بيد بنى زياد .

وكان على خراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر ، فتوفى فى رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين ، فعقد المستعين لولده محمد بن طاهر علي خراسان .

وكان على إفريقية أبو إبراهيم أحمد بن [محمد بن] الأغلب ، فتوفى فى آخر سنة تسع وأربعين ومائتين . وولى بعـده ابنه (٦٦ ا) زيادة الله الأصغر بن [أبى] إبراهيم أحمد [2] وتوفى فى آخر سنة خمسين ومائتين . وفى أيامه كانـت أكثـر فتـوح صقليـة . وولى بعده أخوه محمد أبو الغرانيق بن أبى إبراهيم أحمد ، فبقى إلى آخر خلافته وبعـد ذلك .

---

(١) في كتاب معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص ٣٧ أنه كان على المدينة محمد بن عبدالله ابن طاهر من قبل المستعين وفي ص ٢٩ أن الولاة الذين كانوا على مكة في الفترة ما بين سنة ٢٥٠ ، ٢٥٣ هم جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى وعيسى بن محمد المخزومى الكردى ومحمد بن احمد بن عيسى بن المنصور وفي ص٥٧ أن عقبة بن محمد بن جعفر كان واليا على الموصل في سنة ٢٥٢ .

(١) في الأصل ابن ابراهيم بن أحمد« انظرمعجم الأسرات الحاكمة ١٠٥و١٠٦»وسيأتى بعده أخوه صوابا .

وكان المستولى على الغرب الأقصى على بن عمر بن إدريس الأصغر ، فبقى بها أيام خلافته .

وكان على الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم فبقى إلى ما بعد خلافته .

الثالث عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المعتز بالله

وهو أبو عبد الله محمد ، وقيل : الزبير [1] بن جعفر المتوكل المقدم ذكره .

وأمه أم ولد اسمها قبيحة ، سميت بذلك لحسنها ، وهو من باب الأضداد كما يقال للغراب أعور لحدة بصره . كان أبيض أكحل أسود الشعر لم ير فيهم مثله جمالا . وكان مؤثرا للذاته . بويع له بسامرًّا عند هروب المستعين إلى بغداد فى سنة إحدى وخمسين ومائتين ، ثم بويع له البيعة العامة ببغداد بعد خلع المستعين ، لأربع خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين . وكان نقش خاتمه : الحمد لله رب كل شىء وخالق كل شىء . وبقى حتى خلع

(١) انظر صفحة ٢٢٩

لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، ثم توفى يوم السبت لثلاث خلون من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين . أُخرج للناس ميتا من سجنه ، ويقال : إنه منع الطعام والشراب أياماً ، ثم أُدخل الحالم وأَغلق عليه بابه [1] فأَصبح ميتا ، وقيل أَدخلوه سردابا وجصصوا عليه حتى مات . وصلى عليه المهتدى ودفن بسامرا . ويقال إن صالحا الحاجب قتله ورماه فى دجلة ، والمشهور الأَول . وعمره يومئذ أربع وعشرون سنة وثلاثة عشر يوماً ، وقيل : ثلاث وعشرون سنة وثلاثة أَشهر إلا أياما . (٦٦ ب) وكان له من الأَولاد عبد الله بن المعتز [2] المشهور بالبلاغة وفن الأَدب .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويع بالخلافة أَخرج أَخاه المُؤيّد من الاعتقال ، وخلع عليه ، ثم بلغه عنه أَنه يدبر عليه أَمرا ، فضربه

(١) كذا في الأصل . والذى في ابن الأثير ح ٧ ص ٦٩ فدخل إليه صالح ومحمد بن بغ المعروف بأبى نصر وبابكيال في السلاح فجلسوا على بابه وبعثوا إليه أن اخرج إلينا فقال قد شربت أمس دواء وقد أفرط في العمل فإن كان أمر لابد منه فليدخل بعضكم وهو يظن أن أمره واقف على حاله فدخل إليه جماعة منهم فجروه برجله إلى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس في الدار ... ثم أدخلوه سردابا وجصصوا عليه فمات . هذا وسيأتى بعض هذا الكلام في الحوادث والماجريات . والحالم لعلها الحمام .

(٢) في جمهرة أنساب العرب ، عبدالله وحمزة وخمس بنات .

أربعين سوطا وحبسه ، حتى أشهد على نفسه بالخلع من العهد الذى كان عهد إليه به أبوه المتوكل بأن يكون له ولاية العهد بعد المعتز ، ثم بلغه أن جماعة من الأتراك اجتمعوا على إخراج المؤيد من محبسه ، فأخرجه فى يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين ميتا ، وأحضر القضاة والفقهاء حتى رأوه ولا أثر به ، ويقال : إنه أدرج فى لحاف سَمُّور ، وشُدَّ عليه طرفاه حتى مات .

وكان حاجبهُ صالحُ بنُ وصيف غالباً على أمره ، ثم كان من أمره أنه أتاه يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه جماعة، فصاحوا على بابه وبعثوا إليه أن اخرج إلينا ، فاعتذر بأنه تناول دواء ، وأمر أن يَدْخل بعضُهم عليه ، فدخلوا عليه فجرُّوا برجله إلى باب الحجرة ، وأُقيم فى الشمس يرفع قدما ويضع أخرى ، وهم يلطمونه وهو يتَّقى بيده ، حتى أجاب إلى الخلع ، وأدخلوه حجرة وبعثوا إلى قاضى القضاة ابن أبى الشوارب وجماعة ، فحضروا فخلع نفسه بحضرتهم ، ووُكِّلَ به فى الحبس ، وكانت مدة خلافته منذ بيعته العامة إلى أن خُلع ثلاث سنين وسبعة أشهر إلا أربعة أيام ، ومن

لدن مبايعته بسامرا إلى أن خُلِع أربع سنين وسبعة أشهر إلا سبعة أيام .

وفى أيامه فى سنة أربع وخمسين ومائتين أحدث أحمدُ ابنُ المدبر صاحبُ خراج مصر ضمانَ النَّطْرُون بها : وكان قبل ذلك مباحا لمن يأْخذه .

(١٦٧) ولايات الأَمْصار فى خلافته

كان على مصر أحمد بن مزاحم ، فبقى إلى آخر أيام خلافته ، وقال فى «عيون المعارف» : كان عليها فى أيامه يزيد بن عبد الله ، ثم مزاحم بن خاقان . ثم ابنه أحمد . ثم أرخوز [١] التركى . ثم أحمد بن طولون . وفى أيام ابن طولون عظم شأْن مصر وعلا قدرها ، وانتقلت من الإمارة إلى المُلْك ، وهو أول من جلب المماليك الترك إلى الديار المصرية ، وكان قبل ذلك أكثر عسكره من السودان سودان [٢] يقال إنه كان فى عسكره اثنا عشر ألف أسود . وكان القاضى بها بكَّار بن قتيبة . ولم أقف على عماله بالشام ومكة والمدينة .

(١) في الأصل أرجوان والتصويب من النجوم الزاهرة ﺟ ٢ ص ٣٤١ أرخوز بن أدلوغ طرخان التركى وفي معجم الأنساب ص ٤٢ يركوج أو ارجور أو ارغوز .

(٢) في الأصل : أكثر عسكره «سودان» وبالهامش أدخل كلمة «من السودان» فيراد من كلمة سودان الثانية أنهم سود .

وكانت اليمن بيد بني زياد المقدم ذكرهم .

وكان على خراسان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، فبقى إلى ما بعد خلافة المعتز .

وكان على إفريقية قبله محمد أبو الغرانيق من بني الأغلب ، فأقرّه عليها ، ففتح جزيرة مالطة سنة خمس وخمسين ومائتين ، وبقى إلى آخر خلافته .

وكان المستولى على المغرب الأقصى قبله عليّ بن عمر بن إدريس ، فبقى إلى آخر خلافته .

وكان المستولى على الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم [1] فبقى إلى آخر خلافته .

الرابع عشر من خلفاء بني العباس بالعراق

المهتدى بالله

وهو أبو عبد الله ، وقيل : أبو جعفر ، محمد بن الواثق ابن المعتصم ، وأمه أم ولد رومية اسمها قُرْب [2] . كان أسمر عظيم البدن مربوعا أجلح [3] طويل اللحية ، وكان ورعا

(١) في الأصل : بن عبدالحكم .
(٢) في تاريخ الخلفاء ص١٤٥ تسمى وردة .
(٣) الأجلح : من انحسر الشعر عن جانبي رأسه .

كثير العبادة يكاد أن يكون فى بنى العباس مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى أُمية هَدْياً وفضلا . بويع له بالخلافة لثلاث ليال بقين من رجب سنة خمس وخمسين (٦٧ ب) ومائتين ، وكان نقش خاتمه : من تعدَّى الحق ضاقت مذاهبه . وبقى حتى توفى قتيلا لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين ، وقيل : لأَربع عشرة ليلة خلت منه . وعمره يومئذ ثمان وثلاثون سنة ، وقيل : ست وخمسون سنة [١] ، ويقال : إن مولده كان فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين . وسبب قتله أنه قَصَد قَتْل موسى بن بُغا ، فَفَطِنَ به موسى فقصده ففرَّ المهتدى ، فقبض عليه موسى وداسوا خُصْيَتيه فمات ودفن بتربة المنتصر . ومدة خلافته أَحد عشر شهرا أَو نحو ذلك . ولم أَقف على ذكر عقبه. [٢]

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى أَيامه خرج عليه على بن محمد بن عبد الرحيم

---

(١) لعلها وثلاثون سنة أو وأربعون سنة ففى النجوم الزاهرة ح ٣ ص ٢٧ : وله نحوأربعين سنة ويبدو أن السهو جاء من أن قتله كان سنة ست وخمسين ومائتين .

(٢) في جمهرة أنساب العرب ص ٢٣ أولاده عبد الله وجعفر وعبد الواحد والعباس وعبد الوهاب . . . .

المعروف بصاحب الزِّنْجِ ، ونسبه فى عبد القيس ، فجمع عليه الزّنج الذين كانوا يكسحون السِّباخ من جهة البصرة ، وادَّعى أنه علىّ بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ، وسار إلى البصرة ، وعظم أمره ، وبثّ أصحابه يمينا وشمالا ، ولم يزل أمره يتفاقم حتى ملك الأُبُلَّةَ وعبَّادان والبصرة ، وبقى حتى قُتل فى أيام المعتمد الآتى ذكره سنة سبعين ومائتين .

وفى خلال أيامه ظهرت قبيحةُ أُمّ المعتز ، وكانت قد اختفت عند القبض على ابنها ، وكان لها أموال جَمَّة ببغداد ، يقال : إنه وُجد لها مطمورةٌ تحت الأرض فيها ألف ألف دينار ، ووُجد لها فى سَفَطٍ قَدْرُ مَكُّوكِ [1] زُمُرّدٍ ، وفى سَفَطٍ آخر قدر مكّوك لؤلؤ ، وفى سفط آخر قدر كَيْلَجَة [2] ياقوت أحمر لا يوجد مثله ، فحُمل ذلك جميعه إلى صالح بن وصيف صاحب المهتدى القائم بتدبير (١٦) دولته [3] ، وسارت هى إلى مكة ،

(١) المكوك : مكيال يسع صاعا ونصفا أو نصف رطل إلى ثمان أواقي ....

(٢) الكيلجة كيل كان معروفا لأهل العراق

(٣) في ابن الأثير ﺣ ٧ ص ٧٠ فحمل الجميع إلى صالح فسبها وقال عرضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار وعندها هذه الأموال كلها .

فكانت تدعو على صالح بصوت عال تقول : هتك ستري ، وقتل ولدي ، وأخذ مالي ، وغرّبني عن بلدي ، وركب الفاحشة مني. فأجاب الله دعاءها فيه ، فخرج عليه موسى بن بغا ، فهرب صالح واختفى ، ثم ظفر به موسى وقتله ونودي عليه : هذا جزاء من قتل مولاه.

وفي سنة خمس وخمسين ومائتين توفي أبو عثمان الجاحظ المعتزلي إمام أهل الأدب .

ولايات الأمصار في خلافته

في خلافته كان على مصر أحمد بن طولون ، واستْضاف إليها الشام ، وهو أول من جمع له بين مصر والشام في الإسلام . والقاضي بمصر يومئذ بكّار بن قتيبة ، وكان مُقْطَعُها أماجور [1] ولم أقف على عماله بمكة والمدينة .

وكانت اليمن بيد بني زياد .

وكانت خراسان بيد محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر .

---

(١) الذي في ابن الأثير حـ ٨ ص ١١٢ حوادث سنة ٢٦٤ أن أماجور كان مقطعا دمشق .

وكان على إفريقية قبله محمد أبو الغرانيق من بنى الأغلب ، فبقى إلى ما بعد خلافته .

وكان المستولى على الغرب الأقصى قبله علىّ بن عمر بن إدريس ، فبقى إلى ما بعد خلافته .

وكان المستولى على الأندلس قبله محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم [1] فبقى إلى ما بعد خلافته .

الخامس عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المعتمد على الله

وهو أبو العباس ، وقيل : أبو جعفر أحمد بن المتوكل جعفر .

وأمه أم ولد اسمها فِتْيان ، كان طويل اللحية حسن الجسم واسع العينين ، مُقبلا على اللذات ، بويع له بالخلافة بعد خلع (٦٨ ب) المهتدى ، لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين . وكان

(١) في الأصل : بن عبد الحكم .

نقش خاتمه : السعيد من وُعظ بغيره . وكان القاضى بمصر بكّار بن قتيبة ، ثم غضب عليه ابنُ طولون فى أواخر أيامه وحبسه وقيّده ، وطلبه بجوائزه التى كان بعث بها إليه ، فوجدها فى منزله بخواتيمه ستة عشر [1] كيسا ، فيها ستة عشر ألف دينار . وأقام محمد بن شاذان الجوهرى [2] كالنائب له . وابن طولون فى خلال ذلك يُخرج بكارا كلما جلس للمظالم ويقيمه بين يديه إلى أن مات ابن طولون ، ثم مات القاضى بكار بعده بأربعين يوما ، ودفن عند مصلى ابن مسكين ، وقبره مشهور هناك يزار ، معروف بإجابة الدعاء عنده . وبقيت مصر بعد ذلك سنتين بغير قاض [3] .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة أقبل على لذاته ولهوه ، وجعل أخاه طلحة ولىَّ عهده ، ولقّبه المُوفَّق ، وجعل إليه المشرق ، وجعل ابنه جعفرا ولىَّ عهده ولقّبه المُفَوّض إلى الله ،

---

(١) في ابن خلكان ترجمة بكار : ثمانية عشر . وكذلك نقل عنه في النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٩ .

(٢) في الأصل شادان . والتصويب من ابن خلكان ترجمة بكار وكتاب الولاة ص ٥١٣ .

(٣) لم يشر إلى ذريته وفي جمهرة أنساب العرب ٢٥ هم : جعفر المفوض وإسحاق ومحمد وأبوعبد الله وعبد العزيز وإبراهيم ويعقوب وعلى والعباس .

وجعل إليه المغرب ، فغلب الموفّق على الأمر وقام به أسدَّ قيام وأحسنه ، ومال الناس إليه واحتجز المعتمدَ وضيّق عليه حتى أنه احتاج فى وقت[1] إلى ثلاثمائة درهم فلم يجدها فأنشد :

أليس من العجائب أنَّ مثلى
يَرى ما قَلَّ مُمتنعاً عليه
وتُؤْخَذُ باسمه الدنيا جميعا
وَما مِنْ ذاك شىءٌ فى يَدَيْه

وفى أيامه كان قد ابتدأ ظهور القَرامطة ، وهم طائفة ملعونة ، ظهرت من سواد العراق ، ينسبون إلى رجل اسمه الفرج بن عثمان ، يلقب بقَرْمَط ، ومعناه بالنبطية أحمر العين ، قيل : إن الذى كان أتى به (٦٩ ا) إلى السَّوَاد رجل أحمر العين ، فشُهِر بشهرته ، وكان اللّعينُ قد قام فى أهل البادية ممن لا معتقد له وادَّعى أنه جاءَ بكتاب أوله : بسم الله الرحمن الرحيم ،

(١) في هامش الأصل بخط مختلف كلمة « مطلب » هذا ولم يتم الكلام وهذه الكلمة جاءت عند كلمة « احتاج في » ولعله أراد أن يكتب عنوانا « أو أن يجعلها بدل كلمة « وقت » .

يقول الفرج بن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانة : إنه داعيـة المسيـح ، وهو عيسى ، وهو الـكلمة ، وهـو المهدى ، وهو أحمد بن محمد بن الحَنَفِيَّة ، وهو جبريل ، وأن المسيح تصوّر [له] فى جسم إنسان وقال [له] : إنك الداعية، وإنك الحُجَّة ، وإنك الناقة [1] وإنك الدابّة ، وإنك يحيى بن زكريا ، وإنك روح القدس [2] . إلى غير ذلك من سخيف الألفاظ وكُفْرِيَّات الأقوال . واتبعه على هـذا الهَذَيان خلق كثير ممن لا عقل له ولا مُسْكَة دين من أهل القرى ، وقويت شوكته وعظمت دولتـه وكثرت أتبـاعه وطالت أيامهم وتمادت ، وكان للإسلام بهم أعظم نكاية . قال صاحب « العبر » وهؤلاء القرامطـة يعرفون فى بلاد المشرق بالملاحدة ، لأن مذهبهم كله إلحاد ، ومنهم الإسماعيلية بقلاع الدعوة بأعمال طرابُلس من بلاد الشام المعروفون بالفَداوِيّة .

وفى أيامه توفى الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى صاحب « الجامع الصحيح » سنة خمسين ومائتين [3] .

---

(١) فى الأصل : الباقية والتصويب من ابن الأثير .

(٢) انظر النص فى ابن الأثير ﺣ ٣ ص ١٦٠ حوادث سنة ٢٧٨ وله فيه تكملة كثيرة .

(٣) الذى فى ابن خلكان ترجمة البخارى محمد بن اسماعيل أنه توفى سنة ٢٥٦ وكذلك فى النجوم الزاهرة ﺣ ٣ ص٢٥ حوادث سنة ٢٥٦ .

وفى سنة إحدى وسبعين ومائتين كان بمصر زلزلة عظيمة انهدمت منها منارة الإسكندرية . ثم فى سنة اثنتين وسبعين كانت زلزلة عظيمة عمت البلدان ، ووقع غلاء ، بِيع القمح فيه نصف وَيْبةٍ بدينار .

وفى سنة خمس وسبعين احترقت مدينة الفُسطاط واحترق الجامع العتيق ، وهو الحريق الثانى وعمَّره أبو الجَيْش ابن طولون .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر قبله أَحمدُ بن طولون ، فأَقرّه عليها ، وبقى إلى ما بعد (٦٩ ب) خلافته ، والقاضى بها بكّار بن قتيبة أَيضا . وفى أيامه استضاف أَحمدُ بن طولون الشام بعد موت مُقطِعها أَماجور ، إلى مصر ، وصيَّرهما مملكة واحدة له فى سنة أَربع وستين ومائتين ، وهو أول من جمع بينهما فى الاسم ، وبقى عليهما حتى توفى أحمد بن طولون فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، وكانت منازله ومنازل بنيه بعده حول جامِعِه الموجود الآن ، من كل جانب ، ويعرف بالقطائع ، فكان يقال قَطيعة

فلان ، وقطيعــة فلان ، كل خُطٍّ منها يسمى قطيعة ، وكان الأُمراء فيما قبله ينزلون بدار الإمارة بالفسطاط ، وكان مبدأ بناء جامعه فى صفر سنــة تسع وخمسين ومائتين ، وسبب بنائه جامعَه هذا أَنه كان يــكثر التردد إلى مدينة عين شمس الخراب ، وهى الـكيمان التى على القرب من المَطرِيّة من غربيّها ، فاتفق أَنه بينا هو يسير فى أَرضها يوما إذ ساخَتْ يدُ فرسه فى الأَرض ، فــأَمر بحفر ذلــك المــكــان ، فوجد فيــه كنزا من ذهب فى ناووس حَجَر ، ومقابله ناووسٌ آخر فيه ميت مُصَبَّر فى عسل نحــل . وعلى صدره لوح من ذهب مــكتوب ، فأَخذ الذهب واللوح ، وتطلَّب من يقرأ له ذلك اللوح ممن له معرفة بالخطوط القديمة . فدُلَّ على راهب بالصعيد فى بعض الدِّيارات ، فأَمر بإشخاصه إليــه ، فقيل له : إنه لا يستطيــع المسير لــكبر سنه ، فبعث إليه باللوح صحبةَ أَميرٍ من جهتــه ، فلما نظر فيه قال : إنه يقول : أنا أَكبر الملوك ، وذهبي أَخلَصُ الذهب ، فقال ابن طولون : قاتل اللهُ من يــكون هذا اللعينُ أَكبرَ منــه أَو ذهبُه أَخلصَ من ذهبــه . ثم شدّد فى ذلك حــتى كان يحضر التَّعْلِيق [1] بنفسه ، فكان

(١) التعليق لعله اصطلاح على تصفية الذهب واستخلاصه .

ذهبه أخلص الذهب ، ثم أخذ فى عمارة الجامع من المال الذى وجده فى الكنز . ومن غريب أمره أنه لما فرغ من بنائه أمر من يتجسّس بسماع (١٧٠ ا) قول الناس فيه ، فحضر إليه رجل فقال : سمعت من يقول : محرابُه صغير ، وقال آخر : سمعت من يقول : ليس به سارية . وقال آخر : سمعت من يقول : ليس فيه ميضأةٌ ، فقال : أما صغر محرابه فإنى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وقد خطَّه لى فأصبحت فوجدت النمل قد دار على ذلك المكان . وأما عدم السارية فإن السوارى لا تكون إلا من مسجد خراب أو كنيسة ، وأنا بنيته من حلال من كنز وجدته ، فكرهت أن أُدخل فيه شائبةً ، وأما الميضأة فأردت تنزيهه عن النجاسة وسأبنيها على بعد ، فبناها عند دار الفيل .

وملكها بعده ابنه خمارويه بن أحمد بن طولون ، فبقى بها إلى ما بعد خلافته . ولم أقف على عماله بمكة والمدينة .

وكانت خراسان وما وراء النهر بيد بنى طاهر بن

الحسين . ويعقوب بن الليث الصَّفَّار قد فتح الرخج وقتل ملكها ، واستسلم أهلها ، وكان ملكها يجلس على سرير من ذهب ويدعى الإلٰهيّة [1] ، ثم مات يعقوب فى سنة خمس وستين ومائتين بعد أن استولى على بَلْخ وكَابُل وغيرهما ، فقام بالأمر بعده أخوه عمرو بن الليث ، وكتب إلى المعتمد بطاعته ، فولاه الموفَّق أخو المعتمد القائمُ بتدبير دولته خراسانَ وأصفهان وسِجِسْتان والسندَ وَكِرْمان ، وسيَّر إليه الخِلَع مع الولاية .

وفى أيامه استولى صاحب الزنج على الأُبُلَّه وعَبَّادان والأهواز ، ثم استولى على البصرة فى سنة سبع وخمسين .

وكان لأسد بن سامان أربعةُ بنينَ ، هم نوح وأحمد ويحيى وإلياس ، وكانوا فى خراسان والمأمون بها ، فأكرمهم وقدَّمهم ، ولما سار المأمون من خراسان إلى العراق استخلف على خراسان غسّان بن عبّاد ، فولى غسّانُ أحمدَ بنَ أسد فَرْغَانةَ فى سنة أربع ومائتين ، وولّى يحيى بن أسد الشاشَ وأُشْرُوسَنَةَ ، وولى إلياس بن أسد هَرَاةَ ، وولى (٧٠ ب) نُوحَ بن أسد سَمَرْقَنْدَ قاعدة ما وراء النهر ،

(١) الإلاهية والألوهية والألوهة كلها بمعنى .

فلمــا تولّى طــاهر بن الحسين خراسان وما وراء النهــر أقرّهم على هذه الأعمال ، ثم مات نوح بن أسد بسمرقند ، ومات بعده إلياس بهَراة ، واستقر على عمله ابنُه محمــدُ بن إلياس ، وكان لأحمد بن أسدٍ سبعةُ بنين ، وهم نصــر ويعقوب ويحيي وأسد وإسماعيل وإسحاق وحميد ، ثم مات أحمد بفرغانة واستخلف ابنــه نصرا على أعماله ، وكان إسماعيل بن أحمد يخدم أخاه نصرا ، فولاّه نصر بُخارى فى سنــة إحدى وستين ومائتين ، وكان إسماعيل رجــلاً خَيِّرا يحب أهل العلم ويكرمهم ، فمن ثَمَّ دام مُلْــكُه وملك أولاده ، وطالت مُدَّتهم .

وكان اليمن بيد بنى زياد .

وكان على إفريقية محمد أبو الغرانيق من بنى الأغلب ، فتوفى فى منتصف سنة إحدى وستين ومائتين بعد أن عهد لابنــه أبى عقال ، فحمل أهلُ القيروانِ إبراهيمَ بنَ أحمد أخى أبى الغرانيق على الولاية لِحُسْن سيرته ، فامتنــع ثم أجاب ، وقام بالأمر أحسن قيام ، وقمع أهل الفساد ، وبنى الحصون والمحارس بساحل البحــر ، حتى كانت النار توقد فى ساحل سَبْتَةَ لِلإنذار بالعدوّ ، فيتصل إيقادها بالإسكندرية

فى ليلة واحدة ، ثم انتقل من القيروان إلى تونس ، فسكنها فى سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وهو أول من سكنها من ملوك إفريقية . وفى أيامه ظهرت دعوة العُبيدِيّين بالمغرب ، وتوفى سَنة تسع وثمانين ومائتين ، وولى بعده أبو العباس عبدالله بن إبراهيم أخى محمد أبى الغرانيق وكان حسن السيرة بصيرا بالحروب ، ونزل تونس مكان أبيه ، وغلب أبو عبد الله [1] الشيعىُّ داعيةُ العبيديين على كُتامة وجرى بينهما حروب ، وبقى إلى ما بعد خلافة المعتمد .

وكان على الغرب الأقصى علىّ بن عمر بن إدريس ، فبقى إلى ما بعد (١٧١) خلافته .

وكان على الأندلس قبله محمد بن عبد الرحمن بن الحَكَم [2] المقدّم ذكره ، فتوفى سَلْخَ صفر سنة اثنتين وستين ومائتين ، وقام بالأمر بعده ابنه المُنذر بن محمد ، فبقى إلى ما بعد خلافة المعتمد أيضا .

---

(١) في الأصل أبو محمد .

(٢) كتب في الأصل : عبد الحكم .

السادس عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المعتضد بالله

وهو أبو العباس أحمد بن الموفّق طلحة بن المتوكل جعفر .

وأُمه أُم ولد اسمها ضرار ، ويقال : إن اسمها خُفير [١] وكان نحيفا ربعة خفيف العارضين يَخْضب بالسواد ، سريع النهضة عند الحادثة ، ينفرد بالأُمور بتجربة وحُنْكَة ، وكان شهما مَهيبا عند أصحابه ، يتقون سطوته ، ويكُفُّون عن المظالم خوفاً منه ، مع عفّة ذَيْل .

قال ابن إسحاق القاضى [٢] : دخلت على المعتضد وعلى رأسه أَحداثٌ رومٌ صِباحُ الوجوه ، فأَطلت النظر إليهم ، فلما قمت أَمرنى بالجلوس ، فجلست ، فلما تفرق الناس قال : يا قاضى ، واللهِ ما حللت سراويلى على حرام قط .

(١) ذكر في ابن الأثير جـ ٧ ص١٨٣ أن اسمها ضرار وفي تاريخ الخلفاء ص ١٤٨ اسمها صواب وقيل حرز وقيل ضرار .

(٢) في ابن الأثير جـ ٧ ص ١٨٣ حكى القاضى إسماعيل بن إسحاق قال ...

بويع له بالخلافة لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين بعد وفاة المعتمد ، وكان نقش خاتمه : الاضطرار يزيل الاختيار . وبقى حتى توفى ببغداد ليلة الاثنين لسبع ، وقيل : لثمان ، بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، وعمره ست وأربعون سنة ، وصلى عليه أبو عمر (١) القاضى . ودفن ليلا فى دار محمد بن طاهر ، ويقال : إن وزيره إسماعيل بن طاهر(٢) سمه . ومدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وأربعة أيام ، وقيل : وثلاثة عشر يوماً ، ولما حضرته الوفاة أنشد :

ولا تأمننَّ الدهرَ إنى أمنتُه
فلم يُبْقِ لى مالاً ولم يرعَ لى حَقَّا
قتلتُ صناديدَ الرجالِ ولم أَدَعْ
عَدُوًّا ولم أُمهل على طَغْيِهِ خَلْقَا (٣)

---

(١) الذى في النجوم الزاهرة حـ ٣ ص ٢٨٩ صلى عليه يوسف بن يعقوب القاضى والذى في ابن الأثير حـ ٧ ص ١٨٣ أن الذى صلى عليه الوزير « القاسم بن عبيدالله » وفي الطبرى حوادث ٢٨٩ أن الوزير حضر الصلاة .

(٢) كذا في الأصل . والذى كان وزيره هو القاسم بن عبيد الله انظر ابن الأثير ٧ – ١٨٣ وقبله كان عبيدالله بن سليمان انظر ابن الأثير ٧ – ١٦٣ والطبرى حوادث ٢٨٩ ومروج الذهب .

(٣) في الأصل : على خلقه خلقا . والتصويب من ابن الأثير ٧ – ١٨٣ .

وأَخليتُ دارَ المُلْكِ من كلّ نـــازع

فشرَّدْتُهم غَرْباً وفرَّقتهم شَرْقَـــــا

(٧١ ب) فلَمَّا بلغتُ النجم عِزًّا ورفعة

وصارت رقابُ الخلق أَجمعَ لى رِقًّا

رمانى الرَّدَى سهماً فأَخمـــد جمرتى

فها أَناذا فى حُفرتى مَيِّتًـــا أُلقى [1]

وكان له من الأَولاد المـــكتفى والمقتدر والقـــاهر ، كل منهم ولى الخلافة ، وهارون وإحدى عشرة بنتـــا .

الحـــوادث والماجريات فى خلافتـــه

كان من أَحسن الناس سيـــرة ، ولمـــا بويـــع أَمر بافتتاح الخراج فى شهر حَزيران من شهور السريـــان ، عنـــد كون الشمس فى أَواخر الجَوْزاء ، رِفقا بالنـــاس حتى لا يؤخذ منهـــم الخراج قبـــل حصول غـــلالهم ، وسمـــاه النيروز

(١) في ابن الأثير : « عاجلا ألقى » وذكر بعده بيتين هما :

ولم يغن عنى ما جمعت ولم أجد   لذى الملك والأحياء في حسنها رفقا

فيا ليت شعرى بعد موتى ما ألقى   إلى نعم الرحمن أم ناره ألقى

المعتضدى ، وكان ذلك من حسن سيرته ومحاسن تدبيره وسياسته .

وفى سنة سبع وسبعين [١] ومائتين غار نيل مصر ووقع الغلاء حتى بلغ الكرُّ[٢] بها خَمْسَ مائة دينار ، كما ذكر صاحبُ «تاريخ النيل»

وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين أمر بردِّ الفاضل من سهام المواريث بعد أرباب الفروض على ذوى الأرحام ، وأبطل ديوان المواريث الحَشريَّة [٣] وأن يكتب بذلك إلى سائر الأقطار .

وفى سنة إحدى وثمانين ومائتين [٤] خطب إلى خمارويه بن أحمد بن طولون ابنته قطر الندا ، وجُهِّز إليه مهرها ألف ألف درهم ، وهدايا كثيرة ووشاح وبدلة جوهر ، فأجابه خمارويه إلى ذلك ، وهادى بالهدايا الجمة ، وجهزها بجهاز لم يسمع بمثله ، يقال إنه كان فيه ألف

(١) في النجوم الزاهرة أن ذلك كان في سنة ٢٧٨ .

(٢) الكر : مكيال . مختلف في معياره .

(٣) المواريث الحشرية : هى من يموت أصحابها ولا وارث لهم ، انظر مفاتيح العلوم .

(٤) خطبها في سنة ٢٧٩ ودخل بها في سنة ٢٨٢ انظر النجوم الزاهرة ، ٦٣ ، ٨٠ ، ٨٧.

هاون من ذهب ، وخرجت عمتها العباسة بنت أحمد بن طولون لتشييعها ، فنزلت مكان القرية المعروفة اليوم بالعباسيّة من بلاد الشرقية من الديار المصرية ، فعُرِفت بها .

وفى سنة أربع وثمانين ومائتين أخبر المنجمون أنه يغرق أكثر الأقاليم بسبب كثرة الأمطار وزيادة الأنهار ، فتحفّظ الناس واحترزوا عن ذلك ، فقلّت الأمطار وغارت المياه حتى استسقوا ببغداد مرات ﴿ عَالِم الغيْبِ فلا يُظْهِرُ عَلى غيْبِهِ أَحَدًا. إلاّ منِ ارْتضى مِنْ رَسُولٍ (١) ﴾

(١٧٢) وفيها فى ربيع الآخر ظهرت ظلمة شديدة وريح وحُمرة ، وخاف الناس من ذلك ثم كشفه الله

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر والشام فى أيامه خمارويه بن أحمد بن طولون ، ثم قُتل بدمشق فى سنة ثلاث وثمانين (٢) ومائتين ووليها بعده ابنه جيش بن خمارويه ، وقتله جنده

(١) سورة الجن الآية ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) في صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٢٩ أن خمارويه قتل سنة ٢٨٢ وأن جيش بن خمارويه قتل سنة ٢٨٣

فى السنة المذكورة ، ثم وليها هارون بن خمارويه بمبايعة الجند فى آخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، فبقى بها إلى ما بعد خلافته ، وكان طغج بن جفّ نائبا عن خمارويه وابنه هارون بالشام ، وكان نائبهما على حلب حمدان [1] ونائبهم على العواصم محمد بن عيسى ، وفى أيام هارون تغلبت القرامطة على دمشق وبقيت بأيديهم إلى أن انتزعها منهم المكتفى بالله الآتى ذكره ، ولم أقف على عماله بمكة والمدينة [2]

وكان اليمن بيد بنى زياد .

وكان ما وراء النهر بيد إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان ، ثم ملك مع ما وراء النهر خراسان فى سنة سبع وثمانين ومائتين ، واقتلعها من عمرو بن الليث الصفار بعد أن أسره ، ثم أرسل به بعد ذلك إلى المعتضد فحبسه فى بغداد ، وبقى محبوساً بها حتى قُتل فى سنة تسع وثمانين ومائتين .

---

(١) لم يرد اسم حمدان في صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦٨ ولا معجم الأنساب ص ٤٩ .

(٢) كان على مكة من سنة ٢٧١ يوسف بن ابى الساج ومن سنة ٢٨١ إلى سنة ٢٩٥ عج بن حاج المظفر ، انظر معجم الأنساب والأسرات ص ٣٠ .

وكان على إفريقية أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن أبى الغرانيق من بنى الأغلب ، فبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

وكان على الأندلس المنذر بن محمد الأموى فبقى إلى ما بعد خلافته أيضا .

السابع عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المكتفى بالله

وهو أبو محمد على بن المعتضد بالله المتقدم ذكره (١) .

وأمه أم ولد تركية اسمها خاضع وقيل جحجك (٢) وتلقب جحيفة ، وكان مولده سنة (٧٢ ب) أربع وستين ومائتين ، وكان جميلا رقيق السُّمْرة أعين حسن الوجه والشعر وافر اللحية . بويع بالخلافة ببغداد وهو غائب بالرّقّة لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع

(١) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتى : وفي أيامه أرسل محمد بن الواثقى الكاتب إلى مصر فاستولى عليها وانتزعها من بنى طولون وخرب منازلهم وأزال ملكهم عنها . وفي أيامه عظم شوكتهم ثانيا لأجل تدبيره . هذا وانظر ما سيأتى في الحوادث والماجريات عند ذكر محمد بن سليمان فانه هو الواثقى .

(٢) في تاريخ الخلفاء ص ٢٥١ تركية اسمها جيجك .

وثمانين ومائتين ، ولما وصله الخبر أَخذ البيعة لنفسه على من عنده ، وسار إلى بغداد فدخلها لثمان خلون من جمادى الأُولى من السنة المذكورة ، وكان نقش خاتمه . باللهِ عليٌّ بن أَحمد يَثِقُ . وبقى حتى توفى لثنتى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين بعد أَن طال مرضه شهورا ، وعمره يومئذ إحدى وثلاثون سنة وأَشهر . ودفن فى دار محمد بن طاهر ببغداد . ومدة خلافته ست سنين وستة أَشهر وعشرون يوما ، وكان له من الأَولاد المستكفى بالله الآتى ذكره [1] .

الحوادث والماجريات فى خلافته

كان كثير العسكر وافر الأَموال ، قد وطَّأَ له أَبوه المعتضد الأُمور ، وسار بسيرة أَبيه . وفى أَيامه اشتدت شوكة القرامطة وحصروا طغج أَميرَ دمشق عن بنى طولون ، ثم اجتمعت عليهم العساكر فقتل مُقدَّمهم يحيى المعروف بالشيخ ، وقام أَخوه الحسين مقامه ، وتسمى أَحمد ، وأَظهر شَامَةً فى وجهه ، وزعم أَنها آيته ، وكثر

(١) ذكر له في جمهرة أنساب العرب أيضا ص ٢٦ محمد أبو أحمد والعباس والفضل وجعفر وعبد الصمد وعبدالملك وموسى وعيسى .

جمعه ، فصالحه طغج على مال دفعه إليه ، وسار إلى حمص فحصرها حتى خُطِب له على منبرها ، وتلقَّب المهديَّ أمير المؤمنين ، وعهد إلى ابن عمه عبد الله ، ولقَّبه المُدَّثِّر ، وزعم أَنه المدثر المذكور فى القرآن ، ثم سار إلى حماة والمَعَرَّة وسلميَّة ، فقتل حتى النساء والصبيان فخرج إليه المكتفى بنفسه ، وسار من بغداد حتى نزل الرقة ، وجهز إليه العساكر ، فهرب ومعه ابن عمه المدثر ، فوقع القبض عليهما بالبَرِّيَّة ، وأُحضرا إلى المكتفى ، فسار بهما إلى بغداد فقتلهما وطِيفَ برأْس صاحب الشامة (١٧٣) وتفاقم أَمر القرامطة فى كل جهة ، ونهبوا طَبَرِيَّة ، وساروا إلى جهة الكوفة ، وقطعوا الطريق على الحجاج من طريق العراق ، وفتكوا بهم عن آخرهم ، وأَخذوا منهم أَموالا جمة ، وبلغ عدة القتلى من الحُجَّاج فيما يقال عشرين أَلفا . ثم جهز المكتفى جيشا مع محمد ابن سليمان الكاتب فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فسار حتى استولى على دمشق ، وتوجه إلى مصر وبها يومئذ هارون بن خمارويه بن أَحمد بن طولون ، فوقع الحرب بينه وبين محمد بن سليمان ، فقُتل هارون فى المعركة ، وقام عمه شيبان بن أَحمد بن طولون مقامه ، ثم طلب

الأمان فأمنــه محمد بن سليمان ، ثم هرب شيبان ليلا فلم يوجد ، واستولى محمد بن سليمان على مصر ، وأمسك بنى طولون ، وخرب منازلهم حتى لم يبق منها إلا الجــامع .

ومن غريب ما وقع ما حــكاه محيي الدين بن عبد الظاهر فى «خطط القاهــرة» أن أحمد بن طولون رأى فى منـــامه كأن الله تعالى تجلى على تلك الجهــة خلا الجــامع ، فقص ذلك على عابر ماهــر ، فقال له : إن جميــع هذه الأماكن تخرب خلا الجامعَ ، فإن الله تعالى يقول ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [1] وكان الأمر كما عبَّر ، واستقر محمد بن سليمان بعد ذلك متـــأمِّراً على مصر ،كما سيأتى ذكره فى الــكلام على ولاة الأمصار .

وفى سنــة تسعين ومائتين انتهت زيادة النيل إلى يوم النيروز ثلاثة عشر ذراعا ، ثم توقف فلم يزد إلى العاشر من توت ، واستسقى الناس فى هذا اليوم وعاودوا الاستسقاء مرات ، فزاد بعد ذلك أربــع أصابع ونصفا .

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٣

ولايات الأَمصار فى خلافتـــه

كان على مصر قبله هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون .

ودمشق (٧٣ ب) بيد القرامطــة من حين اقتلعوها من نواب هارون إلى أن قُتل فى سنـــة ثلاث وتسعين ومائتين .

فوليها [١] عن المـكتفى شيبان بن أَحمد بن طولون فى سنـــة اثنتين وتسعين ومائتين ، ثم بعث المكتفى محمد بن سليمان الواثقىّ الـكاتب ، فاستولى على مصر وانتزعها من بنى طولون وخرب منازلهم وأزال ملـكهم عنهـــا ، وكتب المكتفى كتابا بالفتـــح إلى سائر الأَقطار ، قد ذكرته برمّته عـــلى طوله فى كتابى «صبـــح الأَعشى فى كتـــابة الإنشـــا » وبقيتْ بيـــد محمد بن سليمان الـكاتب إلى أن ولّى عليها المـكتفى عيسى بن محمد النوشرى فى سنة خمس وتسعين ومائتين ، ثم تغلب عليهـــا محمد بن على [٢] ثـم عاد إليها النوشرى ، وكان قد تغلب على دمشق القرامطةُ عـــلى ما تقدم ذكره ، فانتزعهـــا منهم فى سنـــة إحـــدى

---

(١) فوليها أى مصر ، كما فى صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٢٩

(٢) فى معجم الأنساب والأسرات ص٢٤ أبو عبد الله بن محمد بن على الخلنجى .

وتسعين ومائتين ، وأقام عليهـا وعلى حلب أحمـد بن كَيْغَلَـغ [1] أميرا ، فبقى فيهما إلى ما بعـد خلافـة المـكتفى .

وولّى عـلى ديار ربيعـة وديار مضر[2] من بلاد الجزيرة أبا الهيجـاء عبد الله بن حمـدان . ولم أقف على عماله بمـكة والمدينـة [3] .

وكانـت اليمن بيد بنى زياد .

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد إسماعيـل بن أحمد ابن أسد بن سامان ، إلى أن مات وملكهـا بعـده ابنـه أبو نصر أحمد بن إسماعيـل ، وأرسل المـكتفى إليـه التقليد .

وكان على إفريقية قبله أبو العباس عبد الله بن إبراهيم ابن أبى الغرانيق ، فتوفى فى شعبان سنة تسعين ومائتين وولى ابنـه زيادة الله ، فأقبـل على اللذات واللهو ، وقتل إخوتـه وعمومته ، وقوى أمر أبى عبد الله الشيعـى داعى

(١) في صبح الأعشى : أحمد بن كيغلغ وسيأتي أنه أحمد بن كيغلغ وقد كان في الأصل محمد بن كيغلغ .

(٢) كذا ولعلها بكر .

(٣) في معجم الأنساب ص ٣٠ كان عج بن حاج المظفر من سنة ٢٨١ إلى سنة ٢٩٥

عبيـــد الله [1] المهـــدى بالمغرب . فهرب زيادةُ الله إلى مصر ، وترك إفريقية ، وبخروجه عنها انقرضت دولة بنى الأَغلب من إفريقية ، وكان على الغرب الأَقصى علىّ بن عمر بن إدريس ، فقُتل سنـــة ست وتسعين ومائتين ، وقام بالأَمر بعده يحيى بن إدريس بن عمر بن(٧٤ ا) إدريس الأَصغر ، وملك جميـــع المغرب ، وخُطِب له على منابره ، فبقى إلى ما بعد خلافة المـــكتفى .

وكان على الأَندلس المنذر بن محمد الاموى . فتوفى لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنـــة خمس وتسعين ومائتين . وبويـــع أخوه عبد الله يوم موتـــه . فبقى إلى ما بعـــد خلافة المـــكتفى .

الثامن عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

المقتدر بالله

هو أَبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله المقدم ذكره .

وأُمه أُم ولد اسمها شغـــب [2] . كان ربـــع القـــامة

(١) في الأصل : عبد الله .

(١) في الأصل : شحب وفي تاريخ الخلفاء ص ١٥٢ اسمها غريب وقيل شغب .

دُرِّىَّ اللون ، أَحور أَصهب [١] ، وكان ثقيل الجثة [٢] بويــع له بالخلافة لثــلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنــة خمس وتسعين ومائتين ، وسنــه يومئذ ثلاث عشرة سنــة ، وقيل ثلاث عشرة سنــة وشهران إلاّ أياماً ، وكان نقش خاتمه : الحمــد لله الذى ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء . وبقى حتى توفى قتيلا يوم الأَربعاء لثلاث بقين من شوال سنــة عشرين وثلاثمائة ، وسنه ثمان وثلاثون سنــة ، وكان سبب قتله أَن مؤنسا الخادم خرج إلى الموصل وديار ربيعة مغاضبا له ، ثم عاد يريد بغداد ، فحسَّنَ بعضُ الناس للمقتدر الخروجَ لقتاله ، فخرج إلى باب الشماسية ، والتحــم العسكر ، فقتله رجل من البربر وقلع ثيابه ، فمر به رجــل فسترَ سوأَته بحشيش ، ثم حفر له ودُفن وخَفِــى أَثرُه . ومدة خلافته أَربع وعشرون سنة وأَحد عشر شهــرا وأَربعــة عشر يوماً . وكان له من الأَولاد الراضى محمد [٣] والمتقى [أَبو] إسحــاق [إبراهيم] والمطيــع

---

(١) الأصهب من الشعر ما كان فيه حمرة أو شقرة . والأصهب الذى يخالط بياضه حمرة .

(٢) في هامش الأصل ما يأتى : « وكان له هيبة عظيمة ، رتب العسكر في خلافته مائة وس
الفا ما بين راكب وراجل وكان يقف بين يديه سبعمائة حاجب وسبعة آلاف خد
منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود كذا ذكره المؤرخون .

(٣) في صبح الأعشى حـ ٣ ص ٢٦١ الراضى أحمد وكذلك هو في معجم الأنساب والأسر ص٣
أما في جمهرة أنساب العرب ص ٢٦ الراضى محمد وسيأتى في الأصل في خلافته أنه محمد .

الفضل ، ولى كل منهم الخلافة ، وعبد الواحد وعباس وهارون وعلىّ وإسماعيل وعيسى وموسى [وإسحاق] وأبو العباس [1] .

(٧٤ ب) الحوادث والماجريات فى زمانه

لما بويع بالخلافة كان صغيرا فى سن الثلاث عشرة سنة ، على ما تقدم ، فاستقلّ الوزراء والكتاب بتدبير الأُمور ، وغلب على أمره النساء والخُدَّام ، حتى أن جارية لأُمّه تعرف بشمل [2] القهرمانية كانت تجلس للمظالم ، ويحضرها القضاة والفقهاء ، فاختلّ الأَمر بسبب ذلك ، ويقال إنه استوزر فى مدة خلافته تسعة عشر وزيرا ، واجتمع القواد والقضاة على خلعه ، فخلعوه لعشر بقين من شهر ربيع الأَول سنة ست وتسعين ومائتين .

وبويع عبد الله بن المعتز ، ولُقِّب الراضى بالله وقد تقدم نسب أَبيه المعتز ، وأُمه أُم ولد اسمها خائن [3] وكان فاضلا شاعرا إماما فى البلاغة ، تشبيهاته لا تُلحق ،

---

(١) أبو العباس هى كنية محمد الراضى وفي جمهرة أنساب العرب ص ٢٦ ... اسم القاسم من ابنائه .

(٢) في الوزراء للصابى ص ٤٨ ، ١٧٢ ثمل .

(٣) في هامش النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٦٤ اسمها حابز نقلا عن عقد الجمان . أما في أصل النجوم فهو كالأصل .

أخذ العلم عن المبرّد ، وصار فى الأَدب والشعر أُمَّة يُضرب به المثل ، ولما ولى قال : قد آن للحق أن يتَّضح وللباطل أن يفتضح . ثم لم يلبث فى الخلافة غير يوم واحد وليلة حتى اضطرب أَمره وتفرق أَصحابه ، فأُمسك وحبس ليلتين ، ثم قتل خنقا ، وأُظهر أَنه مات حَتْفَ أَنفه ؛ وسنه يومئذ خمسون سنة ، ودفن فى خَرِبة بإزاء داره . ورثاه علىٌّ بن محمد بن بسام بقوله :

لله دَرُّك من مَلْكٍ بِمَضْيَعَــــة
ناهيك فى العلم والآداب والحَسَبِ
ما فيه لولا ولا ليتٌ فتنقصه[1]
وإنما أدركته حرفةُ الأدبِ

ومن حيث قِصرَ مدّته لم يورده المؤرخون فى عداد الخلفاء ، بل جُعل كالجُملة المعترضة ، ولما عاد المقتدر بقى الأَمر على ما كان عليه من تصرّف النساء والخُدام ، ورجوعه إلى قولهم ، ووقوفه عند رأْيهم ، وفى خلال ذلك

(١) فى ابن خلكان ترجمة عبد الله بن المعتز :

لله درك من ميت بمضيعة . . . .
ما فيه لو ولا لولا فتنقصه . . . .

قبض المقتدر على ابن الجصّاص الجوهرى ، وأُخذ منه من أَصناف الأَموال ما قيمته أَربعة آلاف [أَلف] دينار فأَكثر .

وفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وثب أَبو طاهر القرمطى فى جمعه على البصرة فقتل منها خلقا كثيرا ، ونهب أَموالا جمة ، ثم صار إلى الكوفة ففعل فيها كذلك ، ونهب(١٧٥) غالب البلاد الفراتية ، وقطع الطريق على الحُجاج ، وأَخذ أَموالهم ، ومات الكثير منهم جوعاً وعطشاً ، وعاد إلى هجر قاعدة البحرين ، وانقطع الحجّ من العراق بسبب ذلك .

قال فى «تاريخ النيل» : وفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ظهر فى السماء بمصر كوكب عظيم له شعاع عظيم ، يتبعه شهاب هائل بالجو شديد الحمرة ، أَخذ من جهة الشمال إلى جهة المشرق ، تقدير طوله ثلاثون رمحاً ، وعرضه قريب من رمحين ، فمه مفتوح كالحيّة ، أَقام ثلاث ساعات ثم انطفأً .

وفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة دخل أَبو طاهر

القرمطى مكّة يوم التَّرْوِية ، وخطب لعُبيد الله المهدى صاحب إفريقية ، وقتل الحاجَّ قتلا ذريعا ، ورمى القتلى فى زمزم ، وأخذ الحجر الأَسود وعرَّى الكعبة ، وقلع بابها ، وذهب بالحجر الأَسود إلى البحرين ، وبقى عنده اثنتين وعشرين سنة إلاّ شهرا حتى رده ، على ما سيأْتى ذكره ، بعد أَن بذل له بَجْكم [1] التركى أَحد أُمراء المقتدر خمسين أَلف دينار ، فما فعل ، وقال : أَخذناه بأَمر وما نرده إلاّ بأَمر ، وتعطل الحجُّ بعد ذلك من العراق إلى سنة عشرين وثلاثمائة ، والمقتدر مُتَمَادٍ على ما هو عليه من تَحكيم النساء والخدام والرجوع إلى قولهم ورأْيهم ، فاجتمعت العساكر إلى مُؤنس الخادم وأَلزموا المقتدر أَن يشهد على نفسه بالخلع ، ففعل ، وبايعوا أَخاه محمد ابن المعتضد ، ولقبوه القاهر بالله ، ونُهبت دار الخلافة ، واستُخرج من قبرٍ فى تُربة أُمّ المقتدر ستمائة أَلف دينار ، ثم أُعيد الأَمر إلى المقتدر بعد يومين ، وحُبس القاهر عند والدة المقتدر فأَحسنت إليه .

(١) في الأصل : يحكم انظر ترجمته في المنتظم حـ ٦ ص ٣٢٠

ولايـــات الأمصـــار فى خـــلافتـــه

كان على مصر قبله عيسى بن محمد النوشرى ، فوليها عن المقتـــدر أبو منصور تِـــكِين ، فى سنة سبـــع وتسعين ومائتين ، ثم عزله وولّى عليهـــا أبا الحسن [1] فى سنة ثلاث وثلاثمائة ، ثم أعاد إليهـــا تِـــكِين ثانيـــا سنـــة سبـــع وثلاثمائة ، ثم عزله وَوَلّى عليهـــا هلالَ بن يزيد سنة سبـــع وثلاثمائة ، وولّى عليها أحمد بن كِيغَلْـــغ فى سنة (٧٥ ب) إحـــدى عشرة وثلاثمائة ، وولى عليهـــا أبو منصور تِـــكِين ثالث مرة فى السنـــة المـــذكورة [2] ، وكان على دمشق وحلب أحمد بن كِيغَلْغ وبقى فيهمـــا إلى آخر أيام المقتـــدر .

وكان على مكة محمد بن سليمان الزّيدى من عقب سليمان ابن داود بن الحسن المثنى بن السبط ، قال البيهقى : خلع طاعة العباسيين وخطب لنفسه بالإمارة فى سنة إحدى وثلاثمائة .

وكانت اليمن بيد بنى زياد .

---

(١) ابو الحسن ذكا الأعور الرومى . معجم الأنساب ص ٤٢

(٢) ذكر قبله في معجم الأنساب والأسرات ص ٤٢ « أبو قابوس محمود بن حمك أو حمل مكث ثلاثة أيام » .

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد أحمد بن إسماعيل من بنى سامان ، فقُتل فى سنة إحدى وثلاثمائة ، وولى بعده ابنه أبو الحسن نصر بن أحمد ، فبقى إلى ما بعد أيام المقتدر .

وكانت إفريقية قد استولى عليها دعاة عبيد الله المهدى ، فقوى أمرهم وبويع لعبيد الله المذكور بها فى ربيع سنة سبع وتسعين ومائتين ، وبعث العمال إلى نواحيها ، وبنى مدينة المهديّة[1] بإفريقية شرقى تونس ، وجعلها دار ملكه .

التاسع عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق

القاهر بالله

وهو أبو منصور محمد بن المعتضد بالله المقدم ذكره ، وأمه أم ولد اسمها قتول وقيل : فتنة ، كان أبيض يعلوه حمرة ، مربوعاً ، أعين ، وافر اللّحية ، ألثغ ، شديد الإقدام على سفك الدماء أهوج ، محبًّا لجمع المال قبيح السياسة ، بويع له بالخلافة يوم الخميس لليلتين

(١) فى الأصل : المهدى .

بتميتا من شوال سنة عشرين وثلاثمائة ، وكان مؤنس الخادم قد أشار بمبايعة أبي العباس بن المقتدر ، فاعترضه إسحاق النوبختي بأن ابن المقتدر صبي [1] لا يصلح لتدبير الأمور .

وكان نقش خاتمه : محمد رسول الله . وبقى حتى خلع من الخلافة لست خلون من جمادى الأولى سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة ، ولما دخل عليه القضاة والشهود ليشهدوا عليه بالخلع قال لهم : لى فى أعناقكم بيعه ولست أحلكم منها ، فتركوه وانصرفوا ، فبقى إلى الليل فسمل فى عينيه بحديدة محماة ، فكان أول خليفة سمل ، فكانت مدة خلافته إلى أن سمل سنة واحدة وستة أشهر وثمانية أيام ، ولم يزل باقيا فى دار الخلافة مسمولا حتى أخرجه المستكفى فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، ورده إلى داره ، فأقام مدة ، ثم خرج إلى (١٠٧٦) جامع المنصور فى يوم جمعة ، فقام فعرف الناس بنفسه ، وسألهم أن يتصدقوا عليه ، فقام إليه ابن أبي موس الهاشمى فأعطاه ألف درهم ، ورده إلى داره ،

(١) في الأصل : صبيا .

وبقى حتى توفى فى خلافة المطيـــع ، ليلة الجمعة لثلاث خلون من جُمادى الأُولى سنة تســع وثلاثين وثلاثمــائة ، وعُمره اثنتان وخمسون سنـــة ، ودُفن فى دار ابن طاهــر . وكان له من الأَولاد أَبو الفضل وعبد الصمد وأَبو القاسم وعبد العزيز وهو ولى عهده .

الحوادث والمــاجريات فى خلافتــه

لمــا ولى الخلافة صادر جماعة من أُمهــات أولاد المقتدر وأَولاده ، وضرب أُمَّ المقتدر وعلّقها برجل واحدة يُقَرِّرُها على المــال ، وكانت مريضة بالاستسقاء ، فماتت بعــد عشرين يوما ، ثم قتل النوبختىَّ الذى أَشار بولايتــه ، وقتل مؤْنسا ، ولمــا قتلهم لقّب نفسه القاهر بالله المنتقم من أَعداء الله لدين الله ، وضرب ذلك على الدنانيروالدراهم.

ولمــا ولى الخلافة سيّر ركْبَ الحَجيج من العــراق إلى مكة بعــد أَن كان تعطّل الحجُّ فى سنة عشرين وثلاثمائة ، فحج بالناس أَميره فى تلك السنة ، ثم انقطع الحج من العراق إلى أَن صُولحت القرامطة على مال يُؤديه الحجيــج إليهم ، فى سنة سبــع وعشرين وثلاثمائة فى أَيام الراضى .

وفى أيامه ابتدأ ظهور بنى بُويْه ملوكِ الدَّيلم ، وهم عماد الدولة أبو الحسن على ، ورُكْن الدولة أبو على ، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد ، أولاد بُويه بن فنّاخسرو ، من عقب بهرام جُور بن يزدجرد أحد ملوك الفرس ، وكان رأْسهم عماد الدولة ، وهو أكبرهم ، فاستولى على أصفهان ، ثم استولى على أَرَّجان ، ثم على كاذرون وغيرها من أعمال فارس ، وعظم أمره وقويت شوكته .

وفى أيامه فى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة توفى ابنُ دُرَيد صاحب « المقصورة » .

(٧٦ ب) ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر قبله أبو المنصور تِكين ، فعزله وولى عليها أبا القاسم محمد بن طُغج المعروف بالإخشيد فى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، فبقى إلى ما بعد خلافة القاهر ، وقيل فيه غير ذلك .

وكان على دمشق أحمد بن كِيغَلْغ مع مصر [١] ، فبقى إلى ما بعد خلافة القاهر .

---

(١) كذا وانظر ص ٢٨٠ و ٢٨٥

وكان على حلب أحمد بن كيغلغ نيابة عن الإخشيد .

وكان على مكة محمد بن سليمان السُّليمانى .

وكان اليمنُ بيد بنى زياد .

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد أبى الحسن نصر بن أحمد بن إسماعيل السامانى ، فبقى إلى ما بعد خلافة القاهر .

وكان المستولى على إفريقية وسائر بلاد المغرب عبيد الله المهدى جدّ الخلفاء الفاطميين ونائبه بالغرب الأقصى ، فبقى إلى ما بعد خلافة القاهر .

وكان على الأندلس الناصر عبد الرحمن الأموى ابن محمد المقتول ، فبقى إلى ما بعد خلافة القاهر ، زمنا طويلا .

العشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

الراضى بالله

وهو أبو العباس محمد بن المقتدر بالله المقدم ذكره ، وأُمه أُم ولد اسمها ظَلوم ، ولد سنة تسع وتسعين ومائتين ،

وكان أسمر اللون أعنق ، مسنون الوجه [1] ، خفيف العارضين ، وكان أديباً حسن الشعر محبًّا للأدباء والفضلاء ، سخيًّا يبذل المال ، وهو آخر خليفة له شعر يُدَوَّن ، ومن شعره :

يَصْفَرُّ وجهي إذا تَأَمَّلَهُ طرفي وَيحمَرُّ وجهُه خَجَلاَ
حتى كأَنَّ الذِى بِوَجْنَتِـه مِن دَمِ قلبي إليه قد نُقِلاَ

بويع له بالخلافة يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأُولى (١٧٧) سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وكان محبوساً ، ، فأُخرج وأُجلس على سرير القاهر ، وسلّموا عليه بالخلافة ، وأُقيم القاهر بين يديه بعد أن سُملت عيناه ، وسُلِّم عليه بالخلافة ، وبقى حتى توفى بالاستسقاء ليلة السبت لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأَول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة وأَشهر ، ومدة خلافته ست سنين وعشرة أَشهر.
وكان له من الأَولاد أَبو جعفر أَحمد وأَبو الفضل عبد الله .

---

(١) الأعنق : الطويل العنق . والمسنون الوجه : الحسنة المملسه أو الذى في وجهه وأنفه طول أو المخروطه .

الحوادث والمساجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة استوزر أبا عليٍّ بن مقلة إمام الكتابة فى صنعة الخَطّ ، فكان من أمره أنه ضرب محمدَ بن شَنبوذ المُقرِئ (١) بالدِّرَّة ، لقراءات أُنكرت عليه ، فدعا عليه بقطع اليد وتشتيت الشمل ، ثم قَبض الراضى عَلَى ابنِ مقلة فى سنة أَربع وعشرين وثلاثمائة ،واستوزر عبد الرحمن بن عيسى ، ثم قبض عليه واستوزر أبا جعفر الكَرْخِيَّ ، وكان ابن رائق على واسط والبصرة ، فقطع الحَمْلَ (٢) ، وقطع البَرِيدى (٣) حمل الأَهواز وأَعمالِها ، فضاقت الأُمور على الوزير أَبى جعفر ، فصرفه الراضى واستوزر سليمان بن الحسن ، والأَمر عَلَى مُضايقةٍ عَلَى الوزير ، فبعث الراضى إلى ابن رائق يستقدمه من واسط ليقوم بالأُمور ، فقدم ، فقلّده إمارة الجيش ، وأَمر أَن يُخطب له على المنابر مع الخليفة ، وهو أَول من أُشرك مع الخليفة فى الخُطبة ، وبَطَل نَظَرُ الوزير من يومئذ ، ولم يبق من

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ انظر ابن خلكان ترجمته وقصة مناظرته وضربه .

(٢) الحمل يراد به هنا ما يرسل من الأموال ويحمل .

(٣) انظر ابن الأثير حوادث سنة ٣١٦ ابتداء حال البريدى وضبط اسمه والاختلاف فيه .

الوزارة إلاَّ اسمُها بعد أَن كانت أُمورُ الدولة قبضاً وصرفا وتوليةً وعزلا راجعةً إلى الوزير، وتغلَّب عمَّال الأَطراف عليها، ولم يبق للخليفة غير بغداد وأَعمالِها، والحكم فيها لابن رائق دونه، والأَطراف . (٧٧ ب) كالنِّهاب بأَيدى أَقوام متفرقة، واستقدم ابنُ رائق أَبا الفضل بنَ الفرات، وكان على خراج مصر والشام، فاستوزره له وللخليفة، ثم استولى مُعزّ الدولة بن بُويه على الأَهواز بأَمر أَخيه عماد الدولة، وكان بَجْكم التركى بخدمة ابنِ رائق، فسعى ابنُ مقلة عند الراضى فى القبض على ابن رائق وإقامة بجكم مقامه، ففطن ابنُ رائق، فقام عليه عند الراضى حتى قطع يده فى نصف شوال سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وأُجيبت دعوةُ ابنِ شَنْبُوذ المقرئ فيه . وكان يشد القلم على يده المقطوعة ويكتب، ثم بلغ ابنَ رائق أَنه يسعى فى الوزارة بعد ذلك، وأَنه يدعو عليه وعلى الراضى، فقطع لسانه وضيّق عليه فى الحبس، ولحقه ذَرَبٌ [1] ولم يكن عنده من يخدمه، فكان يستقى الماءَ من البئر بيده السليمة ويضبط الحبل بِفيه، ولم

(١) الذرب : فساد في المعدة والمرض الذى لا يبرأ .

يزل على ذلك حتى مات فى الحبس فى شوال سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، ودفن فى دار الخليفة ، ثم نُبِش وسُلِّم إلى أهله ، فدفنوه فى داره ، ثم نبش ونقل إلى دار أُخرىَ .

ومن العجيب أنه ولى الوزارة لثلاثة خلفاء : المقتدر والقاهر والراضى ، ووزر ثلاث مرات ، وسافر ثلاث سفرات ، اثنتين إلى شيراز ، وواحدة إلى المَوصل ، ودُفن ثلاث مرات على ما تقدم .

وفى سنة ست وعشرين سار بجكم التركى من واسط إلى بغداد لقصد ابن رائق أمير الجيوش بها ، فهرب ابنُ رائق واختفى ، ودخل بجكم إلى بغداد ، فخلع عليه الراضى وعقد له لواء ، وجعله أَمير الأُمراء ، ثم ظهر ابنُ رائق بعد ذلك ، فقلده الراضى بموافقة بجكم حَرَّانَ والرُّهَا . وقِنَّسْرِين والعواصِم ، فسار إليها واستولى عليها .

وفى أَيامه ظهر محمد بن علىٍّ الشَّلمغانى ، وادّعى أُمورا مرجعها إلى حلول (٧٨ ا) الإِلٰهِيَّة والقول بالتناسخ والتشبيه ، وأَن ذلك أَدّى به إلى دعوى الإِلٰهية ، واتبعه

جماعة ، منهم ابنُ عون وابن عَبْدوس ، وقالوا بإلٰهيته ، فقُبِض عليه وعلى صاحِبَيْه المذكورين . وأُتى بهم إلى الراضى ، فأَمر صاحبيه بصفعه فامتنعا ، فأُكرِها على ذلك ، فصفعه ابنُ عبدوس ، ومدَّ ابن عون يده ليصفعه فارتعدت يده ، فقبَّل لِحيته ورأْسه وقال : إلٰهى وسيدى ورازقى . فأَمر الراضى بابن الشلمغانى وابن عون فصُلبا حَيَّيْن وأُحرقا بالنار .

وفى أَيامه فُتحت جِنْوةُ وغيرُها على يد القائم العلوىّ صاحب إفريقية والمغرب الأَقصى .

وفى أَيامه لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة انقضَّت النجومُ فى هذه الليلة من أول الليل إلى آخره انقضاضا لم يُعْهد مثلُه .

وفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وقع فى مصر وباءٌ عظيم واستمرّ إلى سنة إحدى وثلاثين .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت مصر بيد أَبى القاسم الإخشيد ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراضى .

وكان على دمشق أحمد بن كيغَلْغ نيابة عن الإخشيد صاحب مصر ، فاستولى ابنُ رائق فى سنة ثمان وعشرين عليها وعلى حمص : وطرد نائب الإخشيد ، واستقرّت مصرُ للإخشيد ، والشامُ لابن رائق ، واستخلف ابنُ رائق على الشام أبا الحسين أحمدَ بن علىّ بن مقاتل ، فى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، فبقى إلى ما بعد خلافة المتقى [1] .

وكان على حلب بدرٌ الإخشيدى نيابة عن الإخشيد ، فبقى إلى ما بعد خلافة المتقى [1] .

وكانت البصرة فى يد ابن رائق مضافاً إلى نظره فى بغداد وأعمالهـا .

وخوزستانُ فى يد البريدى .

وفارس فى يد عماد الدولة بن بويه .

وكَرْمان فى يد (٧٨ ب) أبى على بن إلياس .

والرّىّ وأصفهان والجَبَل وهو عراق العجم فى يد ركن الدولة بن بويه وشمكير بن زياد يتنازعانهـا .

(١) فى الأصل القاهر وهذا غير معقول لأن القاهر كان قبل الراضى وانتهت خلافته فى سنة ٣٢٢ كما تقدم .

والموصل وديار ربيعة وديار بكر فى يد بنى حمدان .

وكان اليمن بيد بنى زياد .

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد أبى الحسن نصر بن أحمد السامانى ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراضى .

وكانت طبرستان وجرجان فى يد الدّيلم .

والبحرين واليمامة فى يد أبى طاهر القرمطى .

وكانت إفريقية والغرب الأقصى فى يد عبيد الله المهدى إلى أن توفى فى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وولى بعده ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد المقدَّم ذكره ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراضى .

وكان على الأندلس عبد الرحمن الأموى ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراضى .

الحادى والعشرون من خلفاء بن العباس

المتّقى لله (١)

وهو أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر المقدم ذكره ، وأمه

---

(١) فى الأصل المتفى بالله ، وكانت فى الخط« المكتفى» ثم أزيلت الكاف .

أم ولد اسمها خلوب ، وقيل : زهرة ، وكان أبيض أشهل [1] العينين أشقر الشعر [2] .

بويع له بالخلافة يوم الأربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، باتفاق أبي عبد الله الكوفي كاتب بجكم وأبي القاسم سليمان بن الحسن وزير الراضي وغيرهم ، وبجكم إذ ذاك غائب بواسط ، وعرضت عليه ألقابٌ من ألقاب الخلفاء ، فاختار منها المتقي لله ، فلقب به ، وكان نقش خاتمه : المتقي لله . وبقي حتى قبض عليه وسُملت عَيناه يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، فكانت مدة خلافته ثلاث سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً ، ثم مات بعد ذلك في خلافة المُطيع (١٧٩ ا) في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، وعمره ستون سنة ، وكان له من الأولاد أبو منصور ولي عهده .

---

(١) الأشهل العينين : من يشوب سواد عينه زرقة .

(٢) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتي : وفي أيامه ضعف حالهم وعصى بعض العمال في المدن وخطبوا لأنفسهم .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويع بعث إلى بجكم وهو بواسط ، فحضر فبقّاه على إمرة الأُمراء ، وأقر سليمان بن الحسن وزير الراضى على الوزارة ، وليس له من الوزارة سوى اسمها ، والأَمر فى ذلك للكوفى كاتب بجكم ، ففى ذلك قيل :

وزيرٌ رَضِى من بأْسه وانتقامه
بِطَىِّ رقاعٍ حَشْوُها النظْمُ والنَّثْرُ

كما تَسْجَع الوَرْقاءُ وهى حمامةٌ
وليس لها نَهْىٌ يطاع ولا أَمْرُ

وبقى الأَمر على ذلك إلى أَن خرج بجكم لقتال البريدى (١) ، فمرَّ بأَكراد ، فطمعت نفسه فى مالهم ، فقصدهم ففروا من بين يديه ، فتبعهم ، وطعنه صبىٌّ من الأَكراد برمح فى خاصرته طعنة مات منها ، فلما بلغ المتقىَ قتلُه استولى على داره ، وأَخذ منها أَموالا جمّة ، وجد أَكثرها مدفوناً ، وكانت مدة إمارة بجكم سنتين وثمانية

(١) تكتب في الأصل دائما « اليزيدي » وانظرما تقدم عن البريدى وما ذكرناه عن الاختلاف في ضبط اسمه في ابن الأثير حوادث سنة ٣١٦

أَشهــر وأَياماً . ولمــا قُتل بجــكم قدم البريدى بغدادَ واستولى على الأَمر أياما ، ثم أَخرجــه العامة منها لســوء سيرته ، واستولى على الأَمر بعده كورتــكين مدة قليلة ، وسار ابن رائق بعد استخلافه على دمشق حتى دخــل بغداد ، فغَلَب كورتــكينَ على الأَمر وحبسه ، وقلَّد المتقى ابنَ رائق إمرة الأُمراء وطُوِّق وسُوِّر [1] ، ثم عاد البريدى إلى بغداد فى سنة ثلاثين وثلاثمائة واستولى عليها ونهبها ، وهرب المتقى وابنُ رائق إلى جهــة الموصــل [لناصر الدولة] يستمدَّانه ، فأَكرم نُزُلَهُمَا ، ونثر الدنانير عــلى رأْس ابن المتقى ، ولما قاما للانصراف أَمر ناصرُ الدولة أَصحابَه بقتل ابن رائق ، فقتلوه ، وذلك لسبع بقين من رجب سنة ثلاثين وثلاثمائة . وسار ناصر الدولة بن حمدان إلى المتقى صحبة ابنــه (٧٩ ب) فخلع المتقى عليــه ، وجعله أَميرَ الأُمراء ، وسار المتقى وناصر الدولة إلى بغداد ، فهرب منهــا البريدى بعد أَن أَقام بها ثلاثة أَشهر وعشرين يوماً ، ودخل المتقى وناصر الدولة إلى بغداد فى جيوش عظيمة ، وأَمر ناصر

(١) طوق وسور : ألبس الطوق والسوار .

الدولة بإصلاح الدنانير فأُصلحت ، وكان كل دينار بعشرة دراهم ، فبيع بثلاثة عشر درهما ، وفى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة سار ناصر الدولة من بغداد إلى الموصل ، فثارت الدَّيلم ونهبت دار ناصر الدولة . وكان تُوزون قد خرج من محبسه ، فقصد بغداد ، وسار سيف الدولة بن حمدان أخو ناصر الدولة من واسط إلى بغداد . فَدَفع إليه المتقى أربعمائة ألف دينار فرَّقها فى العساكر لمنع توزون والأَتراك عن بغداد ، فلما وصل تُوزون بمن معه من الأَتراك إلى بغداد هرب سيف الدولة عنها ، ودخلها توزون فى الخامس والعشرين من رمضان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، فخَلَع المتقى على توزون وجعله أَمير الأُمراء ، ثم خرج المتقى وأَهله من بغداد إلى جهة الموصل خوفا من توزون ، واجتمع بناصر الدولة وسيف الدولة ابنىْ حمدان ، فأَقاموا مدة ، ثم سار المتقى إلى بغداد ، وخرج توزون من بغداد لملاقاته ، فلقيه بالسنديَّة ، فقبَّل له الأَرض ، وقبَّل يده وركابه ، ثم قبض عليه بعد ذلك وسَمَل عينيه ، يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وسار به إلى بغداد وهو أَعمى .

وفى سنـــة إحـــدى وثلاثين وثلاثمائة أرسل ملك الروم يطلب من المتقى منديلا كان بـــكنيســـة الرُّهَا : تَزعم النصارى أن المسيـــح عليـــه السلام مســـح به وجهـــه فصار صورةُ وجهـــه فيـــه ، على أن يُطلق فى نظير إرساله عـــددا من أسرى المسلمين ، فاستشار العلماء فى ذلك : فاختلف رأيهـــم ، فبعض قال : استنقاذ (١٨٠) الأسرى أولى من بقائه ، وبعض قال : فى دفعه غضٌّ من الإسلام ، وقـــد مرَّت عليه دهورٌ ولم يُدفَـــع إليهم ، ثم ترجَّـــحَ إرساله لإطلاق الأسرى ، فبعث به إليـــه .

وفى أيامه وقع غلاء شديد بالعراق حتى بلغ كُرُّ الحِنطة مائتى دينـــار وعشرة دنانير ، وخرج الحريم من قصر الرصافة ينادين : الجـــوعَ الجوعَ .

وفى خلافتـــه فى سنـــة إحدى وثلاثين وثلاثمائة نقص النيـــل فى زمن الاحتراق حتى لم يوجـــد فى المقيـــاس ما يقاس ، فَقِيس فى الجزيرة فـــكان ذراعين وستة أصابع .

ولايات الأمصار فى خلافتـــه

كان على مصر قبله أبو القاسم الإخشيد ، فبقى إلى ما بعد خلافة المتقى .

وكانت دمشق بيد أبى الحسين أحمد بن [على بن] مقاتل ، فانتزعهـا منه أبو القاسم الإخشيد ، فبقى عليها حتى مات فى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، والتحقيق أن دخول الوهنِ على الخلافة من حين خلافة الراضى وتأْمير ابن رائق على الجيوش واشتراكه مع الخليفة فى الدعاء له على المنابر ، فبقى معه إلى ما بعد خلافة المتقى .

وكان اليمن بيد بنى زياد .

وكان ما وراء النهر بيد الخانِيَّة [1] من ملوك الترك .

وخراسان بيـد أبى الحسن نصر السامانى ، فتوفى فى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، وملك بعده ابنه نوح بن نصر ، فبقى إلى ما بعد خلافة المتقى .

وكانت إفريقية والغرب الأقصى بيـد القائم بأمر الله ابن عبيد الله الفاطمى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المتقى .

وكان علي الأندلس الناصر عبد الرحمن الأموى فبقى إلى ما بعد خلافة المتقى .

(١) نسبة إلى خان . وفي الأصل بدون نقط .

الثانى والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المستكفى بالله

وهو أبو القاسم عبد الله بن المُكتفى بالله المقدم ذكره ، وأُمه (٨٠ ب) أم ولد اسمها غُصن [1] ، كان أبيض حسن الوجه قد وخطه الشيب ، بويع له بالخلافة بعد خلع المتقى وإقامته بين يديه وتسليمه عليه بالخلافة ، لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، على ما تقدم ؛ ولقب نفسه آخر السنة المذكورة : إمامَ الحقّ ، وضَربَه على الدنانير والدراهم ، وكان نقش خاتمه : المستكفى بالله يتقى . وبقى إلى حين خلعه فى يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أَربع وثلاثين وثلاثمائة ، فكانت خلافته إلى أَن خُلع سنةً واحدة وأَربعة أشهر ، وأَقام بعد ذلك فى دار السلطان إلى أَن توفى فى ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، وعمره ست وأَربعون سنة وأَشهر .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة قام بتدبير دولته توزون أَمير الأُمراء

---

(١) فى تاريخ الخلفاء ص ١٥٩ اسمها أملح الناس .

المقدم ذكره ، إلى أن توفى لثمان بقين من المحـــرم سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وهو مسافر ، فـــكانت إمارته سنتين وأربعة أشهر وأياما ، واجتمـــع الجيش بعده على محمد بن يحيى كاتب توزون ، ووصـــل خبر موته إلى بغـــداد فى جُمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، فقلدالمستكفى أبا الحُسَين أحمد بن بويه الإمارة ، مـــكان توزون ، ولقّبه معز الدولة ، ولقّب أخاه أبا الحسن عليًّا عمادَ الدولة ، ولقّب أخاه أبا عليٍّ الحسنَ رُكنَ الدولة ، وخلع عليهم ، وأمر أن تُضرب أسماؤهم على الدنانير والدراهم مع اسم الخليفة ، وهُم أوَّلُ من ضُرب اسمه من ملوك الإسلام على النقود مع اسم الخليفة ، ونزل معزُّ الدولة دارَ مؤنس الخـــادم ، فنزل أصحابُه بدور الناس بالقهر ، ولم يُعْهد ذلك فيما تقدم ، ورتّب مُعز الدولة للمستـــكفى (٨١ ا) فى كل يوم خمسة آلاف درهم للنفقات يتسلمها كاتبه ، وذلك أول ما رُتِّب للخليفة معلوم مقدَّر له لا يتعدّاه ، ثم إن قهرمانـــة للمستـــكفى اسمهـــا عَلَم صنعـــت دعوة ، وأحضرت جماعة من الديلم إليها ، فاتهمها معز الدولة أنهـــا تريد أن تتفق عليـــه مع الديلم ، فركب إلى دار

السلطان فى يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة بسبب وصول صاحب خراسان، فأجلس الخليفةُ معزَّ الدولة على كرسىّ ، ويقال : إنه وقف بين يدى الخليفة على عادته ، وتقدم إلى المستكفى رجلان من الديلم ، فمدَّا إليه أيديهما ، فظن أنهما يريدان تقبيل يده ، فمدّها لهما ، فجذباه وجعلا عمامته فى عنقه وسحباه بها ، وقام معز الدولة ، وقبض الديلم على عَلَمَ القهرمانة ، وسيق المستكفى إلى دار معز الدولة ماشيا ، ونُهِبت دارُ الخلافة ، ثم أُحضر المطيعُ الآتى ذكره إلى دار معز الدولة ، وأُقيم المستكفى بين يديه ، وسلّم عليه بالخلافة ، وأشهد على نفسه بالخلع ، وسُمِلَت عيناه ، ولم أقف له على ذكر أولاده (١) .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر قبله أبو القاسم الإخشيد ، فتوفى فى سـ أربع وثلاثين ، وملك بعده ابنه أُنوجور بن الإخشيد وهو صغير ، وقام بتدبير دولته كافور الإخشيدى الخادم.

---

(١) فى جمهرة أنساب العرب ص٢٦ أولاده : على والحسن ومحمد .

وكانت دمشق بيد الإخشيد أيضا ، فملكها بعده ابنه أُنوجور المذكور فى تدبير كافور المقدم ذكره ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكانت حلب مع أُنوجور المذكور ونائبه فيها بدر الإخشيدى ، فانتزعها منه سيف الدولة بن حمدان أيضا فى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وبقى بها حتى توفى فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة .

وكان اليمن مع بنى زياد .

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد نوح بن(٨١ ب) نصر السامانى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكان على إفريقية والغرب الأقصى القائم بأمر الله العلوىّ . فتوفى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وقد عهد إلى ابنه المنصور بالله إسماعيل ، فقام بالأمر بعده وبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكان على الأندلس الناصر عبد الرحمن الأموى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

الثالث والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المطيع لله

وهو أبو القاسم ، ويقال : أبو العباس الفضل بن المقتدر المقدم ذكره .

وأمه أم ولد اسمها مشغلة (1) . ولد فى ذى القعدة سنة إحدى وثلاثمائة . ولم أقف على ذكر صفته . بويع له بالخلافة يوم الخميس ثانى عشر جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وقيل : لثمان بقين منه . ولم أقف على نقش خاتمه هو ولا من بعده من الخلفاء . وبقى حتى خلع نفسه فى ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، فكانت خلافته إلى أن خلع تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر وقيل وأربعة أشهر وعشرة أيام . وتوفى بعد ذلك فى منتصف ذى الحجة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وكان له من الأولاد أبو بكر الطائع الآتى ذكره ، وعبد العزيز وجعفر (2) .

---

(1) فى تاريخ الخلفاء ص١٦٠ اسمها شغلة .

(2) زاد فى جمهرة أنساب العرب ص٢٧ : عبدالوهاب .

الحوادث والماجريات فى خلافته

ولى الخلافة وقد ازداد أمر الخلافة إدبارا ، ولم يبق للخلفاء أمر نافذ ، وتسلم نوابُ معز الدولة العراقَ بأسره ، ولم يبق فى يد الخليفة غير ما أقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجته . وبقى الأمر على ذلك حتى مات معز الدولة بن بويه فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، وقام ابنه بختيار بالأمر بعده بعهد من أبيه ، ولقّب عزّ الدولة ، واستقر فى إمرة الأمراء ، فأساء السيرة ، واشتغل باللهو واللعب وعشرة النساء والمغنين ، ونفى كبار الدولة ، وأخذ إقطاعاتهم ، وبقى الأمر على ذلك إلى أن سار بختيار إلى الأهواز ، فاستخلف سبكتكين التركى عنه ببغداد ، وفتك (٨٢ ا) بختيار بمن صحبه من الأتراك ، فنهض سبكتكين ونهب دار بختيار ببغداد ، واستولى على الأمر مكانه ، وقد عجز المطيع عن الحركة والدفع لمرض به ، وثقل لسانه ، فدعاه سبكتكين إلى خلع نفسه من الخلافة وتسليم الأمر لولده الطائع ، فأجاب إلى ذلك وخلع نفسه .

وفى أيامه فى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة لم يوجد فى المقياس ما يقاس ، حتى قيس فى بحـــر الجزيرة . وانتهى النيل فى تلك السنـــة إلى خمسة عشر ذراعا فقط .

وفى أيامه كثرت الزلازل ، فزُلزلت الأرض فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ثلاث مرات ، ثم فى سنة أربع وأربعين مرتين فى شهر واحد ، ثم فى سنة سبـــع وأربعين مرتين فى شهـــر واحد .

وفى سنة ست وخمسين انتهت زيادة النيل إلى اثنى عشر ذراعا وخمسة عشر إصبعاً ، ولم يُعهد مثل ذلك ، وفى سنة ثمان وخمسين وقع بمصر غلاء عظيم ، بيـــع القمح فيها وَيْبَةٌ بدينار ونصف ، والخبز رطل بدرهمين ، والبيضة بدرهم وثُلث . وفى أيامه طمـــع الروم فى بلاد المسلمين ، فقصدوا حلب فى سنـــة إحدى وخمسين وثلاثمائة ، واستولوا عليها دون قلعتها ، وأخذوا منها أموالا عظيمة لسيف الدولة

وفى سنة أربـــع وخمسين وثلاثمائة فتـــح المصيصـــ وطرسوس وقتـــل وأُسر .

وفى سنة خمس وخمسين وصل الروم إلى آمد ونصيبين

وإنطاكية وطرسوس وعاثوا فسادا .

وفى سنـــة ثمان وخمسين ملـــكوا إنطاكية وحصروا حلب حتى صالحوهم عن حلب وما معها من البـــلاد وهى حماة وحِمْص وكفر طاب والمعرَّة وفاميه وشيزر وما بين ذلك . وفى سنة إحدى وستين وصلت الروم إلى الجزيرة والرها ونصيبين وقتلوا وسبوا ، وذهب الناس إلى بغدادمستغيثين بختيار ، فطلب من الخليفة مالاً يستعين به على الغزاة ، فباع قماشاً بأربع مائة ألف درهم (٨٢ ب) وأوصلها إليه ، فصرفها فى مصالح نفسه وترك أمر الغزاة .

ولايات الأمصار فى خلافتـــه

كانت مصر بيد الإخشيد ، فتوفى فى ذى الحجة سنـــة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وتقلد ابنه أُنوجور [١] ومعناه محمود ، وغلب كافور الإخشيدى الخادمُ على أمره وقام بتدبير دولتـــه ، ثم مات أُنوجور فى ذى القعدة . سنـــة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وقام أخوه علىٌّ بالأمر بعـــده . ثم مات علىّ بن الإخشيد فى المحـــرم سنة خمسين وثلاثمائة ،

(١) يكتب فى الأصل : « أبوجور » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٦٣ ، ١٦٤

فوليهـا بعده كافور الإخشيدى المقدم ذكره ، وكان يُدعى له عـلى المنابر بمصر والشـام والحجـاز ، ثم جُلِب إليه الزكاةُ فقال : اصرفوها من أيديـكم ، فلم يجـدوا من يقبلها ، فقال : ابنـوا بها المساجد وأَجروا لهـا الأَرزاق ، ففعلوا ، وبقى ، إلى أن مات فى جمـادى الأُولى سنـة ست وخمسين وثلاثمائة ، فعُقد الأَمر لأَبى الفوارس أَحمد ابن على بن الإخشيد وهو ابن إحدى عشرة سنـة ، وكان الحسن بن عبيد الله بن طُغج خليفته بهـا ، ثم دخل جوهر قائد المعز الفاطمى إلى مصر يوم الثلاثاء لست عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، واستولى عليهـا ، وأَذَّن بِحَىَّ عـلى خَير العمل . وقطع الخطبـة للعباسيين ، وخطب بالجـامع العتيق بالفسطـاط لمولاه المعز ، واختط القاهرة ، وبنى قصر الخلافة بوسطها حيث دار الضرب الآن وما حولها من المدرسة الصالحيـة ومشهد الحسين والبيمارستان العتيق وما جاور ذلك ، ثم وصل المعز إلى الديار المصرية ودخل القاهرة فى سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، واستخلف عـلى بلاد إفريقيـة بُلُـكِّين بن زِيرِى .

وكانت دمشق بيد الإخشيد (٨٣ ا) أيضا ، فوليها بعد وفاته ابنه أُنوجور ، وقام بتدبير دولته كافور الإخشيدى على ما تقدم ذكره ، ثم انتزعها منه سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب ، ثم انتزعها منه كافور الإخشيدى ثانيا وولّى عليها بَدْرًا الإخشيدىّ الذى كان عليها أولاً ، فأقام بها سنة ، ثم وَلِيها أبو المظفّر بن طُغج ، ثم لما مات أُنوجور ملكها مع مصر أَخوه على ابن الإخشيد ، ثم كافور بعده ، ثم أحمد بن على ابن الإخشيد ، وهو آخر من ملكها منهم ، ثم كانت الدولة الفاطمية عند دخول جوهر القائد إلى مصر فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وأقام بها جعفرَ بن فلاح نائبا ، ثم غلبت القرامطة عليها فى سنة ستين وثلاثمائة . ثم ملكها المعز مَعَدٌّ بن تميم العُبيدى من القرامطة ، وولّي عليها رَيَّان الخادم . وبقى المعز إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكانت حلب بيد سيف الدولة بن حمدان ، فبقى بها حتى توفى فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، وملكها بعده ابنه سعد الدولة أبو المعالى شريف ، ثم انتزعها منه

قرعويه غلام أبيـه فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فبقى إلى ما بعد خلافة المطيـع .

وخُطب بمـكة لمعز الدولة بن بويه مع الخليفة فى سنة أربـع وثلاثين وثلاثمائة . وكان الحج قد تعطل بسبب القرامطـة على ما تقدم ، فبرز أمر المنصور بن القـائم الفاطمى صاحب إفريقيـة لأحمـد بن أبى سعيـد أمير القرامطة بعد موت أبى طاهر القرمطى برد الحجر الأسود إلى مـكانه ، فرده فى سنـة سبـع وثلاثين وثلاثمائة ، وخطب لابن بويه ، واتصلت وفود الحج من يومئذ ، وفى سنة ثلاث وخمسين خطب للقرمطى بمـكة مع المطيـع ، وفى سنة ست وخمسين وثلاثمائة خطب بمكة لبختيار بن معز الدولة بعد موت أبيـه . ثم فى سنة ستين وثلاثمائة جهـز المعز الفاطمى (٨٣ ب) عسـكرا من إفريقية لإقامة الخطبـة له بمـكة ، فبـادر الحسن بن جعفر بن الحسن ابن سليمان السليمانى من المدينـة وملك مـكة وخطب له بهـا ، وكتب إليـه المعز بالولاية ، وخرجت مـكة عن العباسيين .

وكان اليمن بيد بنى زياد .

وكان ما وراء النهر بيد الخانيّة ملوك الترك .

وخراسان بيد نوح بن نصر السامانى ، فوليه بعده ابنه منصور ، وبقى إلى ما بعد خلافة المطيع .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب المنصور إسماعيل بن القائم الفاطمى ، فبقى حتى توفى فى رمضان سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ، وولى الأمر بعده ابنه المعز لدين الله مَعَدّ ، وانتهت مملكته بالغرب إلى البحر المحيط ، وفتح قائده جوهر مصرَ على ما تقدم فى منتصف شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، واختطّ القاهرةَ ، ثم قدم المعز إلى مصر ودخل القاهرة لخمس من رمضان سنة ثنتين وستين وثلاثمائة واستخلف على إفريقية والغرب بُلُكِّينَ بنَ زِيرى وأنزله القيروان ، وسماه يوسف ، وكنّاه أبا الفتوح ، واجتمع له ملك مصر والشام وبلاد المغرب ، فبقى إلى ما بعد خلافة المطيع .

وكانت تِلِمْسان بيد يَعْلى بن محمد اليفرنى ولاّها له الناصر الأُموى فى سنة أربعين وثلاثمائة ، وتوفى ، فوليها

بعـــده محمد بن الخير بن محمد بن خزر ، داعية الحكم المستنصر الأَموى ، فى حدود سنة ستين وثلاثمائـــة ، وبقى حتى مات فى حرب صنهاجة ، وغلبت صنهاجة على تلمسان ، فبقيت بأَيديهم إلى ما بعد خلافة المطيـــع .

وكان على الأَندلس الناصر عبـــد الرحمن الأَموى ، وتوفى فى رمضان سنة خمسين وثلاثمائة ، وولى بعـــده ابنه الحكم وتلقب المستنصر ، فبقى إلى ما بعد خلافة المطيـــع .

الرابـــع والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

الطائع لله

(٨٤ ا) وهو أَبو بـــكر عبد الـــكريم بن المطيـــع المقدم ذكره ، وقد تقدم نسبـــه .

وأُمه أُم ولد اسمها هزار . بويع له بالخـــلافة سنـــة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وبقى حتى خلع نفسه ، على مـــا سيأْتى ، لعشر بقين من شعبان سنـــة إحـــدى وثمانين وثلاثمائة ، فكان مدة خلافته سبـــع عشرة سنة وثمانية أَشهر وأَياما ، وبقى بعد خلعه عند القادر بالله الآتى ذكره ، حتى توفى فى خلافة القادر ليـــلة الفطر سنـــة ثـــلاث وتسعين وثلاثمائة . وعمره ست وسبعون سنـــة [1] .

(١) فى جمهرة أنساب العرب ص٢٧ أن الطائع ولد جعفرا وأنه لم يبلغه له ولد غيره .

قال المؤيد صاحب حماه : ولم يكن للطائع فى ولايته من الحكم ما يُستدلّ به على حاله . ولما بويع بالخلافة انحدر سبكتكين إلى واسط ، وتبعه الطائع والمطيع وهو مخلوع ، فمات المطيع بدير العاقول ، ومرض سبكتكين ومات ، فحُمل إلى بغداد فدفن بها . وقدم عسكرُ سبكتكين عليهم أفتكين أحدَ قوادهم ، وسار إلى واسط وبها بختيار ، فجرى بينهم وبين بختيار قتال كبير ، وبعث بختيار إلى ابن عمه عضد الدولة بن ركن الدولة صاحب فارس يستنجده ، فقدم عضد الدولة العراقَ ، واستولى على بغداد بعد قتال ، وأعاد الخليفة إلى دار الخلافة ، ورأى عضد الدولة عجْزَ بختيار عن القيام بأمر الجند ، فأشار عليه بصرف نفسه عن الإمرة ، ففعل ، ثم قبض عليه بعد ذلك وحبسه ، واستبدّ عضد الدولة بالأمر ، وأحسن إلى الخليفة الطائع وعظّمه وأتحفه بالأموال ، وبلغ الخبرُ ركنَ الدولة بن بويه بفارس ، فأنْكر على ابنه عضد الدولة ، وأرسل يتوعده ويهدده بسبب بختيار ، فردّ عضدُ الدولة الأمْر إلى بختيار ،

وخلع عليه وأعاده إلى ما كان عليه ، وسار عنه إلى فارسَ موضعِ ملكِ أَبيه ركن الدولة ، وبقى الأَمر (٨٤ ب) على ذلك حتى مات ركن الدولة فى سنة ست وستين وثلاثمائة ، واستخلف على ملكه ابنه عضد الدولة ، بعد أَن عقد لابنه فخر الدولة على هَمَذَان وأَعمال الجَبَل . ولابنه مُؤيد الدولة على أَصفهان وأَعمالها ، وجعلهما تحت حكم أَخيهما عضد الدولة فى هذه البلاد ، وسار عضد الدولة بعد وفاة أَبيه إلى العراق ، فدخل بغداد وقد خرج عنها بختيار إلى جهة الشام ، ثم عاد إلى بغداد لقتال عضد الدولة ، فقبض عضدُ الدولة عليه ثم قتله ، واستقر عضد الدولة فى تدبير أُمور الخلافة ببغداد ، وبقى إلى أَن مات سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ، فكانت ولايته بالعراق خمس سنين وستة أَشهر ، وهو الذى بنى سور المدينة النبوية ، على ساكنها أَفضل الصلاة والسلام .
وولى الأَمر بعده ابنه صمصام الدولة أَبو كاليجار بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، ثم سُمِل ، وكان أَخوه شرف الدولة بن عضد الدولة بكرمان ، فلما بلغه موت أَبيه سار إلى فارس وملكها وقطع خطبة أَخيه صمصام الدولة ، ولم

يزل حتى قصده أخوه صمصام الدولة أبو كاليجار فقبض[1] عليه ، ثم سار إلى بغداد فدخلها وأخوه صمصام الدولة فى قبضته ، فكانت إمارة صمصام الدولة ببغداد ثلاث سنين ، ثم سيَّر صمصامَ الدولة إلى فارس فاعتقله بها ، ثم سَمَله فى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة . ثم توفى شرف الدولة المذكور ، فكانت إمارته بالعراق سنتين وثمانيــة أشهر . واستقر فى الإمارة مكانه أخوه أبو نصر بهاء الدولة بن عضد الدولة ، وخلع عليه الطائعُ وقلَّده السلطنة ، ثم طمع بهاء الدولة فى مال الطائع ، فبعث إليه يسأله الإذن فى الحضور ليجدد العهد به ، فجلس الطائـــع على كرسى ، ودخل بعض الديلم كأنه يريد تقبيل يد الطائع ، فجذبه عن سريره (١٨٥) والخليفة يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون . ويستغيث فلا يغاث ، وحُمِل الطائعُ إلى دار بهاء الدولة ، فأشهد على نفسه بالخلع فى التاريـــخ المذكور ، وكان ممن حضر القبض عليـــه الشريفُ الرَّضىُّ فبـــادر بالخروج من دار الخلافة وأنشد من جملة أبيـــات[2] :

(١) في الأصل : وقبض

(٢) ديوان الشريف الرضى ص٥٢٣ .

أَمسيتُ أَرحَمُ مَن قد كنتُ أَغبِطُه
لقد تقارَبَ بين العزِّ والهُـــونِ
ومنظــرٍ كان بالسـرَّاءِ يُضحِـكُنى
يا قُرْب ما عــاد بالضرَّاءِ يُبــكينى
هيهــاتَ أَغترُّ بالسلطان ثانيـــةً
قد ضلَّ عِنْدِىَ وُلاَّجُ السلاطينِ [1]

ولايات الأَمصار فى خلافتـــه

كانت مصر والشام بيد المعزّ معَدّ العُبيدى الفاطمى ، فتوفى فى ثالث ربيــع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة . وولى بعده ابنــه العزيز بالله أَبو المنصور نزار ، وبنى الجامع العزيزى بمدينـــة بِلْبيس ، ولما وَلِىَ العزيزُ مصرَ والشــام ولَّى كتابته رجلا نصرانيا اسمه عيسى بن نسطورس ، واستناب بالشام رجــلا يهوديــا اسمه ميسا ، فاستطالت النصارى واليهود عــلى المسلمين ، فعمـــد أَهل مصـــر إلى قراطيس عملوها على صورة امرأَة ومعها قصة ، وجعلوها فى طريق العزيز ، فأَخذها العزيز فإذا فيها : بالذى أَعـز اليهود بميسا ، والنصارى بعيسى بن نسطورس ، وأَذل المسلمين

(١) فى الديوان : قد ضل ولاج أبواب السلاطين .

بك إلا ما كشفت عنا . فقبض على عيسى النصرانى فصا
وعزل ميسا عن الشام .

وكان على دمشق رَيَّان خادم المعز الفاطمى نيابة ع
ثم غلب عليها أفتكين [١] مولى معز الدولة بن
الديلمى ، وقطع الخطبة بها للمعز الفاطمى ، و
للطائع العباسى فى سنة أربع وستين وثلاثمائة ، ثم انت
منه المعز الفاطمى بعد ذلك وقبض عليه بعد قتال ج
بينهما ، وأحضره معه إلى مصر ، وأنزله هو ومن مع
الديلم داخل بابى زويله على القرب من (٨٥ ب)
الديلم ، فسميت بهم حارة الديلم إلى الآن . ثم بعد
المعز وولاية ابنه العزيز تغلب عليها شخص اسمه قس
وكان يُخطب بها للعزيز الفاطمى ، ثم انتزعها العزيز
قسام [٢] وقرر فيها بكتكين [٣] فى سنة اثنتين وس
وثلاثمائة ، ثم انتزعها منه بكجور مولى قَرْعويه صا
حلب بأمر العزيز الفاطمى سنة ثلاث وسبعين وثلاثما

---

(١) في معجم الأنساب والأسرات كتب : البتكين . وبالهامش عن ابن القلانسى ه
ان اسمه الفتكين .

(٢) في الأصل « بن قسام » . والتصويب من صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦٤.

(٣) في الأصل . بلكتكين . والتصويب من صبح الأعشى . وفي معجم الأنساب ص ٤٤
أو يلتكين .

فبقى إلى ما بعد خلافة الطائع .

وكانت حلب بيد قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان ، فغلب عليها بكجور غلام قرعويه المذكور واقتلعها منه ، ثم انتزعها منه سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ، فبقى إلى ما بعد خلافة الطائع [1] .

وكان على مكة الحسن بن جعفر السليمانى ، فمات ، فولى عليها أخوه عيسى ، وبقى إلى ما بعد خلافة الطائع [2] .

وكان على المدينة النبوية أبو الحسين طاهر من ولد مسلم بن طاهر بن الحسن الحسينى ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الطائع .

وكان اليمن بيد بنى زياد .

وكان ما وراء النهر بيد الخانيّه من ملوك الترك .

وخراسان بيد منصور بن نوح ، فمات فى سنة ست وستين وثلاثمائة ، وولى بعده ابنه نوح بن منصور ، فبقى إلى ما بعد خلافة الطائع .

(١ ، ٢) فى الأصل : «المطيع» والكلام عن الطائع .

وفى سنة ست وستين وثلاثمائة استولى عضد الدولة على بلاد جُرجان وطبرستان ، وأجلى عنها صاحبها قابوس .

وكان على إفريقية وبلاد المغرب بُلُكِّين بن زِيرى ، من قِبَلِ المعز الفاطمى صاحب مصر والشام ، إلى أن توفى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ، وولى مكانه ابنه المنصور بن بلكين ، من جهة العزيز بن المعز المذكور ، فبقى إلى ما بعد خلافة الطائع .

وكانت تلمسان بيد صنهاجة ، فبقيت بأيديهم إلى ما بعد خلافة الطائع .

وكان على الأندلس المستنصر (١) الحكم بن الناصر عبد الرحمن الأُموى ، فتوفى سنة ست وستين وثلاثمائة ، وعهد إلى ابنه هشام ولقبه المُؤيد ، وبايعه الناس بعد موت أبيه ، فبقى إلى ما بعد خلافة الطائع .

الخامس والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

القادر بالله

وهو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر ، وقد تقدم نسبه .

(١) في الأصل بلكتكين . و التصويب من صبح الأعشى ﺣ ٤ ص ١٦٤

وأمه أم ولد اسمها دمنة[1] ، وقيل : عين ، بويع له بالخلافة لعشر بقين من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة يوم خلع الطائع ، وهو يومئذ غائب بالبطائح من العراق عند مهذّب الدولة صاحب البطائح ، مختفيا من الطائع لأمر بلغه عنه ، فأرسل بهاء الدولة إليه خواصّ أصحابه ليَقْدمَ وهم فى خدمته ، فلما قرب من بغداد خرج بهاء الدولة وأعيان الناس لملاقاته ، ودخل دار الخلافة فى الثامن عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة ، وبايعه حينئذ البيعة العامة وخطب له على المنابر فى الثالث عشر من شهر رمضان المذكور ، وبقى حتى توفى فى ذى الحجة سنة[2] اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وعمره ست وثمانون سنة ، ومدة خلافته إحدى وأربعون سنة وأشهر[3] ، وكان له من الأولاد القائم بأمر الله الآتى ذكره وغيره .

---

(١) في تاريخ الخلفاء ص ١٦٥ اسمها تمنى وقيل دمنة .

(٢) في الأصل في ذى حجة .

(٣) في ابن الأثير ـ ٩ ص ١٥٥ ثلاثة أشهر وعشرون يوما ووصفه في ابن الأثير وحياة الحيوان ـ ١ ص ٧٩ أنه كان أبيض طويل اللحية كبيرها يخضبها لشيبه، له مصنف في السنة وذم المعتزلة والروافض .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما استقر فى الخلافة وسار من البطائح إلى بغداد وصله مهذبُ الدولة صاحب البطائح بأموال جمّة ، وقام بتدبير دولته بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه إلى أن توفى بأَرَّجَان ، وقد ملك العراق فى سنة ثلاث وأربعمائة ، وكان مدةَ ملكه أربعٌ وعشرون سنة ، وولى بعده بغداد وما معها ابنه (٨٦ ب) سلطان الدولة أبو شجاع ، وبقى إلى أن تشغّب عليه الجند فى سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، فاستخلف على العراق أخاه مشرف الدولة (١) ، وسار إلى الأهواز ، ثم بدا له فى صرف أخيه مشرف الدولة ، فبعث جيشا لقتاله ، فكانت الكسرة على جيش سلطان الدولة ، فتضعفت نفسه ، وهرب إلى الأهواز فى فُلٍّ من الناس ، وبقى مشرف الدولة حتى توفى فى ربيع الأول سنة ست عشرة وأربعمائة . فكانت مدة ملكه خمس سنين وعشرين يوماً ، وخلت بغداد من سلطان ، فتسلط الأتراك على الناس بالمصادرات ، وطمع

---

(١) في الأصل : شرف الدولة . والتصويب من ابن الأثير جـ ٩ ص ١١٨ و ١٢٩ وانظر صبح الاعشى جـ ٤ ص ٤١٨ .

أوباش الناس فى رؤسائهم ، ثم سار جلال الدولة بن بهاء الدولة من البصرة إلى بغداد باستدعاء القادر الخليفة والجند له ، فخرج القادر لملتقاه وحلّفه واستوثق منه ، ودخل بغداد ثالث رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، واستقر فى بغداد خاصة ، وباقى الأعمال لأبى كاليجار بن سلطان الدولة .

وفى أيامه فى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ملك الروم مدينة حمص واستولوا عليها ، وفيها حدث بدمشق زلزلة عظيمة سقط منها زهاءُ ألف دار ، ومات تحت الردم خلق كثير ، وخسفت قرية من قرى بَعْلَبَكّ ، وخرج الناس من دورهم إلى الصحارى ، وفى سنة عشرة وأربعمائة سقط بالعراق بَرَدٌ كِبار وزن البَرَدة رطلان فأقل ، وأصغرها بقدر البيضة .

وفى أيامه توفى الصاحب أبو القاسم بن عباد وزير فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، بالرّىّ ، ونقل إلى أصفهان فدفن بها ، وهو أول من لُقّب الصاحب من الوزراء ، وذلك أنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد ، فقيل له : صاحب ابن العميد ، ثم أطلق عليه هذا اللقب

لمّا تولى الوزارة ، وبقى علماً عليه ، ثم تلقب به كل من ولى الوزارة بعده .

(١٨٧) وفى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة توفى الحاتمىّ أحد الأعلام فى اللغة والأدب ، وهو صاحب « الرسالة الحاتمية » التى يُنزل فيها أبياتاً للمتنبى على كلام أرسطو .

وفى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة توفى ابنُ الحجّاج الشاعر المَجّان ، وكان شيعيّا ، فأوصى أن يدفن عند مشهد موسى بن جعفر ، وأن يكتب على قبره ﴿وكَلْبُهُمْ بَاسطٌ ذرَاعَيْه بِالْوَصيد﴾ [1]

ولايات الأمصار فى خلافته

كانت مصر بيد العزيز بن المعز العُبيدى الفاطمى ، فتوفى فى رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وولى بعده ابنه الحاكم بأمر الله أبو على المنصور ، سَلْخَ [2] رمضان المذكور ، وعمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر ، وبنى الجامع الحاكمىّ على القرب من باب الفتوح ، وكان حين بنائه

(١) سورة الكهف الآية ١٨

(٢) فى صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٣٠ أن العزيز مات ثامن رمضان وأن الحاكم تولى ليلة وفاة أبيه .

خارج القاهرة ، ولما بُنِى استقرّت الخطبة فيه ، وانقطعت الخطبة من الجامع الأَزهر فى سنة سبع وستين وخمسمائة بعد زوال الدولة الفاطمية ، واستقرت الخطبة بجامع الحاكم ، ولم تزل الخطبة بالجامع الأَزهر معطلة إلى سنة خمس وستين وستمائة فى سلطنة الظاهر بيبرس ، فخطب فيه .

وبنى أيضا جامع راشد ، جنوبى الفسطاط ، وأنشأَ عدة مساجد بالقرافة ، ونقل إلى الجامع العتيق بالفسطاط وغيره من الجوامع من المصاحف وآلات الفضة والستور ما له قيمة جليلة ، واستقرت الخطبة فيه من يومئذ ، وعظم شأْنه حتى صار أعظم جوامع القاهرة وأكثرها جماعة وجمعا .

وكان الحاكم جوادا بالمال سفاكا للدماء ، قتل عددا كثيرا من أماثل أَهل دولته وغيرهم صبرا ، وكانت سيرته من أَعجب السير ، جرى فى أَيامه أُمور عجيبة من تغير أَحواله فى كل وقت من غير أَن يعلم قصده فى ذلك . وقتل غيلة على القرب من حلوان . ولم يعرف قاتله . واطلع

على قتله فى [1] الثالث من ذى القعدة سنــة إحدى عشرة وأربعمائة ، وعمره يومئذ ست وثلاثون سنة ، وولى بعده ابنه الظـاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علىّ بن الحـاكم المقدم ذكره ، فى يوم عيد النحر سنة إحدى عشرة (٨٧ ب) وأربعمائة ، فبقى إلى ما بعد خلافة القادر .

وكان على دمشق منير الخادم ، من جهة العزيز الفاطمى فولى عليها الحاكم بن العزيز أبا محمد الأسود ، فى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، فبقى إلى ما بعد خلافة القادر ، وأفرط فى التشيـع ، حتى أنه شَهر رجلا مغربيـا بهـا ونادى عليه : هذا جزاءُ من يُحب أبا بكر وعمر ، فلا أحسن الله جزاءه .

وكان على حلب سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ، ثم تقلدها أبو على بن مروان من [2] الفاطمى خليفة مصر ، فى سنة ثمانين وثلاثمائة ، ولم يدخلها ، وبقيت بيد سعد الدولة

(١) هنا كلمة مضروب عليها بالقلم وفي صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٣٠ قتل في سلخ شوال سنة ٤١١ هـ .

(٢) في الأصل : « ثم تقلدها أبو على مروان بن الحكم الفاطمى » وهـذا خطأ والتصويب من صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٦٨ .

حتى توفى بالفالج فى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة (١) ، وولى بعده ابنه أبو الفضائل (٢) ثم انتزعهـا منه أبو نصر [بن] (٣) لؤلؤ ، وخطب بها للحاكم الفاطمى ، ثم أمره الحاكم بتسليمها إلى نوابه ، فتسلموها منه واستقرت بأيديهم حتى وليها منهم رجل اسمه عزيز الملك ، فبقى بها بقية أيامه ، ثم صارت إلى الظاهر بن الحاكم ، فوليها عنـه ابن سفيان (٤) ، فبقى إلى ما بعـد خلافة القادر .

وكان عـلى الموصـل حسام الدولة المُقَلَّد بن المسيّب العقيلى ، وهو أول من استولى منهم على الموصل ، ملكها فى سنـة ثمانين وثلاثمائة ، وبقى حتى قتل فى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة بعد أن عظم شأنه ، وقام مقامه فى ذلك ابنه قرواش بن المقلد .

وكـان على مـكة عيسى بن جعفر ، ثم ولى بعـده

---

(١) في الأصل : سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وهـذا خطأ واضح والتصويب من ابن الأثير ج ٩ ص ٣٣ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٦١ وفي صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦٨ سنة ثلاث وتسعين وهو خطأ أيضا .

(٢) في الأصل : أبو الفضل . والتصويب من ابن الأثير وغيره وفي صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦٨ أبو الفضل .

(٣) في الأصل أبو نصر لؤلؤ والتصويب من ابن الأثير ج ٩ ص ٨٤ حوادث سنة ٤٠٢ وصبح الأعشى ج ٤ ص ١٦٩

(٤) في صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦٩ ابن شعبان .

أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن أبي هاشم الحسن بن محمد
ابن سليمان [1] سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، ثم جاءت
عساكر عضد الدولة بن بويه ، ففر الحسن وترك مكة
ولما مات المُعزّ وولى بعده ابنه العزيز بعث إلى مكة
أميرًا علويًّا ، فخطب له بالحرمين ، واستمرت الخطبة بمكة
للعلويين إلى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، وفى سنة
ثمان وثمانين (٨٨ ا) وثلاثمائة خُطب لعضد الدولة بن
بويه ، ثم عادت الخطبة بمكة إلى الخلفاء الفاطميين
بمصر ، ثم كتب الحاكم الفاطمى سنة ثنتين وأربعمائة [2]
إلى عماله بالبراءة من أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، فأنكر
ذلك أبو الفتوح أمير مكة ، وحمله ذلك على أن استبد
بالأمر فى مكة وخطب لنفسه بالراشد بالله ، وقطع الحاكم
الفاطمى المِيرَةَ من مصر عن الحرمين ، فرجع أبو الفتوح
إلى طاعته ، فأعاده إلى إمارته بمكة فى سنة ثنتى عشرة

(١) في صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٦٩ : ثم الحسن بن محمد بن سليمان .

(٢) في الأصل : « سنة ثلثين وأربعين وأربعمائة . . والتصويب مقتبس من كتاب المنتقى في أخبار أم القرى ص ٢٠٩ : « وكان عصيان أبي الفتوح في سنة إحدى وأربعمائة على ما ذكر صاحب المرآة وغيره ورأيت في تاريخ لبعض شيوخنا أن ذلك في سنة اثنتين وأربعمائة ورأيت في تاريخ النويرى ما شهد لذلك » . هذا وفي صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٦٩ وقع هذا الخطأ أيضاً .

وأربعمائة [1] وخطب بعد ذلك للظاهر بن الحاكم

وفى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ضرب رجل من جُفاة مصر الحجر الأسود بدبوس فصدعه وثلمه ، فبادر إليه الناس فقتلوه . وبقى أبو الفتوح فى إمارة مكة إلى ما بعد خلافة القادر .

وكان على المدينة النبوية أبو الحسين طاهر ، فبقى فيها سنتين ، ثم توفى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، وولى بعده ابنه أبو محمد الحسين بن طاهر .

قال العتبى : وكان موجودا فى سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، وغلبه على إمارتها بنو عم أبيه أبى أحمد القاسم ابن عبيد الله بن طاهر بن يحيى ، واستقلوا بها .

وقال العتبى : وليها بعد طاهر صهره وابن عمه داود بن القاسم

وقال ابن سعيد : ملك أبو الفتوح الحسن بن جعفر

---

(١) لعل الصواب سنة ثلاث وأربعمائة كما يفهم من كتاب المنتقى ص ٢٠٩ هذا والحاكم مات سنة ٤١١ وفي صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٦٩ : وفي سنة ثنتى عشرة وأربعمائة خطب بمكة للظاهر بن الحاكم .

السليمانى أمير مكة المدينة سنة تسعين وثلاثمائة بأمر الحاكم الفاطمى ، وأزال إمرة بنى الحسين منها ، وحاول الحاكم الفاطمى نقل الجسد الشريف النبوى إلى مصر ليلا ، فهاجت بهم ريح عظيمة أظلم منها الجو ، وكادت تقلع المبانى من أصلها ، فردهم أبو الفتوح عن ذلك وعاد إلى مكة ، ورجع أمراء المدينة إليها ، فوليها منهم هانئ بن داود بن قاسم ، ثم مُهَنَّا أخوه .

قال الشريف الحرّانى [1] النسابة (٨٨ ب) وكان بها فى سنة ثمان وأربعمائة أبو عمارة حمزة ، ومقتضى كلامهم [2] أنه بقى إلى ما بعد خلافة القادر .

وكان على اليمن من بنى زياد أبو الجيش بن إبراهيم ، فبقى حتى توفى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وخلّف طفلا كفلته أخته هند بنت أبى الجيش مع عبد لأبيه اسمه رشد [3] ، فبقى حتى مات ، فتولى مكانه حسين بن سلامة ، وصار وزيرا لهند وأخيها حتى ماتا ، ثم ملكوا

(١) فى الأصل : الجوانى والتصويب من صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٩٩ .

(٢) لعلها : ومقتضى كلامه .

(٣) فى صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٨ اسمه رشيد .

عليهم طفلا اسمه إبراهيم ، وقيل : عبد الله بن زياد . وقام بأمره عمته وعبد من عبيد حسين بن سلامة اسمه مرجان ، فقبض عبدٌ لمرجان اسمه قيسٌ على الطفل وعمته في سنة سبع وأربعمائة ، واستبد بالملك . ثم قُتل قيسٌ بزَبيد ، وملك بعده نجاحٌ عبدُ مرجان ، وعظم شأْنه ، وركب بالمظلة ، وضُربت السِّكة باسمه ، وبقى إلى ما بعد خلافة القادر .

وكان على خراسان وما وراء النهر نوح[1] بن منصور الساماني ، فمات في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، وقام بالأمر بعده أبو الحارث منصور بن نوح ، فبقى حتى قبض عليه بكتوزون في سنة ثمان [2] وثمانين وثلاثمائة ، وسمل عينيه وأقام في الملك أخاه عبد الملك وهو صبي صغير ، فكتب محمود بن سُبُكتكين صاحب غَزْنة إلى بكتوزون ينكر عليه ما كان من فعله مع منصور بن نوح ، ثم سار إلى خراسان فاستولى عليها وقطع خطبة السامانية منها ، وبذلك زالت دولتهم من خراسان ، وبقى ما وراء

(١) كتب في الأصل : نرج وهو خطأ وكذلك فيما جاء بعد ذلك مرتين ثم جاء صوابا وانظر ابن الأثير حـ ٩ ص ٤٨ وصبح الأعشى حـ ٤ ص ٤٤٧ .

(٢) في ابن الأثير حـ ٩ ص ٥٤ أن ذلك كان سنة ٣٨٩ .

النهر مع عبد الملك بن نوح وبكتوزون ، فسار إليهم ايليك خان ملك تركستان ، ودخل بخارى عاشر ذى القعدة[1] سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وقبض على عبدالملك بن نوح وحبسه حتى مات فى الحبس ، وزالت دولة السامانية مما وراء النهر أيضا ، وكانت قد انتشرت وطبقت أكثر الأرض ، وكانت من أحسن الدول سيرة وعدلا وتوالت (٨٩ ا) عليها أيدى ملوك التركستانية ، إلى أن غلب عليها ملكشاه السلجوقى ، على ما سيأتى ذكره .

وكانت غَزْنَة أولا مع بنى سامان مع خراسان ، فلم تزل بأيديهم حتى غلب عليها سُبُكْتِكِين أحد مماليك أبى إسحاق صاحب[2] جيش غزنة للسامانية المقدم ذكره فى سنة ست وستين وثلاثمائة ، بعد موت أبى إسحاق المذكور . وذلك ابتداء ملك سُبُكْتِكِين ، ثم مات وقام بالأمر بعده ابنه إسماعيل ، ثم غلب عليها أخوه محمود بن سبكتكين واستضاف إليها بعض خراسان ، فى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وقطع خطبة السامانية ، وبقى حتى توفى سنة

(١) فى الأصل : ذى قعدة .

(٢) فى الأصل : حاجب ، والتصويب من صبح الأعشى جـ ٤ ص ٤٤٨ .

إحدى وعشرين وأربعمائة ، بعد أن فتح الكثير من بلاد الهند ، وأحرق صنمهم الأعظم بسُومَنات[1] وكسره ، وحمل بعضه إلى غزنة فجعله عَتَبَة جامِعها ، وملك بعده ابنه محمد[2] بن محمود ،بعهد من أبيه إليه ، فبقى إلى ما بعد خلافة القادر .

وكان على إفريقية المنصور بن بُلُكِّين[3] من جهة العزيز بن المعز الفاطمى ، وبقى حتى توفى سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، وقام بالأمر بعده ابنه بَاديس بن المنصور ، وبقي حتى توفى سنة ست وأربعمائة ، فجأة وهو نائم بين أصحابه ، وقام بالأمر بعده ابنه المُعِزّ بن باديس وهو ابن ثمان سنين ، وبقى إلى ما بعد خلافة القادر ، فانتحل السُّنَّة ورفض التشيُّع .

وكان بلكين بن زِيرى صاحب إفريقية قد غلب على الغرب الأوسط فى سنة تسع وستين وثلاثمائة ، وأجلوا عنه

(١) سومنات مدينة ساحلية بها علماء الهنود وعبادهم والصنم المعروف بها يسمى « البد » انظر النجوم الزاهرة حـ ٤ ص ٢٦٦ هامش نقلا عن نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ١٧٠.

(٢) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ٤٤٨ أن محمد بن محمود قدم عليه أهل المملكة أخاه مسعود ابن محمود وملكوه عليهم ، وانظر النجوم الزاهرة حـ ٤ ص ٢٣٤ وابن الأثير حـ ٩ ص١٤٨

(٣) في صبح الأعشى ضبط بضم فسكون فكسر بدون تشديد . وضبطنا كما أثبته ابن خلكان باللفظ في كتابه في ترجمة بلكين .

مَغْرَاوَةَ الذين كانوا به من تقادم السنين ، وبعث العزيز الفاطمى من مصر جيشا لاسترجاع مُلْكه بالغرب فى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، فلم يظفروا بقصد ، ثم استولى هشام بن الحكم الأموى بالأندلس على بلاد المغرب (١) وكتب له بذلك عهدا ، وبقى على ذلك ، إلى أن مات فى سنة سبع عشرة وأربعمائة ، وولى من بعده (٨٩ ب) ابن عمه حَمَامة بن المعز بن عطية ، فبقى إلى ما بعد خلافة القادر .

وكانت تلمسان من الغرب الأوسط بيد صنهاجة إلى أن استقل زيرى بن عطية بولاية المغرب وطرده المنصور بن أبى عامر من الغرب الأقصى ، فصار إلى تلمسان واستولى عليها ، ثم عقد المظفر الأموى (٢) صاحب الأندلس على بلاد المغرب للمعز بن زيرى سنة ست وتسعين وثلاثمائة ،

(١) لا شك أن هنا سقطا ملخصه « أن بنى مغراوة ومنهم زيرى بن عطية بن زناتة «وزيرى هو غير بلكين بن زيرى من صنهاجة» انحاز بقوته إلى المنصور بن أبى عامر ثم فسد الأمر بينهما ثم عاد إلى ماكان وأقام زيرى بن عطية الدعوة لهشام بن الحكم خليفة الأندلس وصاحبه المنصور من بعده وبقى على ذلك إلى أن مات سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وبويع بعده ابنه المعز بن زيرى ومات المنصور خلال ذلك وقام ابنه المظفر عبد الملك وبعث المعز ابن زيرى يرغب إلى المظفر في عمل فاس والمغرب الأقصى فأجابه إلى ذلك وكتب له عهده بذلك » . انظر صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٨٦ فبهذا يستقيم الكلام والتاريخ . وفي الأصل هشام بن عبد الملك .

(٢) « المظفر الأموى » كذا ولعل في الأصل تحريفا صوابه « المؤيد هشام الأموى » .

فاستعمل على تلمسان ابنه يعلى ، واستقرت ولايتها فى بنى زيرى إلى حين انقراض دولتهم بِلَمْتُونة ، فى أيام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

وكان على الأندلس المؤيد هشام ، فبقى إلى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، ثم غلبه على ذلك محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر المقدم ذكره ، وتلقب بالمهدى ، فى جمادى الآخرة من هذه السنة ، ثم غلبه عليه سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المقدم ذكره فى شوال منها ، ثم غلب عليه المهدىّ محمد بن هشام ، ثم عاد هشام بن الحكم المقدم ذكره فى ذى الحجة من السنة المذكورة ، ثم عاد سليمان بن الحكم المقدم الذكر فى منتصف شوال سنة ثلاث وأربعمائة ، وتلقب بالمستعين ، ثم غلب عليه المهدىّ محمد بن هشام المتقدم الذكر فى أخريات السنة المذكورة ، ثم غلبه المستعين على قرطبة ، ثم قُتِل المهدىُّ محمد بن هشام المذكور وعاد المؤيدُ هشامٌ ، [هذا والمستعين] [1] فى ذلك كله محاصر قرطبة إلى أن فتحها فى سنة ثلاث وأربعمائة ، وقَتل المؤيَّدَ هشاما . ثم غلبه

(1) الزيادة من صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٤٦

عليُّ بن حَمُّود وأخوه قاسم من الأَدارسة على قرطبة وملكوها وقتلوا المستعين، وأزالوا ملك بنى أُمية من الأندلس فى سنة سبع وأربعمائة، واتصل ذلك فى خَلَف الأَدارسة سبع سنين، ثم غلب عَلَى عليِّ بنِ حَمُّودٍ عبدُ الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن الناصر، ثم (١٩٠) رجع الأَمر إلى يحيى بن علىّ بن حَمُود سنة ست عشرة وأربعمائة، ثم بويع المعتدّ بالله [١] هشام بن محمد أخى المرتضى الأَموى، سنة ثمان عشرة وأربعمائة، فبقى إلى ما بعد خلافة القادر.

السادس والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

القائم بأَمر الله

وهو أَبو جعفر عبد الله بن القادر بالله المقدم ذكره وأُمه أُم ولد اسمها بدر الدجى [٢]، وولادته سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، بويع له بالخلافة عقب موت أَبيه القادر فى ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة؛

(١) في الأصل: المقتدر بالله وفي صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٤٦ المعتمد بالله وسيأتى في الأصل في ج ٢ ص ٢٤٨ أنه المعتد بالله وهو يتفق مع معجم الأنساب والأسرات ص ٢.

(٢) في تاريخ الخلفاء ص ١٦٧ أم ولد أرمنية اسمها بدر الدجى وقيل قطر الندى. وفي ابن الأثير ١٠ / ٣٥ قطر الندى أو اسمها علم.

وأرسل أقضى القضاة أبا الحسن الماوردىّ الشافعى إلى الملك أبى كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة بفارس وما معها ، فأخذ له البيعة عليه ، وخطب له فى بلاده ، وبقى حتى توفى ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، وعمره ست وسبعون سنة وثلاثة أشهر وأيام . وكان سبب موته فيما ذكر أنه أصابه ماشر [1] فافتصد ، فانفجرت فصادته وهو نائم ، فخرج منه دم كثير وهو لا يشعر ، فاستيقظ وقد سقطت قوته ، فأحضر وزيره ابن جَهِير [2] والقضاة وأشهدهم أنه جعل ابن ابنه عبد الله ابن ذخيرة الدين محمد بن القائم بأمر الله ولىّ عهده ، ومات ومدة خلافته أربع وأربعون سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرون يوما ، ولم يكن له عقب غير ابن ابنه المذكور .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة قام بتدبير دولته جلال الدولة بن بهاء الدولة بن بويه الديلمى ، وتشغبت عليه الجند ببغداد فى

---

(١) في الأصل : ماشرا . هذا والماشر : انتفاخ في البدن .

(٢) ضبطه ابن خلكان في ترجمته له محمد بن جهير بفتح الجيم وكسر الهاء أما ضبط معجم الأنساب والأسرات فبالتصغير انظر ص ٢٣ .

سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ونهبوا داره (٩٠ ب) وأخرجوه من بغداد، وكتبوا إلى الملك أبى كاليجار يستدعونه إلى بغداد، ثم وقع الاتفاق بين جلال الدولة والجند، وعاد جلال الدولة إلى بغداد، وفى سنة ست وعشرين وأربعمائة انحلَّ أمر الخلافة والسلطنة ببغداد، وعظم أمر العيَّارين، وصاروا يأْخذون أموال الناس ليلا ونهارا، ولا مانع لهم والسلطانُ جلال الدولة عاجز عن دفعهم، وانتشرت العرب فى النواحى فنهبوا البلاد وقطعوا الطرق، ثم وقعت الوحشة بين جلال الدولة وبين القائم بأَمر الله الخليفة فى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، بسبب أن الجوالى [1] كانت تُجبى وتحمل إلى الخليفة لا يعارضه فيها الملوك، فاستولى عليها جلال الدولة فى هذه السنة، ثم توفى جلال الدولة ببغداد فى شعبان سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، فكان ملكه ببغداد ست عشرة سنة وأحد عشر شهرا، ولما مات كان ابنه الملك العزيز بواسط، فكاتبه الجند فى أمر السلطنة، فلم يجد من يُعينه على ذلك، ومات قبل انتظام أمره، فكاتب الملكُ أبو كاليجار المرزبان بنُ سلطان الدولة بن

(١) الجوالى جمع جالية وهى الجزية التى تؤخذ من أهل الذمة ثم استعملت فى كل جزية.

ركن الدولة بن بويه صاحبُ فارس وما معها عسكرَ بغداد فى استقرار السلطنة ببغداد له . فأجابوه إلى ذلك ، وخُطب له ببغداد فى صفر سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وخطب له أيضا أبو الشوك ودبيس بن مَزْيَد[1] ونصر الدولة بن مروان ببلادهم ، ثم سار أبو كاليجار المذكور إلى بغداد فدخلها فى رمضان من هذه السنة ، وزينت بغداد لقدومه ، ثم توفى أبو كاليجار فى رابع جمادى الأُولى سنة أربعين وأربعمائة بمدينة جناب من كرمان وعمره أربعون سنة ، فكان ملكه العراقَ أربع سنين وشهرين ، ولما وصل خبر وفاة أبى كاليجار إلى بغداد (٩١ ا) وبها ولده الملك الرحيم ، جمع الجند واستحلفهم واستولى على بغداد ، ثم أرسل الملك الرحيم عسكرا إلى شيراز قاعدة فارس ، فقبضوا على أخيه أبى المنصور القائم مقام أبيه بفارس فى شوال من هذه السنة ، وخُطب للملك الرحيم بشيراز ، ثم سار الملك الرحيم من بغداد إلى خوزستان فلقيه من بها من الجند وأطاعوه ، ثم سار طغرلْبك بن داود بن ميكائيل بن سلجوق السلجوقى نحو بغداد ، حتى وصل حلوان ، فعظم الإرجاف ببغداد ، وبعث قواد بغداد

(١) فى النجوم الزاهرة ٥ : ٣١ دبيس [بن على] بن مزيد .

يبذلون له الطاعة وأن يخطبوا له ، فأجابهم طغرلبك إلى ذلك ، وتقدم القائم الخليفة بذلك فخطب له بجوامع بغداد ، لثمان بقين من شهر رمضان سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، ثم أرسل طغرلبك يستأذن الخليفة فى دخول بغداد ، فتوجهت إليه رسل الخليفة وحلّفوه للخليفة وللملك الرحيم المقدّم ذكره ، فحلف لهما ، وسار طغرلبك حتى دخل بغداد فنزلها ، واتفق أن بعض عسكر طغرلبك وقع بينه وبين السوقة فتنة ، فثار أهل تلك المحلة على من فيها من عسكر طغرلبك ونهبوهم ، وثارت الفتنة بين العامة وعسكر طغرلبك ، واتهم طغرلبك الملك الرحيم فى أنه السبب فى تلك الفتنة ، فالتمس حضوره من الخليفة ، فخرج إليه هو وأعيان القواد ، فقبض طغرلبك على الملك الرحيم وسائر القواد الذين معه ، فعظم ذلك على الخليفة وبعث إلى طغرلبك فى أمرهم ، فأفرج عن بعض القواد ، واستمر بالباقين وبالملك الرحيم فى الأعتقال .

وبالقبض على الملك الرحيم زال ملك بنى بويه عن العراق ، واستقرت الدولةالسلجوقية ، وسار طغرلبك عن بغداد فى عاشر ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ، بعد أن

أقام ببغداد ثلاثة عشر شهرا وأياما ، لم يلق فيهـا الخليفة (٩١ ب) واستولى طغرلبك فى خرجته تلك على الموصـل وأعمالهـا ، ثم عـاد إلى بغـداد فى سنـة تسـع وأربعين وأربعمائة ودخل بغداد ، وقصد الاجتماع بالخليفة القائم ، فجلس له الخليفة ، وعليه البردة ، على سرير عال عن الأرض نحو سبعة أذرع ، فقبل طغرلبك الأرض بين يدى الخليفة ، وجلس على كرسى ، ثم قال له الخليفة على لسان رئيس الرؤساء : إن الخليفة قد ولاّك جميـع ما ولاه الله تعـالى من بلاد ، ورد إليك مراعاة عباده ، فاتّقِ الله فيما ولاك ، واعرف نعمته عليك ، وخلع على طغرلبك وأعطى العهد ، فقبّـل الأرض ويد الخليفـة ثانيا وانصرف ، ثم أرسل طغرلبك إلى الخليفة خمسين ألف دينار وخمسين مملوكا من الأتراك بخيولهم وسلاحهم مع ثياب وغيرها ، ثم سار طغرلبك من بغـداد إلى هَمَـذَان فى سنة خمسين وأربع مائة ، وتبعه من كان ببغداد من الأتراك ، فقصـد أرسـلان البساسيرى ، وهو مملوك تركى من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ، ومعه قُرَيش بن بدران إلى بغداد ، فدخلها ثامن ذى القعـدة من هذه السنة ، وخطب بجامع

المنصور للمستنصر العلوى خليفة مصر ، وأَمر بأَن يؤذن فيها : بحىّ على خير العمل . ثم ركب البساسيرى فى جمع ونهب الحريم ، ودخل البــاب النّسْوِىّ ، فركب الخليفة القائم لابسا السواد ، وعلى كتفه البردة ، وبيده سيف ، وعلى رأْسه اللواءُ ، وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسلولة ، وسَرَى النهبُ إلى باب الفردوس من داره ، فلما رأى القائم ذلك رجع القهقرى ، ودخل المَنْظَرة ، فقال رئيس الرؤساء لقريش بن بدران : أَمير المؤمنين القــائم يستذمُّ بِذِمامك وذِمامِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وذِمام العَرَبِيّة ، على نفسه وماله وأَهله وأَصحابه . (١٩٢) فأَعطاه قُريش الذمام ، ونزل الخليفة إلى قريش ، فتغيَّر البساسيرى لذلك ، وعَتَب على قريش ، ثم اتفق الأَمر على أَن يُسلَّم رئيسُ الرؤساء إلى البساسيرى ، لأَنــه عــدوُّه ، ويبقى الخليفة عند قريش ، وحمل قريشٌ الخليفةَ إلى معســكره بالبُرْدة والقضيب واللِّواء ، ونهبت دار الخلافة وحريمها أَياما ، ثم بعث بالخليفة مع بنى عمه إلى عانة ، فنزل بها ، وسار أَصحاب الخليفة إلى طغرل ، وأَقام البساسيرى بعد خروج الخليفة القائم ببغداد يُحسن إلى الناس ، ويحمل

على رأسه فى ركوبه فى المواكب ألويةَ المستنصرِ خليفة مصر ، وأرسل إلى المستنصر يعرفه إقامة الخطبة له بالعراق ، ثم سار البساسيرى عن بغداد إلى واسط والبصرة فملكهما ، ثم عاد الخليفة القائم إلى بغداد فى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، وأرسل طغرلبك الخيام العظيمة والآلات للقائم الخليفة ، وسار مع الخليفة حتى دخل داره ببغداد ، لخمس بقين من ذى القعدة سنة إحدى وخمسين ، ثم خرج طغرلبك فى طلب البساسيرى ، وجهز إليه عسكرا ، فأدركوه ، وجرى بينهم قتالٌ قُتِلَ فيه البساسيرى ، وحُمِل رأسه إلى طغرلبك ، فبعث بها طغرلبك إلى دار الخلافة ، فعُلِّقت مقابل الباب النسوى ، ثم تزوج طغرلبك بنت الخليفة القائم ، وعقد عليها فى شعبان سنة ثلاث وخمسين وأربع مائة بِتبْرِيز ، بوكالةٍ من الخليفة ، ثم قدم طغرلبك إلى بغداد ، ودخل بابنة الخليفة فى سنة خمس وخمسين وأربع مائة ، وثارت الرعية من عسكره بسبب إخراجهم لهم من بيوتهم ، وفسقهم بنسائهم أخذًا باليد ، وبعد دخول طغرلبك بابنة الخليفة سار من بغداد إلى بلاد الجَبَلَ وهى عراق العجم ، فمرض وتُوفى بالرىّ فى

ثامن رمضان سنة خمس وخمسين وأربع مائة ، ولم يكن لطغرلبك عقب (٩٢ ب) فاستقرت السلطنة بعده لابن أخيه محمد ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، ثم قُتِل ألب أرسلان المذكور ، غيلة ، وهو فى مائتى ألف فارس ، فى عاشر ربيع الأول سنة خمس وستين وأربعمائة ، وكان قد أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه ، وهو معه ، فعاد بالعسكر إلى خراسان وقام بتدبير دولته نظامُ الملك وزير أبيه ، فأحسن التدبير ، وأرسل إلى بغداد والأطراف فخُطِب له بها على قاعدة أبيه ألب أرسلان ، وبقى السلطان ملكشاه فى السلطنة إلى ما بعد خلافة القائم .

ومن عجيب ما وقع فى خلافته ما حكاه الشيخ أبو على ابن سينا فى كتابه « الشِّفاء » أنه فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وقع بجُرجان صاعقة ، فنَشِبَتْ فى الأرض ، ثم نَبَتْ نَبْوَةَ الكُرة التى ترمى بها الحائط ثم عادت فنشبت فى الأرض ، وسمع الناس لذلك صوتا عظيما هائلا ، فتفقَّدوا أمره ، فظفروا به فى صورة حديد ملتئم من أجزاء جاوشيّة مستديرة ، قد التصق بعضها ببعض ، يزن مائة وخمسين مَنًّا ، فحُمل إلى جُرجان ،فالتمس منه محمود بن سُبُكْتكين

صاحب خراسان يومئذ إنفاذه إليه إن أمكن أو قطعة منه ، فتعذّر نقله لثقله ، فحاولوا كسر قطعة منه فلم تعمل فيه الآلات ، فأُعملت الحيلةُ فى فصل جزء منه ، فأُنفذ إليه ، فَرَامَ أن يَطْبَع [1] منه سيفا فتعذّر عليه .

وفى سنة ستين وأربعمائة كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة ، طلع فيها الماء من رؤوس الآبار ، وهلك تحت الردم عالم كثير ، وزال البحر عن الساحل مسيرة يوم ، فنزل الناس إلى أرض البحر يلتقطون ، فرجع الماء عليهم وأهلك خلقا كثيرا .

واعلم أنه لم يكن للقائم عقب سوى ابنٰ ابنه عبد الله [بن] ذخيرة الدين محمد بن القائم ، توفى أبوه فى حياة جده القائم ، وأمه (١٩٣ ا) حامل به ، فلما وضعته فرح به جده القائم ، وعظُم سروره ، فلما بلغ جعله ولىَّ عهده ، ولقّبه ذخيرة الدين [2]

ولايات الأمصار فى خلافته

كانت الديار المصرية بيد الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله ، فبقى حتى توفى فى شعبان سنة سبع

(١) طبع السيف : عمله و صاغه .

(٢) كذا به وإنما ذخيرة الدين هو محمد بن القائم .

وعشرين وأربعمائة ، وولى بعده ابنه المستنصر بالله أبو تميم معدّ ، عقب وفاته ، فبقى إلى ما بعد خلافة القائم .

وكان على دمشق أبو محمد الأسود ، من جهة القادر بالله الخليفة قبله ، فانتزعها منه أنوشتكين الدِّزْبِرِى ، بأمر المستنصر الفاطمى فى سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، ثم أمرَ بالخروج عن طاعته فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة فخرج عنها وخرج [1] أمرها بذلك ، وبقى الأمر على ذلك إلى ما بعد خلافة القائم .

وكان على حلب من جهة الظاهر لإعزاز دين الله ابنُ شعبان ، ثم تغلب عليها صالح بن مرداس أمير بنى كلاب فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة ، ثم قُتل فى أيام الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمى المقدم ذكره ، فملكها بعده شبل الدولة نصر بن صالح ، ثم انتزعها منه أنوشتكين الدِّزْبِرِىّ بأمر المستنصر العلوى ، فى شعبان سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، وتوفى فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وملكها بعده معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس ، ثم ملك قلعتها بعد ذلك فى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ، ثم

(١) فى صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٦٤ وفسد أمرها بذلك .

تسلمها منه مكين الدولة الحسن بن عليّ بن ملهم فى سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، بصلح وقع بينه وبين الفاطميين على ذلك ، ثم انتزعها منه محمود بن شبل الدولة بن صالح المقدم ذكره ، وملك قلعتهافى سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وبقى حتى توفى فى ذى القعدة (٩٣ ب) سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وملكها بعده أخوه عطية بن صالح فى السنة المذكورة ، ثم انتزعها منه ابن أخيه محمد ابن سرى الدولة [١] فى رمضان سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة القائم .

وكانت طرابلس بيد القاضى أبى طالب عماد [٢] قاضيها وكان قد استولى عليها واستبدّ بها ، وبقى بها حتى توفى سنة أربع وستين وأربعمائة ، وملكها بعده ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عماد ، فضبطها أحسن ضبط .

وكان على مكة أبو الفتوح السليمانى من قبل الظاهر بن الحاكم الفاطمى صاحب مصر ، وتوفى أبو الفتوح سنة ثلاثين وأربعمائة ، لست وأربعين سنة من

(١) فى صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٦٩ ابن أخيه محمود بن شبل الدولة .
(٢) فى صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٧٤ : قاضيها أبو على بن عمار .

إمارته ، وولى بعده ابنه شُكر ، ثم ملك معها المدينة الشريفة واستضافهـا إليهـا ، وجمـع بين الحرمين ثلاثا وعشرين سنة ، ومات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . وله شعر رائق منـه :

قَوِّضْ خيامَك عن أرضٍ تُضام بها
وجانبِ الذُّلَّ إنَّ الذُّلَّ مُجْتَنَبُ
وارحَلْ إذا كان فى الأوطان مَنْقَصَةٌ
فالمَنْدَلُ الرَّطْبُ فى أوطانه حَطَبُ

قال ابن حزم : وكانت وفاته عن غير ولد ، وانقرض بموته دولة السليمانيين بمكة ، وانتقل ذلك إلى الهواشم ، وهم بنو أبى هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله أبى الكِرَام بن موسى الجَون بن عبد الله بن حسن المُثنى بن الحسن السبط بن علىّ بن أبى طالب ، فاستولى عليها محمد بن جعفر بن أبى هاشم المقدم ذكره بعد موت شُكر ، فى سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وخَطَب للمستنصر الفاطمى صاحب مصر ، ثم خطب لبنى العباس فى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، فقُطعت مِيرةُ مصر عن

مكة ، فعَذَله أهلُه ، فأَعاد الخطبة للمستنصر الفاطمى ، ثم استماله القائم خليفة بنى العباس ، وبذل له الأَموال (١٩٤) فخطب له سنة ثنتين وستين وأَربعمائة ، بالموسم فقط ، وكتب للمستنصر بمصر يعتذر له ، ثم بعث له السلطان أَلب أَرسلان السَّلجوقى بأَموال كثيرة فى سنة ثلاث وستين وأَربعمائة ، فخطب له بنفسه ، ثم جمع محمد بن جعفر أَمير مكة وزحف إلى المدينة فأَخرج منها بنى الحسين وملكها ، وجمع بين الحرمين ، وبقى إلى ما بعد خلافة القائم . وكان على المدينة قبله أَبو عمارة حمزة ، ثم وليها بعده ابنه عبيد الله ، وكان بالمدينة سنة أَربع [1] وأَربعمائة ، ثم قُتل بالبصرة وولى بعده أَخوه الحسين ، ثم ولى بعده ابنه مهنا بن الحسين ، ثم وليها هاشم بن الحسن ابن داود سنة ثمان وعشرين وأَربعمائة من قبل المستنصر الفاطمى صاحب مصر ، ولم أَعلم ما بعد ذلك إلى حين زوال ولاية القائم .

وكان اليمن بيد نجاح عبد مرجان ، فبقى فيه حتى توفى سنة اثنتين وخمسين وأَربعمائة ، وملك بعده ابنه

(١) فى صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٩٩ سنة ثمان وأربعمائة .

سعيد الأحول بن نجاح ، وبقى إلى ما بعد خلافة القائم .

وكان ما وراء النهر بيد ملوك تركستان مضافا لما بأيديهم من ذلك ، وكانت خراسان بيد محمد بن محمود بن سبكتكين ، ثم ارتضى الجند مسعود بن سبكتكين فأقاموه بخراسان مقام ابن أخيه محمد بن محمود فى السنة المذكورة ، وبقى مسعود حتى غلبه على خراسان داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق فى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وذلك ابتداء الدولة السلجوقية . وبقى حتى توفى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة وملك بعده ابنه محمد ألب أرسلان ، فبقى حتى قتل فى سنة خمس وستين وأربعمائة ، عن تسع سنين وستة أشهر وأيام من سلطنته . وملك بعده ابنه ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن سلجوق ، وأرسل إلى بغداد والأطراف . (٩٤ ب) فخطب له بها على عادة أبيه ، وبقى إلى ما بعد خلافة القائم .

وكان على غزنة وما معها محمد بن محمود بن سبكتكين ، فقدّم أهل المملكة عليهم مسعود بن سبكتكين عم[1]

(١) في صبح الأعشى ﺟ ٤ ص ٤٤٨ : « ثم قدم أهل المملكة عليه أخاه مسعود بن محمود » وهو الصواب ويؤيده قوله بعد ذلك ثم ملك بعده أخوه محمد المقدم ذكره .

محمد بن محمود فملكوه عليهم ، فبقى حتى قُتل فى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، ثم ملك بعده أخوه محمد المقدم ذكره ، ثم قتل من عامه ، وملك بعده ابن أخيه مودود بن مسعود وتوفى [1] سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، وملك بعده عمه عبد الرشيد ، ثم قتل فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، وملك بعده أخوه فرخزاد بن محمود[2] وتوفى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، وملك بعده أخوه الملك المؤيد إبراهيم بن مسعود ، وصَالَحَ داودَ ابن ميكائيل بن سلجوق صاحبَ خراسان ، وبقى إلى ما بعد خلافة القائم .

وكانت إفريقية والغرب الأوسط بيد المعز بن باديس ، وهو فى طاعة المستنصر الفاطمى صاحب مصر ، ثم خلع طاعته وقطع الخطبة له بإفريقية سنة أربعين وأربعمائة ، وخطب للقائم خليفة بنى العباس ببغداد ، وبقى حتى مات سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وقام بالأمر بعده ابنه تميم بن المعز بن باديس ، وغلبه العربُ على إفريقية فلم

---

(١) فى الأصل : موروود بن محمود . والتصويب من صبح الأعشى .

(٢) فى صبح الأعشى فرخزاد بن مسعود بن محمود ويراد به أنه أخو مودود ويؤيده كلامه بعده .

يـكن له منها إلا ما ضمه السُّور ، وبقى إلى ما بعـد خلافة القائم . ولمـا استولى أمير المسلمين يوسف بن ناشفين على الغرب الأَقصى فى سنة أربع وخمسين وأربعمائة استولى عـلى الغرب الأَوسط ، وولى على تلمسان محمد بن سمغريم من بعـده لأَخيه تاشفين ، وكان عـلى الغرب الأَقصى . [وكان بالأَندلس هشام بن محمد] [1] فتوفى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وبوفاته انقطعت دولة الأَمويين من الأَندلس .

وكان علىُّ بن حمود بن ميمون بن أحمد بن على بن عبيد الله بن عمر بن إدريس من بقايا ملوك الأَدارسة بالغرب الأَقصى ، فعبر البحر من طنجة من بر العدوة إلى مالقَة من (٩٥ ا) الأَندلس وملـكها ، ودخل قرطبة قاعدة الأَندلس فى سنة سبـع وأربعمائة ، وتلقب بالناصر لدين الله ، وبقى حتى قتله غلمانه فى سنة ثمان وأربعمائة ، وولى أخوه القاسم ابن حمود وتلقب بالمأْمون ، ثم غلب عليه يحي ابن أخيه علىّ ، وملك منه قرطبة ، فملـكهـا سنـة ثنتى عشرة وأربعمائة ، وتلقب بالمعتلى ، وعلت دولته ، وبقى حتى

(١) زيادة يستقيم بها الكلام مقتبسة من صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٤٦ .

قتل ، وولى أخوه إدريس بن علي مالقة ، وتلقب بالمتأيد بالله ، وبايعه أهل المريّة ورُنْدَة وأعمالها . ومات سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وولى بعده حسن بن يحيي المُعتلِى وتلقب بالمستنصر ، وبايعته غرْناطة أيضا ، ومات مسموما سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ، وبويع بعده إدريس بن يحيي المُعْتلِى ويلقّب بالعالى ، وأطاعته غرناطة وما معها[1] ، ثم قتل [محمداً وحسنا ابنى عمه إدريس ، فثار السودان بدعوة أخيهما محمد بمالقة فأسلموه] [2] وبويع محمد بن إدريس المتأيّد بمالَقَة سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ، وتلقب بالمهدى ، وأطاعته غرْناطة وجَيّان وأعمالهما ، ثم مات سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، وبويع إدريس بن يحيي بن إدريس المتأيّد ، ولقّب الموفّق ، ولم يخطب له ، ثم غلب عليه إدريس المخلوع الملقّب بالعالى بن يحيي المعتلى . فبويع بمالقة ، وبقى بها إلى أن مات سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، وبويع محمدٌ الأصغر بن إدريس المتأيّد ، وتلقب بالمستعلى ،

(١) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٤٨ وأطاعته غرناطة وقرمونة وما بينهما .

(٢) الزيادة من صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٤٨ لينتظم الكلام فسيأتى أنه عاد بعد خلعه وزحف إلى المتأيد ومعنى هذا أنه لم يقتل .

وخُطب له بمالَقَة والمَرِيّة ورُنْدَة ، ومات سنة ستين وأربعمائة .
وكان محمد بن قاسم بن حَمُّود قد ملك الجزيرة الخضراء سنة أربع عشرة وأربعمائة ، ثم ملكها من بعده ابنه القاسم ، وتلقّب بالواثق ، ومات سنة خمسين وأربعمائة ، واستولى على الجزيرة المُعْتَضد بن عَبَّاد[1] ، وانقرضت دولة بنى حمود بالأندلس ، وانتهى الحال إلى أن أمر الخلافة بالأندلس من بنى أُمية وبنى حمود (٩٥ ب) قد اضمحلّ وتلاشى ، وتفرق ملك الأندلس فى طوائف من الوزراء والموالى وكبار العرب والبربر ، وقام كل منهم بأمر ناحية ، وأخذوا فى تغلب بعضهم على بعض ، فضعف بذاك أمرهم ، حتى أعطوا الإتاوة لملوك الفرنج من بنى أدفونش .

فأما إشْبيلية وغرب الأندلس فاستولى على ذلك بنو عباد من لخم ، وكان أولهم أبو القاسم محمد بن ذى الوزارتين أبى الوليد بن إسماعيل ، ثم مات فقام بالأمر بعده ابنه عبّاد وتلقّب بالمعتضد ، وطالت أيامه وتغلب على أكثر الممالك بغرب الأندلس ، وبقى حتى مات سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وولى بعده ابنه أبو القاسم محمد ، وتلقب بالمعتَمِد ، وقوى أمره واستولى على دار الخلافة بقرطبة

(١) كذا و لعلها المعتضد عباد ، أو المعتمد بن عباد .

وانتزعها من يد ابن جَهْوَر ، وفرق أَبناءهُ على قواعد المُلك ، وبقى إلى ما بعد خلافة القائم .

وأما قرطبة فاستولى عليها جَهْوَر بن محمد بن جهور الكلبي سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة ، فى أيام فتنة بنى أُمية بها إلى أن يوجد خليفة ، فبقى إلى أن مات فى المحرم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة . وولى مكانه ابنه أبو الوليد محمد بن جَهْور ، وفوّض تدبير الأمر إلى ابنه الوليد ، فأساء السيرة ، فخلعه أهل قرطبة سنة إحدى وستين وأربعمائة ، واعتقل إلى أن مات سنة اثنتين وستين وأربعمائة . وولّى ابنُ عباد صاحبُ إشْبيلية على قرطبة ابنَه سِراجَ الدولة ، فبقى إلى آخرْ خلافة القائم .

وأما بَطَلْيُوس ، فكان بها عند انقراض بنى أُمية من الأندلس أبو محمد عبد الله بن مَسلمة التُّجِيبي المعروف بابن الأفطس ، فاستبدَّ بها سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، ثم مات فولى بعده ابنه المظفر أبوبكر [محمد] ، وعظم ملكه ، ومات سنة ستين وأربعمائة ، وولى بعده ابنه المتوكل أبو حفص عمر بن محمد ، فبقى إلى ما بعد خلافة القائم .

وأما طُلَيطلة وهى قاعدة (١٩٦) الأَندلس قبل الإسلام فاستولى عليها إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون الهوّارى، أيام فتنة بنى أُمية سنة تسع وأربعمائة . وتلقّب بالظافر، وبقى حتى هلك سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، وولى مكانه ابنه أبو الحسن يحيى ، وتلقب بالمأمون ، وقوى ملكه وعظم شأْنه وغلب على بَلَنْسِيَة وقُرطُبة ، وبقى إلى آخر خلافة القائم .

وأما شاطبَة وما معها من شرق الأَندلس فاستولى عليها العامريّون من عقب المنصور بن [أَبى] عامر المتقدم ذكره ، وأول من وليها منهم المنصور عبد العزيز بن الناصر عبد الرحمن بن أَبى عامر سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، وبويع له بجَيَّان والمَرِيَّة بمعاضدة خَيْران العامرىّ ، ثم خرج خَيْران عن طاعة المنصور ، وقدّم أَبا عامر محمد بن المظفر ولقبه المؤتمن، ثم المعتصم ، ثم أخرجه منها ، ثم مات خيرانُ سنة تسع عشرة وأَربعمائة ، وقام بأَمره عميد الدولة أبو القاسم زُهير العامرى، ثم قتل فى سنة تسع وعشرين وأَربعمائة ، ورجع الأَمر إلى المنصور عبد العزيز المقدم ذكره ، وولّى على المَرِيَّة مَعْنَ بن صُمَادِح سنة ثلاث

وثلاثين وأَربعمائة ، وولَّى على بَلَنْسِية ابنَه عبد الملك ، ثم انتزعهـا منه المـأْمون بن ذى النون سنة سبـع وخمسين وأَربعمائة ، ومات المأْمون وَوَلى مكانه حافدُه [القادر] وَولِى على بلنسية أَبو بكر بن عبد العزيز ، من بقايا وزراء ابن أَبى عامر ، فبقى إلى ما بعد أَيام القائم .

وأَما سَرَقُسْطة والثغر ، فاستولى عليهما منذر بن يحيى التُّجيبى أَيام فتنة بنى أُمية ، وتلقّب بالمنصور ، ثم مات سنة أَربـع عشرة وأَربعمائة ، وولى مـكانه ابنـه يحيى وتلقب بالمظَفَّر ، ثم غلب عليه سُليمان بن محمد بن هُود وقتله فى سنة إحدى وثلاثين (٨٦ ب) وأَربعمائة ، وملك سَرَقُسْطة وتلقّب بالمستعين ، وقوى ملـكـه حـتى ملك بَلنْسية ودانِيَة وَلاردَة ، ومات سنة ثمان وثلاثين وأَربعمائة ، وولى بعده ابنه أَحمد وتلقب بالمُقتدر ، وبقى أَحمد إلى ما بعـد خلافة القائم .

وأَما دانِيَةُ وميُورْقَة فاستولى عليهما مجاهد بن على ، من موالى المنصور بن أَبى عامر سنة ثلاث عشرة وأَربعمائة ، ومات سنة ست وثلاثين وأَربعمائة ، وولى بعده ابنـه على وتلقَّب إقبالَ الدَّولة ، وبقى إلى ما بعد خلافة القائم (١) .

(١) انظر من استولى على غرناطة في صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٥١ ، ص ٢٥٧ .

الفهــارس

٢ ـ فهرس الآيات

رقم الآية	الآية	الصفحة
	سورة القصص	
٥	وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ	١٥٣
	سورة ص	
٢٦	يا دَاوُدُ إنا جعلناك خليفةً في الأرضِ	٦١،١٦
	سورة الجن	
٢٧،٢٦	عَالِمُ الغَيْبِ فلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً * إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ	٢٦٦
	سورة القدر	
١ ــ ٣	إنَّا أَنزلناه في ليلةِ القَدْرِ * وما أدراك ما ليلةُ القَدْرِ * ليلةُ القدْرِ خيرٌ من أَلْفِ شَهْرٍ *	١٦٧

٣ ـ فهرس الأحاديث النبوية

الحـــديث	الصفحة
ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين	١٠٨
إذا بُويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما	٤٦
ألا أبشرك يا عمّ بى ختمت النبوة وبولدك تختم الخلافة	١٧٠
إن قُتِل فجعفر بن أبى طالب ، فإن قُتِل	٥٥ـ٥٦
إن الله هو الحَكَم . فلمَ تُكنى أبا الحكم	١٩
إنّ الله يبعث لأمتى على رأس كل مائة من يُجدّدُ لها دينَها	١٤٣
أنت عتيق من النار	٨٢
الأئمة من قريش	٣٨
تقتلك الفئة الباغية	١٠٢
الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون مُلكا	١٠٨
الخلافة في أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك	١٣
سأل سلمة بن يزيد الجعفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا نبى الله أرأيتَ إن قامت علينا أمراء	٦٣
على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يُؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة	٦٣
كلّكم راع وكُلّكم مسئول عن رعيته	٦١
لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقى منهم اثنان	٣٨
لن يفلح قوم ولّوْا أمرهم امرأة	٣١

٤ ـ فهرس القوافى

أول البيت	قافيته	بحره	الصفحة
قوّضْ خيامَكَ	مُجْتَنَبُ	البسيط	٣٤٦
أحين دنا	كل جانبِ	الطويل	١٩٣
أترجو أمة	يوم الحسابِ	الوافر	١١٩
لله درك	والحسَبِ	البسيط	٢٧٧
لا يصلح	سادُوا	البسيط	٣٠
وزيرٍ رَضِيَ	والنشْرُ	الطويل	٢٩٤
وتجلّدى	لا أتضعضَعُ	الكامل	١١٢
وخرْق	علج علـوف	الوافر	١١٦
من قبلها	الورقُ	المنسرح	١٦٩
ولا تأمَنَنَّ	لى حقا	الطويل	٢٦٣
باتوا	القُلَلُ	البسيط	٢٣٢
أبوك	الكمالُ	الوافر	١١
نزلتُ	زمن المحْلِ	الطويل	١٤٨
يصفرُّ	خجلاَ	المنسرح	٢٨٦
من كان	نُوَّامُ	البسيط	٦٢
ولو كنتُ	بِسلامِ	الطويل	١٠٥
وليتَ	مجرْمِ	الطويل	١٤٤
ماذا تقولون	آخرِ الأممِ	البسيط	١١٨
غار الفتى	عَمّه	الرجز	٢٣١
أمسيتُ	والهونِ	البسيط	٣١٥
الرأيُ	الثانى	الكامل	٣٧
فإن أقتلْ	المؤمنينا	الوافر	١٦٤
أليس	عليْهِ	الوافر	٢٥٤

نصف بيت

وأين الثريّا من يد المتناول ٢٦

مثلانِ : (١) أجِـعْ كلبك يتبعك ص١٢٧ (٢) فاقل التمر إلى هجر ص ٤ ـ ٥

٥ ــ فهرس الكتب التى ذكرها المؤلف

٦ ـ فهرس الأعلام

٧ ـ فهرس الاماكن والطوائف

٨ ـ أيام ووقائع

٩ ـ طرائف ونوادر

مآثر الإنافة

في

معالم الخلافة

للقلقشندي

٧٥٦ - ٨٢٠ هـ

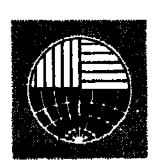
الجزء الثاني

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

عالم الكتب





بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

السابع والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المقتدى بأمر الله

وهو أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين محمد بن القائم بأمر الله .

وأمه أم ولد اسمها أرجوان ، عمرت عمرا طويلا حتى أدركت خلافته وخلافة ابنه المستظهر وخلافة ابن ابنه المسترشد. كان قوى النفس عظيم الهمة ، بويع له بالخلافة بحضور مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير ابن جَهِير [1] والشيخ أبى إسحاق الشيرازى وابن الصباغ ونقيب النقباء ابن الزّينبى ، والقاضى أبى عبدالله الدامغانى وغيرهم من الأعيان ، فى ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، وبقى حتى توفى فجأة يوم السبت خامس عشر المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة . وعمره ثمان وثلاثون سنة وثمانية أشهر وأيام ، ويقال إن شمس النهار القهرمانة سمّته . ومدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر .

---

(١) ضبطه ابن خلكان في ترجمته له بفتح الجيم أما في كتاب معجم الأنساب فيضبط بالتصغير انظر فيه ص ٢٣

الحوادث والماجريات فى خلافتــه

فى سنــة ثلاث وسبعين وأَربعمائة أَرسل المقتدى بـأَمر الله (١٩٧) الشيـخَ أَبا إسحاق الشيرازى رسولا إلى السلطان ملـكشاه بن أَلب أَرسلان بن داود بن ميـكائيل بن سلجوق السلجوقى وإلى وزيره نظام الملك يشـكو من عميد العـراق أَبى الفتـح بن أَبى الليث . فأَكرم السلطان ملـكشاه ونظام الملك الشيـخ أَبا إسحاق ، وجرى بينه وبين إمام الحرمين مناظرة بحضرة نظام الملك ، وعاد بالإجابة إلى ما التمسه الخليفة ، ورُفعت يدُ العميد عن جميـع ما يتعلق بالخليفة .
ثم سار السلطان ملـكشاه من أَصفهان إلى حلب ، فدخلها فى جمـادى الآخرة سنة تسع وتسعين وأَربع مائة ، ثم سار عن حلب ودخـل بغداد فى ذى الحجـة من هذه السنـة المذكورة ، وهو أَول قدومه إلى بغداد ، واجتمـع بالمقتدى الخليفة ، ثم خرج إلى الصيد ، ثم عاد إلى بغداد ، واجتمع بالمقتدى ، وأَقام بها إلى صفر سنة ثمانين وأَربع مائة ، ثم عاد إلى أَصفهان ، ثم عاد إلى بغداد فى رمضان سنة أَربع وثمانين وأَربع مائة ، ووصل إليه أَخوه تُتُش بن أَلب أَرسلان ، وعمل الميلاد ببغداد ، واحتفل له الناس احتفالا عظيما ،

وأكثر الشعراءُ من وصف تلك الليلة ، وأمر ببنـــاء الجامع المعروف بجـــامع السلطان ببغـــداد ، وابتدأ كبـــار أمرائه بعمل مساكن لهم ببغداد ينزلون فيهـــا ، فلما قدموا بغداد تفرّق شملهم بالموت والقتل عن قريب . ثم قتل السلطانُ ملــكشاه وزيره نظامَ الملك وهو عائد إلى بغداد فى سنـــة خمس وثمانين وأربـــع مائة ، ودخل السلطان ملــكشاه بغداد فى الرابع والعشرين من رمضان سنة خمس وثمانين وأربع مائة ، ثم خرج من بغداد للصيد وعاد فى ثالث شـــوال مريضا ، فتوفى ليلة الجمعة نصف شوال المذكورة ، وكان من أجمل الناس صورة ومعنى ، (٩٧ ب) وخطب له من حدود الصين إلى آخر الشام ، ومن أقاصى بلاد الإسلام إلى آخر بلاد اليمن ، وحملت له ملوك الروم الجزية ، وكانت أيامه أيام عدل وإدرار أرزاق ، وكان مُغرى بالصيد ، وكان يتصدق بعدد كل وحش يصيده بدينار ، حتى أنه صاد مرة عشرة آلاف صيد فتصدق بعشرة آلاف دينـــار . ولمـــا مات أخفت زوجتُـــه تركانُ موتَه ، وفرقت المـــال فى العساكر ، وسارت إلى أصفهان فاستحْلَفَتهم لولدها محمودِ ابن ملــكشاه ، وهو ابن أربـــع سنين وأشهر ، وخطبت له

فى بغداد وغيرها ، ثم تحرك تُتُش بن ألب أرسلان من دمشق بعد موت أخيه ملكشاه ، لطلب السلطنة ، ومعه آق سنقر صاحب حلب ، واستولى على الموصل ، وأرسل إلى بغداد يطلب أن يُخطب له ، فتوقفوا فى إجابته لذلك ؛ وأقبل بَركيارق [1] بن ملكشاه ، بن ألب أرسلان للقائه ، فعاد تتش إلى الشام ، وقدم بركيارق بغداد وخُطب له بها فى رابع المحرم سنة سبع وثمانين وأربع مائة ، وبقى الأمر ببغداد وغيرها بيد بَركيارق إلى ما بعد خلافة المقتدى . وفى أيامه فى سنة أربع وثمانين وأربع مائة استولت الفرنج على جزيرة صقلّية ، وانتزعتْها من يد نواب المستنصر العلوى . أولاده منهم المستظهر بالله الآتى ذكره .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر فى أيامه المستنصر بالله الفاطمى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى ، وكان القائم بتدبير دولته وزيره بدر الجمالى .

وكانت دمشق قد خرج عنها أنوشتكين الدِّزبرى

(١) فى الأصل يكتب : تركيارق . والتصويب من صبح الأعشى حـ ٤ ص ٤٤٧ .

فتغلب عليها أَتسز بن أَرتق الخُوارزمى أَحد أُمراء السلطان (١٩٨ ا) ملكشاه السلجوقى فى سنة ثمان وستين وأَربع مائة ، وقطع الخطبة بهـا للمستنصر الفاطمى ، وخطب للمقتدى العباسى ، ومنع الأَذان : بحىَّ على خير العمل ، ولم يخطب بعدها بالشـام لأَحد من الفاطميين ، وبقى بها إلى ما بعد خلافة المقتدى .

وكان على حلب محمود بن شبل الدولة ، فبقى بها حتى توفى فى ذى الحجة سنـة ثمان وستين وأَربع مائة ، وملـكها بعده ابنه نصر بن محمود ، فبقى حتى قتله التُّرْكُمان ، وملـكها بعده أَخوه سابق بن محمود ، ثم انتزعها منه شرف الدولة مُسلم بن قريش صاحب الموصل ، فى صفر سنـة سبـع وسبعين وأَربـع مائة ، وملـكها بعـده أَخوه إبراهيم بن قريش ، ثم انتزعهـا منه تُتُش بن أَلب أَرسلان السلجوقى صاحب دمشق ، فى السنة المذكورة ، ثم انتزعها منه السلطـان ملـكشاه السلجوقى ، وسلمها إلى قسيم الدولة آقسنقر ، ثم استعادها تُتُش بن أَلب أَرسلان المقدم ذكره بعـد موت ملـكشاه ، واستضافهـا إلى دمشق ، وانبسط

ملــكه حتى ملك بعــد ذلك أذربيجان ، وبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى .

وكان على مكة محمد بن جعفر ، فانقطع ما كان يصل إلى أمير مــكة من العراق بعد موت القائم ، فقطع الخطبة للعباسيين ، ولما ولى المقتدى أرسل إليــه بمال فأعاد الخطبة للعباسيين ، وجهز منبرا إلى مــكة وكتب اسمه عليــه بالذهب ، فوقعت الفتنة بين الشيعة وأهل السنة . فكُسر المنبر وأُحرق ، واستمرت الخطبة للعباسيين بعد ذلك إلى أن مات السلطان ملــكشاه السلجوقى فى سنة ست [1] وثمانين وأربع مائة ، فانقطعت الخطبة من مكة للعباسيين ، وبطل الحج من العراق ، وبقى (٩٨ ب) محمد بن جعفر على إمارته بمــكة إلى ما بعد خلافة المقتدى . ولم أدر من كان على المدينة فى خلافته .

وكان على اليمن سعيد بن نجاح ، ثم غلب على المُلْك المَلِكُ المــكرّم أحمد بن على الصُّلَيْحى فى سنة خمس

(١) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٧٠ علق على هذا بكلمة : لعله خمس كما يؤخذ من تاريخ أبي الفداء .

وسبعين وأربع مائة [1] ثم عاد ابن نجاح وملك زبيد في سنة تسع وسبعين وأربع مائة ، ثم عاد الملك المكرم وملكها وقتل سعيدًا ، فى سنة إحدى وثمانين وأربع مائة ، وملك بعده ابنُ عمه أبو حِمْيَر سبأ ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى .

وكان ما وراء النهر بيد ملوك تركستان .

وكانت خراسان بيد ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، وفى سنة اثنتين وثمانين وأربع مائة سار إلى ما وراء النهر وملك بُخارا وسمرقند وانتزعها من يد أحمد خان أحد ملوك تركستان ، وانتهى ملكه إلى كاشغر [2] . ثم استقرت بيد أحمد خان المقدم ذكره ، وبقى حتى قُتل بالزندقة فى سنة ثمان وثمانين وأربع مائة ، واستقر ابن عمه مسعود مكانه ، وبقيت خراسان بيد [ملكشاه بن] ألب أرسلان حتى توفى سنة خمس وثمانين وأربع مائة ، وملكها بعده أخوه أرسلان أرغون بن ألب أرسلان ، فبقى بها حتى قتله بعض غلمانه فى المحرم من هذه السنة ، ولما قتل أرسلان

(١) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٨ : في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وقيل سنة ثمانين » ولعل فيه سقطاً كبيرا .

(٢) في الأصل كالشغر

أرغون ، سار بَركيارق بن ألب أرسلان إلى خراسان ، فملكها ، وأرسل إلى ما وراء النهر فخطب له هناك ، وسلم خراسان إلى أخيه سنجر بن ملكشاه ، وجعل وزيره أبا الفتح بن الحسين الطغراى .

وكانت غزنة وما معها بيد الملك المؤيد إبراهيم بن مسعود ، فتوفى فى سنة إحدى وثمانين وأربع [1] مائة ، وملك بعده ابنه مسعود بن إبراهيم ؛ فبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى .

وكان على إفريقية تميم بن المعز بن باديس ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى .

وكان على (١٩٩) الغرب الأقصى أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين أول ملوك المرابطين من لَمْتُونه من البربر ، واستولى على الغرب الأوسط وانتزعه من يد بنى باديس ، واستضافه إلى الغرب الأقصى ، وبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى .

وأما الأندلس فكانت بيد ملوك الطوائف ، على ما تقدم.

---

(١) فى الأصل إحدى وأربعين وأربع مائة والتصويب من صبح الأعشى حـ ٤ ص ٤٤٨

فكانت إشبيلية بيد المعتمد بن عباد ، فبقى حتى غلب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على الأندلس ، فقبض عليه سنة أربع وثمانين وأربع مائة ، واعتقله إلى أن مات سنة ثمان وثمانين وأربع مائة . وبقيت بيده حتى مات .

وكانت قرطبة بيد سراج الدولة بن عباد ، فبقى بها حتى قُتل فى سنة سبع وستين وأربع مائة [قتله ابن عكاشة] [1] ودعا بها على المنابر ليحي بن إسماعيل بن ذى النون ، وقتل بها مسموما [2] ثم تملكها المعتمد بن عباد فى سنة أربع وثمانين وأربع مائة .

وكانت بطليوس بيد المتوكل بن الأفطس ، فبقى حتى قتله أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، سنة تسع وثمانين وأربع مائة ، فبقيت بيده حتى مات .

وكانت طليطلة بيد المأمون بن الظافر [إسماعيل بن عبد الرحمن] ذى النون حتى مات مسموما سنة سبع

---

(١) الزيادة من صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٥٠ .

(٢) في هامش صبح الأعشى يؤخذ من العبر حـ ٤ ص ١٥٩ أن الذى قتل مسموما هو سراج الدولة

وستين وأربع مائة ، وولى بعده طليطلة حافده القادر يحي ابن إسماعيل بن المأمون ، فغلبه عليها الطاغية أدفونش ، مَلَكَ طليطلةَ واقتلعها منه فى سنة ثمان وسبعين وأربع مائة ، وهى بيد الفرنج إلى الآن .

وكانت سرقسطة بيد المقتدر أحمد ، فبقى حتى مات سنة أربع وسبعين وأربع مائة ، وولى بعده ابنه المؤتمن يوسف ، وكان له اليد الطولى فى العلوم الرياضية ، وله فيها التآليف الجليلة ، ومات سنة ثمان وسبعين وأربع مائة ، وولى بعده ابنه المستعين أحمد ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى .

وأما دانِيَةُ وَمَيُورقه فكانتا بيد إقبال الدولة علىٍّ ، من عقب [1] المنصور (٩٩ ب) ابن أبى عامر ، فدام ملكه بها ثلاثا وثلاثين سنة ، ثم غلبه المقتدر بن هود على دانية ، ونقله إلى سَرَقُسْطة ، فمات بها سنة أربع وسبعين وأربع مائة [2] واستخلف على ميورقه صهره سليمان بن مشكيان ،

---

(١) الذى في صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٥٦ أن أباه مجاهدا مولى المنصور وقدم ذلك أيضا في اللوحة (٩٦ ب) .

(٢) الذى في صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٥٦ وبه يستقيم الكلام . : وبقى الأغلب مولى مجاهد على ميورقة وكان كثير الغزو في البحر فاستأذن على بن مجاهد في الغزو واستخلف . . .

فمات بها بعد خمس سنين ، فولّى مكانه ناصر الدولة مُبَشِّرًا ، فأقام خمس سنين أيضاً ، وتغلب عليه المقتدر بن هود . فاستقل مبشر بميورقة ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة المقتدى .

الثامن والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المستظهر بالله

وهو أبو العباس أحمد بن المقتدى بالله المقدم ذكره ، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه فى منتصف المحرم سنة سبع وثمانين وأربع مائة . وعمره يومئذ ست عشرة سنة وشهران ، وقام ببيعته السلطان بَرْكيارق بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق . وبقى حتى توفى فى السادس عشر من ربيع الآخر سنة ثنتى عشرة وخمس مائة ، وعمره إحدى وأربعون [1] سنة وستة أشهر وأيام . ومدة خلافته أربع وعشرون سنة وثلاثة أشهر وأحد وعشرون يوما ، وكان له من الأولاد المسترشد والمقتفى ، كلاهما ولى الخلافة ، وأبو طالب .

---

(١) فى الأصل : وأربعين .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة قام بتدبير دولته السلطان بَركيارق بن ملكشاه بن أَلب أَرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ثم غلب تُتُش بن ألب أَرسلان على حلب وحرَّان والرها والبلاد الجزرية وديار بكر وخِلاط وأَذربيجان وهَمَذان ، وكمل عسكره خمسين أَلف مقاتل ، وبعث يطلب أَن يخطب له ببغداد عن المستظهر (١٠٠ ا) الخليفة ، فأُجيب إلى ذلك ، وخطب له ، بها وسار بركيارق[١] إلى أَصفهان ، وبها أَخوه محمود ، فمرض محمود فمات فى سلخ شوال سنة سبع وثمانين وأَربع مائة ، واستقر بَركيارق فى السلطنة مكانه ، ثم سار بَركيارق إلى عمه تتش فالتقيا على القرب من الرىّ ، وانهزم عسكر تتش وقتل فى المعركة فى صفر من هذه السنة ، واستقامت السلطنة لبركيارق ، ثم سار بركيارق فى سنة ثلاث وتسعين وأَربع مائة ودخل بغداد ، وأُعيدت له الخطبة فى صفر من هذه السنة . ثم خرج بَركيارق من بغداد ، وسار لحرب أَخيه محمد ، وقصد الرَّىّ فنزلها ، ثم سار

---

(١) يكتب دائما : تركيارق وقد سبق التنبيه إلى تصحيحه وانظر معجم الأنساب ص ٧٣ .

بركيارق من الرى إلى بغداد ، وضاقت عليه الأُمور ، فطلب من الخليفة مالاً يستعين به ، فحمل إليــه الخليفةُ خمسين ألف دينـــار ولم يــكفه ذلك حتى مد يده إلى مال الرعية ، وسار محمد بن ملكشاه بن ألب أَرسلان ومعه أَخوه سنجرُ فى طلب بَركيارق ، حتى وصل إلى بغداد وبَركيارق مريض قد اشتد به المرض وأُيس منه ، فتحول إلى الجانب الغربى محمولا ، ثم وجد خِفــَّة ، فسار عن بغداد إلى واسط ، ودخل محمد وسنجر إلى بغداد ، فشــكى إليهما المستظهر سوء سيــرة بَركيارق ، وخطب لمحمد ببغداد فى سنة اثنتين وتسعين وأَربع مائة . وكان بين محمد وبَركيارق حروب آخرها أَن حصل الصلح على بلاد لــكل واحد منهما يُخْطب له فيهــا ، ولمــا وصـــل خبر الصلح إلى المستظهــر خطب ببغداد لبَركيارق ، وأُقيم إيلغازى بن أَرتق شِحْنَةً (١) له ببغداد . ثم توفى بَركيــارق فى ثانى شهر ربيــع الأَول سنة ثمــان وتسعين وأَربــع مائة على القرب من أَصفهان ، فحُمل إليها فدفن فيها بعد أَن حلف العســكر لولده ملــكشاه بن بَركيارق عــلى أَن يــكون سلطانا (٢) مكــانه ، وعمره

(١) الشحنة من أقامهم الملك لضبط البلد أو الربيطة من الخيل .

(٢) في الأصل : سلطان .

(١٠٠ ب) يومئذ أَربع سنين وأَربعة أَشهــر ، وجعل الأَمير أياز أَتابكَه ، فكانت سلطنة بركيارق اثنتى عشرة سنة وأَربعة أَشهر ، قاسَى فيها عدَّةَ حروب .

ومن غريب شأْنه أَنه كان كلما خُطب له ببغداد وقع فيها الغلاء ولما مات بركيارق سار أياز ومعه ملكشاه بن بركيارق ودخلوا بغداد فى سابع عشر ربيع الآخر ، وخطب لملكشاه بن بركيارق بجوامع بغداد بعد موت بركيارق ، ثم سار أَخوه السلطان محمد بن ملكشاه بن أَلب أَرسلان إلى بغداد ، ونزل بالجانب الغربى ، وبقى أياز وملكشاه بالجانب الشرقى ، وجرى بينهما مراجعات ، كان آخرها أَن حلف السلطان محمد لابن أَخيه ملكشاه وأَتابكه أياز ، وحضر آياز والأُمراء عند محمد ، وأَحضروا ملكشاه عند عمه محمد ، فأَكرمه ، واستقرت السلطنة لمحمد ، وذلك لسبع بقين من جمادى الأُولى سنة ثمان وتسعين وأَربع مائة ، ثم أَعمل السلطان محمد الحيلة فى قتل أياز ، فقتل فى الدهاليزِ غِيلَة ، ثم خرج السلطان من بغداد بعد ذلك لأُموره ، ثم عاد إليها فمات بها فى ذى الحجة سنة تسع وخمس مائة ، بعد أَن لقى من الحروب والمشاق

ما لا مزيد عليه ، مع سيرته العادلة وإبطاله المُكوس فى جميع بلاده ، وعهد بالملك بعده إلى ولده محمود بن محمد بن ملكشاه بن أَلب أَرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق ، وعمره يومئذ أَربع عشرة سنة ، وجلس محمود على تخت السلطنة يوم وفاة أَبيه بالتاج والسِّوَارَيْن ، وخُطب له بالسلطنة فى الثامن والعشرين من ذى الحجة .

ومن غريب الاتفاق أنه لما توفى السلطان أَلب أَرسلان توفى بعده القائم بأَمر الله ، ولما توفى ملكشاه توفى بعده المقتدى ، ولما توفى محمد توفى بعده المستظهر .

وفى أَيام المستظهر استولت الفرنج على أَنطاكية ووضعوا السيف فى المسلمين (١١٠١) ونهبوا أَموالهم ، ثم ساروا إلى المَعَرَّة فاستولوا عليها ، ووضعوا السيف فى المسلمين ، ونهبوا أَموالهم ، وساروا إلى حِمص فصالحهم أَهلها . وفى سنة اثنتين وتسعين وأَربع مائة استولى الفرنج على بيت المقدس ، وملكوه من أَيدى الخلفاء الفاطميين ، وأَقاموا يقتلون فى المسلمين مدة أَيام ، وقُتل من المسلمين فى المسجد الأَقصى ما يزيد على تسعين أَلف نفس ، منهم جماعة

من أَئمة المسلمين وعلمائهم وعُبَّادهم ممن جاور هناك ،ثم[1] فى سنة سبع وتسعين استولوا على جُبيل وعكا ، ثم استولوا فى سنة اثنتين وخمسمائة[2] على مدينة طرابُلُس من يد صاحبها ابن عمار ، كما تقدم ، بعد نهب وسبى . ثم فى سنة أربع وخمس مائة ملكوا مدينة صيدا ، وقصدوا حلب ، وصالحهم صاحبها الملك رضوان على اثنين وثلاثين أَلف دينار يحملها إليهم مع خيول وثياب ، ووقع الخوف فى قلب أَهل الشام ، فصالحهم أَهل صُور على سبعة آلاف دينار ، وصالحهم صاحبُ شَيْزَر على أَربعة آلاف دينار ، وصالحهم صاحبُ حماه على أَلفى دينار ، وقصد بردويل أَحدُ ملوك الفرنجة الديارَ المصرية ، فانتهى إلى الفَرَما ودخلها وحرقها ، وحرق جامعها ومساجدها ، ودخلها وهو مريض ، فهلك فى الطريق قبل وصوله إلى العريش ، فشق أَصحابه بطنه ورموا حشوته فى السبخة المعروفة الآن بسبخة بردويل من طريق الشام ، فهى تُرْجَم إلى الآن .

---

(١) فى الأصل جملة ضرب عليها بالقلم هى : فى سنة خمس وسبعين وأربع مائة .

(٢) فى الأصل : وخمسين . وهو لا شك سهو .

ولايات الأَمصار فى خلافتـــه

كان عــلى مصر قبله المستنصر الفــاطمى ، فتوفى فى ذى الحجة سنـــة سبـــع وثمانين وأَربع مائة ، وفى أَيام [(1)] المستنصر هذا كان الغلاء العظيم بمصر ، دام سبـــع سنين ، قال صاحب « سير النيل » ، مكث النيل (١٠١ ب) سنتين لم يطلع ، ثم طلع فى السنة الثالثـــة ، فلم يجد من يزرع ، لخراب مصر ، ثم طلع فى السنـــة الرابعة ، فأَقام الرابعة والخامسة لم ينزل ، ثم نزل فى السادسة فلم يطلع ، ولم يَبْقَ فى مصر إلاَّ صُبابةٌ [(2)] من الناس ، ولم يبق دابة تمشى على أَربع سوى حمار يركبه الخليفة المستنصر ، فبينما المستنصر ذات يوم عند باب زُويلة إذ استقبلتـــه [(3)] امرأَة عليهـــا آثار النعمة ، فسبّته ولعنتـــه ، فقال لهـــا : مالك يا أُختاه ؟ وهو يبكى لمَا أَصاب الناس فى زمانه ، قالت : كان معى خمسون دينارا ، اشتريت بهـــا نصف أَردب قمحا ، فاختطفها الناس منى ، وبقى معى هـــذه الحفنـــة ، فقال : وما حيلتى ؛ قالت : خُذْ هذه الصُّبابةَ

---

(١) في الأصل « وفي أيامه » ثم أضيفت كلمة « المستنصر هذا » فبقى الضمير .

(٢) الصبابة استعملت هنا في البقية القليلة ، تقال الصبابة لبقية الماء ونحوه في الإناء .

(٣) في الأصل إذا استقبلته .

التى بقيت من الناس واستسْقِ بهم ، ففعل ، ثم طلب شمسَ الخلافة بن أَبى الردَّاد أَمينَ النيل يومئذ فقال له : زاد اللهُ فى النيل ست عشرة ذراعا ، فامتنع وقال : يا أمير المؤمنين ، كيف والنيلُ يُخاض من البرّ إلى البرّ الآخر ؟ فقال له : إن لم تفعل وإلا قتلتلك [1] . فخرج ينادى : زاد أَميرُ المؤمنين المستنصرُ اليومَ فى النيل ستَّ عشرة ذراعا ، فبلغ المستنصر ذلك ، فطلبه وأَنكر عليه ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، الكذب على مخلوق لا يجوز ، أَفيجوز الكذب على الله ؟ فبكى المستنصر وتركه ، ونزل ابن أَبى الرداد فبات ليلته تلك بالمقياس ، يتهجَّد ويصلى إلى الصباح ، فدخل المقياس فوجده قد زاد ست عشرة ذراعا ، فخرج ينادى : زاد الله اليوم فى النيل ست عشرة ذراعا .

والمستنصر هو الذى بنى سور القاهرة اللَّبِنَ ، فى سنة ثمانين وأَربع مائة .

ولما مات المستنصر ولى بعده ابنُه المستعلى بالله أَبو القاسم أَحمد يوم وفاة أَبيه ، وبقى حتى مات لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة خمس وتسعين وأَربع مائة.

(١) الأصوب أن يقال : إن لم تفعل قتلتك . أو : افعل وإلا قتلتك .

وولى بعـــده الآمر بأَحـــكام الله أَبو عيسى [1] المنصور ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستظهر . وكان على دمشق قبله أَتسز بن أرتق أَحد أُمراء السلاجقة . ثم غلب عليها تتش ابن أَلب ارسلان (١٠٢ ا) السلجوقى وملكها فى سنة إحدى وتسعين وأَربـــع مائة ، ثم توفى ، فملكها بعـــده ابنه دقاق ابن تُتُش ، وأَشرك معـــه فى الخطبـــة أَخـــاه رضوان [2] صاحب حلب مُقَدِّماً لرضوان فى الذكر على نفسه ، ثم توفى دقاق سنـــة تســـع وتسعين وأَربع مائة ، فخطب طغتكين أَتابكُ دولتـــه لابن دقاق وهو طفل ابن سنـــة واحدة ، ثم قطع الخطبة له وخطب لعمه بلتاش بن تتُش ، ثم قطع الخطبة لبلتاش وأَعادها للطفل ، وهو آخر من خُطب له بدمشق من بنى سلجوق ، ثم استقر طغتـــكين المقدم ذكره فى ملك دمشق بنفسه ، وبقى بها إلى ما بعـــد خلافـــة المستظهر ، واستضاف إليها حماه فى سنـــة تسع وخمس مائـــة .

وكان على حلب تتش بن أَلب أَرسلان ، فبقى بهـــا

---

(١) كذا بالأصل والذى في صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٣١ أبو علىّ . وكذلك في معجم الأنساب ص ١٤٥ والنجوم الزاهرة : حـ ٥ ص ١٧٠ وانظر صفحة ٢٥٠ من كتابنا هذا .

(٢) في الأصل : رضوانا .

حتى قُتل فى صفر سنة ثمان وثمانين وأربع مائة ، وملكها بعده ابنه رضوان بن تتش ، وبقى حتى توفى سنة سبع وخمس مائة ، وملكها بعده ابنه ألب أرسلان بن رضوان المعروف بالأخرس ، ثم قتله غلمانه فى سنة ثمان وخمس مائة ، وملكها بعده ابنه سلطان شاه بن رضوان ، ثم انتزعها منه إيلغازى [1] بن أُرْتُق وسلمها لولده تمرتاش [2] بن إيلغازى ، ثم غلب عليها سليمان بن إيلغازي بن أُرتق ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة المستظهر .

وكانت طرابلس بيد أبى على بن عمار ، فبقيت بيده [3] حتى ملكها منه الفرنج واستولوا عليها فى حادى عشر ذى الحجة سنة ثلاث وخمس مائة ، وقتلوا ونهبوا وسبوا ، فبقيت بأيديهم مائة وأربعمائة وثمانين سنة ، على ما سيأتى ذكره إن شاءَ الله تعالى .

وكانت حماة بيد طُغْتكين أتابك دولة رضوان بن

---

(١) في الأصل : ايلغارى . وكذلك في صفحة ١٣ والتصويب من صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٧٠ .

(٢) في الأصل : تمرباش والتصويب من صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٧٠ .

(٣) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٧٤ ثم انتزعها منه المستنصر الفاطمى خليفة مصر مع غيرها من السواحل الشامية فبقيت بيده حتى غلب عليها القومصى فملكها في سنة ثلاث وخمسمائة .

تتش السلجوقى ، ملكها فى سنة تسع وخمس مائة ، ثم انتزعها منه السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى فى السنة المذكورة وسلمها للأمير فيرخان [1] بن قراجا ، ثم ملكها تورى بن طغتكين وقرر بها ابنه سونج ، فبقيت بيده إلى ما بعد خلافة المستظهر .

وكان على مكة محمد بن جعفر من الهواشم ، فمات فى سنة (١٠٢ ب) سبع وثمانين وأربع مائة ، لثلاث وثلاثين سنة من إمارته ، وولى بعده ابنه قاسم ، فاضطربت الأمور عليه وبقى إلى ما بعد خلافة المستظهر . ولم أدر من كان على المدينة فى خلافته .

وكان على اليمن أبو حمير سبأ ، فبقى حتى توفى سنة خمس وتسعين وأربع مائة . وهو آخر ملوك الصُّلَيْحيين ، وبقيت اليمن شاغرة عن ملك إلى ما بعد خلافة المستظهر . هذا ما أورده صاحب حماة فى «تاريخه» وقيل : كان الملك المقدم فى سنة إحدى وثمانين وأربع مائة جيَّاش بن نجاح ، ومات سنة ثمان وتسعين وأربع مائة ، ثم ملك بعده

---

(١) فى الأصل فرحان ، والتصويب من صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٧٢

منصور بن فاتك [1] بن جياش بن نجاح ، ثم ملك بعده ابنه فاتك بن منصور بن فاتك .

وكان ما وراء النهر بيد أرسلان خان بن محمد بن سليمان ابن داود بن نجراخان من بنى سيق خان الذى كان قد رأى فى منامه أنه أسلم ، فأسلم يقظة ، فقبض عليه السلطان سنجر السلجوقى فى سنة أربع وعشرين وخمس مائة وحبسه فمات فى الحبس . وولى مكانه بسمرقند أبا المعالى طمغاج الحسن بن على من أعيان بيت الخانية ، ولم تطل مدته ، فولى بعده محمود بن أرسلان خان فى سنة ثنتين وعشرين وخمس مائة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستظهر .

وكان على خراسان السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستظهر .

وكان على غزنة مسعود بن إبراهيم بن مسعود من بنى سبكتكين ، فبقى حتى توفى سنة ثمان وخمس مائة ، وملك بعده أرسلان شاه بن مسعود ، ثم ملكها منه بهرام شاه

(1) في صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨ إضافة نقلا عن خطط المقريزى هى [ثم ملك بعده ابنه فاتك] ثم ملك بعده منصور بن فاتك . . . .

أخوه بمعاضدة السلطان سنجر السلجوقي صاحب خراسان وما معها ، وخطب بها لملوك بني سلجوق ثم لبهرام شاه ، ثم أمسك [1] أخاه أرسلان شاه وخنقه واستقل بالسلطنة سنة اثنتي عشرة وخمس مائة ، وبقي بهرام شاه إلى ما بعد خلافة المستظهر .

وكان على إفريقية تميم بن المعز بن باديس ، فمات (١٠٣ ا) سنة إحدى وخمس مائة ، وملك بعده ابنه يحيي بن تميم ، فراجع طاعة الخلفاء الفاطميين بمصر ، ووصلته المخاطبات والهدايا والتحف منهم ، وأكثر غزوَ الفرنج حتى أُعطِي الجزية من وراء البحر [2] وبقي حتى مات فجأةً بقصره سنة تسع وخمس مائة ، وملك بعده ابنه علي بن يحيي ، فدام على ما كان عليه أبوه من طاعة الخلفاء الفاطميين بمصر ، وبقي إلى ما بعد خلافة المستظهر.

وكان الغرب الأقصى وتلمسان والغرب الأوسط بأسره بيد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

---

(١) في الأصل : ثم أمسكه .

(٢) في صبح الأعشى ﺣ ٥ ص ١٢٥ حتى لقبوه بالجرية من وراء البحر . ولعلها : لقوه بالجزية

وكان الأَندلس قد غلب أَميرُ المسلمين يوسف بن تاشفين منه على إشبيلية وغيرها ، ثم استتبع الباقى منه بأَيدى ملوك الطوائف ، حتى لم يبق منه إلا سَرَقُسطة بيد المستعين ابن هود ، واستولى على العُدْوَتين ، فملك الأَندلس والغرب الأَقصى والغرب الأَوسط ، وخاطب الخليفة ببغداد ، فقلده جميع ذلك ، وبقى حتى توفى سنة خمس مائة . وملك بعده ابنه علىٌّ وتلقب بأَمير المسلمين أَيضا ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستظهر .

التاسع والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المسترشد بالله

وهو أَبو منصور الفضل بن المستظهر بالله المقدم ذكره .

وأُمه أُم ولد . كان فصيحاً شهما حسن الخط . بويع له بالخلافة يوم موت أَبيه فى ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمس مائة . وقام بعقد البيعة له القاضى أَبو الحسن الدامغانى ، والسلطانُ يومئذ محمود بن محمد بن ملكشاه ابن أَلب أَرسلان بن داود بن ميكائيل السلجوقى ، وبقى

حتى تُوفى قتيلا فى السابع والعشرين من ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمس مائة . وعمره ثلاث وأربعون سنة وثلاثة أشهر . ومدة خلافته سبع عشرة سنة وستة عشر يوما . وكان له أولاد منهم الراشد(١٠٣ ب) الآتى ذكره .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة سار السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى لحرب ابن أخيه السلطان محمود بن محمد ، والتقيا بالرَّىِّ فانهزم محمود ، ونزل السلطان سنجر فى خيامه ، ثم وقع الصلح بينهما على أن يُخطب للسلطان سنجر أولا ثم بعده للسلطان محمود [١] واستولى سنجر على الرى واستضافها إلى ما بيده ، وقدم محمود إلى عمه سنجر بالرى فأكرمه وأحسن نُزُله ، وفى سنة أربع عشرة وخمسمائة كان لمسعود بن السلطان محمد الموصل وأذربيجان ، فخطب مسعود لنفسه بالسلطنة وجمع عسكره وسار إلى أخيه محمود ، والتقيا فانهزم مسعود واختفى ، ثم طلب من أخيه محمود الأمان فآمنه. فقدم عليه فأحسن تلقّيه ، وكان

(١) في الأصل : محمد .

السلطان محمود قد عاد إلى بغداد فخرج عنها فى هذه السنة ، ثم توفى السلطان محمود فى سنة خمس وعشرين وخمسمائة بِهَمَذَان وأُقيم ولده داودُ فى السلطنة مكانه ، ثم فى سنة ست وعشرين وخمسمائة كان بين الخليفة المسترشد وبين عماد الدين زنكى بن آق سنقر محاربة ، وعدَّى فيها الخليفة من الجانب الشرقى من بغداد إلى الجانب الغربى منها ، ثم التقيا بحصن البرامكة ، فحمل زنكى على ميمنة الخليفة فهزمها ، ثم حمل الخليفة بنفسه مع بقية العسكر فانهزم زنكى ، وفى سنة تسع وعشرين وخمسمائة جرى بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود ابن محمد بن ملكشاه حرب ، كان منشؤها أَن سار جماعة من أَصحاب السلطان مسعود إلى الخليفة وهوّنوا عليه أَمر السلطان مسعود [1] فخرج الخليفة من بغداد وسار لقتال مسعود وسار مسعود لملاقاته ، واتَّقَعُوا فى عاشر رمضان من السنة ، فصار غالب عسكر الخليفة إلى مسعود ، وانهزم الباقون ، وأُخذ المسترشد أَسيرا ونُهب عسكره ، ثم سار مسعود من هَمَذان إلى مَراغة ، والمسترشدُ معه مأْسور فى

(1) في الأصل : محمد والتصويب من ابن الأثير ج ١١ ص ١٠ .

خيمة منفردة ، بعد أن وقع الاتفاق بينهما على مال يحمله إليه الخليفةُ ، وأن لا يعود يخرج من (١٠٤ ا) بغداد ، فوثبت الباطنية على المسترشد فقتلوه ، وجدعوا أنفه وقطعوا أُذنيه ، وأخذ السلطان مسعود البُرْدة والقضيبَ فتركهما عنده .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر فى أيامه الآمر بأحكام الله الفاطمى ، فبقى حتى قتل بجزيرة مصر فى الثالث من ذى القعدة سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، وولى بعده ابن عمه [1] الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير أبى القاسم [2] محمد ، فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكان على دمشق طغتكين أتابك ، فبقى حتى توفى فى سنة اثنتين وعشرين وخمسائة ، وملك بعده ابنه تاج الملوك بورى ، بعهد من أبيه ، وتوفى فى سنة ست وعشرين

(١) في الأصل : « ابنه الحافظ » . وضرب على كلمة « ابنه » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٣١ وفي وسط السطرين في الأصل تصويب نصه : الحافظ لدين الله ابن عم الآمر بأحكام الله .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٣١ « عبد الحميد بن الآمر أبي القاسم » وهو خطأ . هذا وانظر ابن خلكان ترجمة عبد المجيد بن محمد بن المستنصر وابن الأثير حـ ١٠ ص ٢٥٣

وخمسمائة ، وملك بعده ابنه شمس الملوك إسماعيل بعهد من أَبيه ، ثم ملك من بعده أَخوه شهاب الدين محمود بن بورى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكان على حلب سليمان بن [إيلغازى بن] أُرتق ، وعصى على أَبيه ، فانتزعها منه أَبوه وسلمها لابن أَخيه سليمان بن عبد الجبار بن أُرتق ، فى رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة ، ثم انتزعها منه عمه سليك بن بهرام بن أُرتق ، وقتل فى سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وملكها بعده عمه تمرتاش ابن إيلغازى فى ربيع الأَول فى السنة المذكورة ، ثم حاصرها الفرنج وهى فى يده ، فخلصها منهم آق سنقر البرسقى صاحب الموصل ، وملكها مع ماردين فى السنة المذكورة ، وقتله الباطنية فى سنة عشرين وخمسمائة ، وملكها بعده ابنه عز الدين مسعود بن آق سنقر ، واستخلف عليها رجلا من أُمرائه اسمه قايماز ، ثم استخلف عليها رجلا اسمه قيغلغ (1) ، ثم انتزعها منه سليمان بن عبد الجبار بن أُرتق المقدم ذكره ، ثم انتزعها منه

(1) فى ابن الأثير حـ ١٠ ص ٢٤٧ : واستناب أميرا اسمه قومان ثم إنه ولى عليها أميرا اسمه قتلغ ابه .

عماد الدين زنكى صاحب الموصل فى المحرم سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وملك معها حماة وحمص وبعلبك ، (١٠٤ ب) فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكانت طرابلس بيد الفرنج .

وكانت حماة بيد سونج [بن توري] بن طغتكين ، فبقى بها حتى انتزعها منه عماد الدين زنكى ، على ما تقدم ، ثم انتزعها منه بعد ذلك تاج الملوك إسماعيل بن بورى ابن طغتكين ، فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، فبقيت فى يده إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكان على مكة قاسم بن محمد بن جعفر ، فبقى [1] حتى توفى سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، وولى بعده ابنه فُلَيْتَة [2] فافتتح إمارته بالخطبة للعباسيين وحَسُنَ الثناءُ عليه . وبقى حتى مات سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، وولى بعده ابنه قاسم ، فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد .

---

(١) في كتاب المنتقى ص ٢١٢ أن قاسم بن محمد بقى مدة يسيرة ثم وليها بعده أصبهيد بن سارتكين لأنه في هذه السنة استولى على مكة عنوة وهرب منها قاسم المذكور وأقام بها أصبهيد إلى شوال سبع وثمانين « وأربعمائة » ثم ان قاسما استعادها .

(٢) في الأصل : أبو فليته والتصويب من كتاب المنتقى ص ٢١٢ ويكتب في الأصل قليته « بالقاف » .

ولم يتحرر لى من كان على المدينة فى زمانه .

وكان على اليمن فاتك بن منصور ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكان ما وراء النهر بيد محمود بن أرسلان خان ، فغلبه عليها كوخان ملك الصين ، فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد.

وكان على خراسان وما وراء النهر السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكانت غزنة وما معها بيد بهرام شاه بن مسعود من بنى سبكتكين ، فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكان على إفريقية على بن يحيى من بنى المعز بن باديس ، فبقى حتى مات سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وملك بعده ابنه الحسن بن على ، وهو ابن ثنتى عشرة سنة ، وقام بأمره مولاه صندل ، ثم مولاه موفق ، وغلبه الفرنج على المَهديّة وبلاد الساحل كلها ، إلى أن استنقذها منهم عبد المؤمن شيخ المُوحِّدين ، وبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكان على الغرب الأقصى على بن يوسف بن تاشفين ، وعلى رأس أربع عشرة سنة من ولايته كان ظهور المهدىّ بن تومرت ، ودام ملكه إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكان الأندلس بيد علىّ بن يوسف بن تاشفين فيما كان بيد أبيه ، فاستمر على ذلك ، وفى أيامه (١١٠٥) استولى الأدفونش ملك الفرنج على سَرَقُسْطة من شرق الأندلس ، وعقد لولده تاشفين بن على على غرب الأندلس سنة ست وعشرين وخمسمائة وأنزله قرطبة وإشبيلية ، وعقد لأبى بكر بن إبراهيم على شرق الأندلس ، وأنزله بلنسية ، وعقد لابن غانية [1] على الجزائر الشرقية وأنزله دانية ومَيُورقة [ومنورْقة] وبقى الأمر على ذلك إلى ما بعد خلافة المسترشد .

الثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق

الراشد بالله

وهو أبو جعفر المنصور بن المسترشد المقدم ذكره ، ولى الخلافة بعهد من أبيه المسترشد ، ثم بويع له بها بعد

(١) في الأصل : لابنه غانسه « بدون نقط الكلمة » والتصويب من صبح الأعشى ﺣ ٥ ص ٢٥٨

وفاته فى اليوم الذى مات فيـــه ، وهو يوم الاثنين السابع والعشرون [1] من ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وقام ببيعتـــه السلطان مسعود بن محمـــد بن ملـــكشاه السلجوقى ، وكتب بذلك إلى بغداد ، فبويـــع له بهـــا ، وحضر بيعتـــه أحدٌ وعشرون رجلا من أولاد الخلفاء ، وبقى حتى توفى قتيلا بأصفهان فى الحـــادى والعشرين [2] من رمضان سنـــة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، ومـــدة خلافته . . . [3] شهر وأحد عشر يوما ، وكان له أولاد منهم الحسن جد الخلفاء بالديار المصرية .

الحوادث والمـــاجريات فى خلافته

كان الراشد قد اتفق مع عماد الدين زنـــكى وغيـــره من ملوك الأطراف على خِلافِ [4] السلطان مسعود المقـــدم ذكره

(١) قتل المسترشد بيد الباطنية وكان ذلك يوم الأحد سابع عشر ذى القعدة سنة ٥٢٩ انظر ابن الأثير ح ١١ ص ١١ وحياة الحيوان ح ١ ص ٨٠ .

(٢) في ابن الأثير ح ١١ ص ٢٦ الخامس والعشرون من رمضان وفي حياة الحيوان ح ١ ص ٨١ في اليوم السادس والعشرين .

(٣) على حسابه مدة خلافته سنتان وتسعة أشهر وخمسة وعشرون يوما وعلى حساب ابن الأثير سنتان وعشرة أشهر وتسعة أيام . وفي حياة الحيوان أنه خلع لأربع عشرة من ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة وكانت خلافته إلى أن خلع منها سنة إلا أياما .

(٤) في الأصل : خلافه .

وطاعـة داود بن السلطان محمود ، فبلغ ذلك السلطان مسعود فسـار إلى بغداد وحصرها ، ووقـع بها النهـب من العيَّارين والمُفسدين ، وأقام محاصرا لها نيِّفا وخمسين يوما ، فارتحل عنهـا إلى النهروان ، ثم عاد إلى بغداد وقد اختلفت كلمـةُ عساكرها ، فسار السلطـان داود إلى بلاده بأذربيجـان ، وسار الخليفة مع عماد الدين زنكى إلى جهة الموصل ، فسار السلطان مسعود إلى بغداد واستقرّ بها (١٠٥ ب) فى منتصف ذى القعدة من هذه السنـة ، وجمع القضاةَ وكبار بغداد ، فأجمعوا على خلع الراشد بسبب أنه عاهد السلطان مسعوداً ، على أن لا يقاتله ، ومتى خالف ذلك فقد خلع نفسه ، ونُسبت إليـه أُمور منـكرة ارتـكبهـا ، فحُكم بفسقه وكُتب محضرٌ بخلعه ، وجُهِّز إلى عماد الدين زنـكى بالموصل ، فأثبت على قاضى الموصل [١] ، وفارق الراشدُ زنـكى ، وسار من الموصل إلى مراغة ، واجتمـع بالسلطان داود بن محمود وملوك تلك النواحى ، فاتفقوا على خلاف السلطان مسعود وقتاله ، وإعادة الراشد إلى الخلافة ، وأقام الراشد بهمَذَان ، فسار السلطان مسعود إلى السلطان

---

(١) في ابن الأثير حـ ١١ ص ١٨ ولم يكن قاضى القضاة حاضرا فإنه كان عند أتابك زنكى بالموصل .

داود ، وكانت بينهم حرب انهزم فيهــا داود ، فسار داود إلى فارس ، وهُزمت تلك الجموع ، فسار الراشد إلى أَصفهان للإقامة بها ، فوثب عليه بعض الخراسانيين الذين كانوا فى خدمتــه ، عند القيلولة ، فقتله ، على ما تقدم .

ولايات الأَمصار فى خلافتــه

كان على مصر الحافظ لدين الله الفاطمى ، فبقى إلى ما بعــد خلافة الراشد .

وكان على دمشق شهاب الدين محمود بن بورى ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد .

وكانت حماة بيد العادل نور الدين محمود بن زنــكى .

وكانت طرابلس بيد الفرنــج .

وكان على مــكة قاسم بن فليتــه (١) فبقى إلى ما بعد خلافــة الراشد ، والخطبة متصلة للعباسيين . ولم أُحقق من كان فى أَيامه على المدينــة .

---

(١) في الأصل « بن أبي فليته » والتصويب من كتاب المنتقى كما تقدم هذا .

وكان على اليمن فاتك بن منصور ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد .

وكان ما وراء النهر بيد كوخان صاحب الصين ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد .

وكان علي خراسان السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد .

وكان على غزنة بهرام شاه بن مسعود بن سبكتكين ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد .

وكان على إفريقية الحسن بن على ، من بنى باديس ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد (١٠٦ ا) .

وكان على الغرب الأقصى والأوسط على بن يوسف بن تاشفين ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد .

وكان الأندلس بيد علىّ بن يوسف بن تاشفين أيضاً ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد .

الحادى والثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق
المقتفى لأمر الله[1]

وهو أبو عبد الله محمد بن المستظهر المقدم ذكره .

(١) بهامش الأصل عنوان هو : المقتفى لأمر الله من أعظم خلفاء بنى العباس .

وأُمه أُم ولد [1] وهو عم الراشد ، كان حسن السيرة ، بويع له بالخلافة ببغداد فى شهر ربيع الأَول سنة ثلاثين وخمس مائة ، بعد أن وصل إليه السلطان مسعود ابن محمد بن ملكشاه وتحالفا ، وخرج السلطان وأَحضر الأُمراء والقضاة والفقهاء وأَرباب المناصب فبايعوه . وبقى حتى توفى فى ثانى ربيع الأَول سنة خمس وخمسين وخمس مائة ، وعمره ست وسبعون سنة ، ومدة خلافته أَربع وعشرون سنة وثلاثة أَشهر وسبعة [2] عشر يوماً ، وكان لهمن الأَولاد : المستنجد ولى الخلافة ، وأَبو جعفر وهو أَكبر من المستنجد .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى سنة خمس وثلاثين وخمس مائة وصل رسول السلطان سنجر ومعه البُردة والقضيب اللذان [3] كان أَخذهما السلطان سنجر من المسترشد ، فأُعيدا إلى المقتفى ، واستقل

(١) في حياة الحيوان حـ ١ ص ٨١ وكانت أمه حبشية وفي ابن الأثير حـ ١١ ص ١٠٣ وأمه أم ولد تدعى ياعى . وفي تاريخ الخلفاء ١٧٥ وأمه حبشية .

(٢) في ابن الأثير : وستة عشر يوما . وفي حياة الحيوان كانت خلافته ثلاثا و شرين سنة وقيل خمسا وعشرين سنة .

(٣) في الأصل اللذين .

بالأَمر دون سلطان معه ، وكان يبـذل الأَموال العظيمـة لأَصحاب الأَخبار من الجواسيس فى جميـع البلاد حتى لا يـكون يفوته شيء من أَخبارها .

وفى سنـة ثمان وثلاثين وخمس مائة قُتل السلطان داود ابن محمد السلجوقى غِيلة .

وفى سنة ست وأَربعين وخمس مائة اعتقـل الخـليفة المقتفى أَخاه أَبا طالب وضيّق عليه واحتاط على غيره من أَقاربه ، ومات السلطان مسعود فى أَول رجب سنة سبـع وأَربعين وخمس مائة ، ومات بموته سعادة البيت السلجوقى فلم (١٠٦ ب) ترفع له بعد ذلك راية يُعتدّ بهـا ، وكان موته بعد أَن عهد بالملك إلى ابن أَخيه ملـكشاه بن محمود ابن محمـد بن ملـكشاه ، فقعـد فى السلطنـة بعـده وخُطب له بهـا ، وتغلب على السلطنـة فى زمانه شخص اسمه خاص بك ، كان من أَتباع السلطان مسعود ، ثم قبض على السلطان ملـكشاه بن محمود وحبسه ، وأَرسل إلى أَخيـه محمـد بن محمود وهو بخُوزِستان ، فحضر وتولّى السلطنة ، وجلس على سرير الملك ، وكان قصـد

خاص بك أَن يقبض على السلطان محمد أَيضا ويخطب لنفسه بالسلطنة ، فبدره السلطان محمد فى ثانى يوم وصوله فقتله ، ثم سار السلطان محمد بن محمود فى سنة إحدى وخمسين وخمس مائة بعساكر كثيرة إلى بغداد وحصرها ، وحصَّن المقتفى الخليفةُ دار الخلافة ، واعتدّ للحصار ، واشتدّ الأَمر على أَهل بغداد ، فبينما هم على ذلك إذ بلغ السلطان محمداً (١) أَن أَخاه ملكشاه تحرك على بلاده ، ووصل هَمَذان ، فرحل السلطان محمد عن بغداد ، وسار نحو أَخيه فى الرابع والعشرين من ربيع الأَول سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة .

ومات السلطان سنجر صاحب خراسان بمدينة مَرْو ، من خراسان . على ما تقدم .

وفى سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة اقتلع الخليفة المقتفى باب الكعبة وعمل عوضه بابا مُصفَّحا بالفضة المُذهبة ، وعمل لنفسه من الباب الأَول تابوتا يُدفن فيه ، وفى سنة أَربع وخمسين وخمس مائة توفى السلطان محمد بن محمود الذى كان قد حاصر بغداد

(١) فى الأصل: محمود والتصويب من ابن الأثير حـ ١١ ص ٨٧ وكذلك جاءت خطأ بعد ذلك .

بهَمَذان ، وطلب الأُمراء عمّه سليمانَ شاه بن محمد وكان معتقلا بالموصل ، فحضر وولى موضع ابن أَخيه محمد بن محمود ، وكان فيه خُرْق وتهَوُّر وضَعف فى الدِّين حتى يقال : إنه كان يشرب الخمر فى رمضان نهارا ، فتسلط عليه الجُند حتى لم يبق له معهم أَمر ، ثم قُبض عليه وحُبس ، وأُقيم أَرسلان شاه بن طغرل[1] بن محمد بن ملكشاه فى السلطنة مقامه ، (١٠٧ ا) وخطب له بها ، وبُعث إلى بغداد ليُخطب له فيها بالسلطنة على عادة الملوك السلجوقية ، فلم يُجَب إلى ذلك ، وبقيت الخطبة فى بغداد للخليفة وحده ، وبقى الأَمر على ذلك إلى وفاة المقتفى

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر الحافظ لدين الله الفاطمى ، فتوفى سنة أَربع وأَربعين وخمس مائة ، وولى بعده ابنه الظافر بأَمر الله إسماعيل بن الحافظ المقدم ذكره ، فبقى حتى قُتل فى سنة تسع وأَربعين وخمس مائة ، وولى بعده ابنه الفائز بنصر الله أَبو القاسم عيسى بن الظافر ، صبيحة وفاة أَبيه ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتفى .

(١) فى الأصل : « طغريل » ولعلها نطق فى طغرل .

وكان على دمشق شهاب الدين محمود بن بورى ، فقتل سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وملك بعده أخوه جمال الدين محمد بن بورى ، وتوفى فى سنة أربع وثلاثين وخمس مائة ، وملك بعده ابنه مجير الدين أُرتق بن محمد . وفى أيامه تغلبت الفرنج على ناحية دمشق ، ثم انتزعها منهم الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى المعروف بنور الدين الشهيد ، فملكها فى سنة تسع وأربعين وخمس مائة ، واجتمع له مُلك جميع الشام ، وهو الذى بنى أسوار مدن الشام حين وقعت بالزلازل من دمشق وحماة وحمص وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتفى .

وكان على حلب عماد الدين زنكى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتفى . وكانت حماة بيده قبل ذلك .

وكانت طرابلس بيد الفرنج .

وكان على مكة قاسم بن فليتة ، والخطبة بمكة منسحبة لبنى العباس ، وبقى قاسم المذكور إلى ما بعد خلافة المقتفى .

وكان على المدينة قاسم[1] بن مهنَّا ، فتوفى سنة ثلاث وثلاثين وخمس مائة ، وولى بعده ابنه سالم بن قاسم ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتفى .

قال المؤيد صاحب حماة فى «تاريخه» : وكان مع السلطان صلاح الدين يوسف بن أَيوب فى فتوحاته يتبرّك به ويتيمَّن بصحبته ، ويرجع إلى قوله .

وكان (١٠٧ ب) على اليمن فاتك بن منصور بن فاتك ، ثم ملك من بعده ابن عمه فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش بن نجاح ، فى سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة ، وقُتل فى سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة ، وهو أَحسن ملوك بنى نجاح بها ، وانتقلت مملكة اليمن إلى بنى مهدى ، فملك منهم بعد قتل فاتك علىُّ بن مهدىّ واستقر فى الملك بزَبِيد فى رابع عشر رجب سنة أَربع وخمسين وخمس مائة ، ثم مات بعد شهرين وأَحد وعشرين يوما ، وكان مذهبُه التكفيرَ بالمعاصى ، وقَتْلَ من خالف ذلك ، وملك بعده ابنه مهدىّ بن علىّ ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتفى .

(١) في الأصل «هاشم بن مهنا» وانظر السطر الثاني ومعجم الأسرات و ص ٤٨ .

وكان ما وراء النهر بيد كوخان ملك الصين ، فمات سنة سبع وثلاثين وخمس مائة ، وملكت بعده ابنته ثم ماتت قريبا ، وملك بعدها أُمُّها زوجة كوخان ، وبقى ما وراء النهر بعد ذلك بيد الخطَا ، إلى أن غلبهم عليه علاء الدين محمد بن خوارزم شاه سنة ثنتى عشرة وستمائة ، فبقى فى يده حتى انتزعه منه بنو جنكزخان ملوك التتر فى سنة سبع عشرة وثمان مائة .

وكان على خراسان السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى ، فمات فى ربيع الأَول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، وكان موطنه مرْو من خراسان ، وخطب له على أَكثر منابر الإِسلام بالسلطنة نحو أَربعين سنة ، وكان قبلها يُخاطَب بالمَلِك عشرين سنة ، ولما حضرته الوفاة استخلف على خراسان ابن أُخته الملك محمود بن محمد بن بغراخان ، فأَقام على خوف من الغز ، حتى انتزعها منه خوارزم شاه أَطسز بن محمد بن أَنوشتكين ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتفى .

وكان على غزنة بهرام شاه بن مسعود من بنى [1] سبكتكين ،

(١) في الأصل : بن سبكتكين .

فتوفى وملك بعده [ابن] ابنه ملكشاه بن خسروشاه ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتفى .

وكان على إفريقية الحسن بن على من بنى المعز بن باديس ، فغلبه عليها الموحِّدُون ، وانتزعها منه عبد المؤمن بن علىّ أَحد أَصحاب المهدى بن تُومَرْت ، ولحق الحسن بالجزائر ، فنزل بها حتى فتح الموحدون الجزائر سنة سبع وأَربعين وخمس مائة ، فخرج إلى عبد المؤمن فأَحسن (١٠٨ ا) إليه ، وبقى معه حتى افتتح المَهدِيَّة فى سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة ، فأَنزله بها [فأَ] قام بها ثمانى سنين ، ثم سار إلى مراكش فمات بها .

وكان على الغرب الأَقصى والأَوسط على بن يوسف بن تاشفين ، فمات سنة سبع وثلاثين وخمس مائة ، وقد ضعفت كلمة المرابطين لظهور الموحدين [وقام بالأَمر بعده ولده تاشفين بن على وأَخذ بطاعته وبيعته أَهل العُدْوَتين] ونزل تِلِمسانَ وقد استفحل أَمرُ الموحدين ، فقصده الموحّدُون ففرّ منهم ، وفُقِد سنة إحدى وأَربعين وخمس مائة .

وملك بعـــده ابنه [1] إبراهيم بن تاشفين بن على ، فألفوه عاجزا ، فخلعوه وَوُلِّىَ مكانه عمه إسحــاق بن عــلى بمراكش ، وقد ملك الموحدون جميــع بلاد المغرب ، فقصدوه فى مَرَّاكش ، فخرج إليهم فى خاصته فقتلوه ، وفر أُمراء المرابطين فى كل وجه .

وكان ما بقى من الأَندلس بيد علىّ بن يوسف بن تاشفين ، فانتقل ذلك بعده إلى ابنه تاشفين ، ثم إلى إبراهيم بن تاشفين ، ثم إلى إسحاقِ بن على [بن يوسف] بن تاشفين ، فقتــل بمراكش على ما تقــدم ، وعدَّى عبد المؤمن شيــخ الموحــدين إلى الأَندلس ، فملكه فى سنة إحدى وخمسين وخمس مائة ، واجتمــع له إفريقيــة والمغــرب الأَوسط والمغرب الأَقصى والأَندلس ، وبقى إلى ما بعد خلافة المقتفى .

الثانى والثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المستنجد بالله

وهو أَبو المظفر يوسف بن المقتفى المقدم ذكره .

(١) فى الأصل « وملك بعده أخوه » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٩٠ ومنه أخذنا الزيادة فى الصفحة السابقة .

وأمه أُم ولد اسمها طاووس [1] . وكان أسمر تام القامة طويل اللحية حسن السيرة شديدًا على أهل العيْث والفساد ، بويـع له بالخلافة بعـد وفاة أبيـه فى رجب سنة خمس وخمسين وخمس مائة ، واجتمـع على بيعتـه أهل بيتـه وأقاربـه وعمه أبو طالب وأخوه أبو جعفر ، ثم بايعـه الوزير عون الدين بن هبيرة وقاضى القضاة وغيرهم من وجـوه الناس ، وبقى حتى توفى فى تاسـع (١٠٨ ب) ربيـع الآخر سنة ست وستين [2] وخمس مائة . وكان سبب موته – فيمـا يقـال – أنه مرض فاشتدّ مرضه ، فدُبِّر عليـه مع الطبيب أنه يدخـل الحمَّام ، فدخله [3] على ضعف ، فمات وعمره إحدى وستون سنة [4] وأشهر ، ومدة خلافته إحدى عشرة سنـة وأشهر ، وكان له أولاد منهـم المستضىء بالله [5] الآتى ذكره .

---

(١) في حياة الحيوان ج ١ ص ٨١ وأمه طاووس الكوفية أدركت دولته ، وفي ابن الأثير ج ١١ ص ١٤٥ اسمها طاووس وقيل نرجس رومية . وفي ص ١٠٤ ذكر أن اسمهـا طاووس وفي تاريخ الخلفاء ص ١٧٧ أم ولد كرجية اسمها طاووس .

(٢) في حياة الحيوان ج ١ ص ٨١ « سنة ست وسبعين وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة » وهذا خطأ انظر ابن الأثير ج ١١ ص ١٤٥

(٣) في الأصل فدخلها .

(٤) في ابن الأثير ج ١١ ص ١٤٥ يفهم أن عمره ٥٦ سنة لقوله انه ولد سنة ٥١٠ ، وفي حياة الحيوان أن عمره ٤٨ سنة .

(٥) في الأصل : « المقتفى » والتصويب من الأصل بعد ذلك أما المقتفى فهو أبوه .

الحوادث والماجريات فى خلافته

أَطلق فى أَيامه أَشياءَ كثيرة من المكوس ، وكان شديدا على أَهل العيْث والفساد ، وفى سنة ثمان وخمسين وخمس مائة أَمر المستنجد الخليفة بإِجلاء بنِى أَسد أَهل الحِلّة لفسادهم ، فقتل جماعة منهم وهرب الباقون ، وسلمت بطائحهم إلى رجل يقال له ابن معروف .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر الفائز بنصر الله ، فتوفى فى سابع عشر رجب سنة خمس وخمسين وخمس مائة ، وولى بعده العاضد لدين الله أَبو محمد عبد الله بن يوسف يوم وفاة الفائز[1] ووزر له أَسد الدين شيركوه بن شادي[2] ، ثم وزر له ابن أَخيه السلطان صلاح الدين . وبقى العاضد إلى ما بعد خلافة المستنجد .

وكانت دمشق وحماة وما معها من البلاد الشامية وبعض بلاد الجزيرة وغير ذلك بيد العادل نور الدين محمود ،

---

(١) في الأصل : « ابنه العاضد . . . . يوم وفاة أبيه » والتصويب من ابن الأثير حـ ١١ ص ١٠٣ فالفائز اسمه أبو القاسم عيسى بن إسماعيل والعاضد اسمه أبو محمد عبد الله بن يوسف ولم يكن أبوه خليفة هذا وفي صبح الأعشى الخطأ نفسه انظر حـ ٣ ص ٤٣١

(٢) في الأصل « ايوب » انظر هامش النجوم الزاهرة ٥ /٣٠١ عن ابن خلكان .

وتوفى يوم الأَربعاء حادى عشر شوال سنة تسع وستين وخمس مائة بقلعة دمشق ، وكان قد اتسع ملكه وخُطب له بالحرم واليمن ومصر ، وطبَّق ذكره الأَرض ، وملك بعده ابنه الملك الصالح إسماعيل وعمره إحدى عشرة سنة ، وحلف له العسكر بدمشق ، وأَطاعه السلطان صلاح الدين بمصر ، وخطب له بها وضُرِبت السِّكَّة باسمه ، وملك غازى بن مودود بن زنكى البلاد الجزرية بعد (١٠٩ ا) نور الدين ، وبقى الملك الصالح إلى ما بعد خلافة المستنجد .

وكانت حلب بيد عماد الدين زنكى إلى ما بعد خلافة المستنجد .

وكانت طرابلس بيد

وكان على مكة قاسم بن فليتة[1] ، فخطب للمستنجد كما كان يخطب لأَبيه المقتفى ، ثم قتل قاسم سنة ست وخمسين وخمس مائة وولى بعده ابنه عيسى ، والذى ذكره صاحب حماه فى «تاريخه» أَن عيسى عم قاسم سيَّر

(١) في الأصل : بن أبي فليته وانظر التصويب أيضا من ابن الأثير حـ ١١ ص ١١٣

الحاج [١] سنة ست وخمسين وخمس مائة ، وقام مكان ابن أخيه قاسم المذكور ، ثم عاد قاسم فملك مكة ، ثم هرب وعاد عمه عيسى [٢] فملكها ، وهرب قاسم إلى جبل أبي قُبيس فوقع عن فرسه ، فأمسكه عيسى وقتله .

وكان على المدينة سالم بن قاسم ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنجد .

وكان على اليمن مهدىّ بن علىّ بن مهدىّ ، ثم ملك بعده ابنه عبد النبي بن مهدىّ ، ثم ملك بعده عمه [٣] عبد الله بن مهدىّ ، ثم عاد عبد النبي ثانيا وهو آخرهم ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستجد .

وكان ما وراء النهر بيد ملوك بنى جنكزخان .

وكان على غزنة ملكشاه بن خسروشاه بن بهرام شاه بن مسعود بن محمود من بنى [٤] سبكتكين وهو آخرهم ، ثم انتقل

---

(١) في ابن الأثير أن قاسم بن فليته صادر المجاورين وأعيان أهل مكة وأخذ كثيرا من أموالهم وهرب من مكة خوفاً من أمير الحاج أرغش ... فلما وصل أمير الحاج إلى مكة رتب مكان قاسم ابن فليته عمه عيسى بن قاسم فبقى كذلك إلى شهر رمضان .

(٢) في الأصل : ابنه عيسى .

(٣) كذا هو أيضا في صبح الأعشى ﺣ ٥ ص ٢٩ وصوب بالهامش أنه أخوه كما في تاريخ أبي الفداء وتاريخ القرماني .

(٤) في الأصل : بن

الملك إلى الملوك الغُوريَّة فملك بعد ملكشاه السبكتكينى علاءُ الدين الحسين بن الحسين واستضاف غزنة إلى الغور فى سنة خمس وخمسين وخمس مائة [1] وتلقب بالملك المعظم ، وتوفى سنة ست وخمسين وخمس مائة [2] ، وملك بعده غياث الدين محمد ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنجد .

وكان على إفريقية والغرب الأَقصى والغرب الأَوسط والأَندلس عبد المؤمن بن علىّ أَحد أَصحاب المهدى بن تومرت صاحب دولة الموحدين ، فبقى حتى توفى بَسلاَ من الغرب الأَقصى فى جمادى الآخرة (١٠٩ ب) سنة ثمان وخمسين وخمس مائة . وولى بعده ابنه أَبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، فاستولى على جميع ما كان بيد أَبيه من الأَندلس وجميع بلاد المغرب ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستنجد .

---

(١) في ابن الأثير حـ ١١ ص ١٠٦ وملك بعده ابنه ملكشاه فلما ملك نزل علاء الدين الحسين ملك الغور إلى غزنة فحصرها وكان الشتاء شديدا والثلج كثيرا فلم يمكنه المقام عليها فعاد إلى بلاده في صفر سنة ست وخمسين . وفي الأصل : واستضاف إلى غزنه الغور .

(٢) في ابن الأثير حـ ١١ ص ١١٨ يفهم أن ملك الغور بعد الحسين هو محمد بن الحسين وقتل سنة ٥٥٨ وفي صفحة ٥٥ أن ملك غزنة هو غياث الدين محمد بن سام كصبح الأعشى حـ ٤ ص ٤٤٩

الثالث والثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المستضىء بالله[1]

وهو أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله المقدم ذكره. ولم يل الخلافة من اسمه الحسن غيره وغير الحسن بن على رضى الله عنـــه .

وأمه أم ولد أرمنيـــة [2] . كان عـــادلا حسن السيرة ، بويـــع له بالخلافة بعد موت أبيـــه فى تاسع ربيـــع الآخر سنـــة ست وستين وخمس مائـــة ، وبقى حتى توفى فى ذى القعدة سنـــة خمس وسبعين وخمس مائة ، وكان مولده سنـــة ست وثلاثين وخمس مائة ، ومدة خلافتـــه تســـع سنـــين وسبعة أشهر ، وكـــان له أولاد [3] منهم الإمام الناصر لدين الله الآتى ذكره .

---

(١) في تاريخ الخلفاء للسيوطى : المستضىء بأمر الله انظر ص ١٧٨ وكذلك ابن الأثير انظر ﺟ ١١ ص ١٨٧

(٢) في تاريخ الخلفاء اسمها غضة وكذلك ابن الأثير .

(٣) في الأصل : وكان له من أولاد .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى سنة سبع وستين وخمس مائة قطع السلطان صلاح الدين يوسف بن أَيوب الخطبة بمصر للعاضد العلوىّ وأَقامها للمستضىء المذكور ، وذلك أَنه لما تمكّن أَمر السلطان صلاح الدين بمصر وهو فيها كالنائب لنور الدين محمود صاحب الشام ، وكان العاضد قد مرض واشتد مرضه ، وبعث السلطان نور الدين للسلطان صلاح الدين يُحَتِّم عليه قطع الخطبة للعاضد والخطبة للمستضىء ، ففعل ، ولم يُعْلم العاضدَ أَحدٌ من أَهل بيته بذلك خشيةً عليه من تأْثير ذلك فيه من ضعفه ، ولما وصل خبر الخطبة بمصر إِلى بغداد ضُرِبت لها البشائر عدة أَيام ، وسُيِّرت الخلع إِلى السلطانين نور الدين وصلاح الدين والخطباء ، وسُيِّرت الأَعلام السود ، وكان العاضد قد رأَى فى منامه أَن عقربا قد خرجت من مسجد بمصر يعرفه فلدغته ، فاستيقظ (١١٠ ا) فزعا ، واستدعى مُعَبِّرا ، فعبّر له ذلك بوصول أَذًى إِليه من شخص بذلك المسجد ، فطلب مَن بالمسجد ، فأُحضر إِليه شخصٌ صُوفىٌّ يقال له نجم الدين الخوبشانى ، فرآه العاضد أَضعف من أَن يناله منه أَذى ، فوصله بمال

وصرفه ، فلما أراد السلطان صلاح الدين إزالة الدولة العلوية استفتى العلماء فى ذلك ، فكان من جملة من أفتى فى ذلك الخوبشانى المذكور ، وزاد فيما كتب به حتى سلب عنهم الإيمان ، فكان ذلك تأويل هذه الرؤيا ، وهذا الخوبشانى(1) هو المدفون على القرب من تربة الإمام الشافعى رضى الله عنه .

ثم فى سنة سبع وستين وخمس مائة أيضا عزل الخليفة المستضىء وزيره عضد الدين رئيس الرؤساء ، وحكم فى دولته ظهير الدين أبو بكر بن العطار ، ثم وقع بين المستضىء وبين أستادار قطب الدين قايماز(2) مقدم عسكر بغداد فتنة نهبت فيها دار قايماز وهرب إلى الحلّة ، ثم إلى الموصل ، فلحقه عطش عظيم فى الطريق هلك منه أكثر أصحابه ، ومات قبل أن يصل إلى الموصل ، ولما هرب قايماز خلع المستضىء على عضد الدين الوزير ، وأعاده إلى الوزارة .

وفى سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة بنى السلطان

(1) في الأصل الحبشانى .
(2) في الأصل : بن قايماز .

صلاح الدين السور الدائر على مصر والقاهرة وقلعة الجبل ، ودوره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع بالذراع الهاشمى ، ومات السلطان صلاح الدين والعمارة فيه .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر العاضد لدين الله الفاطمى ، والقائم بتدبير دولته وزيره السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وبقى حتى توفى العاضد فى يوم عاشوراء من سنة سبع وستين وخمس مائة ، واستبدّ السلطان صلاح الدين بمملكة مصر .

وكانت البلاد الشامية بأسرها بيد الملك الصالح إسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكى ، والسلطان صلاح الدين فى طاعته (١١٠ ب) كما تقدم ، ثم سار السلطان صلاح الدين إلى دمشق وملكها فى سلخ ربيع الأول سنة سبعين وخمس مائة وملك معها حمص وحماه . وكانت حلب بيد عماد الدين زنكى [1] فبقى إلى ما بعد خلافة المستضىء .

(١) عماد الدين زنكى هنا هو ابن مودود بن زنكى .

وكانت طرابلس بيد الفرنج .

وكانت مكة بيد عيسى بن فليته [1] وذلك فى أيام العاضد آخر خلفاء الفاطميين بمصر ، ثم ولى بعده ابنه مُكْثِر ، فأَمر المستضىءُ أميرَ الحاجّ العراقى بعزله ، فجرت بينهما فتنة انهزم فى آخرها مُكْثِر إلى البرية ، واستقر أَخوه داود مكانه . وبقى إلى ما بعد خلافة المستضىء .

وكان على اليمن عبد النبى بن مهدى ، فبقيت اليمن بيده إلى أَن استولت عليها الدولة الأَيوبية ملوك مصر ، وأَول من ملكها منهم شمس الدولة تُوران شاه بن أَيوب ، انتزعها من عبد النبى المذكور وأَسره فى سنة تسع وستين وخمس مائة ، واستولى عليها لأَخيه السلطان صلاح الدين ، ثم استناب عليها توران شاه خطارَ [2] بن كامل الكِنانى وأَقره بزبيد ، ورجع إلى الشام فى سنة إحدى وسبعين وخمس مائة ، فأَعطاه أَخوه السلطان صلاح الدين الإسكندرية ، وأَقره بها ، فكان يحمل إليه المال من

(١) في الأصل بن أبي فليته وقد تقدم التصويب هذا وفي صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٧١ يكتب أبو فلينة .

(٢) في صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩ حطان وفي ابن الأثير ج ١١ ص ١٦١ مبارك بن كامل من بنى منقذ وسيأتى في الأصل « خطار » عدة مرات .

زبيد قاعدة ملك اليمن وهو بالإسكندرية ، وبقيت بيد توران شاه إلى ما بعد خلافة المستضىء .

وكان ما وراءَ النهر بيد ملوك الخطا .

وكان على خراسان وما معها خُوارزم شاه أَرسلان (١) بن أَطسز بن محمد بن أَنوش تكين ، حتى توفى سنة ثمان وستين وخمس مائة .

وكان على غزنة غياث الدين محمد بن سام أَحد ملوك الغورية ، ثم استولى عليها الغز ، وهم طائفة من الترك كانوا قد استولوا على خراسان وأَسروا السلطان سنجر السلجوقى ، فبقيت بأَيديهم إلى ما بعد خلافة المستضىء .

وكان على إفريقية والغرب الأَوسط والغرب (١١١ ا) الأَقصى والأَندلس المنصور أَبو يعقوب يوسف (٢) بن عبد المؤمن شيخ الموحدين ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستضىء .

---

(١) في ابن الأثير حـ ١١ ص ١٥٢ خوارزم شاه ايل أرسلان بن اتسز .

(٢) في الأصل : بن يوسف .

الرابع والثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق

الناصر لدين الله

وهو الإمـام أبو العبـاس أحمد [١] بن المستضىء بالله المقدم ذكره ، قال السلطان عماد الدين صاحب حماه فى « تاريخـه » : كان قبيـح السيرة فى رعيتـه ، ظالما لهم ، خرب فى أيامه العراق ، وتغرّب أهله فى البلاد ، وكان يتشيـع ، وكان منصرف الهمة إلى رمى البندق والطيـور المناسيـب ، وإلباس سراويـلات الفتوه ، ومنـع رمى البندق إلا أن ينسب إليه [٢] فأجابه الناس إلى ذلك ، إلاَّ شَخص واحد فإنه هـرب من بغداد ولم يجب إلى ذلك ، وكان من أمره أنه عمى فى آخر عمره . بويـع له بالخلافة يوم مات أبوه المستضىء ، وهو ثانى ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمس مائة ، وقام ببيعته ظهير الدين بن العطار مدبّر دولة أبيه بعد وزيره عضد الدين . وبقى حتى توفى

---

(١) في تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٨٠ أن أمه تركية اسمها زمرد .

(٢) في ابن الأثير حـ ١٢ ص ١٨١ والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة فبطل الفتوة في البلاد جميعها إلا من يلبس منه سراويل ويدعي إليه ولبس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة وكذلك أيضا منع الطيور المناسيب لغيره إلا مايؤخذ من طيوره ومنع الرمى بالبندق إلا من ينتمى إليه فأجابه الناس .

فى أول شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، ومدة خلافته نحو سبع وأربعين سنة ، وكان له أولاد منهم الظاهر بأمر الله الآتى ذكره .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما استقر فى الخلافة حكم أُستاداره مجد الدين أبو الفضل ، فقبض على مدبر دولته ظهير الدين بن العطار فى سابع ذى القعدة [1] بعد أيام قلائل من خلافته ، ثم أُخرج ميتا على رأس حمال ، فثارت به العامة وألْقَوْه عن رأْس الحمال ، وشدُّوا فى ذكره حبلا وسحبوه فى البلد ، وكانوا يضعون فى يده مغرفة كأنها قَلَمُه ، وقد غمست تلك المغرفة فى العَذِرة ، ويقولون : وَقِّعْ لنا يا مولانا ، مع حسن سيرته فيهم ، وكفِّه عن أموالهم ، ثم خُلِّص (١١١ ب) منهم بعد ذلك ودفن .

وفى سنة أربع وثمانين وخمس مائة أرسل قزل بن إلدكز [2] صاحب أذربيجان وهمذان وأصفهان والرى

(١) في الأصل ذى قعدة .

(٢) في ابن الأثير ج ١٢ ص ٣٢ إيلدكز .

يستنجد بالخليفة الناصر على طغرلبك [١] بن أَرسلان بن طغرلبك السلجوقى ويحذره عاقبة أَمره ، فأَرسل الخليفة عسكرا إلى طغرلبك صحبة وزيره جلال الدين عبد الله [٢] فالتقوا فى ثامن ربيع الأَول على همذان [٣] ، فانهزم عسكر الخليفة ، وغنم طغرلبك ،وقبض عليه وحبسه ،ثم قتل قزل فى سنة ست[٤] وثمانين وخمس مائة ، ثم توفى طغرل [٥] فى سنة تسعين وخمس مائة ، وملك خوارزم شاه الرىّ وتوفى سنة ست وتسعين وخمس مائة [٦] . [وفى سنة تسعين وخمسمائة] استولى الخليفة الناصر على حَديثة وعانة وكانت خارجة عن يده ، وفى هذه السنة أَرسل الخليفة وزيره مؤيد الدين بن القصاب إلى خوزستان ، فملكوا مدينة تُسْتَر وما معها ، فى سنة إحدى وتسعين وخمس مائة ، ثم سار بعد ذلك إلى هَمَذَان فملكها

(١) في الأصل تكتب دائما طغريل . والتصويب من صبح الأعشى وابن الأثير .

(٢) في ابن الأثير جـ ١٢ ص ١٠ عبيد الله بن يونس .

(٣) في ابن الأثير : بداى مرج عند همذان .

(٤) في ابن الأثير دون قتله سنة ٥٨٧ هذا وفي الأصل : ثم قتل فنزل .

(٥) اللى في ابن الأثير جـ ١٢ ص ٤٤ انه قتل.

(٦) في الأصل : « وفي سنة ست وستين وخمس مائة استولى . . » هذا والزيادة والتصويب من السياق وابن الأثير جـ ١٢ ص ٤٥ وص ٦٥ .

وغيرها من بلاد العجم ، وأخذ يستولى على بلاد الخليفةِ ، فتوفى مؤيد الدين فى أوائل شعبان سنة اثنتين [1] وتسعين وخمس مائة .

وفى سنة أربع وستمائة سيّر الخليفةُ إلى الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب الديار المصرية تشريفا بالسلطنة ، فلبسها ونثر الذهب على رأسه ، وكانت الخلعة جبة أطلسٍ أسود بطراز مُذهب ، وعمامة سوداء بطراز مذهب ، وطوقَ ذهبٍ وسيفًا جميع قرابه ملبس ذهباً يتقلّده ، وحصاناً[2] أشهب بمركب ذهب ، ونُثر على رأسه علم أسود مكتوب فيه بالبياض اسم الخليفة ، وقَرِين ذلك تقليدٌ بالبلاد التى تحت حكمه ، ولُقِّب فيها العادل شاهنشاه ملك الملوك خليل أمير المؤمنين ، وقرين ذلك خِلَعُ الملك الأشرف والملك المعظم ابنى العادل بعمامة سوداء وثوب أسود واسع الكُمّ ، وكذلك الوزير صفى الدين بن شكر (١١٢ ا) وركب الملك العادل وولده الأشرف بالخلع حتى دخلا القلعة ، وأكرم رسول

(١) فى ابن الأثير حـ ١٢ ص ٤٧ ذكر وفاة الوزير فى حوادث سنة ٥٩١

(٢) فى الأصل وسيف جميع قرابه ملبس ذهب يقلده وحصان .

الخليفة ، وأُعيد إلى بغـداد .

وفى سنـة سبـع وستمائة وردت رسل الخليفـة الناصر إلى ملوك الأَطراف أَن يشربوا له كأْس الفتوة ويلبسوا له سراويلها ، وأَن ينتسبوا إليها فى رمى البندق ، ويجعلوه قدوتهم فيـه ، فأَجابوه إلى ذلك .

وفى سنـة أَربـع عشرة وستمائة عزم خوارزم شاه [1] على السير إلى بغداد للاستيلاء عليها . وقدم بعض العساكر وسار فى أَثرهم عن هَمَذَان . فسقط عليهم بعد مسيرهم بثلاثة أَيام ثلجٌ لم يُسمـع بمثله ، فهلـكت دوابُّهم ، وخاف خوارزم شاه التترَ على بلاده التى استولى عليها فى سفره ذلك ، فعـاد إلى خراسان ، وقطع الخطبة للخليفة الناصر من بلاد خراسان فى سنة خمس وستمائة . وكذلك قُطعت خطبـة الخليفة فى ما وراءَ النهر ، وبقيت خوارزم وسمرقنـد وهراة على الخطبة للخليفة ، فإن أَهل هذه البلاد كانوا يخطبون لمن يختارون ولا يعارضون فى ذلك .

(١) خوارزم شاه السابق هو تكش بن أرسلان ويراد بخوارزم شاه ملك خوارزم ويراد بخوارزم شاه هنا محمد بن تكش .

وفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة استولى جلالُ الدين [١] عَلَى خُوزستان ، وكانت للخليفة الإمام الناصر ، ثم سار حتى قارب بغدادَ ، وخاف أَهلُ بغداد منه واستعدوا للحصار ، ونهبت الخُوارزميّةُ البلادَ وامتلأَت أَيديهم من الغنائم .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر فى أَيامه السلطان صلاح الدين يوسف بن أَيوب ، فبقى حتى توفى بدمشق فى سنة تسع وثمانين وخمس مائة ، وكانت مدة ملكه بالديار المصرية أَربعا وعشرين سنة . ثم ملك بعده مصر ابنه [٢] الملك العزيز عثمان ، وتوفى ليلة السابع والعشرين من المحرم سنة (١١٢ ب) خمس وتسعين وخمسمائة [٣] ، وملك بعده ابنه الملك المنصور محمد [٤] فأَقام بها حتى ورد عليه الملك العادل أَبو بكر بن أَيوب من الشام ، وأَقام عنده

---

(١) هو جلال الدين بن خوارزم شاه محمد بن تكش .

(٢) في الأصل كلام ضرب عليه نصه ونضعه بين قوسين : ثم ملك بعده مصر (ابنه الملك العزيز وبقى حتى توفي في ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمس مائة بعد أن مضى على مصر في ملكه أربع وعشرون سنة وملك بعده مصر) ابنه الملك العزيز .

(٣) في الأصل : وستمائة وهو سهو ظاهر .

(٤) الذى في ابن الأثير أن الذى ملك هو الأفضل أخو العزيز وأن ابن أخيه كان له اسم الملك فقط انظر حـ ١٢ ص ٥٨ ، ٦٠

قليلا كأنه مدبر لدولتـــه ، ثـم استقل العادل بالملك فى ربيــع الأول سنـــة ست وتسعين وخمس مائة ، وبقى إلى ما بعد خلافة الناصر .

وكانت دمشق مع السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أيضا ، وقرر فيها أخاه سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ، وتوجه لاستقلاع [1] بقية البلاد ، فلما عاد إلى الديار المصرية فى سنـــة ست وسبعين وخمس مائة استخلف عليها ابنَ أخيه عزَّ الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك ، وصارت بيده هى وبعلبك ، ثم [صرفه عنها و] قرر فيها ابنه الملك الأفضل عليًّا ، فبقى فيها حتى تُوفّى والده ، وبقى بها إلى أن قصده أخوه الملك العزيز عثمان صاحب مصر بعد وفاة أبيهما ، وصحبته [2] عمه العـــادل أبو بكر بن أيوب ، فانتزعها منه ، وخُطب فيها باسم العزيز فى سنـــة اثنين وتسعين وخمس مائة . وكان الخليفة الناصر يميل إلى التشيــع ، فــكتب إليـــه الأفضـــل علىٌّ بنُ السلطان صلاح الدين يستجيشه على أخيه العزيز عثمان وعمه العادل أبى بـــكر ببيتين من نظمه هما :

(1) لعلها : لاستطلاع .

(2) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٦٦ بمعاضدة عمه .

مــولاىَ إن أبــا بــكرٍ وصاحبَــه
عثمانَ قد غصَبَا بالسيف حقَّ عَلِى

فانظــر إلى حَــظٍّ هذا الِاسْمِ كيف لَقِى
من الأَواخــر ما لاقى من الأُوَلِ

فــكتب إليه الناصر فى جوابه :

غصبــوا عَلِيًّــا حقَّه إذْ لم يــكن
[بَعْدَ النبيِّ] له بيثرب ناصِــرُ

فاصبِرْ فإنَّ [غدًا] عليك حسابهم
وَابْشِرِ فناصرُكَ الإمامُ الناصِــــرُ

ثم لم يُزِل عنــه شَــكْوَاه ، ولم يدفــع عنــه لَأْوَاه .

ولمــا ملك العزيزُ دمشق سلمها لعمه العــادل أَبى بكر بن أَيوب ـ وعاد إلى مصر محــل ملــكه ـ فقررَ فيها العادلُ ابنَه الملكَ المعظم عيسى بن أَبى بــكر مضافا إلى ما بيــده من الــكَرَك (١١٣ ا) والشَّوْبَك وغيرهما ، وبقى إلى ما بعد خلافة الناصر .

وكانت حلب بيد عماد الدين زنكى [1] فتسلمها منه السلطان صلاح الدين فى سنة تسع [2] وسبعين وخمس مائة ، وسلمها لابنه الملك الظاهر غازى ، فبقيت بيده حتى سلمها السلطان صلاح الدين لأخيه العادل أبى بكر فى السنة المذكورة ، فبقى بها حتى جهزه أخوه السلطان صلاح الدين إلى مصر فى سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة ، وأعاد إليها ابنه الظاهر غازى ، فلم يزل بها حتى استقل العادل أبو بكر بسلطنة مصر والشام ، فصار ملوك بنى أيوب بالشام كأنهم نوابه ، فخطب له الظاهر غازى بحلب ، وضرب السكة باسمه ، وبقيت بيده إلى ما بعد خلافة الناصر .

وكانت حماة بيد السلطان صلاح الدين ، فقرر فيها خاله شهاب الدين الحارمى ، ثم قرر فيها ابن أخيه [3] تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، سنة أربع وسبعين وخمس مائة ، فبقيت بيده حتى توفى سنة سبع وثمانين وخمس مائة ، فوليها بعده ابنه الملك المنصور ناصر الدين

(١) عماد الدين زنكى هنا هو ابن مودود بن زنكى .

(٢) فى الأصل « ست وسبعين » والتصويب من صبح الأعشى .

(٣) فى صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٧٣ قرر فيها أخاه تقى الدين .

محمد ، فبقى بها حتى توفى سنة سبع عشرة وستمائة [1] ووليها بعده ابنه الملك الناصر صلاح الدين قليج [2] فبقى إلى ما بعد خلافة الناصر .

وكانت طرابلس بيد الفرنج .

وكانت حمص بيد السلطان صلاح الدين ، فقرر بها ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ، فبقى بها حتى توفى سنة إحدى وثمانين وخمس مائة ، فاستقر بها بعده ابنه الملك الظاهر شيركوه ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الناصر .

وكانت بعلبك بيد السلطان صلاح الدين ، فقرر فيها شمس الدين محمد بن عبد الملك ، ثم انتزعها منه فى سنة أربع وسبعين وخمس مائة ، وأعطاها أخاه [3] شمس الدولة توران شاه بن أيوب ، وبقيت بيده إلى أن مات سنة ثمان وسبعين وخمس مائة ، فاستقر بها ابنه الملك الأمجد بهرام شاه ، وهو الذى بنى دار السعادة بدمشق ، فبقى إلى ما (١١٣ ب) بعد خلافة الناصر .

---

(١) في صبح الأعشى : فبقى بها حتى انتزعها منه أخوه الملك المظفر محمود في سنة ست وعشرين وستمائة .

(٢) في ابن الأثير حـ ١٢ ص ٢٠١ : قلج .

(٣) في الأصل وأعطاها لأخيه .

وكان الكرك بيد الفرنج ، فانتزعه منهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أَيوب فى سنة أَربع وثمانين وخمس مائة ، وقرر فيها [أَخاه الملك العادل أَبا بكر ابن أَيوب ، فبقيت بيده إلى أَن مات السلطان صلاح الدين فقرر فيها] [1] ابنه الملك المعظم عيسى ، فبقيت بيده إلى ما بعد خلافة الناصر .

وكان طرابلس [2] وصَفَد بيد الفرنج .

وكانت مكة بيد داود بن فليته [3] فبقى يتناوبها هو وأَخوه شكر تارة وتارة ، حتى مات داود فى سنة تسع وثمانين وخمس مائة ، وانقرضت دولة الهواشم ، وصارت لبنى قتادة بن إدريس بن مُطاعن من عقب الحسن بن علىّ ابن أَبى طالب ، وخطب فيها للخليفة الناصر ، وعظُم شأْنه حتى ملك مع مكة يَنْبُعَ وأَطرافَ اليمن ، وبعض أَعمال المدينة ، وبلاد نجد ، ولم يَقْدَم على أَحد من الخلفاء ولا من الملوك ، واستدعاه الناصر الخليفةُ فى بعض السنين فكتب إليه هذه الأَبيات :

---

(١) الزيادة من صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٧٥

(٢) ضبطت في صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٧٤ أطرابلس بفتح فسكون وانظر الصفحة السابقة .

(٣) في الأصل : بن أبي فليته . وسبق التصويب .

بلادى وإن هانت عليكَ عــزيزةٌ

ولو أَننى أَعرى بهــا وأَجــوعُ

ولى كَفٌّ ضِرغام أُدِلُّ ببطشهـــا

وأَشرى بهــا بين الورى وأَبيــعُ

تظلُّ ملوكُ الأَرض تلثِم ظهـــرهـا

وفى بطنها للمجــدبين ربيـــعُ

أَأَجعلهــا تحت الرَّحــا ثم أَبتغى [1]

خَلاصًا لها إِنى إِذًا لرقيـــــعُ

وما أَنا إلا المسكُ فى كلّ بـــلدة

يَضُــوع وأَما عنــدكم فَيضيــعُ

وبقى حتى توفى سنــة سبــع عشرة وستمائة ، وولى مــكانَه ابنُه الحسنُ ، فبقى بهــا حتى قــدم عليه الملك المسعود أَقسيس [2] [بن] الملك الــكامل محمــد بن العادل أَبى بــكر بن أَيوب صاحب اليمن ، سنة عشرين وستمائة

(١) في الأصل : الرجى ولعلها الرجاء مقصور من الرجاء والتصويب من ابن الأثير حـ ١٢ ص ١٦٦ .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٧٢ أقسز وفي الأصل أقسيس الكامل ، وفي ابن الأثير حـ ١٢ ص ١٧٠ أقسز بن الملك الكامل .

وملـكها ، وقتل جماعة من الأَشراف ، وذهب حسن بن قتادة إلى بغداد جريحـاً ،فمات بها سنة ثنتين وعشرين وستمائة ، وبقى أَقسيس بمـكة إلى ما بعد خلافة الناصر .

وكان على المدينـة سالم بن قاسم ، فمات وولى بعده ابنه شيحة ، وبقى إلى ما بعد خلافة الناصر .

(١١٤ ا) وكانت اليمن مفوضة إلى توران شاه بن أَيوب وهو بالإِسكندرية ونائبه خطَّار [١] باليمن إلى سنة ست وسبعين وخمس مائة ، فوجه إليها السلطان صلاح الدين أَميرا استولى عليها وعزل خطَّارا نائب أَخيه توران شاه ، ثم توفى ذلك الأَمير ، فعـاد خطار إلى ولايتـه ، ثم بعث السلطان صلاح الدين أَخاه سيف الإِسلام طغتـكين إلى اليمن ، فقبض على خطَّار ، واستقر فى ملك اليمن ، وبقى حتى مات بزبيد سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة ، وملك بعده ابنـه الملك المعز [٢] إسماعيل وكان فيـه هَوَج ، فادّعى أَنه قرشى من بنى أُمية ، ولبس الخُضرة ، وخطب بنفسه ولبس ثياب الخلافة ، فقتله أُمراؤه وأَقاموا مكانه

(١) انظر ماسبق من اختلاف المصادر في اسمه : حطان أو المبارك .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ٣٠ : العزيز إسماعيل .

أخا له صغيرا لقبوه الناصر ، وقام بتدبير مملكته مملوك أبيه سنقر ، ثم مات سنقر بعد أربع سنين ، فقام بتدبير دولتـــه زوج أُمه غازى بن جبريل وسَّم الناصرَ فى كوز فُقَّاع [1] ، وتملَّك غازى اليمن ، ثم قتـــله جماعة من العرب بسبب قتله الناصر ، وبقيت اليمن بغير سلطان ، فغلبت أُم الناصر على زَبِيد وأَرسلت إلى مـــكة تتـــوقع حضور أَحد من بنى أَيوب فى الموسم لتملّـــكه اليمن ، وكان للملك المظفر تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أَيوب ولدٌ يسمّى سليمان ، فخرج إلى الحجاز فى صورة فقير يحمل الرَّكْوَة[2] على كتفه ، فأُتيت به فملّـــكته اليمن فى سنة تســـع وتسعين وخمس مائة بعد أَن تزوجت به ، فمـــلأَ اليمن ظلما وجَوْرا ، وكتب إلى عم أَبيه الملك العـــادل أَبى بـــكر بن أَيوب صاحب الديار المصرية كتاباً فى أَوله ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [3] فبقى إلى سنة اثنتى عشرة وستمائة ، فبعث الملكُ الـــكاملُ محمدُ ابنُ العادلِ أَبى بـــكرٍ صاحبُ الديار المصرية ابنَه الملك

---

(١) الفقاع : الشراب يتخذ من الشعير .

(٢) الركوة من معانيها : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

(٣) سورة النمل الآية ٣٠

المسعود يوسف أَطسيس [1] المعروف بأَقسيس إلى اليمن فاستولى عليه ، وقبض على سليمان وبعث به معتقلا إلى مصر ، فبقى (١١٤ ب) بها حتى قتل فى نوبة المنصورة شهيدا ، وبقى الملك المسعود بهـا ، فكره المقام بهـا ، فاستخلف عليها ابن رسول أمير أَخور ، وسار قاصدا الشام فتوفى بمـكة فى سنة ست وعشرين [2] وستمائة ، وهـو آخر ملوكهـا من بنى أَيوب ، وانتقلت الدولة بها إلى بنى رسول ، واستقرت قدمهم فيها ، وبقى فيها علىّ بن رسول إلى ما بعد خلافة الناصر [3] .

وكان ما وراءَ النهر بيد بنى جنـكزخان .

وكان على خراسان خوارزم شاه محمد بن تـكش بن أَرسلان بن أَطسز بن محمد أَنوشتـكين ، فبقيت بيده [4]

---

(١) في صبح الأعشى الملك المسعود أطسز . . . .

(٢) في الأصل : سنة ست وسبعين وستمائة وهذا غير معقول . والتصويب من الأصل الورقة (١١٨ ا) وصبح الأعشى ج ٤ ص ٢٧٣ .

(٣) بعد هذا في الأصل : ما يأتى : « وتغلب عـلى اليمن وتلقب بالملك المنصور وخرج عن طاعة بنى أيوب وبقى إلى ما بعد خلافة الناصر » وهذا النص مقحم ولا شك ففى صبـح الأعشى أن على بن رسول « استقر نائبا باليمن لبنى أيوب حتى مات سنة ثلاثين وستمائة » ثم استقر بعد على بن رسول المذكور في النيابة ولده الملك المنصور عمر بن على ثم تغلب على اليمن وخرج عن طاعة بنى أيوب ملوك مصر واستقل بملك اليمن وتلقب بالملك المنصور ثم قتل في سنة ثمان وأربعين وستمائة .

(٤) في الأصل : مدة .

حتى انتزعها منه جنكزخان ملك التتر واستولوا عليها في سنة تسع عشرة وستمائة ، بعد أن اتسع ملكه ، وملك مع خراسان من حد العراق إلى تركستان وبلاد غزنة وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجَبَل وهى عراق العجم .

وكانت غزنة بيد الغز المتغلبين عليها ، ثم انتزعها منهم شهاب الدين بن سام فى سنة تسع وسبعين وخمس مائة ، وبقى حتى قتل سنة اثنتين وستمائة . وفى أيامه كان الإمام فخر الدين الرازى صاحب « التفسير » و « المحصول » فى أُصول الفقه وغيرهما من المصنفات ، وكان معظما عنده . ثم ملك من بعده علاء الدين محمد بن سام ، ثم غلبه عليها يلدز مملوك غياث الدين بن سام ، ثم غلبه عليها علاء الدين محمد المقدم ذكره ، ثم غلب عليها يلدز أيضا ، ثم غلب عليها علاء الدين محمد بن تكش بن خوارزم شاه فى سنة اثنتى عشرة وستمائة ، فبقيت بيده حتى غلب عليها جنكزخان ملك التتر فى سنة سبع عشرة وستمائة ، وتوالت عليها ملوك بنى جنكزخان فى جملة ما ملكوه من الممالك ، إلى أن كان آخرهم بهذه المملكة القان أبو سعيد صاحب مملكة إيران .

وكانت إفريقية بيد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن [1] فولّى عليها أَبا سعيد بن الشيخ أَبي حفص عمر ، ثم غلب ابنُ غانية على أَكثر بلاد (١١٥ ا) إفريقية ، واستولى على تونس ، وخطب للخليفة العباسى ببغداد ، ثم جهز الناصر ابن المنصور بن عبد المؤمن الشيخَ أَبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أَبي حفص من مرّاكش إلى إفريقية سنة ثنتين وستمائة ، فانتزعها من ابن غانية ، ثم وصل الناصر بن المنصور إلى إفريقية بعد ذلك ، ودخل تونس ، وأَقام بها إلى منتصف سنة ثلاث وستمائة ، وعزم على الرحيل إلى مراكش ، واستخلف على إفريقية الشيخ أَبا محمد عبد الواحد بن الشيخ أَبي حفص ، فقعد بها مقعد الإمارة بقصبة تونس يوم السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستمائة ، فبقى بها حتى توفى فى مفتتح سنة ثمانَ عشرةَ وستمائة ، وبقى بها بنوه إلى الآن ، وولى بعده ابنه أَبو زيد عبدُ الرحمن ، وورد كتاب المستنصر بن الناصر ابن عبد المؤمن [2] بعزله بعد ثلاثة أَشهر من ولايته ، وأَقام المستنصر مكانه أَبا العُلَى إدريس بن يوسف بن

(١) فى صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٢٦ المنصور يعقوب بن عبد المؤمن .
(٢) فى صبح الأعشى حـ٥ ص١٢٧ : المستنصر بن الناصر خليفة بنى عبد المؤمن .

عبد المؤمن ، فوصل إلى تونس فى ذى القعدة من السنة المذكورة ، فنزل بقصبتها ورتّب الأُمور ، وبقى حتى مات بتونس سنة عشرين وستمائة ، ومات المستنصر المقدم ذكره ، وصار الأَمر بعده لعبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المؤمن ، فولى على إفريقية أَبا زيد بن أَبى العُلَى ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الناصر .

وكان الغرب الأَوسط والغرب الأَقصى وما بقى مع المسلمين من الأَندلس بيد أَبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أَيضا ، فبقى بيده حتى مات سنة ثمانين وخمس مائة ، وملك بعده ابنه يعقوب بن يوسف ، عقب وفاته بإشبيلية من الأَندلس ، وتلقب بالمنصور ، واستولى على ما كان بيد أَبيه من الممالك ، ومات بالأَندلس سنة خمس وتسعين وخمس مائة ، وولى بعده ابنه محمد ، وتلقب بالناصر لدين الله ، ورجع إلى بلاد المغرب وبقى حتى مات فى مراكش فى شعبان سنة تسع وستمائة ، وولى ابنه يوسف بن محمد سنة إحدى عشرة وستمائة ، ولقب المستنصر بالله ، وبقى إلى ما بعد خلافة الناصر .

(١١٥ ب) الخامس والثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق

الظاهر بأمر الله [١]

وهو أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله المقدم ذكره . كان عادلا حسن السيرة جوادا كثير الإحسان للعلماء ونحوهم . بويع له بالخلافة يوم مات الناصر فى أول شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وبقى حتى توفى فى رابع عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، فكانت خلافته تسعة أشهر [٢] وأعمار الجياد قِصار .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة أظهر العدل ، وأزال المكوس ، وأخرج المسجونين من السجن ، ومشى على مذهب أهل السنة ، وترك ما كان عليه أبوه من التشيع ، وظهر للناس وكان الناصر ومن قبله لا يظهرون إلا نادرا ، قال المؤيد صاحب حماة : ومما أزاله من المنكرات أنه كان بخزانة الخليفة صنجة زائدة ، زيادتها فى كل دينار حبة ،

---

(١) ولد سنة ٥٧١ كما فى تاريخ الخلفاء السيوطى ١٨٤

(٢) فى ابن الأثير جـ ١٢ ص ١٨٨ « مدة خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوما » وهو ما يتفق مع حساب توليه ووفاته .

يقبضون بها المـال ، ويعطون بالصنجـة التى يتعامل بها الناس ، فأبطل تلك الصنجـة الزائدة وبذل المال عـلى المحبوسين على الدَّين ، وزاد فى بِرّ العلماء ومن فى معْناهم .
أَولاده منهم المستنصر الآتى ذكره .

ولايات الأَمصار فى خلافتـه

كان على مصر العادل أَبو بـكر بن أَيوب ، وبقى حتى توفى بدمشق سنة خمس عشرة وستمائة ، وملك بعده ابنـه الملك الـكامل محمد ، وهو أَول من سـكن قلعة الجبل بعد قصر الفاطميين بالقاهرة .

وكان على دمشق المعظم عيسى بن العادل أَبى بـكر ، ولما مات أَبوه العـادل واستقر أَخوه الـكامل محمد بن العادل بمصر بعـد أَبيه خطب له بدمشق دون نفسه ، وبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكـانت حلـب بيد الظاهـر غـازى بن السلطـان صلاح الدين ، وهو يخطب بهـا لعمه العـادل أَبى بـكر صاحب مصر ، وبقى حتى توفى سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وعهـد بملك حلب بعده لابنـه الملك العـزيز (١١٦ ا)

محمد ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكانت حماة بيد الملك الناصر صلاح الدين قليج بن المنصور محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أَيوب ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكانت طرابلس وصَفَد للفرنج .

وكانت الكَرَك بيد المعظم عيسى بن السلطان صلاح الدين ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكانت حمص بيد المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادى بن أَيوب[1] ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكانت بعلبك بيد الملك الأَمجد بهرام شاه بن عز الدين فرخ شاه بن شاهنشاه بن أَيوب ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكانت مكة بيد أَطسيس صاحب اليمن بن الكامل محمد بن العادل أَبى بكر بن أَيوب ، فبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر .

---

(١) « بن ايوب » هنا لعلها مقحمة .

وكان على اليمن عليّ بن رسول جد ملوكها الآن ، فبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكان ما وراءَ النهر بيد بنى جنــكزخان .

وكان على إفريقية أَبو زيد بن أَبى العلاء ، وولى بعده أَبو محمد عبد الله بن أَبى محمد عبد الواحد بن الشيـــخ أَبى حفص ، فبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكان الغرب الأَوسط والغرب الأَقصى وما بقى مــع المسلمين من الأَندلس بيد المستنصر يوسف بن محمد ، فبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر ، غير أَن بنى عبد الواد ، ومن والاهم من زِنَاته من البربر ، كانوا غلبوا على ضواحى تلمسان ، والرياسة فيهم يومئذ لبنى القاسم بن عبد الواد ، وهم يقولون : إن بنى القاسم من الأَدارسة العلويين ، وآلت رياستهم إلى جابر بن يوسف بن محمد ، من عقب القاسم المذكور .

وكانت تلمسان بيد المأْمون بن عبد المؤمن ، من الموحدين ، فولاها لأَخيه سعيد ، فبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر .

(١١٦ ب) السادس والثلاثون
من خلفاء بنى العباس بالعراق
المستنصر بالله (١)

وهو أبو جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله المتقدم ذكره . كان على ما كان عليه أبوه من العدل وحسن السيرة . وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه فى رابع عشر شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وبقى حتى توفى يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة ، وكانت خلافته سبع عشرة سنة إلا شهرا . وكان له من الأولاد المستعصم الآتى ذكره

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى أيامه فى سنة [أربع وعشرين وخمس وعشرين خرج التتر على بلاد الإسلام ، وفى سنة] (٢) ثمان وعشرين وستمائة خرج التتر ثانيا على بلاد الإسلام ، وعاثوا فسادا ، وضعف جلال الدين بن خوارزم شاه عن مقاومتهم .

(١) ولد فى صفر سنة ٥٨٨ وأمه جارية تركية ، انظر تاريخ الخلفاء ص ١٨٥

(٢) زيادة يقتضيها السياق اقتبستها من ابن الأثير جـ ١٢ ص ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٤

وفى سنة خمس وعشرين [1] وستمائة تسلم الفرنج القدس بالصلح .

وفى سنة تسع وعشرين فتح السلطان الملك الكامل آمد من بلاد الجزيرة ، وفى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة سار الناصر داود صاحب الكَرَك من الكرك إلى بغداد ملتجئا إلى الخليفة المستنصر ، لما حصل عنده من الخوف من عمه الكامل ، وقدم للخليفة تحفا عظيمة وجواهر نفيسة ، فأكرمه الخليفة وخلع عليه وعلى أصحابه ، وكان الناصر داود متطلعاً إلى أن يُحضِره الخليفة فى مَلإٍ من الناس ، وطلب ذلك مرارا فلم يجبه الخليفة إلى ذلك مراعاة لخاطر عمه الكامل صاحب مصر ، فكتب إليه أبياتا تتضمن الاستعطاف ، فجمع بين المصلحتين واستحضره ليلا ، ثم عاد الناصر بعد ذلك إلى الكرك .

ومن غرائب الاتفاق فى أيامه أنه وقع خلف بين ملوك بنى أيوب بالديار المصرية والممالك الشامية ، فبعث الخليفة المستنصر محيي الدين بن الجوزى ليصلح بينهم ،

---

(١) في ابن الأثير حـ ١٢ ص١٩٦ أن ذلك كان سنة ست وعشرين وستمائة .

فاتفق أنه مات فى حضوره فى سنة (١١٧ ا) أربع وثلاثين وسنة خمس وثلاثين أربعة سلاطين ، وهم الكامل ، صاحب مصر ، وأخوه الأشرف صاحب دمشق ، والعزيز صاحب حلب ،وكيقباد صاحب بلاد الروم ، فقال فى ذلك المستخف الشاعر :

يا إمام الهدى أبا جعفر المنـ
صور يا من له الفخار الأثيلُ
ما جرى من رسولك الآن محيي الـ
ـدين فى هذه البلاد قليلُ
جاء والأرض بالسلاطين تُزْهَى
وغدا والديارُ منهم طُلولُ
أقفر الروم والشآم ومصر (١)
أفهذا مُغَسِّلٌ أم رسول

وبنى المدرسة المستنصرية ببغداد فى الجانب الشرقى منها على دجلة مما يلى دار الخلافة ، وجعل لها أوقافا جليلة .

---

(١) في الأصل « الشمال ومصر » والتصويب من السياق .

ووقف أيضا أوقافا على جهات البر . وفى أيامه سنة تسع وثلاثين وستمائة كُسفت الشمس كسوفا كاملا حتى ظهرت النجوم وأظلمت الدنيا ، وأُوقدت السُّرُج فى الدكاكين والحمامات ، ثم انجلت بعد ذلك .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ، فبقى حتى توفى بدمشق سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وملك بعده ابنه الملك العادل أبو بكر ، وقُبض عليه فى العشر الأوسط من ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة ، وملك بعده أخوه[1] الملك الصالح نجم الدين أيوب فى أوائل سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكان على دمشق المعظم عيسى بن العادل أبى بكر ، فتوفى سنة أربع وعشرين وستمائة ، وملك بعده ابنه الملك الناصر صلاح الدين داود وهو صغير ، وقام بتدبير

(١) في الأصل : بعده ابنه الملك الصالح . . .

دولتــه عز الدين أَيبك المُعَظَّمى ، ثم سار الملك الكامل [1] محمد بن العادل أَبى بكر من مصر إلى دمشق وتسلمها من الناصر داود فى سنة ست وعشرين وستمائة ، وعوضه عنها الكَرَك والبلقاء والصلب والأَغوار ، واستخلف عليها أَخاه [2] (١١٧ ب) الملكَ الأَشرف مظفر الدين موسى بن العــادل أَبى بــكر بن أَيوب ، فبقى بها حتى توفى سنـــة خمس وثلاثين وستمائة ، وملــكها بعــده أَخوه الملك الصالح إسماعيل بن العادل أَبى بكر بن أَيوب بعهــد منه [3] فبقى بهــا حتى سار إليـــه أَخوه الملك الــكامل محمد بن العادل أَبى بــكر صاحب مصر فانتزعها منـــه فى جمادى الأَولى سنـــة خمس وثلاثين وستمائة ، وعوضه عنها بعلبك ، فبقى حتى توفى فيها فى السنـــة المذكورة ، فولوا مــكانه الملك الجواد يونس بن مودود بن العــادل أَبى بــكر بن أَيوب ، فبقيت بيده حتى قـــدم عليه الملك الصـــالح نجم الدين أَيوب بن الــكامل محمد بن العــادل أَبى بكر من ميافارقين ، وتسلمها منـــه فى سنـــة ست وثلاثين وستمائة ، ثم خرج منها الملك الصالح عند وفاة أَبيـــه

(١) فى صبح الأعشى جـ ٤ ص١٦٦ الملك الناصر محمد بن العادل أبى بكر .

(٢) فى الأصل ابن أخيه والتصويب من صبح الأعشى وابن الأثير جـ ١٢ ص ٢٠٠

(٣) فى الأصل : «بعهد من أبيه» والتصويب من صبح الأعشى .

الملك الكامل يريد ملك الديار المصرية عوضاً من أبيه ، وأقام مكانه فى دمشق ابنه الملك المغيث فتح الدين عمر نائبا عنه ، فوثب عليه صاحب بعلبك الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر بن أيوب فى سنة سبع وثلاثين وستمائة ، فقبض عليه وملكها ، وبقى بها إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت حلب بيد الملك العزيز محمد بن الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين ، فبقى بها حتى توفى فى ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وملكها بعده ابنه الملك الناصر يوسف وعمره سبع سنين ، وقام بتدبير دولته أمراؤه وجَدَّته لأبيه ضيفة خاتون ، وكانت من المرجوع إليها فى أمور المملكة ، وبقيت بيده إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت طرابلس وصَفَد بيد الفرنج .

وكانت حماة بيد الناصر قليج بن المنصور محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، فبقيت بيده حتى انتزعها منه أخوه الملك المظفر محمود فى سنة ست وعشرين وستمائة ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت (١١٨ ا) الكرك بيد المعظم عيسى ، فبقيت بيده إلى أن استضاف إليها دمشق على ما تقدم ، وتوفى سنة أربع وعشرين وستمائة ، وملكها بعده ابنه الملك الناصر صلاح الدين داود ، ثم انتزع عمه الكامل محمد بن العادل دمشق منه فى سنة ست وعشرين وستمائة ، على ما تقدم ، وبقى معه الكرك وعملها ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر ، بعد أن أُخذت منه غالب بلاده .

وكانت حمص بيد المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه ، فبقى بها حتى توفى سنة سبع وثلاثين وستمائة ، وملكها بعده ابنه الملك المنصور إبراهيم ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت بعلبك بيد الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه ، فبقيت بيده حتى انتزعها منه الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل أبى بكر فى سنة سبع وعشرين وستمائة وعوضه منها الزبدانى وغيره ، وصارت مضافة إلى دمشق إلى أن ملكها أخوه الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبى بكر فى سنة خمس وثلاثين ، ثم استقرت للصالح المذكور بمفردها عوضا عن دمشق فى السنة المذكورة ، لما

انتزع دمشق منه أخوه الملك الكامل محمد صاحب الديار المصرية ، ثم استقرت بيد أولاده بعده ، فلما انتزع الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب الديار المصرية دمشق من الصالح إسماعيل المذكور ، انتزعها منه وسلمها لنائبه حسام الدين بن أبي على ، وبقيت بيده إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت مكة بيد أطسيس بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، فبقى بها حتى مات بها سنة ست وعشرين وستمائة ، وبقى على مكة قائده فخر الدين بن الشيخ ، وقصد راجحُ بن قتادةَ مكة مع عساكر عمر بن على بن رسول صاحب اليمن ، فملكها من يد فخر الدين بن الشيخ سنة تسع وعشرين وستمائة ، ثم أرسل صاحب مصر عسكرا إلى مكة فى سنة ثنتين وثلاثين وستمائة (١١٨ ب) مع أمير اسمه جبريل ، فملكوها ، وهرب راجحٌ إلى اليمن ، ثم عاد ومعه عمر بن علي بن رسول بنفسه ، فهربت عساكر مصر ، وملك راجح مكة وخطب لعمر بن [علي بن] رسول بعد الخليفة

المستنصر ، وبقيت بيد راجح إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت المدينة بيد شيحة [بن سالم] بن قاسم ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكان اليمن بيد علىّ بن رسول ، فمات سنة ثلاثين وستمائة ، وملك بعده ابنه عمر بن علىّ بن رسول ، وخرج عن طاعة بنى أيوب ملوك مصر ، وتلقب بالمنصور ، وبقى حتى قتل فى سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وملك بعده ابنه الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر وصفا له ملكُ اليمن وطالت مدته ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت خراسان وما وراء النهر بيد بنى جنكزخان .

وكانت إفريقية بيد أبى محمد عبد الله بن عبد الواحد ، ابن الشيخ أبى حفص من الموحدين ، فبقى بها حتى انتزعها منه أخوه أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد ، ودخل تونس وملكها فى رجب سنة خمس وعشرين وستمائة ، وفتح قسنطينة وبجاية وانتزعهما من بنى عبد المؤمن فى سنة ست وعشرين ، ثم ملك من يديهم

تلمسان بعد ذلك وبايعه أهل الأَندلس ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكان المغرب الأَقصى بيد المستنصر يوسف بن محمد من بنى عبد المؤمن ، فتوفى فى يوم الأَضحى سنة ست وعشرين وستمائة ، وملك بعده أَبو محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن المعروف بالمخلوع ، وكان [الوالىَ] بمُرْسِيةَ من الأَندلس أَبو محمد عبدُ الله بن يعقوب بن المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ، فدعا لنفسه وتلقب بالعادل ، ووصل خبر ذلك لمراكش ، فاضطرب الموحدون وبَايَنُوا المخلوعَ ، وبعثوا ببيعتهم إلى العادل بالأَندلس ، فسار العادل إلى مراكش فدخلها ، وبقى بها (١١٩ ا) حتى قتل فى أَول شوال سنة سبع وعشرين وستمائة ، وكان أَخوه إدريس بإِشبيلية من الأَندلس ، فدعا لنفسه وبُويع ، وبعث الموحدون ببيعتهم إليه ، ثم قصد مَرَّاكُشَ فهلك فى طريقهِ مُفتتحَ سنةِ ثلاثين وستمائة .

وتغلَّب إدريس بن هُود على الأَندلس وانتزعه من الموحدين ، واستقَلّ به ،وبويع بعده ابنه المأَمون عبد الواحد

ابن إدريس وتلقّب بالرشيدِ ، ودخل إلى مراكش فبايعوه ، وبقى حتى توفى سنة أربعين وستمائة ، وبويع بعده أخوه السعيد أبو الحسن علىٌّ ، ولُقِّب المعتضد بالله ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكان أبو دَبُّوس محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر قد ثار بشرق الأندلس فى سنة تسع وعشرين وستمائه ،وخطب للأمير أبى زكريا يحيى صاحب إفريقية من بَقِية الموحدين ،وأطاعته جَيَّان وشَرِيش من الأندلس فى السنة الثانية من ولايته ، ثم بايع لابن هود سنة إحدى وثلاثين وستمائة عند وصول تقليدخليفة بغداد إليه ، ثم تغلب على إشبيلية سنة ثنتين وثلاثين وستمائة ،وانتزعها من ابن هود ، ثم رجعت إلى ابن هود بعد شهر ؛ ثم تغلّب على غَرْناطَه سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وبايعوه وهو بجَيَّانَ ،فقدم إليها ونزلها وابتنى بها حِصْنَ الحمراء ، وهو المُعَبَّر عنه بالقصبة الحمراء ، والمراد بالقصبة القلعة ، وهى مقر ملك بنيه إلى الآن ، ثم تغلب على مالَقَة وأخذها من يد عبدالله بن زنون الثائر بها بعد موت ابن هود ، وبقى إلى مابعد خلافة المستنصر .

السابع والثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المستعصم بالله [1]

(١١٩ب) وهو أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله المقدم ذكره ، كان ضعيف الرأى والبصر بتدبير الأمور ذَا طمع [2] ، بويع له بالخلافة عقب موتِ أبيه المستنصر لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة باتفاق من أهل الدولة ،وبقى حتى قتله التتر فى [3] وقعة هُولاكو فى المحرم سنة ست وخمسين وستمائة ،فكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة ،وكان له ولد اسمه أبوبكر .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولي الخلافة استبد كبراء دولته بالأمر ،وحسّنوا له قطع الأجناد ومداراة التتر ،ففعل ذلك وأبطل أكثر العساكر ، وكان التتر من أولاد جنكزخان قد خرجوا على بلاد الإسلام

---

(١) آخر الخلفاء العراقيين ولد سنة تسع وستمائة وأمه أم ولد اسمها هاجر . انظر تاريخ الخلفاء ص ١٨٦

(٢) في الأصل : ذو طمع .

(٣) بهامش الأصل بخط مختلف ما يأتى : يظهر ماذكره من خلع التتر ملكه ودولته في بغداد ، والحاصل أن خلافتهم مجرد اسم ليس معهم استبداد واستقلال .

على ما تقدم وملكوا أكثر بلاد الشرق والشمال ، وكان أهل الكَرْخ من محلات بغداد رافضة ، فجرى بينهم وبين أهل السنة فتنة ببغداد ، فأمر أبوبكر بن الخيلفة المستعصم ركن الدين دوادار العسكر ونهبوا الكرخ وهتكوا النساء ، وزادوا فركبوا منهن الفواحش وكان للمستعصم وزير يقال له مؤيد الدين بن العلقمى رافضىّ ، فشق ذلك عليه ،فكتب إلى هولاكو بن طولى بن جنكزخان ملك التتر وأطمعه فى البلاد ، فخرج هولاكو للاستيلاء على بلاد الخليفة ، وكان بركة بن طوجى خان صاحب بلاد الشمال التى قاعدتها الآن السراى قد أسلم على يد الباخرزى أحد مشايخ الصوفية ، وأوصاه بالخليفة المستعصم ، وكتب بركة إلى الخليفة يعرفه ذلك ، وأنه معاضده وناصره ، وانتظمت الصحبة بينه وبين الخليفة ،فمرَّ هولاكو على بركة قاصدا (١٢٠) بغدادَ ، فاعترضه بركةُ ومنعه من ذلك وقال : إن الخليفة صاحبي ، فلا سبيل إلى وصولك إليه ،وإن لم ترجع عنه حاربتك ،فتوقف هولاكو حينئذ عن قصد بغداد سنتين

---

(١) في هامش الأصل ما يأتى بخط مختلف «وكان ماجرى على أهل بغداد خصوصا من حكومة العباسيين من هتك حرمات أهل الكرخ وإن كانو شيعة كان أكثرهم سادات فكـان هتك العرض منهم خصوصا البنات مايعتبر جريمة عظيمة منهم .

حتى مات بركة ، فقصد بغداد حينئذ ، وكان عسكر بغداد قبل ولاية المستعصم مائة ألف فارس ، فقطعهم المستعصم ليحمل إلى التتر متحصل إقطاعاتهم ، فصار عسكرهـا دون عشرين ألف فارس ، ولما قارب التتر بغداد خرج عسكر الخليفة لقتالهم ، ومقدمهم ركن الدين الدوادار ، فالتقوا على مرحلتين من بغداد ، وجرى بينهم قتال شديد انهزم فى آخره عسكر الخليفة ، ودخل بعضهم بغداد منهزما ، وسار بعضهم إلى جهة الشام ، ونزل هولاكو ملك التتر على بغداد من الجانب الشرقى ، ونزل أميران من أُمرائه من الجانب الغربى قبالة دار الخلافة ، وخرج الوزير مؤيد الدين بن العلقمى إلى هولاكو فتوثّق منه لنفسه ، وعاد إلى الخليفة المستعصم وقال : إن هولاكو يبقيك فى الخلافة كما فعل بسلطان الروم ، ويريد أن يزوج ابنته من ابنك أبى بكر ، وحسّن له الخروج إلى هولاكو ، فخرج إليه المستعصم فى جمع عظيم من أكابر أصحابه ، فأنزله فى جهة ، ثم استدعى الوزيرُ الفقهاءَ والأماثل ، حتى اجتمع هناك جميع سادات بغداد من العلماء وغيرهم ، وصار أهل بغداد يخرجون إلى التتر طائفة بعد طائفة ، حتى تكاملوا ،

فبذل فيهم التتر السيف ، وقتلوهم ، ولم ينج منهم إلا القليل وهجموا [1] دارَ الخلافةِ ، وقتلوا كل من فيها من الأشراف والأكابر ولم يسلم منهم إلاَّ من كان صغيراً فأُخذ أَسيرا ، ودام القتل والنهب فى بغداد أَربعين يوما ، ثم نودى بالأَمان ، وقُتِل الخليفةُ المستعصم ولم يُوقف على كيفية قتله ، فقيل : خُنق ، وقيل : جعل فى عِدْل ورُفِس حتى مات ، وقيل : غرق فى دجلة ، واستبقى (١٢٠ب) هولاكو الوزيرَ [ابن] العلقميَّ مدة يسيرة فى الوزارة ثم قتله [2]

ومما وقع فى أَيامه بالديار المصرية أَن الفارس أَقطاى أَحد أُمراءِ الملك الصالح نجم الدين أَيوب كان قد وقع بينه وبين الملك المعز أَيبك التركمانى صورة ، فعمل الملك المعز الحيلة فى أَمره حتى قتله ، فتغيّر أَصحابه من ذلك وخرجوا قاصدين الشام من جهة سوق الغنم ، فوجدوا الباب مغلقا ، فأَحرقوه وخرجوا منه ، فسمى الباب المحروق ، وبذلك يعرف إلى الآن

---

(١) هجم البيت : هدمه . ولعل الأصل : هجموا على

(٢) في هامش الأصل ما يأتى بخط مختلف : وهولاكو أحسن في قتله الوزير العلقمى لأن من خان الصاحب وملته القديمة فخيانته عليه أظهر وأشهر . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها.

وفى أيامه فى سنة سبع وأربعين وستمائة ملك الفرنسيسُ ملكُ الفرنج مدينةَ دمياط وأقام بها حتى مات الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فارتحل فنزل مقابل المنصورة ، ثم كانت الكسرة على الفرنسيس فى سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فقُتل من عسكره نحو ثلاثين ألفا وأُسر الفرنسيسُ ملكُهم .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ، وتوفى لأربع عشرة ليلة مضت من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة ، وملك بعده ابنه الملك المعظم تُوران شاه ، وهو الذى كسر الفرنج على المنصورة فى المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة ، ثم قُتل فى الثامن والعشرين من الشهر المذكور وملكت بعده أُمُّ خليل شجرة الدُّرِّ[1] زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور ، فى صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فأقامت ثمانية أشهر ، ولم يملك مصر فى الاسلام امرأة غيرها ، ثم خلعت وملك بعدها الملك الأشرف موسى بن الناصر

(١) في الأصل «شجرة در» و كذلك جاءت بعد ذلك .

يوسف بن الملك المسعود بن الكامل محمد بن العادل أَبى بكر ، بن أَيوب فى شوال سنة ثمان وأَربعين وستمائة ، وخُلع لوقته[1] ، وهو آخر الملوك الأَيوبية بالديار المصرية .
ودخلت بعده الدولة التركية ، وأَول من ملك منهم بعد الأَشرف موسى الملكُ (١١٢١) المعز أَيبك التركمانى ، فى شهر شوال سنة ثمان وأَربعين وستمائة ، وجُمع له بين مصر والشام ، وبنى المدرسة المُعِزِّيّة برحبة الخَرُّوب بالفُسطاط وتزوج أُم خليل شجرة الدر المقدم ذكرها ، وكان ملكا حازما ، إلا أَنه استوزر شخصا من كتاب القبط اسمه شرف الدين بن ساعد الفائزى ، كان قد أَسلم فى الدولة الأَيبوية وأَحدث مظالم ، ورتَّب مكوسا على جهات متعددة ، ثم ما كفاه ذلك حتى سماها حقوقا ، وأَخذ فى مصادرات الناس فكان سيئة من سيئات المعز ، وبقى المعز حتى قُتل بحَمَّام القلعة فى سنة أَربع وخمسين وستمائة ، وملك بعده ابنه الملك المنصور علىٌّ بن أَيبك ، وقُتِلت أُم خليل المذكورة ورُميت من سور القلعة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم .

وكان على دمشق الملك الصالح إسماعيل بن العادل

(١) فى صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٣٣ : وخلع نفسه .

أبي بكر بن أيوب ، فبقى بها حتى ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد صاحب الديار المصرية ، فجهّز إلى دمشق عسكرا صحبة معين الدين بن الشيخ ، فتسلمها من الصالح إسماعيل فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة . ومات معين الدين المذكور ، فتسلمها الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور من حسام الدين بن أبى علىٍّ فى السنة المذكورة ،وبقى نائبا بها حتى استدعاه الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور إلى الديار المصرية فى سنة أربع وأربعين وستمائة ،وأقام مكانه فى نيابة دمشق جمال الدين يغمر ،وبقيت دمشق بيد نواب الصالح المذكور حتى مات فى سنة سبع وأربعين وستمائة ، فسار الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد صاحب حلب [إلى] دمشق ،وملكها فى سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وبقى بها إلى ما بعد خلافة المستعصم .

وكانت حلب بيد الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد ابن الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ،واستضاف إليها دمشق ، على ما تقدم ،وبقيا بيده إلى ما بعد خلافة المستعصم

وكانت طرابلس وصفد بيد الفرنج .

وكانت حماة (١٢١ب) بيد المظفر محمود ، فبقى حتى توفى فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وملك بعده ابنه الملك المنصور محمد ، فبقى بها إلى مابعد خلافة المستعصم .

وكانت الكرك [(١)] بيد الناصر صلاح الدين داود ابن المعظم عيسى إلى سنة سبع وأربعين وستمائة ، فاستخلف عليها ابنه الملك المعظم عيسى ، وسار إلى حلب فلجأ إلى الملك الناصر صاحب حلب ، فبقى عنده إلى أن بعث إليه الملك الصالح نجم الدين أيوب من تسلمها [(٢)] فى تلك السنة ، وأقام بدر الدين الصوابى الصالحى نائباً ، وبقى الناصر داود بعد ذلك مُشَرَّداً فى البلاد إلى أن مات . وكان الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر معتقلا بالشَّوْبك ، فأخرجه [الصوابىّ] نائب الكرك ، وملّكه الكرك ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة المستعصم .

---

(١) فى الأصل «وكانت حمص والكرك» وستأتى حمص .

(٢) فى الأصل : من تسلمه .

وكانت حمص بيد الملك المنصور إبراهيم بن المجاهد شيركوه ، فبقى بها حتى توفى سنة أربع وأربعين وستمائة ، وملكها بعده ابنه الملك الأشرف مظفر الدين موسى ، فبقيت فى يده إلى أن وثب عليه الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب دمشق المتقدم ذكره فى سنة ست وأربعين وستمائة ، فانتزعها منه ، واستضافها إلى دمشق وحلب ، وبقيت بيده إلى أن كان من أمره مع التتر ما كان .

وكانت بعلبك بيد حسام الدين بن أبى علىّ ، نيابةً عن الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب الديار المصرية ، ثم ملكها الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد حين ملك دمشق سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فبقيت بيده إلى أن كان من أمره مع التتر ما كان .

وكانت مكة بيد راجح بن قتادة وهو يخطب لعمر بن علىّ [1] بن رسول صاحب اليمن ، ثم غلب عليها سنة سبع وأربعين وستمائة أبو سعيد [2] الحسن بن علىّ بن

(١) في الأصل لعلى بن رسول .

(٢) فيصبح الأعشى : أبو سعد .

قتادة ، ولحق راجح باليمن ، وسار جَمَّاز بن حسن بن قتادة سنة إحدى وخمسين وستمائة إلى الناصر بن العزيز بدمشق مستجيشاً عليه ليقطع ذكر صاحب اليمن (١١٢٢) من الخطبة ، فجهز له عسكرا وسار إلى مكة ، فقَتَلَ أَبا سعيد بالحرم وملك مكة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم .

وكان على المدينة سنجر بن قاسم ، فبقى حتى قُتل فى سنة سبع وأَربعين وستمائة ، وولى مكانه ابنه عيسى ، ثم قبض عليه أَخوه جمَّاز سنة تسع وأَربعين وستمائة وملك مكانه .

قال ابن سعيد : وفى سنة إحدى وخمسين وستمائة كان بالمدينة أَبو الحسن [1] بن شيحة بن سالم ، وقال غيره : كان بالمدينة سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وولى أَخوه جمَّاز وطال عمره ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم .

وكان على اليمن المظفر يوسف بن عمر بن علىّ بن رسول ، وطالت مدته [2] وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم .

---

(١) فى صبح الأعشى حـ ٤ ص ٣٠٠ أبو الحسين . وانظر سنجر بن قاسم وعيسى

(٢) فى الأصل : بيده .

وكان ما وراءَ النهر وخراسان وغزنة وما مع ذلك بيد بنى جنكزخان .

وكانت مملكة الشمال المعروفة قديماً ببيت بركة ، والآن بمملكة أَزبك ، وقاعدتها مدينة السراى التى بناها بركة خان قد جعلها جنكزخان لابنه طوش [1] خان ، ومات فى حياة أَبيه [2] جنكزخان ، وملك بعده ابنه باطوخان [3] ويقال صائن خان ، ومعناه الملك الجيد ، فبقى حتى مات سنة ثنتين وخمسين وستمائة ، وملك بعده أَخوه صرطق بن دوشى خان [4] ، ومات سنة أَربع وخمسين وستمائة ، وملك بعده أَخوه بركة بن دوشى خان ، وكان قد أَسلم على يد الشيخ شمس الدين الباخرزى [5] من أَصحاب الشيخ نجم الدين الكبرى صاحب الطريقة ، وحسن إسلامه ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم .

---

(١) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ٤٧٢ ابنه طوجى ويقال له دوجى أيضا .

(٢) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتى : كان جنكيز لعنه الله قسم تركستان وولايات ماوراء النهر والشمال بين بنيه الأربعة أوكتاى وجفناى وتوشى وتولى .

(٣) في صبح الأعشى : باتو .

(٤) انظر الهامش رقم ١ فان دوشي هي طوش وهي دوجي وطوجي .

(٥) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتى خالف ما سبق من أن هولاكو منعه بركة منخروج على المستعصم فلم يخرج هولاكوبعد موت بركة وأنه ترقب يوم موتهخرج له بخلاف ماذكرهنا .

وكانت إفريقية بيد أَبي زكريا يحيي بن عبد الواحد من الموحدين ، فبقى حتى مات لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وأَربعين وستمائة ، وبويع بعده ابنه ولى عهده المستنصر بالله أَبو عبد الله محمد بن أَبي زكريا ، ودخل تونس فى رجب من السنة المذكورة ، وهو أَول من تلقّب من الحفصيين من الموحدين بأَلقاب الخلافة ، وانتهى أَمره إلى أَن بويع له بمكة وبُعث بالبيعة إليه واستولى (١٢٢ ب) على ما كان بيد أَبيه من إفريقية وغيرها ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم .

وكانت تلمسان بيد أَبي سعيد بن عبد المؤمن من الموحدين من جهة أَخيه المأْمون ، فعزله أَخوه وولى عليها جابر بن يوسف من عقب القاسم بن عبد الواد من زناتة فى سنة أَربع وعشرين وستمائة ، ثم قتل فى سنة تسع وعشرين وستمائة وولى بعده ابنه الحسن بن جابر من جهة المأْمون ، ثم نزل عن ذلك لعمه عثمان بن يوسف ، فأَساء السيرة ، فأَخرجته الرعية فى سنة إحدى وثلاثين وستمائة وأَقاموا مكانه عمه وكدار بن زيان ، ثم قتل سنة ثلاث وثلاثين ، وولى بعده يغمراسن بن زيان من قبل بنى

عبد المؤمن ، فاستبد بالأَمر عليهم وتحلى بحلية الملك ، وجرى علي مرتبته ، ولم يبق ،عليهم غير الدعاء على المنابر ، ثم غلب أَبو زكريا سلطان الحفصيين بإفريقية على تلمسان ، وفوض أَمرها ليغمراسن ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم .

وكان الغرب الأَقصى وإشبيلية وما معها من الأَندلس بيد المعتضد بالله أَبو الحسن على بن إدريس من بنى عبد المؤمن من الموحدين ، فسار إلى تلمسان فمات بها فى صفر سنة ست وأَربعين وستمائة ، وفيها استولت الفرنج على إشبيلية من الأَندلس ، ثم اجتمع الموحدون على بيعة أَبى حفص عمر بن أَبى إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن فبايعوه ، ولقبوه المرتضى ، وكان بسَلاَ ، فقدم إلى مراكش وأَقام بها ، وفى أَيامه استولى أَبو يحيى بن عبد الحق المَرِينىّ على مدينة فاس سنة سبع وأَربعين وستمائة ، واستقرَّت فيها قدمه وقدم بنيه إلى الآن ، ثم خرج على المرتضى القائد أَبو العلا ، الملقب بأَبى دبوس بن أَبى عبد الله محمد بن أَبى حفص بن عبد المؤمن ، واجتمع عليه جموع الموحدين ، وقصد مراكش وبها المرتضى فغلبه عليها ، وفرّ المرتضى إلى أُزُمُّور ، فقبض عليه واليها واعتقله بها إلى

أن ورد عليه أمر أبي دبوس بقتله ، فقتله واستبد أبو دبوس بالأمر (١٢٣ ا) وتلقب الواثقَ بالله والمعتمد على الله ، فخرج عليه أبو يحيي زكريا بن عبد الحق المَرِينى ، وقصد مدينة فاس بعد أن استولى على كثير من بلادها ، فانتزعها من عامل بنى عبد المؤمن ، واستولى عليها فى أول سنة ست وأربعين وستمائة ، وملك سِجِلْمَاسة من أيدى الموحدين أيضا فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وبقى حتى مات بفاس فى رجب سنة ست وخمسين وستمائة ؛ وملك بعده ابنه عمر ، ثم قصد عمه يعقوب بن عبد الحق ، وانتزع منه مدينة فاس ، ومات ابن أخيه عمر بعد ذلك . وكانت مراكش قاعدة الغرب الأقصى يومئذ بيد أبي دبوس الملقب بالواثق المعتمد على الله من بنى عبد المؤمن ، فقصده يعقوب بن عبد الحق وانتزع منه مرّاكش فى سنة ثمان وستين وستمائة ، واستقل بملك الغرب الأقصى بأسره ، وانقرض ملك بنى عبد المؤمن منه ، ثم عاد إلى فاس وبنى المدينة التى استجدها ملاصقة لها ، ونزلها فى سنة أربع وستين [1] وستمائة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم .

(١) فى صبح الأعشى ح ٥ ص ١٩٧ سنة أربع وسبعين وستمائة .

وكانت غرناطة وما معها من شرق الأَندلس بيد أَبى دبوس محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأَحمر ، فأَخذ المَرِيّة من يد محمد وزير ابن هود الثائر بها سنة ثلاث وأَربعين وستمائة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم.

الفترة التى شغرت فيها الخلافة عن خليفة

وهى ما بين قتل المستعصم فى المحرم سنة ست وخمسين وستمائة إلى حين بايع الملك الظاهر بيبرس صاحب الديار المصرية المستنصر أَحمد بن الظاهر أَول الخلفاء بالديار المصرية فى رجب سنة ثمان[1] وخمسين وستمائة ، والملوك مستولية على الممالك شرقاً وغرباً .

الحوادث والماجريات فى هذه المدة

فى سنة سبع وخمسين وستمائة بعد استيلاء التتر على بغداد سار هولاكو (١٢٣ ب) ملك التتر من بغداد قاصدا الشام ، وعدّى الفرات بعساكره ونازل[حران وملكها واستولى على البلاد الجزرية وأَرسل ولده سموط بن هولاكو إلى الشام فوصل

(١) الذى في تاريخ الخلفاء ص١٩١ أن انقطاع الخلافة إلى رجب سنة ٦٥٩ وأن مدة الانقطاع ثلاث سنين ونصف وكذلك في تاريخ أبي الفداء حـ٣ ص٢٢٢ أن الخلافة بمصر كانت سنة ٦٥٩

إلى ظاهر حلب وفى سنة ثمان وخمسين وستمائة عبر هولاكو الفرات ونازل] [1] حلب واستولى عليها فى تاسع صفر من هذه السنة ، وبذلوا السيف فى المسلمين ، وصعد القلعة خلق عظيم من المسلمين ، ودام القتل والنهب فيها من تاسع صفر إلى رابع عشره ، فأمرهم هولاكو أن يرفعوا السيف ، ونادى بالأمان ، ولم يسلم من أهل حلب إلاّ من التجأ إلى أماكن معروفة كان بأيدى أهلها أمانات من هولاكو ، ويقال إن من سلم بهذه الأماكن كانوا نحو خمسين ألف نفس ، ودام الحصار على قلعة حلب حتى نزل من فيها بالأمان ، وأمر هولاكو بخراب أسوار حلب وأسوار قلعتها ، فخربت عن آخرها وأُحرقت زردخانتها . وتوجه [2] أهل حماة بالمفاتيح إلى هولاكو وطلبوا منه الأمان وشحنة [3] تكون عندهم ، ثم سار التترإلى دمشق واستولوا عليها وعلى سائر الشام ، وحاصروا قلعة دمشق حتى نزلوا بالأمان بعد مضايقة عظيمة فى منتصف جمادى الأولى من هذه السنة ، ونهبوا جميع ما فيها

---

(١) الزيادة من تاريخ أبى الفداء جـ ٣ ص ٢٠٨ و ٢٠٩

(٢) فى الأصل « وفتح أهل حماة » وانظر تاريخ أبى الفداء جـ ٣ ص ٢١٠ .

(٣) الشحنة فى البلد : من فيه الكفاية لضبطها .

وخربوا أَسوارها ، وكذلك استولوا على مَيَّافَارِقين ، وقتلوا صاحبها الكامل محمد بن المظفر غازى بن العادل أَبي بكر ، وكان النصارى بدمشق قد استطالوا بدقّ الناقوس وإِدخال الخمر الجامع ، فبلغهم حركة عسكر مصر إِليهم ، فوثبوا بالنصارى ونهبوهم وخربوا كنيستهم العظمى بها ، ووصل المظفر قطز صاحب مصر إِلى الشام ، وبقى التتر على عين جالوت ، فكانت الكسرة على التتر ، وقتل كتبغا نائب هولاكو ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِين كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ [1] وسار المظفر قطز بعد كسر التتر حتى دخل دمشق ، وابتهجت الرعايا بالنصر ، ثم عاد المظفر قطز بعد ذلك قاصداً الديار المصرية ، فقتل فى الطريق ، وملك الظاهر بيبرس ، على ما سيأْتى ذكره ، وكان المظفر قطز قد استناب سنجر على دمشق ، فلما ملك الظاهر بيبرس خرج عن طاعته ، وتسلطن بدمشق فى العشر الأَول من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين وستمائة .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٥

(١٢٤ ا) ولايات الأَمصار فى هذه المـــدة

كانت مصر بيد الملك المنصور علىّ بن المعز أَيبك ؛ وبقى حتى قبض عليه الملك المظفر قطــز فى سنـــة سبـــع وخمسين وستمائة ، واستولى على الملك مـــكانه ، وكـــان المصافّ بينـــه وبين التتر على عين جالوت بعد أَن استولوا على جميـــع الشام فى رمضان سنـــة ثمان وخمسين وستمائة ، فـــكسرهم أَشد كسرة ، واستقلع الشـــام منهم بعد أَن عجز كافة ملوك الشرق وعساكرها [عن] مقاومتهم واستولوا على الأَقاليم الشرقية والشمالية كإقليم ما وراءَ النهر من بـخارى وسمرقند وغيرهما وإقليم خوارزم ودشت [١] القـجاق وإقليم خراسان وعراق العجم وأَذربيجـــان وخوزستان وبلاد فارس والجزيرة الفراتية وبلاد الروم وبلاد الشام وغير ذلك . واجتمع له ملك الديار المصرية والبـــلاد الشامية ، وتداول ملوك مصر ذلك بعده إلى زماننا ، على ما سيأْتى ذكره ، وبقى حتى قُتل فى مُتَصيَّده وهو عائد من الشام بالقرب من قُصير الصالحية ، على إثر ذلك من السنـــة المذكورة ، وملك بعده الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وأَخذ فى جهاد الفرنج ، واستعاد

(١) لعلها : دست .

ما ارتجعوه من فتوح السلطان صلاح الدين يوسف بن أَيوب وغير ذلك ، ففتح إلبيرة والكرك وحمص وقيسارية وأَرْسُوف وصَفَد ويافا والشقيف وأَنطاكية وحصن الأَكراد وعكَّا وصافيتا وقلاعا من بلاد سيس ، وكسر التتر على إلبيرة بعد أَن عدى الفرات خوضا بعساكره ودخل بلاد الروم وانتزع قيساريّة من يد التتر ، وجلس على تخت آل سلجوق بها ، وبنى المدرسة الظاهرية بالقاهرة بين القصرين ، وبقى إلى ما بعد هذه الفترة .

وكانت دمشق وحلب بيد الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أَيوب ، فبقيت بيده حتى استولت عليهما التتر فى سنة ثمان وخمسين وستمائة ، ثم انتزعهما منهم المظفر (١٢٤ب) قطز صاحب الديار المصرية ، واستولى عليهما وعلى سائر البلاد الشامية ، وقبض عليه الظاهر بيبرس وملك بعده ، وبقى إلى ما بعد هذه المدة على ما تقدم .

وكانت طرابلس قد بقيت بيد الفرنج بعد فتح الظاهر صفدَ .

وكانت حماة بيد المنصور محمد بن المظفر محمود ، فبقى بها حتى غلب هولاكو على البلاد الشامية ، فهرب إلى مصر صحبة الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب فى جماعة من بنى أيوب ، فأكرم المظفر قطز صاحب الديار المصرية نُزُله ، فلما كسر المظفر التتر أعاده إلى حماة على ما كان عليه من السلطنة ، فبقى بها إلى ما بعد هذه المدة .

وكانت الكرك بيد الملك المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ، فبقى بها إلى ما بعد هذه الفترة .

وكانت حمص وبعلبك بيد الناصر يوسف مضافتين إلى حلب ودمشق ، وكان من أمره ما كان من مصيره إلى الديار المصرية ولحوقه بقطز صاحبها وانتزاع قطز البلاد الشامية من أيدى التتر ، فصارت فى جملة نيابات صاحب الديار المصرية .

وكان ما وراء النهر وخراسان وغزنة وعراق العجم وأرمينية وأذربيجان وسائر مملكة إيران بيد هولاكو بن طولى بن جنكزخان .

وكانت مملكة الشمال بيد بركة بن درجى خان ، وبقى بركة إلى ما بعد مدة الفترة .

وكانت مكة بيد جمَّاز بن حسن بن قتادة ، فوصل عمه راجح بن قتادة إلى مكة وقد كبر سنه ، فاستولى على مكة ، وأخرج جمازا منها ، فلحق بالينبع ، ثم دار أمر مكة بين أبي نمى محمد بن أبي سعد بن على بن قتادة ، وبين غالب بن راجح ابن قتادة ، وبقى الأمر على ذلك إلى ما بعد هذه الفترة .

وكانت المدينة بيد جماز بن شيحه ، فبقى إلى ما بعد هذه المدة .

وكان ما وراء النهر وخراسان وما معها بيد بنى جنكزخان[1] .

وكانت إفريقية بيد المستنصر بالله أبي عبد الله محمد بن أبي زكريا يحي بن عبد الواحد من الموحدين ، فبقى إلى ما بعد هذه المدة .

---

(١) تكرر هذا الكلام في هذه الصفحة والتي قبلها .

وكانت تلمسان والغرب الأَوسط بيد يغمراسن (١٢٥ ا)
ابن زيان من جهة المستنصر بن أَبى زكريا صاحب إفريقية ،
فبقى إلى ما بعد هذه المدة .

وكـان الغرب الأَقصى بيـد أَبى يوسف يعقوب بن
عبد الحق ، فبقى إلى ما بعد هذه المدة .

وكانت غرناطة وما معها من الأَندلس بيد أَبى دبوس
محمد بن الأَحمر ، فبقى إلى ما بعد هذه الفترة .

* * *

الطبقة الرابعة من الخلفاء

خلفاء بنى العباس بالديار المصرية من حين انتقال الخلافة إليها وإلى زماننا ، وهم أحد عشر خليفة

الأول منهم : المستنصر بالله

وهو أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله محمد بن الناصر لدين الله المقدم ذكره ، والعامة تسميه الزرابينى[1] . بويع له بالخلافة بالديار المصرية فى شهر رجب سنة ثمان[2] وخمسين وستمائة ، وقام ببيعته السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى صاحب الديار المصرية ، وهو أول خليفة واطأ لقبه لقب خليفة قبله ، تلقيبا له بلقب أخيه المستنصر بالله أبى جعفر المنصور بن الظاهر بالله المقدم ذكره ، وكانوا قبل ذلك يقتضبون لكل خليفة يتولى لقبا لم يكن لأحد قبله ، وكأنه إنما لقب بذلك تفاؤلا للاستنصار بالله على التتر . وكان من شأنه أنه حضر مع

---

(١) فى الأصل : «الزراتيتى» والتصويب من تاريخ أبى الفداء ح ٣ ص ٢٢٢ ويبدو أن سبب هذه التسمية لأنه كان أسود اللون .

(٢) تقدم ما ذكرته عن أبى الفداء وتاريخ الخلفاء أنه فى سنة ٦٥٩

جماعة من العرب ، وذكر أنه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر ، فعقد له السلطان مجلسا حضر فيه جماعة من الأكابر ، منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام إمام الشافعية فى زمانه ، والقاضى تاج الدين بن بنت الأعز قاضى القضاة بالديار المصرية يومئذ بمفرده ، فشهد أولئك العرب أنه ابن الظاهر بالله ، ثم شهد من سمع كلامهم بنسبه المذكور بالاستفاضة ، فأثبت القاضى تاج الدين بن بنت الأعز نسبه ، ثم بويع بالخلافة بعد ذلك ، على ما تقدم ذكره ، وبقى حتى قتله التتر بالعراق حين وجهه الملك الظاهر إلى بغداد لينتزعها منهم فى أواخر (١٢٥ ب) سنة ثمان [١] وخمسين وستمائة .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بايع له الملك الظاهر اهتم بأمره أتم الاهتمام ، وكتب السلطان الكتب إلى الممالك والنواب بأخذ البيعة له فى جميع الأقطار بالخلافة ، وأن يخطب له مع السلطان على المنابر ، ويبدأ به فى الذكر ، وينقش اسمه مع اسمه

(١) انظر ما تقدم عن أبى الفداء .

فى السِّـكَّة على الدنانير والدراهم ، فلما كان يوم الجمعة الذى يلى المبايعة خطب الخليفة بنفسه بجامع القلعة ، ثم ركب السلطان بعد ذلك بقليل إلى خيمة ضربت له بالبستان الكبير بظاهر القاهرة ، ونزل بها والخليفة معه ، ولبس منه خلعة الخلافة ، وهى عمامة بنفسجى وجبة سوداء وطوق ذهب فى عنقه وسيف بداوىّ تقلّد به ، وجلس مجلساً عامًّا بحضرة الخليفة والوزير والقضاة والعلماء والأُمراء ، ونُصب للصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان كاتب السر يومئذ منبر ، فصعد عليه وقرأ تقليد السلطان ، ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق ، ودخل من باب النصر ، وشق القاهرة وهى مزينة له ، وحمل الصاحبُ بهاءُ الدين ابن حنا وزيرُه التقليدَ على رأْسه ، ومشى به فى الموكب بين يدى السلطان ، والأُمراءُ مشاةٌ حوله وأَمامه ، وعمل له السلطان الدهاليز والجمدارية وآلات الخلافة ، واستخدم له عسـكرا جليـلا ، وغرم على ذلك فيما يقال أَلف أَلف دينار ، بتـكرير الأَلف مرتين ، وبرز السلطان والخليفة فى رمضان من السنـة المذكورة وتوجها إلى دمشق ، وكان السلطان فى كل منزلة يمضى إلى دهليز الخليفة الخاص به ،

فلما وصلا إلى دمشق نزل السلطان بالقلعة ، ونزل الخليفة فى جبل الصالحية ، ونزل أُمراؤه وأَجناده حوله ، ثم جهز السلطان الخليفة بعسكره من دمشق إلى بغداد لقتال التتر الذين استولوا عليها ، وخرج السلطان معه لتشييعه ، ووصاه بالتأَنى فى الأُمور ، ثم عاد السلطان إلى دمشق (١٢٦ ا) ثم إلى الديار المصرية ، فدخلها فى سابع عشر ذى الحجة من هذه السنة ، ووصلت إليه كتب الخليفة بعد وصوله الديار المصرية بأَنه قد استولى على عانة والحَديثة ، وولَّى عليهما ، وأَنَّ كُتب أَهل العراق وصلت إليه يستحثونه على الدخول إليهم ، ثم بعد تنفيذه الكتب إلى الديار المصرية خرج إليه التتر فقاتلوه وقَتلوه ، وقتلوا غالب عسكره ، وجاءَت الأَخبار إلى الديار المصرية بذلك ، لا رادَّ لقضاء الله ولا معقب لحكمه .

وفى سنة ستين وستمائة وقع بالديار المصرية بمصر والقاهرة والوجهين القبلى والبحرى ، والبلاد الشامية : دمشق وصفد والكرك والشوبك وغيرها وسواد العراق زلزلة شديدة ، تساقطت منها الأَبنية وتشققت الجبال ، وتقطعت الصخور ، وتفجرت الأَرض عيونا ، وخرج الناس من مساكنهم

هاربين إلى الصحارى ، وظهر أثرها فى النيل والبحر الملح ، وطما البحر لسببها حتى أغرق قماش القصَّارين ، وتكسَّرت القوارب والسفن وتهدمت الجدران ومنارات الجوامع ، ووقع جانب عظيم من منار الإسكندرية .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على الديار المصرية والبلاد الشامية بأَسرها إلاَّ ما بقى بيد الفرنج منها فى أَيامه الملكُ الظاهر بيبرس البندقدارى الذى قام ببيعته وبقى إلى ما بعد خلافته .

وكانت مكة بين أَبى نمىّ محمد بن أَبى سعد بن على ابن قتادة وبين غالب بن راجح بن قتادة ، على ما تقدم ، ثم استبد أَبو نَمِىّ بمكة ونفى أَقاربه جمَّازا وأَخويه إدريس ومحمدًا إلى الينبع ، فأَعقابهم قائمة بإمرته إلى الآن ، وبقى أَبو نَمِىّ إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت اليمن بيد المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت مملكة إيران من بغداد وما معها بيد هولاكو بن

طولى بن جنكزخان ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك بيد بنى جنكزخان غير هولاكو .

وكانت إفريقية بيد المستنصر بالله محمد بن أَبى زكريا (١٢٦ ب) فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت تلمسان والغرب الأَوسط بيد يغمراسن بن زيان ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكان الغرب الأَقصى بيد أَبى يوسف يعقوب عبد الحق فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت غرناطة وما معها من شرق الأَندلس بيد أَبى دبوس بن الأَحمر ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

الثانى من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

الحاكم بأَمر الله

وهو أَبو العباس أَحمد بن الحسين [١] بن أَبى بكر بن

(١) في تاريخ أبي الفداء حـ ٣ ص٢٢٤ بن الحسن وكذلك في تاريخ الخلفاء ص١٩٢ ونسبه فيه: أبو العباس أحمد بن أبي على الحسن القبى بضم القاف وتشديد الباء الموحدة ابن على بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله .

الأَمير أَبى على القُبِّى بن الأَمير حسن بن الراشد بالله أَبى جعفر المنصور الحادى والثلاثين من خلفاء بنى العباس بالعراق ، وقد تقدم ذكره ، قال المؤيد صاحب حماة : هذا هو المشهور بمصر عند نسابتها ، أَما عند الشرفاء العباسيين السليمانيين [1] فى درج نسبهم الثابت فهو أَحمد بن على بن أَبى بكر بن أَحمد بن الإمام المسترشد والد الراشد المقدم ذكره ، وتلقيبه بالحاكم وإن لم يكن مواطئاً للقب أَحد من الخلفاء العباسيين قبله فهو مواطئ للقب الحاكم بأَمر الله الفاطمى ثالث خلفاء الفاطميين بالديار المصرية . وهو أَبو الخلفاء العباسيين بالديار المصرية الموجودين إلى الآن . بويع له بالخلافة يوم الخميس فى أَواخر ذى الحجة سنة ستين وستمائة ، وذلك أَنه لما قُتل المستنصر أَحمد المقدم ذكره فى أَواخر سنة ثمان [2] وخمسين وستمائة بقيت الخلافة شاغرة بعده ، إلى أَن بعث السلطان من أَحضره إليه من بغداد ، فقدم مصر فى سنة تسع وخمسين وستمائة ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، ثم

(١) في تاريخ أبي الفداء : السلمانيين .

(٢) انظر ماكتبته مقدما عن أبي الفداء .

جلس السلطان فى التاريخ المذكور مجلساً عامًّا ، وأثبت نسبه ، وبايعه بالخلافة وأشركه معه فى الدعاء له على المنابر مقدَّما فى ذلك على السلطان ، إلا أنه لم يثبت اسمه فى السكة على الدراهم والدنانير ، وبقى حتى توفى فى شهور سنة إحدى وسبع مائة ، وكانت خلافته أربعين سنة تقريباً ، بعد أن حج فى سلطنة الملك المنصور لاجين فى سنة سبع وتسعين وستمائة ، وزوده السلطان مبلغ سبع مائة ألف درهم ، وكان له من الأولاد المستكفى بالله الآتى ذكره وغيره .

الحوادث والماجريات فى خلافته

(١٢٧ ا) لما بويع له بالخلافة رقم اسم السلطان فى السكة ، ودعى له قبل السلطان فى الخطبة ، وحفظ له ما يجب حفظه من مقداره ، إلاَّ أن السلطان الملك الظاهر لم يمكنه من التصرف والركوب والنزول ، بل هيَّأ له برجاً يقيم فيه ، فبقى على ذلك إلى أن ملك السلطان الأشرف خليل ابن المنصور قلاوون ، فأسكنه بالكبش على القرب من الجامع الطولونى ، وكان يخطب بنفسه فى جامع القلعة ،

ويصلى ، ولم يُطلق تصرُّفه إلى أَن تسلطن الملك المنصور لاجين ، فأَباح له التصرف حيث شاء ، وأَركبه معه فى الميادين .

وفى أَيامه فى سنة ستين وستمائة رتب السلطان الملك الظاهر القضاة أَربعة ، من كل مذهب قاض ، وكان قبل ذلك فى الدولة الفاطمية وما قبلها والدولة الأَيوبية وما بعدها قاض واحد ، وهو يستنيب من يختاره من المذاهب على قاعدة الخلافة العباسية ببغداد ، بل اجتمع فى الدولة الفاطمية فى أَيام الحاكم بأَمر الله الفاطمى : مصر وأَجناد الشام وبلاد المغرب لقاض واحد ، وكان سبب استقرار القضاة الأَربعة أَن القاضى كان فى أَول الدولة الظاهرية ابن بنت الأَعز ، وكان شافعيًّا ، فكان إذا ورد عليه شىء من غير مذهبه توقَّف فى إثباته ، فاختار السلطان أَربعة قضاة ، ليحكم كل منهم بما يسوغ فى مذهبه . وفى هذه السنة كان بالديار المصرية غلاء شديد ، فجمع السلطان الفقراء وأَخذ لنفسه خمس مائة فقير ، ولولده بركة خان خمس مائة ، ولنائبه بيليك الخازندار ثلاثمائة ، وفرّق الباقين

على الأُمراء على قدر طبقاتهم ، وأمر لـكل فقير برطلين خبزًا ، فما رُئىَ بعد ذلك بالديار المصرية فقير يسأل .

وفى سنة اثنتين وستين وستمائة ختن السلطان ولده بركة خان ، وأَمر الأُمراء والمقدّمين والجند والقضاة والفقهاء والفقراء والعَوَامّ أَن يُحضروا أَولادهم ليختنهم مع ولده ، فأُحضر إليه أَلفٌ وستمائة وخمسة وأَربعون صغيرا خارجاً عن أَولاد الأُمراء والمقدمين (١٢٧ ب) فأَمر لـكل منهم بـكسوة على قدره ، ومائة درهم ورأس غنم ، وختن الجميع مع ولده .

وفى سنة ثمانين وستمائة قصد أَبغا بنُ هولاكو ملكُ التترِ الديارَ المصريةَ ، ولقيه الظاهر بيبرس صاحب الديار المصرية ، فهزمه بعين جالوت أَشدَّ هزيمة ، وعاد إلى بلاده ، ورجع السلطان الملك الظاهر إلى الديار المصرية .

وفى سنة تسع وتسعين وستمائة قصد غازان (١) ملك التتر إلى الديار المصرية ولقيه السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون على حمص ، فانهزم المسلمون واستشهد منهم

---

(١) في تاريخ أبي الفداء حـ ٤ ص ٤٤ : قازان .

جماعة ، ثم عاد السلطان إلى الديار المصـــرية ، ورجع غازان إلى بلاده .

وفى أيامه فى سنة أربـــع وستين وستمائة فتـــح السلطان الملك الظاهر بيبرس صاحبُ الديار المصرية يافا وأنطاكية وانتزعهما من الفرنج ، وأخذ بَغْراس وبَهَسْنَا ودربساك وغيرها وانتزعها من الأرمن .

وفى سنة سبـــع وستين أخذ مصياف [1] من أيدى الإسماعيلية .

وفى سنـــة تسع فتـــح حصن الأكراد وحصن عكّار [2] وتسلم قلعة العليقة وبلادها من الإسماعيلية .

وفى سنة إحدى وسبعين تسلم نوابه من الإسماعيلية ما بقى من قلاعهم وهى الـــكهف والمينقة والقدموس .

---

(١) لم يضبطه ياقوت وذكر أنه مصياب ويقال له مصياف وذكر في أبي الفداء حـ ٤ ص٦ مصياف .

(٢) لم يذكره ياقوت وفي تاريخ أبي الفداء حـ ٤ ص ٦ قال محيى الدين بن عبد الظاهر مهنيا بفتوح عكار :

يا مليك الأرض بشرا ك فقد نلت الإراده

إن عـــكار يقينا هو عكـــا وزياده

وفى سنة أربـع وثمانين وستمائة فتـح المنصور قلاوون حصنَ المرقب . وفى سنة ست وثمانين فَتَحَ صهيونَ . وفى سنة ثمان وثمانين فتح طرابلسَ ، بعد أن مضى عليها مع الفرنج مائة وخمس وثمانون سنة وأشهر ، وأعجز الملوك السالفة ، فتحها وهدمها بأسرها بعد الفتـح . وفى سنـة تسعين وستمائة فتـح ابنـه الأشرف خليل عـكّا وهدمها ، وأخلى الفرنجُ من الرعب أكثرَ بلاد الساحل مثـل صيدا وبيروت وصور وانطرطوس [1] وتسلمها المسلمون ، وأمر بهدمها فهـدمت ، وتـكاملت جميـع البلاد الساحلية للإسلام . وفى سنة إحدى وتسعين وستمائة فتح الأشرف خليل أيضا قلعة الروم وسماها قلعة المسلمين ، وكانت كرسىّ خليفة الأرمن (١١٢٨) وفى سنة إحدى وتسعين وستمائة راك السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين بلاد الديار المصرية ، وهو الروك الحسامى ، إلا أنه لم يأت رَوْكُه على النمط المعتبر فى التحرير ، وفى أيامه استنقذ يعقوب بن عبد الحق المرينى سلطـان الغرب الأقصى مدينـة سَلاَ من يد الفرنج بعد أن استولوا عليها ، وغزاهم بالأندلس

(١) في الأصل : وأنطرسوس . والتصويب من أبي الفداء حـ ٤ ص ٢٦ ومعجم البلدان .

أَربع مرات حتى أَذعن له شانجة بن أَدفونش ملكهم فى عقد الهدنة ، فعقدها له على شروط أَلزمه إِياها ، وغزاهم ابنه أَبو يعقوب يوسف فى سلطنته بعد ذلك .

وفى أَيامه فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة سبع مائة أَلزم السلطان النصارى واليهود لبس عمائم مخالفة لأَلوان عمائم المسلمين ، فأَلبس النصارى عمائم زرقاء ، واليهود عمائم صفراء .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر والشام الملك الظاهر بيبرس المقدم ذكره ، فبقى حتى توفى بدمشق فى المحرم سنة ست وسبعين وستمائة بعد أَن فتح الكثير مما كان استعاده الفرنج من فتوح السلطان صلاح الدين يوسف بن أَيوب ، ففتح قيسارية وأَرسوف وصفد وطبريّه ويافا والشقيف وأَنطاكية وبَغْراس والقُصير وحصن الأَكراد والقُرين وحصن عكّار وصافيتا وبانياس وأَنطرطوس (١) واقتلع من الأَرمن دَرْبَسَاك ودَرْكوش (٢) وملميش وكفردُبِّين ورَعْبان ومرزبان

(١) تقدم ما صححته وفي الأصل « أنطرسوس » وانظر النجوم الزاهرة حـ ٧ ص ١٥٠ ، ١٥١ و ١٨٦

(٢) في الأصل دبركوش والتصويب من النجوم الزاهرة حـ ٧ ص ١٤٤ ، ١٨٦

وأدنه والمَصِّيصة وبلاد النوبة . وملك بعده مصر والشام
ابنه الملك السعيد بركة فى صفر من السنة المذكورة ، ثم
خُلع وبُعث به إلى الكرك فى شهر ربيع الأَول سنة
ثمان وسبعين وستمائة ، وملك بعده أَخوه الملك العادل
سَلاَمُشُ ، فبقى أَربعة أَشهر ، ثم خُلع وملك بعده الملك
المنصور قلاوون الصالحى الشهير بالأَلفى فى شهر رجب
سنة ثمان وسبعين وستمائة ، ولُقِّب الأَلفى (١٢٨ ب)
لأَن آقسنقر الكاملى اشتراه بأَلْف دينار ، وبنى
البيمارستان المنصورى بالقاهرة بين القصرين الذى ليس
له نظير فى الدنيا ، وأَدرج فيه مدرسته المنصورية وقُبَّة
مدفنه على جَنْبَتَىِ الداخل إليه يمنة ويسرة ، وتُوفى
بظاهر القاهرة المحروسة ، ودفن بقبَّته بالبيمارستان
المقدم ذكره ، وملك بعده ابنه الملك الأَشرف خليل
صبيحة وفاة أَبيه ، وأَخذ فى الغزو على عادة أَبيه ، وقُتل
فى متصيَّده بالبحيرة فى العشر الأَوسط من المحرم سنة ثلاث
وتسعين وستمائة ، وهو الذى عمّر المدرسة الأَشرفية بالقرب
من المشهد النَّفِيسى ، وملك بعده الملك المعظم بَيْدَرَا ثم خلع
من يومه ، وملك بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون فى صفر

سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وهى سلطنته الأُولى ، ثم خلع بعد ذلك وسُيِّر به إلى الكرك ، فحُبس بها ، وملك بعده الملك العادل كَتْبُغا عقب خلعه ، وخُلع فى صفر سنة ست وتسعين وستمائة . وملك بعده الملك المنصور حسام الدين لاجين فى الخامس والعشرين من صفر المذكور ، وقتل فى الحادى والعشرين من شوال من السنة المذكورة ، وبقى الأَمر شورى مدة يسيرة ، ثم حضر الملك الناصر محمد ابن قلاوون من الكرك ، وأُعيد إلى السلطنة فى حادى عشر ربيع الأَول سنة ثمان وتسعين وستمائة ، وهى سلطنته الثانية ، وخُلع يوم السبت حادى عشر شوال من السنة المذكورة ، وملك بعده الملك المظفر بيبرس الجاشَنْكِير [1] فى الثالث والعشرين من شوال المذكور ، وبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت مكة بيد أَبى نمى محمد بن أَبى سعد إلى أَن مات أَبو نمى ، فقام بإمرة مكة بعده ابناه رُميثة وحُميضة

(١) هذا هو الضبط الذى في صبح الأعشى حـ ٥ ص٤٦٠ في الالقاب حين عرف معنى الجاشنكير فقال : هو الذى يتصدى لذوقان المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفا من أن يدس عليه فيه سم ونحوه وهو مركب من لفظين فارسيين أحدهما جاشن بجيم في أوله قريبة من اللفظ في الشين ومعناه الذوق ولذلك يقولون في الذى يذوق الطعام والشراب الشيشنى . والثانى كير وهو بمعنى المتعاطى لذلك . ويكون المعنى : الذى يذوق .

ونازعهما أَخواهما عُطيفة وأَبو الغيث فاعتقلاهما ، ووافق ذلك وصول بيبرس الجاشنكير كافل المملكة بالديار المصرية فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ، فأَطلق عطيفة وأَبا الغيث وولاهما(١٢٩ ا) وأَمسك رميثة وحميضة وبعث بهما إلى مصر ، ثم رد السلطان رميثة وحميضة إلى إمارتهما مع عسكر ، فاستقرَّا فى إمارتهما وبعثا إليه بعطيفة وأَبى الغيث ، وبقى التنازع بينهم ، وهم يتعاقبون إمرة مكة مرة بعد أُخرى ، وقُتِل أَبو الغيث فى بعض حروبهم ، وبقى الأَمر على ذلك إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت المدينة بيد جمَّاز بن شيحة ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكان اليمن بيد المظفر يوسف[بن عمر] بن على بن رسول ، وبعث إلى الملك المنصور قلاوون صاحب الديار المصرية هدية جليلة ، على أَن يكتب له بالأَمان ، فأُجيب إلى ذلك ، وقُرِّرَتْ عليه إتاوة لملوك مصر ، وأُعيدت رسله إليه فى سنة ثمانين وستمائة ، ومات بحصن تَعِزّ سنة أَربع وتسعين وستمائة ، وملك بعده ابنه الملك الأَشرف مُمَهِّد الدين

عمر بن المظفر يوسف ، وبقى حتى مات سنة ست وتسعين وستمائة ، وملك بعده أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن المظفر يوسف ، فاستمر على مواصلة ملوك مصر بالضريبة المقررة عليه والهدايا والتحف ، وتمذهب بمذهب الشافعىّ رضى الله عنه ، واشتغل بالعلوم واعتنى بجمع الكتب ، حتى يقال : إن خزانته اشتملت على مائة ألف مجلد ، وكان فيه بر للعلماء ؛ وبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت مملكة إيران بيد هولاكو بن طولى بن جنكزخان ملك التتر ، فبقى حتى هلك فى سنة ثنتين وستين وستمائة لعشر سنين من ولايته ، وملك بعده ابنه أبغا ، وهو الذى قصد الديار المصرية ، فلقيه الظاهر بيبرس وهزمه بعين جالوت فى سنة ثمانين وستمائة ، وهلك سنة إحدى وثمانين وستمائة . وملك بعده ابنه تكدار ، فأسلم وتسمى أحمد ، وتلقب أحمد سلطان ، وخاطب ملوك عصره ، وهو أول من أسلم (١٢٩ ب) من بنى هولاكو ، ثم قتله عسكره من المغل لما نقموا عليه من إسلامه فى سنة

اثنتين وثمانين وستمائة ، وملك بعده أخوه أرغون [1] بن أبغا ، فعدل عن دين الإسلام إلى دين البراهمة من عبادة الأصنام وانتحال السحر ، وهلك سنة تسعين وستمائة ، وملك بعده أخوه كَيْخَتُو بن أبغا ، فساءت سيرته وأفحش فى المنكرات ، فقتله غلمانه فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة لثلاث سنين وأشهر من ولايته ، وملك بعده ابن عمه [2] بَيْدُو بن طرخاى بن هولاكو ، ثم قُتل سنة خمس وتسعين وستمائة لثمانية أشهر من ولايته ، وملك بعده غازان ، والعامة تقول قازان بالقاف ابن أرغون بن أبغا بن هولاكو ، وهو الذى هزم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ومات سنة تسع وتسعين وستمائة ، وملك بعده أخوه خدابندا ، والعامة تقول خَرْبَنْدَا بن أرغون [بن أبغا] بن هولاكو فافتتح أمره بالدخول فى الإسلام ، وتسمى بمحمد ، وتلقّب غياث الدين ، وأقام دين الإسلام وعظّم الخلفاء وكتب أسماءهم فى سكّته على الدراهم والدنانير ، ونقش عليها اسم الأئمة الاثنى عشر ، على طريق الرافضة ، وحذف اسم الشيخين من الخطبة ، وبنى المدينة المسماة بالسلطانية بأذربيجان ، وبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

(١) فى الأصل يكتب أرغو وكتبنا الاسم عن النجوم الزاهرة انظر حـ ٧ ص ٣٦٢

(٢) فى النجوم الزاهرة حـ ٨ ص ٥٣ ابن أخيه بيدو .

وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك بيد بنى جنكزخان غير بنى هولاكو .

وكانت مملكة الشمال بيد بركة بن دوجى خان بن جنكزخان ، فبنى مدينة السراى وجعلها قاعدة ملكه ، وبقى حتى مات سنة خمس وستين وستمائة ، وملك بعده مَنْكُوتَمُر بن طغان خان بن باطوخان بن جنكزخان ، وزحف مع أَبغا بن هولاكو على الشام فى سنة ثمانين وستمائة ، وهزمهم المنصور قلاوون صاحب الديار المصرية على حمص على ما تقدم . ومات منكوتمر سنة إحدى وثمانين وستمائة (١٣٠ ا) وملك بعده ابنه تدان منكو بن منكوتمر ، ثم خرج عن الملك سنة ست وثمانين وستمائة ، وانقطع إلى صحبة المشايخ والفقراء ، وملك مكانه أَخوه تلابغا بن منكوتمر ، وبقى حتى قُتل سنة تسعين وستمائة ، وملك بعده أَخوه طقطاى خان [بن] منكوتمر ، وبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت إفريقية بيد المستنصر بالله محمد بن أَبى زكريا

من الحفصيين من الموحدين ، فتوفى سنة خمس وسبعين [١] وستمائة ، وولى بعده ابنه الواثق بالله يحيي بن المستنصر محمد ، ليلة موت أبيه ، فأحسن السيرة ، وبسط العدل والعطاء ، وبعث إليه أهل بِجَاية بالبيعة ، ثم انتزع منه بجاية عمه أبو إسحاق إبراهيم بن يحيي سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، فانخلع الواثق عن الإمرة لعمه أبي إسحاق المذكور فى أول ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وستمائة ، وسار أبو إسحاق إلى تونس فدخلها فى ربيع الآخر من السنة المذكورة واستولى على المملكة جميعها ، واعتقل الواثق المخلوع وبنيه ، ثم دس عليهم من ذبحهم ليلا فى صفر سنة تسع [٢] وسبعين وستمائة ، وخرج على السلطان أبي إسحاق أَحمدُ بنُ رَوْق بن أَبي عمارة ، واستولى على تونس بعد خروج أَبي إسحاق منها ، وانخلع أبو إسحاق من ملك بجاية لابنه أَبي فارس عبد العزيز ، فى آخر ذى القعدة [٣] من السنة المذكورة ، ثم خرج على الأمير أَبي فارسٍ الدعىُّ بنُ يحيي المخلوع ، فقتله فى سنة اثنتين

(١) في الأصل : سنة خمس وستين والتصويب من صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٢٧ والنجوم الزاهرة حـ ٧ ص ٣٢

(٢) في الأصل : سنة سبع .

(٣) في الأصل : ذى قعدة .

وثمانين وستمائة ، واستولى على بجاية ، ودخل أهلها فى طاعته ، ثم خرج على الأَمير الدعىِّ أَبو حفص عمرُ بن يحيي بن عبد الواحد بن أَبى حفص ، فانهزم منه الدعىُّ ، واستولى أَبو حفص على تونس وسائر المملكة وتلقب بالمنتصر [١] ، ثم ظفر بالدعى بعد ذلك فقتله ، وبايعه أَهل تلمسان وطرابلس وما بينهما ، ثم خرج أَبو زكريا يحيي بن السلطان أَبى إسحاق على بِجَاية وقُسَنْطِينة ، فملكهما واقتطعهما عن مملكة إفريقية ، وبقى السلطان (١٣٠ ب) أَبو حفص على إفريقية حتى مات فى آخر ذى الحجة سنة أَربع وتسعين وستمائة ، وكان الواثق بن المستنصر المقدم ذكره عند موته ترك جارية حاملا ، فوضعت ولداً ، فسماه الشيخ محمدٌ المَرْجانىُّ محمدا ، وأَطعم الفقراء يومئذ عَصيدة ، فلُقّب الولد بأَبى عصيدة ، فلما مات السلطان أَبو حفص استقر فى الملك بعده أَبو عصيدة المذكور .

وكانت تلمسان والغرب الأَوسط بيد يغمراسن بن زيان من جهة الحفصيين أَصحاب إفريقية ، فتوفى فى ذىالقعدة

(١) في صبح الأعشى : المستنصر .

سنة إحدى وثمانين وستمائة ، وولى بعده ابنه عثمان بن يغمراسن ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكان الغرب الأقصى بيد أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق ، فبقى حتى مات فى آخر المحرم سنة خمس وثمانين وستمائة ، وملك بعده ابنه ولى عهده أبو يعقوب يوسف بن يعقوب ، فجرى على سنن أبيه فى العدل ، وبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت غرناطة وما معها من شرق الأندلس بيد أبى دبوس محمد بن يوسف من بنى الأحمر ، وبقى حتى مات سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وملك بعده ابنه الفقيه محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ، ومات فى سنة إحدى وسبع مائة ، وهى السنة التى مات فيها الإمام الحاكم المذكور .

الثالث من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية
المستكفى بالله

وهو أبو الربيع سليمان (١) بن الحاكم بأمر الله أحمد المقدم ذكره ، وهذا اللقب منقول إليه عن المستكفى بالله

(١) ولد سنة ٦٨٤ هـ انظر تاريخ الخلفاء ص ١٩٤

أَبى القاسم عبد الله الثالث والعشرين من خلفاء بنى العباس بالعراق ، بويــع له بالخلافة يوم موت أَبيه فى شهور سنة إحدى وسبعمائة ، وبقى حتى توفى بمدينة قوص فى العشر الأُخر من شوال سنة أَربعين وسبعمائة ، فكانت خلافته نحو تســع وثلاثين سنة [1] (١٣١ ا) وكان له من الأَولاد الحاكم بـأَمر الله الآتى ذكره .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويــع بالخلافة استقر على ما كان عليه أَبوه الحاكم من الركوب والنزول وركوب الميادين مع السلطان ، إلى أَن أُعيد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة المرة الثانية بعد خلع الملك المظفر بيبرس الجاشَنْــكِير فى شهــور سنة تســع وسبعمائة ، فحصل عند السلطان منــه وحشة ، فجهزه إلى مدينة قوص بصعيد مصر الأَعلى ليقيم بها ، فبقى فيها بقية مدة خلافته ، وعهد بالخلافة إلى ابنه الحــاكم بـأَمر الله أَحمد بن أَبى الربيــع سليمان ، وثبت على الحاكم بقوص بعد أَن أَشهد عليه فيه أَربعين شاهدا .

(١) فى النجوم الزاهرة حـ ٩ ص ٣٢٢ : تسع وثلاثين سنة وشهرين وثلاثة عشر يوما .

وفى أيامه [1] فى سنة تسع وسبعين توقف النيل وكسر الخليج قبل الوفاء ، وانتهت الزيادة فى السابع والعشرين من توت إلى خمسة عشر ذراعا وسبع عشرة أصبعا .

وفى سنة إحدى وسبعمائة خُطب للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ببلاد إفريقية وحاضرة تونس ،بواسطة أن صاحبها أبا يحيي وفَد على السلطان ، فقلّده بلاد طرابلس الغرب ، وأعطاه الأعلام والعصائب ، فوعده أن مهما فتحه من بلاد الغرب خطب له فيه .

وفى أيامه عُمل الروك الناصرى فى سلطنة (١٢١ ب) الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ست عشرة وسبعمائة ، واستعيدت الإقطاعات من الأُمراء والأجناد ، وقيست بالوجهين القبلى والبحرى ، ثم فُرّقت الإقطاعات على الأُمراء والجند ، وكان الموجب لعمله أن الملك المنصور

---

(١) في الأصل نص طويل مضروب عليه سبق أن أثبته المؤلف في خلافة سابقه وهو :
في سنة ستين وستمائة وقع بالديار المصرية بمصر والقاهرة والوجهين القبلى والبحرى والبلاد الشامية دمشق وصفد والكرك والشوبك وغيرها وسواد العراق زلزله شديدة تساقطت منها الأبنية وتشققت الجبال وتقطعت الصخور وتفجرت الأرض عيونا وخرج الناس من مساكنهم هاربين إلى الصحارى وظهر أمرها في النيل والبحر الملح وطما البحر بسببها حتى أغرق قماش القصارين وتكسرت القوارب والسفن وتهدمت الجدران ومنارات الجوامع ووقع جانب عظيم من منار الاسكندرية .

حسام الدين لاجين كان فى سلطنته ، وقد عمـــل الروك الحسامى ، فجرى على غير أُنموذج محرر ، فاحتيــج إلى إعادته وتحريره ، فعمل السلطان الملك الناصر هذا الروك ، فجــاء فى غاية الإتقان والتحرير .

وفى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة فتـــح الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية آياس وبلادها ، وانتزعها من الأَرمن مع كثير من بلادهم .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت الديار المصرية والبلاد الشامية فى أَيامه بيد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشَنْكير ، وهو الذى عمــر الخانقاه الركنية بيبرس داخل باب النصر من القاهرة مكان دار الوزارة بالدولة الفاطمية ، وبقى حتى خُلع فى الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة ، وملك بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون فى مستهل شوال من السنة المذكورة ، وهى سلطنته الثالثة ، وفيها طالت مدته وقوى ملــكه وأَكمل المدرسة الناصرية بين القصرين ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستــكفى .

وكانت مـكة بيد رُميثة وحُميضة ابنى أَبى نمىّ ، فوقع التنازع بينهما ، وسار رُميثة إلى الأَبواب السلطانية بالديار المصرية فى سنة خمس عشرة وسبعمائة مستنجدا بسلطانها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فأَيده السلطان بعساكر وجّه بها إلى مـكة ، فهرب حُميضة ، ثم رجع إلى مكة بعـد ذلك واصطلح هو وأَخوه ، ثم حالف عُطيفة سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، ووصل إلى السلطانالملك الناصر ، فأَيده بالعساكر ، فملك مكة وقبض على رُميثة (١١٣٢) وسجن بمصر ، ثم أُطلق سنة عشرين وسبـع مائة ، أَقام بمصر ، وبقى حُميضة مُشرَّدا إلى أَن أَستأْمن السلطـان فآمنه ، ثم وثب على حُميضة مماليكُ كانوا معه فقتلوه ، ثم أُشْرِك فى إمارة مـكة بين رميثة وأَخيه عطيفة ، ثم مات عطيفة واستقل رميثة بإمارة مـكة إلى أَن كبر وهرم ، وكان له ولدان هما ثقبة وعجلان ، فاقتسما معه إمارة مكة برضاه ، ثم أَراد الرجوع عن ذلك فلم يوافقاه عليه ، فلما مات رُميثة نازع ولداه المذكوران ، وخرج ثقبة من مكة وبقى عجلان بها ، ثم غلبه عليها ثقبة وبقى إلى ما بعد خلافة المستـكفى .

وكانت المدينة بيد جمّاز بن شيحة ، وبقى حتى عمى ومات فى سنة أربــع أو خمس وسبــع مائة ، وولى بعده ابنـــه منصور بن جمّاز ، ثم وفد أخوه مقبل بن جماز على الناصر محمد بن قلاوون بالديار المصرية ، فأشرك بينهما فى الإمرة والإقطاع ، ثم غاب منصور عن المدينة واستخلف ابنه كبيشة [1] ، فهجم عليه مُقبل وملــكها من يده ، ولحق كبيشة بأحياء العرب ، فاستجاش وهجم المدينة على عمه مقبل ، فقتله سنة تسع وسبع مائة ورجع منصور إلى ، إمارته ، وبقى ماجد بن مقبل [2] يستجيش العرب على عمه منصور بالمدينة ، ويخالفه إليها كلما خرج منهـــا ، ثم زحف ماجد سنة سبــع عشرة وسبــع مائة وملــكها من يد عمه منصور ، فاستصرخ منصور بالسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فأنجده بالعساكر ، فحاصروا ماجدَ بن مقبل بالمدينة ، وفــرّ عنها وملــكها منصور ، ثم سخط عليه السلطان الملك الناصر فعزله واستقر بأخيه وُدَيٍّ فى إمارتها ، ثم أُعيد منصور إلى إمارتها ومات [3] سنة

(١) في النجوم الزاهرة ـ ٩ ص ٢٦٤ ، ٢٧٣ كبيش .

(٢) في الأصل : ماجد بن منصور.

(٣) في النجوم الزاهرة ـ ٩ ص ٢٦٤ أن حديثة ابن أخيه قتله في حرب كانت بينهما .

خمس وعشرين وسبع مائة ، فولى ابنه كبيشة بن منصور مكانه ، فقتله عسكر ابن عمه وُدَىّ ، وعاد وُدَىّ إلى الإمرة ، ثم توفى بعد ذلك ، فولى طفيل بن منصور بن جماز ،وتفرد بإمرتها ، وبقى إلى ما بعد (١٣٢ب) خلافة المستكفى .

وكان اليمن بيد الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر يوسف من بنى رسول ، فبقى حتى توفى سنة إحدى وعشرين وسبع مائة وملك بعده ابنه الملك المجاهد سيف الدين علىّ ، فأَساء السيرة ، فقُبض عليه وخُلع وحُبس سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة ، وملك بعده عمه الملك المنصور أَيوب بن المظفّر يوسف ، ثم قُتل وأُعيد الملك المجاهد ، وعَصَى عليه الظاهرُ أسد الدين عبد الله بن المنصور أَيوب ، بِحِصْن الدُّمْلُوَة ، واستقلّ به ، ثم قبض عليه المجاهد بعد صلح جرى بينهما وقتله ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكانت مملكة إيران بيد خدابند بن أَرغون من بنى هولاكو ، فبقى حتى مات سنة ست عشرة وسبع مائة ، وملك بعده ابنه أَبو سعيد [١] وهو ابن ثلاث عشرة سنة بمعاضدة

(١) أبو سعيد هو بو سعيد . وهو ماجرى في النجوم الزاهرة حـ ٩ ص ٥٥ و٣٠٩

جُوبان نائب أَبيه ، وقام جُوبان بتدبير دولته ، ثم عظم شأْن أَبي سعيد وقوى سلطانه ، وانتظم الودّ بينه وبين الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة ، وترددت الرسل والمكاتبات بينهما ، وقتل أَبو سعيدٍ جوبانَ نائبه سنة ست وعشرين وسبع مائة ، ومات أَبو سعيد سنة ست وثلاثين وسبع مائة ، ودُفن بمدينة السُّلْطانية ، ولم يُعْقِب ، وانقرض بموته ملك بنى هولاكو . واختلف أَهل دولته ، وافترقت الأَعمال التى كانت بيده ، وصارت طوائف ، كما كانت ملوك طوائف الفرس . ولما مات أَبو سعيد نصب أَهل الدولة موسى خان ، من أَسباطهم ، على بغداد وتَوْرِيز [1] وأَعمالهما ، وقام بتدبير دولته على باشا من أُمراء دولتهم ، وكان الشيخ حسن بن حسين بن أَقبغا بن ايلكان [2] المعروف بالشيخ حسن الكبير وهو ابن عم السلطان أَبي سعيد معتقلا ببلاد الروم ، فأخرج من السجن بعد موت أَبي سعيد ،

---

(١) توريز = تبريز، انظر النجوم الزاهرة حـ ٩ ص ٩٥ وصبح الأعشى حـ ٤ ص٣٥٧ وأخذنا ضبطها من صبح الأعشى حـ ٧ ص ٢٥٧

(٢) لعلها : بن هولاكو وفي صبح الأعشى حـ ٤ ص ٤٢٤ وحـ ٧ ص ٢٥٧ أن من ملك بعد أبي سعيد هم موسى خان ثم محمد بن طشتمر ثم الشيخ حسن الكبير .

ووصل بغداد (١٣٣ ا) وخلع موسى خان ، ونصب مكانه محمد بن عنبرجى من عقب هولاكو ، واستولى الشيخ حسن على بغداد وتوريز ، وسار إليه حسن بن دمرداش من بلاد الروم فغلبه على توريز ، وقتل محمد بن عنبرجى ، ولحق الشيخ حسن ببغداد ، واستقر حسن بن دمرداش بتوريز ونَصبَ للملك بها صاتبيك أُختَ السلطان أَبى سعيد على عادة العجم فى تمليك بنات الملوك ، وزوجَها لسليمان خان من أَسباط هولاكو ، واستولى إبراهيم شاه بن بارنباى ابن سنوتاى على قطعة من ديار بكر ، ثم استولى أَولاد جوبان على مملكة أَذربيجان وهى بلاد توريز والسلطانية ، واستولى القان طغيمتر من بنى جنكزخان على خراسان وأَعمالها ، واستولى أَرتنا على بلاد الروم ، وبقى الشيخ حسن إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكانت مملكة الشمال التى قاعدتها مدينة السراى بيد طقطاى خان بن منكوتمر خان ، فبقى حتى مات سنة اثنتى عشرة وسبع مائة ، وملك بعده ابن أَخيه أَزبك بن طغزخان ، فأَسلم واتخذ مسجدا للصلاة ، وخطب إليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار

المصرية بنتا من أقاربه ، فزوجه إياها ، وبعث بها إليه إلى الديار المصرية ، ووصلت إلى دمياط وحُملت فى النيل إلى ساحل بولاق ، فحملت على عجلة من عجلات بلاد الترك إلى القلعة ، وعقد عليها الناصر ودخل عليها ، واتصلت المودة بينه وبين الملك الناصر ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكانت تونس وما معها من إفريقية بيد أَبى عصيدة محمد . وبجاية وقُسَنْطينة [1] من الغرب الأَوسط بيد أَبى البقاء خالد بن أَبى زكريا بن أَبى إسحاق ، فمات أَبو عصيدة فى ربيع الآخر سنة تسع وسبع مائة ، ولم يخلف ابنا ، فبايع أَهل تونس من بعده أَبا بكر بن عبد الرحمن بن أَبى بكر بن يحيى بن (١٣٣ ب) عبد الواحد بن الشيخ أَبى حفص ، فزحف أَبو البقاء خالد صاحب بجاية على أَبى بكر بن عبد الرحمن صاحب تونس فقبض عليه واعتقله ، ثم قتله بعد ذلك ، فعُرف بأَبى بكر الشهيد ، واستقل السلطان أَبو البقاء خالد بملك تونس وبجاية وما معهما ، وتلقب الناصر لدين الله ، وكان

(١) في الأصل : « وسرقسط » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٢٩ هذا وسرقسطة بالهاء في الأندلس .

أبو يحيى زكريا بن أحمد بن محمد اللحيانى بن عبد الواحد ابن الشيخ أبى حفص بطرابلس ، فبايعه أهلها وزحف على السلطان أبى البقاء بتونس . فخاف أبو البقاء فخلع نفسه ، فقبض عليه أبو يحيى واعتقله واستبد بمملكة تونس وبجاية فى رجب سنة إحدى عشرة وسبع مائة ، وبويع بها البيعة العامة ، ثم اضطرب أمره فاستخلف على تونس وخرج منها إلى قابس ، فبايع أهل تونس محمدا المعروف بأبى حربة [1] ابن السلطان أبى يحيى زكريا المقدم ذكره ، فى سنة سبع عشرة وسبع مائة ، وكان قد استولى على بجاية المتوكل على الله أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم ابن يحيى بن عبد الواحد بن الشيخ أبى حفص ، فقصد تونس وملكها من السلطان محمد أبى حربة ، ولحق السلطان أبو يحيى اللحيانى بمصر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون فأحسن نُزُلَه ، وبقى عنده حتى مات ، ولحق أبو حربة بتلمسان فأقام بها حتى مات ، واستقل السلطان أبو بكر بتونس وبجاية وأعمالهما ، إلى أن غلبه على تونس إبراهيم بن أبى بكر الشهيد ، واستولى عليها فى رجب سنة خمس وعشرين وسبع مائة، ثم غلبه عليها السلطان

(١) في صبح الأعشى حـ ٧ ص ١٣٠ : أبو ضربة .

أبو بكر وانتزعها من يده فى شوال من السنة المذكورة ، واستقر بيده ملك تونس وبجاية ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكانت تِلِمْسان والغرب الأَوسط بيد عثمان بن يغمراسن من بنى عبد الواد ، فمات فى سنة ثلاث وسبع مائة ، وولى بعده ابنه أَبو زيان بن عثمان بن يغمراسن ، وغلب على تلمسان يوسف بن عبد الحق واستولى عليها وأَقر عليها أَبا زيان المذكور ، فبقى حتى مات (١٣٤١) فى شوال سنة سبع وسبع مائة وولى بعده أَخوه أَبو حَمُّو موسى بن عثمان[١] ابن يغمراسن ، ثم قتله وولى بعده ابنه أَبو تاشفين عبد الرحمن ابن أَبى حمو ، ثم غلبه عليها السلطان أَبو الحسن المرينى وقتله فى رمضان سنة سبع وثلاثين وسبع مائة ، واستضافها إلى مملكة فاس وولى عليها ابنه أَبا عنان[٢] فبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكان الغرب الأَقصى بيد أَبى يعقوب يوسف بن يعقوب ابن عبد الحق ، فبقى حتى طعنه خَصِىٌّ من بعض خدمه وهو نائم على فراشه ، فمات سابع ذى القعدة سنة

(١) في الأصل « أبوحمد بن موسى بن يغمراسن » والتصويب من معجم الأنساب .
(٢) في الأصل : أبا عياد .

ست وسبع مائة ، وملك بعده ابنه أبو ثابت عامر بن أبى يعقوب يوسف ، فبقى حتى مات بطنجة من أقصى الغرب فى ثامن صفر سنة سبع وسبع مائة ، وملك بعده أخوه أبو الربيع بن أبى يعقوب يوسف ، فسار بسيرة آبائه فى العدل ، وبقى بمدينة تازا فى سلْخ جُمادى الآخرة سنة عشر وسبع مائة ، وملك بعده أخوه أبو سعيد عثمان ابن أبى يعقوب يوسف ، وملك تلِمْسان من الغرب الأوسط من يد موسى بن عثمان بن يغمراسن سنة أربع عشرة وسبع مائة ، وبقى حتى توفى فى سنة إحدى وثلاثين وسبع مائة ، وملك بعده ابنه ولىُّ عهده أبو الحسن على بن عثمان ، وسار إلى تلِمْسان فملكها من أبى تاشفين سلطان بنى عبد الواد بها فى سنة سبع وثلاثين وسبع مائة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكانت غرناطة وما معها من شرق الأندلس بيد الفقيه محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر ، فمات فى سنة إحدى وسبع مائة ، على ما تقدم ، وملك بعده ابنه محمد المخلوع بن محمد الفقيه ، ثم غلب عليه أخوه أبو الجيوش نصر بن محمد الفقيه ، وقبض عليه واعتقله ،

واستولى على مملـكته ، فأَساءَ السيرة فى الرعية والجند ، فقبضوا عليه ، وملك مـكانه أَبو الوليد إسماعيل بن أَبى سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ، وبقى إلى أَن قتله بعض أَقاربه (١٣٤ ب) فى سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة ، وملك بعده ابنه محمد بن أَبى الوليد إسماعيل ، فبقى حتّى قتل غدرًا بِغَرناطة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة ، وملك بعده أَخوه أَبو الحجاج يوسف بن أَبى الوليد إسماعيل ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستـكفى .

الرابع من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

الحاكم بأَمر الله

وهو أَبو العباس أَحمد بن المستـكفى بالله أَبى الربيع سليمان المقدّم ذكره ، ولقبه منقول إليه من لقب جده الحاكم بأَمر الله أَبى العباس أَحمد ثانى خلفائهم بمصر ، وقد تقدم أَن لقب الأَول منقول من لقب الحاكم بأَمر الله أَبى علىٍّ منصور الفاطمى ثالث خلفاء الفاطميين بالديار المصرية ، ويقال لأَبى العباس هذا : الحاكم الثانى ، ولى الخلافة بالعهد من أَبيه المستـكفى على ما تقدم أَنه عهد

إليه بها بمدينــة قوص ، وأشهد عليه بذلك أربعين شاهدا ، ودُعِى له على المنابر بعد عقد خلافته فى العشر الأخير من شوال سنة أربعين وسبــع مائة ، وبقى حتى خلعه الناصر محمد بن قلاوون فى العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبــع مائة ، فكانت خلافته نحو سنة واحدة وشهرين ، ولم أقف على ذكر عقب له .

الحوادث والماجريات فى خلافته

من أعظمها وقعا فى النفوس موت السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية ، فإنه كان ملــكا عظيما مهيبا عارفا بتدبير الملك ، ذا معرفة وافرة وكرم زايد ، فتــح الفتوحات الجليلة ، وعمر العمائر السَّنِية ، منها جامع قلعة الجبل الموجود بها الآن ، جَدَّدَه فى سنة سبــع عشرة وسبع مائة ، وعمر القصور العظيمة بمنزلة سِرْيَاقُوس فى سنة خمس وعشرين وسبــع مائة ، وبالغ فى شراء الخيل حتى اشترى منها دفعة واحدة بمائتى ألف درهم (١١٣٥) وبالغ فى شراءِ المماليك وأثمانهم حتى اشترى كلَّ مملوك بمائة ألفٍ درهم إلى ما دون ذلك ، وخلّف خمسة عشر ولدًا ذكرا ، تسلطن منهم ثمانية بعده .

ولايات الأمصار فى خلافته

كانت مصر فى أيامه بيد الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سلطنته الثالثة ، وتوفى سنة إحدى وأربعين وسبع مائة ، وملك بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر بن الناصر محمد بعد موت أبيه ، وبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت مكة بيد ثقبة[1] بن رميثة ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم هذا .

وكانت المدينة بيد طُفيل بن منصور بن جماز ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكان اليمن بيد الملك المجاهد سيف الدين علىّ ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت بغداد وما معها بيد الشيخ حسن الكبير ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم . وكان ما وراء النَّهر وخراسان بيد بنى جنكزخان من غير بنى هولاكو .

وكانت مملكة الشمال بيد أزبك خان . فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

(١) فى صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٧٤ « بقية » . هذا والأصل يكتبه دائما ثقبة .

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقيـــة وبجاية بيد السلطان أبى بـــكر ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت تلمسان بيد أبى عنان بن السلطان أبى الحسن المَرِينى ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكان الغرب الأقصى بيد السلطان أبى الحسن على بن عثمان ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت غرناطة من الأندلس بيد أبى الحجاج يوسف بن أبى الوليد من بنى الأحمر ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

الخامس من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

الواثق بالله (١)

وهو أبو إسحاق إبراهيم بن الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن الحسين (٢) المقدم ذكره ، وهذا اللقب منقول عن الواثق بالله أبى جعفر هــارون (١٣٥ ب) تاسع خلفــاء بنى العباس بالعراق ، بويــع له بالخلافة بعد خلع أخيه

(١) رتبه في تاريخ الخلفاء ص ١٩٦ قبل الحاكم بأمر الله ص ١٩٧

(٢) انظر صفحة ١١٦ وهامشها ، وانظر هامش الصفحة التالية .

الحاكم[1] فى العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبـــع مائة ، وقام ببيعته الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية ، ولم يزل يخطب له على المنابر وراتِبُ الخِلافة يُحْمل إليـــه إلى العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأَربعين وسبـــع مائة ، ثم أُعيدت الخطبة للحاكم بـأَمر الله أَحمد بن المستـــكفى سليمان المقدّم ذكره ، وفُوِّض إليه نظر المشهد النَّفيسى ، فاستقرَّ بيد الخلفاء إلى الآن ، وبقى حتى تُوفِّى فى رابع شعبان سنة ثمان وأَربعين وسبـــع مائة .

الحوادث والمـــاجريات فى خلافته

قد تقدم أَن المستـــكفى بالله أَبى الربيـــع سليمان كان قد عهد إلى ابنه الحاكم بـأَمر الله أَبى العباس أَحمد بـأَربعين شاهدا بمدينة قوص ، وثبت ذلك على الحاكم بها ، فلما مات المستـــكفى قَصدَ الملكُ الناصر محمد بن قلاوون سلطانُ الديارُ المصرية يومئذ أَن يخطب بمملـــكة الديار المصرية للواثق إبراهيم المقدم ذكره ، فلم يتمَّ له ذلك ، لِما تقدم من العهد إلى الحاكم المذكور ، فبقى الأَمر على ذلك إلى أَن

(١) في تاريخ الخلفاء أنه ابراهيم بن المستمسك بالله محمد بن الحاكم فالحاكم الثاني ليس أخاه .

تُوفِّى الملك الناصر فى سنة إِحدى وأَربعين وسبع مائة ، فأُعيد الحاكم المذكور إلى خلافته .

وفى أَيامه فى سنة اثنتين وأَربعين وسبع مائة كان القبض على الأَمير قُوصون أَتابك العساكر ، بعد أَن كان عِنان السلطنة بيده فى أَيام الملك الأَشرف كجك بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون المقدم ذكره لصغره .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت مصر والشام بيد الملك المنصور أَبى بكر بن الناصر محمد بن قلاوون ، فبقى حتى خلع فى تاسع عشر صفر سنة اثنتين وأَربعين وسبع مائة ، وملك بعده أَخوه الملك الأَشرف كجك بن الناصرمحمد بن قلاوون يوم خَلْع أَخيه المنصور ، وخُلِع فى التاسع والعشرين (١٣٦ ا) من رجب من السنة المذكورة ، وملك بعده أَخوه الملك الناصر أَحمد بن الناصر محمد بن قلاوون بعد أَن أُحضر من الكرَك ، واستمر فى السلطنة حتى خلعَ نفسَه فى أَوائل المحرم سنة ثلاث وأَربعين وسبع مائة ، وملك بعده أَخوه الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن

قلاوون فى العشرين من المحرم المذكور ، وبقى حتى تُوفى فى رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبع مائة ، وملك بعده أخوه الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون ، يوم موت أخيه الصالح إسماعيل ، وبقى حتى خُلع فى ثمانى جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبع مائة ، وملك بعده أخوه الملك المظفرّ حاجِّى بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أَخيه الكامل شعبان ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق و [عودة] الحاكم بعده .

وكانت مكة بيد ثقبة بن رميثة ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق والحاكم بعده .

[وكانت المدينة بيد طفيل بن منصور ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعودة الحاكم بعده] .

وكانت اليمن بيد الملك المجاهد سيف الدين على بن المؤَيَّد هزبر الدين داود فى سلطنته الثانية ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعودة الحاكم بعده .

وكانت بغداد وما معها من مملكة أيران بيد الشيخ

حسن الكبير ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم بعده .

وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك بيد جغطاى من بنى جنكزخان .

وكانت مملكة الشمال بيد أزبك ، فتوفى سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة ، وملك بعده ابنهُ جانى بك بن أزبك ، فقصد توريز وملكها ، ثم كرّ راجعاً فمات فى طريقه لثلاث سنين من ملكه ، وأُقيم ابنه بردى بك بن جانى بك مقامه فى الملك ، وملك بعده ابنه طقطمش [1] وهو صغير ، فخرج عليه ماماى أحد أُمراء دولته بالقرم ، ونَصَّب من ولد أزبك صغيرا اسمه عبد الله بن أزبك ، وزحف إلى مدينة السراى قاعدة ملكهم ، فهرب منها طقطمش ، واستولى ماماى على السراى (١٣٦ ب) وأجلس عبد الله بن أزبك على كرسى الملك بها ، فنازعه أمير من أُمراء الدولة ، ونصَّب من بنى القان آخر اسمه طقتمر [2] ، فغلبه

(١) فى صبح الأعشى جـ ٤ ص ٤٧٣ : طقتمش .

(٢) فى صبح الأعشى جـ٤ ص٤٧٤ قطلقتمر

ماماى وقتلهما ، واستولى على المملكة ، وبقى فيما أظن إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم .

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية ، وبجاية من المغرب الأوسط بيد السلطان المتوكل على الله أبي يحيي أبي بكر إبراهيم [1] فتوفى فى رجب سنة سبع وأربعين وسبع مائة ، وملك بعده ابنه أبو حفص بن أبي بكر بعهد من أبيه ، فبقى حتى قصده السلطان أبو الحسن المرينى فى سنة ثمان وأربعين وسبع مائة ، وملك بجاية وقُسَنْطينة ، وقُتِل أبو حفص بن أبي بكر فى حربه بتونس ، واستضافها إلى مملكته بالغرب الأقصى وكمُل له بذلك مُلك جميع المغرب ، واستخلف فى المملكة ابنه أبا الفضل بن أبي الحسن ، وسار إلى المغرب فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم .

وكانت تلمسان بيد السلطان أبي الحسن المرينى ونائبه

(١) هذا كلام مضطرب . والصواب كما يؤخذ من صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٣٠ : بيد السلطان أبي بكر إلى أن غلبه على تونس إبراهيم بن أبي بكر الشهيد . ثم غلبه عليها السلطان أبو بكر وانتزعها من يده واستقر في يده ملك افريقية وبجاية إلى أن مات فجأة في رجب سنة سبع وأربعين وسبعمائة .

عليها ابنه أبو عنان بن أَبى الحسن ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعقد خلافة الحاكم .

وكان على الغرب الأَقصى السلطان أَبو الحسن المرينى فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم .

وكانت غرناطة من الأَندلس بيد يوسف بن أَبى الوليد من بنى الأَحمر ، وفى خلال أَيامه تغلب طاغية النصارى على الجزيرة الخضراء ، وانتزعها من يد المسلمين صلحا فى سنة ثلاث وأَربعين وسبع مائة ، بعد حروب عظيمة ، وبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم .

السادس من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

المعتضد بالله

وهو أَبو الفتح أَبو بكر بن المستكفى بالله أَبى الربيع سليمان المقدم ذكره ، وهذا اللقب منقول إليه عن المعتضد بالله أَبى العباس أَحمد بن الموفق طلحة (١٣٧ ا) سابع عشر خلفائهم بالعراق ، وبويع له بالخلافة بعد موت أَخيه الحاكم بأَمر الله أَحمد بن المستكفى بالله أَبى

الربيــع سليمان ، فى سابــع عشر شعبان المــكرم سنــة ثمان وأربعين [1] وسبعمائة ، وبقى حتى توفى فى عاشر جُمادى الأُولى سنة ثلاث وستين [2] وسبعمائة ، فكانت خلافته أربــع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً ، وكان له من الأولاد المتوكل على الله محمد الآتى ذكره .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى سنة تســع وأربعين وسبعمائة كانت فَرْقَةُ النيــل التى بين مصر والروضة قد نَشفَت وصار النيل بجملتــه بين الروضة والجيزة ، فأُقيم الأمير منجك لإصلاح ذلك حتى تعود الفرقة التى بين مصر والروضة على عادتها فى استمرار المــاء فيها شتاءً وصيفاً ، فاشترى مراكب وملأها بالحجر والطين وغرّقها فى بحر الجيزة ، فلم يظهر لذلك أثر ، وبقى الأمر على ما كان عليه ، ويأبى الله إلاّ ما أراد .

وفى سنــة تســع وأربعين وسبعمائة كان الطاعون العظيم الذىعم أقطار الأرض ، وخرب أكثر البلاد وخلت فيه من

(١) فى تاريخ الخلفاء ص٢٠١ فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وكذلك فى حياة الحيوان ص٨٤ .

(٢) فى الأصل : وسبعين والتصويب من ولاية الخليفة بعده ومن تاريخ الخلفاء ص ٢٠١ وحياة الحيوان ص ٨٤

الناس ، يقال : إنه كان يخرج فيه فى كل يوم من القاهرة أكثر من عشرين ألف جنازة ، ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم ، وأقام دائراً فى البلاد مدة سنتين ، وعم جميع الأقطار إلا المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فإنه لم يدخلها فإنه صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنه لا يدخلها طاعون ، وعُدِم بسببه أكثر البضائع لقلّة الصناع والتجار ، وبلغ فيه إذ ذاك الرَّاوِيةُ الماء بالقاهرة عشرة دراهم ، وأُجرة طحن القمح كل إردب خمسة عشر درهما ، وغلا الشعير مع الحجاج حتى بلغ الشعير كلٌّ وَيْبة ما يزيد على مائة درهم .

وفى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة قبض السلطان الملك الصالحُ صالحٌ على الصاحبِ علمِ الدين بن زنبور ، وهو يومئذ وزير وناظر الجيوش وناظر الخواصّ ، وضُرب وصُودر ، وأُخذ منه أموال (١٣٧ ب) جَمَّة ، يقال : إنه وُجد له من ثياب بدنه التى يلبسها ألفان وستمائة قطعة ، منها مفرد [1] ألفا قطعة ، وبوجهين ستمائة قطعة ، ووجد له حُنينيات خمسة آلاف قطعة ، وأوانى ذهب وفضة

(١) فى الأصل « مفرى » ولعلها أيضا مفردى .

ستون قنطارا ، وجوهر قنطاران وأربعون رطلا ، وحب لؤلؤ أردبان بالـكيل المصرى ، وذهب مسـكوك ستمائة ألف دينار ، وفضة نقش ثلاثون أردبا ، وحوائص ذهب ستة آلاف حياصة ، وكلوتات زركش ستة آلاف كلوتة ، وشاشات وتخافيف ثلاثمائة [1] قطعة ، وبسط خمسة وثلاثون ألف قطعة ، وأنطاع ألف نطع ، وخيول ودواب عشرون ألف رأس ، ورقيق سبعمائة رأس وعشرة رؤوس ، ومماليك ترك وغيرهم خمسون مملوكا ، وخُدَّام مائة خادم ، وعبيد مائة عبد ، ونُحَاس أربعون ألف قطعة ، وأملاك وعقار وضياع ستة آلاف مـكان ، قومت بثلاثمائة ألف دينار ، ومعاصر قصب خمس وعشرون معصرة ، وإقطاعات حَلْقة سبعمائة إقطاع ، وسروج وعدّة خيل قُوِّمت بثمان مائة ألف درهم ، ومتاجر وبضائع ومخازن قُوِّمت بأربعمائة ألف دينار ، ومراكب ستمائة مركب ، وبساتين وجُنَينات مائتا موضع ، وسواقى ألف وأربعمائة ساقية ، خارجا عن الأبقار والأغنام والغلال والأوانى الصينى وغير ذلك .

وفى سنة أربع وخمسين وسبعمائة خرجت المراسم السلطانية

---

(١) لعلها ثلاثة آلاف أو ثلاثون ألف

عن السلطان الملك الصالح بأن اليهود والنصارى لا يتحدثون فى ديوان من دواوين السلطان ولا دواوين الأُمراء ، وأن لا يُكْرموا فى المجالس ، وأن تكون عمائمهم عشرة أذرع بغير زيادة ، وأن يَلْبسوا الفراجى الزُّرق ، ويكون ركوبهم عرضا ، وأن يكون قيمة كل حمار من مراكبهم دون مائة درهم ، وإذا مرَّ أَحد منهم بمُسلمٍ جالسٍ نزل وأظهر المسكنة ، وأن لا يدخل النصارى الحمام إلا بصليب (١٣٨ ا) وطوق فى عنقه ، وأن لا يدخل نساؤهم الحمامات مع المسلمات ، وأن يكون خُفَّاها لَوْنين ، وأن يكون إزار النصرانية أَزرق ، وإزار اليهودية أَصفر ، وكتب بذلك إلى سائر الممالك لِيُجروهم على ذلك .

وفى سنة ست وخمسين وسبعمائة كمُلَت عِمارة الخانقاه السَّيفيّة شيخو بالصَّليبة ، وفيها شرع السلطان حسن فى عمارة مدرسة تحت القلعة ، وكان مكانها قصرا للأَمير يلبغا البجياوى ، فهدمه وعمرها مكانه ، وفيها هبت ريح شديدة من المغرب اصفَرَّ بها الجو ، ثم احمرّ ، ثم اصفرَّ ، ثم احمرّ ، ثم اسودّ .رمَتِ الجدرانَ وكسرت الأَشجار وبقيت من أَول النهار إلى بعد منتصف الليل ، ثم أَعقبها مطر فسكنت .

وفى سنة تسع وخمسين وسبعمائة ضُرِبت الفلوس الجدد فى سلطنة الناصر حسن بإشارة الأَمير صرغتمش أَتابك العساكر ، وكانت من أَحسن الفلوس وضعا ، فإن زنة كلٍّ فَلْس مثقالٌ وهو قيراط من درهم ، وسبب ذلك أَن الناس كانوا يعبثون فى المعاملة بالفلوس ، حتى صاروا يقصُّون كل فلس أَربع قطع ويحسبونه بأَربع فلوس ، وفيها فتح الأَمير بيبرس الخوارزمى نائب حلب أَدَنَة وطرسوس والمصيصة وعدّة قلاع مما كان بأَيدى [1] الأَرمن .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت مصر والشام بيد المظفر حاجِّى بن الناصر محمد ابن قلاوون ، وخلع فى ثامن [2] عشر رمضان سنة ثمان وأَربعين وسبعمائة ، ثم قتل من يومه ، وملك بعده أَخوه الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهى سلطنته الأُولى فى تاسع [3] عشر الشهر المذكور ،

---

(١) فى الأصل : باى الأرمن .

(٢) فى صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٣٧ فى ثانى عشر رمضان .

(٣) يلاحظ أن الكلمة فى الأصل مصححة بكلمة « تاسع » وكان أصلها « رابع » وهو ما يتفق مع صبح الأعشى من أن الخلع كان فى ثانى عشر رمضان .

وخلع فى التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ، وملك بعده أَخوه الملك الصالحُ صالحُ ابنُ الملك النـاصر محمد بن قلاون يوم خَلْـع أَخيه [الناصر] حسن المذكور ، وخلع ثانى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة (١٣٨ ب) وملك بعده أَخوه الملك النـاصر حسن المقـدم ذكره يوم خلع أَخيه الملك [1] الصالحِ صالحٍ وهى سلطنته الثانية ، وبقى حتى خلع [وقُتل] فى عاشر جُمـادى الأُولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، وبنى مدرسته العظمى [2] بجانب سوق الخيل تحت قلعة الجبل ، وهو آخر من ملك من أَولاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لصلبه ، وملك بعده ابن أَخيه الملك المنصور محمد بن المظفر حاجِّى بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع عمه الناصر حسن ، وبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

وكانت مـكة بيد ثقبة بن رميثة ، ثم اجتمـع ثقبة وأَخوه عجلان بمصر سنة ست وخمسين وسبع مائة ، فولّى

(١) في الأصل : أخيه ابن الصالح .

(٢) في صبح الأعشى : المعظمة .

السلطانُ عجلانَ ، وفَرّ ثقبة إلى الحجاز ، فأَقام بمكة منازعا لأَخيه عجلان من غير ولاية ، وعجلان مستبد بولايتها جار علَى سنن العدل والتجافى عن أَموال الرعية و التعرّض للمجاورين ، وبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

وكانت المدينة بيد طُفيل [بن منصور] بن جماز بن بنى الحُسين ، فبقى إلى سنة إحدى وخمسين وسبع مائة ، فوقع النَّهب فى الركب بالمدينـــة فى الموسم ، فقَبض عليه الأَمير طاز أَمير ركب الحج وولّى مــكانه رجلا من عقب جمَّاز اسمه سَيْف ، ثم ولى بعده [فَضْل ، من عقب جماز أَيضا ، ثم ولى بعد فضلٍ مانعٌ من عقب جمَّاز ثم ولى] جمَّاز ابن منصور بن جمَّــاز ، ثم دس عليه النـــاصر حسن صاحب الديار المصرية من الفِــدَاوِيّة من قتله ، واتفق أُمراء الركب على تولية ابنه هِبة إلى حين يَرِدُ عليهم من السلطان ما يعتمدونه ، ثم ورد أَمر السلطان بتولية مانع [1] فولى ثم ولى بعده عطية بن منصور بن جماز ، وأَظنه بقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

(١) في صبح الأعشى جـ ٤ ص ٣٠١ «ثم ورد أمر السلطان بتولية هبة من عقب ودى فمرل ودى وولى مكانه ثم ولى بعده عطية بن منصور» . هذا وبهامش صبح الأعشى تعليق على كلمة « فعزل ودى » نصه : لعله زائد من قلم الناسخ .

وكان اليمن بيد الملك المجاهد على بن المؤيد هزبر الدين داود فى سلطنته الثانية ، فبقى حتى حَجّ سنة إحدى وخمسين وسبع مائة فى أيام الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام ، وكان الأمير طاز أحد أكابر أمراء الديار المصرية قد حجّ فى تلك السنة ، وأُشيع بمكة أن المجاهد عليًّا يكسو الكعبة ، فوقعت الفتنة بين العسكر المصرى والملك المجاهد ، فانهزم المجاهد (١٣٩ ا) وعسكره وأُسِر هو وحُمل إلى مصر فاعتقل بها ، ثم أُطلق سنة ثنتين وخمسين وسبعمائة فى دولة الملك الصالحِ صالحٍ ، ووُجِّه معه الأمير قشتمر المنصورى ليوصله إلى بلاده ، فلما بلغ [به] الينبع ارتاب منه فى الهرب ، فرجع به إلى مصر ، فحبس فى الكَرَك من بلاد الشام ، ثم أُطلق وأُعيد إلى ملكه ، وأقام على مداراة صاحب مصر .

وكانت بغداد وما معها من مملكة إيران بيد الشيخ حسن الكبير ، فبقى إلى أن مات فى بغداد سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، وملك بعده ابنه أُوَيْس بن الشيخ حسن الكبير ، فبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

وكان ما وراء النهر وخراسان وما مـع ذلك بيد بنى جنـكزخان .

وكانت مملـكة الشمال من بلاد الترك بيد ماماى المستولى عليهـا بعد قتل طقتمر ، فزحف عليه صلجى[1] جركس أحد المتغلبين على بعض أعمال السراى وملـكها من يده ، وصار ماماى إلى القِرمِ فغلب عليها ، ثم زحف أليك [2] خان إلى السراى وملـكها من يد صلجى جركس ، فبقى أياماً ثم هلك وملك بعده ابنـه قانى باى [3] خان .

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية وقُسَنْطِينة من الغرب الأوسط بيد أبى الفضل بن السلطان أبى الحسن المرينى صاحب الغرب الأقصى ، فخرج عليه أبو [العباس] الفضل بن السلطان أبى بـكر صاحب بجاية وقصده بتونس ، فخرج منها أبو الفضل بن أبى الحسن فارًّا إلى أبيه بالغرب الأقصى ، ودخلها أبو [العباس] الفضل بن السلطان أبى بكر وملكها سنة تسع وأربعين وسبعمائة واستولى على جميـع المملـكة ، وبقى حتى قبض عليه [سنة إحدى

(١) فى صبح الأعشى حـ٤ ص٤٧٤ : حاجى .
(٢) فى صبح الأعشى حـ ٤ ص ٤٧٤ أيبك .
(٣) فى صبح الأعشى : قانى بك خان .

وخمسين وسبعمائة وبويع بعده] أَخوه أَبو إِسحاق إِبراهيم بن أَبى بـــكر وهو غلام قد ناهز الحُلُم وخنقه بعد ليلة [1] واستولى على تونس وبجاية وقُسنطينة وبلادها ، فبقيت فى يده حتى غلبه أَبو عنان بن السلطان أَبى الحسن المَرينى عـــلى بجـــاية وقسنطينة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، ثم انتزع منه السلطان أَبو العباس أَحمد بن محمد بن أَبى بـــكر قُسَنطينةَ [2] فى السنة المذكورة ، ثم (١٣٩ ب) غلبه عليها أَبو عِنان بن السلطان أَبى الحسن المَرِينى واستولى عليها ثانيا ، ثم رجع إلى الغرب الأَقصى سنـــة سبـــع وخمسين وسبعمائة ، فسار أَبو إِسحاق إِبراهيم صاحب تونس إِليهـــا فملـــكها من يد عامل أَبى عنان سنة إِحدى وستين وسبعمائة ، ثم قوى أَمر السلطان أَبو العباس أَحمد بن محمد بن أَبى بـــكر فعاد إِلى قُسنطينة وملـــكها فى السنة المذكورة ، وبقى إِلى ما بعد خلافة المعتضد .

وكانت تلمسان بيد السلطان أَبى الحسن المرينى ، ونائبه فيها ابنه أَبو عنان بن أَبى الحسن ، ثم ارتحل عنها أَبو عنان

---

(١) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٣١ : وقتل الفضل في جوف الليل من الليلة القابلة خنقا .

(٢) في الأصل : « على قسنطينة » هذا وتعبير صبح الأعشى : ثم استولى السلطان أبو العباس أحمد ابن محمد بن أبي بكر على قسنطينة ....

إلى المغرب عند إشاعة موت أبيه فى حرب العرب ، واستخلف عليها عثمان بن حرّاز فى ربيع سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، فبقى حتى سار إليه أبو سعيد ، فدخل تلمسان وملكها من يده فى السنة المذكورة ، ثم قصد أبو عنان بن السلطان أبى الحسن تلمسانَ ، فملكها سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وقبض على السلطان أبى سعيد وملك تلمسان من يده ، واستخلف بعض أولاده عليها ، ورجع إلى الغرب الأقصى ، فعمد أبو حَمُو بن بنى عبد الواد إلى تلمسان فملكها فى ربيع الأول سنة ستين وسبعمائة ، وخرج ابن السلطان أبى عنان فلحق بالمغرب ، ثم سار السلطان أبو سالم بن أبى عنان إلى تلمسان فملكها فى سنة إحدى وستين وسبعمائة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

وكان الغرب الأقصى بيد السلطان أبى الحسن المرينى ، فتوفى فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين[1] وسبعمائة ، وملك بعده ابنه ولىُّ عهده أبو عنان بن أبى الحسن ، فتوفى فى ذى الحجة سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، وكان قد عهد إلى ابنه أبى زيان ،

(١) في الأصل : « وعشرين » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٩٨

فعدل عنه إلى [ابنه] السعيد بن أبى عنان ، ثم خرج عليه [1] عمه أبو سالم [إبراهيم] بن أبى الحسن ، فغلبه على ملكه ، ودخل مدينة فاس فى منتصف شعبان سنة ستين وسبعمائة ، فبقى حتى أُقيم مكانه أبو عمر تاشفين المعروف بالمُوَسوس بن السلطان أبى الحسن ، وقبض على أبى سالم وقتله ، فبقى حتى خُلـع وولى مكانه (١٤ ا) أبو زَيَّان محمد بن الأمير [2] عبد الرحمن بن السلطان أبى الحسن ، وكان غائبا بالأندلس ، فقدم مدينة فاس ودخلها فى منتصف شهر صفر سنة ثلاثٍ وستين وسبعمائة ، فبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

وكان ما بقى من الأندلس بيد المسلمين وهو غرناطة ومامعها بيد يوسف بن أبى الوليد من بنى الأحمر ، فتوفى يوم الفطر سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، وولى مكانه ابنه محمد بن يوسف ، فأقام خمس سنين إلى أن خُلع وولى مكانه أخوه إسماعيل بن يوسف فى ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة ستين وسبعمائة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

---

(١) « عليه » يراد : على السعيد بن أبى عنان .

(٢) فى الأصل : بن أبى عبد الرحمن ، والتصويب من صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٠٠

السابع من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

المتوكل على الله

وهو الإمام الأَعظم أَبو عبد الله محمد بن المعتضد بالله المقدِّم ذكره ، وهذا اللقب منقول إليه عن المتوكل على الله أَبي الفضل جعفر عاشر خلفائهم بالعراق ، كان رقيق السُّمرة [١] ، وافر اللِّحية ، معتدل القامة ، حسن الشكل ، عظيم الهيبة ، وافر العقل ، كثير التواضع ، ولى الخلافة بعهد من أَبيه المعتضد بالله المقدم ذكره ، ثم بويع له بالخلافة بعد وفاته يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأُولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، وهى ولايته الأُولى ، وبقى حتى خلعه الأَمير أَيبك [٢] أَتابك العساكر فى سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، فكانت خلافته هذه خمس عشرة سنة وأَشهرا .

---

(١) لعلها أيضا : رقيق البشرة .

(٢) في الأصل « اينبك » والتصويب من صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٦٦ هذا وفي صبح الأعشى أنه خلع ثم أعيد ثانيا في أواخر المحرم أو أوائل صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة بعد أن ولى المستعصم الخلافة دون ثلاثة أشهر .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى سنة أربع وستين وسبعمائة مات حسين بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وهو والد السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين الآتى ذكره ، وكان أحسن أولاد السلطان الملك الناصر موتاً . وعقبها كانت سلطنة ابنه الأشرف شعبان فى السنة المذكورة ، وفيها برزت (١٤٠ ب) الأوامر السلطانية لمنكلى بغا الشمسى نائب الشام بفتح باب دمشق المعروف بباب كيسان ، ففتح ، وكان له من حين سدّه السلطان نور الدين الشهيد ما يزيد على مائتى سنة مسدودا .

وفى سنة سبع وستين وسبعمائة وصل صاحب قبرس من جزائر الفرنج [إلى الاسكندرية] [1] ومعه أسطول عظيم نحو سبعين مركبا حربية فى عسكر عظيم ، وهى يومئذ ولاية قبل أن تستقرّ نيابة ، ففتحوها وقتلوا منها خلقا كثيرا ، وأسروا النساء والصبيان ، وأحرق أهل البلد باب رشيد من أبوابها ، وخرجوا منها فارّين واتصل

(١) الزيادة مقتبسة من صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٠٨ عند الكلام على الإسكندرية ويؤيد ذلك ما سيأتى فى هذه الصفحة من الأصل .

الخبر بالسلطان الملك الأَشرف والأَمير يلبغا أَتابك عسكره ، فأَسرعوا المسير إليها ، فبلغ خبرُ العسكر الفرنجَ ففروا هاربين إلى المراكب بما أَخذوه من الأَموال العظيمة والأَسرى ، وساروا إلى بلادهم ، فعمرت البلد وأَسوارها ، ورجع أَهلها إليها ، وعاد السلطان للديار المصرية إلى القلعة .

وفى سنة ثمان وستين وسبعمائة وصلت رسل الملك الأَفضل عباس صاحب اليمن إلى الأَبواب السلطانية بالديار المصرية بهدية جليلة ، منها فيل ، وفرس بغير ذكر ولا أُنثيين من أَصل الخلقة ، وجملة من القماش والمسك والعنبر والعود والصندل واللبان والبهار وحجارة الموميا والعقيق ، ورماح القنا ، وغير ذلك ، فقبل السلطان هديتهم ، وأَعادهم إلى مرسلهم ، وفيها شرع الأَمير يلبغا فى عمارة أُسطول عظيم مائة مركب حربية ما بين طرائر وأَغربة ، لِقصد غزو قبرس فى نظير طروقه الاسكندرية ، وفرغت عمارته جميعها فى دون سنة ، وذلك ما لم يصل إليه همَّةُ ملك ، وأَدرك الفرنجَ من ذلك رعبٌ عظيم ، حتى أَن الصغير كان يبكى فتخوفّه أُمه بالأَمير يلبغا ، وربما جَفَلَت فرسُ أَحدهم من الحوض وهى تشرب فيقول لها : الأَمير يلبغا فى

الحوض ؟ وفيها خرج السلطان الأَشرف والأَمير يلبغا إلى البحيرة للصيد ، فكبس مماليك يلبغا عليه بمنزلة الطرانة فى الليل ، ففر الأَمير يلبغا وعدّى إلى بر القاهرة ، وتبعه السلطان بمن معه (١٤١ ا) من الأُمراء ونزل ببولاق التكرورى مقابل القاهرة ، وتراموا بالنفط من البرّين ، فاستدعى الأَميرُ يلبغا أَنوكَ بنَ حسين أَخى السلطان الأَشرف ، وسلطنه ولقبه الملك المنصور ، وهو المعروف بسلطان الجزيرة ، فعدّى السلطان الأَشرف من الورّاق إلى جزيرة الفيل ، فتفرق أَصحاب يلبغا عنه ، وفرّ بمن بقى معه إلى تحت القلعة ، ففرّ عنه من بقى معه ، فذهب إلى بيته بالكبش ، ثم سلمهم نفسه فضربوا عنقه ، ودفن بتربة قرابغا خارج باب البرقيّة ، واستقر فى الأَتابكية مكانه الأَمير أَسندمر الناصرى فى سنة تسع وستين وسبعمائة ، وفى سنة تسع وسبعين وسبعمائة وقعت وقعة بين السلطان والأَمير أَسندمر فوقعت الكسرة على أَسندمر ، فقُبض عليه ، وقتل من كان معه من المماليك الجُلب ، وكان أَكثرُ من قتلهم العوامَّ ، بتسلطهم بالفساد ، وهجوم الحمامات على النساء ، وأَخذهم النساء من الطرقات ،

ثم عفا السلطان عن الأَمير أَسندمر وأَطلقه ، ثم قبض عليه مع جماعة من الأُمراء فى هذه السنة فاعتُقلوا بالإسكندرية .

وفى سنة سبعين حجّت والدة السلطان الأَشرف .

وفى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة جرى كلام فى حق الأَشراف العلَوِيّين بسبب أَن بعض الأُمراء وقع فى حق أَحدهم ، وزعم أَنه لم يعرف كونَه شريفا ، فأَمر السلطان الأَشرافَ بالديار المصرية أَن يجعل كلُّ واحد منهم فى عمامته عِصابة خضراء من صوف أَو حرير أَو غير ذلك مستديرة على بعض لفات العمامة ليمتازوا عن غيرهم .

وفى سنة أَربع وسبعين وسبعمائة توقف النيل عن الوفاء ، وكُسِر الخليجُ مع نقص أَصبعين عن الستة عشر ذراعا ، وخرج الناس إلى الصحراء خارج باب النصر واستسقَوْا ، وفيهم الأُمراء والقضاة والفقهاء والأَعيان والضعفاء والأَطفالُ ، ونقص النيل بعد ذلك فلم يُرْوِ من بلاد مصر إلاَّ القليل ، وبلغ سعر القمح أَربعين درهما كل أَردب ثم بلغ سبعين (١٤١ ب) وفى سنة أَربع وسبعين وسبعمائة توفيت خوند والدة السلطان الأَشرف ،

وهى متزوجة بالأَمير الجاى اليوسفى أَتابك العساكر ، فنظم بعض شعراء العصر فى ذلك :

فى ثانى العشرين من ذى القعدة [1]

كانت صَبيحةُ موت أُمِّ الأَشْرَفِ

فاللهُ يرحمها ويُعظم أَجـــرهـــا

ويـــكون فى عاشورَ مَوْتُ اليُوسُفِى

فـــكان الأَمر كمـــا كان ، فإِنه فى أَول سنة خمس وسبعمائة تغيّر السلطان على الأَمير الجاى ، ففر هاربا إِلى ساحل قليوب ، فأَلقى نفسه بفرسه فى النيل ليُعَدِّى إِلى بر الجيزة فغرق ، وكان فى يوم عاشوراء كما تقدمت الإِشارة إِليه فى البيتين السابقين ، وكان من جملة أُمراء الأَشرف أَرغون شاه الخاصـــكى من كبار أُمرائه ، فنظم بعض الشعراء فيـــه :

الْجَاىُ ذاك الرُّخُّ لما طغى	فى دَسْته مال لنقل الوُشاه [2]
تراجعت عـــن صَفِّه خيلُه	وكلُّ فِرْزٍ إِنْ مضى ما اختشاهْ
ونفسَه جَالَ بها ساعـــةً	ولم يَضْرِبـــه أَرغُون شَاهْ

(١) هذا الشطر يستقيم اذا حركت ياء ثانى بالكسرة ونطقت « من ذى قعدة » بدون ألف ولام مع تنوين « قعدة » .

(٢) في الأصل : « إلى نقل الوشاة » .

وكان أَرغون شاه أَحــد أُمراء الأَشرف الخاصكية .

ونظم آخــر :

الجاى قال اعــذروا فإنى قهرت بالأَشرف الـكَرَمْ

حسبت كــلَّ الحساب إلاّ ظهــورَ شعبــان فى الحَرَم

وفى سنة ست وسبعين وسبعمائة اشتد الغــلاء بالديار المصرية حتى بيــع القمــح كل أَردب بمائة وعشرين درهما ، ثم تزايد حتى بلغ مائة وستين ، والشعير بثمانين درهما كل أَردب ، والخبز كلّ رطلين بدرهم ، ولحم الضأْن كلّ رطلين بدرهمين ونصف ، ولحم البقر بدون ذلك ، والرَّاوِيةُ المــاء خمسة دراهم ، وبيــع كلُّ فرُّوج بخمسة وأَربعين درهما ، وكل سفَرْجلة بخمسين درهما ، وكل رُمَّانة لفان بعشرة دراهم ، وكل رمانة حــلوة بستــة عشر درهما ، ومات أَكثر الدواب من قلة العلف ، وغلت البضائع لقلة الظَّهْر ، وأَكل الناس الميتة ، وجاعت الكلاب حتى أَكلت الموتى على الطرقات (١٤٢ ا) وتَنبش القبور وتُخرج الموتى فتأْكلهم ، وصار الناس فى بلاءٍ عظيم ، وفى السنة المذكورة فتــح الأَمير عشقتمر نائب حلب مدينة

سيس قاعدة ملك الأَرمن وانتزعها من أَيدى الأَرمن . وهو آخر الفتوح الإسلامية فيما أَدركناه .

وفى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة أَبطل السلطان الملك الأَشرف بواسطة شيخنا الشيخ سراج الدين البلقينىّ القراريط ، وهى مُكُوس كانت تُؤخذ على بيع العقار ، وفى السنة المذكورة تجهّز السلطان الملك الأَشرف إلى الحجاز ، فخرج عليه مماليكه بالعقبة ، ففرّ إلى القاهرة ، فقُبض عليه وقُتل ، كما سيأْتى بولايات الأَمصار .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت مصر والشام بيد الملك المنصور محمد بن المُظَفَّر حاجِّى ، فبقى حتى خلع فى خامس عشر شعبان سنة أَربع وستين وسبع مائة ، وملك بعده ابن عمه الملك الأَشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون وهو طفل ، وبقى حتى خرج للحج سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، فخرج عليه مماليكه بالعقبة [1] ففر منهم إلى مصر واختبأَ ، ثم وقع الظفر به وقُتِل فى ثالث ذى القعدة

(١) فى صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٣٨ عقبة أيلة .

سنة ثمان وسبعين وسبع مائة ، وملك بعده ابنه الملك المنصور عليٌّ يوم خلع أَبيه ، وقام بتدبير دولته الأَمير أَيبك [1] أَتابك العساكر ، فخلع أَيبك المتوكل واعتقله ببرج القلعة ، وبقى المنصور عليٌّ إلى ما بعد خلع المتوكل.

وكانت مكة بيد عجلان بن رميثة ، فبقى بها حتى توفى سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، وولى بعده ابنه أَحمد ، وكان قد فوّض إليه الأَمر فى حياته ، وقاسمه أَمْرَه ، فقام [أَحمد] بأَمر مكة بعد أَبيه أَحسن قيام ، جاريا علي سَنَن أَبيه فى العدل وحسن السيرة ، فبقى إلى ما بعد خلع المتوكل .

وكانت المدينة بيد عطية بن منصور بن جمّاز ، فأَقام سنين ، ثم عُزل وولى مكانه هبة بن جماز (١٤٢ب) ثم عزل وأُعيد عطية ، ثم تُوفى عَطِيّة وهبة ، وولى جماز ابن هبة ، وبقى فيما أَظن إلى ما بعد خلع المتوكل .

وكان اليمن بيد المجاهد علىّ بن هزبر الدين داود

(١) في الأصل كتب « أبينك » ثم كتب « اينبك » وانظر تاريخ الخلفاء ص ٢٠٢ وما تقدم في خلافة المتوكل على الله .

من بني رسـول ، فتُوفى سنـة سـت وستين وسبعمائة ، وملك بعـده ابنـه الملك الأَفضل عبـاس ، فبقى حتى مات سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، وملك بعده ابنه الملك المنصور محمد ، فبقى إلى ما بعد خلافة المتوكل .

وكانت بغداد وما معها من مملـكة إيران بيد الشيـخ أُويس بن الشيـخ حسن الـكبير ، فبقى حتى مات سنة ست وسبعين وسبعمائة ، وملك بعده بغداد وتَوْرِيز [1] ابنه حسين [2] بن أُويس ، وفى خلال ذلك استولى على توريز شجاع بن المظفر اليزدى ، ولحق حسين بن أُويس بأَخيه الشيخ علىّ ببغـداد ، ثم انتزعهـا منه حسين بن أُويس واستضافها إلى بغداد ، ثم انتزع علىٌّ بن أُويس بغداد من أَخيه حسين ، واستقرّ حسين بتوريز والشيخ علىّ ببغداد ، ولما رجع حسين إلى توريز استوحش منه أَخوه أَحمد بن أُويس ولحق بأَردبيل ، فطرق أَحمدُ توريز ، فملكها ، واختفى بها أَخوه حسين أياماً ، ثم قبض عليه أَحمد وقتله ، واستبد أَحمد بن أُويس بملك توريز وبغداد وما معهما من

(١) توريز هى تبريز انظر صبح الأعشى حـ ٤ ص٣٥٧ إذ يقول تبريز ... والجارى على ألسنة العامة توريز بالواو بدل الموحدة .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٧ ص ٢٥٧ حسن .

الأَعمال مثل السلطانية وتُسْتَر وغيرهما ، وبقى إلى ما بعد خلع المتوكل .

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد جفطاى من بنى جنـــكزخان .

وكانـــت مملـــكة الشمال بيـــد قانى بى خـــان [1] ابن البك خان ، فغلب عليه أَرص خان ، فهرب قانى بى خان بن البك خان إلى عملهم الأَول . واستقـــرّ أَرص خان بالسراى ، ومامای بالقِرمِ ، وذلك فى حدود ست وسبعين وسبعمائة ، وكان طقطمش بن بردى بك قد لحق بتمر سلطان المغل بما وراء النهر المعروف بتمرلنك ، فأَقام عنده ، وطمحت نفس طقطمش إلى ملك آبائه بسراى [2] فجهز معـــه السلطان تمر العســـاكر ، فسار بها إلى سراى ، وانتزعها من عمال أَرص ، واسترجع ما تغلب عليه قانى باى وصلجى (١٤٣ ا) جركس وغير ذلك ، واستولى على جميع المملكة ، وبقى إلى ما بعد خلع المتوكل [3] .

---

(١) تقدم أنه كتبه باى خان وأنه في صبح الأعشى بك خان .

(٢) في الأصل : « بصراى » وكذلك ستأتى في الأصل « صراى » وسبق أنها السراى .

(٣) في الأصل : المعتضد .

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجايه وقُسنطينه بيد أَبى العباس أَحمد بن محمد بن أَبى بكر ، ثم استولى على بجاية وقُسنطينة أَبو عبد الله محمد بن محمد بن السلطان أَبى بكر ، فى رمضان سنة خمس وستين وسبعمائة ، فأَساء السيرة ، فسار إِليه السلطان أَبو العباس من تونس فقتله ، ودخل بجاية تاسع عشر شعبان سنة سبع وستين وسبعمائة ، وملكها ، وبقيت بيده ، وتونس بيد السلطان أَبى إِسحاق إِبراهيم بن السلطان أَبى بكر ، إِلى أَن توفى السلطان أَبو إِسحاق فجأَة فى الليل سنة [سبع و] سبعين وسبعمائة ، وملك بعده تونسَ ابنُه أَبو البقاء خالد ، ثم رحل السلطان أَبو العبّاس من بجاية إِلى تونس وقَبَضَ على السلطان أَبى البقاء خالد ، واعتقله ، وملك تونس ، وانتظم فى ملكه إِفريقية وبجايه وقسنطينة وأَعمالها ، وبقى إِلى ما بعد خلع المتوكل [1] .

وكانت تلمسان بيد السلطان أَبى سالم بن أَبى عنان المرينى صاحب فاس ، فاستخلف على تلمسان أَبا زيّان محمد بن عمار بن السلطان أَبى تاشفين ، ورجع هو إِلى الغرب الأَقصى من سنته ، فنهض أَبو حمو إِلى تلمسان فدخلها

(١) فى الأصل : خلافة المتوكل .

وملكها ، وخرج منها أبو زيان ، ثم ثار على أبى حَمُو السلطانُ عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن المرينى صاحب الغرب الأقصى ، فملك منه تلمسان سنة إحدى وسبعين وسبعمائة ، ودخلها فى أوائل سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة ، ثم رجع أبو حمو إلى تلمسان واستولى عليها فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة ، ثم ملكها بعده السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمُو بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمراسن ، وبقى حتى مات فى سنة خمس وسبعين وسبعمائة ، وملك بعده أخوه أبو الحجاج يوسف بن أبى حمو ، ثم استنجد أبو زيان بن أبى حمو بأبى العباس المرينى صاحب فاس ، فاقتلع تلمسان من أخيه (١٤٣ ب) أبى الحجاج ، وملكها فى سنة ست وسبعين وسبع مائة ، وبقى إلى ما بعد خلع المتوكل .

وكان الغرب الأقصى بيد أبى زيّان محمد بن الأمير [1] عبد الرحمن بن السلطان أبى الحسن ، إلى أن قتله وزيره فى المحرم سنة ثمان وستين وسبع مائة ، وملك بعده عبدالعزيز ابن السلطان أبى الحسن ، فبقى حتى مات فى ربيع الآخر

(١) فى الأصل : « بن أبى عبد الرحمن » . والتصويب من صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٠٠

سنة أربـــع وسبعين وسبـــع مائة ، وملك بعده ابنه سعيد بن عبد العزيز وهو طفل ، وقام بتدبير دولته وزيره أبو بكر ، ثم غلبه على فاس والغرب الأقصى أبو العباس أحمد بن أبي سالم ، في المحرم سنة ست وسبعين وسبع مائة ، ثم توفى فى سنة ست وتسعين وسبـــع مائة .

وكانت غرناطة وما معها من الأندلس بيد إسماعيل ابن يوسف من بنى الأحمر ، فبقى إلى ما بعد خلع المتوكل .

الثامن من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

المستعصم بالله

وهو أبو يحيى زكريا بن الواثق [بالله] إبراهيم بن المستكفى أبي الربيـــع سليمان المقدم ذكره . وهذا اللقب منقول عن المستعصم بالله أبي أحمد عبد الله ، آخر خلفائهم بالعراق ، فبايعه الأمير أيبك (١) أتابك العساكر بعد خلع أمير المؤمنين المتوكل ، بمفرده من غير اجتماع أحد من أهل الحلّ والعقد غيره ، فى سنة تسـع وسبعين وسبـــع مائة ، فبقى

(١) في الأصل : « أينبك » وكذلك ما سبق وما يأتى .

ثلاثة أَشهـر ، ثم خلعه وأَعاد المتوكل إلى الخلافة ، وهى خلافته الثانية ، فبقى حتى خلعه السلطان الملك الظاهر برقوق ، واعتقلـه فى برج بالقلعة ، فى مستهل رجب سنة خمس وثمانين وسبـع مائة .

الحوادث والماجريات فى خلافته

وفى عود المتوكل إلى الخلافة ثانيا

لمـا خلع أَيبك أَتابك العساكر الإمام المتوكل على الله محمد وقرر المستعصم زكريا فى الخلافة تغيّرت عليه الممالك ، ونفرت عنه قلوب العساكر ، وخامرت عليه[1] نوّاب الشام جملة ، وخرجوا عن الطاعة ، فأَقام الحـال على ذلك نحو ثلاثة أَشهر ، كما تقدم ، ثم أَعاد الأَمير أَيبكُ الإمامَ المتوكلَ إلى الخلافة (١٤٤ ا) على عادته ، فى العشرين من المحرم سنة تسـع وسبعين وسبـع مائة ، وخرج جاليش العسـكر ، خمس أُمراء مقدمو أُلوف ، منهم الأَمير برقوق العثمانى وبركة الجوبانى ويلبغا الناصرى ، وثلاث طبلخانات ، ومائة مملوك من المماليك السلطانية ، ومائة مملوك من مماليك الأَمير أَيبك ، وخرج السلطان والعسـكر بعد ذلك ،

(١) فى الأصل : عليهم .

ووصلوا إلى بلبيس ، فبلغهم أن بعض أُمراء الجاليش قد خامر عليهم ، فرجع السلطان وأَيبك من بلبيس إلى القلعة ، فخرج جماعة من الأُمراء إلى قُبة النصر ورأسهم قطلقتمر الطويل ، فجهز إليهم أَيبك عسكرا ، فكانت الكسرة على جماعة أَيبك ، وهرب أَيبك إلى كيمان مصر ، فلم يوقف له على خبر ، وصارت الكلمة لقطلقتمر الطويل ، ورجع الأَمير برقوق وبركة ومن كان قد خرج معهما فى الجاليش ، فقبضوا على الأَمير قطلقتمر الطويل ومن معه وبعثوا بهم إلى الاسكندرية فاعتقل فيها ، وصارت الكلمة ليلبغا الناصرى ، فحضر إليه أَيبك من هربه ، فقبض عليه وبعث به إلى الإسكندرية ، فسجن فيها ، ثم قبض على جماعة كبيرة من الأُمراء وبعث بهم إلى الاسكندرية فسُجنوا بها أَيضا ، واستمرت الكلمة للأَمير يلبغا الناصرى ، ثم ركب عليه الأَمير برقوق والأَمير بركة وأَنزلاه من الإسطبل ، واستقر الأَمير برقوق مكانه أَمير أَخور ، والأَمير بركة أَمير مجلس ، وهو كالمشارك له فى الأَمر ، ثم حضر الأَمير قشتمر الدوادار نائب الشام إلى الديار المصرية ، فخرج السلطان لملاقاته ، واستقرَّ به

أتابك العساكر ، ثم قبض الأمير برقوق على الأمير قشتمر الدوادار الأتابك وجماعة من الأمراء معه ، واستقر فى الأتابكية مكانه ، واستقر الأمير أيتمش البجاينى[1] أمير أخور ، مكان الأمير برقوق ، وقبض على الأمير يلبغا الناصرى وبعث به إلى الاسكندرية فاعتُقل بها ، كل ذلك فى سنة تسع وسبعين وسبع مائة ، وفى أوائل هذه السنة وقع حريق عظيم بدار التفاح خارج باب زويلة ، لم يسمع بمثله .

وفى سنة اثنتين وثمانين وسبع مائة (١٤٤ ب) وقعت الوحشة بين الأمير بركة وبرقوق ، وخرج بركة إلى قبة النصر مقاتلا لبرقوق ، فوقعت الكسرة على بركة ، فقَبض عليه وبعث به إلى الاسكندرية فسُجن بها ، وبقى الأمير برقوق منفردا بتدبير المملكة ، وبقى بركة فى السجن حتى قتل فيه فى هذه السنة ، وفى هذه السنة وصل إلى الديار المصرية أنس العثمانى والد الأمير برقوق أتابك العساكر ، واستقرّ له إمرة تقدمة ألف ، فبقيت معه حتى مات ، وانتقل ابنه من الأتابكية إلى السلطنة فى سنة أربع وثمانين وسبع مائة وهو على إمرته .

(١) كذا وسيأتى في صفحة ١٩١ العجايبي .

وفى سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة وقع بالديار المصرية وباء عظيم مات فيه خلق كثير .

وفى سنة أربع وثمانين شرع الأمير جركس الخليلى أمير أخور فى عمارة جسر على راس الخور المعروف بزقاق القناديل تحت الروضة ، ليعود جريان الماء تحت ادر[1] منشيّة المهرانى وزربينى بكتمر وقيسون وما فى معناهما ، وعمله فلم يثبت ، وفى هذه السنة بلغ النيل أصبعين من إحدى وعشرين ذراعا .

ولايات الأمصار فى خلافته

وفى عود المتوكل إلى الخلافة ثانيا

وفى عود المتوكل محمد إلى الخلافة ثانيا ، كانت الديار المصرية والممالك الشامية بيد الملك المنصور علىّ بن الأشرف شعبان بن حُسين ، فبقى حتى توفى فى الثالث والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة ، وملك بعده أخوه الملك الصالح حاجّى بن شعبان ، فبقى حتى خُلع فى العشر الأوسط من رمضان سنة أربع وثمانين وسبع مائة ، وملك بعده الملك الظاهر برقوق بن أنس العثمانى ، فبقى إلى

(١) لعلها « دور » جمع دار .

ما بعد خلافة المستعصم وعود المتــوكل ثم خلعه .

وكانت مــكة بيد أَحمد بن عجلان ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

وكانت المدينة بيد جمّاز بن هبة ، فعُزل وولى [نُعَيْرُ ابن منصور بن جمّاز ، ثم قُتل فوثب جماز بن هبة على إمارة المدينة واستولى عليها ، فعزله السلطان وولى] ثابت بن نُعَيْر ، فبقى إلى آخر سنة أَربع وثمان مائة ، ثم ولى جمّاز بن هبة فى سنة خمس وثمان مائة ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

وكان اليمن بيد الملك المنصور محمد بن الأَفضــل عباس بن المجاهــد عليّ (١٤٥ ا) ، فبقى [1] إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

وكانت بغداد وما معها من مملــكة إيران بيد السلطــان أَحمد بن أُويس ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

---

(١) في الأصل : المجاهد بن على فبقى حتى مات سنة ثمان وسبعين وسبع مائة وملك بعده ابنه الملك المنصور فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم . . . وقد حذفت الزيادة المكررة التى لا محل لها هنا .

وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك مع بنى جفطاى من بنى جنكزخان .

وكانت مملكة الشمال بيد طقتمش بن بردى بك ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية وقُسنْطينة بيد السلطان أَبى العباس أَحمد بن [محمد بن] أَبى بكر، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

وكانت تِلِمسان والغرب الأَوسط بيد السلطان أَبى حَمُو ، فخرج عليه السلطان أَبو العباس أَحمد بن أَبى سالم صاحب الغرب الأَقصى ، فسار إلى تلمسان فملكها وأَقرَّ بها أَبا زيَّان بن [أَبى] حمو ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

وكان الغرب الأَقصى بيد أَبى العباس أَحمد بن أَبى سالم ابن السلطان أَبى الحسن ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

وكانت غرناطة وما معها من بلاد الأَندلس بيد إسماعيل ابن يوسف من بنى[1] الأَحمر ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

(١) في الأصل : بن الأحمر .

التاسع من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

الواثق بالله (١)

وهو أَبو حفص عمر بن الواثق بالله أَبي الحسن إبراهيم ، الخامس من خلفائهم بالديار المصرية ، وهذا اللقب منقول إلى أَبيه من الوائق الأَول كما تقدم ، ثم نقل من أَبيه إليـه ، بايـع له بالخلافة الظاهر برقوق بعد خلع الإمام المتوكل ، فى مستهل شهر رجب سنة خمس وثمانين وسبع مائة ، فبقى فى الخلافة حتى توفى فى العشر الأَول (٢) من شوال سنة ثمان (١٤٥ ب) وثمانين وسبـع مائة ، فأَعاد الظاهر برقوق المستعصم زكريا المقدم ذكره إلى الخلافة ثانياً ، والمتوكل على الله فى الاعتقال ، والناس لا يرون فى كل ذلك الخليفةَ غيره ، ثم أَطلق المتوكل على الله من الاعتقال ، وأُعيد إلى الخلافة فى ثانى جمادى الأُولى سنة إحدى وتسعين وسبـع مائة ، وبقى حتى توفى فى السـابـع والعشرين من شهر رجب سنة ثمان وثمانمائة ، وكان له من

(١) رتبه في تاريخ الخلفاء ص ٢٠٣ قبل المستعصم بالله زكريا .

(٢) في تاريخ الخلفاء : تاسع عشر شوال .

الأولاد [1] الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباسى ، والإمام المعتضـد بالله أبو الفتح داود خليفـة العصر ، وسيدى يعقوب ، وسيدى حمزة ، ومحمد وهو أسنهم ، وبنات .

الحوادث والماجريات فى خـلافته

وعود المستعصم ثم عود المتوكل بعده

فى سنـة خمس وثمانين وسبـع مائة قصد جماعة من الفرنـج ساحل صيْدَا وبيْروت من البلاد الشامية ، فخرج إليهم طائفة من عسكر دمشق ، فهزموا الفرنـج وقتلوا منهم جماعة ، وفيها بلغ السلطان الملك الظاهر أن الأمير قرط التركمانى وإبراهيم بن قطلقتمر أمير جاندار فى جماعة قصدوا الركوب عليه ، فقبض على قرط وابن أمير جاندار ، ثم أمر بقرط فقتل ، واعتقل ابن أمير جاندار مدة ، ثم عفا عنه رحمة لأبيه .

وفى سنة ست وثمانين وسبـع مائة حضر الأمير بيدمر الخُوارزمى نائب الشام إلى الأبواب السلطانية بهديّة جليلة فقُبلت هديته ، وحضر دار العدل وأُجلس فوق النائب

(١) كان للمتوكل على الله من الأولاد كثير يقال انه جاء له مائة ولد ما بين مولود وسقط ومات عن عدة ذكور وإناث .... انظر تاريخ الخلفاء ص ٢٠٢

الـكافل ، وهذا لم يعهد مثله ، وفيها حضر إلى الأَبواب السلطانية رسلٌ بهديّة من مماليكَ وغيرِهم وأَظهروا أَنهم رسل طقتمش خان صاحب بلاد الشمال ، فخرج لملاقاتهم النائب الكافل وجماعة من الأُمراء ، وأُنزلوا بالميدان تعظيما لهم ، ورُتب لهم المرتبات السَّنِيَّة ثم ظهر من كتبهم أَنهم رسل صاحب القِرم ، فتغير عليهم السلطان ونقلهم من (١٤٦ ا) الميدان إلى دار الضيافة ، ونقص من راتبهم ، وبقى لهم ما يقتضيه حالهم ، وفى هذه السنة توفى الشيخ أَكمل الدين محمود شيخ خانقاه شيخونية ، وكان من أَجِلّة العلماء وأَعيان أَهل العصر وأَجلهم رتبة عند السلطان ، ونزل السلطان للصلاة عليه ومشى فى جنازته ، وكان له مشهد عظيم .

وفى سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة ظهر بالديار المصرية نَجْم كبير قليل النور بذُؤابة خلفه قدر رمحين فما فوقهما ، وبقى ليالى ثم اختفى ، وفى سنة أَربع وتسعين وسبعمائة كثرت الشنعة بأَمر الأَمير منطاش بالبلاد الحلبية ، فخرج إليه السلطان الملك الظاهر ، وسار إلى حلب وقبض عليه وقتله ، وجُهِّزت رأْسه إلى الديار المصرية ، ثم وصل

السلطان إلى البلاد المصرية بعد ذلك ، وفيها وصل الخبر أن تمرلنك استولى على شِيراز قاعدة فارس وقتل صاحبها شاه منصور ، وأنه أرسل يخادع السلطان أحمد بن أُويس صاحب بغداد ، فلم ينخدع له وفرّ من بغداد قاصدا الديار المصرية .

وفى سنة ست وتسعين وسبعمائة فى ربيع الأول وصل القان أحمد بن أُويس المقدم ذكره إلى الديار المصرية فارًّا من تمرلنك ، فخرج السلطان الظاهر لملاقاته بنفسه ، وألبسه قَباءً مطرزًا مُغرى بقاقُم وعاد معه إلى الصُّوَّة ، وطلع السلطان إلى القلعة ، وجهز السلطان أحمد إلى بيت جليل من بيوت الأُمراء على بِرْكة الفِيلِ ، فأُنزل فيه وأجرى عليه الرواتب اللائقة بمثله ، ثم وصلت رسل طقتمش خان المقدم ذكره بكتاب مضمونه طلب المعاضدة والمعاونة على تمرلنك ، وردّ عليه الجواب بالإجابة إلى ذلك ، ثم عاد السلطان أحمد بن أُويس إلى دمشق ، ومنها إلى جهة بغداد حين بلغه رجوع تمرلنك عنها .

وفى سنة إحدى وثمانمائة توفى الملك الظاهر برقوق وملك بعده ابنه الناصر فرج على ما سيأْتى ذكره .

وفى سنة سبع وتسعين وسبعمائة زاد النيل (١٤٦ ب) فى آخر يوم من أبيب أربعين أصبعا ، وفى أول مسرى اثنين وستين أصبعا ، وفى ثالث مسرى خمسين أصبعا ، فكانت الزيادة فى أربعة أيام سبعة أذرع ، ولم يُسمع بمثل ذلك فيما تقدم إلاَّ ما يحكى فى آخر سنة من خلافة المنتصر الفاطمى ، على ما تقدّم ذكره .

وفى سنة اثنتين وثمانمائة خرج تنمُ نائبُ الشام عن الطاعة وأظهر الخلاف ، ثم لما أثبت السلطانُ الملكُ الناصر فرج بن الظاهر رُشْدَه فى ربيع الأول منها واستبدَّ بالتصرف دُون ولِّ أمره الأمير أيتمش العجايبى تنكَّر الأمير أيتمش لذلك ، ووقع الحرب بينهما فى الشهر المذكور بمصر ، فانهزم الأمير أيتمش ولحق بالشام وانحاز إلى نائبه تنمَ . فخرج السلطان الناصر فرج من الديار المصرية لحربهما فى شهر رجب منها وصحبته أميرُ المؤمنين المتوكل ، والتقوا على القرب من غَزَّه ، فانكسر تنمُ وأيتمشُ ومن معهما ، وقَبضَ السلطان عليهما ، ودخل هو إلى دمشق واستولى عليها ، وقتل بها تنمَ وأيتمشَ وجهّز

برأسيهما إلى القاهرة فى رمضان منها ، ثم عاد السلطان إلى الديار المصرية وطلع القلعة فى السادس والعشرين من رمضان المذكور .

وفى سنة ثلاث وثمانمائة سار تمرلنك إلى البلاد الشامية وفتح مدينة حلب وقلعتها ، فسار الناصر إليه من الديار المصرية بعساكره إلى دمشق ، وقدم إليها تمرلنك ، وجرى بينهما مُرَاجعات فى أَثنائها فرَّ جماعة من عسكرالناصر إلى الديار المصرية ، فتبعهم على الأَثر ، فأَدركهم على القرب من غزة ، فقبض عليهم واستمر قاصدا الديار المصرية حتى طلع القلعة فى خامس جمادى الآخرة منها ، وأَخذ تمرلنك فى خداع أَهل دمشق حتى صالحهم على مبلغ أَلف أَلف دينار ، وفتحوا له بابا من أَبوابها ، وأَخذوا فى جمع ذلك من الناس على قدر طبقاتهم خارجاً عما قرَّر عليهم من خيل الهاربين من عسكر السلطان وسلاحهم ، فلما حُمل ذلك إليه قرر عليهم بعد ذلك عشرة آلاف دينار (١٤٧ ا) فاستُخرِجت له بأَعظم مشقّة ، ثم فرّق حارات المدينة على أُمرائه وأَعيان عسكره ، فعاثوا فسادا ، واستخرجوا من أَهلها ما قدروا عليه ، بعد أَن قتلوا ،

وسلبوا النساء والذرارى ، ثم أَمر بتحريق البلد فأُحْرق عن آخره ، حتى لم يبقَ بها رسمُ دار ولا خط يعرف ، وبقى على ذلك إلى الآن إلا القليل مما جدد .

وفى سنة أَربع وثمانمائة ظهر بالديار المصرية جراد انتشر فى أَقطارها وأَكل ورق الشجر وخُوص النخيل ، واستأْصل المقَات وكَثُر فساده ، ثم سلط الله عليه البردَ فهلك ، وفيها ظهر بالديار المصرية أَيضا كوكب كبير نَيِّرٌ له ذؤابة صاعدة فى السماء ترى مع ضوء القمر ، وبقى إلى ثلث الليل ، وبقى كذلك ليالى ، ثم اختفى .

وفى سنة سبع وثمانمائة اختلف أُمراءُ الديار المصرية على سلطانهم الناصر ، فلحق الأَمير يشبك العثمانى بدمشق فى طائفة كبيرة ، وسار إلى الشام فأَلَمَّ بالأَمير شيخ المحمودى نائب الشام ، فجمع له العساكر الشامية وسار به إلى مصر ، فخرج إليهم الناصر ، ولقيهم فى العباسية من بلاد الشرقية فى ذى الحجة من هذه السنة ، فانهزم منهم الناصر ، فتبعوه حتى طلع القلعة ، ثم خرج عليهم وحاربهم تحت القلعة ، فانهزموا منه ، وعاد الأَمير شيخ إلى دمشق ، واختفى يشبك بالقاهرة ، ثم ظهر يشبك فى سنة ثمان وثمانمائة ،

فأَعاده الناصر إلى ما كان عليه ، ثم تجددت بينهما[1] الوحشة بعد ذلك ، ففرّ الناصر من القلعة واختفى بدار القاضى سعد الدين بن غراب ، فى الرابع والعشرين من ربيع الأَول من هذه السنة ، وأُقيم فى السلطنة مكانه أَخوه عبد العزيز وهو صغير ، ولقب الملك المنصور ، بعهد من أَمير المؤمنين المتوكل ، ولم يزل الناصر مختفياً إلى ليلة السبت خامس جمادى الآخرة ، وظهر واجتمع عليه كبير من العسكر ، فزحف على أَصحاب أَخيه عبد العزيز فهزمهم واستولى على تخت ملكه ، وقَبض على أَخيه عبد العزيز ، وجهزه (١٤٧ ب) إلى الإسكندرية ، فاعتقل بها ، ثم أَمر به بعد ذلك فقُتل ، وعظم سلطانُه ، وتملّك أَمره وعظُم شأْنه.

ولايات الأَمصار فى خلافته

وعود المستعصم ، ثم عود المتوكل

كانت الديار المصرية والممالك الشامية بيد الظاهر برقوق ، حتى خلع من السلطنة وبُعث به إلى الكَرَك ، فاعتقل به فى رجب أَو جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين

(١) فى الأصل : بينهم .

وسبعمائة ، وملك بعده الملك المنصور حاجّى بن الأَشرف [شعبان] وهو الذى كان قد لُقِّب فى سلطنته الأُولى بالصالح ، وهذه سلطنته الثانية ، فبقى حتى عاد الظاهر برقوق من الكَرَك ، واستقرَّ فى السلطنة بعد خلع المنصور حاجِّى فى أَوائل سنة اثنتين [1] وتسعين وسبعمائة [وبقى حتى توفى فى منتصف شوال المبارك سنة إحدى وثمانمائة وملك بعده ابنه الناصر فرج ثم تغير عليه بعض مماليكه وبعض أُمرائه فاختفى ، ثم ملك أَخوه الملك المنصور عبد العزيز ثم ظهر السلطان فرج واستقر على عادته وبقى فى السلطنة] .

وكانت مكة بيد أَحمد بن عجلان ، فبقى حتى مات فى رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وولى مكانه ابنه محمد بن أَحمد بن عجلان ، وهو صغير فى كفالة عمه كُبيش بن عجلان ، فبقى حتى بعث إليه الظاهرُ برقُوق فداوِيًّا صُحْبَةَ الأَمير جركس الخليلىّ وهو يومئذ أَمير الحجاج ، فركب فى محمل الكُسْوةِ ، فلما خرج محمد [بن أَحمد] ابن عجلان ليقبِّل خُفَّ جمل المحمل على العادة وثب عليه

(١) هى ساقطة في صبح الأعشى ووضع في موضع سقوطها اثنتين وتسعين . نقلا عن المقريزى . وفي الأصل إحدى وتسعين وقد أكملت عن صبح الأعشى بعد ذلك ومما تقدم في الحوادث والماجريات .

الفِدَاوِيُّ بسِكِّين فقتله ، ودخل أَمير الركب المذكور إلى مَكة ، فولّى عنان بن مُغَامِس بن رميثة مكانه ، ثم لحق عليٌّ بن عجلان بالديار المصرية ، فولاَّه الظاهر برقوقُ مكةَ فى سنة تسع وثمانين وسبعمائة شريكا لعنان ، وسار مع أَمير الركب إلى مكة ، فهرب عنانٌ ودخل عليٌّ بن عجلان مكة واستقل بإمارتها ، ثم وفد عليٌّ بن عجلان على السلطان بمصر سنة أَربع وتسعين وسبعمائة ، فأَفرده بالإمارة ، وأَنزل عنان بن مغامس عنده ، فأَحسن نُزُله ، ثم قبض عليه واعتقله ، وبقى عليٌّ بن عجلان فى إمارة مكة حتى قُتِل ببطن مرٍّ فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وولَّى السلطان ابنَ أَخيه حسنَ بن أَحمد مكانه ، واستبد بأَمره ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الواثق والمستعصم بعده والمتوكل بعدهما .

وكانت المدينة بيد جماز بن هبة ، ثم عزل وولى نُعيرُ ابنُ منصور بن جماز .

وكانت اليمن (١١٤٨) بيد المنصور محمد بن الأَفضل عباس ، فمات وملك بعده أَخوه الأَشرف عماد الدين إسماعيل بن الأَفضل عباس ، ثم مات وملك بعده ابنه الملك

الناصر [أحمد] [1] فبقى إلى ما بعد وفاة الواثق وعود المستعصم وخلعه وعود المتوكل وموته .

وكانت بغداد وما معها من توريز والسُّلطانية وتُسْتَر وغيرها من مملكة إيران بيد أحمد بن أُويس ، فبقى حتى طرقته عساكر تمرْلَنك [2] وهو بتوريز ، فخرج عنها إلى بغداد ، ثم هرب إلى مصر وأقام بها فى ظلّ صاحبها الظاهر برقوق ، ثم عاد إلى بلاده ، ولم ينتظم له بعد ذلك أمر ، وبقيت المملكة بيد تمرلنك فى جملة ما بيده مما وراء النهر إلى الخليج القسطنطينى حتى مات ، واستقل بمملكة بغداد وتوريز وما معهما بعض بنيه ، فبقيت بيده إلى ما بعد وفاة الواثق وعود المستعصم وخلعه وعود المتوكل ووفاته .

وكانت مملكة الشمال بيد طقتمش بن بردى بك ، فوقعت الفتنة بينه وبين تمرلنك ، وجرى بينهما حروب طويلة ، ووصل الخبر آخر سنة سبع وتسعين وسبعمائة أن تمرلنك ظفر بطقتمش وقتله واستولى على سائر أعماله ، ويقال : إن تمرلنك لم يملك هذه المملكة أصلا ، بل

---

(١) زدتها مما سيأتى بعد ذلك قبل خلافة المعتضد بالله .

(٢) فى صبح الأعشى جـ ٧ ص ٣٠٨ تمرلنك المدعو تيمور .

بقيت بيد طقتمش خان ، ثم تنقلت بعده فى ملوكهم، إلى أن كانت بيد فولاد خان ، وكتب عن الملك الناصر فرج ، ثم صارت بعدُ إلى غيره .

وكانت تونس وبلاد إفريقية وبجاية وقسنطينة [1] بيد السلطان أَبى العباس أَحمد بن محمد بن أَبى بكر ، فبقى حتى مات فى شعبان سنة ست وثمانين وسبعمائة ، وملك بعده ابنه أَبو فارس عزُّوز ، فى رابع شعبان من السنة المذكورة ، واستولى على تونس وبجايه وقُسنطينه وأَعمالها (١٤٨ ب) وبقى إلى ما بعد وفاة الواثق وعود المستعصم وخلعه ثم عود المتوكل ووفاته .

وكانت تلمسان والغرب الأَوسط بيد السلطان أَبى حمو ، ثم قبض أَبو تاشفين بن السلطان أَبى حمو على أَبيه أَبى حمو واعتقله بِوَهْرَان آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، ثم اتصل بأَبى حمو أَن ابنه أَبا تاشفين يريد قتله فدلَّى بحبل من القصر واستغاث بأَهل وهران ، فاجتمعوا إليه

(١) في الأصل : وسرقسطة . هذا وسرقسطة من الأندلس وسيأتى ذكر الصواب في هذه االصفحة نفسها . وقد ضبط المؤلف في صبح الأعشى قسنطينة بأنها قسطينة بضم فسكون فطاء. وقال إن بعض المتأخرين جعل بعد السين نونا وحينئذ تكون بضم السين وسكون النون . انظر صبح الأعشى حـ ٥ ص ١١٠

وجددوا له البيعة ، وارتحل أَبو حمو من حينه إلى تلمسان فدخلها فى أَوائل سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، وبلغ ابنَه أَبا تاشفين الخبرُ فأَسرع إلى تلمسان ، فاعتصم أَبوه أبوحمو بمنارة المسجد ، ودخل أَبو تاشفين القصر وطلب أَباه أَبا حمو ، فجاء إليه ، فأَدركته الرِّقَّةُ عليه ، فقبَّل يده ، وغدا به إلى القصر فاعتقله ، ثم رغب إلى ابنه أَبى تاشفين فى قضاء فرض الحج ، فجهَّزه فى سفينة إلى الإسكندرية ، واستقلَّ أَبو تاشفين بملك تلمسان ، وسار أَبو حمو فى السفينة حتى بلغ بجاية ، فطلع منها ، وأَسعفه صاحب تونس بالعساكر ، وعاد إلى تلمسان وابنه أَبو تاشفين مشتغل ببعض حروبه ، فدخلها فى رجب سنة تسعين وسبعمائة ، وعاد مُلك أَبى حمو إليه ، ثم نهض أَبو تاشفين على أَبيه أَبى حمو بعساكر بنى مَرِين فقُتِل أَبو حمو فى المعركة ، ووصل ابنه أَبو تاشفين تلسمان وملكها سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وأَقام بها دعوة السلطان أَبى العباس صاحب المغرب الأَقصى وخطب له على منابره ، وقرَّر على نفسه ضريبة يبعث بها إليه فى كلّ سنة ، وبقى أَبو تاشفين على ذلك حتى مات فى رمضان

سنة خمس وتسعين (١٤٩ ا) وسبع مائة ، فبعث السلطان أَبو العباس صاحب الغرب الأَقصى ابنَه أَبا فارس ابن أَبي العباس إلى تلمسان فملكها ، فلما مات السلطان أَبو العباس وملك مكانه ابنه أَبو فارس المذكور الغرب الأَقصى كان أَبو زيَّان بن أَبي حمو معتقلا عندهم ، فأَطلقه وبعث به إلى تلمسان أَميرا عليها نيابة عن أَبي فارس ، فسار أَبو زيان إليها ودخلها ، فبقى حتى قُتل فى سنة ست وثمان مائة ، وولى بعده أَخوه محمد المكنى بأَبي زيَّان أَيضاً ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعود المستعصم ثم المتوكل بعده .

وكان الغرب الأَقصى بيد السلطان أَبي العباس [أَحمد] بن أَبي سالم بن أَبي الحسن ، فخرج من فاس لبعض حروبه ، فغار عليها [1] موسى ابن عمه أَبي عنان وملكها فى ربيع الأَول سنة ست وثمانين وسبع مائة ، وقبض على السلطان أَبي العباس وقيده وبعث به إلى الأَندلس فاعتقله هناك ، ثم توفى السلطان موسى بن أَبي عنان ، فملك بعده المستنصر [2] ابن السلطان أَبي العباس ، فخرج عليه الواثق محمد بن

(١) الصواب في اللغة : فأغار عليها .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٠٢ : المنتصر . وكتب في الأصل هنا كلمة المستنصر .

أَبِى الفضل بن السلطان أَبى الحسن فملك مدينة فاس من يده سنة سبع وثمانين وسبع مائة ، ثم سار السلطان أَبو العباس إلى فاس فملكها فى رمضان سنة تسع وثمانين وسبع مائة . وبعث المستنصر إلى أَبيه أَبى العباس بالأَندلس ، ثم عَدَّى أَبو العباس من الأَندلس إلى سَبْتَة فملكها فى السنة المذكورة ، ثم استنزله عنها ابن الأَحمر صاحب غرناطة وأَضافها إلى مملكته ، ثم ظهرت دعوة أَبى العباس بمراكش من الغرب الأَقصى واستولى جنده عليها ، ثم [1] سار إليها ابنه المستنصر فملكها ، وسار أَبو العباس إلى فاس فملكها فى خامس رمضان من السنة المذكورة ، وبعث بالواثق إلى الأَندلس ، ثم أَمر بقتله فى الطريق فقُتل بطنجة ، وبقى السلطان أَبو العباس بفاس حتى توفى بمدينة تازا فى المحرم سنة ست وتسعين وسبع مائة ، وبايعوا بعده ابنه أَبا فارس . وسار أَبو فارس [2] بعد ذلك إلى فاس فأَقام بها متولياً على الغرب الأَقصى حتى توفى سنة تسع وتسعين وسبع مائة ، وملك بعده

---

(١) فى الأصل هنا زيادة لا معنى لها تخل بالكلام هى : « ثم سار إليها ابنه المستنصر ثم سار السلطان أبو العباس .

(٢) فى الأصل : وسار أبو العباس .

أَخوه عامر ، فأَقام سنتين ثم تردى عن فرسه فمات ، وولى بعـده أَخوه أَبو سعيـد عثمان ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق والمستعصم ثم المتوكل .

وكانت الأَندلس بيد إسماعيل بن يوسف بن أَبى الأَحمر ، فبقى حتى مات فى أَول سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة ، وولى بعده ابنه أَبو الحجاج يوسف بن إسماعيل ، فبقى حتى مات سنة أَربـع وتسعين وسبـع مائة وولى بعده ابنـه (١٤٩ ب) أَبو عبد الله محمد ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعود المستعصم ثم المتوكل .

العاشر من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

المستعين بالله [1]

وهو الإمام أَبو الفضل العباس بن الإمام المتوكل على الله أَبى عبد الله محمد المقدّم ذكره ، ولم يل الخلافة من اسمه العباس غيره ، وهذا اللقب منقول إليه عن المستعين بالله أَبى العباس أَحمد الثانى عشر [2] من خلفائهم بالعراق . ومن

(١) في تاريخ الخلفاء ص ٢٠٣ أمه أم ولد تركية اسمها خاتون .

(٢) في الأصل « الثالث عشر » وانظر الجزء الأول ٢٣٩

صفتــه شابٌّ أَبيض اللون معتدل القامة أقنى الأَنف مستدير اللحية بصهوبة . بويــع له بالخلافة بعــد موت والده المتوكل فى السابــع والعشرين من رجب سنــة ثمان وثمان مائة ، وقام ببيعته السلطان الملك الناصر فرج ، وبقى حتى خلعـــه الملك المُؤَيَّد شيخ ، فى النصف من ذى الحجة سنة سبــع عشرة وثمان مائة ، وحَجَره فى القلعة .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى سنة تســع وثمان مائة خالف الأَميرُ جــكم نائب حلب وخرج عن الطاعة ، فخرج السلطان الناصر من الديار المصرية إلى الشام لمحاربتــه فى ربيــع الأَول منها ، ثم عاد إلى الديار المصرية فى رجب منها ، عن غير طائل .

وفى سنة عشر وثمان مائة زاد خوفه من الأَمير شيــخ نائب الشام ، فخرج إليه فى المحرم منها ومعه الأَمير يشبك العثمانى ، فلما صار إلى دمشق قبض على الأَمير يشبك والأَمير شيــخ واعتقلهما بدمشق ، ففرَّا من سجنهما ، وعاد السلطان إلى مصر ، فأَتاه الخبر وهو على العريش قافلا فى عاشر ربيــع الآخر بقتل الأَمير يشبك فى حرب

جرت بين الأَميرين شيخ ويشبك وبين نوروز الحافظى ، وخرج الأَمير شيخ من الشام واستولى نوروز عليها ، واستمر السلطان فى سيره قاصدا مصر ، حتى طلع القلعة فى الرابع والعشرين منه ، ثم غلب الأَمير شيخ على دمشق فخرج (١٥٠ ا) واستولى عليها . ثم خرج السلطان فى المحرم سنة اثنتى عشرة وثمان مائة حتى وصل إلى دمشق ، فخرج منها الأَمير شيخ ودخلها السلطان ، ثم خرج منها يريد الأَمير شيخ فتبعه ، فاعتصم منه بقلعة صَرْخَد ، فحاصره بها مدة شهر ، ثم حصل الصلح بينهما على : أَن السلطان ينصرف عنه إلى دمشق . ثم رجع بعد ذلك إلى الديار المصرية ، وعاد الأَمير شيخ إلى دمشق ، ثم خرج السلطان فى ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وثمان مائة ، وسار إلى دمشق ، فخرج منها الأَمير شيخ ، ودخلها السلطان ، ثم خرج منها فى طلب الأَمير شيخ فتبعه إلى الأبلتين ، ثم كف عن طلبه ولحق الأَمير شيخ بقَيْصرية من بلاد الروم ، وعاد الناصر إلى دمشق عن غير طائل ، فقدم الأَمير شيخ من قَيْصرية إلى صرْخد ، وسار منها إلى الديار المصرية ، واستولى على القلعة ،

فأدركتــه عساكر النــاصر ، ففارقهــا وعاد إلى الشــام والسلطان بدمشق ، فخرج منها يريد الأمير شيــخ ، وقد تحصن بقلعــة الــكرك ، فحصره السلطان بهــا مدة ، ثم رحل عنه بغير طائل على صورة صلح من غير حقيقة ، وعاد إلى الديار المصرية ، وطلع القلعة فى المحرم سنة أربع عشرة وثمان مائة ، ثم توجه فى شوال منها إلى الإسكندرية ، وعاد فى ذى القعدة منها ، ثم سار فى ثانى عشر ذى الحجة منها إلى الشام يريد الأمير شيــخ ، ففر منه ، فتبعه إلى بعلبكّ ، فرجع الأمير شيــخ إلى اللَّجُّون وهو فى أَثره ، فالتقيا هناك فى يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة خمس عشرة وثمان مائة ، فانهزم السلطان إلى دمشق ، فحصره بها حتى قبض عليه يوم السبت عاشر صفر منها ، وقتل بقلعة دمشق فى يوم السبت سابع عشر صفر المذكور ، ودفن بمقبرة باب الفراديس .

واجتمع رأى العســكر على استبداد أَمير المؤمنين المستعين بالأَمر دون سلطان معه ، وأَن يــكون الأَميرُ شيــخ أَتابك (١٥٠ ب) العساكر بالديــار المصريــة والأَميرُ نوروز الحافظىُّ نائبَ دمشق ، وأَقام نوروز بدمشق ، وعاد المستعين

بالله هو والأَمير شيـــخ حتى وصلا إلى الديار المصرية فى ربيـــع الأَول من السنة المذكورة ، وطلع أَميـــر المؤمنين المستعين إلى القلعة ، ونزل بالقصور السلطانية ، ونزل الأَمير شيـــخ أَتابك العساكر بالإِسطبلات السلطانية ، وكـــان الأَمير الأَتـــابك هو المتصرف فى أُمور المملـــكة بتفويض من أَمير المؤمنين المستعين بما وراء سرير خلافته ، وأَمير المؤمنين المستعين هو الذى يـــكتب على التقاليد والتواقيـــع والمراسيم والمـــكاتبات والمناشير وغير ذلك ، والخُطبةُ والسِّـــكَّةُ على الدنانير والدراهم باسمه على انفراده ، ثم عنَّ للأَمير شيـــخ أَن يتقلّد السلطنة ، فـــكُتِب له بها عهد عن أَمير المؤمنين المستعين وخُطِب له بعد الخليفة على عادة الملوك مع الخلفاء ، ونقش اسمه على الدنانير والدراهم بمفرده ، وحجرَ الإِمامَ المستعينَ بالقلعة ، وبلغ نوروزَ الحافظىَّ ذلك فأَظهر المخالفة ، واستبدَّ بالشام وخرج عن الطاعة .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت الديار المصرية بيد الناصر فرج بن الظـــاهـــر برقوق ، فبقى حتى قُبض عليه وقُتل فى صفر سنة خمس عشرة وثمان مائة بدمشق على ما تقدم ، واستبَدَّ أَمير المؤمنين

المستعين بالله بأُمور السلطنة بعده باتفاق من أَهل الدولة على ما سبق ، وبقى حتى قُلِّد السلطنة الملك المُؤيد شيخ ، وعُهِد إليه بها ، وكُتب له بذلك عهد عن الإمام المستعين على عادة الملوك ذلك ، وهو السلطان القائم بمملكة الديار المصرية والممالك الشامية إلى آخر وقت .

وكانت مكة بيد حسن بن [أَحمد بن] عجلان ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعين .

وكانت المدينة بيد جماز بن هبة ، فبقى إلى أَثناء سنة إحدى عشرة وثمان مائة ، ثم تولى مكانه عجلان بن نُعير فى سنة اثنتى عشرة وثمان مائة (١٥١ ا) فأَقام سنة واحدة ، ثم ولى سليمان بن هبة بن جماز فى سنة ثلاث عشرة وثمان مائة ، فبقى إلى آخر سنة أَربع عشرة وثمان مائة ، ثم تولى مكانه غُرير بن هيازع [1] بن هبة .

وكانت اليمن بيد الناصر أَحمد بن الأَشرف إسماعيل من بنى رسول .

---

(١) كذا في الأصل ولعله : غرير بن جماز . أو عزيز بن جماز . على أنه قد جاء بعد ذلك أيضا غرير بن هبازع من صفحة ٢١٨ .

وبغداد وتوريز وقُنْغُرْلان (١) وهى السلطانية وما مع ذلك من مملـكة إيران بيد بنى تمرلنك إلى أَن غلب عليها قرا يوسف التركمانى ، وملكها فى سنة عشر وثمان مائة ، أَو سنة إحدى عشرة ، وأَقرَّ ابنَه أَحمد شاه ببغداد وبلادها ، وابنه بريداخ بتوريز والسلطانية وأَعمالهما ، وهو أَجلهما رتبة.

وكانت خراسان وما وراء النهر وفارس وكرْمان وما مع ذلك مع شاه رو بنِ تمرلنك ، ونوابُه من إخوته وغيرهم مُنبثّون فى جوانب الممالك .

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية وقسنطينة من الغرب الأَوسط بيد أَبى فارس عزوز .

وتلمسان والغرب الأَوسط بيد أَبى زيان الثانى بن أَبى حمو نحو عشر سنين ، ثم مات وولى أَخوه السعيد ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعين .

والغرب الأَقصى بيد أَبى سعيد عثمان بن أَبى العباس ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعين .

---

(١) في الأصل كانت غير واضحة ثم صححت قنغرلان . هذا وقنغرلان هو ا سم السلطانية انظر صبح الأعشى حـ ٤ ص ٣٥٨ وقد كتبت بعد ذلك صوابا في خلافة المعتضد .

وكان الأندلس بيد محمد بن إسماعيل (1) فبقى حتى توفى فى سنة اثنتى عشرة وثمان مائة ، وملك بعده أخوه أبو الحجاج (2) يوسف بن أبى عبد الله بن أبى الحجاج ، وهو على ذلك إلى الآن .

الحادى عشر من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

المعتضد بالله (3)

وهو الإمام الأعظم أبو الفتوح داود بن الإمام المتوكل على الله أبى عبد الله محمد المقدم ذكره .

من صفته : شاب رقيق السِّمن ، حسن اللون ، معتدل القامة ، أشهل العينين ، أقنى الأنف ، مستدير اللحية ، عظيم الهيئة ، عالى الهمة ، وافر العقل ، جزيل الرأى كثير الصمت ، وقور المجلس ، وافر الجود ، سمح الكف ، متين الدين ، جميل السيرة ، ولم يل الخلافة من اسمه داود غيره .

(1) كذا في الأصل وسبق أنه محمد بن يوسف بن إسماعيل .

(2) لعله ابنه أبو الحجاج يوسف بن محمد بن يوسف وانظر صفحة ٢٢٠ .

(3) أمه أم ولد تركية اسمها كزل . انظر تاريخ الخلفاء ص ٢٠٥

بويـع له بالخلافة بعد خلع أَخيه المستعين فى رابـع المحرم سنـة سبـع عشرة وثمان مائة ، وكتب له بذلك مبايعة بخط بعض كتاب الحكم ، مصدرة بخطبة من إنشاء علاَّمة الدهر الشيخ تقى الدين بن حجّة ، كما سيأْتى ذكره فى الـكلام على البيعات .

وهو ـ أَعز الله به جانب الدين ـ قائم بـأَمر الخلافة ، ناهض بـأَعبائها إلى الآن .

(١٥١ ب) الحوادث والماجريات فى أيامه

إلى حين تأليف هذا الكتاب فى مبادئ سنة تسع عشرة وثمان مائة .

لما بويع بالخلافة بعد خلع أخيه الإمام المستعين بالله ، والأمير نوروز الحافظى يومئذ نائب السلطنة بالشام المحروس ، امتنع الأمير نوروز عن الانضمام إلى حَوزة السلطان الملك المؤيد ، وأظهر الخلاف ، فسار إليه السلطان الملك المُؤَيَّد بالعساكر فى يوم الاثنين رابع المحرم سنة سبع عشرة وثمان مائة ، وصحبته الإمام الأعظم المعتضد بالله المقدم ذكره ، حتى وافى دمشق ، فاعتصم نوروز بقلعة دمشق بعد أن شَحَنها بالأزواد والعدَد والسِّلاح وسائر آلات الحصار ، فحاصرها السلطان أياما وضايقها ، ونصب عليها المجانيق ومدافع النّفْط العظام ، وأحضر مدفعا عظيما من صَفَد فنصبه عليها ، وتواتر عليها الرَّمْىُ حتى هُدِم بعض أبراجها ، وأحسَّ نوروز بالظهور عليه والظفر به ، ففتح القلعة ونزل منها وسلَّم نفسه للسلطان فى العشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة ، فلم يلبث بعد ذلك أن قُتل وجُهِّزت رأسه إلى الديار المصرية مع غيرها من رءُوس أتباعه ، فعلقت

بباب القلعة ثم بباب زُوَيْلَة ، ثم حضر السلطان بعد ذلك إلى الديار المصرية فى عامه ، وصحبته أميرُ المؤمنين المعتضد ، وطلع القلعة فى يوم الخميس غرة شهر رمضان من السنة المذكورة على أتم حال وأكمل نُصْرة ، وكان النيل فى سنة خمس عشرة وثمان مائة قد وَفَى فى مِسْرَى من شهور القبط ، ونزل السلطان من القلعة فكسره بنفسه . ونظم علاَّمة الدهر الشيخ تقى الدين بن حجة فى ذلك :

أيَا مَلِكاً باللهِ أَضحَى مُؤَيَّداً
ومُنتصِبا فى مُلْكِهِ نَصْبَ تَمْيِيزِ

كَسَرْت بِمِسْرى نِيلَ مِصْرٍ وَتَنْقَضى
وَحقِّك بعد الكَسْرِ أَيَّامُ نَيْـرُوزِ

فكان كسر نوروز بعد ذلك فى هذه السنة [1] فسبحان منطق الألسنة .

ولما فُتحت القلعة وقُبض على نوروز [2] وأصحابه ، كتب الشيخ (١٥٢ ا) تقى الدين المشار إليه ، عن السلطان

(١) يلاحظ أنه ذكر قبل ذلك أن هزيمة نوروز كانت سنة ٨١٧ وذكر أن النيل وفى في سنة ٨١٥

(٢) كتبت في الأصل : نيروز

الملك المؤيد ، وهو صحبة الركاب الشريف مُهنِّئا بالفتح والظفر به وبأصحابه والقبض عليهم ، كِتابا من الشام إلى الديار المصرية بفتح الشام فى السابع والعشرين من صفر من هذه السنة منه :

وسَكِر نُوروز لكثرة المخامرة وعَرْبَد فأذقناه الحَدّ ، إلى أن صار للرُّمحِ والسيفِ فى جُهَّال جموعه جَزْرٌ ومَدّ .

ومنه :

وتبطَّن بعد ذلك بالقلعة التى هى به غير محروسة وقال إنه مُعتصم فى بُرْجٍ قد شَيَّدَه ، فتَلاَ له لسانُ الحال ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدة ﴾ [1] .

وكتب كتاباً آخر عن السلطان مُهَنِّئا بوقوع نوروز [2] فى القبضة الشريفة .

منه :

وفَسدَتْ أَغذِيتهم بالقلعة فعجزوا عن المعالجة بالبارد والحامى ، وثَقلُوا بعد ذلك على قَلْبِهَا فاستفْرَغَتْهُمْ من أفواه المرامى .

---

(١) سورة النساء الآية ٧٨

(٢) كتب في الأصل «نيروز» هذا وسبق أن كتب عدة مرات نوروز .

وكتب كتابا آخر مهنئا بحلول الرّكاب الشريف بالقلعة المحروسة ، منه فى الإشارَة إلى استنزال نوروز من قلعة دمشق :

وأَهبط اللهُ من ترفَّع بِطارِمَتِها وَتَمَرَّد إلى الهاوِيَة ، وأَصلاه نار الجحيم ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ، نَارٌ حَامِيَة﴾ [1] ولا يخفى ظهورُ الأَهِلَّة مِنْ مَواطِئِ خيلنا وقد بَهرت بالأُفق الرُّومِىِّ لَمَعَاتُها ، وبُدُور أَخفاف المَطِىِّ وقد خَيَّلتْ فى غُرَرِ ذلك السَّراب هالاتُها ، وشُهُبُ الأَسِنَّة وقد زادتْ سُمُوًّا كأَنها تحاول ثَأْرا عند بعض النجوم ، والبلادُ الرُّومِيَّة وقد تَلاَ لسانُ الحال عند الغلبة ﴿ أَلم غُلِبَتِ الرُّوم ﴾ [2]

قلت : وقد كتبتُ إلى المَقَرِّ الناصِرِىِّ بن البَارزى كاتبِ السر الشريف كتابا بالتهنئة بهذا الفتح وهو بالشام ، منه :

هذا وسلطانه المؤَيد قَدْ تَدَكْدَكَ بسطوته الأَطوادُ الراسخة ، ونكَّسَ بقَهْرِه نواصِىَ القلاع الشامخة ، ودان له بالطاعة حتى النباتُ والجماد ، (١٥٢ ب) وتتابعت فَتكاتُه القامعة فاستأْصلت شَأْفة أَهل الفساد ، ودعا قَلْعَة دمشقَ ،

(١) سورة القارعة الآية ١٠ ، ١١

(٢) سورة الروم الآية ١ ، ٢

فلَبَّتْه ساجدة ، وصاح بها مِدْفَعُه الغضبان فَخَرَّت قائلة ﴿ إنْ كَانَتْ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَة ﴾ (١) واستَنْزَلَ الناكث من منيع حِصنه فقلَّده الأَغلالَ بعد أَن كان يُقَلِّدُه المِنَن ، وحاق بالماكرِ مَكْرُه السَّيِّئ فما لبث بعد الاستنزال أَن (٢) .

وفى سنة ثمان عشرة وثمان مائة خرج الأَمير قانى بيه نائب الشام عن الطاعة بعد نوروز الحافظىّ ، والتف عليه لفيف من العساكر الشامية ، حتى صار لهم رُمٌّ عظيم وشوكة مُنْكِية ، واستولوا على دمشق وحلب ، فلما انتهى الخبر إلى السلطان بادر الخروج إليهم فى عدد قليل من العسكر وخِفّ من الأَثقال ، وسار من الديار المصرية وصحبته أَمير المؤمنين المعتضد بالله ، أَدام الله أَيامه ، فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ثمان عشرة وثمان مائة ، بعد أَن قدّم إليهم طليعةَ عسكره ، وقبضوا على بعض أُمرائها ، فعاجلهم السلطان بنفسه فى قليل ممن سبق معه من عسكره ، فأَوقع بهم على سَرْمين من أَعمال حلب فى رابع عشر شعبان من السنة المذكورة ، وكسرهم كسرة شنيعة لم

(١) سورة يس ٢٩ ، ٥٣

(٢) أى فما لبث بعد الاستنزال أن قتل .

يسمع بمثلها ، وقبض على جماعة من أعيانهم ، ودخل بهم مدينة حلب ، وفرّ قانى بيه فى طائفة قليلة ، فلم يلبث أن قُبض عليه وأُتى به إلى السلطان ، فقُتل هو وغيره ممن وقع فى القبضة الشريفة ، ووجَّه برءوسهم إلى الديار المصرية فحُملت على الرماح ، ومُرَّ بها داخل القاهرة وأُتى بها إلى باب القلعة فعلّقت ، ثم إلى باب زويلة فعلّقت عليه ، وأقام السلطان ومن معه بحلب ، ثم بحَماة إلى أَواخر الشتاء ، ثم أَتى الديار المصرية وصحبته أَمير المؤمنين المعتضد بالله فى سادس عشر ذى الحجة من هذه السنة ، على أكمل النصر وأتم التأْييد .

قلت : وكتبتُ إلى المقرِّ الناصرىِّ كاتبِ السرِّ الشريف المقدم ذكره كتابا بالتهنئة بهذا الفتح ، منه :

ويُنهى ورود خبرِ الفتْحِ الذى جَلَّ موقِعُه ففاتتْ عجائبُه الحَصْر ، وآذنَتْ بالظفر مُقدّماتُ نتائجه فكنَّى خليفَته أَبا الفتح وسلطانه أَبا النَّصر .

ومنه :

وقبض (١١٥٣) على الناكثين ، فانبسطت لقبْضهم النفوس وأُريقت دماءُ المارقين ، فأُديرَتْ على سِباعِ البَرِّ من طِلاَ

دمائهم الكُؤوس .

ومنه :

وامتطى خبرُه السَّارُّ صهوةَ الشهباء من حَلَبَ استبطاءً لِسَيْرِ الرَّواحل ، وسَرى سرورُه وَصَبَّح الديار المصرية وإن كان غيرُه يَسْرِى فَيُصْبِح دونها بِمَرَاحِل .

ومنه :

وحُمِلَتْ رءوس رءوسهم على الرماح فكانت لها عمائم ، وخِيف على باب زُويلَة المجاورةِ المدرسَةَ العَيْنُ فَعُلِّق عليه منها تمائم .

وفى هذه السنة توقف النيل فى أوائل زيادته ، ثم زاد بعد ذلك فأَفعَم ، وانتهى فى زيادته إلى تمام عشرين ذراعا ، وغمر الروابى وملأ الوهاد ، وزرع الناس فأكثروا حتى أَتَوْا على ما علاه النيل مما يصلح للزراعة ، ونبتَ الزرعُ أُحسن نبات ، واطمأَنّت بذلك قلوبهم ، وطابت به نفوسهم ، وجرى الحال على ذلك إلى أواخر رمضان ، وكان الزرع فى السنة الخالية بالوجه البحرى وأراضى الجيزِيّة وما والاها قليلَ المُتَحَصَّل ، وذهب أَكثرُ ما عند الناس من الحبوب بعد الاقتِيات فى زراعة هذه السنة ، فَنَفِدت الغلالُ من

القاهرة ومصر وبلاد الجيزيّة والوجه البحرى ، وَعَزَّ القوتُ وعُدِم القمحُ والشعير والفول والخبز من القاهرة ومصر ، حتى لم يَكَدْ يُوجد ، وبلغ سعر القمح فى الظاهر نحو ستمائة درهم كل إردَبّ ، وربما زاد على ذلك ، إلاَّ أنه قد حَفَّ الناسَ فى ذلك لُطْفٌ لم يُوجد فى غيره من الغُلُوَّات من حيثُ طُمأْنينةُ قلوب الناس بما يترَجَّوْنه من نَجابة الزرع وقُرْب إدراكه ، واكتفى ضُعفاء الناس بالباقِلاءِ الأَخضر وطعام الأرز وغيره من سائر ما يُطبخ والله يرزق من يشاء بغير حساب .

ولايات الأَمصار فى خلافته

الديار المصرية والبلاد الشامية يومئذ بيد السلطان الملك المُؤيّد شيخ ، بعهد من أَمير المؤمنين المعتضد بالله أَبى الفتح داود خليفة العصر (١٥٣ ب) .

ومكة بيد حسن بن [أَحمد بن] عجلان ، وقد كُتب لرميثة بن محمد بن عجلان بها عن السلطان ، وهو وحسن ابن [أَحمد بن] عجلان يتنازعانها .

والمدينة بيد غُرير بن هيازع [1] .

(١) انظر الهامش فى صفحة ٢٠٧ .

واليمن بيد الناصر أَحمد بن الأَشرف إسماعيل من بنى رسول .

وبغداد وتوريز وقُنْغُرْلان وهى السلطانية بيد قرا يوسف التركمانى ، وقد أَقرَّ ببغداد وأَعمالها ابنَه أَحمد شاه ، وتوريز والسلطانية وأَعمالها ابنه بربداخ ، وهما باقيان إلى الآن .

وخراسان وما وراء النهر وسائر بلاد الشرق إلى ما يتاخم بلاد توريز وما معها بيد شاه روخان بن تمرلنك ، ويقال : إنه على جانب عظيم من العدل ومحبة أَهل العلم وتقريبهم .

وتونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية وقسنطينة من الغرب الأَوسط بيد أَبى فارس عزوز بن السلطان أَبى العباس من الموحدين ، وهو على جانب من الشجاعة وقوة البأْس ، وقد دوّخ البلاد وأَقامها على سَنَن ، وكَفَّ الأَيدى المتعدية ، مع عدل وتواضع وحسن سيرة .

وتلمسان وما معها من الغرب الأَوسط بيد السعيد بن أَبى حمو من بنى عبد الواد ، فبقى حتى غلبه عليها أَخوه عبد

الواحد بن أَبى حمو وأَخرجه من البلد بغدر من أَهلها ، وفرّ السعيد إلى إفريقية ، فمات بِبُونة المعروفة ببلد العُنَّاب ، وبقى عبد الواحد فيها إلى الآن .

والغرب الأَقصى بيد أَبى سعيد عثمان بن أَبى العباس المَرِينى .

وغرناطة وما معها من الأَندلس بيد أَبى الحجاج يوسف ابن أَبى عبد الله بن أَبى الحجاج من بنى الأَحمر[1] .

---

(١) انظر صفحة ٢٠٩ .

الفصل الثانى

من الباب الثانى فى مَقَرّات الخلفـاء (١) ، وما انطوت عليه الخلافة من الممالك ، وبيان ترتيب الخلافة وشعارها ، وكيفيةِ تقليدِ الخليفةِ الملوكَ السلطنةَ .

أما مقرات الخلفاء فهى أربع مقرات :

المقرة الأولى

المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

كانت مقرة الخلفاء الراشدين ، إلى حينِ انتقل علىٌّ رضى الله عنه (١٥٤ ا) إلى العراق ، وذلك أن مبدأ النبوة كان بمكة ، ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأقام بها حتى توفى فى الثانى (٢) عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، ثم كان بعده بها فى الخلافة أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، ثم عمر ، ثم عثمان ،

---

(١) انظر صبح الأعشى حـ ٣ ص ٢٦٧

(٢) في صبح الأعشى حـ ٣ ص٢٦٧ «في الثالث عشر» وبالهامش « أن وفاته يوم الاثنين الثانى عشر ولكن في العقد لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول ولعل المؤلف اعتمده » أما في هذا الكتاب فمشى المؤلف على المشهور.

ثم عليّ فى أَول أَمره ، ثم انتقل بعد ذلك إلى العراق لقتال معاوية ، ثم خلفه ابنه الحسن فيه إلى حين تسليم الأَمر لمعاوية .

المقرة الثانية

الشام

وهى دار خلفاء بنى أُمية إلى حين انقراضهم ، وذلك أَن معاوية كان أَميرا على الشام قبل الخلافة ، ثم استقلَّ بالأَمر حين سلم إليه الحسنُ ، فبقى فى الشام هو ومن بعده إلى حين انقراض خلافتهم بقتل مروان بن محمد ، على ما تقدم ذكره ، وكانت دارُ إقامتهم دمشقَ ، وإن نزلوا غيرها فلغير إقامة .

المقرة الثالثة

العراق

وهو دار خلافة أَمير المؤمنين عليّ بن أَبى طالب حين انتقاله إليه ثم ابنه الحسن إلى حين تسليمه لمعاوية ، ثم كانت دارَ خلافة بنى العباس إلى حين انقراض الخلافة

من العراق بقتل المستعصم . وكان بَدْءُ مبايعةِ السفاح أولِ خلفائهم بالكوفة على ما تقدم ، ثم بنى بعد ذلك بالأَنْبار مدينةً وسماها الهاشميّة ، ونزلها ، فلما ولى أَخوه أَبو جعفر المنصور الخلافةَ بعده بَنَى بغداد وسكنها ، وصارت منزلا لخلفاء بنى العباس بعده إلى حين قتل المستعصم .

المقرة الرابعة

الديار المصرية

وهى الآن دار الخلافة ، وقد تقدم أَن أَول من بويع بها منهم (١٥٤ ب) المستنصر بالله أَبو العباس أَحمد بن الظاهر بالله بن الناصر لدين الله ، وقد تقدم أَنه توجه إلى بغداد لقتال التتر فقُتل . ثم الحاكم بأَمر الله أَبو العباس أَحمد بن الحسين جدّ الخلفاء بها الآن . وقد تقدم أَن الأَشرف خليل بن المنصور قلاوون أَسكنه الكبش بخطّ الجامع الطولونى ، ثم صارت مساكنهم على القرب من المشهد النَّفيسى ، وهم على ذلك إلى الآن .

وأَما [1] ما انطوت عليه الخلافة من الممالك فإن حُكمها

(١) صبح الأعشى ح ٣ ص ٢٦٩

امتدّ فيما بين المشارق والمغارب ، فكان يجرى تحت إمْرتهم من أَقاليم الشرق عراقُ العرب وعراق العجم وأَذربيجان وأَرمينية والأَهواز وكَرْمان وسِجِستان وفارس والسِّند والهِند وما وراء النهر وخُراسان وَطبَرِستان وغير ذلك ، ومن بلاد المغرب إفريقية والغرب الأَوسط والغرب الأَقصى ، والأَندلس فى بعض الأَزمنة . ومن أَوساط الأَقاليم الديارُ المصرية والبلاد الشامية . والثغور والعواصم وبلاد الروم وما فى معنى ذلك . وكانت الأَموال تحمل من جميع الأَقاليم . — بعد تَكْفية الجيوش — إلى بيت المال على بُعد المسافة حتى يقال : إن الرشيد كان يستلقى على قفاه وينظر إلى السحابة فيقول : اذهبى إلى حيثُ شئتِ يأْتِنِى خراجُك ، وبقى الأَمر على ذلك حتى تغلب المتغلِّبون على الممالك واستولوا عليها ، وصار الأَمر على ما صار إليه الآن ، والله غالبٌ على أَمره .

وأَما ترتيب الخلافة (١)

فاعلم أَنها لم تزل لابتداء الأَمر جارية على ما أُلف من سيرة النبى صلى عليه وسلم من خُشونة العيش والقُرب من الناس واطِّراح الخُيَلاء وأَحوالِ الملوك ، مع ما فتح الله تعالى

(١) صبح الأعشى ﺣ ٣ ص ٢٧٠

على خلفاء السلف من الأَقليم وجُبِىَ إليهم من الأَموال التى لم يفز عظماء الملوك بجزء من (١٥٥ ا) أَجزائها ، وناهيك أَنهم فتحوا عدَّة من الممالك العظيمة التى كانت يُضرب بها المثل فى عظيم قدرها وارتفاع شأْن ملوكها من ممالك الشرق والغرب ، حتى ذُكِر عظماءُ الملوك عند بعض السَّلَف فقال : إنما المَلِك الذى يأْكل الشعير ويعُسُّ [1] على رجليه بالليل ماشيا ، وقد فُتحت له مشارق الأَرض ومغاربها . يريد عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه . وقد حُكِى أَنه رضى الله عنه حين أَتى لفتح بيت المقدس كان يُخرِج من مِخلاةِ فرسِه كِسَراً يابسة من خُبز فيمسحها من التراب ويأْكلها ، فلما رآه عظماء بيت المقدس قالوا : لا طاقة لنا بهذا .

ولم يزل الأَمر على ذلك إلى أَن سلَّم الحسن رضى الله عنه الأَمرَ لمعاوية بن أَبى سفيان ، فأَخذ فى إظهار أُبَّهة الخلافة وترتيب أُمورها على نظام الملك ، لما فى ذلك من إرهاب العدو وإخافته ، وتزايد الأَمر فى ذلك حتى اضمحلَّ فى جانب الخلافةِ سائرُ الممالك العظيمة وانطوى فى ضِمنها ممالك المشارق والمغارب ، وفاقت بأُبَّهتها الأَكاسرة والقياصرة ،

---

(١) فى الأصل : « ويمشى » والتصويب من صبح الأعشى .

وهابتها ملوك الأَرض قاطبة لا سيما فى أَوائل الدولة العباسية ، حتى يُحكى أَن صاحب عَمُّورية من ملوك الروم كانت عنده شريفة من ولد فاطمة رضى الله عنها مأْسورة فى خلافة المعتصم [1] بن الرشيد فعذَّبها فصاحت الشريفة : وامُعتصماه ، فقال لها الملك : لا يأْتى لخلاصك إلاَّ على أَبلق . فبلغ ذلك المعتصمَ فنادى فى عسكره بركوب الخيل البُلْق ، وخرج وفى مقدمة عسكره أَربعةُ آلاف أَبلق ، وأَتى عَمُّورِيَّة وفتحها وخلّص الشريفة وقال : اشهدى لى عند جَدِّك أَنى أَتيت لخلاصك ، وفى مقدّمة عسكرى أَربعةُ آلاف أَبلق . على ما تقدم ذكره ، إلى غير ذلك من القوة والعظمة التى كانت الخلافة فيها .

وقد حكى ابن الأَثير فى تاريخه أَنه لما وصلتْ رسلُ ملكِ الروم إلى بغداد فى سنة خمس وثلاثمائة فى خلافة المقتدر ، رُتِّب من العسكر فى دار (١٥٥ ب) الخلافة مائة وستون أَلفا ما بين راكب وراجل ، ووقف بين يدى الخليفة سبعُ مائة حاجب وسبعة آلاف خادم خصِىّ : أَربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود ، ووقف الغِلْمان الحُجرِيَّة [2]

(١) فى الأصل «المستعصم» وهو سهو.

(٢) فى صبح الأعشى كتبت : «المجرية» هذا والحجرية نسبة إلى الحجرة لاختصاصهم بالقصور.

- الذين هم بمثابة مماليك الطباق الآن - بأتم الزينة والمناطق المُحَلاَّة ، وزُيِّنت دار الخلافة بأنواع الأسلحة وغرائب الزينة ، وغُشِّيت جدرانها بالسُّتور ، وفُرشت أرضها بالبُسط ، وكان عِدَّة البُسط اثنين وعشرين أَلف بساط ، وعدة الستور المعلقة ثمانية وثلاثين أَلف سِتر ، منها اثنا عشر أَلف ستر من الدّيباج المُذهب ، وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب ، الفضة بأَغصانها وأَوراقها ، وطيورُ الذهب والفضة على أَغصانِها ، وأَغصانُهاَ تتمايل بحركات مصنوعة ، [1] والطيور تُصَفِّر بحركات مُرَتَّبة ، وأُلْقيت المراكب والدبادب فى دِجْلة بأَحسن زينة ، وكان هناك مائة سَبُع مع مائةِ سَبَّاع ، إلى غير ذلك من الأَحوال الملوكية التى يطول شرحها ، قال القُضاعىُّ فى « عيون المعارف » : ولم يزل أَمر الخلافة متماسكا [2] إلى حين استُخلف المُتَّقِى [لله] ، فتفرَّد بتدبير الأَمور غيرُ الخلفاء ، وتغلّبت على ما نأَى من البلدان ، الأَقوى فالأَقوى ،واقتُصِر على الدعاء لهم على المنابر . وفى أَيام المستكفى بالله استولى

---

(١) في صبح الأعشى : موضوعة .

(٢) في الأصل : متماسك .

بنو بُويه على بغداد ، واستبدَّ معزّ الدولة بن بويه بالأَمر ونُقِش اسمُه على الدنانير والدراهم مع اسم الخليفة ، وشاركه فى الدعاء على المنابر ، وتصرَّف فى أُمور الدولة تصرُّفَ الملوك ، ورَتَّب للخليفة كلَّ يوم خمسة آلاف درهم لنفقاته لا يصل إِليه غيرها ، بعد أَن كان يُحْمَل إِلى خزانته أَموال المشرق والمغرب . هذا مع تقهقر الخلافة وانحطاط رتبتها يومئذ .

وقد كان للخلافة رسوم جارية على ترتيب خاص ، بعضُها مُضاهٍ لترتيب المُلك الآن ، وبعضها خارج عنه ، منها :

الجلوس على سرير الخلافة فى المواكب ، وقد ذَكَر (١٥٦ ا) بعض المؤرخين أَن أَصل ذلك أَن معاوية بن أَبى سفيان لما بَدُنَ استأْذن أَصحابه فى اتخاذ شىء يجلس عليه للاستراحة ، فأَذنوا له فى ذلك ، ثم زادوا فى ارتفاعه حتّى صار السرير الذى يجلس عليه الخليفة فى المواكب نحو سبعة أَذرع فيما حكاه ابن الأَثير وغيره عند ذكر سلطنة طغريل [١] السلجوقى ، على ما سيأْتى ذكره ، وكان يُفْرَش للخليفة

(١) يلاحظ أنه يكتب في الأصل «طغريل» وأن غيره يكتبه طغرل وقد تقدم التنبيه على ذلك .

على سرير الخلافة فرش مرتفعة وهى التى يعبر عنها بسُدَّة الخلافة .

ومنها : الصلاة فى المقصورة فى الجامع فى الجمعة والعيدين ، وقد ذكر المؤرخون أَن أَول من اتخذ المقصورة فى الجامع معاوية ، على ما تقدم ذكره فى ترجمته ، ثم اختُلف فقيل : إنه اتخذها حين طعنه الخارجىُّ ، وقيل : بل رأَى كلبا على منبره فاتخذها ، وقيل : أَول من اتخذها مروان بن الحكم ، اتخذها من حجارة منقوشة فيها كُوًى مُفَتَّحة ، وقيل : أَول من اتخذها عثمان بن عفان رضى الله عنه خوفا أَن يصيبه ما أَصاب أَمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، على ما سيأْتى ذكره فى الباب السابع إن شاء الله تعالى .

ومنها : ضرب الدنانير والدراهم ونقش اسم الخليفة ، وقد ذَكر الماوردى فى « الأَحكام السلطانية » [1] أَن أَول من ضرب الدنانير والدراهم فى الإِسلام عبد الملك بن مروان فى سنة خمس وسبعين من الهجرة ، وقيل سنة أَربع وسبعين وكتب عليها ﴿ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ ﴾ [2] وكان المتولى لأَمر

(١) انظر الأحكام السلطانية ص ١٣٩

(٢) سورة الإخلاص الآية ١ ، ٢

ذلك الحجاج بن يوسف ، ثم ضربها فى سائر النواحى فى سنة ست وسبعين ، ثم وَلِىَ ابنُ هُبَيرة العراقَ فى أيام يزيد بن عبد الملك فجوَّد السِّكَّة ، ثم بالغ خالد القسرى فى تجويدها ثم يوسف بن عمر بعده ، وقيل : إن أَول من ضَرَبها مُصعبُ بن الزُّبير بأَمر أَخيه عبدالله بن الزبير حين استولى على الحجاز ، وكتب على أَحد الوجهين : بركة ، وعلى الوجه الآخر اسم الله تعالى ، ثم غيَّرها الحجاج وكتب عليها : باسم الله ، وكتب بعده : الحجَّاج ، ثم أُضيفت أَسماء الملوك فى السِّكَّة إلى أَسماء الخلفاء ، ثم أُبطلت أَسماء الخلفاء (١٥٦ ب) من السكة جُملة ، واقتُصر على أَسماء الملوك .

ومنها : نقْش اسم الخليفة على ما يُنسج من الكُسْوة والطُّرُز من الحرير والذهب بلون مخالف لِلَوْن الأَصل ، ليمتاز بذلك ما يختص بالخلافة عن غيره ، وهو رسم قديم للخلفاء فى الدولتين الأَموية والعباسية ، ثم أُبدل ذلك باسم الملوك عند تغلُّبهم على الخلفاء ، كما تقدم فى أَمر الدنانير والدراهم .

ومنها : خَطابة الخليفة بنفسه فى مكان إقامته ، وخطابة

الأُمراء بالأَعمال التى يلونها عن الخلفاء ، وهو رسم قديم من صدر الإِسلام إلى حينِ تَقهقُرِ أَمرِ الخلافة ، فأَهمل الخلفاءُ الخطابَة بأَنفسهم ، وفوَّضوها إلى الخطباء ، وقد ذكر ابنُ الأَثير وغيره أَن آخر خليفة خطب بنفسه على منبرٍ بكثرة الراضى ، وإن كان غيره ربما خطب ، نادرا .

ومنها : الدعاء للخليفة على المنابر ، وهو رسم قديم للخلفاء ، ورأَيت فى بعض التواريخ أَن أَول خليفة دُعِى له على منبر أَميرُ المؤمنين على بن أَبى طالب رضى الله عنه ، دعا له عبد الله بن عباس بالبصرة فقال : اللهم انْصُر[1] عَلِىَّ الحقِّ ، فتبعه الناس بعد ذلك فى الدعاء للخلفاء على المنابر فى سائر الأَعمال ، قال أَبو هلال العسكرى فى كتابة «الأَوائل» : وأَول من دُعِىَ له بِنَعْته على المنبر محمدٌ الأَمين بن الرشيد فقيل : وأَصْلِح عَبْدَك وخليفتك عبدَالله محمداً الأَمين . ولم يُذكَر قبله نعتُ أَحد من الخلفاء على منبر . وكانت الخلفاء يُفْرَدُون بالدعاء على المنابر ، إلى أَن غلبت الملوك على الخلفاء فأُشرِكوا معهم فى الدعاء . قال

(١) الكلمة في الأصل تحتمل أيضا : انصره عَلَى الحق .

محمد بن عبد الله الهمَذانى فى « ذيله على تاريخ الطبرى » : وأول من أُشرك فى الدعاء له على المنابر مع الخليفة عضد الدولة ابن بُويه فى سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، فى خلافة الطائع ، ثم جرى الملوك بعده على ذلك .

ومنها : انفراد الخلفاء بالكتابة على ولايات الوظائف ، كالوزارة والقضاء وسائر الولايات ، ولم يزل (١٥٧ ا) ذلك مختصا بهم إلى حين انقراض الخلافة من بغداد إلا ما يُوَلِّيهِ الوزراءُ ومن فى معناهم من صغار الولايات المُفَوَّضَةِ إليهم ، ثم نُقِلَ ذلك إلى الملوك بحكم تفويض الخلفاء الأمورَ العامَّةَ إليهم ، خلا ولاياتِ الملوك فإنها مما يختص به الخلفاء إلى الآن .

وأما شعار الخلافة [١]

فمنها : الخاتم ، والأصل فيه ما ثبت فى الصحيح أَن النبى صلى الله عليه وسلم قيل له : إن الملوك لا يقرأُون كتابا غير مختوم ، فاتَّخذ خاتما من وَرِقٍ ، وجعل نقشه : محمدٌ رسول الله ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) صبح الأعشى حـ ٣ ص ٢٧٣

لبسه أبو بكر بعده ، ثم لبسه عمر بعد أبي بكر . ثم لبسه عثمان بعد عمر ، فوقع منه فى بئر أَرِيسَ ، فلم يقدر عليه.

واتخذ الخلفاء بعد ذلك خواتيمَ ، لخاتَمِ كلِّ خليفة نقشٌ يخصُّه ، وبقى الأَمر على ذلك إلى حين انقراض الخلافة من بغداد ، إلاَّ أَن المؤرخين أَهملوا ذكر خواتم الخلافة فى أَواخر الدولة العباسية بالعراق .

ومنها : البُرْدَة ، وهى بُرْدة النبى صلى الله عليه وسلم التى كان الخليفة يلبسها فى المواكب ، قال أَبو السعادات بن الأَثير فى « نهايته فى غريب الحديث »(١) : وهى شَمْلَة مُخَطَّطة ، وقيل كساء أَسود .

وقد اختُلف فى وصولها إلى الخلفاء ، فحكى الماوردى فى « الأَحكام السلطانية »(٢) عن أَبان بن تغلب أَن النبى صلى الله عليه وسلم كان وهبها لكعب بن زهير واشتراها منه معاوية وتناقلها الخلفاء بعده .

والذى ذكره غيره أَن كعبا لم يسمح ببيعها لمعاوية وقال :

---

(١) النهاية جـ ١ ص ٧٢ مادة « برد » : « والبردة الشملة المخططة وقيل كساء أسود مربع فيه صفر تلبسه الأعراب وجمعها برد » .

(٣) الأحكام السلطانية ص ١٥٣

لم أَكن أُوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أَحدا ، فلما مات كعب اشتراها معاوية من ورثته بعشرة آلاف درهم .

وحكى الماوردى [(١)] أَيضا عن ضمرة [(٢)] بن ربيعة (١٥٧ب) أَن هذه البردة كان النبي صلى الله عليه وسلم أَعطاها أَهل أَيْلَة [(٣)] أَمانا لهم ، فأَخذها منهم عبد الله [(٤)] ابن خالد بن أَبي أَوفى ، وهو عاملٌ عليهم من قِبَل مروان ابن محمد آخرِ خلفاء بنى أُمية ، وبعث بها إلى مروان ، فكانت فى خزانته حتى أُخذت بعد قتله ، وقيل : اشتراها أَبو العباس السفاح أَول خلفاء بنى العباس بثلاثمائة دينار .

ومنها : القضيب ، وهو عمود كان النبي صلى الله عليه وسلم يأْخذه بيده ، قال الماوردى [(٥)] : وهو من تركة النبى صلى الله عليه وسلم التى هى صدقة .

---

(١) الأحكام السلطانية ص ١٥٣

(٢) في الأصل : حمزة بن ربيعة والتصويب من الأحكام السلطانية . وفي الصحابة ضمرة بن ربيعة ، وليس فيهم حمزة بن ربيعة . راجع الإصابة والذى في صبح الأعشى أيضا حمزة ابن ربيعة .

(٣) في الأصل وصبح الأعشى: « أعطاها لأهل أيلة » والتصويب من الأحكام السلطانية واللغة فإن أعطى تتعدى للمفعولين .

(٤) هوكذلك في صبح الأعشى أيضا أما في الأحكام السلطانية فهو : سعيد بن خالد بن أبى أوفى.

(٥) الأحكام السلطانية ص١٥٣ : وهو من تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ....

قلت : وكان القضيب والبُرْدة جميعا عند خلفـاء بنى العباس ببغـداد ، إلى أن انتزعهما السلطان سنجر السلجوقى من المسترشد بالله ، ثم أُعيدا إلى المقتفى عند ولايته فى سنة خمس وثلاثين وخمس مائة ، والذى يظهر أنهما بقيا عندهم إلى انقراض الخلافة من بغداد فى سنة ست وخمسين وستمائة ، فإن مقدار ما بينهما مائة وإحدى وعشرون سنة ، وهى مدة قريبة لا تمنع تفاوتهما إليها [1] .

ومنها : ثياب الخلافة ، وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة فى «تاريخه» عند الكلام على ترجمة الملك السعيد إسماعيل أحدِ ملوك بنى أيوب باليمن أنه كان به هَوَج ، فادَّعى أَنه من بنى أُمية ، ولبس ثياب الخلافة ، ثم قال : وكان طولُ الكُمِّ يومئذ عشرين شبرا [فيحتمل أنه أَراد زمن بنى أُمية وأَنه أَراد زمن بنى أَيوب] .

ومنها : لون الأَعلام والخِلَع ونحوها .

فبنو أُمية يقال ، إنه كان شعارهم الخُضْرة ، وقد حكى صاحب حماة عن الملك السعيد صاحب اليمن المقدَّم ذكره أَنه حين ادَّعى الخلافة وأَنه من بنى أُمية لبس الخُضرة ، وهذا

(١) فى صبح الأعشى حـ ٣ ص ٢٧٤ وهى مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدم من مدتها .

صريح فى أَن شعارهم الخضرة .

وأَما بنو العباس فشعارهم السَّوَاد ، وقد اختُلف فى اختيارهم السواد ، فذكر القاضى الماوردى فى كتابه « الحاوى [الكبير] » فى الفقه أَن السبب فى ذلك أَن النبى صلى الله عليه وسلم عقد لعمِّه العباس رضى الله عنه (١٥٨ ا) فى يوم حنين ويوم الفتح راية سوداء .

وذكر أَبو هلال العسكرى فى كتابه « الأَوائل » أَن السبب فى ذلك أَن مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أَمية حين أَراد قتل إِبراهيم بن محمد العباسىِّ المعروف بالإِمام أَوَّلِ القائمين من بنى العباس لطلب الخلافة قال لشيعته : لا يهولَنَّكم قتلى ، فإِذا تمكنتم من أَمركم فاستخلفوا عليكم أَبا العباس يعنى السَّفَّاحَ ، فلما قتله مروان لبس شيعتُه عليه السَّوَادَ ، فلزمهم ذلك وصار شعاراً لهم .

ومن غريب ما وقع مما يتعلق بذلك ما حكاه ابن سعيد فى كتابه « المغرب » أَنَّ الظافر ، أَحد خلفاء الفاطميين بالديار المصرية ، لما قتله وزيره عبَّاس ، بعث نساءُ الخليفة شعورَهن طَىَّ الكتب ، إِلى الصالح طلائع بن رزيك ، وهو يومئذ

والى مُنْيَة بنى خَصِيب [1] من صعيد مصر ، فحضر إليهم الصالح وقد رفع تلك الشُّعورَ على الرماح ، وأقام الراياتِ السودَ إظهاراً للحزن على الظافر ، ودخل القاهرة وهو على ذلك ، فكان ذلك من الفأْل العجيب ، وهو أَن مصر انتقلت إلى بنى العباس وأُقيمت فيها الأَعلام السود بعد خمس عشرة سنة .

وأما كيفية [2] تولية الملوك الخلفاءُ وترتيبهم فى ذلك فله حالتان :

الحالة الأَولى : ما كان الأَمر عليه فى الزمن الأَول ، والخلافةُ بالعراق ، والحالُ فيه مختلف ، فتارة تكون السلطنةُ التى تُوَلَّى بحضرة الخلافة ، كسلطنة بنى بويه وآل سلجوق وغيرهم ، وتارة تكون ببعض الأَطراف ، كالديار المصرية حينئذٍ ونحوِها ، فإن كانت السلطنة بحضرة الخلافة فقد جرت عادتهم فى ذلك أَن يجلس الخليفة بمجلسه العام على كرسىٍّ عالٍ ، ويحضر السلطان الذى تولى فيجلس على كرسىٍّ لطيف (١٥٨ ب) أَمام

(١) في هامش صبح الأعشى تعليق نصه : معجم البلدان [منية أبي الخصيب] .

(٢) صبح الأعشى ح ٣ ص٢٧٥

كرسيّ الخليفة ، ويحضر أعيان المملكة ورؤساؤها ، ويخاطِب الخليفةُ السلطانَ بالولاية على لسان الوزير ، ثم يُخْلع على السلطان خِلعةُ الخلافة ، ويُحمل على مراكب من إصطبلات الخليفة ، ويذهب السلطان إلى داره ، فيرسل السلطان التقادِمَ السنِيَّة .

كما حكى ابن الاثير وغيره أن السلطان طُغْرلبك [1] ابن ميكائل السَّلجوقى لما تقلد السلطنة عن القائم بأَمر الله فى سنة تسع وأَربعين وأَربعمائة ، جلس له الخليفة على كرسيٍّ ارتفاعه عن الأَرض نحو سبعة أَذرع ، وعليه البُرْدة ، وأَقبل طغرلبك فى جماعته ، وأَعيان بغداد حاضرون ، فقبلَّ طغرلبك الأَرض وَيدَ الخليفة ، ثم جلس على كرسيٍّ نُصِب له ، ثم قال رئيسُ الرؤساء وزيرُ الخليفة ، للسلطان عن لسان الخليفة : إن أَمير المؤمنين قد ولاَّك جميع ما ولاَّه الله تعالى من بلاده ، وردَّ إليك أَمر عباده ، فاتَّق الله فيما ولاَّك ، واعرف نعمته عليك ، ثم خُلِع على طغرلبك سبعُ جُبَّاتٍ سُود بزِيق واحد ، وعمامةٌ سوداء ، وطُوِّق بطَوْقٍ من ذهب ، وسُوِّر بسوارين من ذهب ، وأُعطى سيفا بغلاف من

(١) هنا كتبت صوابا كما هو في صبح الأعشى ولم تكتب « طغريل» .

ذهب ، ولقَّبــه الخليفة وقُرِئ عهدُه عليه ، فقبَّل الأَرض ويدَ الخليفــة ثانيا وانصرف ، وقد جُهِّز له فرس من إسطبلات الخليفة بمركب من ذهب مُقَنْدَس ، فركب وانصرف إلى داره ، فبعث إلى الخليفة خمسين أَلف دينار ، وخمسين مملوكا من التُّرك بخيولهم وسلاحهم ، مع ثياب وغيرها .

فهذا كان شأْنهم فى تولية السلطنة بحضرة الخلافة .

وإن كان الذى يُولّيه الخليفةُ السلطنةَ من ملوك الأَطراف جُهِّز له التشريفُ من بغداد صحبةَ رسولٍ من جهة الخليفة ، وهو جُبَّةٌ أَطلس أَسود بطراز مُذْهَب ، وطَوْقٌ من ذهب يجعل فى عنقه ، وسِوارَانِ من ذهب يُجعلان فى يديه ، وسيفٌ قِرَابُه مُلَبَّسٌ بالذهب ، وفرَسٌ بمَرْكبٍ من ذهب ، وعَلَمٌ (١٥٩ ا) أَسودُ مكتوب عليه بالبياض اسم الخليفة ، يُنشر على رأسه ، وصحبة ذلك تقليدُه بالسلطنة ، وربَّما جُهِّز مع خِلعة السلطان خِلَع أُخرى لولده أَو وزيره أَو أَحد أَقاربه ، بحسب ما يقتضيه الحال حينئــذ ، كما كان يُبعث مثل ذلك إلى السلطان صـــلاح الدين يوسف بن أَيوب بالديار المصرية ، ثم إلى أَخيه العادل فمَنْ بعده مِن ملوك بنى أَيوب ،

إلى أن كان آخر من وصل إليه ذلك منهم من بغداد الملك الناصر يوسف بن السلطان [العزيز بن السلطان] صلاح الدين عن المستعصم بالله فى سنة خمس وخمسين وستمائة .

وكان من عادتهم فى ذلك أنه إذا وصل التشريف والتقليد إلى سلطان تلك الناحية أن يَلْبسَ السلطانُ الخِلعة والعمامةَ ، ويتقلَّد السيف ، وَيركب الفرس ، ويَسير فى موكبه حتى يصل إلى مقرِّ مُلكه .

الحالة الثانية : ما الأَمرُ مستقرّ عليه بعد انتقال الخلافة إلى الديار المصرية ، والأَمر فيه على نحو ما سبق فى الحالة الأُولى فيما إذا كان السلطانُ الذى يُوَلَّى بحضرة الخلافة ، لأَن الخلعة تكون جبة واحدة بزيق ، لا سبع جبات بزيق واحد ، وقد كان فيما تقدم يلبس السلطان طوق الذهب دون السوارين [1] ، ثم تُرِك الطوق والسواران جميعا ، وبقى ما عدا ذلك من أَصناف التشريف .

وأَوّل تقليد قُلِّدَه سلطانٌ من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية تقليدُ الملِك الظاهر بيبرس البندقدارى صاحب الديار

---

(١) في الأصل « طوق الذهب مع السوارين » ووضع بالهامش بالخط نفسه : « دون السوارين » ووضع علامة صح . فيحتمل أن يكون الكلام « طوق الذهب مع السوارين [ثم طوق] دون السوارين ثم ترك الطوق والسواران » لكن تقليد الظاهر بيبرس خلا من السوارين .

المصرية عن الإمام المستنصر بالله أبى العباس أحمد بن الظاهر بالله بن الناصر لدين الله أول خلفائهم بالديار المصرية ، فى شعبان من شهور سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وذلك أنه بعد أن بايع السلطانُ الملكُ الظاهرُ المستنصرَ بالله المقدَّمَ ذكره بالمجلس العام ، قلَّده السلطنةَ وكُتِبَ له بذلك عهدٌ من إنشاء صاحبِ ديوان إنشاء السلطان الصاحبِ فخر الدين إبراهيمَ بنِ لقمان (١٥٩ ب) وكتبَ السلطانُ الكتبَ إلى النُّوَّاب والملوك بالأقطار بأن يُخْطب له على المنابر مع السلطان ويُبدأ به فى الذكر ، ويُنقش اسمه معه فى السِّكَّة على الدنانير والدراهم ، فلما كان يوم الجمعة بعد ذلك خطب الخليفةُ بنفسه بجامع القلعة ، ثم لما كان يوم الاثنين بعد ذلك ركب السلطانُ إلى خَيمةٍ ضُرِبت له بالبستان الكبير بظاهر القاهرة المحروسة من الجهة البحرية ، ونزل بها هو والخليفة ، ولبس منه خلعة الخلافة وهى عمامة بنفسجىّ وجُبَّة سوداء وطوق ذهب فى عنقه ، وسيف بداوىّ تقلده ، وجلس السلطان مجلسا عاما بحضرة الخليفة والوزير والقضاة والأُمراء والعلماء ، ونُصب لكاتب سرّه الصاحبِ فخرِ الدين ابن لقمان مِنْبَرٌ ، فصعد عليه وقرأ تقليد السلطان ،

ثم ركب السلطانُ بالخلعة والطَّوق ودخل من باب النصر من المدينة وهى مزينة له ، وحَمَل وزيره الصاحب بهاء الدين ابن حنَّا التقليدَ على رأسه ، ومشى به فى الموكب بين يدى السلطان ، والأُمراءُ مشاةٌ حوله وأَمامه .

ورأَيت فى بعض التواريخ أَن الإِمام الحاكم بأَمر الله أَبا العباس (١) أَحمد بن المستكفى بالله أَبى الربيع سليمان حين عَهِد بالسلطنة إلى الملك المنصور أَبى بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد مبايعته الحاكمَ المذكورَ عند موت أَبيه فى سنة اثنتين وأَربعين وسبعمائة ، طلع الأَمراءُ والقضاةُ إلى القلعة ، واجتمعوا بدار العدل ، وجلس الخليفةُ على الدرجة الثالثة من التخت ، وعليه خلعةٌ خضراءُ وعلى رأسه طرحةٌ سوداء مرقومة بالبياض ، وخرج السلطان من القصر إلى الإِيوان من باب السرِّ على العادة ، فقام له الخليفة والقضاة والأُمراء وجاء السلطان فجلس على الدرجة الأُولى من التخت دون الخليفة ، ثم قام الخليفة فقرأَ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (٢) إلى آخر الآية ، وأَوصى السلطانَ

(١) في الأصل أبي العباس .

(٢) سورة النحل الآية ٩٠

بالرفق بالرعية وإقامةِ الحق . (١٦٠ ا) وإظهارِ شعائر الإسلام ونُصرةِ الدين ثم قال : فَوَّضْتُ إليك جميعَ أمر المسلمين ، وقلّدتُك ما تقلَّدتُه من أُمور الدين ، ثم قرأ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [1] إلى آخر الآية ، ثم أُتِى الخليفةُ بخلعةٍ سوداءَ وعمامةٍ سوداءَ مرقومةِ الطَّرَف بالبياض ، فألبسها السلطانَ ، وقلَّده سيفه ، ثم أُتِىَ بالعهد المكتوب عن الخليفة ، فكَتَبَ عليه ما صورته : فوَّضْتُ إليه ذلك ، وكَتبَ أَحمدُ بن عَمِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وكتب القضاةُ الأَربعةُ شهادَتهم بالتَّوْلِية . ثم أُتى بالسِّماط على العادة .

وأخبرنى من حضر تقليدَ الإمام المتوكِّل على الله أَبى عبد الله محمدٍ السلطانَ الملكَ الناصر فرجَ بن الظاهر برقوق بعد وفاة والده الظاهرِ أَنَّ الخليفة حضر هو وشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى والقضاةُ الأَربعة وأَهلُ العلم وأُمراءُ الدولة إلى مقعدٍ بالإسطبلات السلطانية ، وجلس الخليفةُ فى صدر المكان على مقعدٍ مفروشٍ له ، ثم أَتى السلطانُ وهو يومئذ حَدَث السنِّ ، فجلس بين يديه ، فسأَله شيخ

(١) سورة الفتح الآية ١٠

الإسلام عن بلوغه الحُلُمَ فأَجاب بأَن نَعَم ، فخطبَ الخليفةُ خطبةً ، ثم خاطب السلطانَ بتفويض الأَمر إليه ، على نحو ما تقدم ذكره ، ثم أُتِى الخليفةُ بِخلعةٍ سوداء وعمامةٍ سوداء مرقومةِ الطرفِ بالبياض فألبسهما للسلطان ، ولبس الخليفةُ أَيضا خلعةً سوداء بعمامةٍ سوداء مرقومة ، ثم جلس الخليفة فى مكانه الذى كان جالسا فيه على المقعد ، ونُصِب للسلطان كرسىٌّ إلى جانب المقعد الذى عليه الخليفة فجلس عليه ، وجلس الأُمراء والقضاة حوله على قدر منازلهم .

قلت : والذى استقرّ عليه الحالُ فى جائزة تقليدِ السلطنةِ مما يُرْسِل به السلطانُ إلى الخليفة أَلف دينار ، مع قماش سِكَنْدَرِىّ ضمن بُقْجة ، بحسب الحال . (١٦٠ ب)

الفصل الثالث

من الباب الثانى

في ذكر المشاهير ممن ادّعى الخلافة فى بعض الأَقاليم ، وبطلان شبهة دعاويهم .

أَما المشاهير ممن ادّعى الخلافة فى بعض الأَقاليم ، فاعلم أَنه قد قام على خلفاء بنى العباس فى أَول أَمرهم قائمون من العَلَوِيِّين فى بلادٍ وأَزمان مختلفة ، فمنهم من قُبِض عليه ولم يتمَّ له أَمر ، كمحمد بن عليٍّ ، الخارج على أَبى جعفر المنصور ، ومنهم من فرَّ إلى البلاد البعيدة ودعا إلى نفسه فكان له دولةٌ ، كإِدريس الأَكبر بن حسن المُثَلَّث ابن حسن المثنّى بن الحسن السِّبْطِ حين فرّ إلى الغرب الأَقصى ، فكان له ولعقبه به دولة ، ثم انقرضت ، إلا أَنه لم يَدَّع أَحدٌ منهم الخلافة ، وطالت دولته .

إلاَّ ثلاث طوائف :

الطائفة الاولى

بنو أُمية بالأَندلس

وذلك أَن بنى العبـــاس عند استيـــلائهم على الأَمر ، وانتقال الخلافة إليهم ، تتبعوا بنى أُمية بالقتل ، فهرب عبد الرحمن بن معاوية بن هِشام بن عبد الملك بن مروان ، وسارحتى دخل الأَندلس ، فعُرِف بالدَّاخل لذلك ودعا إلى نفسه بالخلافة هناك ، واستولى على ما كان بيد المسلمين من الأَندلس فى سنة تسع وثلاثين ومائة من الهجرة ، وقصده بنو أُميّة من المشرق والتجئُوا إليه ، وتوفى فى ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة ، وملك بعده ابنه هِشام ، واستخلف بعده ابنه الحَكَم [ابنه عبد الرحمن وملك بعده ابنه محمد] وملك بعده ابنه المنذر ، وملك بعده أَخوه عبد الله وملك بعده ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله وتلَقب بالناصر ، وخوطب بأَمير المؤمنين بعد أَن مضى من خلافته تسع وعشرون سنة ، وهو أَول من تلقب (١٦١ ا) منهم بأَلقاب الخلافة ودُعى بأَمير المؤمنين ، وكانوا قبل ذلك يخاطبون بالإمارة خاصة ، وولى الأَمر بعده ابنه الحكم ، وتلقب

بالمستنصر ، وعهد إلى ابنه هشام ولقّبه المُؤَيَّد ، فغلبه على الأَمر محمد بن هشام بن عبد الجَبَّار بن عبد الرحمن الناصر المُقَدَّم [ذكره] وتلقّب بالمهدى [1] [ثم غلبه سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المتقدم ذكره ، ثم غلبه محمد بن هشام المهدى المذكور] ثم عاد هشام بن الحكم المقدّم ذكره ، ثم عاد سليمان بن الحكم المُقَدَّم ذكره ولُقِّب بالمستعين ، ثم غلبه المهدىُّ محمد بن هشام المقدَّم ذكره ، ثم غلبه المستعين على قُرْطُبة ثم قُتِل المهدىُّ محمد بن هشام المذكور وعاد [هشام] إلى خلافته [هذا كله والمستعين محاصر لقرطبة إلى أن افتتحها عنوة وقتلوا] المُؤَيَّدَ [2] هشاماً ثم غلب علىٌّ وقاسم ولدا حَمّود من الأَدارسة على قرطبة ، وقتلوا المستعين وأَزالوا مُلْك بنى أُمية من الأَندلس ، ثم غلب على الأَندلس المُرْتَضى بالله عبدُ الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن الناصر ، ثم ولى بعده المستظهر بالله عبدُ الرحمن بن هشام ابن عبد الجبار ، ثم غلب عليه المستكفى بالله محمد بن

(١) في الأصل تكرار ونقص ، ففيه . بن عبدالناصر المقدم ثم غلبه عليه محمد بن هشام وتلقب بالمهدى فحذفنا المكرر وأثبت الزيادة من صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٤٥

(٢) في الأصل « وعاد إلى خلافته وقتل المؤيد هشاما » والتصويب والزيادة من صبح الأعشى .

عبد الرحمن بن عبيد الله [1] بن عبد الرحمن الناصر ، ثم رجع الأَمر إلى الأَدارسة ، ثم بُويع للمعتـد بالله هشام بن محمد أَخى المرتضى ، وتوفى سنة ثمان وعشرين وأَربعمائة ، وانقطعت دولتهم من الأَندلس .

وقد مضى القول على ذلك مفصلا فى خلال تراجم الخلفاء.

الطائفة الثانية :

العبيديون

وهم أَبناء عبيـد الله المهـدى [2] ، ويقال لهم العلوِيُّون ، نسبة إلى أَمير المؤمنين علىٍّ بن أَبى طالب رضى الله عنه ، والفاطِميُّون ، نسبة إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالمصرِيين ، نسبة إلى مصر لاستقرارهم بها آخرا ، وكان مبدأ أَمرهم أَن المكتفى بالله طَلَب عُبيد الله المذكور وهو يومئذ بِسَلَمْيَه لأَمر بلغه عنه ، ففرّ من الشام إلى العراق ، ثم لحق بمصر (١٦١ب)

(١) في الأصل : « عبدالله » والتصويب من صبح الأعشى .

(٢) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتى : قال صاحب كتاب « المشرق في تاريخ المشرق » . وصحح ابن الطوير نسبهم وقال المهدى من أولاد الثلاثة الذين اختفوا .

فى جماعة من خاصته ، ولحق بإفريقية من بلاد المغرب فى زى التجار ، ووصل إلى المغرب الأَقصى ، ودخل سِجِلْمَاسة ببلاد المغرب ، فورد على عاملها كتابٌ بالقبض عليه ، فقُبِض عليه هو وابنه أَبو القاسم نزار ، وكان أَبو عبد الله الشيعى من شيعته قد أَقام له الدعوة بتلك البلاد قبل دخولها ، فسار من إفريقية فى جماعة من البربر ودخل سِجِلْماسة ، وأَخرج عُبيدَ الله المهدىَّ [وابنه] من الحبس وبايعه وارتحل به إلى افريقية ، فنزلوا رُقَادة من بلاد إفريقية فى أَوائل سنة سبع وتسعين ومائتين ، فبويع بها المهدىُّ البيعةَ العامَّة واستقام أَمره ، وولَّى ابنه أَبا القاسم عهدَه وبنى مدينة المَهْدِيَّة بإفريقية ، وجعلها دار ملكه ، واستولى على فاس من الغرب الأَقصى ، ودخل ملوكُها من الأَدارسة تحت طاعته ، وبقى حتى مات ، وولى بعده ابنه أَبو القاسم نزار المقدّم ذكره ، ثم ولى بعده ابنه المنصور بالله إسماعيل ، فلم يَتَسَمّ بالخليفة ولا غَيَّر السِّكَّة ولا الخُطبة والبُنُودَ ، ثم ولى بعد موته ابنه المعز لدين الله أَبو تَميم مَعَدٌّ ، فبعث قائده جوهرًا إلى الديار المصرية فملكها وبنى القاهرة فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، ثم استناب

بإفريقية وسار إلى مصر ، فملكها واستوطنها[1] ، وولى بعده ابنه العزيز [2] بالله أبو المنصور ، وولى بعد وفاته ابنه الحاكم بأمر الله أبو [عليّ] المنصور ، ثم تولى بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن عليّ ، وولى بعد وفاته [ابنه] المستنصر بالله أبو تميم مَعَدّ ، وولى بعد وفاته ابنه المستعلى بالله ، وولى بعد وفاته الآمر بأحكام الله أبو عليّ المنصور ، وولى بعد وفاته ابن عمه الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير [3] أبى القاسم محمد ، وولى بعد وفاته ابنه الظافر بأمر الله إسماعيل ، ثم ولى بعده ابنه الفائزبنصر الله أبو القاسم عيسى . وولى بعد وفاته العاضد لدين الله أبو محمد[4] عبد الله (١٦٢ ا)

---

(١) في هامش الأصل في الصفحة السابقة بخط مختلف نص محله يكون بمناسبة المعز وهو : وولى بعده ابنه المعز لدين الله وكان فاضلا لم يحدث بالديار المصرية أمرا قبيحاً . وكان يقول : السخاء يأتى القلب ، ودخل إلى مصر سنة إحدى وستين وثلاثمائة وبنيت القاهرة في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وزينت مصر عند دخول المعز لدين الله فلم يدخل إلى مصر ونزل القاهرة وقرأ القراء بين يديه ونثر على الناس أربعين ألف دينار وكنى معز لدين الله بأبى تميم واسمه معد . عاش من العمر خمسا وأربعين سنة . وقال المؤرخون : المعز بن القائم بن منصور بن المهدى من أولاد إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على بن الحسين السبط بن على بن أبى طالب .

(٢) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتى : وعاش العزيز بالله إحدى وأربعين سنة وكانت ولايته إحدى وعشرين سنة وستة أشهر وكان يصل الناس بالجوائز ويتصدق في يوم ركوبه بالمال الكثير ووصل عطاؤه إلى العراق .

(٣) في صبح الأعشى : بن الآمر أبي القاسم . انظر الجزء الثالث ص ٤٣١

(٤) في الأصل : ابنه العاضد لدين الله أبي محمد . وليس الفائز أباه انظر هامش صفحة ٤٦ .

ابن يوسف وتوفى يوم عاشوراء سنة أربع وستين وخمسمائة ، بعد أن قطع السلطانُ صلاح الدين يوسف بن أيوب الخطبة له ، وخطب للخلفاء العباسيين ببغداد .

الطائفة الثالثة :

الحَفْصِيُّون

من بقايا الموحدين بإفريقية وكان مبدأ أمرهم أن بلاد المغرب كان قد ظهر فيها القول بالظَّاهر حتى حملهم ذلك على القول بالتجسيم وما فى معناه من لوازم الوقوف مع الظاهر ، وكان محمد بن تُومَرت من بعض بطون المَصامدة من البربر أهل بيته أهل دين وعبادة ، وقد شب فى طلب العلم ورحل إلى المشرق قاصدا الحج ، ودخل العراق ولقى أكابر علمائه وفحول النُّظَّار به ، وأخذ مذهب أبى الحسن الأشعرى فى القول بتأويل المتشابه عن علماء الأشاعرة ، ولقى الإمام أبا حامد الغزالىَّ وصحبه ، ثم عاد إلى بلاد الغرب وطعن على أهله فى الوقوف مع الظاهر ، وَحَمَلَهم على القول بالتأْويل ، والأَخذِ بقول الأشاعرة فى جميع العقائد ، إلاَّ أنه كان يقول بقول الإمامية من الشِّيعة فى عصمة الإمام ،

وانتهى إلى بِجاية فأَقام بها مدة يُدَرِّس العلم ، واجتمع عليه بها عبد المؤمن أَحد أَصحابه ، ثم سار إلى بلاد المصامدة من [1] البربر فنشر بها العلم وأَظهر بها مذهب الأَشاعرة .

وكان الكُهَّان والمنجِّمون يُحَدِّثون بظهور ملك بالمغرب من البربر ، فشاع فى الناس أَنه ذلك الملك ، واختار من أَصحابه عشرة فجعلهم خاصته ، وهم عبد المؤمن بن على وأَبو حفص عمر بن علىّ ، وغيرهما ، ودعا المصامدة إلى بيعته على التوحيد ، جُنوحاً إلى تكفير أَهل الظاهر القائلين بالتجسيم ، فبايعوه ، وكان قبل ذلك يُلَّقب بالإِمام ، فتلقَّب بعد المبايعة بالمهدىّ ، ولقَّب عبد المؤمن بن علىٍّ (١٦٢ ب) بالخليفة إشارة إلى أَنه خليفته ، ولقب أَبا حفص عمر بن علىٍّ بالشيخ ، وسمى أَتباعه المُوَحِّدين ، تعريضًا بتكفير المُجَسِّمة ، ولم يزل حتى توفى ، فاستقر فى خلافته عبد المؤمن ابن على المقدم ذكره ، واستولى على الأَندلس والغرب الأَقصى والغرب الأَوسط فى سنة سبع وأَربعين وخمسمائة ، ثم استولى على إفريقية فى سنة خمس وخمسين [2] وخمسمائة ،

---

(١) في صبح الأعشى حـ٥ ص ١٣٦ وارتحل معه إلى المغرب وصار إلى بلاد هرغة من البربر .

(٢) في صبح الأعشى حـ٥ ص١٢٦ واستكمل فتحها سنة ست وخمسين .

وولى إفريقية ابنه أَبا موسى عمران ، ولما توفى عبد المؤمن استقر بعده ابنه المنصور يعقوب بن عبد المؤمن ، فولّى على إفريقية أَبا سعيد بن الشيــخ أَبى حفص المقدّم ذكره ، ثم استولى على إفريقية بعد ذلك الناصر بن المنصور يعقوب بن عبد المؤمن ، وولى عليها الشيــخ أَبا محمد [عبد الواحد] بن الشيخ أَبى حفص ، وولى بعد وفاته[1] ابنُه أَبو زيد عبد الرحمن بن الشيــخ [أَبى] محمــد ، ثم عُزل عنها ووُلِّىَ مــكانه أَبو العُلاَ إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن ، ومات بتونس فولى بعده أَبو زيد بن أَبى العُلاَ ، ثم ولى بعده أَبو محمد عبد الله بن أَبى محمد عبد الواحد بن الشيــخ أَبى حفص ، ثم غلبه عليها أَبو زكريا يحيى بن أَبى محمد عبد الواحد ، ثم بويــع بعد وفاته ابنه أَبو عبد الله محمد وتلقَّب المستنصر بالله ، وهو أَول من تلقَّب منهم بأَلقاب الخلافة ، وانتهى أمره إلى أَن بويع له بمــكّة ، وبُعِث بالبَيعة إليه ، وتبعه أَعقابه فى التلقيب بأَلقاب الخلافة ، ثم بويع بعد وفاته ابنــه يحــيى ، وتلقــب بالواثق ، ثم انخلع عن الأَمر لعمه أَبى إسحــاق إبراهيم بن

(١) في الأصل : وولى بعد ذلك وفاته ابنه .

يحيي ، ثم ولى بعده ابنه أَبو فارس عبد العزيز ، ثم غلبه عليها أَبو حفص عمر بن يحيي بن عبد الواحد بن أَبي حفص ، ثم بويع بعد وفاته أَبو عصيدة بن الواثق بن المستنصر المقدّم ذكره ، ثم بويع بعد وفاته أَبو بكر بن عبد الرحمن بن أَبي بكر يحيي بن عبد الواحد بن أَبي حفص ، ثم غلبه عليها أَبو البقاء خالد [1] وتلقب الناصر لدين الله ، ثم غلبه عليها أَبو يحيي زكريا بن أَحمد ابن محمد اللحيانى بن عبد الواحد (١٦٣ ا) ابن الشيخ أَبي حفص ، ثم بويع بعده محمد المعروف بأَبي حربة [2] ابن أَبي يحيي زكريا بن أَحمد ، ثم غلبه عليها أَبو بكر المقدّم ذكره ، ثم بُويع بعد وفاته ابنه أَبو حفص عمر بن أَبي بكر ، ثم غلبه عليها السلطان أَبو الحسن المَرِينى صاحب الغرب الأَقصى واستخلف عليها ابنه أَبا الفضل ، فغلبه عليها الفضل بن أَبي [3] بكر المقدم ذكره . وولى

(١) في الأصل : « ثم غلبه عليها ابنه أبو البقاء خالد » . هذا وأبو البقاء خالد هو ابن أبي زكريا يحيى بن السلطان أبي إسحاق . انظر صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٢٩ وما تقدم في الأصول في الولايات صفحة ١٤١ .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٣٠ « بأبي ضربة » . هذا وقد سبق أيضا أن ذكر في الأصل أبو حربة .

(٣) في الأصل: « فغلبه عليها أبوالفضل بن أبي بكر» والتصويب من صبح الأعشى حـ٥ ص ١٣١

بعد وفاته أخوه أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر ، وولى بعد وفاته ابنه أبو البقا خالد ، ثم غلبه عليها أبو العباس أحمد بن [محمد بن] أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى ابن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص ، ثم ولى بعد وفاته ابنه أبو فارس عزّوز ؛ وهو القائم بها إلى زماننا فى سنة ثمان عشرة وثمان مائة ، علي ما مرّ ذكر تواريخ ذلك وتفاصيل أحواله فى الكلام على ولايات الأمصار فى تراجم الخلفاء .

وأما بطلان شبهة دعوى الطوائف الثلاث الخلافة

فالقول العام فى ذلك ما تقدم من أن جمهور العلماء رضى الله عنهم على أنه لا يصح نصب خليفتين ، وإن تباعد إقليماهما ، احتجاجاً بعموم قوله صلى الله عليه وسلم : «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » على ما تقدم ذكره فى الفصل الثالث من الباب الأول . والخلفاء المقدّم ذكرهم من الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ، ثم من خلفاء بنى أمية ، ثم من خلفاء بنى العباس بالعراق ، ثم من خلفائهم بالديار المصرية إلى آخر وقت جارون على نسق واحد ، يليها منهم الواحد بعد الواحد ، إما بالعهد من الذى قبله ،

وإما بيعة من أهل الحلِّ والعقد ، فمن خرج عنهم أَو شَقَّ عصاهم فهو باغٍ لا تَسوغُ مبايعته ولا تحل متابعته . ويزيد العُبَيديُّون والحَفصيون على ذلك فى بطلان شبهة دعواهم بالطعن فى النسب الذى هو أَحد شروط الإِمامة ، على ما تقدم ذكره ، فالعُبيْدِيون (١٦٣ ب) يقولون إن جدّهم عبيد الله المهدى هو ابن محمد الحبيب بن جعفر المُصَدَّق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإِمام بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علىّ زين العابدين بن الحسين السِّبط بن أَمير المؤمنين علىّ بن أَبى طالب رضى الله عنه ، من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقال : هو عبيد الله بن محمد بن ميمون بن محمد بن إسماعيل ، والباقى على ما تقدم ، ويقولون : إن أَباه محمدًا الحبيب حين أَدركته الوفاة عَهِد إلى ابنه عبيد الله وقال له : أَنت المهدىّ وتُهاجر بعدى هجرةً بعيدة ، وتلقى مِحنة شديدة .

واعترض هذا النسبَ عليهم معترضون ونفوهم عنه ، وبالغوا فى أَمرهم ، حتى نسبوهم إلى دَيْصان الذى تُنسب إليه طائفة الديصانية ، نسبة إلى ديصان صاحب كتاب « الميزان فى نصرة الزندقة » واعتنوا بشأْن ذاك حتى كُتب

به محضر ببغداد فى سنة اثنتين وأربعمائة بأمر القادر بالله ، فى زمن الحاكم بأمر الله أحد خلفائهم ، وكتب فيه جماعةٌ من العلويين والقضاة ، وممن كتب فيه أبو عبد الله ابن النعمان فقيه الشيعة .

ونسخة المحضر على ما ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة فى تاريخه :

هذا ما شهد به الشهود أن معدّ بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد مُنتسب إلى ديصان بن سعيد الذى يُنسب إليه الديصانية ، وأن هذا الناجم منهم هو منصور ابن نزار الملقب بالحاكم حُكِم عليه بالبوار والدمار وهو معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد - لا أسعده الله - وأن من تقدَّمه من سلفه الأرجاس الأنجاس - عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين - أدعياءُ خوارج لا نسب لهم فى ولد عليٍّ بن أبى طالب ، وأن ما ادَّعوه من الانتساب إليهم زور وباطل ، وأن هذا الناجم معَدًّا هو وسلفه كفار فُسَّاق زنادقة ملحدون معطِّلون ، وللإسلام جاحدون ، أباحوا الفروج وأحَلُّوا الخمور وسَبُّوا الأنبياء وادَّعوا الرُّبوبية .

وفى آخره :

وكتُب فى شهر ربيـــع الأَول سنة اثنتين وأَربعمائة .

وربما وقع الطعن فيهم بما هو أَسوأ من ذلك ، حسب ما ذكره صاحب حماة أَن بعضهم جعل نسبهم فى اليهود فقال : إن عبيد الله المهدى كان اسمه سعيد بن أَحمد القداح بن ميمون بن ديصان ، وقيل سعيد بن الحسين بن محمد ، وإن الحسين تزوج امرأَة يهودية وهويها [1]

(١١٦٤) والحفصيون يقولون إن جدهم أَبوحفص المذكور هو أَبو حفص عمر بن يحي بن محمد بن وانُّود [2] بن علىّ بن أَحمد بن ولاّل [3] بن إدريس بن خالد بن الْيَسَع ابن إلياس بن عمر بن وافتف [4] بن محمد بن نحيَّه [5] بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

وقد اعترض عليهم معترضون فى ذلك ، فمنهم من يقول إنه منسوب إلى بنى عَدِىٍّ رهطِ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومنهم من يقول بل هو منسوب إلى هَنْتَاتَةَ ـ بفتح

(١) الكلمة غير واضحة وتحتمل أيضا « وتهود » .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٣٤ بن وانودين بن على .

(٣) في صبح الأعشى : والال .

(٤) في صبح الأعشى : وافتق.

(٥) هكذا ضبط في الأصل . وفي صبح الأعشى : « نجيه » تصغير « نجه » .

الهاء وإسكان النون وفتح التاء المثناة فوق وبعدها ألف ثم تاء مثناة فوقُ مفتوحة وهاء فى الآخر - وهى قبيلة من قبائل المَصَامدة من البربر بجبال دَرَن المتاخمةِ لمرَّاكُش ، وهى قبيلة واسعة كبيرة ، وكان أَبو حفص هذا شيخَهم وكبيرَهم .

قال صاحب « العِبَر » : ولعلَّ هذا النسبَ القُرشىَّ وقع فى المصامدة ، والتحمَ بهم ، واشتملت عليه عصبتهم [1] شأْن الأَنساب التى تقع من قوم إلى قوم .

ويؤكد نفى الخلافة عنهم أَن السلطان أَبا زكريا يحي ابن عبد الواحد بن الشيخ أَبى حفص كان يمتنع من التلقب بأَلقاب الخلافة ، ويمنع من يخاطبه بها ، مقتصرا على التلقُّب بالإمارة ، حتى لقد رفع إليه بعضُ شعرائه قصيدةً مدحه بها أَولها :

أَلاَ صِلْ بالأَمِيرِ المؤمنينا
فأَنت بها أَحقُّ العالمينا

فنهاه عن ذلك ، ومنعهم من خطابه بها ، وإنما تلقب بلقب الخلافة ابنه المستنصر بالله أَبو عبد الله محمد بعده على ما تقدم ذكره

(١) في صبح الأعشى : عصبيتهم .

الباب الثالث

فى ذكر ما يُكتب للخلفاء من البيعات فى القديم والحديث (١٦٤ ب) وفيه فصلان :

الفصل الأَول

فى البيعات

وهى تكتب لمن يقوم بالخلافة بمبايعة أَهل الحلّ والعقد دون عهد من الخليفة قبله ، بالشروط السابقة ، على ما تقدم ذكره فى الكلام على الطرق التى تنعقد بها الإمامة فى الباب الأَول من الكتاب

واعلم أن الصدّيق رضى الله عنه لم تُكْتب له بيعة بالخلافة بعد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يُنْقل ذلك ، ولو وقع لنُقل كما نُقل كتاب عهد الصديق بالخلافة لعمر رضى الله عنهما ، على ما سيأْتى ذكره ، وكذلك سائر الخلفاء بعده لم تُكتب لهم مبايعة ، إلى أَن كانت أَيام عبد الملك بن مروان فى الدولة الأَموية [1] ، رتب الحجاج بن يوسف

(١) فى الأصل « الأيوبية » وهو خطأ واضح .

أيماناً للبيعة يُحَلف بها للخليفة عند أخذ البيعة له ، وابتُدِئ كتابةُ البيعات من يومئذ ، ونَظْمُ الأَيمان في خلالها ، واستمرَّ ذلك فيما بعده ، واختلفت أَساليب الـكُتَّاب بعد ذلك دولةً بعد دولة ، وقد استقر أَمرهم في ذلك على أَربعة مذاهب .

المذهب الأَول

أَن تفتتح البيعة بأَن يقال : تُبايــع عبدَ الله أَبا فلان فلانا [1] أمير المؤمنين على كذا وكذا ، على أَنك إِن خالفت في ذلك أَو في شيء منه كان لازمك كذا وكذا . مع بسط القول في ذلك بما يناسب المقــام وتأْكيده بالأَيمــان المُعَقَّدَات والأَلِيَّاتِ المُحْرِجات .

وعلى هذا الأُسلوب كانت طريقة الأَولين في الخلافة الأَموية . (١١٦٥) وصدر الخلافة العباسية ، فإِن كانت المبايعة من جماعة كتب : تبايعون ، بلفظ الجمع .

---

(١) في الأصل أبا فلان فلان .

وهذه نسخة بيعة من ذلك [1]

أوردها أبو الحسين بن إسحاق [2] الصابى فى كتابه «غرر البلاغة» فى الكتابة وهى :

تبايع عبد الله أبا فلان فلانا [3] أمير المؤمنين بيعة طوع واختيار ، وتبرع وإيثار ، وإعلان وإسرار ، وإظهار وإضمار ، وصِحَّة من غير نَغَلٍ [4] ، وسلامة من غير دَغَل ، وثباتٍ من غير تبديل ، ووقار من غير تأويل ، واعتراف بما فيها من جمع الشمل ، واتصال الحبل ، وانتظام الأُمور ، وصلاح الجمهور ، وحقن الدماء ، وسكون الدهماء ، وسعادة الخاصة والعامة ، وحسن العائدة على أهل الملة والذمة ، على أن عبد الله فلانا أميرَ المؤمنين عبدُ الله الذى اصطفاه ، وأمينه الذى ارتضاه [5] ، وخليفته الذى جعل طاعته جارية بالحق ، وموجبة على الخلق ، ومُوردة لهم مَوْرِدَ الأَمن ، وعاقدةً لهم مَعاقدَ اليُمْن ،

(١) صبح الأعشى حـ ٩ ص ٢٨٠

(٢) في الأصل : بن أبي إسحاق .

(٣) في صبح الأعشى تبايع عبدالله أمير المؤمنين فلانا .

(٤) في صبح الأعشى وصحة من نغل .

(٥) هذه العبارة غير موجودة في صبح الأعشى .

وولايتَهُ مُؤذِنة لهم بجميل الصنــع ، ومؤدية بهم إلى جزيل النفع ، وإمامتَه الإمامة التى اقترن بها الخير والبركة ، والمصلحة العــامة المشتركة ، وأَمَّل فيها قمْع الملحد الجاحد ، ورَدّ الجائر الحائد ، وقَسْمَ العاصى الخالع ، وعطفَ الغاوى[1] المنازع ، وعلى أَنك ولى أَوليائه ، وعدو أَعدائه : من كل داخل فى الجملة ، وخارج عن الملة ، وعائذ بالحوزة[2] ، وحائد عن الدعوة ، ومستمسك بما بذلته عن إخلاصٍ مِنْ رأْيك ، وحقيقةٍ من وفائك ، لا تنقض ولا تنكُث ، ولا تخلف ولا توارِى ولا تُخادِع ، ولا تُداجِى ولا تُخاتِل ، علانيتُك مثل نِيّتك ، وقولك مثل طَوِيَّتك ، وعلى (١٦٥ ب) أَلاَّ ترجع عن شىء من حقوق هذه البيعة وشرائطها ، على مرّ الأَيام وتطاولها ، وتغير الأَحوال وتنقلها ، واختلاف الأَزمان وتقلّبها ، وعــلى أَنك فى كل ذلك من أَهل الملّة الإِسلامية ودُعاتها ، وأَعوان الدولة العباسية ورُعاتها ، لا يتداخل قولَك مواربة ، ولا يداخله مداهنة ، ولا يعترضه مغالطة ، ولا يتعقبه مخالفة ، ولا تختل به أَمانة ، ولا تُعِله خيانة ، حتى تلقى الله مقيما على أَمرك ، ووفيًّا

(١) فى صبح الأعشى : الغازى .

(٢) هذه العبارة غير موجودة فى صبح الأعشى .

بعهدك ، إذ كان مبايعو ولاة الأَمر وخلفاء الله فى الأَرض : ﴿ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْـكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ومَنْ أَوْفَى بِمَا عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١)

عليك بهذه البيعة ـ التى أَعطيت بها صفقة يَدِك ، وأَصفيت فيها سريرةَ قلبك ، والتزمت القيام بها ما طال عمرك ، وامتد أَجلك ـ عهدُ الله إن عَهْدَ الله كان مسئولا ، وما أَخذه على أَنبيائه ورسله وملائـكته وحملة عرشه من أَيمان مغلظة ، وعهود مؤكدة ، ومواثيق مشدّدة ، على أَنك تسمـع وتصغى ، وتطيـع فلا تعصى ، وتعدل ولا تَميد ، وتستقيم ولا تحيد (٢) وتفى ولا تغدر ، وتثبت ولا تتغير ، فمتى زلت عن هذه المحجـة خافرا لأَمانتـك ، ورافعـاً لديانتك ، فجحدت الله تعالى ربوبيتـه ، وأَنـكرته وحدانيتَه ، وقطعت عصمة محمد صلى الله عليه وسلم منك وجذذتها (٣) ، ورميت طاعته وراء ظهرك ونبذتها ، ولقِيتَ الله يوم الحشر إِليه ، والعرض عليه ، مخالفا لأَمره ،

(١) سورة الفتح الآية ١٠

(٢) في الأصل : تميل والتصويب من صبح الأعشى .

(٣) جذذتها : قطعتها .

وخائنا لعهده ، ومقيماً على الإنـكار له ، ومصرا على الإشراك به ، وكل ما حلله الله لك محرم عليك ، وكل ما تملكه يوم رجوعك عن بَذْلك ، وارتجاعك ما أَعطيته من [1] قولك ، من مال موجود ومذخور ، ومصوغ ومضروب ، وسارح ومربوط ، وسائم ومعقول ، وأَرض وضَيْعَةٍ ، وعَقارٍ وعُقْدةٍ ، (١٦٦ا) ومملوك وأَمَة ، صدقةٌ على المساكين ، محرّمة على مر السنين ، وكل امرأَة لك تملك شَعرَهَا وبَشَرَها ، وأُخرى تتزوجها من بعدها ، طالق ثلاثاً بتاتا ، طلاق الحرج والسنة ، لا رجعة فيها ولاَ مَثْنَوِيَّة ، وعليك الحج إلى بيت الله الحرام الذى بمكة ثلاثين مرة [2] حاسرا حافيا ، وراجلا ماشيا ، نَذْرا لازماً ، ووعدا صادقاً ، لا يبرئك منها إلاَّ القضاء لها ، والوفاء بها ، ولا قَبِل اللهُ منك توبةً ولا رجعة ، ولا إقالةَ عَثْرَةٍ ولا ضَرْعَة ، [3] وخَذَلَكَ يوم الاستنصار بحوله ، وأَسلمك عند الاعتصام بحبله ، وهذه اليمين قولك قلتَها قولا فصيحاً ، وسردتها سَرْدًا صحيحاً ، وأَخلصت فيها سِرَّك إخلاصاً متيناً ،

(١) في صبح الأعشى : في قولك .

(٢) في صبح الأعشى : دفعة .

(٣) هذه العبارة غير موجودة في صبح الأعشى .

وصدقت بها عزمك صدقاً يقيناً ، والنيّة فيها نية فلان أَمير المؤمنين دون نيّتك، والطوية [فيها طويته] دون طويتك ، وأَشهدتَ الله على نفسك بذلك ، وكفى بالله شهيدا ، يوم تجد كلُّ نفس عليها حافظاً ورقيباً .

قلت وعلى هذا الأُسلوب فى المبايعة رتب الكتاب الأَيمان التى يحلف بها عن السلطان فى زماننا .

المذهب الثانى

فى البيعات أَن تُفتتح البيعة بلفظ : من عبد الله أَبى فلان فلانٍ أَميرِ المؤمنين . سلام عليكم ، فإِن أَمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأَله أَن يصلى على ابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يقال : أَما بعد ، فالحمد لله . ويؤتى بخطبة مناسبة المقام ، ثم يُعَزَّى بالخليفة الماضى إن كانت البيعة مرتبة على موت خليفة ، ويذكر قيامه بأَعباء الأُمة إلى حين ذهابه ، ثم يقال : إنه لم يوجد من ينهض بأَعباء الخلافة بعده إلا ولده فلان ، أَو أَخوه أَو ابن عمه (١٦٦ ب) أَو نحو ذلك ، ويؤتى بتقريظه وذكر استحقاقه للخلافة دون غيره ، ثم القائم

بالبيعة له بحضرته أو فى بعض الأطراف بأخذ البيعة له على مَنْ قِبله من الرعيَّة ، وعلى ذلك كانت تكتب بيعات الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية بجملتها .

وهذه نسخة بيعة من هذا النمط [1]

من عبد الله [ووليّه] أبى فلانٍ فلانِ بنِ فلان الإمام الفلانى بأمر الله تعالى أمير المؤمنين إلى من يضمه نطاق الدولة العباسية [2] من أمرائها وأعيانها ، وكبرائها وأوليائها ، على اتساع شعوبهم ، وعساكرها على اختلاف ضروبهم ، وقبائل عربها القيسية ، واليمنية [3] وكافة من تشمله أقطارها من أصناف الرعية ، الأمير منهم والمأمور . والمشهور منهم والمغمور ، والأسود والأحمر ، والأصغر والأكبر ، وفقهم الله وبارك فيهم .

سلام عليكم ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذى لا إله إلاّ هو ، ويسأله أن يصلى على ابن عمه محمد [4]

---

(١) صبح الأعشى حـ ٩ ص ٢٨٧

(٢) في صبح الأعشى العلوية . وهو الصواب

(٣) في الأصل : « ولى جهتها » .

(٤) في صبح الأعشى : غير موجودة كلمة « ابن عمه » .

خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأَئمة المهديِّين وسلَّم تسليما .

أَما بعد ، فالحمد لله مولى المنّ الجسيم ، ومُبدى الطَّوْلِ العميم ، ومانح جزيل الأَجر بالصبر العظيم ، منيل النعم المتسعة الفنون [1] ومدنى المهج المتعالية التناول للمنون ، ومبيد الأَعمار ومفنيها ، وناشر الأَموات ومحييها ، والفاتح إذا استغلقت الأَبواب ، والقائل : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [2] الذى لا يُغَير ملكه مرور الغِيَر ، ولا يصرف سلطانه تصرُّفُ القدر ، ولا يُدرك قِدَمهُ وأَزليَّتُه ، ولا يَنْفدُ بقاؤهُ وسرمديَّتُه ، مُسلم الأَنام للحِمَام ، ومُصمِى الأَنفس بسهام الاخترام ، ومورد البشر من المنية منهلا ما برحوا فى رَنْقه يكرعون ، ولمُرِّه ييجعون [3] ومفسر ذلك بقوله . (١٦٧ ا) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [4] والحمد لله الذى نصب الأَنبياء لمراشده أَعلاما ، وحفظ ببعثهم من الحق والهدى نظاما .

(١) في صبح الأعشى : مفيد النعم المتشعبة .

(٦) سورة الرعد الآية ٣٨

(٣) في صبح الأعشى « ولمره المشرق يتجرعون » وفي الأصل مضروب على كلمة المشرق .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٣٥

وجعـل نبوة ابن عمنا [1] محمد صـلى الله عليه وسلم لنبواتهم ختاما [2] ولم يحم [3] نبيًّا مع ما شرفه من تناول وحْيه وتلقِّيه ، ولا عصم إماما مع اختصاصه بفروع منصب الإمامة وترقّية ، من لقاء المَنيَّة ، ووداع الأُمْنيَّة ، بل أَجَّل لـكم منهم أَجـلا مـكتوباً ، وفسح له أَمدا محصورا محسوباً ، لا يَصْرِفُ عن وصوله مَقيلُه ، ولا يصل إلى تجاوزه بقوة ولا حيلةٍ سبيلُه ، قدرة محـكمة الأَسباب ، وعبرة واضحة لأُولى الأَلباب ، وقضية أَوضحها فرقانه الذى أَقر بإِعجـازه الجاحد بها ، إذ يقول مخاطباً لنبيه ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [4] والحمد لله الذى منـح أَمير المؤمنين من خصائص الإمامة وأَنوارها ، وحاز له من ذَخَائِرها وأَودعه من أَسرارها ، وحوَّله فى آخر تراثها [5] ، وأَصار له شرف ميراثهـا ، وجعله القائم بحقه ، والمرشد لخلقه ، والماحى بهداه ليـلا

(١) في صبح الأعشى : جدنا .

(٢) في صبح الأعشى هنا زيادة خمسة أسطر.

(٣) في صبح الأعشى : ولم يخل .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٣٤

(٥) في صبح الأعشى : ما خوله فاخر تراثها .

من الضلال بَهيما، والحاوى بخلافته مجدا لا يزال ثناؤه عظيما ﴿ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا﴾ [1] يحمده أمير المؤمنين على أَن أَوضح بآبائه الأَئمة سُبل الحَقائق ، فأَصبحوا خلفاء الخالق وأَئمة الخلائق ، وخَوَّله ما اختصهم به من الإمامة ، ورفعه بها إلى أَشمخ منازل العُلا وأَرفع مواطن الكرامة ، ويستمده شكرا يوازى النعم التى أُثبتت [له] على سرير الخلافة ومنبرها [2] قدما ، وصَبْراً يوازن الفجيعةَ التى قلَّ لها فيض المدامع دما .

ويَسأَله أَن يصلى على ابن عمه [3] محمد صلى الله عليه وسلم الذى فضَّ بجهاده جموع الإلحاد ، وحصر باجتهاده مَن مال عن الهدى وحاد ، وصدع بما أُمر به . (١٦٧ ب) حتى عم التوحيد، ودانت لمعجزاته الأُمم وقد دعاها وهو المُفْرَدُ الوحيد، ولم يزل مبالغا فى مرضاة ربه ، حريصا على إظهار دينه بيده ولسانه وقلبه ، حتى استأْثر به وقبضه ، وبدّله من الدنيا شرفَ جواره وعوّضه ، وأَصاره إلى أَفضل نبى نَفَّرَ [4] وبَشَّر ، وأَحيا دين الله وأَنشر ،

(١) سورة النساء الآية ٧٠

(٢) في صبح الأعشى : وسرها .

(٣) في صبح الأعشى : جده .

(٤) في صبح الأعشى : بصر .

وإن الإمام [1] الفلانى لدين الله أَميرَ المؤمنين كان وليا لله شرّفه واستخلصه ،وأفرده بإمامة عصره وخصّصه ، وفوّض إليه أَمر خلافته ، وأَحلّه محلاًّ تقع مطارح الهمم دون عُلُوِّه وإنافته ، فقام بحقّ الله ونهض ، وعمل بأَمره فيما سن وفرض ، وقهر الأَعداء بسطواته وعزائمه ، وصرف الأُمور بأَزمَّة التدبير وخزائمه ، وبالغ فى الذبِّ عن أَشياع الملة ، واجتهد فى جهاد أَعداء القِبلة ، ووقف على مصلحة البلاد أَمَله ، ووَفَّر على ما يُحْظِى عند الله قولَه وعملَه ، ولم يترك فى مرضاة خالقه مشقة إلا احتملها ، ولا روية إلا صرفها فى إرشاد خلقه وأَعملها ، حتى بلغ الغاية المحدودة ، واستكمل الأَنفاس المعدودة ، وأَحسن الله له الاختيار ، وآثر له النُّقْلة من هذه الدار ، والزلفى لسكنى دار القرار ، والفوزَ بمصاحبة الأَنبياء الأَبرار ، والحلولَ فى حظائر قُدُسه مع آبائه الأَئمة الأَطهار ، فصار [2] إليه طاهر السريرة ، جميل المذهب والصورة ، مستوجبا بسعيه أَفضل رضوانه ، ممهِّدا بالتقوى لتدبيره أَكنافَ جنانه .

---

(١) في صبح الأعشى زيادة أربعة أسطر قبل جملة وإن الإمام .

(٢) في صبح الأعشى : فسار .

وأمير المؤمنين يحتسب عند الله هذه الرزيّةَ التى عظم بها المصاب، وعذب [1] عند تجرعها المصاب، وأضرمت القلوبَ نارا، وأجرت الآماق دماً مُمَارا، وأطاشت بهولها الأكبادَ بالحَرَق، وكَحَلت الأجفانَ بالأرق، وكادت لهجومها الصدورُ تقذف أفئدتَها، والدنيا تَنْزع نَضْرتَها وبهجتَها، وقواعد الملة تضعف وتَهِى، والخطوب (١١٦٨) الكارثة تَسْهَر [2] ولا تنتهى، فإنا لله وإنا إليه راجعون!! تسليماً لأمره الذى لا يدفع، وإذعاناً لقضائه الذى لا يُصد ولا يمنع.

وكان الإمام الفلانى لدين الله أمير المؤمنين عند نُقْلته جعل لى عَقْدَ الخلافة، ونصّ عليه بارتقاء منصبها المخصوص بالإنافة، وأفضى إلىّ بسرها المكنون، وأودعنى [3] غامضَ عِلمها المَصُون، وعهد إلىّ أن أشملكم بالعدل والإحسان، والعطف والحنان، والرحمة والغفران، والمن الرائق الذى لا يكدره امتنان، وأن أكون لأعلام الهدى ناشرا، وبما أرضى الله مجاهرا، ولأحزاب القبلة

(١) في صبح الأعشى: وعظم.

(٢) في صبح الأعشى: « تصر » وفسروها بمعنى تدوم.

(٣) في الأصل: انتقل الكلام إلى ضمير الغائب: « وأودعه .. وعهد إليه ... » وتبعت ما سار عليه صبح الأعشى.

مُظاهرا مُظافرا ، ولأَعداء الملة مرغما قاهرا ، ولمنار التوحيد رافعا ، وعن حوزة الإسلام بغاية الإمكان دافعا ، مع علمه بما خُصصت به[1] – أَمير المؤمنين – من كرم الشيم ، وفطرت عليه من الخلال القاضية مصالح الأُمم ، وأُوتيته من استحقاق الإمامة واستيجابها ، ومنحته من الخصائص المبرمة لأَسبابها . .

فتعزَّوْا جميع الأَولياء ، وكافة الأُمراء ، وجميع الأَجناد ، والحاضر من الرعايا والباد ، عن إمامكم المنقول إلى دار الكرامة ، بإمامكم الحاضر الموجود الذى أَورثه الله مقامه ، وادْخُلوا فى بيعته بصدور مشروحة نقيّة ، وقلوب على محض الطاعة مطويّة ، وثبات فى الولاء والمشايعة مرضية ، وبصائرَ لا تزال بنور الهدى والاستبصار مُضيّة ، وأَميرُ المؤمنين يسأَل الله أَن يجعل إمامته محظوظة بالإقبال ، دائمة الكمال ، صافية من الأَكدار ، معضودة بمواتاة الأَقدار ، ويوالى حمده على ما منحه من الاصطفاء الذى جعله لأُمور الدين والدنيا قواما ، وأَقامه

(١) في الأصل : « مع علمه بما خص به أمير المؤمنين . . . » بلفظ الغيبة كما بدأ واستمر . وحولت الكلام تبعا لصبح الأعشى الذي لا توجد فيه كلمة « أمير المؤمنين » .

للبرية سيدا وإماما ، فاعلموا هذا واعملوا به ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا

(١٦٨ ب) المذهب الثالث

أَن يفتتح البيعةَ بلفظ : هذا . ويُعزِّى بالخليفة الذاهب إن كانت البيعة مرتبة على موت ، ثم يُهنِّئ بالخليفة المستقرّ ، أَو يُلَوِّح بذكر الخَلع الموجب لخلع المخلوع واستحقاق المستقر فى الخلافة ، بحيث لا يكون فى التلويح إلى الخلع تنقيصٌ لجانب المخلوع ، ولا حطّ لقدره ، إلا أَن يكون الخلع قد وقع لموجب شَرعىٍّ اقتضاه الحال . وربما افتتحت البيعة بآية من كتاب الله تعالى .

وهذه نسخة بيعة (١)

أَنشأَها المقرّ الشهابىُّ بنُ فضل الله عند موت الإمام المستكفى بالله أَبى الربيع سليمان بن الحاكم بأَمر الله ومبايعة ابنه الحاكم بأَمر الله بعده ، امتحاناً لخاطره واختبارا لذهنه ، ولم يكتب بها . وهى :

(١) صبح الأعشى جـ ٩ ص ٣٢٠.

﴿إِنَّ الَّذِين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً﴾ [1] هذه بيعةُ رضوان، وبيعةُ إحسان، وبيعة[2] رضى يشهدها الجماعة ويشهد عليها الرحمن، بيعة يلزم طائرها [3] العُنُق، وتحوم بشائرها على الأُفق ، وتحمل أَنباءها البرارى والبحارُ مشحونةَ الطُّرُق، بيعة تَصْلُح بسببها الأُمة ،ويمنح بسَيْلها [4] النعمة ، ويُؤلّف بها الأَسباب وتجعل بينهم مودَّةً ورحمة ، بيعة يجرى بها الرِّفاق ؛ وتتزاحم زُمر الكواكب على حَوْض المجرة للْوفاق [5] ، بيعة سعيدة ميمونة، بيعة شريفة بها السلامة فى الدّين والدنيا مضمونة، بيعة صحيحة شرعية [بيعة ملحوظة مَرْعيّة] ، بيعة تُسابق إليها كلُّ نيَّة ، وتُطاوع (١٦٩ ا) كلُّ طويّة ، وتُجمِع عليها أَشتات البريَّة ، بيعة يستهلُّ بها الغمام ،ويتهلل البدرالتمام ، بيعة متفق على الإِجماع عليها، والاجتماع لبسط الأَيدى إليها، انعقد

(١) سورة الفتح الآية ١٠

(٢) في الأصل : وجمعة رضى . والتصويب من صبح الأعشى .

(٣) في الأصل : ظاهرها .

(٤) في صبح الأعشى تصلح لنسبها الأمة وتمنح بسببها النعمة .

(٥) في الأصل : يجرى بها الوفاق . . . على خوض المجرة الرقاق .

عليها الإجماع ، وانعقدت صحتها بمن سمع ذلك [1] وأطاع ، وبذل فى تمامها كل امرئ ما استطاع ، وحصل عليها اتفاق الأبصار والأسماع ، ووصل بها الحق إلى مستحقه ووافق [2] الخصم وانقطع النزاع ، ونَظَمها [3] كتاب كريم يشهده المقربون ، ويتلقاه الأئمة الأقربون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [4] ﴿ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ [5] وإلينا ولله الحمد وإلى بنى العباس ، أَجمع على هذه البيعة أرباب العقد والحل ، وأصحاب الكلام فيما قلّ وجلّ ، وولاة الأُمور والأَحكام ، وأرباب المناصب والحُكّام ، وحملة العلم والأَعلام ، وحماة السيوف والأَقلام ؛ وكابر بنى عبد مناف ، ومن انخفض قدره وأَناف ، وسروات قريش ووجوه بنى هاشم والبقية الطاهرة من بنى العباس ، وخاصة الأَئمة وعامة الناس ، بيعة تُرسَى بالحرمين خيامُها ،

(١) في صبح الأعشى : لله .
(٢) في صبح الأعشى : وأقر .
(٣) في صبح الأعشى : وتضمنها .
(٤) سورة الأعراف الآية ٤٣
(٥) سورة يوسف الآية ٣٨

وتخفق على المأْزمين أَعلامُها ، وتتعرّف عرفات ببركاتها وتُعرف بمــنًى أَيامها ، ويؤمن عليها يوم الحجّ الأَكبر ، ويُؤَمُّ ما بين الركن والمقام والمنبر ، ولا يتبقَّى إلا [1] وجه الله الكريم ، وفضله العميم ، لم يبق صاحب عِلْم [2] ولا عَلَم ، ولا ضارب بسيف ولا كاتب بقلم ، ولا ربّ حكم ولا قضاء ، ولا من يرجع إليه فى اتفاق ولا إمضاء ، ولا إمام مسجد ولا خطيب ، ولا ذو فتيا يُسأَل فيجيب ، ولا مَنْ بين جنبتى المساجد ، ولا من تضمهم أَجنحة المحاريب ، ولا من يجتهد فى رأْى فيخطئ أَو يصيب ، ولا متحدث بحديث ، ولا متكلم بقديم وحديث ، ولا معروف بدين وصلاح ، ولا فرسان حرب وكفاح ، ولا راشق لسهام ولا طاعن برماح ، ولا ضارب بصفاح ، ولا ساع على قدم ولا طائر بجناح ، ولا مخالط للناس ولا قاعد فى عُزْلة ، ولا جمع كثرة ولا قلّة (١٦٩ ب) ولا من يستقل بالجوزاءِ لواؤه ، ولا يقل فوق الفرقد ثواؤه ؛ ولا باد ولا حاضر ، ولا مقيم ولا سائر ؛ ولا أَول ولا آخر ، ولا مُسرّ فى باطن ولا معلن فى ظاهر ،

(١) فى صبح الأعشى : ولا يبتغى بها إلا .

(٢) فى صبح الأعشى : صاحب سنجق .

ولا عرب ولا عجم ، ولا راعى إبل ولا غنم ، ولا صاحب أنـاة ولا إبدار ، ولا ساكن فى حضر وباديـة بدار ، ولا صاحب عمد ولا جدار ، ولا سابـح [1] فى البحـار الزاخرة والبرارى القفار ، ولا من يتوقَّل صهوات الخيل ، ولا من يُسْبل على العجـاجة الذيل ، ولا من تطلع عليه شمس النهار ونجـوم الليل ، ولا من تظله السماء وتقله الأَرض ، ولا من تدلّ عليه الأَسماء على اختلافها وترتفع درجات بعضهم على بعض ، حتى آمن بهذه البيعة وأَمَّن الله عليه وهداه إليها ، وأَقرّ بها وصدق ، وغض لها بصره خاشعا وأَطرق ، ومد إليهـا يده بالمبايعة ، ومعتقده بالمتابعة ، رضى بها وارتضاها ، وأَجاز حـكمها على نفسه وأَمضاها [ودخل تحت طاعتها وعمل بمقتضاها] ﴿ وقُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ ﴾ [2] .

والحمد لله الذى نصب الحاكم ليحكم بين عباده وهو أَحـكم الحاكمين ، والحمد لله الذى أَخذ حق آل بيت نبيه من أَيدى الظالمين ؛ والحمد لله رب العالمين ، ثم

---

(١) في صبح الأعشى : ولا ملجج .

(٢) سورة الزمر الآية ٧٥

الحمد لله رب العالمين ، ثم الحمد لله رب العالمين ، والحمد لله رب العالمين ، وإنه لما استأثر الله بعبده [سليمان] أبي الربيع الإمام المستكفى بالله أمير المؤمنين - كرم الله مثواه - وعوّضه عن دار الإسلام بدار السلام ، ونقله فزكى بدنه عن شهادة الإسلام بشهادة الإسلام[1] ، حيث آثره ربه بقربه ، ومهد لجنبه ، وأقدمه على ما أقدمه من يرجوه لعمله وكسبه ، وخار له فى جواره رفيقا ، وجعل له على صالح نفسه[2] طريقاً ؛ وأنزله ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقا ﴾[3] الله أكبر ليومه لولا مُخلّفه كادت تضيق الأرض بما رحبت ، وتجزى كل نفس بما كسبت ، وتنبئ كل سريرة بما ادّخرت (١١٧٠) وما خبت ، لقدْ ، أُضْرم سعيرٌ إلا أنه فى الجوانح ، لقد أُصر[4] منبرٌ وسريرٌ لولا خلفه الصالح ، لقد اضطرب مأمور وأمير لولا الفكر بعده فى عاقبة المصالح ، لقد غاضت البحار ، لقد غابت الأنوار ، لقد غالب البدورَ وما يلحق[5] الأهلة من المحاق

(١) في صبح الأعشى : دار السلام بدار السلام ... شهادة السلام ...
(٢) في صبح الأعشى : سلفه .
(٣) سورة النساء الآية ٦٩.
(٤) أصر : انكسر . وفي صبح الأعشى : اضطرب .
(٥) في الأصل : « لقد غابت البدور وما يلحق . . . » والتصويب من صبح الأعشى .

ويدرك البدر من السرار، نسفت الجبال نسفا، وخبت مصابيح النجوم وكادت تُطْفَى ﴿ وجاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صفًّا ﴾ [1] لقد جمعت الدنيا أَطرافها وعزمت على [2] المسير، وخضعت [3] الأُمة لهول المصير، وزاغت يوم موته الأَبصار ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ [4] وبقيت الأَلباب حيارى، ووقفت تارة تصدق وتارة تتمارى، لا تعرف قرارا ولا على الأَرض استقرارا ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىءٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾ [5]، ولم يكن فى النسب العباسى، ولا فى جميع من فى الوجود، ولا فى البيت المسترشدى، ولا فى غيره من بيوت الخلفاء، من بقايا آباءٍ لهم وجدود، ولا من تلده إحدى [6] الليالى وهى عاقر غير ولود، من تُسَلِّم إليه أُمةُ محمد صلى الله عليه وسلم عقدَ نِيَّاتها، إلَّا واحد

(1) سورة الفجر الآية ٢٢

(2) في صبح الأعشى: وأزمعت.

(3) في صبح الأعشى: وجمعت.

(4) سورة العاديات الآية ١١

(5) سورة الحج الآية ١، ٢

(6) في صبح الأعشى: أخرى.

وأَين ذلك الواحد ، هو والله من انحصر فيه استحقاق ميراث آبائه الأَطهار ، وتراث أَجداده ولا شيء هو إلاَّ ما اشتمل عليه رداء الليل والنهار ، وهو ابن المنتقل إلى ربه ، وولد الإمام الذاهب لصلبه ، المُجمع على أنه فى الأَنام فرد [1] هو الأَمام ، وواحد وهكذا هو فى الوجود الإمام ، وأنه الحائز لما زُرَّتْ عليه جيوبُ المشارق والمغارب ، والفائز بملك ما بين الشارق والغارب [2] ، الراقى فى صفح السماء هــذه الدورة الْمُنيفة ، الباقى بعد الأَئمة الماضين رضى الله عنهم ونِعم الخليفة ، المجتمع (١٧٠ ب) فيه شروط الإمامة المتَّضِع لله وهو من بيت لا يزال الملك فيهم إلى يوم القيامة ، الذى تَصَفَّحَ السحابَ نائلُه ، والذى لا يَغُرُّه عاذره ولا يُغَيّره عاذله ، والذى :

تعوّد بَسْطَ الـكف حـتى لو أنه
ثناها لقبض لم تُطعْـه أنـامِلُـهْ

والذى :

لا هو فى الدنيـا مُضيـعٌ نصيبَـه
ولا وَرِقُ الدنيـا عن الدين شاغلُهْ

(١) في صبح الأعشى : فرد الأيام .
(٢) في الأصل : المشارق والمغارب .

والذى ما ارتقى صهوة المنبر بحضرة سلطان زمانه إلا مال باصره[1] وقام قائمه ، ولا قعد على سرير الخلافة إلا وعرف أنه ما خاب مُستكفيه ولا غاب حاكمه ، نائب الله فى أَرضه ، والناهض بسنته وفرضه[2] ، والقائم بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته وابن عمه ، وتابع عمله الصالح ووارث علمه ، سيدنا ومولانا عبد الله ووليه أَحمد أَبو العباس الحاكم بأَمر الله أَمير المؤمنين ، ابن الامام المستكفى بالله أَبى الربيع سليمان[3] ، أَيد الله تعالى ببقائه الدينَ ، وطوق بسيفه الملحدين ، وكبت تحت لوائه المعتدين ، وكتب له النصر إلى يوم الدين ، وكفَّ بجهاده المفسدين ، وأَعاذ به الأَرض ممن لا يدين بدين ، وأَعاد بعدله أَيام آبائه الخلفاء الراشدين ، والأَئمة المهديين ، الذين قَضَوْا بالحق وبه كانوا يَعْدِلُون ، وعليه كانوا يعملون ، ونصر أَنصارَه ، وقَدَّرَ اقتدارَه ، وأَسكن فى القلوب هيبته ووقاره[4] ، ومكَّنَ له فى الوجود وجمع له أَقطارَه .

ولما انتقل ، إلى الله [ذلك] السيّد ولَحِقَ بدار الحق أَسلافَه ،

(١) في صبح الأعشى : إلا قال ناصره .

(٢) جملة (والناهض بسنته وفرضه) غير موجودة في صبح الأعشى .

(٣) جملة (ابن الامام . . . . سليمان) غير موجودة في صبح الأعشى .

(٤) في صبح الأعشى : وأسكن في قلوب الرعية سكينته ووقاره .

ونُقِلَ إلى سُرُر الجنة من سرير الخلافَة ؛ وخلا العصر من إمـام يُمسك ما بقى من نهـاره ، وخليفةٍ يغالب مُرْبَدَّ الليلِ [١] بأَنواره ، ووارثِ نبيٍّ بمثله ومثل أَبيـه استغنى الوجود بعد ابن عم نبيّه خاتم الأَنبياء صلى الله عليه وسلم عن نبيٍّ مُقْتفٍ على آثاره ، ونَسِى ولم يَعْهَدْ فلم يَبْقَ إذْ لم يوجد النص إلاَّ الإِجماع ، وعليه كانت الخلافة بعد (١١٧١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا نزاع ، اقتضت المصلحةُ الجامعةُ عقدَ مجلس كلُّ طَرْف به معقود ، وعقد بيعة عليها الله والملائكة شهود ، وجُمع الناس له ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [٢] ، فحضر من لم يُعبأْ بعده بمن تخلّف ، ولم يُرْبأْ معه [٣] وقد مد يـده طائعا لمن مدَّها وقد تـكلّف ، واجتمعوا على رأْى واحد واستخاروا الله تعالى فيه فخار ، وناهيك بذلك من مُختار ، وأُخِذَتْ يمينٌ تُمدّ إليها الأَيمان ، ويُشدّ بها الإِيمان ، وتُعطَى عليها المواثيق ، وتُعْرَضُ أَمانتُها على كل فريق ، حتى تقلَّد كلٌّ من حضر فى عنقه هذه الأَمانة ، وحط يده على

(١) في الأصل : مزيد الليل .

(٢) سورة هود الآية ١٠٣

(٣) لم يربأ به : لم يبال به ولم يكترث .

المصحف الكريم وحلف بالله العظيم وأتمّ أيْمانه ، ولم يقطع ولم يستثن ولم يتردد ، ومن قطع من غير قصد أعاد وجدّد ، وقد نوى كل من حلف أن النية فى يمينه نيةُ من عُقِدت هذه البيعة له ، ونيّة من حَلَف لَه ، وتذمَّم بالوفاءِ فى ذمته وتكفَّله ، على عادة أيْمان البيعة بشروطها وأحكامها المُرَدّدة ، وأقسامها المؤكدة ، بأن يَبْذُلَ لهذا الإمام المفترضة طاعتُه الطاعَةَ ، ولا يفارق الجمهورَ ولا يُظْهرَ عن الجماعة [انجماعَه] وغير ذلك مما تضمنته نُسَخُ الأيمان المكتتَب فيها أسماءُ من حلف عليها مما هو مكتوب بخطوط من يُكتب منهم ، وخطوط العُدُول الثِّقات عمن لم يَكتب وأذنوا لمن يَكتب عنهم ، حسب ما يَشهد به بعضهم على بعض ، ويتصادق عليه أهل السماءِ والأرض ، بيعة تم بمشيئة الله تَمامُها ، وعم بالصَّوْبِ الغَدَق غمامُها ، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ﴾ (١) ووهب لنا الحَسَنَ ، ثم الحمد لله الكافى عبدَه ، الوافى وعدَه ، الموافى لمن يضاعف على كل موهبة حمدَه ، ثم الحمد لله على نِعَمٍ يرغَبُ أمير المؤمنين فى ازديادها ، ويَرْهَبُ إلا أن يقاتل أعداءَ الله بأمدادها ،

---

(١) سورة فاطر الآية ٣٤

ويرأب بهـا ما آثر فيما آثر مماليـكه مما بان من مباينـة أَضدادها .

نحمده (١٧١ ب) والحمد لله ، ثم الحمد لله ، كلمة لا يُمَلُّ من تردادها ، ولا نُخِلّ بمـا ينوب [١] السهام من سدادها ، ولا نظلُّ إلاّ على ما يُوجَب بِكثرة أَعدادها ، وتيسير أَقدار [٢] على أَورادها ، ونشهد أَن لا إله إلاّ الله وحـده لا شريك له شهادة يتقايس دمُ الشهداءِ ومَدٌّ مِدَادها ، وتتنافسُ طُرُرُ الشباب وغُرر السحـاب على استمدادها ، وتتجانس رُقُومُها المدبَّجة وما تلبسه الدولة العباسية من شعارها ، والليالى من دِثارها ، والأَعداء من حِدادها ، ونشهد أَن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعـلى جماعـة آله مَنْ سَفَلَ منْ أَبنائها ومَنْ سلف من أَجدادها ، ورضى الله عن الصحابة أَجمعين ، والتابعين لهم بإِحسان إلى يوم الدين .

وبعد ، فإِن أَمير المؤمنين ، لِما أَكسبه الله تعالى من ميراث النبوة ما كان لجده ، ووهبه من الملك السليمانى

---

(١) في صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٢٦ : ولا نبخل بما يفوق السهام .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٩ يوجب كثرة أعدادها وتيسير إقرار .

عن أَبيه ما لا ينبغى لأَحد من بعده ، وعلمه منطق الطير بما تتحمله حمائم البطائق من بدائع البيـــان ، وسخَّر له من البريد على متون الخيل ما سُخِّر من الريـــح لسليمان ، وآتاه من خاتم الأَنبياء ما أَمده به أَبوه سليمان وتصرف ، وأَعطاه من الفخـــار ما أَطاعه به كل مخلوق ولم يتخلّف ، وجعل له من لباس بنى العباس ما يقضى له سوادُه بسُؤْدَد الأَجداد ، وينفض على كَحَل الهُدْب ما فَضَل عن سويداء القلب وسواد البصر من السَّواد ، ويَمُدّ ظلَّه على الأَرض فــكل مــكان حَلَّه دارُ مُلْك وكلُّ مدينةٍ بغداد ، وهو فى ليلهِ السَّجّاد ، وفى نهاره العســـكرى وفى كرمه جعفر الجواد ، يديم الابتهال إِلى الله تعالى فى توفيقه ، والابتهاج بما يُغصُّ كلَّ عدو بريقِه ، ويَبدأ يوم هذه المبايعة بما هو الأَهم من مصالح الإِسلام ، وصالح الأَعمال مما يتحلّى به الإِمام ، ويقدِّم التقوى أَمامه ، وَيقْرنُ عليها أَحكامه ، ويتَّبع الشرع الشريف (١٧٢ ا) ويقف عنده ويوقف الناس ، ومن لا يحمل أَمره طائعاً على العين حمله بالسيف غصباً [1] على الراس ، ويُعَجِّل أَمير المؤمنين بما

(١) فى الأصل : عصابة . والتصويب من صبح الأعشى .

يَشفي به النفوس ، ويزيل به كيد الشيطان إنه يؤوس ،
ويأْخذ بقلوب الرعية وهو غنى عن ذا ولكنه يسوس ،
وأمير المؤمنين يُشهد اللهَ وخليقتَه عليه أنه أقر كلَّ امرئ
من ولاة الأُمور الإسلامية على حاله ، واستمر فى مقيله تحت
كَنَف ظلاله ، على [اختلاف] طبقات ولاة الأُمور ، وتفرقهم
فى الممالك والثغور ، برا وبحرا ، سهلا وَوعْرا ، وشرقا
وغربا ، وبُعدا وقُربا ، وكلَّ جليل وحقير ، وقليل وكثير ،
وصغير وكبير ، وملك ومملوك وأمير ، وجندى يَبْرُقُ له
سيف شهير ، ورمح طرير ، ومَنْ مع هؤلاء من وزراء وقضاة
وكتاب ، ومن له يد تبقى فى إنشاءٍ وتحقيق حساب ، ومن
يتحدث فى بريد وخراج ، ومن يُحتاج إليه ومن لا يُحتاج ،
ومن فى الدروس والمدارس والرُّبُط والزوايا والخَوانق ،
ومن له أعظم التعلقات وأدنى العلائق ، وسائرَ أرباب
المراتب ، وأصحاب الرواتب ، ومن له فى مال الله رزق
مقسوم ، وحق مجهول أو معلوم ، واستمرارَ كلِّ امرئ على
ما هو عليه ، حتى يستخير الله ويتبين له ما بين يديه ،
فمن زاد تأْهيله ، زاد تفضيله ، وإلا فأَمير المؤمنين
لا يرى [1] سوى وجه الله ، ولا يحابى أحدا فى دين ،

(١) في صبح الأعشى : لا يريد .

ولا يحامى [عن] أحد فى حق فإن المحاماة فى الحق مداجاة على المسلمين ، وكلما هو مستمر إلى الآن ، مستمر على حكم الله مما فهّمه اللهُ له وفهّمه سليمانَ ، لا يغير أمير المؤمنين فى ذلك ولا فى بعضه ، ما يعتبر مستديماً [1] شكر الله على نعمه ، وكذلك يجازى من شكر ، ولا يكدِّر على أَحد موردا نزَّه الله به نِعمَه الصافيةَ عن الكدر ، ولا يَتأَوَّل فى ذلك متأَوِّل ولا من فَجَرَ نعمة أَو كفر ، ولا يَتَعلَّل متعلِّل فإن أَمير المؤمنين يَعُوذُ بالله ويُعِيذُ (١٧٢ب) أَيامه من الغِيَر ، وأَمر أَميرُ المؤمنينَ - أَعلى الله أَمرَه - أَن يُعلن الخطباء بذكره وذكر سلطان زمانه على المنابر فى الآفاق ، وأَن يضرب باسمهما النقود المتعامل بها على الإطلاق ، ويبتهل بالدعاءِ لهما عطْف الليل والنهار ، ويصرِّح منه بما يشرق به وجهُ الدرهم والدينار ، ويضاهى [2] به المنابر ودور الضرب : هاتيك ترفع اسمهما على أَسرة مهودها ، وهذى على أَسارير نقودها ، وهذى تقام بسببها الصَّلاة ، وتلك تدام بها الصِّلات ، وكلاهما تُستمال به القلوب ، ولا يلام على ما تَعِيه الآذان وتُوعيه الجُيوب ،

(١) في صبح الأعشى : بعضه ، معتبر مستمرّ بما شكر الله . . . .
(٢) في صبح الأعشى : وتباهى .

وما منهما إلا من تحدق نحوه الأَحداق [1] ، وتميل إليه الأَعنـاق ، وتبلغ به المقاصـد [ويقوى بهما المُعاضد] وكلاهما أَمر مطاع ، من غير نزاع ، وإذا لمعت أَزِمَّهُ الخُطَب طار للذهب شعاع ، ولولاهما ما اجتمع جمع ولا انضم ، ولا عرف الأَنام بمن تأْتم ، فالخُطَبَ والذَّهَب معناهما واحد ، وبهما يَذكر اللهَ قُيمَاءُ المساجد، ولولا الأَعمال ، ما بذلت الأَموال ، ولولا الأَموال ، ما وليت الأَعمال ، ولأَجل ما بينهما من هذه النسبة قيـل : إن الملك له السِّـكَّـة والخُطبة ، وقد أَسمع أَمير المؤمنين فى هذا الجمع المشهود ما يتناقله كل خطيب ، ويتداوله كلّ بعيد وقريب ، وإن الله أَمر بأَوامر ونهى عن نواه وهو رقيب ، ويستفرغ [2] الأَولياء له السجايا ، وتفرِّع [3] الخطباءُ فيها بنعوت الوصايا ، وتـكمل بها المزايا ، وتتـكلم بها المواعظ [4] وتخرج من المشايـخ الخبايا من الزوايا ، وتسمر بها السُّمّار ، وتتناقلها رواة الأَخبار [5] ، ويترنم بها الحادى والملاّح ،

---

(١) في صبح الأعشى : تحدّق بجواره الأحداق .

(٢) في صبح الأعشى : وتستفزع الأولياء لها .

(٣) في صبح الأعشى : وتتضرع .

(٤) في صبح الأعشى : ويتكلم بها الواعظ .

(٥) هذه الجملة لم ترد في صبح الأعشى

ويَرقّ سَجْوها [1] فى الليـــل المقمر ، ويُرْقَم على جنب الصباح ، وتُعطِّر بها مــكةُ بطحاءَها وتحيا بحديثها قُباه ، ويلقّنها كلُّ أَب فَهْمَ ابنه ويسأَل كلُّ ابن أَن يُجيب أَباه ، وهو لــكم أَيهــا الناس من أَمير المؤمنين [2] وعليــكم بَيِّنة ، وإليــكم ما دعاكم به إلى سبيل ربه من الحكمة والموعظة الحسنة ، ولأَمير المؤمنين عليــكم الطاعةُ ولولا قيام الرعايا بها ما قبل الله أَعمالَها ، ولا أَمسك (١٧٣ ا) بهــا البحر ودحا الأَرض وأَرسى جبالها ، ولا اتفقت الآراء عــلى من يستحق وجاءت إليه الخلافة تجر أَذيالها ، وأَخذها دون بنى أَبيه ولم تــكن تصلح إلاّ له ولم يــكن يصلح إلاَّ لهــا ، وقد كفاكم أَمير المؤمنين السؤال بما فتــح لــكم من أَبواب الأَرزاق ، وأَسباب الارتفاق ، وأَحسن لــكم من وفاقــكم وعلَّمــكم مكارم الأَخلاق ، وأَجراكم على عوائدكم ولم يُمسك خشية الإملاق ، ولم يبق على أَمير المؤمنين إلاّ أَن يسير فيــكم بــكتاب الله وسنـــة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل بما ينتفع به من يجىء ـ أَطال الله بقاء أَمير المؤمنين ـ

(١) في صبح الأعشى : ويروق سجوها .

(٢) في صبح الأعشى : « رشد وعليكم بينة » . وفي الأصل مضروب على كلمة « رشد » .

من بعده ، ويزيد على كل من تقدم ويقيم فروض الحج والجهاد ، وينيم الرعايا بعدله الشامل فى مهاد ، وأمير المؤمنين يقيم عبـــادة [1] موسم الحج فى كل عام ، ويشمل بـــكرمه ســـكان الحرمين الشريفين وسدنة بيت الله الحرام، ويجهز السبيل على عادته ويرجو أَن يعود إلى حاله الأَول فى سالف الأَيام ، ويتدفق فى هذين المسجدين بحره الزاخر ويرسل إلى ثالثهما البيت المقدس ساكب الغمام ، ويقوم بِقَوَمة [2] قبور الأَنبياء صلوات الله عليهم أَين كانوا وأَكثرهم فى الشام ، والجمع والجماعات هى فيـــكم على قَديم سُنَنها وقَويم سَنَنها ، وستزيد فى أَيام أَمير المؤمنين بمن انضمّ إليه وفيما يتسلمه من بلاد الـــكفار ويُسلم على يديه ، وأَما الجهادُ فيكفى[3] باجتهادِه القائمُ عن أَمير المؤمنين بأُموره المقلَّدُ عنه جميـــع ما وراء سريره ، فأَمير المؤمنين قد وكل إليه ــ خلد الله سلطانه ــ الأَنام [4] وقلده سيفه الراعب بوارقه ليسلَّه واجده [5] على الأَعـــداء سلَّ خيـالـه عليهم فى

(١) في صبح الأعشى : على عباده .

(٢) في الأصل : مقامه والتصويب من صبح الأعشى .

(٣) في صبح الأعشى فيكتفى بأحبتها والقائم .

(٤) في صبح الأعشى : عناد الأيام .

(٥) في الأصل : ليلة واحدة .

الأحـلام ، ويؤكد أمير المؤمنين فى ارتجاع ما غلب عليه العِدَا ، وانتزاع أيديهم من بلاد الإسلام فإنه حقٌّ[1] وإن طال عليه المَدَى ، وقد تقدّمت الوصية بأَن يغزو العدوَّ المخذول برًّا وبحرا ، ولا يـكف عمن يظفر به منهم قتلا وأَسْرا ، ولا يفك أَغلالا (١٧٣ ب) ولا إصرا ، ولا ينفكُّ يرسل عليهم فى البحر غِربانا ، وفى البر من الخيل عِقبانا ، يحمل منها كل فارس صقرا ، ويحمى الممالك ممن يجوز أَطرافها بأَقدام وَيتخوَّل أَكنافها بالإقدام ، وينظر فى مصالح القلاع والحصون والثغور ، وما يُحتاج إليه من آلات القتال ، وما تُجتاحُ به الأَعداء ويَعْجز عنه المحتال ، وأمهات الممالك التى هى مرابط البنود ومرابض الأُسود والأُمراء والعساكر والجنود ، وترتيبهم فى الميمنة والميسرة وبالجنـاح الممدود [2] ، وليتفقد أَحوالهم بالعرض ، بما لهم من خيل تعقد بين السماء والأَرض ، ومالهم من زرد مصون ، وبَيْض مَسَّها ذائب ذهب فكانت كأَنها بَيْضٌ مكنون ، وسيوف قواضب ، ورماح لـكثرة طعنها من الدماء خواضب ، وسهام تواصلُ القسى وتفارقها ، فتحن

(١) فى صبح الأعشى أضاف المحققون [ما بأ] يديهم .

(٢) فى صبح الأعشى : ومرابض الأسود والجناح الممدود .

حنين مفارق ، وتزمجر القوس زمجرة مغاضب .

وهذه جملة أَراد أَمير المؤمنين بها تطييب قلوبكم ، وإطالة ذيل التطويل على مطلوبكم ، ودماؤكم وأَموالكم وأَعراضكم فى حماية إلاَّ ما أَباح الشرع المُطَهَّر ، ومزيد الإِحسان إليكم على مقدار ما يخفى منكم ويظهر ، وأَما جُزئيات الأُمور فقد علمتم بأَن فيمن تقلد عن أَميرالمؤمنين غِنًى عن مثل هذه الذكرى ، وولاة حقٍّ [1] لا تشغل بطلب شيء فكرا ، وفى ولاة الأُمور ، ورعاة الجمهور ، ومن هو سداد عمله ومداد أَمله ، ومراد من هو منكم معشر الرعايا من قِبَله ، وأَنتم على تفاوت مقاديركم وديعة أَمير المؤمنين ومَنْ حولَكم ، وأَنتم وهم فما منكم إلا من سيعرف أَمير المؤمنين ويمضى فى مراضى الله على سلفه ، وينظر ما هو عليه ويسير بسيرته المثلى فى طاعة الله فى خلفه ، وكلكم سواء فى الحق عند أَمير المؤمنين ، وله عليكم أَداء النصيحة ، وإبداء الطاعة بسريرة صحيحة ، وقد دخل كل منكم فى كنف أَمير المؤمنين وتحت رأْفته ، ولزمه حكم بيعته ، وأُلزم (١٧٤ ا) طائرَه فى عنقه ،

(١) في صبح الأعشى : وفى حق .

ويستعمل كل منـكم في الوفاء ما أصبـح به عليمـاً ﴿ومَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١)

هذا قول أمير المؤمنين ، وعلى هذا عُهد إليه وبه يَعْهَد ، وما سوى هذا فهو فجور لا يُشْهَدُ به عليه ولا يَشْهَد ، وهو يَعْمل في ذلك كله ما تُحمد عاقبتُه من الأَعمال ، ويَحْمِل منه ما يصلح له المـآل لا المـال (٢) ، وأَمير المؤمنين يستغفر الله على كل حال ، ويستعيذ بالله من الإِهمال ، ويسأَل الله أن يُمِدَّه بما يُحبُّ من الابتهال ولا يَمُدَّ له حَبْلَ الإِمهال (٣) ، ويختم أَميرُ المؤمنين قوله بما أَمر الله به من العدل والإِحسان ، ويحمد الله وهو من الخلق أَحمَدُ وقد آتاه الله مُلْك سليمان ، والله تعالى يُمتـع أَميرَ المؤمنين بما وهبه ، ويملـكه أَقطار الأَرض ويُورثه بعد العمر الطويل عَقِبَه ، ولا يزال على أَسِرَّةِ العلياء قُعُودُه ، ولباس الخلافة به أُبَّهة (٤) الجلالة كأَنه ما مات منصوره ولا أَودى (٥) مَهدِيُّه ولا ذهب رشيده .

(١) سورة الفتح الآية ١٠

(٢) في صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٣١ : ما يصلح به الحال والمآل .

(٣) جملة « ويسأل الله » ساقطة من صبح الأعشى .

(٤) في الأصل : أهبة .

(٥) في الأصل : ودى . وفي صبح الأعشى ردى .

المذهب الرابـع

من البيعات التى تـكتب للخلفاء أن تفتتـح البيعة بالحمد لله ، وهو الذى استقر عليه العمل فى زماننا جريا على طريقة متأخرى كُتَّاب الديار المصرية فى كتابة عهود الخلفاء والملوك .

وهذه نسخة [1] بيعة أَنشأْتها

مرتبة على موت الخليفة [2] الذى قبله وهى :

الحمد لله الذى جعل الأُمة المحمدية أَبذخَ الأُمم شَرَفا ، وأَكرمها نِجَارًا وأَفضلها سلفا ، وجعل رتبة الخلافة أَعلى الرتب رتبة وأَعزها كَنَفا ، وخصَّ الشجرة الطيبة من قريش بأَن جعل منهم الأَئمة الخُلَفا ، وآثر (١٧٤ ب) الأُسرة العباسية منها بذلك ، دعوةٌ سبقت من ابن عَمهم المصطفى ، وحفظ بهم نظامها على الدوام فجعل ممن سَلَف منهم خَلَفا

نحمده على أَن هيأَ من مقدمات الرَّشَد ما طاب الزمان

(١) صبح الأعشى جـ ٩ ص ٣٠٨

(٢) في هامش الأصل بخط مختلف من قارئ نصها « خليفة من ؟ هنا سقط » .

به وصفا ، وجدد من رسوم الإمامة بخير إمام ما دَرَسَ منها وعفا ، وأقام للمسلمين إماماً تَأَرَّجَ الجوُّ بنَشْره فأصبح الوجود بِعَرْفه معترفا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص تمسَّك بعهدها فوفى ، وأعطاها صفقة يده للمبايعة فلا يبغى عنها مَصْرِفا ، وأن محمدا عبده ورسوله الذى تدارك الله به العالم بعد أن أَشْفَى فشفى ، ونسختْ آيةُ دِينه الأديانَ وجلا بشرعته المنيرة من ظلمة الجهل سَدَفا ، وجعل مُبايِعَهُ مبايعا لله يأْخذه بالنَّكْث ويوفِّيه أَجرَهَ على الوفا ، صلى الله عليه وعلى آله الأَطهار وعترته الشُّرفا ، ورضى الله عن أصحابه الذين ليس منهم من عاهد الله فغدر ولا وادّ فى الله فجفا ، خصوصا من جاء بالصدق وصدّق به فكان له قرابة القرب وصفوةَ الصفا ، [1] والمرجوع إليه فى البيعة يوم السقيفة بعدما اشرأَبَّتْ نحوها نفوس كادت تذوب عليها أسفا ، والقائم فى قتال أهل الردة من بنى حَنيفَة حتى استقاموا على الحنيفة السمحة حُنَفا ، ومن استحال دلو الخلافة فى يده غَرْبا فكان أَشدّ [2] عبقرى

---

(١) في صبح الأعشى : قرابة وصفوة الصفا .

(٢) في صبح الأعشى : أفيد عبقرى .

قائم بأَمرها فكفى ، وعمّت فتوحه الأَمصار وحملت إليه أَموالها فلم يمسكها إقتارا ولم يبذر فيها سَرَفا . ومن كان فضله لِسَهْم الاختيار من بين أَصحاب الشورى هدفا ، وجمع الناسَ فى القرآن على صحيفة واحدة وكانت قبل ذلك صُحُفا ، ومن سرى إليه سرٌّ «أَما تَرْضَى أَن تكونَ منى بمنزلة هارون من موسى» فغدى يجر من ذيل الفَخار سُجُفا ، واستولى على المكارم من كل جانب فحاز أَطرافها طَرَفاً طَرَفا ، وعلى سائر الخلفاء الراشدين بعدهم ممن سلك سبيل الحق ولطريق الهدى (١٧٥ ا) اقتفى ، صلاة ورضوانا يذهبان الداء العضال من وخامة الغدر ويجلبان الشِّفا ، ويرفعان قدر صاحبهما فى الدنيا ويُبَوِّئان منتحلَهما من جنات النعيم غُرفا .

أَما بعد ، فإن عَقْدَ الإمامة لمن يقوم بأَمر الأُمة واجب الإجماع ، مستند لأَقوى دليل تنقطع دون نقضه الأَطماع ، وتَنْبُو عن سماع ما يخالفه الأَسماع ، إذ العباد مجبولون على التباين والتغاير ، مطبوعون على التخالف والتنافر[1] ، مضطرون إلى التعاون والتجاور ، مفتقرون إلى التعاضد

(١) فى صبح الأعشى : مطبوعون على التحالف والتناصر .

والتناصر ، فلا بد من زعيم يمنعهم من التظالم ، ويحملهم علـى التناصف فى التداعى والتحاكم ، ويقيم الحدود فتصان المحارم عن الانتهـــاك ، وتحفظ الأَنسابُ عن الاختلاط والاشتراك ، ويحمى بيضة الإسلام فيمنع أَن تطرق ، ويصون الثغور أَن يُتَوصّل إليها أَوْ يُتَطرّق ، ليعزّ الإسلامُ دارًا ، ويطمئن المستخفى ليلا ويأْمنَ الساربُ نهارا ، ويذبّ عن الحُرَم فتُحترم ، ويذود عن المنـــكرات فلا تُغْشَى بل تُصْطَلَم ، ويجهِّز الجيوش فتنكأ العدوّ ، ويغير على بلاد الـكفر فيمنعهم القرارَ والهُدُوّ ، ويرغم أَنف الفئة الباغية ويقمعها ، ويزجر [1] الطائفة المبتدعة ويردعها ، ويأْخذ أَموال بيت المال بحقها فيُطاوَع ، ويصرفها إلى مستحقها فلا يُنازَع ، لا جرم اعتُبر للقيام بها أَكملُ الشروط وأَتمّ الصفات ، وأَكرم الشيم وأَحسن السِّمات .

وكان السيد الأَعظم الإمام النبوى سليل الخلافة ، وولى الإمامة ، أَبو فلان فلانٌ العباسيٌّ - المتوكّلُ على الله مثلاً - أَميرُ المؤمنين رضوان الله عليه وعلى آبائه الراشدين [2] ،

(١) في صبح الأعشى : ويدغم .

(٢) مكان هذه الجملة في صبح الأعشى : سلك الله تعالى به جدد آبائه الراشدين .

هو الذى جمع شروطها فوفَّاها ، وأَحاط منها بصفات الـكمال واستوفاها ، ورامت به أَدنى مراتبها فبلغت به إلى أَغياها ، وتسوَّر إلى معاليها فرقى إلى أَعلاها ، واتَّحدَ بها فكان معنى صورتها ومغناها . وكانت الإِمامة قد تأَيَّمت (١٧٥ ب) ممن يقوم بأَعبائها ، وعزت خُطَّابُها لقلّة أَكْفَائها ، فلم تُلْف لها بعلا تطلبه يكون لها قرينا ، ولا كُفُوًا تخطبه يكون لديها مكينا ، إلا الإِمام الفلانى المُشار إليه ، فدعت لخِطبتها وهى بنت [1] عرسه ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [2] فأَجاب خِطْبَتَهَا ، ولبّى دعوتها ، لتحقّقه رغبتها إليه ، وعلمه بوجوب إجابتها عليه ، إذ هو شبلها الناشئ بغابها ، وغيثها المستمطَر من سحابها ، بل هو أَسدها الهصور ، وقُطْب فلكها الذى عليه تدور ، ومعقلها الأَمنع الحصين ، وعِقْدها الأَنفس الثمين ، وفارسها الأَروع وليثها الشهير ، وابن بجدتها الساقطة منه على الخبير ، وتلادها العليم بأَحوالها ، والجدير بمعرفة أَقوالها وأَفعالها ، وترجمانها المتكلم بلسانها ، وعالمها المتفنن فى أَفنانها ، وطبيبها

(١) في صبح الأعشى : بيت عرسه .
(٢) سورة يوسف الآية ٢٣

العارف بطبها ، ومنجدها الكاشف لكربها .

وحين بلغت من القصد سُولها ، ونالت بالإجابة منه مأْمولها ، وحرم على غيره أَن يَسُومَها لذلك تلويحا ، أَو يعرج على خطبتها تعريضاً وتصريحا ، احتاجت إلى ولىٍّ يوجب عقدها ، وشهود تحفظ عهدها ، فعندها قام السلطان الأَعظم الملك الفلانى - بالأَلقاب السلطانية إلى آخرها - خلد الله سلطانه ، ونصر جنوده وجيوشه وأَعوانه ، فانتصب لها وليّا ، وأَقام يفكر فى أَمرها مليّا ، فلم يجد أَحق بها منه فتجنبَ عَضْلَها ، فلم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلاَّ لها ، فجمع أَهل الحلّ والعقد ، المُعْتَزِينَ [1] للاعتبار والعارفين بالنقد ، من القضاة والعلماء ، والأُمراء ووجوه الناس وأَعيان الدولة والوزراء [2] وأَهل الخير والصلحاء ، وأَرباب الرأْى والنصحاء ، فاستشارهم فى ذلك فصوّبُوه ، ولم يروا العدول عنه إلى غيره بوجه من الوجوه ، فاستخار الله تعالى وبايعه ، فتبعه أَهل الاختيار فبايعوا ، وانتهى ذلك إلى الكافة فتابعوا [3] ، وانقادوا (١٧٦ ا) لحكمه

(١) في الأصل : المعتبرين . والتصويب من صبح الأعشى .

(٢) هذه العبارة لم ترد في صبح الأعشى .

(٣) هذه العبارة لم ترد في صبح الأعشى .

وطاوعوا ، فقابل عقدها بالقبول بمحضر من القضاة والشهود فلزمت ، ومضى حكمها على الصحة وانبرمت ، ولما تمّ عقدُها ، وطلع بصبح اليُمن سعدُها ، التمس المقام الشريف السلطانىّ الملكىّ الفلانىّ المشار إليه أَعلى الله شرف سلطانه ورفع محلّه ، وقرن بالتوفيق فى كلّ أَمر عَقده وحَلّه ، أَن يناله عهدها الوفىّ ، ويرد منها موردها الصفىّ ، ليرفع بذلك عن أَهل الدين حُجْبا ، ويزداد من البيت النبوى قُرْبا ، فتعرض لنفحاتها من مقرّاتها ، وتطلّب بركاتها من مَظنّاتها ، ورغب إلى أَمير المؤمنين ، وابن عم سيد المرسلين ، صلوات الله عليهم أَجمعين ، أَن يجدّد له بعهد السلطنة الشريفة عَقْدا ، ويأْخذ له من أَهل البيعة بذلك عهدا ، ويستحلفهم على الوفاء لهما بما عاهدوا ، والوقوف عندما بايعوا عليه وعاقدوا ، ليقترن السعدان فيعم نَوْؤهما ، ويجتمع النيران فيبهر ضوؤهما ، [فلباه تلبية راغب ، وأَجابه إجابة مطلوب وإن كان هو الطالب] وعهد إليه فى كل ما تقتضيه أَحكام إمامته فى الأُمة عموماً وشيوعا ، وفوّض له حكم الممالك الإسلامية جميعا ، وجعل إليه أَمر السلطنة المعظمة بكل نطاق ، وأَلقى إليه

مقاليدها وصرفه فيها على الإطلاق ، وأقامه على الأُمة بعهد الخلافة وصيّا ، وجعله للإمامة بتفويض الأَمر إليه وليّا ، ونشر عليه لواء الملك وقلده سيفه العضْب ، وأَلبسه الخلعة السوداء فابيض من سوادها وجه الشرق والغرْب ، وكتب له بذلك عهدا كبت عدوّه ، وزاد شرفه وضاعف سموّه ، وطولب أَهل البيعة بالتوثيق على البيعتين بالإِيمان فأَذعنوا ، واستُحلفوا على الوفاء فبالغوا فى الأَيمان وأَمعنوا ، وأَقسموا بالله جهد أَيمانهم ، بعد أَن أَشْهدوا الله عليهم فى إسرارهم وإعلانهم ، وأَعطوا المواثيق المغلظة المشدّدة ، وحلفوا بالأَيمان المؤكّدة المعقَّدة ، على أَنهم إن أَعرضوا (١٧٦ ب) عن ذلك وأَدبروا ، أَو بدلوا فيه أَو غيّروا ، أَو عرجوا عن سبيله أَو حادوا ، أَو نقصوا منه أَو زادوا ، فكل منهم برىء من حول الله وقوته إلى حول نفسه وقوته ، وخارج من ذمته الحصينة إلى ذمته ، وكل امرأَة فى نكاحه أَو يتزوجها فى المستقبل فهى طالق ثلاثا بتاتا ، وكلما راجعها فهى طالق طلاقا لا يقتضى إقامة ولا ثباتا ، وكل مملوك فى ملكه أَو يملكه فى المستقبل حر لاحق بأَحرار المسلمين ، وكل ما ملكه أَو يملكه من جماد وحيوان صدقة على الفقراء

والمساكين ، وعليه الحج إلى بيت الله الحرام ، والوقوف بعرفة وسائر المشاعر العظام ، مُحْرما من دُويرة أَهله ماشيا ، حاسرا عن رأْسه وإن كان به أَذى حافيا ، يأْتى بذلك فى ثلاثين حجة متتابعة على التمام ، لا يُجزئه واحدة منها عن حجّة الإسلام ، وإهداء مائة بدنة للبيت العتيق كل سنة على الدوام ، وعليه صوم جميع الدهر إلاّ المنهى عنه من الأَيام ، وأَن يفك أَلف رقبة مؤمنة من أَسر الكفر فى كل عام ، يمين كل منهم فى ذلك على نيَّة أَمير المؤمنين ، وسلطان المسلمين ، فى سره وجهره ، وأَوله وآخره ، لا نيَّةَ للحالف فى ذلك فى باطن الأَمر ولا فى ظاهره ، لا يُورِّى فى ذلك ولا يستثنى ، ولا يتأَول ولا يستفتى ، ولا يسعى فى نقضها ، ولا يخالف فيها ولا فى بعضها ، متى جنح إلى شىء من ذلك كان آثما ، وما تقدم من تعقيد الأَيمان له لازما ، لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عَدْلا ، ولا يُجزئه عن ذلك كفّارة أَصلا ، كل ذلك على أَشد المذاهب بالتخصيص ، وأَبعدها عن التساهل والترخيص ، وأَمْضَوْها بيعة ميمونة ، باليمن مبتدأَة بالنُّجْح مقرونة ، وأَشهدوا عليهم بذلك من حضر مجلس هذا العقد من الأَئمة الأَعلام ، والشهود

والحكام ، وجعلوا الله على ما يقولون وكيلا ، فاستحق عليهم (١٧٧ ا) الوفاء بقوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إذا عاهَدْتُمْ ولا تَنْقُضُوا الْأَيمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ [١] وهم يرغبون إلى الله أن يضاعف لهم بحسن نيتهم الأُجور ، ويلجئُون إليه أَن يجعل أَئمتهم ممن أَشار تعالى إليه بقوله ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فى الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وآتَوُا الزَّكاةَ وأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ونَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ولِلهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [٢] [إن شاء الله تعالى] .

وهذه نسخة [٣] بيعة أَنشأْتها أَيضاً

على هذه الطريقة مرتبة على خلع . وهى :

الحمد لله الذى جعل بيت الخلافة مثابة للناس وأَمنا ، وأَقام سور الإِمامة وقاية للأَنام وحصنا ، وشدّ منها بالعصابة القرشيةِ أَزْرًا وشاد منها بالعُصبة العباسية رُكْنا ، وأَغاث الخلق بإِمام هُدًى حَسُنَ سيرةً وصفا سريرةً فراقَ صورةً ورقّ معنى ، وجمع قلوبهم عليه فلم يستنكف عن

---

(١) سورة النحل الآية ٩١

(٢) سورة الحج الآية ٤١

(٣) صبح الأعشى جـ ٩ ص ٣١٣

الانقياد إليه أعلى ولا أدنى ، ونزع جلبابها عمن شغل قلبه [1] بغيرها فلم يعرها نظرا ولم يُصْغِ لها أُذنا ، وصرف وجهَها عمن أساءَ فيها تصرفا فلم يَرْفع بها رأسا ولم يَعْمُرْ لها مَغْنى .

نحمده على نعمٍ حلَتْ للنفوس حين حَلَّتْ [ومِنن جَلَت الخطوبَ حين جلّت] ومَسارَّ سرتْ إلى القلوب فَسَرَّتْ ، ومبارَّ أقرّتِ العيونَ فَقَرَّتْ ، وعوارفَ أَمَّتِ الخليقةَ ، فتوالت وما وَلَّتْ ، وقدمٍ صدقٍ ثبتت إن شاءَ الله فى الخلافة فما تَزَلْزَلَتْ ولا زَلَّتْ .

ونشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا من دَرَك الشكوك كالِئَة ، ولمهاوى الشُّبَهِ دارئة ، وللمقاصد الجميلة حاوية ، ولشُقّة الزيغ والارتياب طاوية ، وأن محمداً عبده ورسوله الذى نصح للأُمة إذ بلّغ فشفَى عَليلَها ، وأوردها من مناهل الرَّشَدِ (١٧٧ ب) ما أطفأ وهَجَها وَبرّد غليلَها ، وأوضح لهم مناهج الحق ودعاهم إليها ، وأبان لهم سبل الهداية ف ﴿ مَنِ اهْتَدَى

(١) هذه الكلمة غير موجودة في صبح الأعشى .

فَإِنَّما يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ ومَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها ﴾ (١)
صلى الله عليه وعلى آله أَئمة الخير وخير الأَئمة ، ورضى عن أَصحابه أَولياء العدل وعدول الأُمة ، صلاةً ورضواناً يعمان سائرهم ، ويشملان أَولهم وآخرهم ، سيما الصديق الفائز بأَعلا الرتبتين صدقا وتصديقا ، والحائز قَصَبَ السبق فى الفضيلتين علماً وتحقيقاً ، ومَنْ عَدَلَ الأَنصارُ إليــه عن سعد بن عبادة بعد ما أَجمعوا على تقديمه ، وبادر المهاجرون إلى بيعته اعترافاً بتفضيله وتــكريمه ، والفاروق الشديد فى الله بأْساً واللِّين فى الله جانباً ، والمُوفِى للخلاَفة حقا والمؤدى للإِمامة واجبا ، والقائم فى نصرة الدين حقّ القيام حتى عمت فتوحُه الأَمصارَ مشارقا ومغاربا ، وأَطاعته العناصر الأَربعة إذ كان لله طائعاً ومن الله خائفاً وإلى الله راغبا ، وذى النُّورَيْنِ المعوَّل عليه من بين سائر أَصحاب الشورى تنويها بقدره ، والمخصوص بالاختيار تفخيماً لأَمره ، من حُصِر فى بيته فلم يمنعه ذلك عن تلاوة كتاب الله وذكره ، وشاهــد سيوفَ قاتليه عِياناً فقابل فَتكَاتِهــا بجميــل صبره ، وأَبي الحسن الذى أَعرض عن الخلافة

(١) سورة الإسراء الآية ١٥

حين سُئلها ، واستعفى منها بعدما اضطّر إليها وقبِلها ، وكُشف له عن حقيقة الدنيا فما أمَّ قِبلتَها بقلبه ولا ولَّى وجهه قِبَلها ، وصرّح بمقاطعتها بقوله : « يا صفراء غُرِّى غيرى يا بيضاءُ غرى غيرى » . لمّا وصلها من وصلها ، وسائر الخلفاء الراشدين بعدهم ، الناهجين نَهْجهم والواردين وِرْدَهم .

أَما بعد ، فإن للإمامة شروطاً يجب اعتبارها فى الإمام ، ولوازمَ لا يُغْتَفَر فواتُها فى الابتداء ولا فى الدوام ، وأَوصافا يتعيَّنُ إعمالُها ، وآدابا لا يَسَعُ إهمالُها ، من أَهمها العدالة التى مِلاكها التقوى ، (١١٧٨) وأَساسها مراقبة الله تعالى فى السر والنجوى ، وبها تقع الهيبة لصاحبها فى القلوب فَيُجَلّ ، وتميل النفوس إليها فلا تُمَلّ ، فهى الملَكة الداعية إلى ترك الكبائر واجتنابها ، والزاجرةُ عن الإصرار على الصغائر وارتكابها ، والباعثة على مخالفة النفس ونهيها عن الشهوات ، والصارفةُ عن انتهاك حرمات الله التى هى أَعظم الحرمات ، والموجبة للتعفف عن المحارم ، والحاملة عن تجنب الظُّلامات ورد المظالم . والشجاعة التى بها حماية البيضة والذَّبُّ عنها ، والاستظهار بالغزو على

نـكاية الطائفة الـكافرة والغض منها ، والقوّة بالشّوكة على تنفيذ الأَوامر وإمضائها ، وإقامةِ الحدود واستيفائها ، ونشر كلمة الحق وإعلائها ، ودحض كلمة الباطل وإخفائها ، وقطع مادة الفساد وحسم أَدوائها ، والرأْى المؤدِّى إلى السياسة وحسن التدبير ، والمُغنى فى كثير من الأَماكن عن مزيد الجِدّ والتشمير ، والمُعينُ فى خُدَع الحرب ومـكائده ، والمُسعف فى مصادر كل أَمر وموارده .

هذا وقد جعلنا الله تعالى أُمة وسطا ، [ووعظنا بمن سلف من الأُمم ممن تمرّد وعتا أَو تجبّر وسطا] وعصم أُمتنا أَن تجتمع على الضلال ، وصان جمعنا عن الخطإ [1] فى الفِعل والمقال ، ونَدَبَنا إلى الأَمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وسوّغ لأَئمتنا الاجتهاد فى النوازل والأَحكام فاجتهادهم لا يُحظر ولا ينكر ، [2] خصوصاً فى شأْن الإِمامة التى هى آكد أَسباب المعالم الدينية وأَقواها ، وأَرفعُ المناصب الدنيوية وأَعلاها ، وأَعز الرتب رتبة وأَغلاها ، وأَحقها بالنظر فى أَمرها وأَولاها . وكان القائم بأَمر المسلمين الآن

(١) في صبح الأعشى : عن الخطل .

(٢) في صبح الأعشى : فاجتهادهم لا ينكر .

فلان بن فلان الفلانى ممن حاد عن الصراط المستقيم ، وسلك غير النهج القويم ، ومال عن سنَنِ الخلفاء الراشدين فأَدركه الزلل ، وقارف المــآثم فعاد بالخَلَل ، فعاث فى الأَرض فسادا ، وخالف الرُّشْدَ عِنَادا ، ومال (١٧٨ ب) إلى الغىّ اعتمادا وأَسلم إلى الهوى قيادا ، قد انتقل عن طور الخلافة ، وعزيز الإنافة ، إلى طور العامة فاتصف بصفاتهم ، واتَّسم بسماتهم ، فمُنْــكَر يجب عليــه إنــكاره قد باشره ، وصديق سَوْءٍ يتعين عليه إبعاده قد وازره وظاهره ، إن سلك فسبيل التُّهمَة والارتياب ، أَو قصَدَ أَمرا نَحَا فيه غيرَ الصواب ، منهمك على شهواته ، منعــكف على لذاته ، متشاغل عن أَمر الأُمة بأَمر بنيه وبناته ، الجبن رأْس ماله ، وعدم الرأْى قرينه فى أَفعاله وأَقواله ، قد قنــع من الخلافة باسمها ، ورضى من الإمامة بوَسْمها ، وظن أَن السُّؤدَدَ فى لُبْس السواد فمال إلى الحَيْف ، وتوهم أَن القاطعَ الغِمْدُ فَقَطَــعَ النظر عن السيف .

ولمــا اطّلع الناس منه على هذه المنــكَرات ، وعَرَفوه بهذه السِّمات ، وتحققوا فيه هذه الوَصَمات ، رغبوا فى استبداله ، وأَجمعوا على خلعه وزواله ، فلَجَئوا إلى السلطان

الأَعظم الملك الفلانى – بالأَلقاب السلطانية إلى آخرها – نصر الله جنوده ، وأَسمى جدوده ، وأَرهف على عُداة الله حدودَه ، ففوَّضوا أَمرهم فى ذلك إليـه ، وأَلقوا كَلَّهم عليه ، فجمع أَهل الحل والعقد منهم ، ومن تَصْدُر إليهم الأُمور وترد عنهم ، فاستخاروا الله تعالى وخلعوه من ولايته ، وخرجوا عن بيعته ، وانسلخوا عن طاعته ، وجرّدوه عن خلافته تجريد السيف من القِراب ، وطوَوا حكم إمامته كَطَىِّ السِّجِلِّ للكتاب ، وعندما تم هذا الخَلْع ، وانطوى حكمُه على البت والقطع ، التمس الناس إماماً يقوم بأُمور الإمامة فَيُوفِيها ، ويجمع شروطها ويستوفيها ، فلم يجدوا لها أَهلا ، ولا بها أَحق وأَولى ، وأَوفى بها وأَملى ، من السيد الأَعظم الإمام النبوى سليل الخلافة ، ووليد الإمامة أَبى فلانٍ فلانٍ العباسى – الطائع لله مثلا – أَمير المؤمنين . (١٧٩ ا) لازال شرفه باذخا ، وعرينه الشريف شامخا ، وعهد ولايته لعهد كل ولاية ناسخا ، فساموه بيعتها فلبَّى ، وشامُوا برق ولايته فأَجاب وما تأَبَّى ، علماً منه بأَنها تعيّنت عليه ، وانحصرت فيه فلم تجد أَعلى منه فتعدِلَ إليه ، إذ هو ابن بجدتها ، وفارس نجدتها ،

ومُزِيل غُمَّتها ، وكاشف كُرْبتها ، ومُجَلِّى غَياهِبِها ، ومُحْمِدُ عواقبها ، ومُوضِّح مذاهبها ، وحاكمها المكين ، بل رشيدها الأَمين ، فنهض المقامُ الشريفُ السلطانى الملكىّ الفلانىّ — المشار إليه — قَرَنَ اللهُ مقاصدَه الشريفة بالنجاح ، وأعماله الصالحة بالفلاح ، وبدر إلى بيعته فبايع ،وَائْتَمّ به من حضر من أَهل الحَلِّ والعقد فتابع ، [وقابل عقدها بالقبول فمضى ، ولزم حكمها فانقضى] واتصل ذلك بسائر الرعية فانقادوا ، وعلموا صوابه فمشوا على سَنَنِه وماحادوا : وشاع ذلك فى الأَمصار ، وطارت به مخلَّقات البشائر إلى سائر الأَقطار ، فتعرّفوا منه اليُمن فسارعوا إلى امتثاله ، وتحقّقوا صحة الأَمر [1] وثباته بعد اضطرابه واعتلاله ، واستعاذوا من نقص يصيبه بعد تمامه بهذا الخليفة وكماله ، فعندها أَبانت الخلافة العباسية عن طيب عنصرها ، وجميل وفائها وكريم مظهرها ، وجادت بجزيل الامتنان وتَلاَ لسانُ كرمها الوفىّ على وليها الصادق ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسانِ إلاّ الْإِحْسانُ﴾ [2] فجدد له بالسلطنة الشريفة عهدا ، وطوّق جيده بتفويضها إليه عقدا ، وجعله وصيَّه فى الدين ،

(١) في صبح الأعشى : صحته وثباته .

(٢) سورة الرحمن الآية ٦٠

وولَّيه فى أَمر المسلمين ، وقلّده أَمر الممالك الإسلامية وأَلقى إليه مقاليدها ، وملكه أَزِمَّتها وحقَّق له مواعيدها ، وعقد له لواءها ونشر عليه أَعلامها ، وصرّفه فيها على الإطلاق وفوض إليه أَحكامها ، وأَلبسه الخلعةَ السوداءَ فكانت لسؤدده شعارا ، وأَسبغ عليه رداءها فكان له دثارا ، وكتب له العهدَ فسقى المَعاهِدَ صَوْبُ العِهاد ، ولَهِجَ الأَنامُ بذكره فاطمأَنت (١٧٩ ب) العباد والبلاد ، وعندما تم هذا الفصل ، وتقرر هذا الأَصل ، وأَمْسَتِ الرعايا بما آتاهم الله من فضله فرحين ، وبنعمته مستبشرين ، طولب أَهل البيعة بما يحملهم على الوفاء ، ويمنع بيعتهم من التكدر بعد الصفاء ، من توثيق عَقْدِهَا بمؤكَّد أَيمانها ، والإقامة على الطاعة لخليفتها وسلطانها ، فبادروا إلى ذلك مسرعين ، وإلى داعيه مُهطعين ، وبالغوا فى المواثيق وأَكدوها ، وشددوا فى الأَيمان وعقدوها ، وأَقسموا بالله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، عالِم خائنةِ الأَعين وما تخفى الصدور فى البدء والإعادة ، على الوفاء لهما والموالاة ، والنصح والمصافاة ، والموافقة والمشايعة ، والطاعة والمتابعة ، يوالون من والاهما ، ويعادون من

عاداهما ،لا يقعدون عن مناصرتهما عند مُلمّة ، ولا يرقبون في عدوهمـا إلاًّ ولا ذمة ، جارين في ذلك عـلى الدوام والاستمرار ، والثبوت واللزوم والاستقرار ، على أن من بَدَّل منهم من ذلك شرطا أو أَعْفَى له رسما ، أو حاد عن طريقه أو غيّر له حكما ، أو سلك في ذلك غير سبيل الأَمانة ، أو استحل الغدرَ أو أَضمر الخيانة ، معلناً أَو مُسِرًّا في كله أو بعضه ، متأَولا أو محتالا لإبطاله أو نقضه ، فقد بَرِئَ من حول الله المتين وقوته الواقية ، وركنه الشديد وذمته الوافية ، إلى حول نفسه وقوته ، وركنه وذمتـه ، وكل امرأة في عصمته الآن أو يتزوجها مدةَ حياته طالق ثلاثا بصريـح لفظه لا يتوقف على نية ، لا يُفَرق فيه بين زَمَن سُنَّة[1] ولا بدعة ولا رجعة فيه ولا مَثْنَويّة ،وكل مملوك في مِلْكه أو يملكه في بقية عمره من ذكر أو أُنثى حرٌ من أَحرار المسلمين ، وكل ما هو على ملكه أو يملكه [في بقية عمره] إلى آخر أَيامه من عَيْنٍ أَو عَرض صدقةٌ للفقراء والمساكين ، وعليه الحج إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجَّةً بثلاثين عُمْرةً (١٨٠ ا) راجلا حافيا حاسرا ، لا يقبل اللهُ منه غير الوفاء بها باطنا ولا ظاهرا ، وإهداء

(١) في صبح الأعشى : بين سنة .

مائة بدنة فى كل حَجَّة منها فى عُسرته ويسرته ، لا تُجْزِئهُ واحدة منها عن حَجَّة الإسلام وعمرته ، وصومُ الدهر خلا المنهىَّ عنه من أيام السَّنة ، وصلاةُ ألف ركعة فى كل ليلة لا يباح له دون أدائها غَمْض ولا سِنَة ، لا يَقبل منه صرفا ولا عدلا ، ولا يُؤْجَرُ على شىء من ذلك قولا ولا فعلا ، متى وَرَّى فى ذلك أو استثنى ، أو تأَوّل أو استفتى ، كان الحِنْثُ عليه عائدا ، وله إلى دار البوار قائدا ، معتمدا فى ذلك أشدَّ المذاهب فى سرّه وعلانيته ، على نيــة المستحْلف له دون نيتــه ، وأمضوها بيعــة محــكمة المبــانى ثابتة القواعد ، كريمة المساعى جميلة المقاصد ، طيبةَ الجنَى جميلةَ العوائد ، قاطعة البراهين ظاهرة الشواهد ، وأشهدوا على أنفسهم بذلك من حضر مجلس هذا العقد من قضاة الإسلام وعلمائه ، وأئمة الدين وفقهائه ، بعد أن أشهدوا الله عليهم ، وكفى بالله شهيدا ، وكفى به للخائنين خصيما : ﴿ فَمَنْ نَــكَثَ فَإِنَّمَا يَنْــكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (1) والله [تعالى] يجعل انتقالهم من أدنى إلى أعلى ، ومن يُسرى إلى يُمنى ، ويحقق

(1) سورة الفتح الآية ١٠

لهم بمن استخلفه عليهم وعدَه الصادقَ بقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُم الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وليُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾ (١) إن شاء الله تعالى .

قلت : والذى استقر عليه الحال فى كتابة بيعات الخلفاء بالديار المصرية الآن أن يتعاطى كتابةَ البيعة كُتَّابُ الحكم الذين هم موقعو قضاة القضاة ، ولا إلمام لهم بصنعة (١٨٠ ب) الإنشاء ، فإن وقعت العنايةُ بكتابة تلك البيعة أمر كاتبُ السرِّ مَنْ له ملكةٌ فى صنعة الإنشاء من رءُوس كتاب الديوان فأنشأ لها صَدْرا على طريقة كتاب الإنشاء ، مفتتحا بخطبة مشتملة على براعة استهلال تناسب المقام ، وتدفع إلى من يتعاطى كتابة تلك البيعة من كُتَّاب الحكم فيصدِّر بها ما يكتبه ، ثم تأْتى عقب ذلك بصورة الحال الواقعة فى البيعة سردا ويشهد فى آخرها .

وهذه نسخة بيعة الإمام الأَعظم المعتضد بالله أَبى الفتح خليفة العصر :

---

(١) سورة النور الآية ٥٥

الموضوع له هذا الكتاب ، وصدرها من إنشاء علامة العصر وإمام أهل الأدب الشيخ تقيّ الدين بن حجّة ، مشيرا فيه إلى سلطانه القائم ببيعته الملكِ، المؤيدِ أبي النصر شيخ ، مُلَوِّحا بذكر شيخ الإسلام قاضي القضاة جلال الدين البلقيني وهي :

الحمد لله الذي شدّ عضد الأُمة بمن أمسى به مُعْتضدا ، وأسعفنا من البيت النبوي بخليفة ما برح شيخ الملوك في تقديم بيته الشريف مجتهدا ، وأقام العلم العباسي بعد أبي مسلم بأبي النصر فأكرم حسن الختام وحسن الابتداء ، فله الحمد أولا وآخرا ، وباطنا وظاهرا ، ونكرر حمده على سلطان مؤيّد تحفّ به العلماء الأعلام ، وظهر لجلالهم في أيامه الزاهرة بهجة فقال مُوَرِّياً : هذا زمان مشايخ الإسلام نحمده على حكمته التي اقتضت أن تكون الخلافة عمدة لأحكام يزول بها الالتباس ، وهو القائل ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القادر الذي أطلع بدور الخلافة كاملة (١٨١ ا) في المطالع

---

(١) سورة ص الآية ٢٦

الهاشمية ، وبلَّ ظمأَ الإسلام لسقايتها العباسية ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى يجب تقديم آل بيته فى إيضاح كل أمر وإشكاله ، فصَلَّى اللهُ عليه وعلى آله ، صلاةً يَصلُ بها الحقُّ إلى أَربابه ، وينتظم شمل أَبى الفتح بأَبى النصر فى ذهاب كل منهما وإيابِه ، ما تراعت فى مدائحه النظائر ، ومُلئت بالبديع بطون الدفاتر [1] .

(١٨٢ ا) تنبيه – قد ذكر محمد بن عمر المدائنى فى كتاب « القلم والدواة » أنه كان يكتب للخلفاء فى قرطاس من ثلثى طومار ، والطومار هو : الفرخة الورق الكاملة ، والمراد الورق البغدادى ، فإن الخلافة ببغداد كانت . وحينئذ فكانت البيعات تُكتب فى قطع الثلثين المذكور ، والذى يظهر أن ذلك كان فى أول أَمرهم ، وأنه بعد ذلك كان يكتب لهم فى قطع البغدادى الكامل ، أَما الآن فالذى استقر عليه الحال فيما يكتب فيه بيعات الخلفاء من بنى العباس بالديار المصرية [2] .

---

(١) ترك فى الأصل بياض قدره صفحتان ونصف ولعل المؤلف كان يريد إثبات البيعة فى هذا الفراغ ثم نسى أن يكتبه .

(٢) كذا نقص بالأصل وانظر صبح الأعشى ج ٩ ص ٣٣٢ عن قطع الورق والجزء السادس أيضا من صبح الأعشى ص ١٨٩ وص ١٩٠ فى بيان مقادير قطع الورق المستعمل فى زماننا وفيه ثلاث جمل . . . .

الفصل الثانى

(١٨٢ ب) من الباب الثانى فيما يكتب للخلفاء من العهود ، وهى ما يكتب لمن يقوم بالخلافة بعهد من الخليفة قبله ، بالشروط المعتبرة فى ذلك ، على ما تقدم ذكره فى الكلام على الطرق التى تنعقد بها الإمامة فى الباب الأول من الكتاب ، وقد تقدم هناك أن الصّديق رضى الله عنه عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب له بها عهدا بخطّ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وللكُتّاب فى كتابة عهود الخلفاء للخلفاء مذهبان .

المذهب الأوّل

أن يُفتتح العهد بلفظ : هذا ما عهد فلان لفلان أو : هذا عهد فلان لفلان . أو : هذا كتاب كتبه [1] فلان لفلان . وما أشبه ذلك ، ثم يُؤتى بوصف الخليفة والتنبيه على وجه استحقاقه الموجب لتقدمه على غيره ،

(١) فى صبح الأعشى جـ ٩ ص ٣٥٨ : أو هذا كتاب اكتتبه فلان لفلان .

ثم يُذكر تفويض الخلافة إليه بعد العاهد ، ويؤتى من وصيّته بما يناسب المقام ، مقتصرا فى ذلك على الإشارة والتلويــح ، غير مصرح فيه بلفظ الأَمر ، كما يقال فى عهود الملوك : أَمره بــكذا . وأَمره بــكذا ، على ما سيأْتى فى ذكر عهودهم للملوك ، تعظيما لشأْن ولى العهد بالخلافة ، وتشريفاً لمقامه عن أَن يــكون مأْمورا ، وعلى هذه الطريقة كانت عهود الخلفاء من السلف رضوان الله عليهم ، وعلى نهجها مشى أَفاضلُ الــكتاب المعتبرين بديوان الخلافة فى العراق ، واختاره أَفاضل الــكتاب من المتأَخرين بالديار المصرية ، وصرحوا باختياره فى مُصنَّفاتهم . والأَصل فى ذلك ما رُوى أَن الصديق رضـــى الله عنه كتب فى (١١٨٣) عهده بالخلافة لأَمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه بخطّ عثمان بن عفان ونسخته (١) : هذا ما عهد أَبو بــكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آخر عَهده بالدنيا ، وأَوّلَ عهده بالآخرة ، إنى استخلفت عليــكم عمرَ بنَ الخطاب ، فإن برَّ وعدل فذلك ظنى به ، وإن بدَّل أَو غيَّر فلا علم لى بالغيب ، والخيرَ أَردتُ بكم ،

(١) في صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٥٩ : ونسخته – فيما رواه البيهقى في « السنن » واقتصر عليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبــى في « حسن التوسل » .

ولـكل امرئ ما اكتسب من الإثم [1] ﴿ وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ[2] ﴾ .

ثم تصرّفوا فيه بعد ذلك بالزيادة وبسط القول .

وعلى هذا الأُسلوب

كتب سليمانُ بنُ عبد الملك بن مروان أَحدُ خلفاء بنى أُمية عهدَه لعمرَ بنِ عبد العزيز ثم يزيد بن عبد الملك بن مروان [3] بعده .

وهذه نسخته [4]

فيما ذكره ابن قتيبة فى « تاريخه » [5]

هذا ما عهِد عبدُ الله سليمانُ بنُ عبد الملك أَميرُ المؤمنين وخليفةُ المسلمين ، عهد أَنه يَشهد لله عز وجل بالربوبية والوحدانية ، وأَن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ،

(١) أصلها قوله تعالى « لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم » سورة النور الآية ١١

(٢) سورة الشعراء الآية ٢٢٧

(٣) في الأصل : ثم يزيد بن معاوية بن يزيد بعده . والتصويب من صبح الأعشى ٣٦٠/٩ ومما تقدم من المؤلف في ترتيبه حـ ١ ص ١٤١ و ١٤٥ وما جاء في العهد صوابا .

(٤) صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٦٠

(٥) في صبح الأعشى . في تاريخ الخلفاء .

بعثه إلى محسنى عباده بشيرا ، وإلى مذنبيهم نذيرا ، وأن الجنة والنار مخلوقتان حق [1] ، خلق الجنة رحمة وجزاء لمن أطاعه ، والنار نقمة وجزاء لمن عصاه ، وأوجب العفو جودا وكرما لمن عفى عنه ، وأن سليمان مقرٌّ على نفسه بما يعلم الله من ذنوبه ، وبما تعلمه نفسه من معصية ربه ، موجبا على نفسه استحقاق ما خلق من النقمة ، راجيا لنفسه ما خلق من الرحمة ، ووعد من العفو والمغفرة ، وأن المقادير كلّها خيرها وشرها مقدورة بإرادته ، مُتكوِّنة [2] بتكوينه ، وأنه الهادى فلا مُغْوِيَ ولا مُضلَّ لمن هداه (١٨٣ ب) وخلقه لرحمته ، وأنه الفاتن فلا هادى ولا مرشد لمن فتنه وخلقه لنقمته [3] ، وأنه يفتن المؤمن [4] فى قبره بالسؤال عن دينه ونبيه الذى أُرسل إلى أُمته ، لا مَنْجَى لمن خرج من الدنيا إلى الآخرة من هذه المسأَلة إلاَّ لمن استثناه عز وجل فى علمه . وسليمانُ يسأَل الله الكريم بواسع فضله ، وعظيم مَنِّه ، الثباتَ على ما أَسرَّ وأَعلن ، من معرفة حقه وحقّ نبيه

---

(١) في صبح الأعشى : حقا .

(٢) في صبح الأعشى : مكونة .

(٣) جملة « وأنه الفاتن . . . » لا توجد في صبح الأعشى .

(٤) في صبح الأعشى : الميت .

عند مسألة رسله ، والنجاةَ من هولِ فتنةِ فتّانِيه . ويشهد أَن الميزان يوم القيامة حقٌّ يقين ، يزن سيئاتِ المُسيئين وحسناتِ المحسنين ، ليُرِىَ عبادَه من عظيم قُدرته ما أَراده من تَعَبُّده [1] لعباده بما لم يكونوا يحتسبونه ، وأَن من ثقلت موازينه فأُولئك هم المفلحون ، ومن خفَّت موازينه يومئذ فأُولئك هم الخاسرون ، وأَن حوض محمدٍ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يوم الحشر [2] والموقف للعرض حق ، وأَن عدد آنيته كنجوم السماء ، من شرب منه لم يظمأْ أَبدا ، وسليمانُ يسأَل الله بواسع [3] رحمته أَن لا يرده عن حوض نبيــه عطشان ، [4] ، وأَن أَبا بــكر وعمر خيرُ هذه الأَمة بعد نبيها [5] ، والله يعلم بعدهما حيثُ الخير وفيمن الخير من هذه الأُمة ، وأَن هذه الشهادة كلّها المذكورة فى عهده هذا يعلمها الله من سره وإِعلانه وعقد ضميره ، وأَنه [6] بها عَبَدَ ربّه فى سالف أَيامه وماضى عمره ، وعليها

(١) سقطت كلمة « تعبده » من صبح الأعشى وأضاف المحققون بدلها كلمة « الخير » .

(٢) في صبح الأعشى : المحشر .

(٣) في الأصل : بوسع .

(٤) في الأصل : عطشا .

(٥) في صبح الأعشى : نبينا .

(٦) في الأصل وأن بها .

أَتاه يقينُ ربه ، وتوفَّاه أَجله ، وعليها يُبعث بعد موته إن شاء الله ، وأَن سليمان كان له بين هذه الشهـــادة بلاَيا وسيّئاتٌ لم يــكن له عنها محيد ولا بدّ ، جرى بها عليه المقدورُ – من الربِّ – النافذُ إلى إتمام ما حَدّ ، فإن يَعْفُ ويصفحْ فذاك ما عُرِف منه قديماً ، ونُسب إليه حديثاً ، وتلك صفتُه التى وصف بها نفسه فى كتابه الصادق ، وكلامه الناطق ، وإنْ يُعاقبْ وينتقمْ فَبِما قدَّمت يداه وما اللهُ بظلاَّم للعبيد . وأَن سليمان يُحرِّجُ على من قرأَ عهده هــذا وسمع ما فيه من حِــكَمِه [1] أَن ينتهـى إليه فى أَمره ونهيــه ، بالله العظيم ومحمد رسوله (١١٨٤) الكريم < و > أَن يدع الإِحَنَ المُضْغَنة ، ويأْخذ بالمكارم المُدْجَنة ، ويرفــع يديه إلى الله بالضمير النَّصوح ، والدعاء الصحيح ، والصَّفْــح الصريــح ، يسأَله العفْوَ عنِّى ، والمغفرة لى ، والنجاة من فزعى والمسأَلةِ فى قبرى ، لعلّ الوَدُود أَن يجعل منــكم مُجابَ الدعوة بما مَنَّ علىَّ من صَفْحه يعود إن شاءَ الله . وأَن ولىَّ عهد سليمانَ بنِ عبد الملك أَمير المؤمنين ، وصاحبَ أَمره بعد موته ، فى جنده ورعيته ،

(١) في صبح الأعشى : حكمة .

وخاصته وعامته ، وكلٍّ من استولانى [1] الله عليه ، واسترعانى فى النظرِ [2] فيه ، الرجلُ الصالحُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ ابنُ عمى ، لما بَلَوْتُ من باطن أَمره وظاهره ، ورجوتُ الله بذلك ورضاه [3] ورحمته إن شاءَ الله ، ثم من بعده يُسَلَّم إلى يزيدَ بنِ عبد الملك بن مروان إن بقى بعده ، فإنى ما رأَيت منه إلاَّ خَيرا ، ولا اطّلعت له مكروها [4] . وصغارُ ولدى وكبارُهم إلى عمرَ إذ رجوت أَن لا يأْلُوَهم رَشَدًا وصَلاَحاً ، واللهُ خليفتى عليهم وعلى جماعة المؤمنين والمسلمين ، وهو أَرحم الراحمين ، وأَقِرُّوا لعهدى [5] ، عليكم السلام ورحمة الله .
ومن أَبى من أَمرى [6] هذا ، أَو خالف عهدى هذا — وأَرجو أَن لا يخالفه أَحد من أُمة محمدٍ — فهو ضالٌّ مُضِلٌّ مُسْتَعْتَبٌ ، فإن أَعْتَبَ [7] وإلا فإنى لمنْ خالف عهدى فيهم

(١) في صبح الأعشى : من استخلفنى .
(٢) في صبح الأعشى : واسترعانى النظر .
(٣) أضاف محققو صبح الأعشى ص ٣٦٢ كلمة فصارت الجملة : ورجوت الله بذلك [وأردت] رضاه .
(٤) في صبح الأعشى : على مكروه .
(٥) في صبح الأعشى : واقرءوا عهدى .
(٦) في صبح الأعشى : ومن أبى أمرى .
(٧) مستعتب مطلوب استرضاؤه فان أعتب أى أجاب إلى الرضا وترك ما كان يغضب عليه لأجله .

بالسيفِ السيفِ والقتلِ القتلِ [1] ، فإنهم مستوجبون لهما ، وهم لهيبته مُلْقِحون ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله القديم الإحسان .

وعلى هـذا

كتب المأمونُ بخطِّه عهدَ عليٍّ بن موسى العلويِّ ، المعروفِ بالرِّضَى [2] ، بالخلافة بعدَه .

وهذه نسخته [3]

هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارونَ الرشيد أميرُ المؤمنين بيده ، (١٤ ب) لعليِّ بنِ موسى بنِ جعفرٍ وليِّ عهده .

أما بعد ، فإن الله عز وجل اصطفى الإسلام دينا ، واصطفى له من عباده رسلا دالِّين عليه ، وهادين إليه ، يبشر أوَّلُهُم بآخرهم ، ويصدِّق تاليهم ماضِيَهم ، حتى انتهت نبوَّةُ الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم على فَتْرَةٍ

---

(١) في الامامة والسياسة وإلا فالسيف والله المستعان .

(٢) ضبط في صبح الأعشى الرضى على وزن تقى وكذلك فيما جاء في العهد ولكن ضبط الأصل في آخر العهد يؤيد ما ضبطنا وفي ابن خلكان ترجمة على بن موسى كتب على الرضا وهذا يؤيد ماضبطته .

(٣) في صبح الأعشى ص ٣٦٢ : وهذه نسخته فيما ذكر صاحب العقد .

من الرسل ، ودُرُوس من العلم ، وانقطاعٍ من الوَحْى ، واقترابٍ من الساعة ، فختَم اللهُ به النبيّين ، وجعله شاهدا لهم ، ومُهيمنا عليهم، وأنزل عليه كتابه العزيز الذى ﴿ لاَ يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [1] بما [2] أحل وحرم ، ووعد وأوعد ، وحذّر وأنذر وأمر به ونهى عنه ، لتكون له الحجة البالغة على خلقه و ﴿ليهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [3] فبلّغ عن الله رسالَتَه ، ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتى هى أحسن ، ثم بالجهاد والغِلْظة ، حتى قبضه الله إليه ، واختار له ما عنده صلى الله عليه ، فلما انقضت النبوّةُ ، وخَتَم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الوَحْىَ والرّسالة ، جعل له قِوَام الدين ، ونظامَ أمر المسلمين ، بالخلافة وإتمامها وعزِّها ، والقيام بحق الله فيها بالطاعة التى بها تُقامُ فُرائضُ الله وحُدُوده ، وشرائع الإسلام وسُنَنه ويُجَاهَدُ بها عَدُوُّه ، فعلى خلفاء الله طاعته فيما

(١) سورة فصلت الآية ٤٢

(٢) في الأصل بما حل وحرم . وفي صبح الأعشى فأحل وحرم .

(٣) سورة الأنفال الآية ٤٢

استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده ، وعلى المسلمين طاعةُ خلفائهم ومعاونتهم على إقامة حقِّ الله وعدله ، وأَمْن السُّبُلِ وحَقْنِ الدماء ، وصَلاَح ذاتِ البَيْنِ ، وجمع الأُلْفة ، وفى إخْلالِ ذلك اضطرابُ حَبْلِ المسلمين واختلالُهم واختلافُ مِلَّتهم وقَهرُ دينهم ، واستعلاءُ عدوِّهم ، وتفرُّقُ الكلمة ، وحَسَرَاتُ [1] الدنيا والآخرة .

فحقّ على من استخلفه الله فى أَرضه ، وائْتمنه على خلقه ، أَن يؤثر ما فيه رِضَى الله وطاعته ، ويُقرَّ لما [2] الله (١١٨٥) وَاقِفُهُ عليه وسائِلُهُ عنه ، ويحكم بالحق ويعمل بالعدل فيما حمَّله الله وقلّده ، فإن الله عز وجلّ يقول لنبيه داود عليه السلام ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [3] وقال عز وجل ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [4] وبلغنا أَن

(١) في صبح الأعشى : وخسران الدنيا والآخرة .

(٢) في صبح الأعشى ويعد [ل] فيما الله .

(٣) سورة ص الآية ٢٦

(٤) سورة الحجر الآيتان ٩٢ ، ٩٣

عمر بن الخطاب قال : لو ضاعت سَخْلة بجانب الفرات لتخوَّفت أَن يسأَلنى الله عنها ، وأَيم اللهِ إِن المسئول عن خاصَّة نفسه ، الموقوفَ على عمله ، فيما بين الله وبينه ، متعرِّض لأَمرٍ (١) كبير ، وعلى خطر عظيم ، فكيف بالمسئول عن رعاية الأُمة ، وبالله الثِّقة ، وإِليه المَفْزَعُ والرغبةُ فى التوفيق مع العصمة ، والتسديد والهدايةِ إلى ما فيه ثُبوت الحُجَّة ، والفوزُ من الله بالرضوان والرحمة . وأَنْظَرُ الأَئمةِ لنفسه ، وأَنصحُهم لله فى دينه وعباده وخلافته فى أَرضه ، مَنْ عمل بطاعة الله وكتابه وسنّة نبيه عليه السلام فى مُدَّة أَيّامه ، واجتهد وأَجهد رأْيه ونظره فيمن يُولِّيه عهده ، ويختاره لإِمامة المسلمين ورعايتهم بعده ، ويَنْصِبُه عَلَماً لهم ، ومفزعاً فى جميع أُلْفَتهم ، ولَمِّ شَعَثهم ، وحَقْنِ دمائهم ، والأَمنِ بإِذن الله من فرقتهم ، وفساد ذات بينهم واختلافهم ، ورَفْعِ نَزْغ الشيطان وكَيْدِه عنهم ، فإِن الله عز وجل جعل العهْدَ بالخلافة (٢) من تمام أَمر الإِسلام وكماله ، وعزّه وصلاح أَهله ، وأَلهم

---

(١) فى الأصل : متعرض أمر كبير .

(٢) فى الأصل : « جعل العهد بعد الخلافة » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٦٤

خلفاءه من تَوكيده [1] لمن يختارونه له من بعدهم ما عَظُمت به النعمة ، وشَمِلَت فيه العافية ، ونقض الله بذلك مَرَّ [2] أهلِ الشقاقِ والعداوةِ والسعْيِ في الفرقة والرَّفْضِ [3] للفتنة ، ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة فاختبر بشاعَة مذاقها وثِقَلَ مَحْمَلِها ، وشدَّةَ مُؤْنَتِهَا (١٨٥ب) وما يجب عليه من تقلُّدها من ارتباط طاعة الله ومراقبته فيما حمَّله منها ، فأَنْصَبَ بَدَنَه ، وأَسهر عينه ، وأطال فكره ، فيما فيه عزُّ الدين ، وقَمْعُ المشركين ، وصلاحُ الأُمة ، ونشْرُ العدل ، وإقامةُ الكتابِ والسُّنَّة ، ومنعه ذلك من الخفض [4] والدعة ، مُهَنَّأَ العيش ، علْمًا بما اللهُ سائلُه عنه ، وحرْصا [5] أن يلقى الله مُناصِحَهُ في دينه وعباده ، ومختارا لولاية عهده ، ورعاية الأُمَّة من بعده ، أَفضلَ مَنْ يَقْدر عليه في دينه وَوَرَعِه وعلمه ، وأَرْجَاهُمْ للقيام بأَمر الله وحقِّه ، مناجياً اللهَ بالاستخارة في ذلك ،

(١) في صبح الأعشى : من توسيده .

(٢) المر : الحبل .

(٣) الرفض أن يطرد الرجل غنمه وإبله إلى حيث يهوى فإذا بلغت تركها ولها عنها .

(٤) في الأصل : « من الغفض والدعة » والتصويب من صبح الأعشى ح ٩ ص ٣٦٥

(٥) في صبح الأعشى : ومحبة .

ومسألَته[1] إلهامَه ما فيه رضاه وطاعَتُه فى ليله ونهاره ، ومُعْمِلاً فى طلبه والتماسه من أَهل بيتهِ من وَلَدِ عبدِ الله بن العباس وعلىٍّ بن أَبى طالب فِكْره ونظره ، مقتصرا ممن[2] علم حاله ومذهبه منهم على علمه ، وبالغا فى المسأَلة عمَّن خفى عليه أَمرُهُ جُهْدَهُ وطاقَتَهُ ، حتى استقصى أُمورهم بمعرفته ؛ وابتلى أَخبارهم مشاهَدَةً ، وكشف ما عندهم مُسَائَلَةً ، فكانت خِيرَتُه ـ بعد استخارته لله وإِجْهاده[3] نفسَه فى قضاء حقه وبلاده من البَيْتَيْن جميعاً ـ علىَّ بنَ موسى بنِ جعفر بنِ محمد بنِ علىٍّ بنِ الحُسين بنِ علىّ بن أَبى طالب ، لَمَّا رأَى فَضْلَه البارع ، وعمله الناصع ، وورعه الظاهر وزهده الخالص ، وتخلِّيَه من الدنيا ، وتسلُّمَهُ من الناس ؛ وقد استبان له ما لم تَزل الأَخبارُ عليه مُتَوَاطِئة ، والأَلسنُ عليه متفقة ، والكلمة فيه جامعة ، ولِمَا لم يَزَلْ يعرفه به من الفضل يافعاً وناشئاً ، وحَدَثاً ومُكْتَهِلا ، فعقد له بالعهد بالخلافة[4] ، إِيثارًا لله والدين ونظرًا للمسلمين ،

---

(١) في صبح الأعشى : ويسأله .

(٢) في صبح الأعشى : فيمن .

(٣) في الأصل : « واجتهاده » والتصويب من صبح الأعشى .

(٤) في صبح الأعشى . فعقد له بالعقد والخلافة .

وطلباً للسلامةِ وثباتِ الحُجَّة والنجاة فى اليوم الذى يقوم فيه الناس لربّ العالمين ، ودعا أَميرُ المؤمنين وَلَده وأَهلَ بيته وخاصَّتَه وقُوَّاده وخَدَمه فبايعوه مسارعين مسرورين ، عالمين بإيثار أَمير المؤمنين (١٨٦ ا) طاعَةَ الله على الهوى فى ولده وغيرِهم ممن هو أَشْبَكُ به رَحِماً وأَقربُ قرابةً ، وسمَّاهُ الرِّضَى ، إذ كان رضًى عند أَمير المؤمنين . فبايعُوا معشرَ أَهلِ بيت أَمير المؤمنين ومَنْ بالمدينة المحروسة من قُوَّاده وجنده وعامَّة المسلمين الرِّضَى من بعده ، على اسم الله وبركته وحسن قضائه لدينه وعباده ، بيعةً مبسوطةً إِليها أَيديــكم ، منشرحة لها صدورُكم ، عالمين بما أَراد أَميرُ المؤمنين بها ، وآثر طاعةَ الله والنظرَ لنفسه ولــكم فيها ، شاكرين لله على ما أَلهم [1] أَميرَ المؤمنين من قضاء حقّه فى رعايتكم ، وحِرْصِه على رشده وصلاحــكم ، راجين عائِدَتَه [2] فى ذلك فى جَمْــعِ أُلفتكم ، وحقن دمائكم ، ولَــمِّ شعثــكم ، وسدِّ ثغوركم وقُوَّةِ دينــكم ، ورغْمِ عَدُوِّكم ، واستقامةِ أُموركم . وسارعوا إلى طاعة الله وطاعة

(١) في صبح الأعشى ٣٦٦ ‍ـ٩ على ما ألهم أمير المؤمنين من نصاحته في رعايتكم .

(٢) العائدة : المعروف والعطف .

أَمير المؤمنين ، فإن الأَمرَ [1] إن سارعتم إليه ، وحمِدْتم الله عليه ، عرفتم الحَظَّ فيه إن شاءَ الله .

وكَتَبَ بيده يوم الاثنين لسبْعٍ خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين .

ثم إنه تقدم إلى علىّ بن موسى وقال له : اكتُب خطك بقبول هذا العهد وأَشهدِ اللهَ والحاضرين عليك بما تَعِدُه فى حق الله ورعاية المسلمين .

فكتب علىٌّ الرِّضَى [2] تحته

الحمد لله الفعَّال لما يشاءُ ، لا مُعَقِّب لحكمه ، ولا رادَّ لقضائه ، يعلم خائنة الأَعين وما تُخفى الصدور ، وصلواته على نبيه محمدٍ خاتَم النبيين ، وآله الطيبين الطاهرين ، أَقول – وأَنا علىٌّ بنُ موسى بن جعفر – : إن أَمير المؤمنين – عضَّده الله بالسداد . ورَفَعه [3] بالرشاد – عَرَف من حقِّنا ما جهله غيره ، فوصل أَرحاماً قُطعت ، وأَمَّن أَنفسا فَزِعَتْ ، بل أَحياها وقد تَلِفَت ، وأَغناها إذ

(١) في صبح الأعشى : فإنه الأمر .

(٢) صبح الأعشى حـ ٩ ص٣٩١ وضبط الرضى على وزن تَقِىّ .

(٣) في صبح الأعشى : ووفقه .

افتقرت ، مُتَتَبِّعا رِضَى رَبّ العالمين ، لا يريد جزاء من غيره ، وسيجزى اللهُ الشاكرين (١٨٦ ب) ولا يُضِيع أَجر المحسنين ، وإنه جعل إلَيَّ عَهْدَه ، والإمرَة الكُبرى إنْ بَقِيتُ بعده ، فمن حلَّ عُقدةً أَمر الله بشدِّها ، أَو فَصَم عُرْوَةً أَحبَّ الله إيثاقها ، فقد أَباح حَرِيمه ، وأَحل مُحَرَّمه ، إذ كان بذلك زَارِياً على الإمام [1] منتهكا حرمة الإسلام ، بذلك جَرَى السالفُ فصبر منه على الفَلَتَات ، ولم يُعْتَرَضْ بعدها على العَزَمات ، خوفا على شَتَات الدِّين ، واضطراب حبل المسلمين ، ولقُرْب أَمر الجاهلية ، ورَصْدِ فُرصةٍ تُنتَهز ، وبائقَةٍ [2] تُبْتَدَرْ ، وقد جعلتُ الله تعالى على نفسى - إن استرعانى على المسلمين ، وقلدنى خلافته - العَمَلَ فيهم عامة ، وفى بنى العباس بن عبد المطلب خاصّة ، بطاعته وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أَن لا أَسفك دماً حراماً ، ولا أُبيح فَرْجاً ولا مالا إلا ما سفكه حُدودُه ، وأَباحته فرائضه ، وأَن أَتخيَّر الكُفاة جُهْدِى وطاقتى . جعلت بذلك على نفسى عهدا مُؤَكَّدا يَسْأَلُنى عنه فإنه

(١) في الأصل : « الأنام » والتصويب من صبح الأعشى .

(٢) في صبح الأعشى : وباقية .

عز وجل يقول ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ (١) فإن حُدْتُ (٢) أَو غيرت أَو بدلت كنت للغِيَر مستحــقًّا ، وللنــكال متعرّضاً ، وأَعوذ بالله من سَخَطه ، وإليه أَرغب فى التوفيق لطاعته ، والحَوْلُ بينى وبين معصيته فى عافية ، والجَامعةُ والحَصْرُ يدُلَّان على ضد ذلك (٣) ﴿ ومَا أَدْرى مَا يُفْعَلُ بِــى وَلاَ بِــكُم ﴾ (٤) ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (٥) لكنى امتثلت أَمر أَمير المؤمنين ، وآثرت رضاه ، والله يعصمنى وإياه ، وأَشهدت الله على نفسى بذلك ﴿ وكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا ﴾ (٦) .

وكتبتُ بخطى بحضرة أَمير المؤمنين ـ أَطال الله بقاءه ـ والفضلِ بنِ سَهْــلٍ ، وسهْلِ بن الفضل ، ويحي بن

(١) سورة الإسراء الآية ٣٤ .

(٢) في صبح الأعشى فإن أحدثت أو غيرت .

(٣) جملة : « في عافية والجامعة والحصر يدلان على ضد ذلك » جاءت في صبح الأعشى تصحيحا من المحققين : « في عامة المسلمين والخاصة والحضر يدلان عــلى ضد ذلك » وبالهامش ما يأتي : « ثبتت هذه العبارة في الأصل وعليها علامة التوقف . ولم نعثر عليها في غير هذا الكتاب فتأمل » هذا والجامعة من معانيها العــلاقة . والحصر : الاستيعاب . ويريد أن العلاقة بينه وبين أسرته والخليفة واستيعاب أموره يدلان على ضد المعصية التى يطلب من الله أن يحول بينه وبينها في عافية .

(٤) سورة الأحقاف الآية ٩

(٥) سورة الأنعام الآية ٥٧

(٦) النساء ٧٩/١٦٦ والفتح ٢٨

أَكْثَم ، والْبِشْرِ بن[1] المُعْتَمِر ، وحمّادِ بنِ النُّعمان ، فى شهر رمضان سنة إِحدى ومائتين .

ثُم كتب فيه من حَضَر من هؤلاء ، وهذه صورة كتابتهم فيه :

فكتب الفضل بن (١٨٧ ا) سهل وزيرُ المأْمون ما صورته :

رسم أَميرُ المؤمنين أَطال الله بقاءه قراءة مضمون هذا المكتوب : ظهرِهِ وبطنه ، بِحَرَم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين الروضة والمِنبر ، على رؤوس الأَشهاد ، ومَرأًى ومَسْمَعٍ[2] من وجوه بنى هاشم وسائر الأَولياء والأَجناد ، وهو يسأَل الله أَن يعرِّف أَميرَ المؤمنين وكافَةَ المسلمين بركةَ هذا العهد والميثاق ، بما أَوجب أَميرُ المؤمنين الحجّةَ به على جميع المسلمين ، وأَبطل الشبهة التى كانت اعترضت آراءَ الجاهلين ﴿ مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾[3] .

(١) في صبح الأعشى : بشر .

(٢) في الأصل ومرأ وسمع والتصويب من صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٩٣

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٩

وكتبَ الفضلُ بنُ سهلٍ فى التاريـخ المعيَّن فيه .

وكتب عبدُ الله بنُ طاهرٍ ما صورته :

أَثبتَ شهادَتَه فيه بتاريخـه عبدُ الله بن طاهر بن الحُسَين .

وكتب يحيى بنُ أَكثم القاضى ما صورته :

شهد يحيى بنُ أَكثم على مضمون هذه الصحيفة ظهرِها وبطنها . وكتَبَ بخطه بالتاريـخ .

وكتب حماد بن النعمان ما صورته :

شهد حمّاد بن النُّعمان بمضمونه ظهره وبطنه ، وكتب بيده بتاريخـه .

وكتب بشر بن المعتمر ما صورته :

شهد بمثـل ذلك بشر بن المعتمر وكتب [بخطه] بالتاريـخ .

المذهب الثاني

فى العهود التى تكتب للخلفاء أن يفتتح العهد بالحمد لله .

قلت : وعليه العمل فى زماننا مع الاقتصار على تحميدة واحدة والاختصار (١٨٧ ب) فى القول .

وعلى ذلك

كُتب عن أَمير المؤمنين المستكفى بالله أَبى الربيع سليمانَ لولده المستوثق بالله بَرَكَةَ (١) .

وهذه نسخته

الحمدُ لله الذى أَيَّد الخلافة العباسية بأَجلِّ والد وأَبَرِّ ولد ، وجعلها كلمةً باقية بالسَّنَد والسَّنَد فالسَّنَدَ ، وآواها من إمرتهم إلى الكهف (٢) فالكهف وإن تناهى العَدَد ، وزان عِطْفَها بسُؤْدَد سَواد شعارِهم المُسَّجلةِ أَنواره (٣) ، ولا شك أَن النُّور فى السواد ، وعَذَقَ بصولتهم النبوىِّ

(١) فى صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٨٩ المستوثق بالله بركة بالخلافة بعده وهذه نسخته .

(٢) في صبح الأعشى : في عقبه والسند كالسند وأواهم من أمرهم . . .

(٣) في صبح الأعشى : أنوارهم.

مُعجِزُها كُلَّ مُنْآد [1] . نحمده على ما منَّ به من تمام النعمة فيهم ، ونزول الرحمة ببواقيهم [2] ونشهد أَن لا إِله إلاَّ الله وحده لا شريك له شهادةً محضةَ الإِخلاص ، كافلاً محضُها بالفَكاك من أَسْرِ الشِّرْك والخَلاص ، ونشهد أَن محمدا عبده ورسوله المبعوث بما أَوضح سُبُل الرَّشاد ، وقَمَع أَهلَ العناد ، والشفيعُ المُشفَّع يوم التَّنَاد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً لا انقضاء لها ولا نفاد ، وسلّم تسليما كثيرا .

وبعدُ فإِن أَمير المؤمنين – ويذكر اسمه – يعتصم بالله فى كل ما يأْتى ويذَر ، مما جعل له من التفويض ، ويُشير إلى الصواب فى كل تصريح منه وتعريض ، وإِنه – شدّ الله أَزْرَه وعظَّم قدره – استخار الله سبحانه وتعالى فى الوصيّة بما جعله الله له من الخلافة المعظَّمة المفخمة الموروثة عن الآباء والجدود ، المُلْقاةِ إِليه مقاليدُها كما نص عليه ابنُ عمِّه صلى الله عليه وسلم فى الوالد من قُرَيْش

---

(١) الجملة أيضا في صبح الاعشى وكتب منادّ بتشديد الدال . وفي مخطوطنا متاد . وعلق في هامش صبح الأعشى على كلمة عدق (لعلها قدع اى كف) . هذا وعدق يده أدخلها في نواحى البئر ونحوها كأنه يطلب شيئاً . أما عذق فهى من عذقه به رماه به ووسمه به ومع كلمة عذق يستقيم المعنى وستأتى الكلمة أيضا وتؤدى هذا المعنى.

(٢) في صبح الأعشى : بتوافيهم .

والمولُود ، لِولَدِه السيِّدِ الأَجلِّ المعظم المكرم فلان ، سليل الخلافةِ وشِبْلِ غابها ، ونُخْبةِ أَحسابها وأَنسابها ، (١١٨٨) أَجلَّه الله وشرَّفه ، وجمَّل به عِطْف الإمامة وَفَوَّفَه ، لِما تَلمَّحه فيه من النجابة اللائحة على شمائله ، وظهر من مُسْتَوْثَقِ إبداء سِرِّه فيه بدلائل بُرهانه وبُرهان دلائله ؛ وأَشهدَ على نفسه الكريمة - صانها الله تعالى - سيدُنا ومولانا أَميرُ المؤمنين مَنْ حضر من حكام المسلمين : قُضاة قضاتهم وعلمائهم وعُدولهم مجلِسَه الشريف أَنه رضى أَن يكون الأَمرُ فى الخلافة المعظمة - الذى جعله الله له الآن - لولده السيد الأَجل فلان بعد وفاته ، فسَّح الله فى أَجله . وعهد بذلك إليه ، وعوَّل فى أَمر الخلافة عليه ، وأَلقى إليه مقاليدها ، وجعل بيده زمام مُبْدِئها ومُعيدها ، وصَّى له بذلك كلِّه جُزْئِيِّه وكلِّيه ، وغامضه وجَلِيِّه ، وصيَّةً شرعِيَّةً بشروطها اللازمة المعتبرة ، وقواعدها المُحرَّرة ، وأَشهدَ عليه بذلك فى تاريخ كذا .

قلت : وقد أَنشأْت على هذه الطريقة عهدا على لسان الإمام الأَعظم المتوكل على الله أَبى عبد الله محمد لابنه الإمام الأَعظم المستعينِ بالله أَبى الفضل العباس ، امتحانا للذهن

قبل وفاة المتوكل وانتقال الخلافة بالبيعة لابنه المستعين بنحو ثمان سنين ، فاتفق أن كان هو الذى ولى الخلافة بعده من أولاده .

وهذه نسختـــه [1]

هذا عهدٌ سعيدُ الطالع ميمون الطائر ، مبارك الأَول ، جميـــل الأَوسط ، حميدُ الآخر ، تشهد به حَضراتُ الأَملاك ، وتَرْقُمه كَفُّ الثُّريَّا بـأَقلام القَبول فى صحائف الأَفلاك ، وتُبـــاهى به ملوكُ الأَرض ملائـــكةَ السَّمَا ، وتسرى بنشره القَبُول [2] فَتنشر له بـــكلّ ناحية عَلَما ، وتُطْلِـــعُ به سعادةُ الجَدِّ من مُلوك العدل فى كل أُفق نجما ، وترقص من فرحها الأَنهارُ (١٨٨ ب) فتُنَقِّطها شمسُ النهار بذهب الأَصيل على صفحات الْما ، عَهِدَ به عبدُ الله ووليُّه أَبو عبد الله محمدٌ المتوكلُ على الله أَميرُ المؤمنين إلى ولده السيد الجليل عُدَّة الدينِ وذخيرته ، وصَفِىِّ أَمير المؤمنين من ولده وخِيرَتِهِ ، المستعينِ بالله أَبى الفضل العبَّاس ، بلَّغ الله

(١) صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٦٩

(٢) في صبح الأعشى بنشره القبول إلى الأقطار فتنشر . . .

فيه أَميرَ المؤمنين غاية الأَمل ، وأَقرَّ به عينَ الخلافة العباسية كما أَقرَّ به عين أَبيه وقد فعل .

أَما بعدُ ، فالحمد لله حافظِ نظام الإِسلام وواصل سَبَبِه ، ورافعِ بيت الخلافة ومَادِّ طُنُبه ، وناظِمِ عِقْد الإِمامة المعظمة فى سلك بنى العباس وجاعِلها كلمةً باقية فى عَقِبه .

والحمد لله الذى عَذَقَ أَمْرَ الأُمة منهم بأَعظمهم خطرا ، وأَرفعهم قدرا ، وأَرجحهم عقلا ، وأَوسعهم صدرا ، وأَجزلهم رأْيا ، وأَسلمهم فكرا .

والحمد لله الذى أَقرَّ عين أَمير المؤمنين بخير ولى وأَفضل ولد ، وشدَّ أَزره بأَكرم سيّد وأَعز سند ، وصرف اختياره إلى من إذا قام بالأَمر بعده قِيلَ هذا الشبلُ من ذاك الأَسد .

والحمد لله الذى جمع الآراء على اختيار العاهد فما قَلَوْه ولا رَفضوه ، وجبلَ القلوبَ على حب المعهود إليه فلم يَرَوْا العدولَ عنه إلى غيره بوجه من الوجوه .

والحمد لله الذى جدَّد للرعية نعمةً مع بقاء النعمة الأُولى ، وأَقام لأَمرِ الأُمة من بنى عم نبيّه المصطفى الأَوْلى بذلك

فالأَوْلى ، واختار لعهد المسلمين من سبقت إليه فى الأَزل إرادته فأَصبح فى النفوس معظَّما وفى القلوب مقبولا .

والحمد لله الذى أَضحك الخلافة العباسية بوجود عبّاسها ، وأَطاب بذكره رَيَّاها فتعطر الوجود بطيب أنفاسها ، ورفع قدره بالعهد إليه إلى أَعلى رتبةٍ مُنِيفة ، وخصَّه بمشاركة جده العباس فى الاسم والكُنية ففاز بما لم يفز به قبلَه منهم ستٌّ (١) وأَربعون خليفة .

والحمد لله (١١٨٩) الذى أَوجب على الكافة طاعة أُولى الأَمر من الأَئمة ، وأَلزمهم الدخول فى بيعة الإمام والانقياد إليه ولو كان عبدا أَسود ، فكيف بمن أَجمع على سؤدده الأُمَّة ، وأَوضح السبيل فى التعريف بمقام الآل والعتْرة النبوية فَلاَ ﴿ يكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّة ﴾ (٢)

يَحمدُه أَميرُ المؤمنين على ما منحه من طيب أُرومة سمتْ أَصلا وزكتْ فرعا ، وحباه من شرف مَحْتِدٍ راق نظرا وشاق

(١) في هامش صبح الأعشى ما يأتى :

ذكر اسم العدد على حد ما أنشده الفراء :

أبوك خليفة ولدته أخرى   وأنت خليفة ذاك الكمال

(٢) هى من الآية « ثم لا يكن أمركم عليكم غمة » سورة يونس الآية ٧١

سمعا ، ووصله به من نعم آثرتْ نفّاعا وأَثَّرتْ نفعا .

ويَشهد أَن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة يتوارثونها كالخلافة كابرا عن كابر ، ويوصى بها أبدا الأَولُ منهم الآخر ، ويؤذن قيامهم بنصرتها أَنهم معدن جوهرها النفيس ونظام عِقْدِها الفاخِر . ويشهد أَن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، الذى خصَّ عمَّه العباسَ بكريم الحِبَاء وشريف الإِنافة ، ونبه على بقاء الأَمر فى بنيه بقولٍ ضَلَّ من أَظهر عناده أَو أَضمر خِلافه ، حيث أَسرَّ إِليه : أَلاَ أُبشرك يا عَمّ ، بى خُتمت النبوةُ وبولدك تختم الخلافة . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً تعم بركتُها الولد والوالد ، ويشمل معروفها المعهودَ إليه ويَعرِفُ شَرَفَها العاهد ، ويعترف بفضلها المُقِرُّ ولا يسع إنكارُها الجاحد ، ما نُوِّهَ بذكر الخلافة العباسية على أَعواد المنابر ، وخفقت الرايات السودُ على عساكر المواكب ومواكب العساكر ، وسلَّم تسليماً كثيرا .

هذا وكلٌّ راع مسئولٌ عن رعيته ، وكل امرئٍ محمول على نِيَّتِه ، مُخبِرٌ بظاهره عن جميل ما أَكَنَّه فى صدره وما أَسرَّه فى طَوِيَّتِه ، والإِمام منصوبٌ للقيام بأَمر الله

تعالى فى عباده ، مأمور بالنصيحة لهم جُهْدَ طاقته وطاقةَ اجتهاده ، مطلوبٌ بالنظر فى مصالحهم فى حاضر وقتهم ومستقبله وبدءِ أَمرهم ومعاده ، ومن ثَمَّ اختلفت آراءُ الخلفاء الراشدين فى العهد بالخلافة وتباينت (١٨٩ ب) مقاصدهم ، وتنوَّعت اختياراتُهم بحسب الاجتهاد واختلفت مواردُهم ، فعهِد الصديق إلى عمر بن الخطاب [١] متثبتاً ، وتركها عمر شورى فى ستة وقال : أَتحمل أَمركم حياً وميتاً : وأَتى رضى الله عنه لكلٍّ من المذهبين بما أَذعن له الخصم وسلَّم ، فقال : إن أَعهد فقد عَهِد من هو خير منى أَبو بكر ، وإن أَترك فقد ترك من هو خير منى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فأَخذ الخلفاء فى ذلك بسنتهما ، ومشوا فيه على طريقتهما ، فمن راغب عن العهد وراغب فيه ، وعاهد إلى بعيد منه وآخر إلى ابنه أَو أَخيه ، كل منهم بحسب ما يؤدى إليه اجتهادُه ، وتَقوى عليه عزيمته ويترجّح لديه اعتماده .

ولما كان أَمير المؤمنين – أَحسن الله مثابه [٢] – قد

(١) في صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٧٢ رضى الله عنه .

(٢) في صبح الأعشى مآبه .

نوّر الله عين بصيرته ، وخصه بطهـــارة سره وصفاء سريرته ، وآتاه الله الملك والحِـكمة ، وأقامه لمصالح الرعية وصلاح أَمر الأُمَّة ، وعلّمه مما يشاءُ فكان له من علم الفراسة أَوفر قَسْم ، واصطفاه على أَهل عصره وزاده بَسْطة فى العلم والجسم . فلا يعزم أَمرا إِلا كان رشادا ، ولا يعتمد فعلا إِلا ظَهَر سداداً ، ولا يَرْتئـى رأْيا إِلا أُلْفِى صوابا ، ولا يشير بشىء إِلاّ حُمِدت آثارُه بداية ونهاية واستصحابا . ومع ذلك فقد بَلاَ الناسَ وخبرَهم ، وعلم بالتجربة حالهم وخَبَرَهم ، واطَّلـع بحسن النظر على خفايا أُمورهم ، وما به مصلحةُ خاصَّتهم وجمهورهم ، وترجَّـح عنده جانبُ العهد على جانب الإِهمال ، ورأَى المبادرة إِليه أَولى من الإِمهال ، ولم يزل يُرَوِّى فـكرته ، ويُعْمِل رَوِيَّته ، فيمن يصلح لهذا الأَمر بعدَه ، وينهض بأَعبائه الثقيلة وحدَه ، ويتَّبـع فيه سبله ويسلك طرائقه ، ويقتفى فى السيرة الحسنة أَثره ويشيم فى العدل بوارقَه ، ويُقْبِل على الأَمر بـكلّيّته ويقطع النظر عمّا سواه ، ويتفرّغ له من كل شاغل فلا يخالطه بما عداه .

وقد علم أَن الأَحق بأَن يـكون لها حَلِيفاً من كان بها

خليقا ، (١١٩٠) والأَولى بأَن يكون لها قرينا من كان بوصلها حقيقا ، والأَجدرَ أَن يكون لديها مكينا من اتخذ معها يَدًا وإلى مرضاتها طريقا ، والأَليقَ بمنصبها الشريفِ من كان مطلوبها مَلِيّا ، والأَحْرَى بمكانها الرفيع من كان بمقصودها وَفِيّا ، والأَوفقَ لمقامها العالى من كان خيرًا مَقاما وأَحسن نَدِيّا . وكان وَالدُه السيدُ الأَجلُّ أَبو الفضل العباسُ المشار إِليه هو الذى وجَّهَت الخلافةُ وجهَهَا إلى قِبْلته ، وبالغت فى طلبه وأَلحَّتْ فى خِطْبته ، على أَنه قد أُرضِعَ بِلبانِها ورُبِّىَ فى حِجْرِها ، وانتسب إليها بالنبوة فضمَّته إلى صَدْرِها ، وكيف لا تَتَشبَّث بجماله ، وتتعلق بأَذياله ، وتطمع فى قربه ، وتتغالى فى حبه ، وتميل إلى أُنسه ، وتراوده عن نفسه ، وهو كُفؤها المستجمع لشرائطها المتصف بصفاتها ، ونَسيبها السامى إلى أَعاليها الراقى على شُرُفاتِها ، إِذ هو شِبلُها الناشىء فى آجامها ، بل أَسدها الحامى لحماها [١] ومجيرها الوافى بذمامها ، وفارسها المُقدَّم فى حَلْبة سباقها ووارثها الحائز لجميع سهامها ، وحاكمُها الطائع لأَمرها ، ورشيدها المأْمون على سِرّها ، وناصرها القائم بواجبها ،

(١) فى الأصل : « لحماتها » والتصويب من صبح الأعشى جـ ٩ ص ٣٧٣

ومَهْديُّها الهادى إلى أفضل مذاهبها ، فقد التحف من الخلافة بردائها ، وسكن من القلوب فى سويدائها ، وتوسّمَت الآفاق تفويضَ الأَمر إليه بعد أَبيه فظَهَر الخَلُوق فىأَرجائها : واتّبع سيرة أَبيه فى المعروف واقتفى أَثره فى الكرم ، وتشبه به فى المفاخر ومن يشابه أَبَهُ فما ظلم ، وتقبَّلَ الله دعاءَ أَبيه فوهب له من لَدُنْه وَلِيّا ، وأَجاب نداءَه فيه فمكَّن له فى الأَرض وآتاه الحُكْم صَبِيّا ، فاستوجب أَن يكون حينئذ للمسلمين وَلِىَّ عهدهم ، والياً على أُمورهم فى حَلِّهم وعَقْدهم ، متكفّلا بالأَمر فى قربه وبعده ، معينا لأَبيه فى حياته خليفةً له من بعده ، وأَن يُصرِّح له بالاستخلاف ويُوَضِّح ، ويتلُوَ عليه بلسان التفويض ﴿ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وأَصْلِحْ ﴾ (١)

واقتضتْ شفقةُ (١٩٠ ب) أَمير المؤمنين ورأْفتُه ، ورِفْقُه بالأُمة ورحمته ، أَن يَنْصِب لهم ولىَّ عهد يكون بهذه الصفات مُتَّصِفا . ومن بحره مُغترفا ، ومن ثمار معروفه المعروف مُقْتطِفا ، ولمَنْهله العذب واردا ، وعلى بيته الشريف وسائر الأُمة بالخير عائدا ، فلم يجد من هو

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٢

مستــكملٌ لجميعها ، مستوعبٌ لأُصولها وفروعها ، وهو بمطلوبها أَمْلى ، وعلى قلوب الرَّعية أَحلى ، وللغليل أَشْفَى ؛ وبالعهد الجميل أَوفى ، من ولدِه المشارِ إِليه . فاستشار فى ذلك أَهل الحل والعقد من قُضاته ، وعلمائه [وأُمرائه] (١) ووزرائه وذويه ، وأَقــاربه وبنيــه ، وأَعيـان أَهــل العصر وعامَّته ، وجمهوره وكافَّته ، فرأَوه صوابا ، فلم تَعْرُهم فيه ظِنَّةٌ ولا مُسترابًا (٢) . ولا وجد أَحد منهم إِلى باب غيره طريقاً ولا إِلى [طريق] غيره بابا ، فاستخار الله تعالى فيه فأَقبل خاطرُه الشريفُ عليه ، وكرَّر الاستخارةَ فلم يجد عنه مَحيدا إِلاّ إِليه ، فلما رأَى أَن ذلك أَمرٌ قد انعقد عليه الإِجماعُ قولا وفعلا ، وعُدم فيه المخالف بل لم يــكن أَصلا ، حَمِد الله تعالى وأَثنى عليه ، وسأَله التوفيق ورغب إِليه ، وجدَّد الاستخارة وعهد إِليه بـأَمر الأُمة ، وقلده ما هو متقلده من الخلافة المقدسة بعده ، على عادة من تقدمه من الخلفاء الماضين ، وقاعدة من سلف من الأَئمة المَهْديِّين ، وفوض إِليه ما هو من أَحكامها ولوازمها ، وأُصولها ومَعَالمها ، من عَهْدٍ ووصاية ، وعزل وولاية ، وتفويض

(١) زيادة من صبح الأعشى : ص ٣٧٤ .
(٢) نصب مسترابا لأجل السجع .

وتقليد ، وانتزاع وتخليد ، وتفريق وجَمْع ، وإعطاء ومَنْع ، ووصل وقطع ، وصِلَةٍ وإدرار ، وتقليل وإكثار ، جزئيّها وكُلِّيِّها ، وخَفيها وجَلِيِّها ، ودانيها وقاصيها ، وطائعها وعاصيها ، تفويضاً شرعِيًا ، تامًّا مَرضيًّا ، جامعا لأَحكام الولاية جمعاً يعُمُّ كلَّ نطاق ، ويُرى حكمُه فى جميع الآفاق ، ويدخل تحته سائر الأَقاليم والأَمصار على الإطلاق (١٩١ ا) لا يُغيَّر حُكْمُه ، ولا يَنْجلى[1] رَسْمُه ، ولا يَطيش سهمه ، ولا يأْفُلُ نَجْمُه .

قَبِلَ المعهودُ إليه - أَعلى الله مقامَه - ذلك بِمَحْضَر من القضاة الحُكَّام ، والعلماء الأَعلام ، ولزِمَ حُكْمُه وانبَرم ، وكُتب فى سجلات الأَفلاك وارتَسم ، وحُمِلت رسائلُه مع بُرُدِ السحاب وطافت به على سائر الأُمم . وهو - أَبقاه الله - مع ما طبعت عليه طباعُه السليمة ، وجُبلت عليه سجاياه الشريفة وأَخلاقه الكريمة ، قد تلقى[2] عن أَمير المؤمنين من شريف الآداب ما غُذِّىَ به فى مَهْدِه ، وتلقَّفَ منه من حُسن الأَدواتِ ما يرويه بالسند عن أَبيه

(١) في صبح الأعشى ص ٣٧٥ : ولا يمحى رسمه .

(٢) في الأصل : « فقد تلقى » والتصويب من السياق وصبح الأعشى .

وجَدِّه ، مما انطبــع فى صفاء ذهنه الصقيل وانتقَش فى فهمه ، واختلط من حال طُفُولِيَّته بدمه ولحمه [1] ، حتى صار طبعا ثانيا ، وخُلُقا على مَمَرِّ الزمان باقيا ، واجتمع لديه الغريزىُّ فــكان أصلا ثابتا ، وفرعاً على ذلك الأَصل القوى نابتـا . لــكن أَمير المؤمنين يوصيه تبرُّكا ، ويشرح له ما يــكون به إن شاءَ الله تعالى مُتمسِّــكا ، والمرءُ إلى الأَمر بالخير مندوب ، ووصيّة الرجل لبنيه مطلوبة ، فقد قال تعالى ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ [2]

فعليك بمراقبة الله تعالى فمن راقب الله نـجا ، والتقوى [3] رأْس ما لك ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا ﴾ [4] والجأْ إلى الحق فقد فاز من إلى الحق لَجَا ، وكتابُ الله هو الحبل المَتين ، والــكتاب المُبين ، والمنهج القويم . والسبيلُ الواضح والصراط المستقيم ، فتمسَّكْ منه بالعُرْوَة الوُثقى ، واسلك طريقته المثلى واهتد بهديه فلا تَضل ولا تَشقى ، وسُنَّةُ نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم عليك بالاقتداء

(١) في صبح الأعشى : بدمه ولحمه وعظمه .
(٢) سورة البقرة الآية ١٣٢
(٣) أضاف محققو صبح الأعشى كلمة و[اجعل] التقوى . .
(٤) سورة الطلاق الآية ٢

بـأَفعالها الواضحة ، والإصغاء لآثار أَقوالها الشارحة ، عالمــا بـأَن الـكتـاب والسنة أَخوان [1] لا يفترقان ومتلازمان بحبل التَّبايُنِ لا يَعْتلقان ، والبلادَ والرعايا فحُطْهما بنظرك ما استطعت ، وتَثَبَّتْ فى كل قَطْـع ووَصْل فـأَنت مسئول عن كل ما وصلتَ وقطعْت ، والآلَ والعِتْرة (١٩١ ب) النبويةَ فَفِهِمَا [2] حقَّ القرابة منك ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى شرفت به ، واعلم أَنك إذا أَكرمت أَحداً منهم فإنما أَكرمته بسببه ، واتَّبـع فى السيرةِ سيرَةَ آبائِـك الخلفــاء الراشدين لا تَزِغْ عنها ، ولا تعملْ إلا بها وبما هو - إن استطعت - خيرٌ منهــا ، واقْفُ فى المعروف آثارهم المقدسة لتحْوى من المــآثر ما حَوَوْا ، واحْذُ حَـذْوهم فى طريقهم المباركةِ وابْنِ المجدَ كما بَنَوْا ، وأَحْيِ من العمل سنَّةَ سلفك المُصْطَفَيْن الأَخيار ، واحرص أَن تـكون من الأَئمة الذين يُظلهم الله تحت ظل عرشه ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ . يَوْمَ لاَ يَنْفَـعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [3]

(١) في الأصل : أخوين وهو تحريف وورد صوابا في صبح الأعشى .

(٢) في الأصل ففيهما . وقوله « ففهما » أمر من وَفَى

(٣) سورة غافر الآية ٥١ والآية ٥٢

وأَسْلِفْ خبرا تُذكَرُ به على مَرِّ الليالى ، وينتظم ذكره لك فى عقود الأَيام كما تنتظم فى السلك [1] اللآلى ، وليكن قصدُك وجْهَ الله ليــكون فى نصرتك فإِن من كان الله تعالى فى نصرته لا يُبالى ، ولْتَعْلَمْ حقَّ اليقين أَن حسنة الإِمام تضاعفُ بحسب ما يترتب عليه من المصالح أَو يتجــدَّد بسببها ، وسيِّئَتُهُ كذلك فمن سَنَّ سيئة كان عليه إِثمها وإِثم من عمل بها ، ودُرْ مع الحق كيْفَ دار وَمِلْ معه حيث مال ، واعلم بأَن ﴿ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَــا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّروا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَــلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَال ﴾ [2] ولا يَخْطُرْ ببالك أَنَّ هذا الأَمر انتهــى إِليكَ بقُوَّة ، أَو يَغُرَّك ما قدمناه من الثناء عليك فالتَّأَثُّر بالمدح مُخِلٌّ بالمُرُوَّة ، ولا تَتَّــكِلْ على نسبك فمن أَطاع الله أَدخله الجنة ولو كان عبدًا حبشيّا ، ومن عصاه أَدخله النار ولو كان هاشميًّا قُرَشِيّا ، واستَنْصِرِ اللهَ واستعن به يــكن لك عوناً وظَهيرا ، واستهــده يهدك ﴿ وَكَفَى بِرَبِّك هَادِيًا وَنَصِيرا ﴾ [3] وكن لله خائفا

(١) في الأصل : « في سلك اللآلى » والتصويب من صبح الأعشى .

(٣) سورة الرعد الآية ١١

(٣) سورة الفرقان الآية ٣١

ومن مكره من المُشفقين ، فإنّ ﴿ الأَرْضَ لِلّٰه يُورِثُها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين ﴾[1] .

هذا عهد (١١٩٢) أَمير المؤمنين إليك ، ووصيته تُمْلَى عليك ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المؤمِنين ﴾[2] والله تعالى يُبَلِّغه منك أَملا ، ويُحقِّق فيك علما ويُزَكِّى بك عملا .

والاعتماد على الخطِّ المُقَدَّس الإِمامِىِّ المتوكِّلِىِّ ـ أَعلاه الله تعالى ـ أَعلاه ، حُجَّةٌ فيه إن شاء الله تعالى .

تنبيه : قد تقدَّم فى آخر البيعات نقلا عن محمد بن عمر المدائنى أَنه كان يكتب للخلفاء فى قرطاس من ثُلُثَى طومار ، وهو الثلثان من القَطْع البغدادى ، وأَن الذى يظهر أَن ذلك كان فى أَوائل أَمرهم ، وأَنه كان يُكتب لهم أَخيرا فى قطع البغدادى الكامل ، أَما الذى استقر عليه الحال فيما يكتب من العهود بالخلافة عن خلفاء بنى العباس بالديار المصرية أَنه يُكتب لهم فى قطع الشامى الكامل بقلم الثلث الخفيف .

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٢٨

(٢) سورة الذاريات الآية ٥٥

الفهارس

٢ ــ فهرس الآيات القرآنية ، وحديث

٣ ــ فهرس القوافى

٤ ــ الكتب التي ذكرها المؤلف

٥ ــ فهرس الاعلام (١)

(١) ترتيب الاعلام دون نظر لأب أو أم أو ابن ومع عدم اعتبار « ال » .

٦ ـ الأماكن والطوائف

٧ ــ الطرائف والنوادر

(١) انظر الأوائل في فهرس الجزء الأول ، والأوائل في الجزء الثالث .

مآثر الإنافة

في

معالم الخلافة

للقلقشندي

٧٥٦ - ٨٢٠ هـ

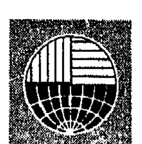
الجزء الثالث

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

عالم الكتب





بيـروت - المزرعـة بنـايـة الايـمـان - الـطابـق الأول - ص . ب . ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

البـــاب الرابـــع

فيما يـــكتب عن الخلفاء لأَتباعهم من أرباب المناصب من العهود ، وفيه فصلان :

الفصل الأَول

فيما يـــكتب عنهم من العهود للملوك ، وهو المستمر مما كان يـــكتب عنهم من الولايات إلى الآن ، وللـــكتاب فيه أَربعة مذاهب .

المذهب الأَول

أَن يفتتح العهد بعد البسملة بلفظ : هذا ، مثل أَن يقال : هذا عَهْدٌ عَهِد به فلان لفلان . وهذا ما عهد فلان لفلان ، أَو هذا ما أَمر به فلان فلانا ، أَو هذا كتاب اكتتبه فلان لفلان ، وما أَشبه ذلك ، ثم يقال : أَمره بـــكذا ، وأَمره بـــكذا ، حتى يأْتى على ما يُؤْثِره من المأْثورات المتعلقة بالعهد مما يناسب الحال إلى آخر القصد . ثم زاد الـــكُتَّاب أَن يقال فى آخر العهد : هذا عهد أَمير المؤمنين إليك ، وحجته عليك ، أَو نحو ذلك ، ويؤتى بما يطابق المقصـــد ،

وهذه هى طريقة الأقدمين من السلف فمن بعدهم فى صدر الإسلام ، وما وليه ، وعليه جرى المُحَقِّقون من متأخِّرى الكُتَّاب بالدولة العباسية بالعراق ، وإلى (١٩٢ ب) حين انقراضها إلا فى القليل النادر مما سيأتى ذكره ، مما شذ عن ذلك ، وعلى هذا المنوال نسج أفاضل كُتَّابِ الديار المصرية فيما كتبوا به لملوك الديار المصرية ، إلا أنهم عدلوا عن لفظ « أمره » إلى ما يتضمن معنى الأمر دون تصريح بلفظه .

والأصل فى ذلك ما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم حين وجه عَمْرَو بنَ حزمٍ إلى اليمن كتب له كتاب عهد أمَره فيه أمْره .

وهذه نسخته (١)

فيما ذكره ابنُ هشام وغيرُه .

هذا بيانٌ من الله ورسوله ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (٢) . عهد من محمد النبي رسول الله لعمرِو بن

(١) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٩ وهذه نسخته بعد البسملة فيما ذكره ابن هشام وغيره .
(٢) سورة المائدة الآية ١

حَزم (١) ، أَمره بتقوى الله فى أَمره كُلِّه ، فإن ﴿ اللَّهَ مَعَ الَّذِين اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (٢) . وأَمره أَن يأْخذ بالحق كما أَمره الله ، وأَن يبشر الناس (٣) بالخير ويأْمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه ، وينهى الناس فلا يمس القرآن إنسانٌ إلاَّ وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم والذى عليهم ، ويَلِين للناس فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم . فإن الله كره الظلم ونهى عنه ، فقال ﴿ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٤) ويُبشِّر الناس بالجنة وبعَمَلِها ، وينذر الناسَ النارَ وعَمَلَها ، ويتأَلَّف (٥) الناسَ حتى يَفْقَهوا فى الدين ، ويُعلِّم الناس معالمَ الحجِّ وسُنَّتَه وفريضته ، وما أَمر الله به ، والحَجَّ الأَكبرَ والحجَّ الأَصغرَ وهو العمرة (٦) ، وينهى الناسَ أَن يُصَلِّيَ أَحدٌ فى ثوب واحد صغير إلاَّ أَن يكون ثوبا يَثْنِى طَرَفَيْه على عاتقيه ، وينهى أَنْ

---

(١) في سيرة ابن هشام حـ ٣ ص٧٢ : لعمرو بن حزم [حين بعثه إلى اليمن] .

(٢) سورة النحل الآية ١٢٨

(٣) في الأصل : وأمره أن يأخذ الحق كما أمره الله وأن ينشد الناس . والتصويب من صبح الأعشى .

(٤) سورة هود الآية ١٨

(٥) في صبح الأعشى : ويستألف الناس .

(٦) في صبح الأعشى : والحج الأكبر الحج الأكبر والحج الأصغر هو العمرة .

يَحتَبِــى أَحد فى ثوب واحد يُفضِي بفرجه إلى السماء ، وينهــى فلا يَعْقِص أَحدٌ شعر رأْسه فى قَفاه ، وينهــى إذا كان بين الناس هَيْــجٌ عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليــكن دعواهم إلى الله [عز وجَلَّ] وحده لا شريك له ، فمن لم يدع (١٩٣ ا) إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليُقْطَعُوا بالسيف حتى تــكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له .

[ويأْمر الناس بإِسباغ الوضوء : وجوههم وأَيديهم إلى المرافق وأَرجلهم إلى الــكعبين ، ويمسحون بوجوهم كما أَمرهم الله] .

وأَمره بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والخضوع (١) ويُغَلّس بالصبح ، ويُهجّر بالظهر حتى تَميل الشمس ، وصلاةُ العصر والشمسُ فى الأَرض مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا تُؤخَّر حتَّى تبدوَ النجوم فى [السماء] ، والعشاء أَوّل الليل . وأَمره بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لهــا ، والغُسلِ عند الرواح إليهــا . وأَمره أَن يأْخذ من المغانم

(١) في صبح الأعشى : وإتمام الركوع [والسجود] والخشوع .

خُمسَ الله وما كُتب على المؤمنين فى الصدقة فى العقار[1] عُشر ما سقت العَيْن وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغَرْبُ[2] نصف العشر ، وفى كل عشر من الإبل شاة ، وفى كل عشرين أَربع شياه ، وفى كل أَربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تَبِيع [جَذَع] أَو جَذَعة ، وفى كل أَربعين من الغنم سائمة وحدَها شاةٌ ، فإنها فريضة الله تعالى التى افترض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له . وأَنه من أَسلم من يهودى أَو نصرانى إسلاما خالصا من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مثل مالهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نَصرانيته أَو يَهوديته فإنه لا يُرَدُّ عنها ، وعلى كُلِّ حالِمٍ ذكرٍ أَو أُنثى ، حرٍّ أَو عبدٍ دينارٌ وافٍ أَو عوضه ثيابا ، فمن أَدَّى ذلك فإن له ذِمَّةَ الله وذمةَ رسوله ، ومن منع فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً ، صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

(١) العقار بضم العين : خيار الكلأ والعقار بفتح العين : النخل .

(٢) الغرب : الدلو الكبيرة ويراد ما كان بعمل وسقى بالأيدى .

وعلى هـذا الأُسلوب

كتب أَمير المؤمنين علىٌّ بن أَبى طالب كرم الله وجهـه عهدَ مالكٍ الأَشتر[1] النَّخَعى ، حين ولَّاه مصر ، وهو من العهود البليغة ، جمع (١٩٣ ب) فيه بين معالم التقوى وسياسة الملك .

وهذه نسختـه[2]

هذا ما أَمر علىٌّ أَمير المؤمنين مالكَ بن الحارث الأَشتر فى عهـده إليه حين ولاه مصر : جباية خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أَهلها ، وعمارة بلادها ، وأَمره بتقوى الله وإيثار طاعتـه ، واتباع ما أَمر به فى كتابه من فريضته[3] وسنته ، التى لا يسعد أَحد إلا باتباعها ، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها ، وأَن ينصر الله تعالى بيده وقلبه ولسانه ، فإنه جل اسمه قد تـكفل بنصر من نصره ، وإعزاز من أَعزه . وأَمره أَن يـكسر من نفسه عند الشهوات ، ويَزَعَها عند الجَمَحات ، فإن النفس لأَمارة بالسوء إلا ما رحم الله .

(١) في الأصل « بن الأشتر »
(٢) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٢
(٣) في صبح الأعشى : من فرائضه ، وسننه التي . . . . .

ثم اعلم يا مالك أنى قد وجهتُك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك : من عدل وجور ، وأن الناس يبصرون [1] من أُمورك [مثل] ما كنت تنظر فيه من أَمر الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم . وإنما يُستدل على الصالحين بما يُجْرِى الله لهم على أَلسن عباده ، فليكن أَحب الذخائر إليك [2] العمل الصالح . فامْلِكْ هواك ، وشُحَّ بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الانتصافُ منها فيما أَحبت وكرهت ، وأَشعِرْ قلبك بالرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونَنَّ عليهم سَبُعا ضاريا ، تغتنم أُكلهم ، فإنهم صنفان : إما أَخ لك فى الدين ، وإما نظير لك فى الخُلُق : يَفرُطُ منهم الزلل ، وتَعرض لهم العلل ، ويؤتى على أَيديهم فى العَمد والخطإِ ، فأَعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب أَن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنك فوقهم [3] ووالى الأَمر عليهم فوقك ، والله فوق من ولاَّك . وقد استكفاك أَمرهم ، (١٩٤ ا) وابتلاك بهم ، ولا تَنْصِبَنَّ نفسَك لحرب الله ،

(١) في صبح الأعشى : ينظرون .

(٢) في صبح الأعشى : فليكن أحب العمل إليك ذخيرةً العمل . . . .

(٣) في الأصل فإنك تريهم . والتصويب من صبح الأعشى .

فإنه لا يَدَ لَكَ[1] بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ؛ ولا تندمنَّ على عفو ، ولا تَبَجَّحَنَّ بعقوبة ، ولا تسرعن إلى زيادة [2] وجدت عنها مندوحة ، ولا تقولن إنى امرؤ آمر فأُطاع : فإن ذلك إدغال فى القلب ، ومهلكة فى الدين ، وتقرُّبٌ من العَثَر[3] ، فإذا أَحدث لك ما أَنت فيه من سلطانك أُبهةً أَو مَخِيلة فانظر إلى عِظَم مُلْك الله تعالى فوقك ، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فإن ذلك يُطامن إليك من طماحك ، ويكف عنك من غِرَّتك [4] ويفىء إليك بما عَزُب عنك من عقلك ، وإياك ومساماة الله فى عظمته ، والتشبه به فى جبروته ، فإن اللهَ يُذِلّ كلَّ جبار ، ويهين كل مختال .

أَنصف الله وأَنصف الناس من نفسك ومن خاصة أَهلك ، ومَنْ لك فيه هوًى من رعيَّتك ، فإنك إلاَّ تفعلْ تَظْلِمْ ، ومن ظلم عبادَ الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله أَدحض الله حجته ، وكان لله حربا حتى

(١) في صبح الأعشى : لايدى لك بنقمته .

(٢) في صبح الأعشى : ولا تسرعن إلى بادرة .

(٣) في صبح الأعشى : وتقرب من الغِيَر .

(٤) في صبح الأعشى : من غربك .

ينزع ويتوب ، وليس شيء أَدْعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم [فإن الله سميـع يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد] وليكن أَحب الأُمور إليك أَوسطها فى الحق وأَعملها فى العدل[1] ، وأَجمعها لرضى الرعية ، فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة ، وإن سخط الخاصة يُغتفر مع رضى العامة ، وليس أَحد من الرعية أَثقل على الوالى مؤونة فى الرخاء ، وأَقل معونة له فى البلاء ، وأَكثر للانتصاف[2] واسأَل بالإلحاف ، وأَقلّ شكرا عند الإعطاء ، وأَبطأَ عذرا عند المنـع ، وأَضعف صبرا عند ملمات الدهر ، من أَهل الخاصة ؛ وإنما عمودُ الدين ، وجِماعُ المسلمين ، والعُدّةُ للأَعداءِ ، العامَّةُ من الأُمة ، فليـكن صفوك لهم ، وميلك معهم ، وليـكن أَبعـدُ رعيتك منك ، وأَشنأُهم عندك ، أَطلبَهم لمعايب الناس : فإن للناس عيوبا والوالى أَحقُّ بسترها ، فلا تـكشفنَّ عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر [لك] ، والله يحـكم على ما غاب عنك (١٩٤ ب) منها ، فاستُر العورة

(١) في صبح الأعشى : وأعمها .

(٢) في صبح الأعشى : « وأكره للإنصاف » وهو الأصوب المناسب للمقام .

ما استطعتَ يستر الله ما تحب ستره من عيبك .

أطلق عن الناس عُقدة كل حِقد ، واقطع عنهم سبب كل وتْر ، وتَجَافَ عن كلّ ما لاَ يَصِحُّ لك ، ولا تعجلنّ إلى تصديق ساع ، فإن الساعيَ غاشٌّ وإن تشبّه بالناصحين ، ولا تُدخِلَنَّ فى مشورتك بخيلا يَعْدل بك عن الفضل ، ويعدك الفقر ، ولا جبانا يُضعفك عن الأُمور ، ولا حريصاً يزين لك الشَّرهَ بالجور ، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتَّى يجمعها سوء الظن بالله .

شر وزرائك من كان للأَشرار قبلك وزيرا ، ومن شاركهم فى الآثام ، فلا يكونُنَّ لك بطانة ، فإنهم أعوان الأَثَمَة ، وإخوان الظلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلفِ ، من له مثلُ آرائهم ونفاذهم ، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ، ممن لم يعاونْ ظالماً على ظلمه ، ولا آثما على إثمهِ ، أُولئك أَخفُّ عليك مئونة ، وأَحسن لك معونة ، وأَحنى عليك عطفا ، وأَقل لغيّك[1] إلفا ، فاتخذ أُولئك خاصَّة لخلواتك [وحفلاتك] ، ثم ليكن آثرهم عندك أَقْولهم [لك] بمرّ الحقّ ، وأَقّلهم مساعدة فيما يكون

(١) في صبح الأعشى : « لغيرك » وهى أليق .

منك مما كره الله لأَوليائه ، واقعا ذلك من هواك حيث وقَع ، والْصق بأَهـل الصدق والورع ، ثم رُضْهُم على أَن لا يَضُرُّوك [1] ولا يبجحوك بباطل لم تفعله ، فإن كثرة الإصغاء[2] تحدث الزَّهْو ، وتُدْنى من الغِرَّة ، ولا يكونَنَّ المحسنُ عندك والمسيء بمنزلة واحدة ، فإن في ذلك تَرْهِيبا لأَهل الإِحسان ، وتدريبا لأَهل الإِساءة [3]

وإنك لا تدرى إذا جـاء سـائـل
أأَنت بما تُعطيه أَم هُـو أَسْعَـدُ

عسى سائـلٌ ذو حـاجـة إن منعته
من اليوم سُؤْلاً أَنْ يـكون له غَـدُ

وفى كثرة الأَيدِى عن الجهل زاجـر
ولَلْحِلْمُ أَبقـى للرجال وأَعْـودُ

---

(١) في صبح الأعشى : « ألاّ يُطْروك » وهى أحسن .

(٢) في صبح الأعشى : الإطراء .

(٣) في صبح الأعشى تزهيداً لأهل الإحسان [في الإحسان] وتدريبا لأهل الإساءة [في الإساءة] هذا وزيادة ما بين الأقواس هى نقل عن كتاب مفتاح الأفكار وشرح نهج البلاغة أما أصل صبح الأعشى فخال من الزيادة .

(١٩٥ ا)   وعلى هذا النمط

كتب أبو إسحاق الصابي عن الخليفة الطائع ، لفخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه فى جمادى الأُولى سنة ست وستين وثلاثمائة .

وهذه نسخته[١]

هذا ما عَهِدَ عبد الله عبد الكريم [الإمام] الطائع[٢] لله أَميرُ المؤمنين إلى فخر الدولة أَبى [الحسن بن ركن الدولةِ أَبى] علىّ مولى أَمير المؤمنين حين عرف غناءه وبلاءه واستنصح دينَه ويقينَه ، ورعى قديمَه وحديثَه ، واستنجب عُودَه ونِجارَه ، وأَثنى عز الدولة أَبو منصور بنُ معز الدولة أَبى الحسين مولى أَمير المؤمنين [أَيده الله][٣] عليه ، وأَشار بالمزيد فى الصنيعة إليه ، وأَعلم أَمير المؤمنين اقتداءه به فى كل مذهب ذهب فيه فى الخدمة ، وغرض رمى إليه من النصيحة ، دخولا فى زمرة الأَولياء[٤] ، وتصرفا على

(١) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٥

(٢) أضيف في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي والمثل السائر لفظة [الإمام] الطائع .

(٣) أضيف في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي والمثل السائر عبارة [أيده الله] .

(٤) أضيف في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي والمثل السائر عبارة [المنصورة ، وخروجا عن جماعة الأعداء المدحورة].

•وجبات البيعة التى هى بعز الدولة أبى منصور منوطة ، وعلى سائر من يتلوه ويتبعه ظاهرة [1] مشروطة ، فقلده الصلاةَ وأعمالَ الحرب ، والمَعاونَ والأَحداثَ ، والخَراجَ ، والأَعشار ، والضِّياعَ ، والجَهْبَذَةَ ، والصدقات ، والجوالىَ ، وسائر وجوه الجبايات [والعَرْض] والعطاء [2] والنفقة فى الأَولياء [والمظالم وأسواق الرقيق] [3] والغيار فى دور الضرب والطُّرُز والحِسْبة بِكُوَر هَمَذَانَ ، وأَسْتَراباذَ ، والدِّينَوَر ، وَقَرْمِيسِينَ ، والإِيغَارَيْن ، [وأَعمال] أَذربيجان [4] وأَرَّان ، والسَّحانِين ، ومُوقانَ . واثقا منه باستبقاء النعمة واستدامتها ، والاستزادة بالشكر منها ، والتجنب لغَمْطِها وجُحودها ، والتنكُّب لإيحاشها وتنفيرها ، والتعمد لما مَكَّنَ له الحُظْوَةَ والزلفى ، وحرس عليه الأُثرةَ والقربى ، بما يظهره ويضمره من الوفاء الصحيح ، والولاء الصريح ، والغيب الأَمين ، والصدر السليم ، والمقاطعة لكل من قاطع العُصبة ، وفارق الجملة ،

---

(١) في صبح الأعشى مأخوذة مشروطة .

(٢) أضيف في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي والمثل السائر [والعرض] والعطاء .

(٧) الزيادة عن صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي والمثل السائر .

(٤) أضيف في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي والمثل السائر لفظة [وأعمال] أذربيجان .

والمواصلة لكل (١٩٥ ب) من حَمَى البيضةَ وأخلص النية - والكونِ تحت ظل أمير المؤمنين وذمته ، ومع عز دولته أبى منصور فى حوزته ، والله جل اسمهُ يعرِّف لأمير المؤمنين حسن العقبى فيما أبرم ونقض ، وسدادَ الرأى فيمن رفع وخفض ، ويجعل عزائمه مقرونة بالسلامة ، محجوبة عن موارد الندامة ، وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل .

أَمَره بتقوى الله التى هى العصمة المتينة ، والجنة الحصينة ، والطود الأرفع ، والمعاذ الأمنع ، والجانب الأعز ، والملجأُ الأحرز ، وأن يستشعرها سرا وجهرا ، ويستعملها قولا وفعلا ، ويتخذها ذخرا نافعا [(١)] لنوائب القدر ، وكهفا حاميا من حوادث الغِير ، فإنها أوجب الوسائل ، وأقرب الذرائع ، وأَعْوَدُها على العبد بمصالحه ، وأدعاها إلى كل مناجحه [(٢)] وأولاها بالاستمرار على هدايته ، والنجاة من غوايته ، والسلامة فى دنياه ، حين تُوبِقُ موبقاتُها ، وتردى مردياتها ، وفى آخرته حين

---

(١) في صبح الأعشى : ردْءًا دافعا .

(٢) في صبح الأعشى : سبل مناجحه .

تروّع رائعاتها ، وتخيف مُخيفاتها ، وأن يتأدب بآداب الله فى التواضع والإخبات ، والسكينة والوقار ، وصدق اللهجة إذا رمق ، وكظم الغيظ إذا حَنِق [1] ، وحفظ اللسان [2] إذا غضب ، وكف اليد عن المآثم ، وصون النفس عن المحارم ، وأن يذكر الموت الذى هو نازل به ، والموقف الذى هو صائر إليه ، ويعلم أنه مسئول عما اكتسب ، مَجْزِىٌّ عما تزمّلك [3] واحتقب ، ويتزود من هذا الممر ، لذاك المقر ، ويستكثر من أعمال الخير لتنفعه ، ومن مساعى البرّ لتنقذه ، ويأْتمر بالصالحات قبل أن يَأْمُرَ بها ، ويزدجر عن السيئات قبل أن يَزْجُرَ عنها ، ويبتدئ بإصلاح نفسه قبل إصلاح رعيّته ، فلا يبعثهم على ما يأْتى ضده ، ولا ينهاهم عما يقترف مثله ، ويجعل ربه رقيبا عليه فى خلواته ، ومروءته مانعة من شهواته ، فإن أحق من غلب سلطان الشهوة ، وأولى من صرع أعداء الحَمِيّة ، من (١٩٦ ا) مَلَكَ أَزِمّة الأمور ،

---

(١) في صبح الأعشى : وكظم الغيظ إذا أحفظ .

(٢) في صبح الأعشى : وضبط اللسان . . . .

(٣) في صبح الأعشى: ترمك وفي هامشه أنه في رسائل الصابي : تزمل . هذا وتزمك من زمك القربة ملأها .

واقتدر على سياسة الجمهور ، وكان مطاعا فيما يرَى ، متَّبَعا فيما يشاء ، يلي عـــلى الناس ولا يَلُون عليه ، ويقتصُّ منهم ولا يقتصُّون منه [1] ، فإذا اطلع الله منه على نقاء جيبه ، وطهارة ذيله ، وصحة سريرته ، واستقامة سيرته ، أعانه على حفظ ما استحفظه ، وأنهضه بثقل ما حمّله ، وجعل له مخلصاً من الشبهة ومخرجا من الحَيْرة ، فقد قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [2] وقال عزَّ من قائل ﴿ يـأَيُّهـا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [3] وقال ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [4] إلى آيٍ كثيرة حضّنا بها عـــلى أكرم الخلق ، وأسلم الطرق ، فالسعيد من نصبها إزاء ناظره ، والشقيُّ من نبذها وراء ظهره ، وأشقى منهما من بَعَثَ عليها وهو صادفٌ عنها ، وأهاب إليها وهو بعيد منها ، وله ولأمثاله يقول الله تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وأَنْتُم تَتْلُونَ

---

(١) في الأصل ويقبض منهم ولايقبضون منه .

(٢) سورة الطلاق الآية ٢ و٣

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٢

(٤) سورة التوبة الآية ١١٩

الْـكِتَابَ أَفلاَ تَعْقلُونَ﴾ (١) وأمره أن يتخذ كتاب الله إماما متبعا ، وطريقا مُتَوَقَّعا (٢) ويـكثر من تلاوته إذا خلا بفـكره ، ويملأ بتأمله أرجاءَ صدره ، فيذهب معه فيما أباح وحَظَر ، ويقتدى [به] إذا نهى وأمر ، ويستبين ببيانه إذا استغلقت دونه المعضلات ، ويستضيء بمصابيحه إذا غُمّ عليه فى المشكلات ، فإنه عُرْوة الإسلام الوثقى ، ومحجّته الوسطى ، ودليله المُقنع ، وبرهانه المرشد ، والكاشف لظُلَم الخطوب ، والشافى من مرض القلوب ، والهادى لمن ضلّ ، والمتلافى لمن زلّ ، فمن نجا (٣) به فقد فاز وسلم ، ومن لَهَا عنه فقد خاب وندم ، قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٤) . وأمره أن يحافظ على الصلوات ، ويدخل فيها فى حقائق الأوقات ، قائماً على حدودها ، (١٩٦ب) متبعاً لرسومها ، جامعا فيما بين نيته ولفظه ، متوقيا

---

(١) سورة البقرة الآية ٤٤.

(٢) كذا هى في أصول صبح الأعشى والأصل الذى بين أيدينا والمثل السائر أما في اللسان فيقال طريق موقع «على وزن معظم» : مذلل .

(٣) في صبح الأعشى : فمن لهج به .

(٤) سورة فصلت الآيتان ٤١ ، ٤٢

لطامح سهوه ولحظه ، منقطعا إليها عن كل قاطع لها ، مشغولا بها عن كل شاغل عنهـا ، متثبتاً فى ركوعهـا وسجودها ، مستوفيا عدد مفروضها ومسنونها ، موفِّرا عليها ذهنه ، صارفا إليهـا همه ، عالما بأنه واقف بين يدى خالقه ورازقه ، ومحييه ومميته ، ومعاقبـه ومثيبه ، لا يُسْتَرُ دونه خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فإذا قضاها على [هذه السبيل] منذ تكبيرة الإحرام إلى خاتمة التسليم ، أَتْبَعَهَا بدعَاء يرتفـع بارتفاعها [ويُستمع باستماعها] (1) ولا يتعدى فيه مسائل الأبرار ، ورغائب الأخيـار ، من استصفاح واستغفار ، واستقالة واسترحام ، واستدعاء لصالح الدين والدنيا ، وعوائد الآخرة والأُولى ، فقد قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِين كِتَاباً مَوْقُوتا﴾ (2) وقال تعالى ﴿وأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ﴾ (3) وأمره بالسعى فـى أيام الجُمَـع فى المساجد الجامعة ، وفى الأعياد إلى المصليات الضاحية ، بعد التقدم فى فرشهـا وكسوتها ، وجمـع القُوّام والمؤذنين والمـكبرين فيها ،

(1) أضيف فى صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى المطبوعة [ويستمع باستماعها] .
(2) سورة النساء الآية ١٠٣
(3) سورة العنكبوت الآية ٤٥

واستسعاء الناس إليها ، وحضهم عليها ، آخذين الأُهبة ، متنظفين فى البِزَّة ، مؤدين لفرائض الطهارة ، وبالغين فى ذلك أقصى الاستقصاء [1] ، معتقدين خشية الله وخيفته ، مدَّرِعينَ تقواه ومراقبتَه ، مكثرين من دعائه – عز وجل – وسؤاله ، مصلين على محمد رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، بقلوب على اليقين موقوفة ، وهمم إلى الدين مصروفة ، وألسن بالتسبيح والتقديس فصيحة ، وآمال فى المغفرة والرحمة فسيحة ، فإن هذه المصلّيات والمتعبَّدات بيوت الله التى فضلها ، ومناسكه التى شرفها ، وفيها يتلى القرآن [ومنها تُرتفع الأعمال . وبها يلوذ اللائذون] ، [2] ويعوذ العائذون ، ويتَعبد المتعبدون ، ويتهجد المتهجدون ، وحقيق على المسلمين أجمعين – من والٍ ومُوَلَّى عليه – أن يصونوها ويعمروها ، ويواصلُوها ولا يهجروها ، (١٩٧ ا) وأن يقيموا الدعوة على منابرها لأمير المؤمنين ثم لأنفسهم على الرسم الجارى فيها ، قال الله تعالى فى هذه الصلاة ﴿ يـأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعةِ فَاسْعَوْا إِلَى

(١) في صبح الأعشى : أقصى الاستطاعة .

(٢) أضيفت هذه الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي والمثل السائر .

ذِكْرِ اللهِ وذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ [1] وقال فى عمارة المساجد ﴿ إِنَّما يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَن آمَنَ بِاللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ وأَقَامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُولئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [2] .

وأمره أن يرعى أحوال من يليه ، من طبقات جند أمير المؤمنين ومواليه ، ويطلق لهم الأرزاق ، فى وقت الوجوب والاستحقاق ، وأن يحسن فى معاملتهم ، ويجمل فى استخدامهم ، ويتصرف فى سياستهم : بين رفق من غير ضعف ، وخشونة من غير عنف ، مثيباً لمحسنهم ما زاد بالإبانة [3] فى حُسْن الأَثر ، وسلم معها من دواعى الأَشَر ، ومتغمِّدا لمسيئهم ما كان التغمد له نافعا ، وفيه ناجعا ، فإن تكررت زلاته ، وتتابعت عثراته ، تناوله من عقوبته بما يكون له مصلحا ، ولغيره واعظا ، وأن يختص أكابرهم وأماثلهم وأهل الرأى والخطر منهم بالمشاورة فى العلم ، والاطلاع على بعض المهم ، مستخلصاً نخائل قلوبهم بالبسط والإدناء ، ومستشحذا بصائرهم بالإكرام والاحتفاء

---

(١) سورة الجمعة الآية ٩

(٢) سورة التوبة الآية ١٨

(٣) الكلمة في الأصل غير منقوطة وتبعنا صبح الأعشى .

فإن فى مشاورة هذه الطبقة استدلالا على مواقع الصواب وتحرزا من غلط الاستبداد ، وأخذا لمجامع الحزامة ، وأمنا من مفارقة الاستقامة ، وقد حض الله تعالى على الشورى فى قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وشاوِرْهُمْ فى الْأَمْرِ فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين ﴾ (١) .

وأمره أن يعمد لما يتصل بنواحيه من ثغور المسلمين ، ورباط المرابطين ، ويَقسم لها قسما وافرا من عنايته ، ويصرف إليها طَرَفاً بل شَطْرًا من رعايته ، ويختار لَها أَهل الجَلَد والشدة ، وذوى البأْس والنجدة ، ممن عجمته الخطوب ، (١٩٧ ب) وعركته الحروب ، واكتسب دربة بخدع المتنازلين (٢) ، وتجربة بمكائد المتقارعين ، وأن يستظهر بكشف عددهم ، واختيار عُددهم ، وانتخاب خيلهم ، واستجادة أسلحتهم ، غير مُجمِّر بَعْثاً إذا بَعَثَه ، ولا مستكرهه إذا وجَّهه ، بل يناوب بين رجاله مناوبة تريحهم ولا تملهم ، وترفههم ولا تَؤُودهم ، فإن ذلك من فائدة الإجمام ، والعدل فى الاستخدام ، وتنافس رجال

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩

(٢) في صبح الأعشى : بخدع المتناوبين .

النوب فيما عاد عليهم بعد الظفر والنصر ، وبعد الصيت والذكر ، وإحراز النفـع والأجر ، ما يحق أن يكون الولاة به عاملين ، وللناس عليه حاملين ، وأن يكرر فى أسماعهم ، ويثبت فى قلوبهم ، مواعيد الله لمن صابر ورابط ، وسمح بالنفس وجاهد ، من حيث لا يقدمون على تورط غِرَّة ، ولا يحجمون عن انتهاز فرصة ، ولا ينـكصون عن تورد معركة ، ولا يلقون بأيديهم إلى التهلـكة ، فقد أخذ الله تعالى ذلك على خلقه والمرامين عن دينـه ، وأن يزيح العلة فيما يحتـاج إليه من راتب نفقات هذه الثغور وحادثها ، وبناء حصونها ومعاقلها ، واستطراق طرقها ومسالكها ، وإفاضة الأقوات والعلوفات للمتربين فيها وللمترددين إليها والحامين لها ، وأن يبـذل أمانَهُ لمن يطلبه ، ويعرضه على من لم يطلبه ، وَيفِيَ بالعهد إذا عاهد ، وبالعَقْد إذا عاقد ، غيرمُخْفر ذمة ، ولا جارح أمانة ، فقد أمر الله تعالى بالوَفاء فقال جل من قائل ﴿ يـأَيُّها الَّذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [1] ونهـى عن النـكث فقال عز من قائل ﴿ فَمَنْ نَـكَثَ فَإِنَّما يَنْـكُثُ عَلَى نَفْسِه ﴾ [2] .

---

(١) سورة المائدة الآية ١

(٢) سورة الفتح الآية ١٠

وأمره أن يَعْرِضَ مَنْ فى حُبُوس عمله على مراتبهم [وإنعام النظر فى جناياتهم وجرائمهم] [1] فمن كان إقراره واجبا أقره ، ومن كان إطلاقه سائغا أطلقه ، وأن ينظر فى الشرطة والأحداث نظر عدل وإنصاف ، ويختار لها من الولاة من يخاف اللهَ تعالى ويتقيه ، ولا يُحابى ولا يراقب الله فيه ، ويتقدم إليهم بقمع الجُهّال ، وردع الضُّلّال ، وتتبع الأشرار ، (١٩٨ ا) وطلب الدُّعّار ، مستدلين على أماكنهم ، متوغلين إلى مكامنهم ، متولّجين عليهم فى مظانهم . متوثقين ممن يجدونه منهم ، منفذين أحكام الله تعالى فيهم ، بحسب الذى يتبين من أُمورهم ، ويتضح من فعلهم ، فى كبيرة ارتكبوها ، وعظيمة احتقبوها ، ومهجة أفاضوها واستهلكوها ، وحرمة أباحوها وانتهكوها ، فمن استحق حدا من حدود الله المعلومة أقاموه عليه غير مخففين منه ، وأحَلُّوه به غير مقصرين عنه ، بعد ألا يكون عليهم فى الذى يأتون به حجة ، ولا تعترضهم فى وجوبه شبهة ، فإن المستحب [2] فى الحدود أن تقام بالبينات ، وأن تدرأ

---

(١) أضيفت الزيادة من صبح الأعشى نقلا من رسائل الصابى . وفي صبح الأعشى على جرائرهم فمن كان إقراره .

(٢) في صبح الأعشى : فإن الواجب . . . . .

بالشبهات ، فأَولى ما تَوَخّاه رعاةُ الرعايا فيها أَلا يقدموا عليها مع نقصان ، ولا يتوقفوا عنها مع قيام دليل وبرهان ، ومن وجب عليه القتل احتاط عليه بمثل ما يُحتاط به على مثله : من الحبس الحصين ، والتوثق الشديد ، وكتب إلى أَمير المؤمنين بخبره ، وشرْح جنايته ، وثبوتها بإقرار يكون منه ، أَو شهادة تقع عليه ، ولينتظر من جوابه ما يكون عمله بحسبه ، فإن أَمير المؤمنين لا يُطْلِق سفك دم مسلم أَو معاهد إلا ما أَحاط به علما ، وأَتقنه فهما ، وكان ما يمضيه فيه عن بصيرة لا يخالطها شك ولا يشوبها ريب . ومن أَلمَّ بصغيرة من الصغائر ، ويسيرة من الجرائر ، من حيث لم يُعرف له مثلها ، ولم تتقدم له أُختها ، وعظهُ وزجره ، ونهاه وحذره ، واستتابه وأَقاله ، ما لم يكن عليه خصم فى ذلك يطالب بقصاص منه ، وجزاء له ، فإن عاد تناوله من التقويم والتهذيب ، والتغْرِيب [1] والتأْديب ، بما يرى أَنه قد كفى فيما اجترم ، ووفَى فيما قدم ، فقد قال تعالى ﴿ومنْ يَتَعَدَّ

(١) فى صبح الأعشى « التعزير » هذا والتعزير هو اللوم والتأديب وهو أصلح للمعنى ، وكلمة التغريب أيضا صالحة للمقام .

حُدُودَ اللهِ فَأُولٰئِـكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١)

وأمره أن يُعَطِّل ما فى أعماله من الحانات والمواخير ، ويطهرها من القبائح والمناكير ، ويمنع من تجمع أهل الخنا فيها ، ويؤلف شملهم بها : فإنه (١٩٨ ب) شَمْلٌ يصلحه التشتيت ، وجمع يحفظه التفريق ، وما زالت هذه المواطن الذميمة ، والمطارح الدنية ، داعية لمن يأوى إليها ، ويعكف عليها ، إلى ترك الصلوات ، وركوب المنكرات ، واقتراف المحظورات ، وهى بيوت الشيطان التى فى عمارتها لله مغضبة ، وفى إخرابها للخير مجلبة ، والله تعالى يقول لنا معشر المؤمنين ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وتُؤْمِنُون بِاللهِ ﴾ (٢) ويقول عز من قائل لغيرنا من المذمومين ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاَةَ واتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (٣).

وأمره أن يُولِّى الحماية فى هذه الأعمالِ أَهْلَ الكفاية

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٩

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠

(٣) سورة مريم الآية ٥٩

والغناء من الرجال ، وأن يضم إليهم كل من خف ركابه ، فأسرع عند الصريـخ جوابـه ، مرتّبا لهم فى المسالح ، وسادًّا بهم ثُغَرَ المسالك ، وأن يوصيهم بالتيقظ ، ويأخذهم بالتحفظ ، ويزيـح عللَهم ، فى عُلُوفة خيلـهم ، والمقرر من أزوادهم — وَميرِهم ، حتى لا يثقل لهم على البلاد وطأة ، ويدعوهم إلى تَحيّفهم وتَلْمِهِم حاجة ، وأن يَحُوطوا السابلة بادئة وعائدة ، ويتداركوا القوافل صادرة وواردة ، ويحرسوا الطرق ليلا ونهارا ، ويتقصوها رواحا وإبـكارا ، وينصبوا لأهل العبث الأرصاد ، ويتمكنوا لهم بكل واد ، ويتفرقوا عليهم حيث يكون التفرق مضيقا لفضائهم ، ومؤدياً إلى انفضاضهم ، ويجتمعوا حيث يكون الاجتماع مطفئا لجمرتهم ، وصادعا لمرْوَتهم ، ولا يُخْلوا هذه السبل من حماة لها وسيّارة فيها : يترددون فى جواديها ، ويتعسفون فى عواديها ، حتى تـكون الدماء محقونة ، والأموال مصونة ، والفتن محسومة ، والغارات مأمونة ، ومن حصل فى أيديهم من لص خاتل ، وصعلوك خارب ، ومخيف لسبيل ، ومنتهك لحريم ، امْتُثِل فيه أمر أمير المؤمنين الموافق لقول الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ

فَسَادًا (١٩٩ ا) أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

وأمره أن يوضع الرصَد على من يَجْتاز في أعماله من أُبّاق العبيد ، والاحتياط عليهم وعلى من يكون معهم ، والبحث عن الأماكن التي فارقوها ، والطرق التي استطرقوها ، ومواليهم الذين أبِقُوا منهم ونَشَزوا عنهم ، وأن يردوهم عليهم قهرا ، ويعيدوهم إليهم صُغْرا ، وأن يُنشدوا الضالة بما أمكن أن تُنْشد ، ويحفظوها على ربها بما جاز أن تحفظ ، ويتجنبوا الامتطاء لظهورها والانتفاع بأوبارها وألبانها مما يُجَزّ ويحلب ، وأن يُعرِّفوا اللُّقطَة ويتبعوا أثرها ، ويُشيعوا خبرها ، فإذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها سُلِّمت إليه ، ولم يُعترض فيها عليه ، فإن الله عز وجل يقول ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (٢) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ضالة المؤمن حَرَقُ النار » . (٣)

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٣
(٢) سورة النساء الآية ٥٨
(٣) انظر النهاية لابن الأثير جـ ١ مادة حرق .

وأمره أن يوصى عماله بالشد علـى أيدى الحـكام ، وتنفيذ ما يصدر عنهم من الأحكام ، وأن يحضروا مجالسهم حضور الموقِّرين لها ، الذابِّين عنها ، المقيمين لرُسُوم الهيبة وحدود الطاعة فيها ، ومن خرج عن ذلك من ذى عقـل سخيف ، وحِلْم ضعيف ، نالوه بمـا يردعه ، وأحلُّوا به ما يَزَعُه ، ومتى تقاعس متقاعس عن حضورٍ مع خصم يستدعيه ، وأمرٍ يُوجِّه الحاكم إليه فيه ، أو التوى ملتوٍ بحق يحصل عليه ، ودين يستقر فى ذمته ، قادوه إلى ذلك بـأزمّة الصَّغار ، وخزائم الاضطرار ، وأن يُحبَسُوا ويطلقوا بقولهم ، ويثبتوا الأيدى فى الأملاك والفروج وينزعوها بقضاياهم ، فإنهم أُمناء الله فى فصل ما يفصلون ، وَبتِّ مَا يَبُتُّون ، وعن كتابه وسنة نبيـه صلى الله عليه وسلم يُوردون [ويُصدرون] وقد قال تعالى ﴿ يا داودُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِـى الْأَرْضِ فَاحْكُمْ (١٩٩ب) بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، ولا تتَّبع الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (١) ، وأن يتوخى بمثل هذه المعاونة

(١) سورة ص الآية ٢٦

عمـــال الخراج فى استيفـــاء حقوق ما استعملوا عليه ، واستيصاف بقائهم [1] فيه ، والرياضة لمن تسوء طاعته من مُعامليهم ، وإحضارهم طائعبن أو كارهين بين أيديهم ، فمن آداب الله تعالى للعبد الذى يَحق عليه أن يتخذها [أدبا] [2] ، ويجعلها إلى الرضى عنه سببا ، قوله تعالى ﴿ وتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتَّقْوَى ولا تَعَاوَنُوا عَـلَى الْإِثْمِ والعُدْوانِ واتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [3] .

وأمره أن يجلس للرعية جلوساً عامًّا ، وينظر فى مظالمها نظرا تامًّا ، يساوى فى الحق بين خاصها وعامها ، ويوازىَ فى المجالس بين عزيزها وذليلها ، وينصف المظلوم من ظالمه ، والمغصوب من غاصبه ، بعد الفحص والتأمل والبحث والتبيين ، حتى لا يحـكم إلا بعدل ، ولا ينطق إلا بفصل ، ولا يُثَبِّت يدا إلا فيما وجب تثبتها فيه ، ولا يقبضها إلا عما وجب قبضهـا عنه ، وأن يسهـل الإذنَ لجماعتهم ، ويرفع الحجاب بينه وبينهم ،ويوليهم من حصانــة الـكَنَف ، ولين المُنْعَطَف ، والاشتمـال

---

(١) في صبح الأعشى : واستنطاف بقاياهم فيه .

(٢) الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي المطبوعة والمثل السائر .

(٣) سورة المائدة الآية ٢

والعناية ، والصون والرعاية ، ما يتعادل به أقسامهم ، وتتوازى[1] منه أقساطهم ، ولا يصل المسكينُ منهم إلى استضامة من تأخر عنه ، ولا ذو السلطان إلى هضيمة من حلَّ دونه ، وأن يدعوهم إلى أحسن العادات [والخلائق] [2] ، ويحضهم على أَحمد [3] المذاهب والطرائق ، ويحمل عنهم كَلَّه ، ويمد عليهم ظِلَّه ، ولا يسومهم عسفا [4] ولا يُلحق بهم حيفا ، ولا يكلفهم شَطَطا ولا يجشِّمهم مضلعا ، ولا يَثْلِم لهم معيشة ، ولا يداخلهم فى جريمة ، ولا يأْخذ بريئا [منهم] بسقيم ، ولا حاضرا بعديم ، فإن الله عز وجل نهى أَن تَزِرَ وازرةٌ وِزْرَ أُخرى ، وجَعَلَ كلَّ نفس (٢٠٠ ا) رهينة بمكسبها ، بريئة من مكاسب غيرها . ويرفعَ عن هذه الرعية ما عسى أَن يكون سُنَّ عليها من سنة ظالمة ، وسُلِك بها من محجة جائرة ، ويستقرىَ آثار الولاة قبله عليها ، فيما أزجَوْه من خير أَو شر إليها ، فيُقرَّ من ذلك ما طاب وحسن ، ويزيل ما خَبُثَ وقبح :

(١) في صبح الأعشى : وتتوازن .

(٢) الزيادة من صبح الأعشى نقلا عن المثل السائر . وفي الأصل : ولا يصل إلى ركين منهم إلى استطامة ماتأخر عنه ولا دءا السلطان . . . .

(٣) في صبح الأعشى : أجمل .

(٤) في صبح الأعشى : خسفا .

فإن من يغرس الخير يحظى بمعسول ثمره ، ومن يزرع الشر يَصْلَى بممرور ريعه ، والله تعالى يقول : ﴿ والْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ والَّذِى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلا نَكِدًا كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [1].

وأمره أن يصون أموال الخراج وأثمان الغلات ووجوهَ الجبايات موفَّرا ، ويزيد ذلك مثمِّرا ، بما يستعمله من الإنصاف لأَهلها ، وإجرائهم على صحيح الرسوم فيها : فإنه مالُ الله الذى به قوة عباده ، وحماية بلاده ، ودُرُور حَلَبِه ، واتصال مَدده ، وبه يحاط الحريم ، ويُدفع العظيم ، ويُحمى الذمار ، وتُذاد الأَشرار ، وأن يجعل افتتاحه إياه بحسب إدراك أَصنافه ، وعند حضور مواقيته وأَحيانه ، غيرَ مستسلِف شيئا قبلها ، ولا مؤخِّر لها عنها ، وأَن يخص أَهل الطاعة والسلامة بالترْفيه لهم ، وأهل الاستصعاب والامتناع بالشدّ [2] عليهم ، لئلا يقع إرهاق لمذعن ، أَو إهمال لطامع . وعلى المتولى لذلك أَن يضع كلاًّ من الأَمر موضعه ، ويوقعه موقعه ، متجنبا

(١) سورة الأعراف الآية ٥٨

(٢) في صبح الأعشى : بالتشدد .

إحلال الغلظة من لا يستحقها ، وإعطاء الفسحة من ليس من أهلها ، والله تعالى يقول ﴿ وأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إلاَّ ما سَعَى . وأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى ﴾ (١)

وأمره أن يتخيّر عماله على الأعشار ، والخراج ، والضياع ، والجهبذة ، والصدقات ، والجوالى ، من أهل الظَّلَف والنزاهة ، والضبط والصيانة ، والجَزالة والشهامة ، وأن يستظهر مع ذلك عليهم بوصية تعيها أسماعهم ، وعهود تتقلدها أعناقهم ، بأن لا يضيّعوها حقا ، ولا يأكلوها سحتا (٢٠٠ ب) ولا يستعملوها ظلما ، ولا يقارفوا غَشْما ، وأن يقيموا العمارات ، ويحتاطوا [على الغلاّت] (٢) ويتحرزوا من ترك حق لازم ، أو تعطيل رسم عادل ، مؤدين فى جميع ذلك الأمانة ، متجنبين للخيانة ، وأن يأخذوا جهابذتهم باستيفاء وزن المال على تمامه ، واستجادة نقده على عياره ، واستعمال الصحة فى قبض ما يقبضون ، وإطلاق ما يطلقون ، وأن يوعزوا إلى سعاة الصدقات بأخذ الفرائض من سائمة مواشى المسلمين دون عاملتها ،

(١) سورة النجم الآيات ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١

(٢) أضيفت الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن الرسائل والمثل السائر .

وكذلك الواجب فيهـا ، وأن لا يجمعوا فيهـا متفرقا ولا يفرقوا مجتمعا ، ولا يدخلوا فيهـا خارجا عنهـا ، ولا يضيفوا إليها ما ليس منها ، من فحل إبل أو أكولة راع ، أو عقيلة مال ، فإذا اجتبوها على حقها ، واستوفوها على رسمها ، أخرجوها فى سلها ، وقسّموها على أهلها الذين ذكرهم الله فى كتابه ، إلا المؤلفةَ قلوبهم الذين ذكرهم الله عز وجل فى كتابه وسقط[1] سهمهم ، فإن الله تعالى يقول ﴿ إِنَّما الصَّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ والْمَسَاكِينِ والْعَامِلِينَ عَلَيْهَـا والْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وفِى الرِّقابِ والْغارِمِينَ وَفِـى سَبِيلِ اللهِ وابْنِ السَّبِيـلِ فَرِيضَةً مِن اللهِ واللهُ عَلِيمٌ حَـكِيمٌ ﴾ [2] وإلى جُباة [جماجم] [3] أهل الذمة أن يأْخذوا منهم الجزيةَ فى المحرَّم من كل سنة [بحسب] منازلهم فى الأَحوال ، وذات أيديهم فى الأَموال ، وعلى الطبقات المطبقة فيها ، والحدود [المحدودة] [4] المعهودة لها ،وأَن لا يأْخذوها من النساء ، ولا ممن لم يبلغ الحُلُمَ من الرجال ، ولا من ذى سن عالية ،

(١) هذه العبارة لم ترد في صبح الأعشى .

(٢) سورة التوبة الآية ٦٠

(٣) وردت الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي .

(٤) وردت الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابي .

ولا ذى علة بادية ، ولا فقير معدم ، ولا مترهب متبتل ، وأن يراعِىَ جماعة هؤلاء العمال مراعاة يُسرّها ويظهرها ، ويلاحظهم ملاحظـة يخفيها ويبديها ، لئلا يزولوا [1] عن الحق الواجب ، أو يعدلوا عن السنن اللاحب ، فقد قال تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ [2] .

وأمره أن يَنْدُبَ لعَرْض الرجال وإعطائهم ، وحفظ جراياتهم وأوقات إطعامهم ، من يعرفه بالثقة فى مُتَصَرَّفه ، (٢٠١ ا) والأمانة فيما يجرى على يده ، والبعد عن الإسفاف إلى الدنيّة ، والاتباع للدناءة ، وأن يبعثه على ضبط [حِلَى] الرجال وشيات الخيل ، وتجديد العرض بعد الاستحقاق ، وإيقاع الاحتياط فى الإنفاق ، فمن صحّ عرضه ولم يبق فى نفسه شىء منه : من شك يعرض له ، أو ريبة يتوهمها ، أطلق أموالهم موفورة ، وجعلها فى أيديهم غير مثلومة ، وأن يرد على بيت المـال أرزاق من سقط بالوفاة والإخلال ، ناسباً ذلك إلى جهته ، مورداً له على حقيقته ، وأن يطالب الرجال بإحضار الخيل المختارة ، والآلات والسكك

(١) فى الأصل « يزرعوا » أو « يندعوا » والتصويب من صبح الأعشى .

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٤

المستكملة [1] ، على ما يوجب منافع أرزاقهم [2] ، وحسب منازلهم ومراتبهم ، فإن أخمد [3] أحدُهم شيئاً من ذلك قاصَّه به [4] من رزقه ، وأغرمه مثل قيمته ، فإن المقصر فيه خائن لأمير المؤمنين ، ومخالف لرب العالمين ، إذ يقول سبحانه ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [5] .

وأمره أن يعتمد فى أسواق الرقيق ودُورِ الضَّرْب والطُّرُز والحِسبة على من يجتمع فيه آلات هذه الولايات : من ثقة وأمانة ، وعلم وكفاية ، ومعرفة ودراية ، وتجربة وحُنْكَة ، وحصافة ومُسْكة ، فإنها أحوال تُضارع الحُكم وتناسبه ، وتدانيه وتقاربه ، وأن يتقدم إلى ولاة أسواق الرقيق بالتحفظ فيمن يطلقون بيعه ، ويمضون أمره ، والتحرز من وقوع تَخَوُّن فيه ، وإهمال له ، إذ كان ذلك عائدا بتحصين الفروج ، وتطهير الأنساب ،

(١) في صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٢٩ والآلات المستكملة المستعملة .

(٢) في صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٢٩ على ما توجبه مبالغ أرزاقهم .

(٣) في صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٢٩ فإن أخر .

(٤) في الأصل قاصصه .

(٥) سورة الأنفال الآية ٦٠

وأن يَبعــدوا من أهل الريبة ، ويَقْربوا من أهل العفة ، ولا يُمضُوا بيعا على شبهة ، ولا عقدا على تهمة ، وإلى وُلاة العِيار بتخليص عين الدرهم والدينار ، ليــكونا مضروبَيْنِ على البراءَة من الغش ، والنزاهة مِنَ الزيف (١) وتخصيصه بالإمام (٢) المقرّر بمدينة السلام ، وحراسة السكك من أن تتداولها الأَيدى المُدغِلة ، وتتناقلها الجهات المبطلة (٣) (٢٠١ ب) وإثبات اسم أَمير المؤمنين عــلى [ما يضرب منها ذهبا وفضة ، وإجراء ذلك عــلى الرسم والسنة ، وإلى ولاة الطرز بأَن يجروا الاستعمال فى جميــع المناسج على أتم النيقة ، وأَسلم الطريقة ، وأَحــكم الصنعــة ، وأَفضل الصحة ، وأن يثبتوا اسم أَمير المؤمنين] (٤) على طرز الكُسا ، والفرش والأَعلام والبنود ، وإلى ولاة الحسبة أَن يتصفحوا أَحوال العوام فى حِرفهم ومتاجرهم ، ومجتمــع أَسواقهم ومعاملاتهم ، وأَن يعايروا الموازين ، والمــكاييل ، ويفرزوها على التعديل والتــكميل ، ومن

(١) في صبح الأعشى : من المش . وفسر بأنه الخلط حتى يذوب .
(٢) في صبح الأعشى : ويحسب الإمام .
(٣) في صبح الأعشى : الجهات الظنينة .
(٤) الزيادة وردت في صبح الأعشى .

اطلعوا منه على حيلة أو تلبيس ، أو نميلة أو تدليس ، أو بخس فيما يوفيه ، أو استفضال فيما يستوفيه ، نالوه بغليظ العقوبة وعظيمها ، وخصوه بوجيعها وأليمها ، واقفين به فى ذلك عند الحد الذى يرونه لذنبه مجازيا ، وفى تأْديبه كافيا ، فقد قال الله تعالى ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وإِذَا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (١) .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته عليك ، وقد وقفك به على سواء السبيل ، وأرشدك فيه إلى واضح الدليل . وأوسعك تعليما وتحكيما ، وأقنعك تعريفاً وتفهيما ، ولم يأْلُكَ جهدا فيما عصمك وعصم على يدك ، ولم يدَّخرك ممكنا فيما أصلح بك وأصلحك ، ولا ترك لك عذرا فى غلط تغلطه ، ولا طريقاً إلى تورّط تتورطه ، بالغا بك فى الأَوامر والزواجر إلى حيث يلزم الأَئمة أن يندبوا الناس إليه ، ويحثوهم عليه ، مقيما لك على منجيات المسالك ، صارفا بك عن مرديات المهالك ، مريدا فيك ما يسلِّمك فى دينك ودنياك ، ويعود بالحظ

(١) سورة المطففين ، الآيات ١ ، ٢ ، ٣

عليك فى آخرتك وأُولاك ، فإن اعتدلت وعدلت فقد فزت وغنمت ، وإن تجانفت واعوججت فقد خسرت وندمت ، والأَوْلَى بك عند أَمير المؤمنين مع مَغْرِسك الزاكى ، ومنبتك النامى ، وعودك الأَنجب ، وعنصرك الأَطيب ، أَن تكون لظنه فيك محقِّقا ، ولِمَخِيلته فيك مصدِّقا ، وأَن تستزيد [1] بالأَثر الجميل قُربا [من رب العالمين] [2] وثوابا يوم الدين ، وزلفى عند أَمير المؤمنين ، وثناء حسنا (١٢٠٢) من المسلمين ، فخذ ما نبذ إليك أَمير المؤمنين من معاذيره ، وأَمسكْ بيدك على ما أَعطى من مواثيقه ، واجعل عهده مثالا تحتذيه ، وإماما تقتفيه ، واستعن بالله يُعنك ، واستهده يَهدك ، وأَخلص إليه فى طاعته يُخلص لك الحظَّ من معونته ، ومهما أَشكل عليك من خَطْب ، أَو أَعضل عليـــك من صَعْب ، أَو بهرك من باهر ، أَو بهظـــك من باهظ ، فاكتب إلى أَمير المؤمنين مُنْهِيا ، وكن إلى ما يرد عليك منتهيا [3] إن شاءَ الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

---

(١) في الأصل أن تسير.

(٢) الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن رسائل الصابى المطبوعة .

(١) في صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٣١ « .. به منهيا وكن على ما يرد عليك [من جوابه] منتهيا » والزيادة عن رسائل الصابى .

وعلى هذا النهج جرى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي فيما كتب به للعادل كُتْبغا المنصوري عن الحاكم الأَول ، وهو الإمام الحاكم بأَمر الله أَحمد بن الحسين [1] .

وهذه نسخته [2]

هذا عهد شريف فى كتاب مرقوم يشهده المقربون ، ويُفَوِّضه آل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأَئمَّة الأَقربون. من عبد الله ووليه الإمامِ الحاكم بأَمر الله أَبي العباس أَحمد أَمير المؤمنين ، وسليل الخلفاء الراشدين ، والأَئمة المهديّين ، رضوان الله عليهم أَجمعين ، إلى السلطان الملك العادل ، زين الدنيا والدين كُتْبغا المنصورى أَعز الله سلطانه .

أَما بعد فإن أَمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى جعل له منك سلطانا نصيرا ، وأَقام له بملكك على ما ولاه من أُمور خلقه عضدا وظهيرا ، وآتاك بما نهضت به من طاعته نعيما وملكا كبيرا ، وخوَّلك بإقامة ما وراءَ سريره من مصالح

(١) في صبح الأعشى بهامشه نقلا عن ابن إياس : هو أحمد بن على بن أبي بكر . وفي خطط المقريزى أحمد بن أبي على الحسن . أما في الأصل ج ٢ ص ١١٦ فهو كما أثبته هنا في الأصل صحيحا .

(٢) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٤٧

(٢٠٢ ب) الإسلام بكل أرض منبرا وسريرا ، وجاء بك لإعانته على ما استخلفه الله فيه من أمور عباده على قَدَر وكان ربك قديرا ، وجمع بك الأُمة بعد أن كاد يَزيغ قلوبُ فريق منهم ، وعضدك لإقامة إمامته بأَولياء دولتك الذين رضى الله عنهم ، وخصك بأَنصار دينه الذين نهضوا بما أُمروا به من طاعتك وهم نازهون [١] ، وأظهرك على الذين ﴿ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُون ﴾ [٢] واصطفاك لإقامة الدين وقد اختلفت الأَهواء فى تلك المدة ، ولمَّ بك شعث الأُمة بعد الاضطراب فكان موقفُك ثَمَّ موقفَ الصديق يوم الردة .

ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة حاكم بأَمره ، مستنزِل لك بالإخلاص ملائكةَ تأْييده وأَعوان نَصْره ، مسترهِفٍ بها سَيْفَ عزمك على من جاهره بشركه وحاربه بكفره ، معتصمٍ بتوفيقه فى تفويضه إليك أَمر سره الذى استُودِعه فى الأُمة وجهره ، ويصلى

(١) فى الأصل وهم كارهون والتصويب من صبح الأعشى . والنازه العفيف .

(٢) سورة التوبة الآية ٤٨

على سيدنا محمد رسوله الذى استخرجه الله من عنصره وذويه ، وشرّف به قَدْرَ جده بقوله فيه : « عَمُّ الرجل صِنْو أَبيه ».وأَسَرَّ إليه بأَن هذا الأَمر فُتح به ويُختم ببنيه ،وعلى آله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده ، الذين قَضَوْا بالحق وبه كانوا يعدلون ، وجاهدوا أَئمة الكفر الذين لا إيمان لهم والذين هم بربهم يعدلون ، وسلَّم تسليما كثيرا .

وإن أَمير المؤمنين لما آتاه الله من سر النبوة ، واستودعه من أَحكام الإمامة الموروثة عن شرف الأُبوة ، واختصه من الطاعة المفروضة على الأُمم ، وفرض عليه من النظر فى الأَخصِّ من مصالح المسلمين والأَعم ، وعَصَمَ آراءه ببركة آبائه من الخَلَلِ ، وجعل سهم اجتهاده هو المصيبَ أَبدا فى القول والعمل ، وكان السلطان فلان هو الذى جمع اللهُ به كلمَة الإسلام وقد كادت ، (٢٠٣ ا) وثبَّت به الأَرضَ وقد اضطربت بالأَهواء ومادت ، ورفع به منار الدين بعد أَن شمخ الكفرُ بأَنفه ، وأَلّف به شمل المسلمين وقد

طمح العدو إلى افتراقه وطَمِع فى خُلْفه ، [وحفظ به فى الجهاد حكم الكتاب الذى ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ﴾] (١) وحمى به الممالك الإسلامية فما شام الكفرُ منها برقَ ثغرٍ إلا رُمى من وَباله بوابل ، ولا أطلق عِنان طَرْفه إلى الأَطراف إلا وقع من سطوات جنوده فى كُفَّة حابل ، ولا اطمأَنوا فى بلادهم إلا أَتتهم سراياه من حيث لم يرتقبوا ، ولا ظنوا أَنهم مانعتهم حصونهم من الله إلا وأَتاهم جنوده من حيث لم يحتسبوا ، وأَلف جيوش الإِسلام فأَصبحت على الأَعداء بيمنه يدا واحدة ، وقام بأُمور الأُمة فأَمست عيون الرعايا باستيقاظ سيوفه فى مهاد الأَمن راقدة ، وأَقام منار الشريعة المطهرة فهى حاكمة له وعليه ، نافذٌ أَمرُها على أمره فيما وضع اللهُ مقاليدَه فى يديه ، ونصره الله فى مواطن كثيرة ، وأَعانه على من أَضمر له الشقاق ﴿ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ ﴾ (٢) وأَظفره بمن بغى عليه فى يومه بعد حلمه عنه فى أَمسه ، وأَيده على الذين خانوا عهدَه ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ

(١) سورة فصلت الآية ٤٢ . والزيادة من صبح الأعشى .

(٢) سورة البقرة الآية ٤٥

نَــكَثَ فَإِنَّمَا يَنْــكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾[1] وتعيّن لمُلْكِ الإسلام فلم يك يصلح إلا له ، واختاره الله لذلك فبلغ به الدِّين آماله ، وضعضع بملكه عمود الشرك وأماله ،وأعاد بسلطانه على الممالك بهجتها وعلى الملك رونقه وجلاله ، وأخدمه النصرَ فما أَضمر له أَحد سوءًا إلا وَزلزل أَقدامه وعجّل وبالَه ، ورده إليه وقد جعل من الرعب قيودَه ومن الذعر أَغلالَه ، وأَوطأَ جواده هامَ أَعدائه وإن أَنِفَ أَن تــكون نِعالَه .

عَهِد إليه حينئذ مولانا الإمام الحاكم بـأَمر الله أَميرُ المؤمنين فى كل ما وراء خلافته المقدسة ، وجميــع ما اقتضته أحــكام إمامته التى هى على التقوى مؤسّسة ، من إقامة شِعَار الملك الذى جمع الله (٢٠٣ ب) الإسلام عليه ، وظهرت أُبهة السلطنة التى أَلقى اللهُ وأَميرُ المؤمنين مقاليدها إليه ، ومن الحكم الخاص والعام ، فى سائر ممالك الإسلام ، وفى كل ما تقتضيه شريعة سيدنا محمد عليه أَفضل الصلاة والسلام ، وفى خزائن الأَموال وإنفاقها ، ومِلْك الرقاب وإعتاقها ، واعتقال الجناة وإطلاقها ، وفى كل ما هو فى يد

(١) سورة الفتح الآية ١٠

الملّة الإسلامية أو يفتحه الله بيده عليها ، وفى جميع
ما هو من ضَوالِّ الممالك الإسلامية التى سيرجعها الله بجهاده
إليها ، وفى تقليد الملوك والوزراء ، وتَقْدِمة الجيوش وتأمير
الأُمراء ، وفى الأَمصار ، يُقِرُّ بها من شاء من الجنود ، ويبعث
إليها ومنها ما شاء من البعوث والحشود ، ويحكم فى أَمرها
بما أَراه الله من الذَّبِّ عن حريمها ، ويتحكم بالعدل الذى
وسم الله به لظاعنها ومقيمها ، وفى تقديم حديثها واستحداث
قديمها ، وتشييد ثغورها ، وإمضاء ما عرّفه الله به وَجهله
سواه من أُمورها ، وإقرار من شاء من حكّامها ، وإمضاء
ما شاء من إتقان القواعد بالعدل وإحكامها ، وفى إقطاع
خواصها ، واقتلاع ما اقتضته المصلحة من عمائرها وعمارة
ما شاء من قلاعها ، وفى إقامة الجهاد بنفسه الشريفة
وكتائبه ، ولِقاء الأَعداء كيف شاء من [تسيير] (١)
سراياه وبعث مواكبه ، وفى مُصَافّة العدوِّ وحصاره ،
ومقارعة شيعته (٢) وأَنصاره ، وغزوه كيف أ.اه الله
فى أَطراف بلاده وفى عقر داره ، وفى المَنِّ والفداء والإِرْقاق ،

(١) الزيادة من صبح الأعشى .

(٢) في صبح الأعشى : وفي مضايقة العدو وحصاره ، ومصابرته وإنظاره وغزوه . . وفي الأصل ومقاربة شيعته .

وضرب الهُدَن التى تَسْأَلُها العِدَا وهى خاضعة الأَعناق ، وأخذ مُجاوِرِى العدو المخذول بما رآه الله من النـكاية إذا أمكن من نواصيهم ، وحكَّم عفوه فى طائعهم وبأْسه فى عاصيهم ، وإنزال ﴿ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِم ﴾ [1] وفى الجيوش التى أَلِف الأَعـداء فتـكاتِ أُلُوفِها ، وعرفوا أَن أَرواحهم ودائع سيوفهـا ، وصبّحتهم سرايا رعبها المبثوثة إليهم ، وتركهم خوفُها ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ (١٢٠٤) يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [2] وهم الذين ضاقت بمواكبهم إلى العِدَا سَعَةُ الفِجاج ، وقاسمت رماحهم الأَعداء شر قِسْمة ففى أَيديهم كعوبها وفى صدور أُولئك الزِّجاج ، وأَذهبت عن الثغور الإسلامية رِجْس الـكفر وطَهّرت من ذلك ما جاور العذب الفراتَ والمِلـحَ الأُجـاجَ ، وعُرفوا فى الحروب بتسرع الإقدام ، وثبات الأَقدام ، وادّخر الله لأَيامه الشريفة أَن يُرْدِفَها بهم [3] دار السلام إلى ملك الإسلام : فيُدِرّ عليهم ما شاء من إنعامه الذى يؤكد طاعتهم ، ويجدد استطاعتهم ،

(١) سورة الأحزاب الأمة ٢٦

(٣) سورة المنافقون الآية ٤

(٣) في صبح الأعشى : وادّخر الله لأيامه الشريفة أن يرد بهابهم دار السلام .

ويضاعف أعدادهم ، ويجعل بصفاء النيات ملائكة الله أمدادهم ، ويحملهم على الثبات إذا لقوا الذين كفروا زحفا ، ويجعلهم فى التعاضد على اللقاء كالبنيان المرصوص فإن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ، وفى أمر الشرع وتولية قضاته وحكامه ، وإمضاء ما فرض الله عليه وعلى الأمة من الوقوف عند حدوده والمشى مع أحكامه ، فإنه لواء الله الممدود فى أرضه ، وحبله المتين الذى لا نقض لإبرامه ولا إبرام لنقضه ، وسنن نبيه الذى لا حظّ عند الله فى الإسلام لغير متمسك بسنته وفرضه ، وهو أعز الله سلطانه سَيفُ الله المشهور على الذين غَدَوْا وهم من أحكام الله مارقون ، ويده المبسوطة فى إمضاء الحكم بما أنزل الله ﴿ ومَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ ﴾ (١) وفى مصالح الحرمين الشريفين وثالثهما الذى تُشَدّ أيضا إليه الرحال ، وإقامة سبل الحجيج الذين يفدون على الله بما أصحبهم (٢) من بِرِّه وعنايته فى الإقامة والارتحال ، وفى عمارة البيوت التى ﴿أذن الله أن تُرفع ويذكرفيها اسمُه يُسبح له فيها بالغُدُوّ والآصال . رجالٌ﴾ (٣) ، وفى إقامة الخطب على المنابر ، واقتران اسمه الشريف

(١) سورة المائدة الآية ٤٧
(٢) في صبح الأعشى : يفدون على الله بما منحهم . . . .
(٣) سورة النور الآية ٣٦ ، ٣٧

مع اسمه بين كل باد وحاضر ، والاقتصار على هـذه التثنية [1] فى أقطار الأرض فإن القائل بالتثليث كافر ، وفى سائر ما (٢٠٤ ب) تشمله الممالك الإسلامية ومن تشتمل عليه شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، وبرا وبحرا ، وشاما ومصرا ، وحجازا ويَمَناً ، ومن يستقر بذلك إقامة وظعنا ، وفوض إليه ذلك جميعه وكل ما هو من لوازم خلافتـه لله فى أرضه ، ما ذكر ومالم يذكر تفويضاً لازما ، وإمضاء جازما ، وعهـدا محكماً ، وعقدا فى مصالح ملك الإسلام مُحَـكَّما ، وتقليدا مؤبَّدا ، وتقريرا على كر الجديدين مُجَدَّدا ، وأثبت ذلك وهو الحاكم حقيقة بما علمه من استحقاقه والحاكم بعلمه ، وأشهد اللهَ وملائكته على نفوذ حكمه بذلك ﴿ واللهُ يَحْـكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُـكْمِهِ ﴾ [2] . وذلك لمـا صح عنده من نُهوض مُلْـكه بإعباء ما حَمَّله الله من الخلافة ، وأدى به الأَمانة عنه فيما كتب الله عليه من الرحمة اللازمة والرافة ، واستقلاله بأُمور الجهاد الذى أقام الله به الدين ، واختصاصه وجنوده بعموم ما أمر الله به الأُمة من قوله تعالى ﴿ قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمْ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ

(١) في الأصل هذا التنبيه .

(٢) سورة الرعد الآية ٤١

ويُخْزِهِمْ ويَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ (١)
وأنه فى الجهاد سهمه المصيب وله به أجر الرامى المسدّد ، وسيفه الذى جرّده على أعداء الدين وله من فتكاته حظُّ المُرْهَفِ المُجَرَّد ، وظل الله فى الأَرض الذى مده بيمن يمينه . وآية نصره الذى اختاره الله لمصالح دنياه وصلاح دينه . الناهضُ بفرض الجهاد وهو فى مستقر خلافته وادع ، والراكض عنه بخَيْله وخَيَاله إلى العدوِّ الذى ليس له غير فتكات سيوفه (٢) رادع ، والمؤدِّى عنه فرضَ النفير فى سبيل الله كلما تعيَّن ، والمنتقم له من أهل الشقاق الذين يجادلون فى الحق بعد ما تبين ، والقائم بأَمر الفتوح التى تَرُدُّ بِيَعَ الكفر مساجدَ يذكر فيها اسم الله واسمُه ، ويرفع على منابرها شعارُه الشريف ورسمه ، وتُمثَّل له بإقامة دعوته صورةُ الفتح كأَنه ينظر إليها ، والناظر عنه فى عموم مصالح (٢٠٥ ا) الإسلام وخصوصها تعظيما لقدره ، وترفيها لسره ، وتفخيما لشرفه ، وتكريما لجلالة بيته النبوى وسلفه ، وقياما له بما عهد إليه ، ووفاء

(١) سورة التوبة آية ١٤

(٢) فى صبح الأعشى : إلى العدو الذى ليس لفتكات سيوفه رادع .

من أُمور الدين والدنيا بما وضع مقاليده فى يده .

وليدل على عظيم سيرته المقدسة بكريم سَيْره ، وينبّه على كمال سعادته إذ قد كُفى به فى أُمور خلق الله تعالى ، والسعيد من كُفِى بغَيْره ، لم يجعل أمير المؤمنين على يده يدا فى ذلك ، ولا فسّح لأَحد غيره فى أَقطار الأَرض أَن يُدعى بمِلك ولا مالك ، بل بسط حكمه وتحَكُّمه فى شرق البلاد (1) وغربها وما بين ذلك ، وقد فَرَض طاعته على سائر الأُمم ، وحكَمَ بوجوبها على الخاص والعام ، ومن ينقض حكم الحاكم إذا حكم ، وهو يعلم أَن الله تعالى قد أودع مولانا السلطان سرًّا يُستضاء بأَنواره ، ويُهْتدى فى مصالح المُلْك والممالك بمناره ، فجعل له أَن يفعل فى ذلك كل ما هدى اللهُ قلبَه إليه ، وبعثه بالتأْييد الإلهى عليه ، واكتفى عن الوصايا بأَن الله تعالى تكفل له بالتأْييد ، وخصه من كل خير بالمزيد ، وجعل خُلُقَه التقوى وكلُّ خير فَرْعٌ عليها ، ونوّر بصيرته بالهدى فما يَدُلُّ على حسنة من أُمور الدنيا والآخرة إلا وهو السابق إليها ، والله تعالى يجعل أَيامه مؤرَّخة بالفتوح ، ويؤيده

(1) فى صبح الأعشى : شرق الأرض وغربها.

بالملائـكة والرُّوح ، على من يَدَّعى الأَب والابن والرُّوح ، ويجعل أَسباب النصر معقودة بسببه ، والمُلْكَ ﴿ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِـى عَقِبِهِ ﴾ (1) .

ويشهد بهذا العهد الشريف من شهده مع الملائـكة المقرّبين ، كل من حضر تلاوته من سائر الناس أَجمعين : لتكون حجَّةُ الله على خلقه أَسبق ، وعهدُ أَمير المؤمنين بثبوته أوثق ، وطاعة سلطان الأَرض قد زادها الله على خلقه بذلك توكيدا ، وشهد [الله] (2) وملائـكته على الخلق بذلك وكفى بالله شهيدا ، والاعتماد على الخط الحاكمىّ أَعلاه حجة به ، إن شاء الله تعالى .

(٢٠٥ ب) وعلى ذلك جرى الشيـخ شهاب الدين محمود الحلبي أَيضاً .

فيما كتب به للملك المنصور حسام الدين لاجين ، عن الحاكم الثانى وهو الحاكم بـأَمر الله بن الحسين (3) المقدّم ذكره .

---

(1) سورة الزخرف الآية ٢٨

(2) هى أيضا مزادة في صبح الأعشى وخلا منها أصله .

(3) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٥٣ « الحـاكم بأمر الله بن أبي الربيع سليمان المتقـدم ذكره» وفي الهامش اعتراض على هذا .

وهذه نسخته (١)

هذا عهد شريف تشهد به الأَملاك لأَشرف الملوك ، وتسلك فيه من قواعد العهود المقدسة أَحسنَ السلوك ، من عبد الله ووليه الإِمام الحاكم بأَمر الله أَمير المؤمنين ، للسلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين ، أَبى الفتح لاجِين المنصوريّ ، أَعز الله سلطانَه .

أَما بعد فالحمد لله مؤتى الملكِ من يشاء من عباده ، ومعطى النصر من يجاهد فيه حقَّ جهاده ، ومرهفِ حسامِ انتقامه على من جاهر بعناده ، ومفوض أَمر هذا الخلق إِلى من أَودعه سرَّ رأْفته فى محبته ومراد نقمته فى مراده ، وجامع كلمة الإِيمان بمن اجتباه لإِقامة دينه وارتضاه ليرفع عماده ، ومقر الحقِّ فى يد من منع سيفَه المجَّردَ فى سبيل الله أَن يَقِرَّ فى أَغماده ، وناصرِ من لم تزل كلمة الفتوح مستكنّة، فى صدور سيوفه جارية على أَلسنة صِعاده ، وجاعِل مُلْكِ الإِسلام من حقوق مَنْ إِذا عُدَّ أَهْلُ الأَرض على اجتماعهم كان هو المتعيِّنَ على انفراده ، الذى شرَّف

(١) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٥٣

أَسِرَّةَ مُلْكِ الإسلام باستيلاء حسام دينه عليها ، وزلزل ممالك أعدائه بما بعث من سرايا رُعْبه إليها ، وثبَّت به أركان الأَرض التى ستَحْتوى مُلْكَه فى طَرَفَيْها ، وضعضع بسلطانه قواعد ملوك الكفر فَودَّعَتْ ما كان مُودَعا لأَيامه من ممالك الإسلام فى يَديْها ، وأَقامه وليَّه بأَمره فلم يختلف عليه اثنان من خلقه ، وقلّده أَمر بريَّته لما أَقدره عليه من (٢٠٦ ا) النهوض بحقهم وحقه ، وأَظهره على من نصب له الغوائل ﴿ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِه ﴾ [١] ، ونصره فى مواطن كثيرة ، لما قدّره فى القِدم من رفعة شأْنه وإعلاء قَدْره ، وجعل عدوَّه وإن أَعرض عن طلبه بجيوش الرعب محصورا ، وكفاه بنصره على الأَعداء التوغلَ فى سفك الدماء فلم ﴿ يُسْرِفْ فِى الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورا ﴾ [٢] ونقل إليه المُلْكَ بسيفه والدماء مصونة ، وحكّمه فيما كان بيد غيره من الأَرض والبلاد آمنة والفتن مأْمونة ، فكان أَمر من ذهب سحابة صَيْف ، أَو خَلْسَة [٣] طيف ، لم تَحُلَّ له روعة فى القلوب ، ولم يُذْعِرْها - وقد أَلبسه الله ما نَزَع

(١) سورة يوسف الآية ٢١

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٣

(٣) فى صبح الأعشى : أو جلسة ضيف .

عن سواه – سالبٌ ولا مسلوب ، إجراءً لهذه الأُمة على عوائد فضله العميم ، واختصاصا بما آتاه من ملكه ﴿ واللهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ واللهُ واسِعٌ عَلِيم ﴾ [1] .

يحمده أمير المؤمنين على ما منح فى أيامه الدينَ من اعتضاده بحُسامه ، والاعتماد فى ملك المسلمين على من يجعل جِبَاهَ ملوكِ الشرك تحت أَقدامه ، والاعتداد بمساعى مَنْ حصونُه فى الجهاد ظهورُ جياده وقصوره أَطراف حسامِه.

ويشهد أَن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ حاكمٍ بما أَرَاه ، حامدٍ له فى ملك الإسلام على ما يَسَّرَ ما وطّده ودَفَع ما عَدَاه [2] مُعتصِمٍ به فى كل ما أَثبتهْ بالحق من قواعد الدين وأَوثقه بالتقوى من عُرَاه ، مُستمدٍّ ملائكة نصره لمن أَغنته عزائمه فى جهاد أَعداء الدين عن سَيْره فى ذلك وسُراه [3] ، وأَن محمدا عبده ورسوله الذى جعله من عَصَبَتَه الشريفة وعُصْبَته ، وشرّفه بوراثة خلافته فى أُمته قَدْرَ رتبته ، [4] وقَصَره على إقامة من يُرهِب العِدا بنشر

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٧

(٢) في صبح الأعشى : على تَيَسُّر ما وطّده ودفع ما عراه .

(٣) في صبح الأعشى : معتصم به في كل ما أثبته الحق من قواعد الدين في جهاد أعداء الدين . . .

(٤) في صبح الأعشى أضاف المحققون على الأصل : « في أمته [ورفع] قدر » .

دعوته فى الآفاق [مع] مواقع رغبته . ويسأله أن يصلى عليه صلاة تفتح له فى الدنيا إلى العصمة طريقا ، وتجعله فى الأُخرى معه ومع الذين أنعم الله عليهم من آبائه الشهداء والصالحين ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [1] وسلَّم تسليما كثيرا (٢٠٦ ب) وإن أَمير المؤمنين لما اختصه الله به من السر [2] المودع فى قلبه ، والنور الذى أَصبح فيه على بينة من ربه ، والتأْييد المنتقل إليه عمن شرُف بقربه ، والنص الذى أَسره رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جده العباس من بقاء هذا الأَمر فى ورثته دون أَقاربه وصحبه ، لم يزل يرغب إلى الله تعالى ويستخيره فى إقامة من ينهض فى ملك الإسلام حق النهوض ، ويفوض أَمر الأُمة [3] إلى من يرى أَداء الأَمانة فيهم من آكد الفروض ، ومن إذا قال النفير يا خيل الله اركبى سابقت خيلُه خَيالَه ، وجازت عزائمه نِصالَه ، وأَخذ عدوَّ الدين من مأْمنه ، وغالب بسيفه [4] الأَجلَ على انتزاع روحه من بدنه ، وقاتل

(١) سورة النساء الآية ٦٩

(٢) في صبح الأعشى : البر .

(٣) في صبح الأعشى : أمر الأمانة .

(٤) في صبح الأعشى : وغالب سفه .

لتـكون كلمة الله هى العليا ، وجاهد لإقامة منار الإسلام لا للتعرض إلى عَرَض الدنيا ، وقـدَّمت له ملوك الدنيـا حصونَها ، وبذلت له مع الطاعةِ مصُونَها ، وأُقيم له بكل قُطر منبر وسرير ، وجمـع ملوكَ العِدا فى رق طاعته مَنْ هو عـلى جمعهم إذا يشاء قدير ، ومن يقيم العدل عـلى ما شُرع ، والشرع على ما أُخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسُمع ، ويميت البِدَع بإحياءِ السنن ، ويعلم أن الله جعل لخلقه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم سَنَنا ولا يعدل بهم عن ذلك السنن .

ولمـا كان السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين أبو الفتـح « لاچين المنصورى » ـ خلد الله سلطانه ـ هو الذى جعل [الله] (١) صلاح الأُمة على يديه ، واختاره لإقامة دينه فساق مُلْكَ الإسلام عَنْوَةً إليه ، وأنهضـه بذلك وقد أمده بجنود نصره ، وأنزل سكينته عليه ، وجمع قلوب أهل الإسلام على حبـه ، وفرّق أعداء الدِّين خوفُ حربه ، وجعل النصرَ حيث توجه من أشياعه (٢) وحزبه ،

---

(١) الزيادة من صبح الأعشى .

(٢) في صبح الأعشى : أشياخه .

وعضده لنصرة الإسلام بملائكة سمائه ، وأقام به
عمودَ الدين الذى بالسيف قام ولا غرو [1] فإن الحسام من
أسمائه . وأقبلتْ إليه طوائف (٢٠٧ ا) جيوش الإسلام
مذعنين ، وأدى فى كرامتهم حقوق طاعة الله الذى أيده
بنصره وبالمؤمنين ، وتلقاهم بشير كرامته ونعمه وقال :
ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ، وطارت مخلقات البشائر
بملكه فى الآفاق ، وأُغصّ العدا بسلطانه فما توهموا فى أمر
الإسلام الاختلاف حتى تحققوا بحمد الله ويمن أيامه
الوفاق ، واختالت المنابر الإسلامية بذكر أمير المؤمنين
وذكره . وأعلنت الأُمة المحمدية بحمد الله الذى أقرَّ به
الحق فى مركزه وردَّ به شارد الملك إلى وكْره ، وتحقق
أمير المؤمنين أنه المكنون فى طويته والمستكن فى إضماره [2]
والقائم فى عمارة بيته النبوى وسلامته مقام سلمانه
وعَمَّاره . فعهد إليه حينئذ فى كل ما تقتضيه أحكام
إمامته فى أُمة نبيه ، وجعله فى التصرف المطلق عنه قائما
مقام وصيه فى الملة ووليه ، وقلده أمر ملك الإسلام تقليدا
عاما ، وفوض إليه حكم السلطنة الشريفة تفويضاً تاما ،

(١) في الأصل : ولا فرق .
(٢) في صبح الأعشى : والمستكن في صدره .

وألبسه من ذلك ما خلعه عن سواه ، ونشر عليه لواء المُلك الذى زوى ظلَّه عن غيره وطواه ، وحكّمه فى كل ما تقتضيه خلافته المقدسة ، وتمضية إمامته التى هى على التقوى مؤسسة : من إقامة منار الإسلام ، والحكم العام . فى أُمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وفى تقليد الملوك والوزراء ، وتقدمة الجيوش وتأمير الأُمراء ، وفى تجهيز العساكر والسرايا ، وإرسال الطلائع والروايا ، وتجريد الجنود الذين ما ندبهم إلى العدا إلا أتوا بالنهاب وبالسبايا . وفى غزو العدوّ كيف أراه الله إن شاءَ بنفسه أو جنده . وفى استنزال [1] النصر بالثبات والصبر ، فإن الله يجزى الصابرين وما النصر إلا من عنده ، وفى محاصرة العدو ومصابرته ، وإنظاره ومناظرته ، وإنزالهم على ما شرع الله فيهم من الأَحكام ، والتوخى فى ذلك ما حكم به سعد بن معاذ فى زمن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ؛(٢٠٧ ب) وفى ضرب الهُدَن وإمضائها ، والوفاء بالعقود المشروعة إلى انتهاء مددها وانقضائها ، وفى إرضاء السيوف ممن نكث ولم يُتِمَّ عهده إلى مدته ، فإن إسخاط الكفر فى

(١) في صبح الأعشى : وفي استرسال . . . . .

إرضائها ، وفى الأَمصار يقرُّ بها من شاء من الجنود ، ويبعث إليها ما شاء من البعوث والحشود ، وفى سداد الثغور بالرجال الذين تفترُّ بهم عن شنَب النصر ، وتأْمن بهم أَعدادُها من غوائل الحصر ، وتوفر سهامها من سهام القوة التى ترمى العِدَا بشرر كالقصر ، وإمداد بحرها بالشوانى المجرَّبة المجردة [1] ، والسفن التى كأَنهـــا القصور الممهدة ، على الصروح الممردة ، فلا تزال تدبّ إليهم من ذوات الأَرجل عقاربها ، وتخطف غربانَهم الطائرةَ بأَجنحة القلوع مخالبُها ، وفى تقدمة الأُلوف وتنفيذ السرايا ، التى لا تزال أَسنتها إلى نحور الأَعداء مقوّمة ، وإنفاق ما يراه فى مصالح الإسلام من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة ، وفى إعلاء منار الشرع الشريف والانقياد إليه ، والمسارعة إلى نفوذ حكمه فيما له وعليه ، وتقوية يد حكامه على كل أَمير ومأْمور أَقر الشرعُ فى يده شيئًا أَو انتزعه من يديه ، وتفويض الحكم إلى كل من يتعين لذلك من أَئمة الأُمة ، وإقامة الشرع الشريف على قواعده الأَربــع فإن اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة ، وفى

(١) فى صبح الأعشى : المجربة المجودة .

مصالح الحرمين الشريفين وثالثهما الذى تُشد الرحال أيضا إليه ، وفى إقامة سبل الحجيــج الذى دعاهم الله فلبوه واستدعاهم فقدموا عليه ، وفوض [إليه] كلّ ما هو من لوازم خلافته لله فى أرضه : ما ذُكروما لم يُذكر ، تفويضا لازما ، وتقليدا جازما ، وعقدا محكما ، وعهدا فى مصالح الإسلام والمسلمين مُحكَّما ، واكتفى عن الوصايا بما جُبل عليه خلقه الشريف من التقوى ، وهَدْىِ نفسه النفيسة إليه من التمسك بالسبيل الأقوم [1] والسبب الأقوى ، فما يُنبَّه على حسنة إلا وهو (٢٠٨ ا) أسبق إليها ، ولا يُدل على معدلة [2] إلا وفكره الشريف أسرع من فــكر الدال عليها ، وقد وثق ببراءة الذمة من حق قوم أضحوا لفضل مثله راجين ، وتحقيق حلول النعمة عــلى أمــة أبدا إلى «لاچين» لاجين [3] ، وقد استخار أمير المؤمنين الله تعالى فى ذلك كثيرا ، ولجأ إلى الله فى توفيقه وتوقيفه على الصواب مما يجده فى الحكم بذلك هاديا ونصيرا ، وسارع إلى التسليم لأمر الله تعالى فيما فوض إليه من أمور عباده

---

(١) فى صبح الأعشى : بالسند الأقوم والسبب الأقوى .

(٢) فى صبح الأعشى : ولا يدل على خلة . . . .

(٣) فى صبح الأعشى : وتحقق حلول النعمة على أمة أسسوا إلى « لاجين » لاجين .

إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ، وأشهد الله وملائكته ومن حضره من المؤمنين على نفسه بما تضمنه هذا العهـد الكريم ؛ وحَكَمَ بمقتضاه على الأُمة ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . والخط الشريف الإمامى الحاكمى أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

وعلى مثل ذلك كتب المولى شمس الدين إبراهيم بن القيسرى .

عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون عن الحاكم بأمر الله أحمد بن الحسين [١] المقـدم ذكره فى سلطنته الثانية عند عوده من الكرك بعد خلع المنصور لاجين

وهذه نسخته [٢]

هذا عهد يعمر بك للإسلام المَعَاهد ، وينصر منك الاعتزام فتغنَى عن المُوالى والمُعاهِد [٣] ، ويلقى إليك

---

(١) في صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٥٩ : القاضى شمس الدين إبراهيم بن القيسرانى . . . . بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان.

(٢) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٥٩

(٣) في صبح الأعشى : والمعاضد .

مقاليدَ الأُمور : لتجتهد فى مراضى الله وتجاهد ، ويبعثك على العمل بالكتاب والسنة : ليكونا شاهِديْنِ لك عند الله فى أعظم المَشاهد ، فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة تبركا بأَخْذ يحيى عليه السلام الكتاب ، وحاسب نفسك محاسبة تجد نفعها يوم يقوم الحساب ، واعمل صالحا (٢٠٨ ب) فالذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب .

من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأَمر الله أَبى العباس أَحمد أَمير المؤمنين : إلى السلطان الأَجل ، العالم ، العادل ، المجاهد ، المرابط ، المظفر ، الملك ، الناصر ، ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين ، فاتح الأَمصار ، مبيد الأَرمن والفرنج والتتار ، وارث الملك ، سلطان العرب والعجم والترك ، خادم الحرمين ، صاحب القبلتين ، أَبى الفتح محمد [قسيم] [1] أمير المؤمنين أَعز الله سلطانه ، ولد السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، قدس الله روحه .

أَما بعد ، فالحمد لله الذى أَقام ناصر الإسلام وأَهله

---

(١) الزيادة من صبح الأعشى . فقد حدث في الأصل خرق أو قطع .

بخير ناصر ، وأحل فى السلطنة المعظمة من استحقها بذاته الشريفة وشَرَفِ العناصر ، ووضع الإِصْرَ بمن كثرت منه ومن سلفه الكريم على الرعايا والأَواصر ، وعقد لواء المُلْك لمن هو واحد فى الجود أَلفٌ فى الوغى ففى حاليه تُعقد عليه الخناصر ، وجمع كلمة الأُمة بمتفرد فى المعالى متوحِّد فى المفاخر ، متّصف بمناقبَ أَربى بها على أَربابها من الملوك الأَوائل والأَواخر ، وأَقرّ النواظر والخواطر بمن أَشرق عليهما نوره الباهر ، وظهر آثار وجود وجوده على البواطن والظواهر ، وأَعاد شبيبة الأَيام فى اقتبال سر السرائر ، وسارت بشائر مقدمه فى الآفاق سير المثل وما ظنك بالمثل السائر ، وفعلت مهابته فى التمهيد والتشييد فعل القنا المتشاجر ، وشَفَتِ الصدور بوجود الاتفاق وعدم الشقاق بعد أَن بلغت القلوبُ الحناجر ، وأَورث البلاد والعباد صفوة ذرية ورثوا السيادة كابرا عن كابر ، وسرى سِرُّهُ إذا ولد المولود منهم تهللت الأَرض واهتزت إِليه المنابر .

والحمد لله الذى اجتبى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من أَشرف بيت وقبيلة ، ومنح الأُمة برسالته من خيرى

الدنيا (٢٠٩ ا) والآخرة الوسيلة ؛ وأوجب الشفاعة لمن سأل الله له أعلى درجة لا ينالها إلا رجل واحد وهي الوسيلة ، وجعل شملهم بمبايعته ومتابعته فى الهداية نظيما ؛ وحض على ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهِ يدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلَى نفسهِ ومنْ أَوْفَى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً ﴾ [١]
وبلّغهم به من السعادة غاية مطلوبهم ، وأيده بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، وزان شريعته المطهرة بمحاسن أبهى منظرا ومخبرا من العقود ، وفرض على المؤمنين أن يُوفُوا بالعهود والعقود . وأقدرهم على حمل الأمانة التى أشفقت السموات والأرض والجبال من حملها ، وأنزل فى كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمانات إِلى أَهْلِهَا ﴾ [٢] .

والحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين من سلالة عم نبيه العباس ، واصطفى بيته المبارك من خير أمة أُخرجت للناس ، وقوى به جأش المسلمين وجيوش الموحدين على

(١) سورة الفتح الآية ١٠
(٢) سورة النساء الآية ٥٨

الملحدين ، وآتاه بسيادةِ جدّه وسعادة جَدِّه ما لم يُؤْتِ أحدا من العالمين ، وحفظ به للمؤمنين ذماما ، وجعله للمتقين إماما ، وخصه بمزيد الشرفين : نسبِه ومنصبِه ، وجعل مزية الرتبتين كلمة باقية فى عقبه ، وصان به حوزة الدين صيانة العرين بالأُسود ، وصيّر الأَيدى البيض مشكورة لحاملى راياته السود .

يحمده أَمير المؤمنين حمد من اختاره من السماء فاستخلفه فى الأَرض ، وجعل إمرته على المؤمنين فرضاً لتقام به السنة والفرض ، ويشهد أَن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ﴿ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ (١) وبلّغ الأُمةَ به من النجاة والنجاح الغرض الأَقصى (٢) ، ويشهد أَن محمدا عبده ورسوله الذى كشف بمبعثه عن القلوب حجب الغىّ ، (٢٠٩ ب) وأَشرقت أَنوار نبوته فأَضاءَ بها يوم دخوله المدينة كلّ شىّ ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أَقامه فى الإمامة مُقامه وأَشار إلى الاقتداء به

(١) سورة الإسراء الآية ١

(٢) « وبلغ الأمة . . . . . . الغرض الأقصى » غير موجودة فى صبح الأعشى .

من بعده ، ومنهم من أعز الله به الإسلام فى كل قطر مع قربه وبعده ، ومنهم من كانت اليد الشريفة النبوية فى بيعة الرضوان خيرا له من يده ، ومنهم من أمر الله تعالى بالمباهلة بالأبناء والنفوس فباهل خاتَم الأنبياء صلى الله عليه وسلم به وبزوجه وولده ، وعلى بقية العشرة ، الذين غدت بهم دعوة الحق مشتهرة منتشرة ، وعلى عمّيه أسدِ الله وأسدِ رسوله عليه السلام ، وجد الأئمة المهديين أُمراء المؤمنين وخلفاء الإسلام ، وسلّم تسليما كثيرا .

وإن الله تعالى جعل سجية الأيام الشريفة الإمامية الحاكمية أدام الله إشراقها ، وقسم بها بين الأولياء والأعداء آجالها وأرزاقها ، ردَّ الحقوق إلى نصابها ، وإعادتها إلى مستحقيها ولو تمادت الأيام على اغتصابها ، وإقرارها عند من هو من دون الورى أولى بها ، ليحقق أن نسبه الشريف أظهر علي أوامره دلائلَ الإعجاز ، وحَلَّى كلماتها بالإيجاز وهباتِها بالإنجاز ، وإن الله جعل الاسم الشريف الحاكميّ فى الحكم بأمره على خير مُسَمّى ، وقوّى منه فى تَأْييد كلمة الحق جناناً وعزما ، ولم يخرج من أحكامه عن اتباع أمرِ الله قضيةً ولا حُكْما .

وكنتَ أيها السيد العالم ، العادل ، السلطان ، الملك ،

الناصر . ناصر الدنيا والدين ، أبو الفتح محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور ، سيف الدين قلاوون — قدس الله روحه — أولى الأولياء بالملك الشريف ، لما لسلفك من الحقوق ، وما أسلفوه من فضل لا يَحْسُنُ له التناسى ولا العقوق ، ولِمَا أوجب لك على العساكر الإسلامية سابقُ الأيمان ، وصادقُ الإيمان : ولأنك جمعت فى المجد بين طارف وتالد ، وفُقْتَ بزكى نفس وأخ ووالد ، وجَلالة ، ما ورثْتها عن كلالة ، وخلال ، (٢١٠ ا) ما لها بالسيادة إخلال ، ومفاخر ، تُكاثر البحرَ الزاخر ، ومآثر ، أعجز وصفُها الناظمَ والناثِر ، وكان ركابك العالى قد سار إلى الكَرَكِ المحروس ، وقعدتْ عنك الأجسام وسافرت معك النفوس ، ووثقت الخواطر بأنك إلى السلطنة تعود ، وأن الله يجدد لك صعودا إلى مراتب السعود ، وأقمت بها وذكرك فى الآفاق سائر ، والآمال مبشرة بأنك إلى كرسى مملتك صائر ، فلما احتاج الملك الشريف فى هذه المدة إلى ملك [1] يَسُرُّ سَرِيرَه ، وسلطان تغدو باستقراره عيون الأنام والأيام قريرة ، لما للمسلمين فى ذلك من

(١) فى الأصل فى هذه الملك إلى ملك .

تيسير أَوطار وتعمير أَوطان ، ولأَنهم لا ينفذون فى المصالح الإسلامية إلا بسلطان ، لم يَدُرْ فى الأَذهان ، ولا خطر لقاصٍ ولا دانٍ ، إلا أَنك أَحق الناس بالسلطنة الشريفة ، وأَولاهم برتبتها المنيفة ، ولا ذكر أَحد إلا حقوق بيتك [1] وفضلها ، ولا قال عنكم إلا بقول الله تعالى ﴿ وكانُوا أَحقَّ بِها وأَهْلَها ﴾ [2] لأَن البلاد فتوحات سيوفكم ، ورعاياها فيما هم فيه من الأَمن والخير بمنزلة ضيوفكم ، ولأَن العساكر الإسلامية استرقهم ولاؤك ، ووالوك لأَنهم أَرقاؤك ، فلم يقل أَحد : أَنَّى له الملك علينا ؟ بل أَقر كلٌّ منهم لك باليد وقرّ بولايتك عينا ، وأَخلصوا فى موالاتك العقائد ، واستبشروا منك بمُبارَك الوجه ماجدٍ جائد ، ولم يغب غائبٌ خليفتُه جيشُ أَبيه وجدُّه الصاعد ، ورفَعت الممالك يد الضراعة سائلة وراغبة ، وخَطَبَتْك لعقائلها ومعاقلها والخطباء على المنابر لك خاطبة ، وبدعائك مخاطبة ، وقصدت لذلك أَبوابك التى لا تزال تُقصد ، ودُعيت لِلعَوْد المبارك وعَودُ محمد للأُمة المحمدية أَحمد ، وفعلت الجيوشُ المنصورة من طاعتك كلَّ ما سَرَّ ، وأَربت

(١) في صبح الأعشى : حقوق بينك .

(٢) سورة الفتح الآية ٢٦

فى صدق النيات وبرِّها علي كل من بَرَّ . (٢١٠ ب)

ولو أَن مشتاقا تـكلَّف فوق ما
فى وُسْعِـه لَسَعَى إليـك المنبرُ

فما ضرّ بحمد الله بعدُ الدار والآمال لساكنها مطيفة ، بل كان لك الذكرى فى قلب الخليفة نعم الخليفة ، وكنت لديه – وإن غِبْتَ – حاضرا بجميل الذِّكر ، ونـأَيت دارا فقربك إليه حسنُ التصوير فى الفِـكر ، وكان أَمير المؤمنين قد شاهـدك يافعا ، وشهـد خاطره أَن ستصير للمسلمين نافعا ، وتـأَمّل منك أَمائر أَضحى لها لترقيك آملا ، وهلالا دلته كرامته – ولا تُنْـكَرُ له الـكرامة – على أَن سيكون بدرا كاملا ، وبلَغه عنك من العـدل والإِحسان ، ما أَعجز وصفُهُ بلاغَتَى القلم واللسان ، فناداك نَدَاهُ [1] على بعد المزار ، ولم يجد لك نظيرا فأَطال وأَطاب لِمَقْدمك السعيد الانتظار ، إلى أَن أَقدمتَ إقدام الليث ، وقَدِمْت إلى البلاد المتعطشة إلى نظرك الشريف قدومَ الغيـث ، فلاح بك على الوجود دليلُ الفلاح ، وحمد الرعايا سُراكِ عند الصباح والاستصباح ، وشاهدوا منك أَسدا فاق

(١) في صبح الأعشى : نداه .

بوثباته وثَباتِه الأُوَلَ ، وشخصا لا يصلح إلا لإدالة دول ، ولا تصلح إلا لمثله الدول ، وقامت باختبارك على اختيارك الدلائل ، وعرفك سرير الملك وعرف فيك من أَبيك شمائل ، ورأى أَمير المؤمنين من نجابتك فوق ما أَخبرتْ به مُساءلةُ الركبان ، ومن مهابتك ما دل علـى خفض الشانئ ورفع الشان ، ومن محامدك كلَّ ما صغَّر الخَبَرَ عنها الخُبْر ، وأَعلنتْ أَلسنة الأَقدار بأَنه لم يبق عن تقليدك الممالكَ الإسلامية بحمد الله تعالى عذر ، فاختارك على علم عـلى العالمين ، واجتباك للذبِّ عن الإسلام والمسلمين ، واستخارالله تعالى فى ذلك فخار ، وأَفاض عليك من بيعته المباركة مع فخرك المشتهر حُلَلَ الفَخار ، وعهد إليك فى كل ما اشتملت عليه دعوة إمامته المعظمة ، وأَحكام خلافته التى لم تزل بها عقود الممالك فى الطاعة منظمة ، وفوَّض (٢١١ ا) إليك سلطنةَ الممالك الإسلامية برا وبحرا ، شاما ومصرا ، قربا وبعدا ، غورا ونجدا ، وما سيفتحه الله عليك من البلاد ، وتستنقذه من أَيدى ذوى الإلحاد ، وتقليـد الملوك والوزراء ، وقضاة الحـكم العزيز وتأْمير الأُمراء ، وتجهيز العساكر والبعوث للجهاد فى سبيل الله ومحاربة من

ترى محاربته من الأعداء ، ومهادنة من ترى مهادنته منهم ، وجَعلَ إليك فى ذلك كله العَقْدَ والحَلّ ، والإبرام والنقض ، والولاية والعزل ، وقلدك ذلك كله تقليدا يقوم فى تسليم الممالك إليك مقامَ الإقليد ، ويقضى لقريبها ويعيدها بمشيئة الله تعالى بمزيد التمهيد والتشييد ، لتعلم أن الله قد جعل الأيام الشريفة الحاكمية — أدامها الله تعالى — فلكا أبْدى سالفا من البيت الشريف المنصورى أقمارا ، وأطلع منهم آنفا بدرا ملأ الخافقين أنوارا ، فكلما ظهر لسلفه بدت مآثر خَلَفه أظهر ، ومن شاهدهم وشاهد شمس سعادته المنزَّهة عن الأُفول : قال : هذا أكبر ، وكلما ذُكر لأحدهم فضلٌ عَلِم أنه فى أيامه مُتَزَيِّد ، وأنه إن مضى منهم سيد فى سبيله فقد قام بأطراف الأسنة منهم سيّد ، وصير الدولة الشريفة الخليفية غابا إن غاب منهم أُسود ، خَلَفَهُمْ شِبْلٌ بشّرت مخائلُه أنه عليها يسود ، فليتقلّد السلطان الملك الناصر ما قلّده أميرُ المؤمنين ، وليكن لدعوته الهادية من الملبِّين ، وعليها من المؤمِّنين ، ولْيترقَّ إلى هذه الرتبة التى استحقها بحسبه ، واسترقّها بنسبه ، وليباشرها مستبشرا ، ويظهر من شكر الله عليها ما يغدو به

مستظهرا ، فقد أراد أمير المؤمنين القيام فى نصرة الدين الحنيف فأقامك أنت مُقامه ، وصَرَّف بك بين أهل الطاعة والعصيان إكرامه وانتقامه ، رعاية لعهد سلفك الكريم ، ولما استوجَبَتْه نفسك النفيسة من وُفُور التعظيم والتكريم ، وعنايةً بالعساكر (٢١١ ب) المؤيّدة الذين وجهوا وجوه آمالهم إليك ، وأبت كلمتهم التى صانها الله عن التفرق أن تجتمع فى الطاعة والخدمة إلا عليك ولديك ، ومنة عليهم بسلطان ما برحوا من الله تعالى يطلبونه ، ومُلْكٍ نشأُوا بأبوابه العالية فلهذا يحبهم ويحبونه ، فاحمد الله الذى جعل لك فى إعادة الملك أُسوة بسليمان عليه السلام ، ورده إليك ردا لا انفصال لعروته ولا انفصام ، فأضحيت لأُمور عباده سَدادا ، ولثغور بلاده سِدادا ، وللخليفة عضُدا فى الخليقة ، وفى الدهر سامى الحقيقة حامى الحقيقة ، وللملك وارثا ، ورقّاك رقيا أصبحت به فى السلطنة واحدا وللخلافة المعظمة ثانيا وللقمرين ثالثا .

وبُشْراك ، أن الله أبرم سببَ تأْكيدك إبراما لا تصل الأَيدى إلى نقضه ، وأنك سئلت عن أمر طالما أتعب

غيرَك سؤالَه فى بعضه ، وأن الله يحسن لك العون وبلك الصون ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عبدَ الرحمن بن سَمُرة ، لا تسأَل الإمارة فإنك إن أُعْطِيتَها عن مسأَلة وُكِلْتَ إليها . وإن أُعْطِيتَها عن غير مسأَلة أُعِنْتَ عليها » .

وبشراك أَنَّ أَمير المؤمنين خصك بمزيد الاعتناء ، وأَقامك مُقامَه فى حسن الغَناء ، وحقق أَن السعادة فى أيامه موصولة منكم بالآباء والأَبناء ، وبلغك بهذا التقليد الشريف الأَمانى ، وتوَّجه بيمينٍ قريبةٍ عهد باستلام الركن اليَمانى ، واصطفاك بقلب أَظهر له الكُشُوفَ إشراقُ تلك الستور ، وغدا مغمورا بالهداية ببركة البيت المعمور ، ونظرٍ زادته مشاهدة الحرم الشريف النبوى نورا على نور ، وقابل [1] ذلك بالقيام فى مُهِمَّات الإسلام ، وتدقيق النظر فى مصالح الخاص والعام ، واجتهد فى صيانة الممالك اجتهادا يحرس منها الأَوساطَ والأَطراف ، وتنتظم به أَحوالُها أَجَلَّ انتظام وتأْتلف أَجملَ ائتلاف ، والوصايا كثيرة وأَولاها (٢١٢ ا) تقوى الله فليجعلها حلية لأَوقاته ، ويحافظ عليها

(١) فى صبح الأعشى : فقابل .

محافظة من يتقيه حق تَقاته ، ويتخذها نجيّ فكره وأنيسَ قلبه ، ويعظم حُرُماتِ الله ﴿ ومَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ (١) .

والشرع الشريف فهو لِعِقْدِ الإسلام نظام ، وللدين القيم قِوام ، فتجتهد فى اقتفاء سَنَنِه ، والعمل بفروضه وسُنَنِه ، وتكريم أهله وقضاته ، والتوسل بذلك إلى الله فى ابتغاء مرضاته .

وأُمراء دولتك فهم أنصار سلفك الصالح ، وذوو النصائح فيما آثروه من المصالح ، وخلصاء طاعتهم فى السر والنجوى ، وأعوانهم على البر والتقوى ، وهمْ الذين أحلهم والدك من العناية المحلَّ الأَسْنَى ، والذين سَبَقَتْ لهم بحسن الطاعة من الله الحُسْنَى ، ولو لم يكن لهم إلا حُسْنُ الوفاء ، لكفاهم عندك فى مزيد الاعتماد والاستكفاء ، فإنهم جادلوا فى إقامة دولتك وجالدوا ، ووفوا بالعهد فهم الموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، وهم للوصايا بخدمتك واعون ، وفيما ائتمنتهم عليه لأَمانتهم وعهدهم راعون ، قد أَصْفَوْا لك النِّيّاتِ بظهر الغيب ، وأَخلصوا

---

(١) سورة الحج الآية ٣٠

الطويات إخلاصا لاشك معه ولا ريب ، ونابوا عنـك أَحسن مناب ، وكَفُّوا كَفَّ العدو فما طال له لافتراس ولا اختلاس ظُفْرٌ ولا ناب ، واتخذوا لهم بذلك عند الله وعندك يدا ، وأَثَّلوا لهم به مجـدا يبقى حَدِيثُه الحَسَن الصحيـح عنهم مُسْنَدًا .

فاستوصِ بهم وبسائر عساكرك المنصورة خيرا ، وأَجْمِلْ لهم سريرة وفيهم سَيْرا ، وأَحْمِدْهم عقبى هذه الخدمة ، وأوردهم منهل إحسان يضاعف لهم النِّعْمة والنَّعْمة : لتؤكد طاعتك على كل إنسان ، ويثقوا بحسن المكافأة : و﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسانِ إِلاّ الْإِحْسَانُ ﴾ [1] ولتزداد أَوامرك ونواهيك امتثالا ، ولا يجدوا عن محبة أَيامك الشريفة انتقالا ، وليقال فى حسن خِدَمِهم وإحسانك : هـكذا هـكذا وإلا فلا لا .

وأَما الغزو (٢١٢ ب) والجهاد فى سبيل الله تعالى ، وما أَوجبه فيهما قولُه ﴿انْفِرُوا خِفَافاً وثِقالاً ﴾ [2] ، فأَقل ما يُجزئ فرضَ الـكفاية منه مرةٌ فى كل عام ، وأَما فرض العين فوجوبه على ذوى الاستطاعة من المسلمين عامّ ، وقد

(١) سورة الرحمن الآية ٦٠
(٢) سورة التوبة الآية ٤١

عرفت سنن السلطانين الشهيدين ، والدك وأخيكَ — قدس الله روحيهما — فى الاعتناء بجهاد الكفار ، وغزوهم فى عُقْر الدار ، وموقفَ أَحدهما فى موطن زلت فيه الأَقدام عن الإِقدام ، واجتمع فيه الكفر على الإِسلام ، وشاب من هوله الوليد ، ومصابرتَه تُجاه سيف من سيوف الله تعالى الإِمام خالد بن الوليد ، واستنقاذا لآخر البلاد الساحلية التى أَنقذها الله من أَيدى المشركين على يد الصَّلاحَيْن ، وفتح لهما أَبواب الجنة ببركة الافتتاحَيْن ، وأَن والدك وأَخاك سدًّا على المشركين الفِجاج ، وطهَّرا من أَرجاسهم العذبَ الفرَات والملحَ الأُجاج ، فالكتائب المنصورة ، أَبانت [1] التتار بالسيوف المَشْرَفية ، والممالك الإسلامية زَهَتْ نظاما بالفتوحات الأَشرفية ، فاجتهِدْ فى إعلاء كلمة الدين أَتم اجتهاد ، وعزِّزهما منك بثالث فى الغزو والجهاد .

والرعايا [2] بعيدهم وقريبهم ، ومستوطِنهم وغريبهم ، فيوفِّيهم من الرعاية حظهم ، ويجزل صيانتهم وحفظهم ، وكما يرى الحقَّ له فَلْيَرَ الحقَّ عليه ، ويحسن إلى رعاياه كما أَحسن الله إليه .

---

(١) فى صبح الأعشى : « أبادت التتار » وفى الأصل أبانت .

(٢) فى صبح الأعشى : وأما الرعايا . . . .

وأما العدل فإنه للبلاد عِمارة ، وللسعادة أمارة ، وللآخرة مَنْجاة من النفس الأمَّارة ، فليكن له شعارا ودثارا ، ويظهر لسجيّته الزكيّة فيه آثارا [1] ، ولْيؤكّدْ مراسمَه فى الأمر بالمعـروف والنهـى عن المنـكر ، والمحافظة من ذلك على ما يُذكر به عند الله ويُشـكر .

والحدود الشرعيـة فَلْيُحَلِّ بإقامتهـا لسانَه وطِرْسَه ، ولا يتَعَدَّها بنقص ولا زيادة ﴿ ومنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [2] ، والله يخلد له رتبة المُلْك التى أعلى بها مَقامه ، ويديمه ناصرا للدين الحنيف (٢١٣ ا) فأنصاره لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة ، ويجعل سبب هـذا العهد الشريف مدى الأيام متينا ، ويجدد له فى كل وقت نصرا قريباً وفتحـاً مبينا .

والخط الشريف الحاكمى أعلاه حجة بمقتضاه إن شاء الله تعالى [3]

---

(١) جملة : « ويظهر لسجيته الزكية فيه آثاراً » غير موجودة في صبح الأعشى .

(٢) سورة الطلاق الآية ١

(٣) بعده في صبح الأعشى ﺟ ١٠ ص ٦٨ : الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلامه ، حسبنا الله ونعم الوكيل .

المذهب الثـــانى

فى افتتاح عهود الملوك عن الخلفاء أن يفتتــح العهد بقوله : من فلان إلى فلان ، كما يبتدأ فى المــكاتبات ، ثم يأْتى بعد ذلك بقوله : أما بعد ، ثم تارة يأْتى بعــد البعــدية بتحميد ، مثل أن يقول : أما بعد فالحمد لله . ويخلص من ذلك إلى ذكر أمر الولاية وما ينخرط فى سلكها ، وتارة يأْتى بعد البعدية بخطاب المولى والدعاء له ، ويتخلص منه إلى مقاصد العهد من الوصايا وغيرها .

وعلى هذه الطريقــة

كتب به عن الطائع لله للملك الأَشرف شِيرز [(١)] بن عضد الدولة

وهذه نسخته [(٢)]

من عبد الله عبد الــكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى شيرز بن عضد الدولة وتاج الملة أبى شجاع مولى أمير المؤمنين ، سلام عليــك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك

(١) في صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٧٥ : شير زيك وكذلك في أول الخطاب .

(٢) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٧٥

الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله (٢١٣ ب) أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك ، وسعادتك ونعمتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالموهبة فيك وعندك ، فإن أمير المؤمنين يرى أن يحفظ على كلّ ولىٍّ أحمد مذاهبه وأرضى ضرائبه ، وانصرف عن الدنيا متمسكا بطاعته ، متدينا بمشايعته ، حقوقه المتوحدة ، وحرماته المتمهدة ، فيمن يخلفه بعده من وَلَدٍ أَمَّل فيه أن يرث عنه محلَّه ، ويقوم فيه مقامه ، وفاءً لأهل الولاية ، وتصرفا على أحكام الرعاية ، وسياقة للصنيعة ، من سالف إلى خالف ، وإمضائها من تالد إلى طارف ، هذا على الأمر الجامع ، والعموم الشامل ، فإذا اتفق أن تنتهى وراثة القرب إليه ، والمنازل لديه ، إلى النجباء الأفاضل ، والحُصفاء الأماثل ، الذين يستحبون استئناف الاصطناع لهم ، واستقبال التفويض إليهم بالمناقب الموجودة فيهم ، لو انفردت عما حازوه عن آبائهم وأوليائهم ، أجرى أمير المؤمنين ما يفيضه عليهم من الأيادى ، ويُرَقِّيهم إليه من هضبات المعالى ، مُجْرَى الأمر الواجب الذى كثرت الدواعى إليه .

واتفق الرأى والهدى عليه ، وتطابق الإيثار والاختيار فيه ، واقترن الصواب والسداد به ، واشترك المسلمون فى استثمار فائدته وعائدته ، والانتفاع بتأديته وعاقبته ، والله يُخِير لأمير المؤمنين فيما يمضيه من العزائم ، ويَبنيه من الدعائم ، ويعتمده من المصالح ، ويتوخّاه من المناجح ، إنه على ذلك قدير ، وبه جدير ، وهو حسب أمير المؤمنين ونعم الوكيل .

وقد علمتَ أدام الله عزك ، وأمتع المؤمنين بك ، أن شجرة بيتك ، التى تمكنت من الخدمة أُصولها ، ونشأت على الطاعة فروعها . شجرةٌ لم تزل النجابة صاحبة لها[1] ، والفضيلة منوطة بها ، وأسباب التمام والدوام مجتمعة فيها ، فلذلك (٢١٤ ا) سبغت النعمة عليكم ، وامتد ظلها إليكم ، وتقلّب فيها قِداحُكم [2] وتوفّرت منها حظوظكم ، فتداولتموها بينكم كابرا عن كابر ، بمساعيكم الصالحة ، ومناهجكم الواضحة ، وتعاضدكم على ما لمّ شعث الدولة الجامعة ، وطَرف عنها الأعين الحاسدة ،

(١) من قوله : « ونشأت على الطاعة . . . » ساقط من صبح الأعشى .

(١) في صبح الأعشى ونُقّلت فيها أقداحكم .

وكان شيخك عضد الدولة ، وتاج الملة ، أبو شجاع رضوان الله عليه ، صاحبَ الرتبة العظمى [1] عند أمير المؤمنين وهمامَها والممتطى غاربها وسنامها ، فعاش ما عاش مشكورا محمودا ، ثم انقلب إلى لقاء ربه سعيدا رشيدا ؛ وأوجب أمير المؤمنين لك وله فيك الحلولَ بمكانه ، وحيازة خطره وشانه ، إذ كنت أظفر ولده ، وأول المستحقين لوراثته ، وكانت فيك مع ذلك الأدوات المقتضِيات لأن يُفوَّض الأُمور إليك ، ويعتمد فيها عليك ، من كفاية وغَناء ، واستقلال ووفاء ، وسياسة وتدبير ، وشهامة وتشمير ، وتصرف على طاعة أمير المؤمنين ، وإشبال [2] على إخوتك أجمعين ، وحسن أثر فيما أُنفِذَ أَمرُك فيه ، وإفاضةِ أَمْنٍ فيمن مَضَتْ ولايتك عليه ، وإحاطةٍ بدلائل الجزالة [3] ، ومخايل الأصالة ، بمثلها تُنال الغايات الأقاصى ، وتُفْترع الذوائب والنواصى ، فنوّلك أمير المؤمنين تلك الأُثْرةَ ، وخوَّلك تلك الفَخْرة [4] وجعل

---

(١) في صبح الأعشى : الزعمى .

(٢) الإشبال : التعطف .

(٣) في صبح الأعشى : الحوالة .

(٤) في صبح الأعشى : المأثرة وخولك تلك المفخرة .

أخاك صمصامَ الدولة وشمسَ المِلَّة أبا كاليجار - أمتع الله أمير المؤمنين بك - ثانيك وتاليك [1] ، والمتقدم بعدك على ولد أبيك ، وأجراكما في التطبيق بينكما ، والتقرير لمنازلكما ، على مثل ما جرى الأمر عليه بين ركن الدولة أبي عليّ ومعز الدولة أبي الحسين سالفا ، ثم بين عضُد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ومؤيّد الدولة أبي منصور آنفا ، تولّاهم الله بالرحمة ، ونفعهم بما قبضهم عليه من وثائق العصمة ، وخصّك أميرُ المؤمنين بعد ذلك بما يَخُص به ذا القَدْر الشامخ ، والفخر الباذخ ، والقدم السابقة (٢١٤ ب) والمَحَلَّة السامية ، فذَكَرك بالتَّكْنِيَة ، ورفعك عن التسمية ، ولقّبك لقبين : أحدهما شرف الدولة . لتشريفه بك أولياءه الذين أوطأهم عقبك ، وأعلقهم سبيلك [2] ، والآخر زين الملة ، لزينة أيامه بمعاليك ، وتضاعف جمالها بمساعيك ، وعقد لك بيده لواءين يَلْوِيان إليك الأعناق بالطوع ممن سَرّاه وأبهجاه ، والكَرْه ممن راعاه فأزعجاه ، وأمر بأن تقام لك الدعوة على منابر مدينة السلام ، وما يجرى معها من الأعمال بين

(١) في صبح الأعشى : أبا كاليجار - بك تأييده والمتقدم .
(٢) في صبح الأعشى : حبلك .

الدَّعوة لأَمير المؤمنين وبين الدّعوة لصمام الدولة وشمس الملة ، أَمتـع الله أَمير المؤمنين بـكما وأَحسن الدفاع له عنـكما ، إلحاقاً لك وله بعدك بأَبيـكما ، فيما كان شُرِّف به من هذه الحال التى لم ينلها (١) غيره ، ولا أُهِّل لها أَحد قبله ، وأَن يُثبت ذكرك باللقب والـكنية فيما يُنقش من سـكك العَيْنِ والوَرِق فى دور الضرب باديا ، وذكر صمصام الدولة ـ كلأَكما الله ـ تاليا ، وحبـاك أَمير المؤمنين مع ذلك بخلع تامَّةٍ تُفاض عليك ، وفرسين من جياد خيله يُقادَانِ إليك ، بمركبى ذهب من خاصّ مراكبه ، وسيف ماض من خيار أَسيافه ، يُعِزُّ الله منكبيكَ بِنِجَادَيْه ، ويُذِل مناكب أَعـدائكَ بِغرارَيْـه ، وطوق وسِوَارين ، وأَن تُجرى فى المـكاتبة عنه إلى الغاية التى أَجرِىَ أَبوك رحمه الله إليها ، وهـذا الـكتاب ناطق بها ودالٌّ عليهـا ، وندب لإِيصال الجميـع إليك عـلىَّ بنَ الحسين الهاشمىّ الزينبى (٢) وأَحمد بن نصر العباسىّ ، حاجبه ، ودجى (٣) خادِمَه ، فتلقَّ شرف الدولة ، وزين

---

(١) في صبح الأعشى : يبلغها .

(٢) في صبح الأعشى : الزيبى .

(٣) في صبح الأعشى : ووحى .

الملة ، وأبا الفوارس – أدام الله عزك – بما يحقّ عليك ، من تقوى الله فى سرّك وجهرك ، ومراقبته فى قولك وعملك ، وابتغاء رضاه فى مُخْتَلِج خطراتك وفكرك ، واتّباع طاعته فى مخارج أَمرك ونهيك ، وقابل ما أَنعم به عليك ، وأَحسن فيه إليك ، بالشكر الذى موقعه من النعمة موقع القِرَى من (٢١٥ ا) الضيف إن وجده لم يذم ، وإن فقده لم يُقم ، وامددْ على من وُلِّيت عليه من الخاصة والعامة ظِلّكَ ، ووطئ لهم كَنَفك ، واغمرهم بطَوْلك ، وسُسْهم سياسة يكون بها صلاحهم مضمونا ، وحريمهم مصونا ، وبلادهم معمورة ، ومنافعهم موفورة ، وحَلَبُهم دَارًا ، وعيشهم رغدا ، وثغورهم مسدودة ، وأَعاديهم مَذُودة ، ومسالكهم مَحميَّة ، ومساكنهم مَرعيّة ، ومُرْهم بالمعروف ، وانههم عن المنكر ، وابعثهم على الحسنات ، واكففهم عن السيئات ، وسَاوِ فى الحق بين شريفهم ومشروفهم ، وقويهم وضعيفهم ، وقريبهم وغريبهم ، وملِّيهم وذِمِّيِّهِمْ ، وقوِّم سفهاءهم وجهالهم ، وانْف دُعَّارهم وخُرَّابَهُمْ ، وأَكرم صلحاءهم وحلماءهم ، وشاور فضلاءهم وعقلاءهم ، وجالسْ أَدنياءهم وأَعلياءهم ، ورتِّبهم [1]

(١) فى صبح الأعشى : وأنلهم مراتبهم .

مراتبهم، ونزِّلهم منازلهم ، وأَرِهم تمسُّكك بالدين ليقتدوا بك فيه ، ورغبتك فى الخير ليتقربوا إليك به .
وخذ الحقّ وأعطه ، وابسُطِ العدل وقُلْ به ، وادرأ الحدود بالشبهات ، واقْمَعْهَا [1] وأمضها بالبينات ، لتكون الرغبة إليك فى رَهَب ، والرَّهبة منك فى رغب [2] ، وبالجملة فاحْمِلِ الناس على كتاب الله جل وعز وآدابِه ، وسنة الرسول وما جَا بِهِ .

واعلم أن أمير المؤمنين قد جعل كتابه هذا عهدا إليك ، وحجة لك وعليك ، وأن الأوامر والنواهى فى العهود تكون كثيرة ، وإنما قصّر فيه عن استيفائها ، لارتفاع طبقتك عن الحاجة إلى استقصائها ، وللخروج إلى الله من الحق فى تضمينه هذه الجمل منها ، فإذا وصل ذلك إليك مع كرامات أمير المؤمنين المقدَّم ذكرها لك ، فالبس خِلَعَه ، وتقلّد سيفه ، وتحلَّ بِحِلاَه ، وابرُز لمن يليك على حُمْلانِه [3] ، وأظهر لهم ضروب إحسانه وامتنانه ، وانصب أمامك اللواءَين ، وتكَنَّ وتلقَّب باللقبين ، وكاتِبْ من

(١) في صبح الأعشى : وأقمها .

(٢) في صبح الأعشى: لتكون الرغبة إليك في رغب والرهبة منك في رهب .

(٣) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة .

طبقات الناس متلَقِّبا بهما متكنيا ، إلا أَمير المؤمنين فإن (٢١٥ ب) الأَدب أَن لا تكاتبه متلقبا بل مُتسمِّيا ، وليس ذلك ناقصا لك فيما أُعطيته ، ولا مرتجعا شيئا مما حُبِيته ، ولـكنه الأَمر بالمعروف ، والرسم المأْلوف ، وصِلْ ما بينك وبين أَخيك صمصام الدولة وشمس الملة ـ أَدام الله الإِمتاع بـكما ـ بالمودة ، كما وصله الله بالأُخُوّة ، وكونا جميعا يدا فى طاعة أَمير المؤمنين ، واستقيما على كلمة سواء فى رعاية المسلمين ، واتّفقا على مسالمة المسالمين ، وتعاضدا فى محاربة المحاربين ، فان ذلك أَرأَبُ للصدع ، وأَضمُّ للنشر [1] ، وأَنظم للشمل ، وأَليق بالأَهل ، وأَقمْ الدعوة لنفسك على منابر الممالك بعد إقامتها لأَمير المؤمنين ، وكاتِبْ أَمير المؤمنين بأَخبارك ، وطالِعْه بآثارك ، واستدع أَمره فأَمره فيما استعجم من التدبير عليك ، ورأْيه فيما استبهم من الأُمور دونك ، واسترشده إلى الحظّ يُرشدك ، واستهده فى الخطوب يَهْدِك ، واستمدّه من المعونة يمددك ، واشكر آلاءه يَزِدْك ، إن شاء الله تعالى .

(١) في صبح الأعشى : وأحتم للبشر .

أطال الله بقاءك ، وأدام عزك وتأييدك ، وسعادتك ونعمتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالموهبة [1] فيك وعندك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

المذهب الثالث

أن يفتتح العهد بلفظ : إن أولى ، أو إن أحق ، وما أشبه ذلك ، وهي طريقة غريبة خارجة عن أصول الكتابة ، من حيث إن رتبة الملوك فيما يكتب لهم التعظيم ، ومثل هذا الافتتاح إنما يكتب لأصحاب الرتب السافلة التى لا تقارب رتبة الملك ولا ما دونها .

على أنه قد كُتب بذلك عن ديوان الخلافة ببغداد للسلطان صلاح الدين يوسف على جلالة قدره بتقليد الديار المصرية والبلاد الشامية واليمنية فى بعض الأحيان (٢١٦ ا) وكان ذلك إنما وقع حين كان الخليفة الناصر لدين الله مُتغيِّرا عليه حين تلقّب بالملك الناصر ، لما فى ذلك من مضاهاة لقب الخليفة .

وهذه نسخة العهد المكتوب به على هذه الطريقة [2]

---

(١) في صبح الأعشى : وبالرغبة فيك .

(١) صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٤٥

إنَّ أَولى من جادت رِباعه سُحبُ الاصطناع ، وخُصَّ من الاصطفاء والاحتباء بالصفايا والمِرباع ، من تُوسِّم فيه انْتهاجُ[1] الجَدَدِ القَويم ، والطريق الواضح المستقيم ، واعتلاق من الأَولياء بأَوثق عِصَمِهِ وحباله ، والفِناء الذى يهتدى بأَنواره فى متصرَّفاته وأَعماله ، والتحلى بجميل الذكر فى سيرته ، وخلوص الاعتناء بأُمور عطيته[2] ، وكان راغبا فى اقتناء حميد الخلال ، مجتهدا فى طاعــة الله بمايفيضه[3] من العدل الممتد الظِّلال ، عامــلا فيما يُناط به بما يتضوَّع نَشْرُ مُخْتبره[4] ، ويُجتنى بحسن صنعه يانع ثمره ، باذلا وُسعه فى الصلاح ، مُؤْذِنة مساعيه بفوز القِدَاح .

ولمــا كان الملك الأَجل السيد صلاح الدين ، ناصر الإسلام ، عمادُ الدولة ، جمال الأُمة[5] ، فخر الملة ، صفِىّ الخلافة ، تاج الملوك والسلاطين ، قامع الــكفرة

---

(١) في صبح الأعشى : من ترسم انتهاج الجدد .

(٢) في صبح الأعشى : بأمور رعيته .

(٣) في صبح الأعشى : بما يرضيه .

(٤) في صبح الأعشى : نشر خيره .

(٥) في صبح الأعشى : جمال الملك .

والمشركين ،قاهر الخوارج والمتمرّدين ، عز المجاهدين أَلْب غازى بك بن يوسف[1] بن أيوب – أدام الله علوه – على هذه السجايا مُقبلا ، وبصفاتها الكاملة مشتملا ، مؤثرا تضاعف المأْثُرات ، مثابرا متأثرا على ما تَزْكو به الأَعمال الصالحات ،مُتَحَلِّياً بالمحامد الرائقة ، مستبدا بالمناقب التى هى لجميل أَفعاله موافقة مطابقة ، محصِّلا من رِضا الله تعالى ما يؤثره ويرومه من طاعة الدار العزيزة – لازالت مشيدة البناء ، سابغة النعماء ، دائمة الاستبشار ، عزيزة الأَنصار – من استمرار الظفر ما يستديمه .

اقتضتِ الآراء الشريفة – لا زال التوفيق قرينها ، والتأييد مظافرها ومعينها – إمضاء تصرّفه ، وإنفاذ حكمه فى بلاد (٢١٦ ب) مصر وأَعمالها ، والصعيد الأَعلى والإسكندرية ، وما يفتحه من بلاد الغرب والساحل ، وبلاد اليمن وما افتتحه منها ، واستخلصه بعدُ من ولايتها ، والتعويل فى هذه الولايات عليه واستنقاذ [2] ما استولى عليه الكفار من البلاد ، وإعزاز كلّ من أذلوه واضطهدوه من العباد ، لتعود الثغور بيمن نقيبته ضاحكة المباسم ، وبإصابة رأْيه قائمة المواسم .

---

(١) لعلها : غازى بك يوسف

(٢) فى الأصل : «واستعاد» وصوبنا من صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٤٦

أمره بادئاً بتقوى الله التى هى الجُنَّة الواقية ، والذخيرة الباقية ، والعصمة الكافية ، والزاد إذا أنفض وفْدُ الآخرة وأرملوا [1] ، والعتادُ النافع إذا وجدوا شاهدا لهم وعليهم ما عملوا ، فإنها العَلَم المنصوب للرَّشَد ، قال الله تعالى ﴿ يـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَد ﴾ [2] .

وأمره أن يتخذ كتاب الله لزواجره ومواعظه ، ويعتبر بتخويفه وملاحظه ، ويصغى إليه بسمعه وقلبه ، وجوارحه ولبه [ويعمل بأوامره المحكمة ، ويقف عند نواهيه المبرمة] ويتدبر ما حوته آياته من الوعد والوعيد ، والزجر والتهديد ، قال الله عز وجل ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [3] .

وأمره أن يكون على صلاته محافظا ، ولنفسه عن الإخلال والتقصير فى أداء فرضها واعظا ، فيغتنم الاستعداد

---

(١) أنفضوا: هلكت أموالهم وفنى زادهم . وأرمل القوم بمعنى أنفضوا نفد زادهم وافتقروا .

(٢) سورة الحشر الآية ١٨

(٣) سورة فصلت الآية ٤١ ، ٤٢

أمام أَوقاتها للأَداء ، ويحترز من فواتها والحاجة إلى القضاء ، مُوفِّيا حقّها من الركوع والسُّجود ، على الوصف الواجب المحدود ، مخلصاً سره عند الدخول فيها ، وناهياً نفسه عما يصدها بالأَفكار ويُلْهيها ، مجتهدا فى نفى الفكر والوسواس عن قلبه ، منتصباً فى إخلاص العبادة لربه ، ليغدو بوصف الأَبرار منعوتا ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾ [1] .

وأَمره بقصد المساجد الجامعة فى أَيام الجمع ، امتثالا لأَمر الله المتّبع ، بعزيمة فى الخير صادقة ، ونيّة للعبادة موافقة ، وفى الأَعياد إلى المُصَلَّيات (٢١٧ ا) المُصحرة المجمَّلة بالمنابر الحالية ، التى هى من الأَدناس مطهرة نابية ، فإنها من مواضع العبادة ومواطنها ، ومظان تلاوة القرآن المأْمور بحفظ آدابها وسننها ، فقد وصف الله تعالى من وفّقه لتجميل بيوته بالعمارة ، بما أَوضح فيه الإِشارة ، وشرَّفه بوضع سمة الإِيمان عليه بالإِكرام الفاخر فقال ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الْآخِرِ﴾ [2]

(١) سورة النساء الآية ١٠٣

(٢) سورة التوبة الآية ١٨

فيقيم الدعوة الهادية على المنابر على عادة من تقدّمه ، ومنتهياً فيها إلى أحسن ما عهده وعلمه .

وأمره بلزوم نزاهة الحُرمات ، واجتناب المحرمات ، والتحلى من العفاف والورع بأجمل القلائد الرائقة ، والتقمُّص بملابس التقوى التى هى بأمثاله لائقة ، وسلوك مناهج الصلاح الذى يجمل به فعله ، ويصفو له عَلُّه ونَهلُه ، وأن يمنع نفسه من الغضب ، ويردّها عما يأمر به من سوء المُكتسب ، ويأْخذها بآداب الله سبحانه فى نهيها عن الهوى ، وحملها على التقوى ، ورَدْعها عن التورط فى المهاوى والشُّبه ، وكلّ أمر يلتبس فيه الحق ويشتبه ، ويلزمها الأَخذَ بالعفو والصفح ، والتأَمُّلَ لمكان الأَعمال فيه واللَّمح ، قال الله [تعالى] ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١) .

وأمره بإحسان السيرة فى الرعايا بتلك البلاد ، واختصاصهم بالصَّوْن الرائح والغَاد ، ونشر جناح الرِّعاية على البعيد منهم والقريب ، وإحلال كل منهم محله على القاعدة والترتيب ، وإشاعة المعدَلة فيهم ،

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٩٩

وإسهام دانيهم من وافر مُلاحظته وقاصيهم ، وأن يحمى سرْحهم من كل داعر ، ويذود عنهم كلَّ مُوارب بالفساد ومُظاهر ، حتى تصفو لهم من الأَمن الشرائــع ، وتَضْفُوَ عليهم من بركة ولايته المدارع ، وتستنير بضوء العــدل منهم المطالع ، ويحترم أَكابرهم ، ويحنو على أَصاغرهم ، ويشملهم بــكنفه ودِرْعه ، وينتهــى فى مصالحهم إلى غاية وُسْعِه ، ولا يأْلوهم (٢١٧ ب) فى النصح جُهدا ، ولا يخلف لهم فى الخير وعدا ، ويشاورهم فى أَمره ، فإن المشورة داعية إلى الفلاح ، ومفتاح باب الصلاح ، قال الله تعالى ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ علَى اللهِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١)

وأَمره بإظهار العدل فى الرعية التى تضُمهـــا جميـــع الأَكناف والأَطراف ، والتحــلِّى من النَّصَفَةِ بأَكمــل الأَوصاف ، وحمْل كافَّتهم عــلى أَقوم جَدَد ، وعصيان الهوى فى تقويم كلّ أَوَد ، والمساواة بين الفاضل والمفضول فى الحق إذا ظهر صــدقُ دليله ، والاشتمال عليهم بالأَمن الذى يعذب لهم بَرْدُ مَقِيله ، وكشف ظلامة من انبسطت

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩

إلى تَحَيُّفه الأَيدى والأَطماع ، وأَعجزته النُّصرة لنفسه والدِّفاع ، وتصفُّح أَحوالهم بُعين لا ترنو إلى هوًى يميل بها عن الواجب ، وسمع [1] لا يُصغى إلى مقاله مائن ولا كاذب ، ولا يغفل عن مصلحة تعود إليهم ؛ ويرجع نفعها عليهم ، ولا عن كشف ظلامات بعضهم من بعض ، وردهم إلى الحق فى كل رفع من أَحوالهم وخفض ، فلا يُرى إلا بالحق عاملا ، وللأُمور على سنن الشريعة حاملا ؛ مجتنباً إغفال مصالحهم وإهمالها ؛ وحارسا نظامها على تتابع الأَيام واتصالها ، ليكون ذلك إلى وفور الأَجر داعيا ، وَبِحُسن الأُحدوثة قاضيا ؛ مقتديا بما نطق به القرآن ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ [2] .

وَأَمَره أَن يأْمر بالمعروف ويقيم مناره ؛ وينهى عن المنكر ويمحو آثاره ، فلا يترك مُمكنا من إظهار الحق وإعلانه ، وقمع الباطل وإخماد نيرانه ، ويعتمد مساعدة كلِّ مُرْشِدٍ إلى الطريق الأَقصد ، وناهٍ عن التظاهر بالمحظور فى كل مشهد ، فإنه تُضْحِى مَعُونَتُه مُشاركةً فى إحراز

(١) في الأصل : ونجع .

(٢) سورة النحل الآية ٩٠

المثوبة ومساهمة ، ومساومةً فى إقتناء الأَجر ومُقاسمة ، وأن يُوعز بإزالة مظانِّ الريب والفساد فى الدانى [من الأَعمال] والقاصى ، فإنها مواطن الشيطان وأماكن المعاصى ، وأن يشُدَّ على أيدى (٢١٨ ا) الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، ويعينهم على ذلك بما يطيب ذكره فى كل مشهد ومحضر ، ويجتهد فى إزالة كل محظور ومنكر ، مُقَدَّم فى الباطل ومُؤَخَّر ، قال الله تعالى ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١) .

وأمره أن يقدم الاحتياط فى حفظ الثغور ومجاوريها من الكفار ، ويستعمل غاية التيقظ فى ذلك والاستظهار ، ليأمن عليها غوائل المكائد ، ويفوز من التوفيق لذلك بأنواع المحامد ، ويتجرد لجهاد أعداء الدين ، والانتقام من الكفرة المارقين ، أخذا بقول رب العالمين ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) وأن يعمل فيما يحصل من الغنائم عند فلِّ جموعهم ، وافتتاح بلادهم وربوعهم ، بقول الله وما أمر به فى قَسْمِها [وإيفاءِ كل

(١) سورة لقمان الآية ١٧
(٢) سورة التوبة الآية ٤١

صاحب حصة منها] ســالــكا سبيل من غدا لآثار الصلاح مقتفيا ، وللفَرض فى ذلك مُؤَدِّيا ، وبهُدى ذوى الرشــد مُهتديا ، قال الله تعالى فى محــكم التنزيل ﴿ واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (١)

وأَمره أن يجيب إلى الأَمان لمن طلبه (٢) ، ويــكون وفاؤه مقترنا بما تضمّنَه ، غيرَ مُضمرٍ خلاف ما يعطى به صَفْقَةَ أمانه ، ولا مخالف باطنُه ما أَظهره من مقاربته إلى عقد الهدن وإتيانه (٣) ، ويجتنب الغدر وما فيه من العار ، وإسخاط الملك الجبار ، قال الله عز وجــل ﴿ وَأَوْفُــوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٤)

[وأَمره بأَن يأْمر أَصحاب المَعاوِن بمساعدة القضاة والحكام ومعونتهم بما يقضى بلم شمل الصلاحِ فى تنفيذ القضايا والانتظام ، وأَخذ الخصوم بإجابة الداعى إذا استحضروا

---

(١) سورة الأنفال الآية ٤١

(٢) في صبح الأعشى : من طلبه منه .

(٣) جملة « ولا مخالف ... » ليست في صبح الأعشى

(٤) سورة النحل الآية ٩١

إلى أَبوابهم للإنصاف ، والمسارعة إلى الحق الواجب عليهم من غير خلاف ، قال الله تعالى ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ ﴾ [1]]

وأَمره بالتعويل فى المظالم وأَسواق الرقيق ودور الضرب والحِسبة على من يَأْوِى إلى عفاف ودين ، وعلم بأَحكام الشريعة وصحَّة يقين ، لا يخفى عليه ما حرّمه الله تعالى وأَحلَّه ، ولا يلتبس على علمه ما أَوضح إلى الحق الواضح سُبُلَه ، وإلى من يتولّى المظالم بإيصال الخصوم إليه ، وإنصافهم كما أَوجبه الله [تعالى] عليه ، واستماع ظلاماتهم ، وإحسان النظر فى مشاجراتهم [2] .

وأَمره أَن يتلقى النعمة التى أُفرِغت عليه ، وانساقت إليه ، بشكر ينطق به لسانه ، ويترجم عنه بيانه ، ليستديم بذلك الإكرام ، ويقترن الإحسان عنده بالالتئام ، وأَن يوفيها حقَّها من دوام الحمد ، (٢١٨ ب) والقصد إلى شكرها والعمد [3] قال الله تعالى ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِه ﴾ [4] .

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٧٠

(٢) في صبح الأعشى زيادة عشرة أسطر بعد هذه .

(٣) في الأصل : « والفضائل إلى شكرها والحمد » . انظر صبح الأعشى حـ ١٠ ص ١٥١ ، فالتصويب منه .

(٤) سورة النمل الآية ٤٠

وليعلم أنه قد بيّن له من الصلاح ما اتضحت أعلامه ، وأُثبتت فى المرامى سهامُه ، وأُرشد إلى ما أُودَع هذا المنشور من جَدَد الفوز بمرضاة الله تعالى وشكر عباده ، عاملا فى ذلك بمقتضى جِدّه واجتهاده ، ليُحْرِزَ السبق فى دنياه وعقباه ، ويتوفَّر عنده ما مُنح به مما أرهف عزمه وحباه ، وغدا بمكانِه رافلا فى ملابس الفخر والبهاء ، نائلاً منه [1] ما طال به مناكِبَ القُرناء ، واختصّ بما أعلى درجته فتقاعست عنه آمال حاسديه ، وتفرّد بالمكانة عن مقام من يباريه ويُناويه ، وأُولِىَ من الإنعام ما أَمَّن به سِرْب النعمة عنده ، وأَصْفَى من مناهل الإحسان وِرْده ، وأهدى إليه من المواعظ ما يجب أن يُودِعَه وَاعِيةَ الأَسمَاع ، ويأْخذ بالعمل به كل راع ، فينهج - أدام الله علوه - محاجَّ الولاء ، الذى عُهِد من أَمثاله من الأَولياء ، متنزها عن تقصير منه فى عامة الأَوقات ، ومراعيا أَفعاله فى جميع التصرفات ، ويعلم أَنه مسئول عن كل ما يَلْفِظ به لسانه ناطقا ، ونَظَر طَرْفُهُ إليه رامقا ، قبل أَن يجانب هواه ، ويَبقى رهينا بما اكتسبت يداه ، ولا يغترّ من الدنيا

(1) فى الأصل : منى وكذلك فى صبح الأعشى .

وزخرفها بغرّار ليس الوفاء من طباعه ، ومُعِيرٍ ما أقصر مدّةَ ارتجاعه ، وسبيلُ كافة القضاة والأعيان ومقدمى العساكر والأجناد ، ورؤساء البلاد ، متابعتُه وموافقتُه ، وطلب مصالحهم من جانبه ، والتصرّف على استصوابه ، وقد أُكِّدَتْ وَصَاتُه فى الرفق بهم [والاشتمال عليهم] والإحسان إليهم وإجمال السيرة فيهم ، وكلّما أشكل عليه أمر من المتجددات [1] يطالع به الديوان العزيز مجّده الله تعالى ليُنْهِج له السبيل إلى فتح رِتاجه ، وسلوك منهاجه ، والله ولى التوفيق والهداية ، وجمع الكلمة فى كل إعادة وبداية ، والمعونة على العصمة من الزلل ، والتأييد فى القول والعمل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قلت : وقد عاب الوزير ضياء الدين بن الأثير هذا التقليد فى كتابه « المثل السائر » وغض منه وعارضه بتقليد أنشأه ، وقد ذكرته فى كتاب صبح الأعشى فى كتابة الإنشا [2] لإتساعه وبسط القول فيه ، افتتحه بقوله : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذى يكون

(١) فى الأصل : المتجدفات .

(٢) انظر حـ ١٠ ص ١٣٥ إلى ص ١٤٤ والمثل السائر ص ٩١

لكلٍّ خطبة قيادا ، ولكلٍّ أمر مهادا .

أهملت ذكره فى هذا الكتاب لكونه لم يكتب به لأحد .

(٢١٩ ا) المذهب الرابع

فى عهود الملوك أن يفتتح العهد بالحمد لله ، وهو الذى استقر عليه عمل المتأخرين من كتاب الديار المصرية ، على أن المقرّ الشهابى بن فضل الله قد أنكر على الصاحب فخر الدين بن لقمان حيث افتتح العهد الذى كتب به للظاهر بيبرس بالحمد وقال : ليس ابن لقمان بحجة ، ثم قال : على أن القاضى[1] محيي الدين قد تبعه فيما كتب به للمنصور قلاوون ، ولا وجه لإنكاره على ابن لقمان ، فقد كُتب بمثل ذلك من ديوان الخلافة ببغداد عن الإمام المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله العباسى للسلطان الملك الكامل نصير الدين محمد بن العادل أبى بكر ، من إنشاء الوزير أبى الأزهر أحمد بن الناقد بخط العدل ناصر بن رشيد الخرنومى ، فى شهر رجب الفرد سنة ثلاثين وستمائة ، إلا أنه جرى فيه على

(١) في الأصل « الفاضل » وانظر ص ١٢٩

الأُسلوب القديم من قولهم فى أَوامر الخلافة : أَمره بكذا وأَمره بكذا .

وهذه نسخته فيما ذكره البورى فى « تاريخه » [1]

الحمد لله الذى اطمأَنت القلوب بذكره ، ووجب على الخلائق جزيل حمده وشكره ، ووسعت كل شيء رحمته ، وظهرت فى كل أَمر حكمته ، ودلّ على وحدانيته بعجائب ما أَحكم صنعا وتدبيرا ، وخلق كل شيء فقدره تقديرا ، مُمِدّ الشاكرين بنعمائه [2] التى لا تحصى عددا ، وعالم الغيب الذى لا يظهر على غيبه أَحدا ، لا معقب لحكمه فى الإبرام والنقض ، ولا يؤوده حفظ السموات والأَرض ، تعالى أَن يحيط به الضمير [3] وجلَّ أَن يبلغ وصفه البيان والتفسير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ (٢١٩ ب) الْبَصِيرُ﴾ [4] والحمد لله الذى أَرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرا ونذيرا ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً

(١) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٩٩

(٢) في صبح الأعشى : بنعمه .

(٣) في صبح الأعشى : بحكمه الضمير .

(٤) سورة الشورى الآية ١١

مُنِيرًا ﴾ (١) وابْتعثه هاديا للخلق ، وأوضح به مناهج الرشد وسبل الحق ، واصطفاه من أشرف الأنساب وأعز القبائل ، واجتباه لإيضاح البراهين والدلائل ، وجعله لديه أعظم الشفعاء وأقرب الوسائل ، فقذف صلى الله عليه وسلم بالحق على الباطل ، وحمل الناس بشريعته الهادية على المحجـه البيضاء والسنن العادل ، حتى استقام اعوجاجُ كلِّ زائغ ورجـع إلى الحق كل جاحد عنه ومائل ، وسجد لله كل شيء ﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ (٢) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام الأفاضل ، صلاة مستمرة بـالغدوات والأصائل ، خصوصاً علي عمه وصنو أبيه العباس ابن عبد المطلب الذى اشتهرت مناقبه فى المجامع والمحافل ، ودرّت ببركة الاستسقاء به أخْلاف السحب الهواطل ، وفاز من تنصيص الرسول على عقبه فى الخلافة المعظمة بما لم يفز به أحد من الأوائل .

والحمد لله الذى حاز مواريث النبوة والإمامة ، ووفّر جزيل الأقسام من الفضل والـكرامة ، لعبده وخليفته ، ووارث نبيه ومحيي شريعته ، الذى أحلّه الله عز وجل من معارج الشرف والجلال فى أرفـع ذِرْوة ، وأعلقه من حسن

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٦
(٢) سورة النحل الآية ٤٨

التوفيق الإلٰهـى بـأَمتن عِصمة وأَوثق عُرْوة ، واستخرجه من أَشرف نجارٍ وعنصر ، واختصه بـأَزكى منحة وأَعظم مفخر ، ونصبه للمؤمنين علما ، واختاره للمسلمين إماما وحـكما ، وناط به أَمر دينه الحنيف ، وجعله قائما بـالعدل والإنصاف بين القوى والضعيف ، إمام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، أَبي جعفر المنصور المستنصر بالله أَمير المؤمنين ، بن الإمام السعيد النقيّ أَبي نصر محمد الظاهر بـأَمر الله ، بن الإمام الوفى أَبي العباس أَحمد الناصر لدين الله ، بن الإمام السعيد الزكى أَبي محمد الحسن المستضىء بـأَمر الله أَمير المؤمنين (١ ٢٢٠) صلوات الله عليهم أَجمعين ، وعلى آبائه الطاهرين ، الأَئمة المهديين ، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يَعْدِلون ، ولقوا الله تعالى وهو عنهم راض وهم عنه راضون .

وبعد ، فبحسب ما أَفاضه الله تعالى على أَمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه ، من خلافته فى الأَرض ، وفوّضه إلى نظره المقدس فى الأُمور من الإبرام والنقض ، واستخلصه له من حياطة بلاده وعباده ، ووكله إلى شريف نظـرة ومُقدَّس اجتهاده ، لا يزال ــ صلوات الله عليه ــ يكلأُ

العبـاد بعين الرعاية ، ويسلك بهم فى المصـالح العامة والخاصة مذاهب الرشد وسبيل الهداية ، وينشر عليهم جناحَىْ عدله وإحسانه ، ويُنعم لهم النظر فى إرشاد [1] الأُمناء الصلحـاء من خلصـاء أكفائه وأعوانه ، متخيِّرا للاسترعاء من استحمد إليه بمشـكور المساعى ، وتعرّف إليه فى سياسة الرَّعايا بجميـل الأَسباب والدواعى ، وسلك فى مفروض [2] الطاعة الواجبة على الخلائق قصد السبيل ، وعلم منه حسن الاضطلاع فى مصالح المسلمين بالعبء الثقيل ، والله عز وجل يؤيد آراء أَمير المؤمنين - صلوات الله عليه - بالتأْييـد والتسديد ، ويُمـده أَبدا من أَقسام التوفيق الإِلٰهـى بالموفور والمزيد ، ويقرن عزائمه الشريفة باليمن والنجاح ، ويُسَنِّى له فيما يأْتى ويذر أَسباب الخير والصـلاح ، وما توفيق أَمير المؤمنين إلاَّ بـالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

ولمـا وفّق الله تعـالى نصير الدين [3] محمـد بن سيف الدين أَبى بـكر بن أَيوب من الطاعة المشهورة ،

---

(١) في صبح الأعشى : في ارتياد .

(٢) في صبح الأعشى . في مفترض .

(٣) في هامش صبح الأعشى : المشهور ناصر الدين .

والخِدم المشكورة ، والحُظْوة فى جهاد أعداء الدين بالمساعى الصالحة ، والفوز من المراضى الشريفةِ ، الإمامية – أَجَلَّهَا الله تعالى – بالمغانم الجزيلة والصفقة الرابحة ، لما وصل فيه سالفَ شريفِ الاختصاص بآنفه ، وشفع تالده فى تحصيل مأْثور الاستخلاص بطارفة ، واستوجب بسلوكه من الطاعة المفروضة مزيد الإكرام والتفضيل (٢٢٠ ب) وضرع فى الإنْعام عليه بمنشور شريف إمامىّ يسلك فى اتّباعه هُدَاه والعمل بمراشده سواء الصراط وقصد السبيل ، اقتضت الآراء الشريفة المقدسة – زادها الله تعالى جلالا متأَلِّق الأَنوار ، وقدسا يتساوى فى تعظيمه من هو مستخف بالليل وسارِب بالنهار – الإيعازَ بإجابته إلى ما وجّه أمله إلى الإنافة فيه به إليه ، والجذب بِضَبْعِه إلى ذروة الاجتباء الذى تظهر أشعة أنواره الباهرة عليه ، فقلّده – على خِيرَةِ الله تعالى – الزعامة والغلات [1] ، وأعمال الحرب والمعاون والأَحداث والخراج والضِّياعَ والصدقات ، والجوالِيَ وسائرَ وجوه الجبايات ، والعرض والعطاء ، والنفقه فى الأَولياء ، والمظالم والحِسبة فى بلاده ، وما يفتحه

(١) فى الأصل : والصلاة .

ويستولى عليه من بلاد الفرنج الملاعين [1] ، وبلاد من تَبْرُز إليه الأوامر الشريفة بقصـــده من المارقين [2] عن الإجماع المنعقد من المسلمين ، ويتعدى حدود الله تعالى بمخـالفة من حصـل من الأعمـال الصالحـات بولائه المفروض على الخلائق مَقبولة ، وطاعته ضاعف الله جلاله بطاعتـه وطاعـة رسول الله صلى الله عليه وسلم موصولة ، حيث قال عز من قائل﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْـكُمْ ﴾ [3] واعتمد — صلوات الله عليه وسلامه — فى ذلك على حُسن نظره ومدد رعايته ، وألقى مقاليد التفويض إلى وفور اجتهاده وكمال سياسته ، وخصّه من هذا الإنعام الجزيل بما يبقى له على تعاقب الدهر واستمراره ، ويُخلد على ممرّ الزمان حسن ذكره وجزيلَ فخـاره ، وحباه بتقليد يُوطِّد له قواعد الممالك ، ويفتـح بإقليده رِتاج الأبواب والمسالك ، ويفيد قاعدته فى بلاده زيادة تقرير وتمهيد ، ويطير به صيته فى كل قريب وبعيد ، ووسمه بالملك الأجل ، السيد الكامل

(١) في صبح الأعشى : المُلاَحِين .

(٢) في صبح الأعشى : الشاذين .

(٣) سورة النساء الآية ٥٩

المجاهد المرابط نصير الدين . (٢٢١ ا) ركن الإسلام ، أثير الأنام تاج الملوك والسلاطين ، قامع الكفرة والمشركين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، ألب غازى بك محمد بن أبى بكر ابن أيوب ، معين أمير المؤمنين ، رعايةً لسوابق خدَمه وخِدَم أسلافه وآبائه ، عن وفور اجتبائه ، وكمال ازدلافه ، وإنافةً من ذروة القرب إلى محل كريم ، واختصاصا له بالإحسان الذى لا يُلقَّاهُ إلا من هو كما قال تعالى ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [1] وثوقا بصحة ديانته التى يسلك فيها سواء سبيله ، واستنامةً إلى أمانته فى الخدمة التى ينصح فيها لله تعالى ولرسوله ؛ وركوناً إلى الإنعام عليه موضوعاً بحمد الله تعالى فى أحسن موضع ، واقعا به لديه فى خير مستَقرٍّ ومستَوْدَع .

وأمير المؤمنين – صلوات الله عليه – لا زالت الخيرَةُ موصوله بآرائه ، والتأييد الإلٰهى مقرونا بإنفاذه وإمضائه ؛ يستمدّ من الله عز وجل حسن الإعانة فى اصطفائه الذى اقتضاه نظره الشريف واعتماده ، وأدّى إليه ارتياده المقدس الإمامى واجتهاده ، وحسبُ أمير المؤمنين اللهُ ونعم الوكيل .

---

(١) سورة فصلت الآية ٣٥

وأمره بتقوى الله تعالى التى هى الجُنَّة الواقية ، والنعمة الباقية ، والملجأ المَنيع ، والعماد الرفيع ، والذخيرة النافعة فى السر والنجوى ، والجَذوة المقتبسة من قوله تعالى ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [1] وأن يدّرع بشعارها ، فى جميع الأقوال والأفعال ، ويهتدى بأنوارها ، فى مشكلات الأمور والأحوال ، وأن يعمل بها سرا وجهرا ، ويشرح للقيام بحدودها الواجبة صدرا ، قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ [2]

وأمره بتلاوة كتاب الله متدبّرا غوامض عجائبه ، سالكا سبل الرشاد والهداية فى العمل به . وأن يجعله مثالا يتبعه ويقتفيه ، ودليلا يهتدى بمراشده الواضحة فى أوامره ونواهيه ، فإنه (٢٢١ ب) الثَّقَل الأعظم ، وسبب الله المحكم ، والدِّين [3] الذى يهدى به إلى التى هى أقوم ، ضرب الله تعالى فيه لعباده جوامع الأمثال ، وبيّن له بهُداه الرشد والضلال ، وفرّق بدلائله الواضحة بين الحرام والحلال ، فقال عز من قائل ﴿ هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٧

(٢) سورة الطلاق الآية ٥

(٣) فى صبح الأعشى : والنور الذى .

وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِين ﴾ [١] وقال تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [٢] .

وأمره بالمحافظة على مفروض الصلوات والدخول فيها على أكمل هيئة من قوانين الخشوع والإخْبَات ، وأن يكون نظره فى موضع نجواه [٣] من الأرض ، وأن يُمَثِّل لنفسه فى ذلك موقفه بين يدى الله تعالى يوم العرض ، قال الله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [٤] وقال تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [٥] وأن لا يشتغل بشاغل عن أداء فروضها الواجبة ، ولا يلهو بسبب عن إقامة سُنَنها الراتبة ، فإنها عماد الدين الذى نَمَتْ أعاليه ، ومهاد الشرع الذى رَسَتْ قواعده ومبانيه ، قال الله تعالى ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلهِ قَانِتِينَ ﴾ [٦] وقال سبحانه ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٨

(٢) سورة ص الآية ٢٩

(٣) في صبح الأعشى : في موضع سجوده .

(٤) سورة المؤمنون الآية ١ ، ٢

(٥) سورة النساء الآية ١٠٣

(٦) سورة البقرة الآية ٢٣٨

عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنْـكَرِ ﴾ [1] .

وأمره أن يسعى إلى صلوات الجُمع والأعياد ، ويقوم فى ذلك بما فرضه الله تعالى عليه وعلى العباد ، وأن يتوجّه إلى الجوامع والمساجد متواضعا ، ويبرز إلى المُصَلَّيات الضاحية فى الأعياد خاشعا ، وأن يحافظ فى تشييد قواعد الإسلام على الواجب والمندوب ، ويعظم باعتماد ذلك شعائرَ الله التى هى من تقوى القلوب ، وأن يشمل بوافر اهتمامه واعتنائه ، وكمال نظره وإرعائه ، بيوتَ الله التى هى محالُّ البركات ، ومواطنُ العبادات ، والمساجدَ التى تـأكّد فى تعظيمها وإجلالهـا حُـكْمه ، والبيوتَ التى أَذِن اللهُ أن تُرفـع ويُذ كر فيها اسمه ، وأن يُرتِّب لها من الخدم من يتبتّل لإزالة أدناسها ، (٢٢٢ ا) ويتصدّى لإذكاء مصابيحها فى الظلام وإيناسها ، ويقوم لها بما يحتاج إليه من أسباب الصلاح والعمارات ، ويحضر إليها ما يليق من الفرش والـكسوات .

وأمره باتباع سنة النبى صلى الله عليه وسلم التى أوضح جَدَدَها ، وثقّف أوَدَها ، وأن يعتمد فيها على الأسانيد التى

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٥

نقلها الثّقات ، والأَحاديث التى صحت بالطرق السليمة والروايات ، وأَن يقتضى بما جاءت به من مـكارم الأَخلاق التى ندب صلى الله عليه وسلم إلى التمسك بسببها ، ورغَّب أُمتـه فى الأَخذ بهـا والعمـل بآدَابِها ، قـال الله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١) وقال سبحانه وتعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ (٢)

وأَمره بمجالسة أَهل العلم والدين ، وأُولى الإِخلاص فى طاعـة الله والمتقين (٣) والاستشـارة فى عوارض الشك والالتباس ، والعمل بآرائهم فى التمثيل والقياس ، فإِن الاستشارة لهم عين الهداية ، وأَمْنٌ من الضلال والغَواية ، وبها تُلْقَـحُ عُقُم الأَفهام والأَلباب ، ويُقتَدح زناد الرّشد والصواب ، قال الله تعالى فى الإِرشاد إلى فضلها ، والأَمر فى التمسك بحبلها ﴿وشَاوِرْهُمْ فِـى الْأَمْرِ﴾ (٤) .

وأَمره بمراعاة أَحوال الجند والعسـكر فى ثغوره ، وأَن يشملهم بحسن نظره الجميل وجميل تدبيره ، مُستصلحا

(١) سورة الحشر الآية ٧

(٢) سورة النساء الآية ٨٠

(٣) في صبح الأعشى : واليقين .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩

نياتهم بإدامة التلطف والتعهُّد ، مستوضحاً أحوالهم بمواصلة التفحُّص والتفقد ، وأن يسوسهم سياسة تبعثهم على سلوك المنهج السليم ، ويهديهم فى انتظامها واتّساقها إلى الصراط المستقيم ، ويحملهم على القيام بشرائط الخِدَم ، والتلزُّم[1] بها بأقوى الأسباب وأمتن العِصَم ، ويدعوهم إلى مصلحة التواصل والائتلاف ، ويصدهم عن موجبات التخاذل والاختلاف ، وأن يعتمد فيهم شرائط الحَزْم فى الإعطاء والمنع ، وما تقتضيه مصلحة أحوالهم من أسباب الخفض والرفع ، وأن يُثيب (٢٢٢ ب) المحسن على إحسانه ، ويُسبل على المسيء ما وسعه العفو واحتمله الأمرُ ذَيْلَ صفحه وامتنانه ، وأن يأْخذ برأى ذوى التجارِب منهم والحكمة ، [2] ويجتنى بمشاورتهم فى الأَمر ثمرَ الشركة إذ فى ذلك أَمن من خطإ الانفراد ، وتزحزح عن مقام الزيغ والاستبداد .

وأَمره بالتبتل بما يليه من البلاد ، ويتصل بنواحيه من ثغور أُولى الشرك والعناد ، وأَن يصرف مجامع الالتفاف[3]

---

(١) في صبح الأعشى : التمسك .

(٢) في صبح الأعشى : والحنكة .

(٣) في صبح الأعشى : الالتفات

إليهـا ويخصها بوفور الاهتمام بها والتطلع عليها ، وأن يشمل ما ببـلاده من الحصون والمعاقل بالإحكام والإتقان ، وينتهـى فى أسباب مصالحها إلى غاية الوسـع ونهايـة الإمكان . وأن يَشْحَنَها بالمِيرة الكثيرة والذخائر ، ويُمدّها من الأَسلحة والآلات بالعدد المستصلح الوافر ، وأن يتخيّر حُرَّاسها من الأُمناء التُّقَاة ، ويسدَّها بمن ينتخبه من الشجعان الـكُمـاة ، وأن يتـأَكد عليهم فى استعمـال النّفقات الحفظة والاستظهار [1] ، ويوقظهم للاحتراس من غوائل الغفلة والاغترار ، وأن يكون المشارُ إليهم ممن رُبُوا فى ممارسة الحروب على مكافحة الشدائد ، وتدَرَّبوا [2] فى نصب الحبائل للمشركين والأَخذ عليهم بالمراصد ، وأن يعتمد هذا القبيل بمواصلة المدد ، وكثرة العَدَد ، والتوسعة فى النفقة والعطاء ، والعمل معهم بما يقتضيه حالهم وتفاوتهم فى التقصير والغناء . إذ فى ذلك حسم لمادَّة الأَطماع فى بلاد الإسلام ، وردٌّ لـكيد المعانِدين من عبدة الأَصنام ، فمعلوم أَن هذا الغرض أَولى ما وُجِّهت إليه العنايات وصُرِفت ، وأَحق ما قُصِرت عليه الهممُ ووُقفتْ ، فإن الله تعالى جعله من

(١) في صبح الأعشى : في استعمال أسباب الحفظة والاستظهار .
(٢) في الأصل : ›ن يربو في ممارسة الحروب على مكافأة الشدائد ويدرأ في نصب . . . .

أهم الفُروض التى كرَّم فيها القيام بحقه ، وأكبر الواجبات التى كتب [العمل] بها على خلقه ، فقال سبحانه وتعالى هادياً فى ذلك إلى سبيل الرشاد ، ومحرّضا لعباده على قيامهم بفروض الجهاد ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ (١٢٢٣) مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَلاَ يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ (٢) وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مَنْ نزل منزلا يُخيف فيه المشركين ويُخيفونه كان له كأجر ساجد لا يرفَعُ رأْسه إلى يوم القيامة ، وأَجر قائم لا يقعد إلى يوم القيامة ، وأَجر صائم لا يُفطر » . وقال عليه السلام : « غَدْوَةٌ فى سبيل الله أَورَوْحةٌ خيرٌ مما طلعت عليه الشمس » . هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى حقّ من سمع هذه المقالة فوقف لديها ، فكيف بمن

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٠ ، ١٢١

(٢) سورة البقرة ١٩١ وسورة النساء ٩١

كان كما قال عليه السلام: « أَلاَ أُخبركم بخير الناس ؟ ممسكٌ بعنان فرسه كلما سَمِع هَيْعةً طار إليها » .

وأَمره باقتفاء أَوامر الله تعالى فى رعاياه ، والاهتداء إلى رعاية العدل والإنصاف والإحسان بمراشده الواضحة ووصاياه ، وأَن يسلك فى السياسة سبل الصلاح ، ويشملهم بلين الكَنَف وخَفض الجناح ، ويمدّ ظلَّ رعايته على مسلمهم ومعاهَدِهم ، ويُزحزح الأَقذاء والشوائب عن مناهلهم فى العدل ومواردهم ، فينظر فى مصالحهم نظرا يُساوى فيه بين الضعيف والقوىّ ، ويقوم بأَوَدِهم قياماً يهتدى به ويهديهم فيه إلى الصراط السَّوِىّ ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

وأَمره باعتبار أَسباب الاستظهار والأَمَنة ، واستقصاء الطاعة المستطاعة والقدرة الممكنة ، فى المساعدة على قضاء تَفَثِ حُجَّاج بيت الله الحرام ، وزوّار نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأَن يُمِدّهم بالإعانة فى ذلك على تحقيق الرجاء وبلوغ المرام ، ويحرسهم من التخطُّف

(١) سورة النحل الآية ٩٠

والأَذى فى (٢٢٣ ب) حالتى الظَّعن والمُقام ، فإن الحج أَحد أَركان الدين المشيّدة ، وفروضه الواجبة المؤكدة ، قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ (١)

وأَمره بتقوية أَيدى العاملين بحكم الشرع فى الرعايا ، وتنفيذ ما يصدر عنهم من الأَحكام والقضايا ، والعمل بأَقوالهم فى ما يثبت لذوى الاستحقاق ، والشدّ على أَيديهم فيما يرونه من المنع والإطلاق ، وأَنه متى تأَخر أَحد الخصمين عن إجابة داعى الحُكْم ، أَو تقاعس فى ذلك لما يلزم من الأَداءِ والعُدْم ، جذبه بعتان القَسْر إلى مجلس الشَّرع ، واضطره بقوّة الإنصاف إلى الأَداء بعد المنع ، وأَن يتوخى عُمَّال الوقوف التى تقرَّب المتقرِّبون بها ، واستمسكوا فى ثواب الله بمتين حبلها ، وأَن يُمِدّهم بجميل المعاونة والمساعدة ، وحسن المؤازرة والمعاضدة ، فى الأَسباب التى تؤذن بالعِمارة والاستنماء ، وتعود عليها بالمصلحة والاستخلاص والاستيفاء ، قال الله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (٢).

(١) سورة آل عمران الآية ٩٧

(٢) سورة المائدة الآية ٢

وأمره أن يتخير من أُولى الـكِفاية [١] والنزاهة من يستخلصه للخِدَم والأعمال ، والقيام بالواجب من أداء الأمانة والحـراسة والتمييز لبيت المـال ، وأن يـكونوا من ذوى الاضطلاع بشرائط الخِدَم المعينـة وأُمورها ، والمهتدين إلى مسالك صلاحها وتدبيرها ، وأن يتقدم إليهم بأَخذ الحقوق من وجوهها المُتَيَقَّنَة ، وجبايتهـا فى أوقاتها المُعيَّنة ، إذ ذاك من لوازم مصالح الجند ووفور الاستظهار ، وموجبات قوة الشـوكة له بـكثير الأَعوان والأَنصار ، وأسباب الحِيطَة [٢] التى تُحمى بهـا البلاد والأَمصار ، ويأْمرهم بالجرى فى الطُّسُوقِ [٣] والشروط على النمط المعتاد ، والقيام فى مصالح الأَعمال على أقدام الجدّ والاجتهاد ، وإلى العاملين على الصّدقات بأَخذ الزَّكَوات على مشروع السَّنَن المَهْيَـع ، وقصد الصّراط المُتَّبَـع ، من غير عدول فى ذلك عن المنهاج الشرعىّ ، أَو تساهل فى تبديل (٢٢٤ ا) حكمهـا المفروض وقانونها المَرْعِىّ ، فإذا أُخذت من أَربابها ، الذين [٤] يُطَهَّرون ويُزَكُّون بها ، كان

(١) فى صبح الأعشى : الكفاءة .
(٢) فى صبح الأعشى : الحفظة .
(٣) الطسوق جمع طسق وهو شبه الخراج له مقدار معلوم .
(٤) فى الأصل : أبوابها والتصويب من صبح الأعشى جـ١٠ ص١٠٩

العمل [1] فى صرفها إلى مستحقيها بحكم الشريعة النبوية وموجبها ، وإلى جُباة الجزية من أهل الذمة بالمطالبة بأَدائها فى أَوَّل السنة ، واستيفائها منهم على حسب أَحوالهم بحكم العادة فى الثروة والمَسْكنة ، إجراء فى ذلك على حكم الاستمرار والانتظام ، ومحافظة على عظيم شعائر الإسلام .

وأَمره أَن يتطلع على أَحوال كل من يستعمله فى أَمر من الأُمور ، ويُصرِّفه فى مصلحة من مصالح الجمهور ، تطلعا يقتضى الوقوف على حقائق آماناتهم ، ويوجب تهذيبهم فى حركاتهم وسكناتهم ، ذهابا مع النصح لله تعالى فى بَرِيَّتِه ، وعملا فيه بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « كُلُّكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته » . وأَمره أَن يستصلح من ذوى الاضطلاع والغَناء من يرتِّب العرَض [2] والعطاء ، والنفقة فى الأَولياء ، وأَن يكونوا من المشهورين بالحزم والبصيرة ، والموسومين فى المناصحة بإخلاص الطوية وإصفاء السريرة ، حالينَ من الأَمانة والصَّون بما يَزين ،

(١) في الأصل : كما في العمل .

(٢) في الأصل : ويرتب العرض .

ناكبين عن مظانّ الشبه والطمع الذى يَصِمُ وَيشِين ، وأن يأْمرهم باتباع عادات أمثالهم فى [ضبط] أسماء الرجال ، وتحلية الأَشخاص والأَشكال ، واعتبار ، شِيات الخيول وإثبات أَعدادها ، وتحريض الجند على تخيُّرها واقتناء جيادها ، وبذْل الجهد فى قيامهم من الْكُرَاع واليَزَك والسِّلاح بما يلزمهم ، والعمل بقوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُم اللهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [1] فإذا نطقت جرائد الجند المذكورين بما أُثبت لديهم ، وحقّق الاعتبارُ والعِيانُ قيامَهم بما أُوجب عليهم ، أُطلِقتْ لهم المعايش والأَرزاق بحسب إقراراتهم (٢٢٤ب) وأُوصلت إليهم بمقتضى واجباتهم واستحقاقاتهم ، فإن هذا الحال أَصل حراسة البلاد والعباد ، وقيام [2] الأَمر فيما أَوجبه الله تعالى من الاستعداد بفرض الجهاد ، قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [3] .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠

(٢) في الأصل : ويقام .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٦٩

وأمره بتفويض أَمر الحسبة إلى من يكون بأَمرها مضطلعا ، وللسنة النبوية فى إقامة حدودها متبعا ، فيعتمد فى الكشف عن أَحوال العامة فى تصرفاتها الواجب . ويسلك فى التطلع إلى معاملاتهم السبيل الواضح والسَّنَن اللَّاحِب [1] ، وليهتمّ بالتطواف [فى الأَسواق] لاختبار المكاييل والموازين ، ويقيمه فى مؤاخذة المطففين وتأْديبهم بما تقتضيه شريعة الدين ، ويحذِّرهم من تعدى حدود الإنصاف شِدَّة نكاله ، ويقابل المستحقّ المؤاخذةِ بما يرتدع به الجمع الكثير من أَمثاله ، قال الله تعالى ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [2] وقال سبحانه ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلاَ يَظُنُّ أُولٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [3] .

---

(١) اللاحب : الواضح .

(٢) سورة الشعراء الآيات ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣

(٣) سورة المطففين الآيات ١ – ٦

فليتوَلّ الملك السيد ، الكامل ، المجاهد ، المرابط ، نصير الدين ، ركن الإسلام ، أثير الإمام ، جمال الأَنام ، جلال الدولة ، فخر المِلّة ، عز الأُمة ، سند الخلافة ، تاج الملوك والسلاطين ، قامع الكفرة والمشركين ، قاهر الخوارج والمتمرِّدين ، أَمير المجاهدين ، غازى بك مُعين أَمير المؤمنين ، ما قلده عبدُ الله وخليفته [فى أَرضه] القائم له بحقه الواجب وفرضه ، أَبو جعفر المنصور المستنصر[1] بالله أَمير المؤمنين ، تقليدَ مُطْمئنٍّ بالإيمان ، وينصح لله ولرسوله — صلوات الله عليه — وخليفته فى السر والإعلان ، وليشرحْ بما فُوِّض إليه من هذه الأُمور صدرا ، وليقُم بالواجب عليه من شكر هذا (٢٢٥ ا) الإنعام الجزيل سرًّا وجهرا ، وليعمل بهذه الوصايا الشريفة الإمامية ، وليَقْفُ آثار مراشدها المقدسة النبوية ، وليُظهر من أثر الجِدِّ فى هذا الأَمر والاجتهاد . وتحقيق النظر الجميل لله والإرشاد ، ما يكون دليلا على تأْييد الرأى الأَشرف المقدس — أَجلَّه الله تعالى — فى اصطناعه واستكفائِه [2] وإصابة مواقع النجح

(١) فى الأصل : بن المستنصر
(٢) فى الأصل : « واستكتابه » .

والرشـد فى التفويض إلى حسن قيامه وكمال اعتنائه [1] فليقدُرِ النعمةَ عليه فى هذه الحـال [حق] قدرها ، وليكثر بـأداء الواجب بما غلب عليه من جزيل الشكر بسرّها [2] وليطالع مع الأوقات بما يشـكل عليه من الأمور الغوامض ، وليُنْهِ إلى العلوم الشريفة المقدسة - أَجَلَّها الله تعالى - ما يلتبس عليه من الشـكوك والعوارض ، ليَرِدَ عليـه من الأمثلة ما يوضّـح له وجه الصواب فى الأمور ، ويستمدّ من المراشد الشريفة التى هى شفاء لمـا فى الصدور ، بما يكون وروده عليه وتتابعه إليه نورا علي نور ، إن شاء الله تعالى .

وهذه نسخة العهد الذى كُتب به للملك الظاهر بيبرس عن الحاكم بـأمر الله أبى العباس أحمد بن الحسين ثانى الخلفاء بالديار المصرية من إنشاء الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان .

وهذه نسختـه [3]

الحمد لله الذى أَضفى [4] ملابس الشرف ، وأظهر

(1) فى الأصل : وكمال عنايه .
(2) فى صبح الأعشى : وليبتر بأداء الواجب . . . غزير دُرّها .
(3) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١١٢
(4) فى صبح الأعشى أضاف المحققون كلمة أضفى [عل الإسلام] .

درره وكانت خافيــة بما استحــكم عليها من الصــدف ، وشيّد ما وهى من علائه حتى أنسى ذكر ما سلف ، وقيّض لنصره ملوكا اتفق على طاعتهم من اختلف .

أَحمده على نعمه التى رتعت الأَعينُ منها فى الروض الأُنف ، والطاقة التى وقفت الشكرَ عليها فليس له عنها مُنصرف ، وأَشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة توجب من المخاوف أَمْنا ، (٢٢٥ ب) وتسهل من الأُمور ما كان حَزْنا ، وأَشهد أَن محمدا عبده ورسوله الذى جبر من الدين وهنا . وصفيه [١] الذى أَظهر من المكارم فنونا لا فَنّا ، صــلى الله عليه وعــلى آله الذين أَضحت مناقبهم باقية لا تفنى ، وأَصحابه الذين أَحسنوا فى الدين فاستحقوا الزيادة من الحسنى .

وبعد فإن أَولى الأَولياء بتقديم ذكره ، وأَحقهم أَن يُصبــح القلم ساجدا راكعا فى تسطير مناقبــه وبِرّه ، من سعى فأَضحى بسعيه الجميل متقدما ، ودعا إلى طاعته

(١) في الأصل : وربسوله الذى .

فأَجاب من كان منجدا ومُتهما ، وما بدت يدٌ من المكرمات إلا كان لها زندا ومعْصما ، ولا استباح بسيفه حمى وغىً إلاَّ أَضرمه نارا وأَجراه دما .

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالى المولوىّ السلطانىّ الملكىّ الظاهرىّ الركنىّ شرفه الله تعالى وأَعلاه ، ذكره الديوانُ العزيز النبوى الإمامى المستنصرىُّ - أَعز الله تعالى سلطانه - تنويها بشريف قدره ، واعترافا بصنعه الذى تنفد العبارة المُسهَبَة ولا تقوم بشكره ، وكيف لا وقد أَقام الدولة العباسية بعد أَن أَقعدتها زَمانة الزمان ، وأَذهبت ما كان لها من محاسن وإحسان ، وعتب[1] دهرها المسىء لها فأَعتب ، وأَرضى عنها زمانها وقد كان صال عليها صولة مغضب ، فأَعاده لها سلما بعد أَن كان عليها حربا ، وصرف اهتمامه فرجع كل متضايق من أُمورها واسعا رحبا ، ومنح أَميرَ المؤمنين عند القدوم عليه حُنُوًّا وعطفا ، وأَظهر له من الولاءِ رغبة فى ثواب الله ما لا يخفى ، وأَبدى من الاهتمام بالبيعة أَمرا لو رامه غيره لامتنع عليه ، ولو تمسّك بحبله

(١) في صبح الأعشى : واستعتب .

متمسك لانقطع به قبل الوصول إليه ، لكن الله ادّخر هذه الحسنة لِيُثَقِّل بها فى الميزان ثوابُه ، ويُخَفِّف بها يوم القيامة حسابهُ ، فهذه مَنْقَبة أبى الله إلا أن يخلدها فى صحيفة صنعه ، (٢٢٦ ا) وتكرمة قضت لهذا البيت الشريف بجمعه بعد أن حصل الإياس من جمعه ، وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع ، ويعرف أنه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع ، وقد قلدك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية ، وما يتجدد من الفتوحات غورا ونَجْدا ، وفوض أمر جندها ورعاياها إليك حين أصبحت فى المكارم فَرْدا ، ولا جعل منها بلدا من البلاد ولا حصنا من الحصون مستثنى ، ولا جهة من الجهات تُعَدُّ فى الأعلى ولا الأدنى .

فلاحِظْ أمور الأُمة فقد أصبحت لها حاملا ، وخلّص نفسك من التبعات اليوم ففى غد تكون مسئولاً لا سائلا ، ودع الاغترار بالدنيا فما نال أحد منها طائلا ، وما رآها أحد بعين الحق إلا رآها خيالا زائلا ، فالسعيد من قطع آماله الموصولة ، وقدم لنفسه زاد التقوى فتقدمة غير

التقوى مردودة لا مقبولة ، وابسط يدك بالإحسان والعدل فقد أمر الله تعالى بالعدل والاحسان فى مواضع من القرآن ، وكفَّر به عن المرء ذنوباً وآثاما ، وجعل يوما واحدا فيه كعبادة العابد ستين عاما ، وما سلك أحد سبيل العدل والإحسان إلا واجتُنيت ثماره من أفنان ، ورجع الأمر به بعد أن تداعى أركانه وهو مُشَيَّد الأركان ، وتحصَّن به من حوادث زمانه والسعيد من تحصن من حوادث الزمان [1] ، وكانت أيامه فى الأيام أبهى من الأعياد ، وأحسن فى العيون من الغُرر فى أوجه الجياد ، وأحلى من العقود إذا حُلِّىَ بها عَطَل الأجياد .

وهذه الأقاليم المنوطة بك تحتاج إلى نُوَّاب وحُكّام ، وأصحاب رأى من أصحاب السيوف والأقلام ، فإذا استعنت[2] بأحد منهم فى أمورك فنقِّب عليه تنقيبا ، واجعل عليه فى تصرفاته رقيبا ، وسَلْ (٢٢٦ ب) عن أحواله ففى القيامة تكون عنه مسئولا وبما أجرم مطلوبا ، ولا تُوَلِّ منهم إلا من تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوبا ،

---

(١) في صبح الأعشى . وهو مشيد الأركان وتحصن به من حوادث الزمان وكانت . . .

(٢) في الأصل : استعنت بهم خذ منهم في أمورك فنقب عليها .

وأْمُرْهم بالأَناة فى الأُمور والرفق ، ومخالفة الهوى إذا ظهرت أَدلة الحق ، وأَن يقابلوا الضعفاء فى حوائجهم بالثغر الباسم والوجه الطَّلق ، وأَن لا يعاملوا أَحدًا على الإِحسان والإِساءة إلا بما يستحق ، وأَن يكونوا لمن تحت أَيديهم من الرعية إخوانا ، وأَن يوسعوهم بِرًّا وإحسانا ، وأَن لا يستحلوا حرماتهم إذا استحلّ الزمان لهم حِرْمانا ، فالمسلم أخو المسلم ولو كان عليه أَميرا وسلطانا ، والسعيد من نسج وُلاته فى الخير على منواله ، واستنّ بسنته فى تصرفاته وأَحواله ، وتحمل عنه ما تعجز قدرته عن حمل أَثقاله .

ومما يؤمرون به أَن يمحى ما أُحْدِث من سَيِّئ السنن ، وجدد من المظالم التى هى من أَعظم المِحَن ، وأَن يشترى بإِبطالها المحامد رخيصة بأَغلى ثمن ، ومهما جنى منها من الأَموال فإنما هى باقية فى الذم حاصلة ، وأَجياد الخزائن إن أَضحت بها حالية فإِنما هى على الحقيقة منها عاطلة ، وهل أَشقى ممن احتقب إثما ، واكتسب بالمساعى الذميمة ذما ، وجعل السواد الأَعظم يوم القيامة خصما ، وتحمل

ظلم الناس فيما صدر عنـــه من أعمال ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (١) .

وحقيق بالمقام الشريف المولوىّ السلطانىّ الملــكى الظاهرى الركنىّ أَن لا تــكون ظلامات الأَنام مردودة بعدله ، وطاعته تخفف ثقلا لا طاقة لهم بحمله ، فقد أَضحى على الإِحسان قادرا ، وصنعت له الأَيام ما لم تصنعه لمن تقدم من الملوك وإِن جاءَ آخرا ، فاحْمَد الله على أَن وصل إِلى جنابك إمام هُدًى يوجب لك مَزِيَّة التقديم ، ويُنَبِّه الخلائق على ما خصك الله به من الفضل العظيم . وهذه أُمور يجب أَن تُلاحظ وتُرعى ، ويوالى عليها حمد الله فإِن الحمد يَجِبُ (٢٢٧ ا) عليها عقلا وشرعا ، وقد تبين [لك] أَنك صرت فى الأُمور [أَصلا] وصار غيرك فَرْعا .

ومما يجب أَيضا تقديم ذكره أَمرُ الجهاد الذى أَضحى على الأُمة فرضا ، وهو العمل الذى يرجع به مُسْوَدُّ الصحائف مُبْيَضّا ، وقد وعد الله المجاهدين بالأَجر العظيم ، وأَعــدّ لهم عنده المقام الــكريم ، وخصهم بالجنة التى لا لَغْوٌ فيها ولا تَأْثيم ، وقد تقدمت لك فى الجهاد يدٌ بيضاء

---

(١) سورة طه الآية ١١١

أَسرعت فى سواد الحُسَّاد ، وعرفت منك عزمه وهى أَمْضَى
مِمَّا تُجِنُّه ضمائر الأَغماد ، واشتهرت بك مواقف فى القتال
هى أشهر وأشهى إلى القلوب من الأَعياد ، وبك صان الله
حِمى الإِسلام أن يُبْتَذَل ، وبعزمك حفظ على المسلمين نظام
هذه الدُّول ، وسيفك أَثَّر فى قلوب الكافرين قروحا
لا تنْدَمِل ، وبك يُرجى أن يرجع مقرّ الخلافة إلى
ما كان عليه فى الأَيام الأُوَل ، فأَيقِظْ لنصرة الإِسلام
جفنا ما كان غافياً ولا هاجعا ، وكُنْ فى مجاهدة أَعداء الله
إماما متبوعا لا تابعا ، وأَيِّد كلمة التوحيد فما تجد فى
تأْييدها إلاّ مطيعا سامعا ، ولا تُخْلِ الثغور من اهتمام
بأمرها تبتسم له الثغور ، واحتفال يبدل ما دَجَا من ظلماتها
بالنور ، واجعل أمرها على الأُمور مقدما ، وشيّد منها كل
ما غادره العدو متهدما [1] ، فهذه حصون بها يحصل
الانتفاع ، وعلى العدو داعية افتراق لا اجتماع ، وأولاها
بالاهتمام ماكان البحر له مجاورا ، والعدو إليه ملتفتا
ناظرا ، ولا سيما ثغور الديار المصرية فإن العدوّ وصل إليها
رابحًا وراح خاسرا ، واستأْصلهم الله فيها حتى ما أَقال منهم

(١) جملة « واجعل أمرها . . . متهدما » خلا منها صبح الأعشى .

عاثرا ، وكذلك الأُسطول الذى تُرى خيلُه كالأَهلَّة ، وركائبــه سابقــة بغير سائق مُستَقِلَّة ، وهو أَخو الجيش السُّليمانى فإن ذاك غدت الريــح له حاملة ، وهذا تكفلت بحمله الرياح السابلة ، وإذا لحظها الطرف جارية فى البحر كانت كالأَعلام ، وإذا شبهها قال هذه (٢٢٧ ب) ليال تُقْلِــعُ بالأَيام ، وقد سنَّى الله لك من السعادة كلَّ مَطلَب ، وآتاك من أَصالة الرأْى الذى يُريك المُغَيَّب ، وبسط بعد القبض منك الأَمل ، ونَشِط بالسعادة ما كان من كَسَل ، وهداك إلى مناهج الحق وما زلت مهتديا إليها ، وأَلزمك المراشد فلا تحتــاج إلى تنبيه عليهــا ، والله تعالى يُمِدُّك بأَسباب نصره ، ويُوزِعك شــكر نِعَمه فإن النعمةتستتِمُّ بشــكره [1] .

وهــذه نسخة [2] العهد الذى كتبه القاضى محيي الدين ابن عبــد الظاهر للملك المنصور قلاوون ، عن الخليفة الإمام أَبى العباس أَحمد الحاكم الأَول [3] :

---

(١) زاد بعدها في صبح الأعشى : إن شاء الله تعالى .

(٢) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١١٦

(٣) في صبح الأعشى : الحاكم بأمر الله

الحمد لله الذى جعل آية السيف ناسخة لكثير من الآيات ، وفاسخة لعقود أُولى الشك والشبهات ، الذى رفع بعض الخلق على بعض درجات ، وأَهَّل لأُمور البلاد والعباد من جاءت بخوارق تملُّكه بالذى إن لم يكن من المعجزات فمن المكرمات .

ثم الحمد لله الذى جعل الخلافة العباسية بعد القطوب حسنة الابتسام ، وبعد الشحوب جميلة الاتِّسَام ، وبعد التشريد كلُّ دار إسلام لها أَعظمُ من دار السلام .

والحمد لله على أَن أَشهدها مصارع أَعدائها ، وأَحمد لها عواقب إعادة نصرها وإبدائها ، ورد تشتيتها بعد أَن ظن كلّ أَحد أَن شعارها الأَسود ما بقى منه إلا ما صانته العيون فى جفونها والقلوب فى سُويدائها .

ونشهد أَن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتلذذ بذكرها اللسان ، وتتعطر بنفحاتها الأَفواه والأَردان ، وتتلقاها ملائكة القبول فترفعها إلى أَعلى مكان .

ونصلى على سيدنا محمد الذى أكرمنا الله به (٢٢٨ ا) وشرف لنا الأنساب ، وأعزنا به حتى نزل فينا مُحْكَم الكتاب ، صلى الله عليه وعلى آله الذين انْجَابَ الدين منهم عن أَنْجَاب ، ورضى الله عن صحابته الذين هم خير صِحَاب ، صلاة ورضوانا يوفَّى قائلُها أَجرَه يوم الحساب ، من الكثرة بغير حساب يوم الحساب .

وبعد حَمْدِ الله على أن أَحْمَدَ عواقبَ الأُمور ، وأظهر للإسلام سلطانا اشتدت به للأُمة الظهور وشُفيت الصدور ، وأقام الخلافة العباسية فى هذا الزمن بالمنصور كما أقامها فى ما مضى بالمنصور ، واختار لإعلان دعوتها من يحيى معالمها بعد العفاء ورسومها بعد الدُّثور ، وجمع لها الآن ما كان جَمع عليها فيما قبل من خِلاف كلّ ناجِم ، ومنحها ما كانت تبشرها بهِ منَ الملاحم [1] ، وأنفذ كلمتها فى ممالك الدولة العلوية بخير سيف مشحوذ ماضى العزائم ، ومازج بين طاعتها فى القلوب وذكرها فى الأَلسنة وكيف لا والمنصور هو الحاكم ، وأَخرج لِحياطة الأُمة المحمدية ملكا تُقَسَّم البركات عن يمينه ، وتُقْسِم السعادةُ بنور

(١) غيرها المحققون في صبح الأعشى فجعلوها : « صحف الملاحم » .

جبينه ، وتُقْهَر الأَعداء بفتكاته ، وتُمْهَر عقائل المعاقل بأَصغر راياته ، ذو السعد الذى ما زال نوره يَشِفُّ حتى ظهر ، ومعجزه يَرِفُّ إلى أَن بهر ، وجوهره ينتقل من جِيد إلى جِيد حتى علا الجبين ، وسرّه يكمن فى قلب بعد قلب حتى عُلم — والحمد لله — نَبأُ تمكينه فى الأَرض بعد حين ، فاختاره الله على علم ، واصطفاه من بين عباده بما جبله الله عليه من كرم وشجاعة وحلم ؛ وأَتى الله به الأُمة المحمدية فى وقت الاحتياج غَوْثا ، وفى إبّان الاستمطار غيثا ، وفى حين عَيْث الأَشبال فى غير الافتراس ليثا ، فوجب على من له فى أَعناق الأُمة المحمدية مبايعة رضوان ، وعند أَيمانهم مصافحة أَيمان ، ومن وجبت له البيعة (٢٢٨ ب) باستحقاقه لميراث منصب النبوّة ، ومن تَصِحُّ منه كل ولاية شرعية يؤخذ كتابها منه بقُوَّة ، ومن هو خليفة الزمان والعصر ، ومن بدعواته يُنزل الله عليكم معاشرَ كُماةِ الإِسلام ملائكة النصر ، ومن نسبه بنسب نبيكم — صلى الله عليه وسلم — مُتّشِج ، وحسبه بحسبه ممتزج ، أَن يفوض ما فوضه الله إليه من أَمر الخلق ، إلى من يقوم عنه بفرض الجهاد والعمل بالحق ،

وأن يوليه ولاية شرعية تصح بها الأَحكام ، وتنضبط أُمور الإسلام ، وتأْتى هذه العصبة الإسلامية يوم تأْتى كل أُمة بإمامهم من طاعة خليفتهم هذا بخير إمام ، وخرج أَمر مولانا أمير المؤمنين - شرفه الله - أَن يكون للمقر العالى المولوىّ السلطانىّ الملكىّ المنصورىّ - أَجلّه الله ونصره وأَظفره وأَقدره وأَيده وأَبّده - كلُّ ما فوضه الله لمولانا أَمير المؤمنين من حُكْم فى الوجود ، وفى التهائم والنجود ، وفى الجيوش والجنود ، وفى المدائن والخزائن ، وفى الظواهر والبواطن ، وفيما فتحه الله وفيما سيفتحه ، وفيما كان فسد بالكفر والرجاء من الله أَنه سيصلحه ، وفى كل جود وَمَنّ ، وفى كلّ عطاء ومَنّ [1] ، وفى كلْ هبة وتمليك ، وفى كل تفرد بالنظر فى أُمور المسلمين بغير تشريك ، وفى كل تعاهد وَنبْذ ، وفى كل عطاء وأَخذ ، وفى كل عزل وتولية ، وفى كل تسليم وتخلية ، وفى كل إرفاق وإنفاق ، وفى كل إنعام وإطلاق ، وفى كل استرقاق وإعتاق ، وفى كل تقليل وتكثير ، وفى كل اتساع وتقتير ، وفى كل تجديد وتعويض ، وفى كل حَمد وتقريض

(١) هكذا أيضا في صبح الأعشى وقال المحققون : لعل المراد : وقطع ، من : منّ الحبل : قطعه .

ولاية عامة تامة مُحْكَمةٌ مُحَكَّمة ، منضدة منظَّمة ، لا يتعقَّبها نسْخ من خلفها ولا من بين يديها ، ولا يعتريها فسخ يطرأُ عليها ، يزيدها مرّ الأَيام جِدَّة يُعاقبها حُسْنُ شَباب ، ولا ينتهى على الأَعوام والأَحقاب، نعم يَنتهى إلى مانصب الله للإرشاد من سنة وكتاب ، وذلك من (٢٢٩ ا) شرع الله أَقامه للهداية علما ، وجعله إلى اختيار الثواب سُلَّما ، فالجواب أن يعمل بجزئيات أَمره وكلّياته ، وأَن لا يخرج أَحد عن مقدماته .

والعدل ، فهو الغرس المُثْمِر ، والسحاب الممطر ، والروض المزهر ، وبه تتنزل البركات ، وتخلف الهِبات ، وتُرْبى الصدقات ، وبه عمارة الأرض ، وبه تُؤَدَّى السنة والفرض ، فمن زرع العدل اجتنى الخير ، ومن أَحسن كُفِى الضرر والضَّير .

والظلم ، فعاقبته وخيمة ، وما يطول عمر الملك إلا بالمعدلة الرحيمة .

والرعية ، فهم الوديعة عند أُولى الأَمر ، فلا يُخصَّصُ بحسن النظر منهم زيد ولا عَمْرو .

والأَموال ، فهـي ذخائر العاقبة والمـآل ، والواجب أَن تؤخذ بحقّها وتُنفق فى مستحقها .

والجهاد برًّا وبحرًا فمن كنانة الله تُفَوَّق سهامُه ، وتؤرَّخ أَيامُـه ، ويُنتضَى حُسامُه ، وتَجرى مُنشآتُـه فى البحـر كالأَعلام وتُنْشر أَعلامه ، وفى عقر دار الحـرب يُحَطُّ ركابه ، ويُخَطُّ كتـابه ، وتُرسـل أَرسانُه ، رتجـوس خلالها فُرسانهُ ، فيلزم منـه ديدنا ، وليستصحب منـه فعـلا حسنا .

وجيوش الإِسلام وكُماته ، وأُمراؤه وحُماته ، فهم من قد علمت قِدَمَ هِجْرِه [1] وعِظَم نَصْرِه ، وشدة بـاس ، وقُوة مِراس ، ومَا منهم إلاَّ من شهد الفتـوحات والحروب ، وأَحسن فى المحاماة عن الدين الدءُوب ، وهم بقايا الدول ، ونجايا [2] الملوك الأُول ، لا سيما أُولو السعى الناجح ، ومن لهـم نسبةٌ صالحيـة إذا فخروا بها قيـل لهم نعم السلف الصالح ، فأَوسِعْهم بِرًّا ، وكن بهم بَرًّا ، وهم بمـا يجب من خدمتك أَعلم وأَنت بما يجب من حرمتهم أَدرى .

(١) الهجر الفائق ، ويراد هنا التفوق .

(٢) في صبح الأعشى : وتحايا .

والثغور والحصون ، فهـي ذخائر الشدة ، وخزائن العديد والعُدَّة ، ومقاعد للقتال ، وكنائن الرجال والآمال[1] ، فأَحسن لها التحصين ، وفَوِّض أمرها إلى كل قويّ أَمين ، وإلى كلّ ذى دِين متين ، وعقل (٢٢٩ ب) رصين .

ونوّاب الممالك ونوّاب الأَمصار ، فأَحسن لهم الاختيار ، وأَجمل لهم الاختبار ، وتفقَّد لهم الأَخبار.

وأما ما سوى ذلك فهو داخل فى حدود هذه الوصايا النافعـة ، ولولا أن الله أَمرنا بالتذكير ، لـكانت سجـايا المقرّ الأَشرف السلطـانى الملـكىّ المنصورىّ مـكتفيـةً بـأَنوار أَلْمَعِيَّتِـهِ الساطعة ، وزمامُ كل صلاح يجب أَن يشغل به جميـعَ أَوقاته هو تقوى الله ، قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [2] فليـكن ذلك نُصْبَ العين ، وشغل القلب والشَّفتين .

وأَعداء الدين ، من أَرمن وفرنـج وتتار ، فأَذقهـم وبال أَمرهم فى كل إيراد للغزو وإصدار ، وثُرْ لِأَنْ تـأْخذ

(١) في صبح الأعشى : الرجاء والرجال .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٢

للخلفاء العباسيين ولجميع المسلمين منهم الثار ، واعلم أن الله نصيرك على ظلمهم وما للظالمين من أنصار .

وأما غيرهم من مُجاوريهم من المسلمين ، فأحسن باستنقاذك منهم العلاج ، وطُبَّهم باستصلاحك فبالطبّ الملكيّ المنصوريّ ما زال ينصلح المِزاج ، والله الموفق بكرمه .

تنبيه ـ قد ذكر محمد بن عمر المدائنى أنه كان فى الزمن المتقدم أنه كان يكتب للأُمراء عن الخلفاء فى قرطاس من نصف طومار ، وتقدم فى آخر البيعات وعهود الخلفاء أن المراد قطع البغدادى ، وكانت الأُمراء من متقلدى الممالك عنهم قائمة مقام الملوك الآن ، أما الذى استقر عليه الحال فيما يكتب عن خلفاء بنى العباس بالديار المصرية لملوكها ففى قطع البغدادى الكامل ، ولم يزل الأَمر على ذلك إلى أن تملك الملك المؤيد شيخ ، سلطان العصر ، فكتب عهده فى ورق يزيد عرضه عن قطع البغدادى بقدر نصفه بقلم مختصر الطومار .

الفصل الثانى من الباب الرابع

فيما يكتب عن الخلفاء لمن دون الملوك من أرباب الوظائف والولايات، وهو على خمسة أساليب .

الأُسلوب الأَول

أن يفتتح ما يكتب بلفظ : عهد من فلان، أو : هذا ما عهد عبد الله أبو فلان الإمام الفلانىّ أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ، ويصفه بما يليق به ، ثم يقال: فقلده كذا وكذا ، ويذكر الوظيفة المُوَلَّاةَ ، ثم يقال : أَمره بكذا وأَمره بكذا ، إلى آخر الوصايا ، ثم يقال : هذا عهد أَمير المؤمنين إليك ، على نحو ما تقدم فى عهود الخلفاء إلى الملوك ، وعلى هذا جُلُّ ما كان يكتب (٢٣٠ ا) فى الدولة العباسية بالعراق من وظائف أَرباب السيوف والأَقلام إلا أَنه فى آخر الدولة كان يقع الوصف والإطراء فى حق الخليفة وحق المُوَلَّى أكثر منه مما قبل ذلك ، والأَصل فى هذا الأُسلوب ما كُتب به عن أَبى بكر الصديق رضى الله عنه لأُمرائه الذين وجههم لقتال أَهل الردة

وهذه نسختـــه[1]

هذا عهد من أبي بــكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لفلان حين بعثه لقتال من رجــع عن الإسلام ، عهد إليه أن يتقى الله تعالى ما استطاع فى أمره كله وسره وجهره .

وأمره بالجدّ فى أمر الله تعالى ، ومجاهدة من تولّى عنه ورجــع من الإسلام إلى أمانىّ الشيطان ، بعد أن يُعْذِر إليهم فيدعوهم بدعاية الإسلام ، فإن أجابوه أمسك عنهـــم ، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم ، ويعطيهم الذى لهـــم ولا يُنظرهم ولا يردُّ المسلمين عن قتال عدوّهم ، فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقرَّ له قَبِلَ ذلك منه وأعانه عليـــه بالمعروف ، وإنما يُقاتَلُ من كفر بالله على الإقرار بما جـــاء من عند الله ، فإذا أجاب الدعوة لم يــكن له عليه سبيل ، وكان الله حسبه فيما استسرَّ به ، ومن لم يجب إلى داعية الله قُوتل حيث كان وحيث بلغ مُرَاغَمُه[2] ، لا يقبل الله من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام ، فمن أجابه وأقرَّ به قبل منـــه

---

(١) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٩٢

(٢) المراغم : المهرب .

وعلمه ، ومن أَبى قاتله ، فإن أَظهره الله عز وجل عليه قَتَلَ فيهم كُلَّ قِتْلة بالسلاح والنيران ، ثم قسم ما أفاء الله عليه إلاَّ الخُمس فإنه مُبَلِّغُنَاه ، ويمنع أَصحابه العجلة والفساد ، وأن لا يَدخُل فيهم حَشْوٌ حتى يعرفهم ويعلم ما هم ، لئلا يكونوا عيوناً [1] ولئلا يُؤتى المسلمون من قبلهم ، وأن يقصد بالمسلمين الرفق ويرفق بهم فى السير والمنزل ، ويتفَقَّدهم ولا يُعْجِل بعضهم عن بعض ، ويستوصى بالمسلمين فى حسن الصحبة ولين الفعل [2] .

(٢٣٠ ب) وهذه نسخة عهد بقضاء القضاة بحاضرة بغداد وسائر الأَعمال ، كُتب به عن الإمام الناصر لدين الله للقاضى محيي الدين أَبى عبد الله محمد بن فَضْلان ، من إنشاء عضد الدين بن الضحَّاك [3] .

هذا ما عهد عبد الله وخليفته فى العالمين ، المفترض الطاعة على الخلق أجمعين ، أَبو العباس أَحمد الناصر لدين الله أَمير المؤمنين ، إلى محمد بن [يحيي بن] فضلان ،

(١) في الأصل : أعوانا .

(٢) في صبح الأعشى : ولين القول .

(٣) صبح الأعشى ج ١٠ ص ٢٨٦

حين سَبَرَ خلاله واستقراها ، واعتبر طرائقه واستبراها ، فألفاه رشيدا فى مذاهبه ، سديدا فى أفعاله وضرائبه ، موسوما بالرصانة ، حاليا بالوَرع والديانة ، مبرِّزا من العلوم فى فنونها ، عالما بمفروض الشريعة المطهرة ومسنونها ، مُدَّرِعا ملابس العفاف ، قد أناف على أمثاله فى بوارع الأوصاف ، فقلده قضاء القُضاة فى مدينة السلام وجميع البلاد والأعمال ، والنواحى والأمصار ، شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، سكوناً إلى ما علم من حاله ، واضطلاعه بالنهضة المنوطة به واستقلاله ، وركونا إلى قيامه بالواجب فيما أُسند إليه ، ونهوضه بعبء ما عُوِّل فى حفظ قوانينه عليه ، واستنامةً إلى حُلول الاصطناع عنده ، ومصادفته منه مكانا تبَوَّأه بالاستحقاق وحده ، والله تعالى يُعَضِّد أمير المؤمنين بمزيد التوفيق فى جميع الأُمور ، ويُحسن له الخِيرَة فيما يَؤُمُّه من مناظم الدِّين وصلاح الجمهور ، وما توفيقُ أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أَمره بتقوى الله تعالى فى إعلانه وإسراره ، وتقمُّص شعارها فى إظهار أمره وإضماره ، فإنها العروة الوثقى ،

والذُّخر الأَبقى ، والسعادة التى ما دونها فوز ولا فوقها مَرْقى ، وهى حيلة الأَبرار ، وسِيما الأَخيار ، والمنهج الواضح ، والمتجر الرابح ، والسبيل المؤدى إلى النجاة والخلاص ، يوم (٢٣١ ا) لا وَزَر ولات حين مناص ، وأَنفع العُدد والذخائر ، وخير العتاد يوم تُنشر الصحف وتُبلى السرائر ، يوم تشخص الأَبصار ، وتَعدَم الأَنصار ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ . سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [١] ولا ينجو من عذاب الله يومئذ إلا من كان زاده [٢] التقوى ، وتمسك منها بالسبب الأَقوى ، قال الله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [٣] .

وأَمره أَن يجعل كتاب الله تعالى إماما يهتدى بمناره ، ويستصبح ببواهر أَنواره ، ويستضىء فى ظلم المشكلات بمنير مصباحه ، ويقف عند حدود محظوره ومباحه ، ويتخذه مثالا يحتذيه ، ودليلا يتبع أَثره فيهديه ،

(١) سورة إبراهيم الآية ٤٩ ، ٥٠

(٢) في الأصل : رداه .

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٧

ويعمل به فى قضاياه وأحكامه ، ويقتدى بأوامره فى نقضه وإبرامه ، فإنه دليل الهدى ورائده ، وسائق النجح وقائده ، ومعدن العلم ومنبعه ، ومنجم الرشاد ومطلعه ، وأحد الثقلين اللَّذَيْن جعلهما [١] رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأُمة ، والذِّكْرُ الذى جعله الله تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة ، [فقال عز من قائل ﴿ وَنَزَّلنا عليك الكتابَ تبْياناً لِكُلِّ شىءٍ وهُدًى ورَحْمةً] وبشرى للمسلمين ﴾ [٢]

وأمره باتباع [٣] الآثار النبوية صلوات الله على صاحبها وسلامه ، والاهتداء بشموسها التى تنجلى به دُجُنَّةُ كل مشكل وظلامُه ، والاقتداءِ بسنة الشريعة المتبوعة ، وتَصفُّح الأَخبار المسموعة ، والعمل منها بما قامت أَدلة صحته من جميع جهاته ، فاستحكمت الثقة بنَقَلته عنه - عليه السلام - ورُواته ، وسَلِمت أَسانيده من قَدْح ، ورجاله من ظِنَّةٍ وجَرْح ، فإنها التالية للقرآن المجيد فى وجوب العمل بأَوامره ، والانتهاء بروادعه وزواجره ، وهو عليه الصلاة والسلام الصادق الأَمين ، الذى ما ضل وما غوى ، وماينطق عن الهوى ، وقد

---

(١) فى صبح الأعشى : خلفهما

(٢) سورة النحل الآية ٨٩

(٣) فى صبح الأعشى : « بانتزاع » وفسر بالهامش بمعنى التمثل .

قرن الله [سبحانه] طاعته بطاعته . (٢٣١ ب) والعمل بكتابه والأخذ بسنته ، فقال عز من قائل ﴿ وَما آتَاكُمُ الرَّسُولُ فخُذُوهُ وَما نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) .

وأمره بمجالسة العلماء ، ومباحثة الفقهاء ، ومشاركتهم فى الأمور المشكلة . وعوارض الحكومات المعضلة ، ليستبين سبل الصواب . ويَعْرَى الحُكم من ملابس الشُّبَه والارتياب ، ويخلص من خطإ الانفراد وغوائل الاستبداد ، فالمشورة باليُمْن مقرونة ، والسلامة فى مطاويها مضمونة . وقد أمر الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم مع شرف منزلته . وكمال عصمته ، وتأييده بروحه وملائكته ، فقال سبحانه ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٢) .

وأمره بفتح بابه ، ورفع حجابه ، وأن يجلس للخصوم جلوسا عامّا ، وينظر فى أُمورهم نظرا حسنا تامّا ، مساويا بينهم فى نظره ولحْظِه ، وإصغائه ولفظه ، مُحترزا من

---

(١) سورة الحشر الآية ٧

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩

ذى اللَّسَن وجرأة جنانه ، مُتَأَنِّياً بذى الحصر عند إقامة برهانه ، فربما كان أحد الخصمين ألحنَ بحجته ، والآخر ضعيفا عن مقاومته ، هذا مقام الفحص [1] والاستفهام ، والتثبت فى إمضاء الأَحكام ، ليسلم من خديعة محتال ، وكيد مغتال ، مائلا فى جميع ذلك مع الواجب [سالكاً طريق العدل اللاحب] غير فارق فى إمضاء الحكم بين القوى والضعيف ، والمشروف والشريف ، والمالك والمملوك ، والغنى والصعلوك ، قال الله تعالى ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ [2] وقال تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمْ الكَافِرُونَ ﴾ [3].

وأمره بتصفح أحوال الشهود ، المسموعة أقوالهم فى الحقوق والحدود ، المرجوع إلى أمانتهم ، المعمول بشهادتهم ، الذين بهم تُقام الحجج وتُدحض ، وتُبرم الأَحكام وتنقض ، وتُثبت الدعاوى وتُبطل ، وتُمضَى القضايا وتُسجّل ، مجتهدا فى البحث عن طرائقهم وأحوالهم ،

(١) فى الأصل : الخفض .

(٢) سورة النساء الآية ١٣٥

(٣) سورة المائدة الآية ٤٤

وانتقاد [1] تصاريفهم وأفعالهم واستشفاف سجاياهم وعرفان (٢٣٢ ا) مزاياهم، مخصّصا بالتمييز من كان حميد الخِلال، مرضيّ الفِعال، راجعا إلى ورع ودين، متمسكا من الأَمانة والنزاهة بالسبب المتين، قال الله تعالى ﴿ وأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ [2]

وأمره بالنظر فى أُمور اليتامى وأموالهم، ومراعاة شئونهم وأَحوالهم، وأَن يرتب بسبب اتّساق مصالحهم الثِّقاتِ الأَعِفَّاء، والأُمناء الأَتقياء، ممن ظهرت ديانته، وحسُنت سيرته، واشتهر باللطف والعفاف، والتنزُّه عن الطمع والإسفاف [ويأْمرهم بحفظها من خلل يتخللها، ويد خائنة تدخلها، وليكن عليهم حَدِبًا، وفى فرط الحنوّ أَبا، وخلفا من آبائهم فى الإشفاق] عليهم، وحسن الالتفات إليهم. فإنه عنهم مسئول، والعذر عند الله تعالى فى إهمالهم غير مقبول، وأَن يأْذن لهم فى الإنفاق عليهم بالمعروف من غير إسراف ولا تقتير، ولا تضييق ولا تبذير، فإذا بلغ أَحدهم النكاح، وآنس منه أَمارات الرشد

---

(١) في الأصل : وتنفيذ .

(٢) سورة الطلاق الآية ٢

والصلاح ، دفع ماله إليه ، وأشهد بقبضه عليه ، على الوجه المنصوص ، غير منقوص ولا منغوص ، ممتثلا أمر الله تعالى فى قوله سبحانه ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً ﴾ (١) .

وأمره بتزويج الأيامى اللواتى لا أولياء لهن من أكفائهن ، بمهور أمثالهن ، وأن يشمل ذوات الغنى والفقر منهن بعدله ، ويتحرّى لهن المصلحة فى عقده وحلّه .

وأمره أن يستنيب فيما بعُد عنه من البلاد ودنا ، وقرب منه ونأى ، كلّ ذى علم واستبصار ، وتيقُّظ فى الحكم واستظهار ، ونزاهة شائعة ، وأوصاف لأدوات الاستحقاق جامعة ، ممن يتحقق نهوضه بذلك واضطلاعه ، ويؤمن استنزاله (٢) وانخداعه ، وأن يعهد إليهم فى ذلك بمثل ما عُهد إليه فلا يألوهم تنبيها وتذكيرا ، وإرشادا وتبصيراً ، قال الله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة النساء الآية ٦

(٢) في صبح الأعشى : استزلاله .

(٢) سورة المائدة الآية ٢

وأمره بإمضاء ما أمضاه مَنْ قبله مِنَ الحُكَّام ، من القضايا والأحكام ، غير متعقّب (٢٣٢ ب) أحكامهم بنقض ولا تبديل ، ولا تغيير ولا تأويل ، إذا كانت جائزة فى بعض الأقوال ، مُمضاة على وجه من وجوه الاحتمال ، غير خارقة للإجماع ، عارية من ملابس الابتداع ، وإن كان ذلك منافياً لمذهبه ، جاريا على خلاف معتقده [١] قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [٢] .

وأمره أن يتخذ كاتباً قيِّماً بشروط القضايا والسِّجلاّت ، عارفا بما يتطرق نحوها من الشبه والتأويلات ، ويتداخلها من النقص والتلبيسات ، متحرّزا فى كل حال ، متنزها عن ذميم الأفعال ، وأن يتخير حاجبا نَقِيَّ الجَيْب ، مأمون المشهد والغَيْب ، مستشعرا للتقوى ، فى السر والنجوى ، سالكا للطريقة المُثلى ، غير متجهِّم للناس ، ولا معتمداً ما ينافى بسط الوجه والإيناس ، فإنه وُصْلتهم إليه ، ووجهُه المشهود قبل الدخول عليه ، فلينتخِبْه من بين أصحابه ،

(١) فى صبح الأعشى بدل هذه الجملة ما يأتى : فقد سبق حكم الحاكم به .

(٢) سورة المائدة الآية ٤٥

ومن يرتضيه من أمثاله وأضرابه .

وأمره بتسلّم ديوان القضاء والحُكم ، والاستظهار على ما فى خزائنه بالإثبات والختم ، والاحتياط على ما به من المال والسجلات ، والحجج والمحاضر والولايات [1] والقبُوض [2] والوثائق والأثبات والكفالات ، بمحضر من [العدول] الأُمناء الثقات ، وأن يرتب لذلك خازنا يؤدى الأمانة فيه ، ويتوخّى ما تُوجبه الديانة وتَقتضيه .

وأمره بمراعاة [أمر] الحسبة فإنها من أكبر المصالح وأَهَمِّها ، وأَجمعها لمنافع الخلق وأَعَمِّها ، وأَدعاها إلى تحصين أَموالهم ، وانتظام أَحوالهم ، وأن يأمر المستنابَ فيها باعتبار سائر المبيعات ، وما فيها من الأَقوات ، وغيرها فى عامة الأَوقات ، وتحقيق أَسباب الزيادة والنقصان فى الأَسعار ، والتصدى لذلك على الدوام والاستمرار ، وأن يُجرى الأَمرَ فيها بحسب ما تقتضيه الحال الحاضرة ، والموجبات الشائعة الظاهرة ، واعتبار الموازين والمكاييل ، وإعادة الزائد والناقص منها إلى التسوية والتعديل ، فإن

(١) في صبح الأعشى : والوكالات .

(٢) في الأصل : والتفويض .

اطّلع لأحد (٢٣٣ ا) من المتعاملين على خيانة فى ذلك وفعل ذميم ، أو تطفيف عَدَل فيه [١] عن الوزن بالقسطاس المستقيم ، ناله من التأديب ، وأسباب التهذيب ، بما يكون له رادعا ، ولغيره زاجرا وازعا ، قال الله تعالى ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُون . وإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلاَ يَظُنُّ أُولٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته عند الله تعالى عليك ، قد أولاك من صنوف النعم والآلاء ، وجزيل النعم والحِباء ، ما يوجب عليك الاعتراف بقدره ، واستيزاع شكره ، ووقف بك على محجّة الرشاد ، وهداك منهج الحق وسَنَن السداد ، ولم يألُك تثقيفا وتبصيرا ، وتنبيها وتذكيرا ، فتأملْ ذلك متدبرا ، وقف عند حدود أوامره ونواهيه مستبصرا ، واعمل به فى كل ما تأتيه وَتَذَرُه ، وتُورده وتُصدره ، وكن للمَخيلة فى ارتيادك مُحَقِّقا ، والمعتقد فيك مصدِّقا ، تفُزْ من خير الدارين بِمُعَلَّى القِدَاح ،

---

(١) في الأصل : عدل به فيه .

(٢) سورة المطففين الآيات ١ - ٦

وإحماد السُّرى عند الصباح ، وحسب أمير المؤمنين اللهُ ونعم الوكيل إن شاء الله تعالى .

وهذه نسخة عهد بتقليد المظالم بمدينة السلام [1]

كتب به أَبو إسحاق الصابى عن المطيع لله إلى الحسين ابن موسى العلوى وهو :

هذا ما عهد عبد الله الفضلُ الإمامُ المطيع لله أمير المؤمنين ، إلى الحسين بن موسى العلوى ، حين اجتمع فيه شرف الأَعراق ، والأَخلاق ، وتكامل فيه يمن النقائب والضرائب ، وعرف أمير المؤمنين فيه فضل الكفاية والغناء ، ورشاد المقاصد والأَنحاء ، فى سالف ما ولاّه إياه من أعماله الثقيلة التى لم يزل فيها محمود المقام ، (٢٣٣ ب) مستمرا على النظام ، مصيب النقض والإبرام ، سديد الإسداء والإلحام ، زائدا على الزَّائدين ، راجحاً على الموازين ، فائتا المحاذين [2] مبرّزا على المُبارين ، فقلده النظر فى المظالم بمدينة السلام وسوادها وأَعمالها ، وما يجرى معها ، ثقةً بعلمه ودينه ، واعتمادا على بصيرته

(١) صبح الأعشى ﺟ ١٠ ص ٢٤٣

(٢) في الأصل : المحادرين .

ويقينه ، وسكونا إلى أن الأَيام قد زادته تحليما وتهذيبا ، والسّنّ [1] قد تناهت به تحكيما وتجريبا ، وأن صنيعة أَمير المؤمنين مستقرة منه عند أَكرم أَكفائها ، وأَشرف أَوليائها ، بِرَحمه الماسّة الدانية ، وخدمته الشامخة الغالية [2] ومعرفته الثاقبة الداعية إلى التفويض إليه ، الباعثة على التعويل عليه ، وأَمير المؤمنين يستمد الله فى ذلك أَحسن ما عوّده من هداية وتسديد ، ومعونة وتأْييد ، وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أَمره بتقوى الله التى هى الجُنَّة الحصينة ، والعصمة المتينة ، والسبب المتصل يوم انقطاع الأَسباب ، والزاد المبلغ إلى دار الثواب ، وأَن يَستشعرها فيما يُسرّ ويعلن ، ويعتمدها فيما يُظهر ويبطن ، ويجعلها إمامه الذى ينحوه ، ورائده الذى يقفوه ، إذ هى شيمة الأَبرار والأَخيار ، وكان أَولَى من تعلق بعَلائقها ، وتمسَّك بدقائقها ، لمَفْخَرِه الكريم ، ومنصبه الصميم ، واستظلاله مع أَمير المؤمنين بدوحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى

(١) فى الأصل : والسير .

(٢) فى صبح الأعشى : وحرمته الشامخة العالية .

يَـكْتَنَّانِ فى فنائها ، ويـأْويان إلى أفيائها ، وحقيق على من كان منها منزعه ، وإليها مرجعه ، أَن يكون طيباً زكيّا ، طاهرا نقيّا ، عفيفا فى قوله وفعله ، نظيفا فى سره وجهره ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْـكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [1] .

وأَمره بتلاوة القرآن ، وتـأَمُّلِ ما فيه من البرهان ، وأَن يجعله نُصْباً لناظره ، ومأْلفا لخاطره ، فيأْخذ به ويُعطى ، ويـأْتمر به وينتهى ، (٢٣٤ ا) فإنه الحجة الواضحة ، والمحجة اللائحة ، والمعجزة الباهرة ، والبَيِّنة العادلة ، والدليل الذى من اتبعه سَلِمَ ونجا ، ومن صَدَفَ عنه هلك وَهَوى ، قال الله عزَّ من قائل ﴿ وإِنَّه لَـكِتَابٌ عَزِيزٌ . لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَـكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [2] .

وأَمره أَن يجلس للخصوم جلوساً عامّا ، ويقبل عليهم إقبالا تامّا ، ويتصفـح ما يرفع إليه من ظلاماتهم ، ويُنعم النظر فى أَسباب مُحادثاتهم ، فما كان طريقه طريق المنازعة المتعلقة بنظر القضاة وشهادات العدول ردّه

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣

(٢) سورة فصلت الآية ٤١ ، ٤٢

إلى المتولى للحُـكم ، وما كان طريقه طريق الغصوب المحتاج فيهـا إلى الـكشف والفحص ، والاستشفاف والبحث ، نظر فيه نظر صاحب المظالم ، وانتزع الحق ممن غصب عليه ، واستخلصه ممن امتدت له يد التعدّى والتغرر إليه ، وأعاده إلى مستحقه ، وأقرّه عند مستوجبه ، غير مراقب كبيرًا لـكِبرِه ، ولا خاصًّا لخصوصه ، ولا شريفا لشرفه ، ولا متسلطاً لسلطانه ، بل يقدّم أمر الله جل ذكره فى كل ما يأْتى ويذر ، ويتوخى رضاه فيما يُورِد ويُصْدِر ، ويكون على الضعيف المُحقّ حَدِبا ورءُوفا حتى يتصبر[1] وينتصف ، وعلى القوى المبطل شديدا غليظا حتى ينقاد ويُذْعِن ، قال الله جل وعز ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِـى الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِـعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [2]

وأمره بأن يفتـح بابه ، ويُسَهِّل حُجّابه ، ويبسط وجهه ، ويُلين كَنَفه ، ويَصبر على الخصوم الناقصين فى بيانهم حتى تظهر حجتهم ، ويُنعم النظر فى أقوال أهل

(١) في صبح الأعشى : ينتصر
(٢) سورة ص الآية ٢٦

اللسن والبيان منهم حتى يعلمَ مَغَبَّتَهُم (١) ، فربما استظهر العِرِّيض المُبطل بفضل بيانه ، على العاجز المُحِقِّ لِعِيِّ لسانه ، وهنالك يجب أن يتبع التصفُّـح على القولين ، والاستبطال (٢) للأَمرين ، ليؤمَن أن يزول الحق عن (٢٣٤ ب) سَنَنه ، ويَزْوَرّ الحُـكْم عن طريقه ، قال الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَـا الَّذينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (٣)

وأمره بـأَن لا يَرُدَّ للقُضاة حـكما يمضونه ، ولا سِجِلاًّ يُنَفِّذونه ، ولا يُعَقِّب ذلك بفسـخ ، ولا يَطْرُق عليـه بنقض (٤) ، بل يكون لهم موافقا مؤازرا ، ولأَحكامهم عاضدا ناصرا ، إذ كان الحق واحدا وإن اختلفت المذاهب إليه ، فإذا وجد القضية قد سِبقَتْ ، والحـكومة قد وَقَعت ، فليس هناك شك يُوقَف عنده ، ولا ريب يُحتاج إلى الكشف عنه ، وإذا وجد الأَمر مشتبها ، والحقّ ملتبسا ، والتغرُّر مستعملا ، والتغلب مستجازا ، نظر فيه نظر الناصر لحقّ

(١) في صبح الأعشى : مصيبتهم .
(٢) في صبح الأعشى : والاستظهار .
(٣) سورة الحجرات الآية ٦
(٤) في صبح الأعشى : ولا يُطَرِّق عليه النقض

المحقين ، الداحض لباطل المبطلين ، المُقوّى لأيدى المستضعفين ، الآخذ على أيدى المعتدين ، قال الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (١) .

وأمره أن يستظهر على معرفته بمشاورة القضاة والفقهاء ، ومباحثة الرَّبَّانيِّين والعلماء ، فإن اشتبه عليه أمر استرشدهم ، وإن عزب عنه صواب استدلّ عليه بهم ، فإنهم أزِمَّة الأحكام ، وإليهم مرجع الحُكَّام ، وإذا اقتدى بهم فى المشكلات ، وعمل بأقوالهم فى المعضلات ، أَمِنَ من زلَّة العاثر ، وغلطة المُستَاثِر ، وكان خليقا بالأصالة فى رأيه ، والإصابة فى أبْحاثه ، وقد أمر الله تقدّست أسماؤه بالمشاورة فعرف الناس فضلها ، وأسلكهم سُبُلَها ، بقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة النساء الآية ١٣٥

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩

وأمره أن يكتب لمن تَوَجَّب له حق من الحقوق إلى صاحب الكُوفة بالشدّ على يده والتمكن له منه ، (٢٣٥ ا) وقبض الأَيدى عن منازعته ، وحَسْم الأَطماع فى معارضته[١] إذ هو مندوب لتنفيذ أَحكامه ، ومأْمور بإمضاء قضاياه ، ومتى أَخذ [٢] أَحدٌ من الخصوم إلى محَاربة [٣] فى حق قد حكم عليه به ، أَخذ على يده وكفه عن عُدوانه ، وردّه إلى حكم الله الذى لا يُعْدَل عنه ، قال الله عز وجل ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُون ﴾ [٤] .

هذا عهد أَمير المؤمنين إليك ، وحجته عليك قد أَرشدك وذَكَّرك ، وهداك وبصَّرك ، فكن إليه منتهيا ، وبه مقتديا ، واستعن بالله يُعِنْك ، واستكْفِه يَكْفِك .

وكتب الناصح أَبو الطاهر فى تاريخ كذا .

وهذه نسخة عهد [٥]

بنقابة الطالبيين بمدينة السلام ، وسائر الأَعمال

---

(١) في الأصل . وحتّم الاطلاع في معاوضته .
(٢) في الأصل : أخر .
(٣) في صبح الأعشى : إلى مكاذبة
(٤) سورة البقرة الآية ٢٢٩
(٥) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ٢٤٧

والأمصار ، كتب به أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله للشريف أبي الحسن محمد بن الحُسين العلوى الموسوى ، مضافا إليها النظر فى المساجد وعماراتها واستخلافه لوالده الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى على النظر فى المظالم والحج بالناس [فى سنة ثمانين وثلاثمائة] وهى :

هذا ما عهد عبدُ الله عبدُ الكريم ، الإمام الطائع لله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن الحسين بن موسى العلوى ، حين وصلته به الأنساب ، وقرنته لديه الأسباب ، وظهرت دلالة عقله وأمانته [1] ، ووضحت مخايل فضله ونجابته ، ومهّد له بهاء الدولة وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة ما مهد عند أمير المؤمنين من المحل المكين ، ووصَفه به من الحلم الرزين ، وأشار به [2] من رفع المنزلة ، وتقديم الرتبة ، والتأهيل لولاية الأعمال ، وتحمّل الأعباء والأثقال ، وحيث رَغَّبه فيه ، سابقة الحُسين أبيه ، فى الخدمة والنصيحة ، والمشايعة الصحيحة ، والمواقف المحمودة ، (٢٣٥ ب) والمقامات المشهودة ،

---

(١) في صبح الأعشى : ولبابته .

(٢) في الأصل : وأشار به فيه .

التى طابت بها أخباره ، وحسنت فيها آثاره ، وكان محمد متخلقا بخلائقه ، وذاهبا على طرائقه ، علما وديانة ، وورعا وصيانة ، وعفة وأمانة ، وشهامة وصرامة ،وتفرُّدا بالحظ الجزيل من الفضل والأَدب [1] الجَزْل ، والتوجُّه فى الأَهل ، والإيفاء فى المناقب على لِدَاته وأَتْرابه ، والإبرار على قُرَنائِه وأَضرابه ، فقلّده ما كان داخلا فى أعمال أَبيه ، من نقابة نقباء الطالبيِّين بمدينة السلام ، وسائر الأَعمال والأَمصار ، شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، واختصه بذلك جَذْبًا بضَبْعه ، وإنافة بقدره ، وقضاء لحق رحمه ، وترفيها لأَبيه ، وإسعافا له بإيثاره فيه ، إلى ما أَمر أَميرُ المؤمنين باستخلافه عليه من النظر فى المظالم ، وتسيير الحَجيج فى أَوان المواسم ، والله يُعَرِّف أَمير المؤمنين الخِيرَة فيما أَمر ودبَّر ، وحُسْنَ العاقبة فيما قضى وأَمضى ، وما توفيق أَمير المؤمنين إلاَّ بالله عليه يتوكل وإليهِ ينيب .

أَمره بتقوى الله التى هى شعار المؤمنين ، وسيما الصالحين ، وعصمةُ عباد الله أَجمعين ، وأَن يعتقدها سرا

(1) فى صبح الأعشى : من الفضل الجميل والأدب الجزل .

وجهرا ، ويعتمدها قولا وفعلا ، فيأُخذ بها ويعطى ، ويَريش وَيبْرى ، ويأْتى ويذر ، ويورد ويُصدر ، فإنها السبب المتين ، والمعقل الحصين ، والزاد النافع يوم الحساب ، وَالمسلك المفْضِى إلى دار الثواب ، وقد حض الله أولياءه عليها ، وهداهم فى محكم كتابه إليها ، فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاته وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ يَاأَيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢) .

وأمره بتلاوة كتاب الله سبحانه مواظبا ، وتصفُّحه مداوما ملازما ، والرجوع إلى أحكامه فيما أَحلّ وحرّم ، ونقض وأبرم ، وأثابَ وعاقب ، وباعد وقارب ، فقد صحح الله برهانه [وحُجَّته] ، وأوضح منهاجه وَمَحَجَّتَه ، فجعله فجرا فى الظلمات طالعا ، ونورا فى المشكلات ساطعا ، (٢٣٦ ا) فمن أخذ به سلم ونجا ، ومن عدل عنه هلك وهوى ، قال الله عزوجل ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لاَيَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢
(٢) سورة التوبة الآية ١١٩
(٣) سورة فصلت الآية ٤١ ، ٤٢

وأمره بتنزيه نفسه عما تدعو إليه الشهوات ، وتتطلّع إليه النزوات ، وأن يضبطها ضبط الحليم ، ويكفّها كفّ الحكيم ، ويجعل عقله سلطانا عليها ، وتمييزه آمرًا ناهيا لها ، فلا يجعل لها عذرا إلى صَبوة ولا هفوة ، ولا يطلق منها عنانا عند ثورة ولا فورة ، فإنها أَمارة بالسوء ، منصبَّة إلى الغَيّ ، فالحازم يتَّهمها عند تحرُّك وطره وأربه ، واهتياج غيظه وغضبه ، ولا يدع أن يَخُضَّها بالشكيم[1] ويعركها عرك الأَديم ، ويقودها إلى مصالحها بالخزائم[2] ويعتقلها عن مقارفة المحارم والمآثم ، كيما يَعِزّ بتهذيبها وتأديبها ، ويجلّ برياضتها وتقويمها ، والمفرِّطُ في أمره تطمح به إذا طمحت ، ويجمح معها أنَّى جمحت ، ولا يلبث أن توردَه حيث لا صدر ، وتُلجئه إلى أن يعتذر ، وتقيمه مقام النادم الواجم ، وتتنَكَّبُ به سبل الراشد المسالم .

وأحق من تحلّى بالمحاسن ، وتصدّى لاكتساب المحامد ، من ضرب بمثل سهمه فى نسب أمير المؤمنين الشريف ،

---

(١) في الأصل كالسليم .

(٢) في الأصل « الشكائم » وقد اخترنا ما ورد في صبح الأعشى .

ومنصبه المُنيف ، واجتمع معه فى ذُؤابة العِتْرة الطاهرة ، واستظلَّ بأَوراق الدوحة الفاخرة ، فذاك الذى تتضاعف له المآثر إن آثرها ، والمناقب إن أَسَفَّ إليها ، ولا سيما من كان مندوبا لسياسة غيره ، ومُرَشحا للتقليد على أَهله ، إذ ليس يفى بإصلاح من وُلِّى عليه ، من لا يفى بإصلاح ما بين جنبيه ، وكان من أَعظم الهُجْنة أَن يأْمر ولا يأْتمر ، ويَزجرولا يَزْدجر ، قال الله عز وجل ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [1].

وأَمره بتصفُّح أَحوال من وُلِّى عليهم ، واستقراء مذاهبهم ، والبحث عن طرائقهم [2] ودخائلهم ، وأَن يعرف لمن تقدّمت قَدَمُه منهم ، وتظاهر فضلُه (٢٣٦ ب) فيهم ، مَنْزِلَتَه ، ويُوفيه حقه ورتبته ، وينتهى فى إكرام جماعتهم إلى الحدود التى تُوجِبها أَسبابهم [3] وأَقدارهم ، وتقتضيها مواقفهم وأَخطارهم ، فإن ذلك يَلزمه لسببين : أَحدهما يخصُّه وهو النسبُ بينه وبينهم ، والآخر يعمُّه

---

(١) سورة البقرة الآية ٤٤

(٢) في صبح الأعشى : عن بواطنهم .

(٣) في صبح الأعشى : أنسابهم .

والمسلمين جميعاً، وهو قول الله جل ثناؤه ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِـى الْقُرْبَـى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنا﴾ [1] فالمودة لهم، والإعظام لأكابرهم، والإقبال على أصاغرهم، متضاعف الوجوب عليه، ومتأكد اللزوم له، ومن كان منهم فى دون تلك الطبقة من أحداث لم يحتنكوا، أو جُذْعان لم يقْرَحوا، مُجْرِين إلى ما يُزرى بأنسابهم، ويغضُّ من أحسابهم، عَذَلهم ونبَّههم، ونهاهم ووعظهم، فإن نزعوا وأقلعوا فذاك المراد بهم، والمقصود إليه فيهم، وإن أصرّوا وتتابعوا أنالهم من العقوبة بقدر ما يَكفُّ ويردع، فإن نفع وإلاَّ تجاوزه إلى ما يُوجع ويلذع، فى غير تطرق لأعراضهم [2] ولا انتهاك لأحسابهم، فإن الغرض فيهم الصيانة لا الإهانة، والإدالة لا الإذالة، وإذا وجبت عليهم الحقوق، أو تعلقت بهم دواعى الخصوم، قادهم إلى الإغفاء بما يصح منها ويجب، والخروج إلى سنن الحق فيما يشتبه ويلتبس، ومتى لزمتهم الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمر الله به فيها، بعد أن

(١) سورة الشورى الآية ٢٣

(٢) في الأصل : تطرف لأصاغرهم .

تثبت الجرائم وتصحّ ، وتبين وتتّضح ، وتتجرد عن الشك والشبهة ، وتتجلى من الظن والتهمة ، فإن الذى يُستحب فى حدود الله أن تُدْرَأَ عن عباده مع نقصان اليقين والصحة ، وأن تُمضى عليهم مع قيام الدليل والبيّنَة ، قال الله عز وجل ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١) .

وأمره بحياطة هذا النسب الأَطهر ، والشرف الأَفخر ، عن أَن يدَّعيه الأَدعياء ، ويدخل فيه الدُّخلاء ومن انتمى إليه كاذبا ، وانتحله باطلا ، ولم يُوجد له بيت فى الشجرة ، ولا مصداق عند النسَّابين المهرة ، أَوْقَع به من العقوبة ما يستحقه (٢٣٧ ا) ووسمه بما يُعلم به كذبه وفسقه ، وشَهره شُهرةً ينكشف بها غِشّه ولَبْسُه ، وينزع بها غيره ممن تُسَوِّل له مثلَ ذلك نفسُه ، وأَن يُحصِن الفروج عن مناكحة من ليس لها كُفُؤًا ، ولا مشاركها فى شرفها وفخرها ، حتى لا يطمع فى المرأَة الحسيبة النسيبة إلاَّ من كان مِثْلاً لها مساويا ، ونظيرا مُوازيا ، فقد قال الله [تعالى] ﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٩

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٣

وأَمره بمراعاة متبتِّــلى أَهله ومتهجِّديهم : وصُلحائهم ومُجاوريهم ، وأَراملهم وأَصاغرهم ، حتى يسُدَّ الخَلَّة من أَحوالهم ، ويُدِرَّ الموادَّ عليهم ، وتتعادل أَقساطهم فيمــا يصــل إليه من وجوه أَموالهم ، وأَن يزوّج الأَيامى ، ويربّى اليتامى ، ويُلزمهم المــكاتب ليتلقنوا القرآن ، ويعرفوا فرائض [الإسلام و] الإيمان ، ويتـأَدبوا بالآداب ، اللائقة بذوى الأَحساب ، فإن شرف الأَعراق ، محتاج إلى شرف الأَخلاق ، ولاحمد لمن شَرُف نسبه ، وسَخُف أَدبُه ، إذ كان لم يــكسب الفخــر الحاصل له بفضل سعــى ولا طلب ، ولا اجتهاد ولا دَأَب [1] بل بصُنــعٍ من الله عز وجل له ، ومزيد فى المِنَّة عليه ، وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شــكره سبحانه على هذه العطيّة ، والاعتداد بما فيها من المزيّة ، وإعمال النفس فى حيازة الفضائل والمناقب ، والترفــع عن الرذائل والمثالب .

وأَمره بإجمال النيابة عن شيخــه الحسين بن موسى فيما أَمره أَمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر فى المظالم ، والأَخذ للمظلوم من الظالم ، وأَن يجلس للمترافِعين إليه

(١) فى الأصل : أرب .

جلوسا عامّا ، ويتأمّل ظلاماتهم تأمّلا تامّا ، فما كان منها متعلقا بالحاكم ردّه إليه ، ليَحمل الخصومَ عليه ، وما كان طريقه طريق الغَشْم والظُّلم ، والتغلب والغصب ، قبض عنه اليد المُبطلة ، وأثبت فيه اليد المستحِقّة ، وتَحرَّى فى قضاياه أن تكون موافقة للعدل ، ومجانبة للخذْل (٢٣٧ ب) فإن غايتَى الحاكم وصاحب المظالم واحدة ، وهى إقامة الحق ونُصرته ، وإبانته وإنارته ، وإنما يختلف سبيلها فى النظر ، إذ الحاكم يعمل على ما ثبت وظهر ، وصاحب المظالم يفحص عما غَمَض واستتر ، وليس له مع ذلك أن يَرُدَّ لحاكم حكومة ، ولا يُعِلّ له قضية ، ولا يتعقب ما يُنفذه ويُمضيه ، ولا يتتبع ما يحكم به ويقضيه ، والله يهديه ويُسدده ، ويوفِّقه ويرشده .

وأمره أن يُسيِّر حجيج [بيت] الله إلى مقصدهم ، ويحميهم فى بَدْأتهم وعودتهم ، ويرتّبهم فى مسيرهم ومسلكهم ، ويرعاهم فى آناء ليلهم ونهارهم ، حتى لا تنالهم شدة ، ولا تصل إليهم مضرّة

وأن يرعاهم فى المنازل[1] ويوردهم المناهل ، ويناوب بينهم فى النَّهل والعلل ، ويمكنهم من الارتواء والاكتفاء ، مجتهدا فى الصيانة لهم ، ومُعذِرًا فى[2] الذبِّ عنهم ، ومتلوّماً على متأَخّرهم ومتخلفهم ، ومُنهِضا لضعيفهم وَمهِيضهم ، فإنهم حجاج بيت الله الحرام ، وزوّار قبر الرسول عليه السلام ، قد هجروا الأَوطان ، وفارقوا الأَهل والإخوان ، وتجشَّموا المغارم الثقال ، وتعسَّفوا السهول والجبال ، يُلَبُّون دعاء الله عزَّ اسمه ، ويطيعون أمره ، ويُؤَدَّون فرضه ، ويرجون ثوابه ، وحقيق على المسلم المؤمن أن يَحرسهم متبرِّعا ، ويحوطهم متطوعا ، فكيف من تولَّى ذلك وضَمنه ، وتقلَّده واعتنقه ، قال الله ﴿ وِلله علَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً ﴾[3] .

وأَمره أَن يراعى أُمور المساجد بمدينة السلام وأَطرافها ، وأَقطارها وأَكنافها ، وأَن يَجْبِيَ أَموال وُقُوفها ، ويستقصى جميع حقوقها ، وأَن يَلُمَّ شَعثَها ، ويسدّ خَللها ، بما يتحصل من هذه الوجوه قِبلَهَ ، حتى لا يتعطَّل رَسْمٌ جرى

(١) في صبح الأعشى : وأن يريحهم في المنازل .
(٢) في الأصل : ومغديا في الذب .
(٣) سورة آل عمران الآية ٩٧

فيها ، ولا تنقص عادةٌ كانت لها ، وأن يُثبت اسم أمير المؤمنين على ما يعمُره منها ، ويذكر اسمه بعده بأَنَّ عُمْرانها جرى على يده ، وصلاحها . (٢٣٨ ا) أَدَّاهُ قول أمير المؤمنين إلى فعله ، فقد فسَّح له أمير المؤمنين بذلك تنويها باسمه وإشادة بذكره ، وأن يولى [ذلك] من قِبَله مَن حَسُنَت أمانته ، وظهرت عفته وصيانته ، فقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [1].

وأمره أن يستخلف على ما يرى الاستخلاف عليه من هذه الأعمال ، في الأمصار الدانية والنائية ، والبلاد القريبة والبعيدة ، من يثق به من صلحاء الرجال ، ذوى الوفاء والاستقلال ، وأن يعهد إليهم مثل الذى عُهد إليه ، ويعتمد عليهم فى مثل ما اعتمد عليه ، ويستقْرِى مع ذلك آثارهم ، ويتعرّف أخبارهم ، فمن وجده محمودا أقرَّه ولم يُزِله ، ومن وجده مذموما صرفه ولم يُمْهِله ، واعتاض منه من تُرتجى الأمانة عنده ، وتكون الثقة معهودة منه ،

(١) سورة التوبة الآية ١٨

وأن يختار لكتابته وحجبته والتصرّف فيما قرب منه وبعد عنه مَنْ يَزينه ولا يَشينه ، وينصح له ولا يغُشُّه ، ويجمّله ولا يُهَجِّنه ، من الطبقة المعروفة بالظَّلَف ، المصونة عن النَّطَف [1] ، ويجعل لهم من الأَرزاق الكافية ، والأُجرة الوافية ، ما يصدّهم عن المكاسب الذميمة ، والمآكل الوخيمة ، فليس تجب عليهم الحُجة إلاّ مع إعطاء الحاجة ، قال الله تعالى ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ [2]

وأَمره بأَن يكتُب لمن يقوم ببيِّنتِهِ عنده ، وتنكشف حجته له ، إلى أَصحاب المعاقل [3] بالشدّ على يديه ، وإيصال حقه إليه ، وحسم الطمع الكاذب فيه ، وقبض اليد الظالمة عنه ، إذ هم مندوبون للتصرف بين أَمره ونهيه ، والوقوف عند رسمه وحدّه .

هذا عهد أَمير المؤمنين إليك ، وحجته لك وعليك ، قد أَنار فيه سبيلك ، وأَوضح دليلك ، وهداك وأَرشدك ،

---

(١) الظلف من معانيه الترفع عن الدنايا . والنطف : العيب .

(٢) سورة النجم الآيات ٣٩ – ٤١

(٣) في صبح الأعشى : المعاون . هذا والمعاون يراد بها السلطات كرجال الإدارة والشرطة .

وجعلك على بينة من أَمرك ، فاعمل به ولا تخالفه ، وانته إليه ولا تتجاوزه ، وإن عرض لك أَمر يُعجزك الوفاء به ، ويشتبه عليك وجهُ (٢٣٨ ب) الخروج منـــه ، أَنهيته إلى أَمير المؤمنين مبادرا ، وكنت إلى ما أَمرك به صائرا ، إن شاء الله تعالى . مستهل رمضان سنة ثمانين وثلاثمائة [١] .

وهذه نسخة عهد بتقليد الصلاة بحاضرة بغداد

كتب به أَبو إسحاق الصابى عن الطائـــع لله لعلى بن أَحمد بن الفضل الهاشمى فى ربيـــع الأَول سنة أَربـــع وستين وثلاثمائة وهى :

هذا ما عهد عبد الله ووليه عبد الـــكريم الإمام الطائع لله أَمير المؤمنين لعـــلى بن أَحمد بن الفضل بن عبد الملك الهاشمى ، حين قلده جميـــع ما كان يتقلده عبد الواحد بن الفضل من الصلاة بجانـــبى مدينة السلام ، وما يتصل بها من الأَعمال ، بسقْى [٢] الفرات والنهروانات وسائر

(١) في صبح الأعشى : « وكتب في مستهل شعبان سنة ثمانين وثلاثمائة » وفي الأصل : رمضان سنة ثمان وثلاثمائة .

(٢) في الأصل : بشق ، هذا وسق الفرات كور ببغداد منهـــا الأنبار وهيت . انظر معجم البلدان : الفرات .

ما كان داخلا فى تقليده من النواحى والأمصار القريبة والبعيدة ، وطريق خراسان ، وقرر أمره [1] سكونا إلى دينه وأمانته وثقة بنزاهته وصيانته ، وصلة لرحمه ونسبه ، ورجاءً لاستقلاله ووفائه ، وتقريرًا لاضطلاعه وغنائه ، وأمير المؤمنين يسأل حسن تسْديده فى ذلك فى جميع آرائه التى يَرْتئيها ، وعزائمه التى يُمضيها ، وأن يقرنها بالصلاح ، ويتولاها بالنجاح ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره بتقوى الله فى سره وجهره ، والمراقبة له فى قوله وفعله ، وأن يجعل ذلك خُلُقا له ودَيْدنا ، ويتخذه منهاجا وسببا ، ويتحلّى له بالسكينة والوقار ، فإنهما شعار الأخيار الأبرار ، الذين هم [2] حقيق بأن يُتقَبَّل فعالهم ، ويُحتذَى مثالُهم ، بما أسهم الله فيه من النسب الشريف ، وأهّله من المفخر المُنيف ، الذى استحق به أمير المؤمنين ما فوّضَ إليه ، واعتمد فيه عليه ، فإن الله جل ذكره حَضَّ الناس على التقوى ، ووعدهم عليها القُربة والزُّلفى ،

(١) الكلمة غير واضحة في الأصل .

(٢) في الأصل : الذين هو .

وإنها لَحَرِيَّةٌ بالمؤمنين ، خليقة بعباد الله الصالحين ، ولا سيما من رَقَى المنابر تمطّياً لها ، وافترعها خطيباً عليها (٢٣٩ ا) وكان إلى الله داعيا ، وعن عباده مناجيا ، وإذا اطلع الله جل وعَزَّ منه على نقاء الصدر ، وسلامة السرّ ، واستقامة الدين ، وصحة اليقين ، قبل صلاته واستجاب دعاءه ، وأنهضه بما اسْتُكْفِيه ، وأعانه على أداء الأَمانة فيه ، وجمع بينه وبين من صلّى خلفه ، وقفا أَثره ، فى فائض رحمته ، وسابغ مغفرته ، وأَحلّه محلة عباده الصّدّيقين ، وأوليائه الصالحين ، والله تعالى يقول وقوله الحق ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [1].

وأَمره أَن يسعى إلى ذكر الله عند وجوب الصلاة ، ويَدْخلها فى حقائق الأَوقات ، ويقيمها على حدودها وشروطها ، ويستوفيها على الواجب من مفروضها ومسنونها ، مُرَتِّلا لقرآنه ، مترسِّلا فى تلاوته ، جامعا بين نيَّته ولفظه ، محترسا من مطامح فكره ولحظه ، متجنّبا لجرائر غفلته وسهوه ، متحرّزا من عوارض هُجْره ولَغوه ،

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢

مستظهرا على نفسه فى طهارة جوارحه ، وتهذيب ما بين جوانحه ، فإن أفضل التأهب للصلاة ما استوى باطنه وعاليه [1] ، وتوازن غائبه وشاهده ، وليس بالطاهر عند الله من أفاض الماء على أطرافه ، وجعل النجاسة حشو شغافه ، ولكنه الجامع بين الأمرين ، والفائز بكلتا الحُسنَيَين ، وأحق من قصد ذلك ونَحَاه ، واعتمده وتوخَّاه ، من اتخذه المسلمون إماما ، وقدموه أماما ، وصار بينهم وبين الله وسيطا ، وعلى ما فوضوه إليه من الصلاة بهم أمينا ، قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [2] وقال تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾ [3] وقال تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [4].

وأمره أن يقيم الدعوة على منابر حضرة أمير المؤمنين له

(١) الكلمة أيضا محتملة : وغالبه . ولعلها أيضا محرفة عن كلمة تتفق مع السجع بعدها .

(٢) سورة الجمعة الآية ٩

(٣) سورة النساء الآية ١٠٣

(٤) سورة العنكبوت الآية ٤٥

خاصة ، وأن يقيمها على منابر باقى الأعمال النازحـة (٢٣٩ ب) عن مقرّه له ، ثم لحامل الأعباء عنه ، والوسيط بين جماعة الأولياء ، وبين عز الدولة أبى المنصور أحمد بن معزّ الدولة أبى الحسين مولى أمير المؤمنين ، ولولاة الأعمال بعده ، الذين يدعى لهم على منابر ما يتقلدونه منها ، على العادة الجارية فيها ، وإن هذه الدعوة لازمة ، والسنة فيها مؤكدة ، وهى فرع مطّرد على أصل الطاعة الواجبة على المسلمين جميعا ، إذ يقول جلّ اسمه لهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (١) والعائدةُ فيهم ، لأن الله تعالى إذا أصلح الولاة عليهم أصلح المَسرَّة فيهم ، وأنهضهم بما استرعاهم من أمورهم ، وكذلك يفعل الله إنه سميع الدعاء ، لطيف لما يشاء .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحُجَّته عليك ، فاعمل به منتهيا إلى حدوده ، ومتبعا لرسومه ، ومتأدبا بآدابه ، وسالكا على منهاجه ، واستعِنْ بالله يُعِنْك ويُسَدِّدْك ، واستهده يَهْدِك ويُرْشدك ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩

وهذه نسخة عهد بنظر الأَوقاف بحاضرة بغداد وسوادها

كتب بها أَبو إسحاق الصابى عن الطائع للحسين بن موسى العلوىّ (١).

هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أَمير المؤمنين ، إلى الحسين بن موسى العلوىّ ، حين طابت منه العناصر ، ووصلته بأَمير المؤمنين الأَواصر ، جمع إلى شرف الأَعراق الذى ورثه ، شرَفَ الخُلُق الذى اكتسبه ، ووضحت آثار دينه وأَمانته ، وبانت أَدلة فضله وكفايته ، فى جميع ما أَسنده أَمير المؤمنين إليه من الأَعمال ، وحمَّله إياه من الأَثقال ، فأَضاف إلى ما كان ولاَّه من النظر فى الوقوف التى كانت يدُ فلان فيها الوقوفَ بالحضرة وسوادها ، ثقةً بسداده ، وسكونا إلى رشاده ، وعِلْما بأَنه يعرف حقّ الصنيعة ، ويرعى ما يُسْتَحْفَظُه من (٢٤٠ ا) الوديعة ، ويجرى فى المنهل الذى أَحمدَه أَمير المؤمنين منه فى كل ما فُوِّض ووُكل إليه ، والله يُمدّ أَمير المؤمنين بصواب الرأْى فيما نحاه وتوخَّاه ، ويؤمّنه من

(١) صبح الأعشى جـ١٠ ص٢٥٩

عاقبة الندم فيما قضاه وأمضاه ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره بتقوى الله التى هى عماد الدين ، وشعار المؤمنين ، وأن يعتقدها فى سره ونجواه ، ويجعلها الذخيرة لأُولاه وأُخراه ، ويتجنب المواقــع المُوبِيَــةَ [1] ويتوقّى الموارد المُردية ، ويغُضّ طرفــه عن المطامح [2] المُغوية ، ويذهب بنفسه عن المطارح المُخزية ، فإنه أَحق من فعل ذاك وآثره ، وأولى من اعتمده واستشعره ، بنسبه الشريف ، ومفخره المنيف ، وعادته المشهورة ، وشاكلته المــأْثورة ، وتلاوة كتاب الله الذى هو والعِتْرَةُ [3] الثقلان المخلَّفان فى الأُمة ، وقد جمعته وأحدهما الأَنساب ، وجمعنا [4] والثانى عصمة أُولى الأَلباب ، وتوجهت حجَّةُ الله عليه بما يرجع من هذه الفضائل إليه ، وأنه غُصن من دوحة أَمير المؤمنين ، التى تحدّاها الله بالإِنْذار قبل الخلائق أَجمعين ، إذ يقول لرسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

---

(١) في صبح الأعشى : المونية .

(٢) في صبح الأعشى : المطامع .

(٣) في صبح الأعشى : وعترة رسول الله .

(٤) في صبح الأعشى : وقد جمعته وآخرهما الأنساب وجمعته

الْأَقْرَبِينَ ﴾ (١) وقد حضّ تبارك وتعالى على التقوى ، ووعد عباده عليها الزلفى ، فقال ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢) .

وأمره بالاشتمال على ما أسنده إليه أمير المؤمنين من هذه الوقوف ، مستنفدا طَوْقه فى عمارتها ، مستفرغا وُسْعه فى مصلحتها ، دائبا فى استغلالها وتثميرها ، مجتهدا فى تدبيرها وتوفيرها ، وأن يصرف فاضل كل وقف منها بعد الذى يُخرج منه للنفقة على حفظ أصله ، واستدرار حَلَبه ، والمُؤْنة الراتبة للقوّام عليه ، والحفظة له ، إلى أربابه الذى يعود ذلك عليهم فى وجوهها التى سُبِّل لها ، ووُقف عليها ، واضعا جميع ذلك مواضعه ، مُوقِعا له (٢٤٠ ب) مواقعه ، خارجا إلى الله من الحق فيه ، مؤدّيا الأمانة إليه ، وأن يشهد على القابضين بما يقبضونه من وقوفهم ، ويكتب البراءات عليهم بما يستوفونه من أموالهم ، ويستظهر لنفسه بإعداد الشواهد والأدلة على ما ينفقه من أموال هذه الوقوف على مصالحه ، ويصرفه

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤

(٢) سورة التوبة الآية ١١٩

منها إلى أهلها ، ويخرجه منها في حقوقها وأبواب بِرِّها ، وسائر سبلها ووجوهها ، سالكا فى ذلك مذهبه المعروف فى أداء الأمانة واستعمال الظَّلف والنزاهة ، مُعَقِّبا على من كان ناظرا فيها من الخونة الذين لم يَرْعَوْا عهدا ولم يحفظوا حقا ، ولم يَتَصَوَّنوا عن سُحْتِ [1] المطاعم ، وظلم المآثم .

وأمره باستكتاب كاتب معروف بالسداد ، مشهور بالرشاد ، معلوم منه نصيحة الأصحاب ، والضبط للحساب ، وتفويض ديوان الوقوف وتدبيره إليه ، وتوصيته بصيانة ما يشتمل ، عليه من أصول الأعمال وفروعها ، وقليل الحُجج وكثيرها ، وأن يحتاط لأربابها فى حفظ رسومها ومعاملاتها ، وحراسة طُسُوقها ومُقاسماتها ، حتى لا يستمرّ عليها حَيْفٌ يَبْقَى أثرُه ، ولا يتغير فيها رسم يُخاف ضررُه ، وأن يُنصف الأَكَرة فيها والمزارعين ، وسائر المخالِطين والمعاملين ، ولا يجشِّمهم حَيْفا ، ولا يسومهم خَسْفا ، ولا يُغضى لهم عن حق ، ولا يسمح لهم بواجب ، خلا ما عَادَةُ السماحةِ به بزيادة عماراتهم ، وتآلف نيّاتهم ،

---

(١) في الأصل ولم يتصونوا عن سخب .

واجتلاب الفائدة منهم والعائدة بهم ، فإنه مؤتمن فى ذلك كله أمانة عليه ، وأن [1] يؤديها ويخرج من الحق فيها .

وأمره باختيار خازن حصيف ، قؤوم أمين ، يخزُن حُجج هذه الوقوف وسجِلَّاتها ، وسائر دفاترها وحُسْباناتها ، فإنها ودائع أربابها عنده ، وواجب أن يحتاط عليها جهده ، فمتى شكّ فى شرط من الشروط ، أَوْ حَدٍّ من الحدود ، أو عارَضَ مُعارِض ، أو شاغب مشاغب ، فى أيام نَظرِه وأيام مَنْ عسى أن تنتقل (٢٤١ ا) ولاية هذه الوقوف إليه ، ويناط تدبيرها به ، دَفَع ما يحدث من ذلك بهذه الحجج التى هى معادن [2] البرهان ، وقواعد البنيان ، وإليها المرجع فى كل بَيِّنة تُبصر [3] وتقام ، وشبهة تُدْحض وتُضام .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، ووثيقته الحاصلة فى يديك ، فاتَّبع آثار أوامره ، وازدجر عن نواهيه وزواجره ، واستمسك به تنجُ وتسلَمْ ، واعمل به تَفُزْ وتغنم ،

---

(١) فى صبح الأعشى أمانة ، وعليه أن يؤديها .

(٢) فى صبح الاعشى : معارف البرهان .

(٣) فى صبح الأعشى : تنصر .

واسترشد الله يرشدك ، واستهده يهدك ، واستعن به ينصرك ، وفوِّض إليه يَعْصِمْك ، إن شاء الله تعالى .

الأُسلوب الثانى :

أَن يفتتح ما يكتب بلفظ أَما بعد . ثم الذى كان فى الزمن القديم أَن يكتب : أَما بعد فإن كذا . ويؤتى على مقصد الولاية إلى آخره ، ثم انتهى الحال فى الدولة العباسية بالعراق إلى أَن يقال : أَما بعد فالحمد لله ، ويؤتى بخطبة مناسبة للحال ، ثم يؤتى على مقصد الولاية .

والأَصل فى ذلك أَن أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين ولّى أَبا موسى الأَشعرى القضاء كتب له كتابا افتتحه بأَما بعد .

وهذه نسخته على ما أَورده صاحب « العقد » [1]

أَما بعد فإن القضاء فريضة محكمة ، وسُنة متَّبعة ، فافْهم إِذَا أُدْلِىَ إِليك ، وأَنْفُذْ إِذا تبيَّن لك ، فإنه لا ينفع تكلُّم بحقٍّ لا نفاذ له .

(١) صبح الأعشى حـ ١٠ ص ١٩٣ والعقد الفريد حـ ١ ص ٣٣

آسِ بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأَس ضعيف من عونك ، البيّنة على من ادّعى واليمين على من أَنكر ، والصلحُ جائز بين المسلمين ، إلاَّ صلحا أَحلَّ حراما أَو حرم حلالا ، لا يمنَعْكَ قضاء قضيتَه بالأَمس فراجعت فيه اليومَ عقلَك (٢٤١ ب) وهُديت فيه لرشدك ، أَن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل .

الفهمَ الفهمَ فيما تلجلج فى صدرك ، مما ليس فى كتاب ولا سُنَّة ، ثم اعرف الأَشباه والأَمثال ، وقِسِ الأُمور عند ذلك بنظائرها ، واعمد إلى أَقربها إلى الله وأَشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أَو بينة أَمدًا يَنتهى إليه ، فإن أَحضَر بينَّة أَخذت له بحقه ، وإلا استحللت القضية عليه ، فإنه أَنفى للشك ، وأَجلى للعمى .

المسلمون عُدول بعضهم على بعض ، إلا مجلودا حَدًّا أَو مُجرَّبا عليه شهادة زور ، ظَنينا فى ولاءٍ أَو نسب ، فإن الله يتولى السرائر ، ويدرأُ بالبينات والأَيمان .

إياك والقلقَ والضجر والتأَذِّى بالخصوم ، والتنــكُّرَ عند الخصومات ، فإن الحق فى مواطن الحق يُعظم اللهُ به الأَجر ، ويحسن عليه الذُّخر والجزاء ، فمن صحّت نيّته ، وأَقبل على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أَنه ليس من نفسه شانه (١) الله ، فما ظنُّك بثواب الله (٢) فى عاجل رزقه وخزائن رحمتــه ، والسلام .

قلت : ووقــع فى بعض المصنفات ابتداء هذا العهــد بقوله .

من عمر بن الخطــاب إلى عبــد الله بن قيس ، سلام عليك ، أما بعد . وهو الذى استند إليه من كتب فى بعض المذاهب السابقة فى عهود الملوك عن الخلفاء : من عبد الله فلانٍ إلى فلانٍ ، ووقــع فى «مسند» البزّار أن أَوله : اعلم أَنَّ القضاءَ فريضة محكمة .

مع تغيير بعض الأَلفاظ وتقديم بعض وتأْخير بعض .

وعلى الافتتاح بأَما بعد : كتب عبد الحميد بن يحيى

(١) في الأصل «حابه» والتصويب من صبح الأعشى .

(٢) في الأصل : في ثواب الله .

عن مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أُمية لبعض أُمراء السرايا .

أَما بعد فإِن أَمير المؤمنين عندما اعتزم عليه من توجيهك إِلى عدو الله الجِلْف الجافى الأَعرابى المُتَكَسِّع [1] فى حيرة الجهالة ، وظلم الفتنة ، ومهاوى الهلكة ، ورَعَاعِه الذين عاثوا (٢٤٢ ا) فى الأَرض فسادا ، وانتهكوا حرمة الإِسلام استخفافا ، وبدلوا نعمة الله كفرا ، واستحلوا [2] سِلْمه جهلا ، أَحب أَن يعهد إِليك .

إِلى آخر ما أَتى به منه ، وهو عهد طويل جدا ، ضربت عن ذكره لإِطالته ، وقد ذكرته بجملته فى كتابى «صبح الأَعشى فى كتابة الإِنشا» [3] . وعلى ذلك كانت عهود الوزراء من خلفاء بنى العباس فى العراق .

وهذه نسخة عهد بالوزارة [4]

كتب به الإِمام المسترشد بالله لبعض وزرائه وهى :

أَما بعد ، فالحمد لله المنفرد بكبريائه ، المتفضل

(١) تكسع في ضلاله : ذهب ، مثل تسكع .

(٢) في صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٩٥ أضيفت : «واستحلوا [دماء أهل] سلمه» وذلك نقلا عن كتاب مفتاح الأفكار ص ٢٣٠

(٣) انظر صبح الأعشى جـ ١٠ ص ١٩٥

(٤) صبح الاعشى جـ ١٠ ص ٢٣٧

على أَوليائه ، مجزل النعماء ، وكاشف الغَمَّاء ، ومسبغ العطاء ، ومُسبل الغطاء ، ومُسنى الحباء ، ومُسدى الآلاء ، الذى لا تَؤُوده الأَعبـاء ، ولا تَكيده الأَعداء ، ولا تبلغه الأَوهام ، ولا تحيط به الأَفهام ، ولا تُدركه الأَبصار ، ولا تتخيّله الأَفكار ، ولا تهزمه الأَعوام بتواليها ، ولا تُعجزه الخطُوب إذا ادلهمَّت لياليها ، عالم هواجس الفِكَر ، وخالق كل شئ بِقَدر ، مُصرّف الأَقدار على مَشيئته ومُجريها ، ومانح مواهبه من أَضحى بيد الشكر يَمْتريها ، حمدًا يَصُوب حَيَاه ، ويَعذب جَناه ، وتتهلل أَسرَّة الإِخلاص من مطاويه ، ويستدعى المَزيد من آلائه ويَقتضيه .

والحمد لله الذى استخلص محمدًا صلّى الله عليه وسلم من زَكِىّ الأَصلاب ، وانتخبه من أَشرف الأَنساب ، وبعثه إلى الخليقة رسولا ، وجعله إلى منهج النجاة دليلا ، وقد بَوَّأَ الشرك بَوارَ الذُّلِّ وقضاه [1] ، وشهر عَضْب العزّ وانتضاه ، والأُمم عن طاعة الرحمن عازفة ، وعلى عبادة الأَوثان عاكفة ، فلم يزل بأَمر ربه صادعا ، وعن التمسك بعُرا الضلال الواهية وازعا ، وإلى ركوب

(١) الجملة في صبح الأعشى خالية من النقط غير واضحة

محجّة الهدى داعيا ، وعلى قدم الاجتهاد فى إبادة [١] الغَواية (٢٤٢ ب) ساعيا ، حتى أَصبح نور الحق منيرا مشرقا ، وعُوده بعد الذبول أخضر مُورقا ، ومضى الباطل موليا أدبارَه ، ومستصحبا تَتْبِيره وبَوَارَه ، وقضى صلى الله عليه [وسلم] بعد أن مَهَّد من الإيمان قواعده ، وأحكم أَسَاسَه ووطائده ، وأوضح سبل الفوز لمن اقتفاها ، ولحَبَ طريقها بعد ما دثرت صُوَاهَا ، فصلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وصحبه الأكرمين ، صلاة مُتصِلاً سَحُّ غمامِها ، مسفرا صُبح دوامِها .

والحمد لله على أَن صار لأَمير المؤمنين من أَدب [٢] النبوة ما هو أَجدر بحيازة فَخْره ، وأَولى بفيض غَدْرِه [٣] ، ووطّأَ له من الخلافة المعظمة مِهادا أَحْفزته نحوه حَوافز ارتياحه ، وجذبته إليه أزمة راعه واكتباحه [٤] إلى أن أَدرك من ذلك مُناه ، وأَلقى الاستقرارُ الذى لا يَرِيمُ عصاه ، وعضَّد دولته بالتأْييد من سائر أنحائه ومراميه ،

---

(١) في الأصل : إنارة الغواية .

(٢) في صبح الأعشى : أن حاز لأمير المؤمنين من إرث النبوة .

(٣) في صبح الأعشى : بحيازة مجده وأولى بفيض عده .

(٤) في صبح الأعشى : والتياحه .

وأغراضه ومغازيه ، حتى فاقت الدول المتقادمة إشراقا ، وأعطتها الحوادث من التغير عهدا وفيًّا وميثاقا ، وأصبحت أيامه أدامها الله حالية بالعـدل أجيادُها ، جائلة [1] فى ميادين النضارة جِيادُها ، وراح الظلم دارسةً أطلالُه ، مقلَّصا سرباله ، قد أنجمَ سحابُه ، وزُمَّت للرحلة رِكابُه ، فمـا يستمر منهـا أمرٌ إلا كـان صُنْـعُ الله سبحـانه مُؤيِّده ، والتوفيق مصاحبه أنَّى يَمَّمَ ومُسَدِّدَه ، وهو يَسْتَوْزِعه جلّت عظمته [2] شكر هذه النعمة ، ويستزيده بالتحدث بها من آلائه الجَمَّة ، ويستمدّ منـه المعونة فى كل أرب قصده وأمَّه ، وشحذ لانتحائه عزْمه ، وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

ولمـا كانت الوزارة قُطْب الأُمور الذى عليه مدارُها ، وإليه إيرادها وعنه إصدارها ، وخلا منصبُها ممن كان [3] يـكون لها أهلا ، وينظم من جماله لها شملا [4] أجال أميرُ المؤمنين فيمن يختار لذلك فـكره ، وأنعم لأهل الاصطفاء لهذه (٢٤٣ ا) المنزلة نظره ، حتى صرّح مَحْضُ

---

(١) في صبح الأعشى : جالية .

(٢) في صبح الأعشى : من كان يكون .

(٣) في الأصل : عصمته

(٤) في صبح الأعشى : من شماله شملا .

رأْيه عن زُبدة اختيارك ، وهداهُ صائب تدبيره إلى اقتراحك وإيثارك ، فألقى إليك المقاليد ، وعوَّل فى دولته القاهرة على تدبيرك السديد ، وناط بك من أمر الوزارة ما لم يُلْفِ له سواك مستحِقّا ، ولا لمتَسنِّم استيجابه مُتَرَقّى[1] ، عِلْما بما تبديه كفايتُك المشهورة ، وإيالتُك المخبورة ، من تقويم ما أعجز مِياده ، وصلاح ما استشرى فسادُه ، واستقامة كلّ حال وَهَى عِمَادُها ، وأَصْلَدَ[2] على كثرة الاقتداح زِنادُها ، وتثبيتاً لما تبتسم عنه الأَيام من آثار نظرك المُعربة عن احتوائك على دلائل الجزالة ، واستيلائك على مخايل الأَصالة ، اللذين تُنال بهما غايات المعالى ، وتُفْرَع الذُّرَا والأَعالى .

ثم إن أَمير المؤمنين بمقتضى هذه الدعاوى اللازمة ، وحُرُمات جَدِّك وأبيك السالفة المتقادمة ، التى استحصَدَتْ فى الدار العزيزة قُوَى أَمْرَاسها ، وأَدنَتْ[3] منك الآن ثمرة غراسها ، رأَى أَن يُشَيِّد هذه العارفة التى تأَرَّج لديك نسيمها ، وبدتْ على أَعناق نحرك رُسُومُهَا ، وجادتْ رِباعَك

(١) في صبح الأعشى : ولا لنسيم استيجابه مسترقا .
(٢) في صبح الأعشى : وأصلت .
(٣) في الأصل : أنراسها وأذنت .

شآبيبُها ، وضَفَتْ عليك جلابيبُها ، بما يزيد أَزرَك اشتدادا ، وباع أَمَلِك طولا وامتدادا ، فأَدناك من شريف حضرته مناجيا ، ومنحك من مزايا الأَيَّام مَا يكسبك ذِكْرًا فى الأعقاب ساريا ، وعلى الأَحقاب باقيا ، وأَفاض عليك من الملابس الفاخرة ما حزت به أَوصاف الجمال ، وجمع لك أَباديد الآمال ، وقلّدك من الفخر ما يدوم على مَرِّ الزمان وَيَبْقَى(1) ، وأَمطاك صهوة سابح يشْأَى الرِّياح سَبْقا ، ووسمك بكذا وكذا — فى ضمن التأْهيل للتكنية — إبانةً عن جميل معتقده فيك ، ورعاية لوسائلك المُحكَمةِ المرَائر وأَواخيك .

وأَمرك بتقوى الله التى هى أَحصن المعاقل ، وأَعذب المناهل ، وأَنفع الذخائر ، يوم (٢٤٣ ب) تُبْلَى السرائر ، وأَن تستشعرها فيما تبديه وتُخفيه ، وتذره وتأْتيه ، فإنها أَفضل الأَعمال وأَوجبُهَا [وأَوضح المسالك إلى الفوز برضا الله وأَلحبُها] ، وأَجلبُ الأَشياءِ للسعادة الباقية ، وأَجناها لقطوف الخيرات (2) الدانية ، عالما بما فى ذلك

---

(١) هذه الجملة في صبح الأعشى مقتضبة مضطربة

(٢) في صبح الأعشى : لقطوف الجنان الدانية .

من نفـــع تتـــكامل أَقسامه ، وتتفتـــح عن نَوْر الصَّـــلاح الجـامِـعِ أكمامه[1].

قال الله جلّت آلاؤه ، وتقدَّست أَسماؤه﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2] وقال تعالى حاضًّا على تقواه ، ومُخبـــرا عمّا خَصَّ به مُتَّقيه وحَبَاه ، وكفى بذلك رائدا[3] إليهـــا ، وباعثا عليهـــا ﴿إِنَّ اللهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[4].

وأَمرك أَن تتوخى المقاصد السليمة وتأْتيَها ، وتتوقَّى[5] الموارد الوخيمة وتَجْتَوِيَها ، وأَن تَشْفَــعَ[6] بالحزم أَفعالك ، وتجعل كتاب الله تعالى إمامك الذى تهتدى به ومِثَالَك ، وأَن تـــكُفَّ من نفسك عند جِماحها وإِبائِها ، وتَصُدَّها عن متابعة أَهوائِها ، وتَثْنِـــى عند احْتِدَامِ سَوْرة الغضب

---

(١) في الأصل : الجامعة كمامه .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٣

(٣) في صبح الأعشى : داعيا إليها .

(٤) سورة التوبة الآيتان ٤، ٧

(٥) في صبح الأعشى : وتتوخم .

(٦) في صبح الأعشى : وأن تتبع .

عِنانَها ، وتُشعرها من حميد الخلائق ما يوافق إسرارُها فيه إعلانَها ، فإنها لم تزل إلى منزلة السُّوءِ المُرْدية داعية ، وعن سلوك مناهج الخير المُنْجِية ناهية ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1] .

وأمرك أن تُنجـز[2] للخدمة بين يديك من بَلَوْت أخباره ، واستشْفَفْتَ أسراره ، فعلمتـه جامعـا أدوات الـكفاية ، مَوْسوما بالأَمانـة والدِّراية ، وعركَتْـه رَحَا التجارِب عَرْكَ الثِّفَال ، وحلب الدهرَ أشطره على تصاريف الأَحوال ، ليـكون أَمر ما تولاّه على منهـج الاستقامة جاريا ، وعن ملابس الخلل والارتياب عاريا ، فلا يَضَع فى مزلقةٍ قَدَما ، ولا يأْتى ما يقرع سِنَّهُ لأَجله نَدَما ، وأَن تمنح رعايا أَمير المؤمنين من بِشْرِكَ ما يعقل شوارد الأَهواء ، ويَلْوِى إليه بأَعنـاق نوافرها اللاتى اعتصمن بالجمـاح والإباء ، مازجاً ذلك بشِدَّةٍ (٢٤٤ ا) تستولى حُمَيَّا رهبتِها على القلوب ، وتفُلُّ مرهفات بأَسها صَرْفَ الخطوب ، من

(١) سورة يوسف الآية ٥٣

(٢) في صبح الأعشى : تتخير .

غير إفراط فى إستدامة ذلك يضيق بها على الطالب وَسِيعُ مَذْهَبِهِ ، ويغريها اتصالُه باستشعار وَعْر الخَطَإِ واستيطاء مَرْكبِه .

وأَمرك أَن تُعذب موارد الإِحسان لمن أَحْمدتَ بلاءه ، وتحققت غَناءه ، واستحسنت أَثره ، وارتضيت عِيَانَه وخبره ، وتُسدل أَسمال الهوان على من بَلَوْت فعله ذميما ، وأَلفيته بِعِراص الإِساءة مُقيما ، وإِلى رِباعها الموحشة مستأْنسا مستديما ، كَيْلاً لكل امرئٍ بصاعه ، واتّباعا لما أَمر الله تعالى باتِّباعه ، وتجنُّبا للإِهمالِ الجاعلِ المُحسِنَ والمُسِيءَ سَوَاءً ، والمعيدِهما فى موقف الجزاء أَكفاء ، فإِن فى ذلك تزهيدا لذوى الحُسنى فى الإِحسان ، وتتابعا لأَهل الإِساءة فى العدوان ، ولولا ما فرضه الله تعالى على المؤمنين من إِيجاب الحُجَّة ، والفكَاك من رِبقة الاجتهاد ببلاغ المعذرة ، لثنَى عِنان الإِطالة مقتصرا ، واكتفى ببعض القول مُختصرا ، ثقة بامتناع سدادك وَنُهَاك ، أَن رآك صواب الفعل حيث نَهاك ، واستنامة إِلى ما خوَّلك الله من الرأْى الثاقب ، المطَّلع من خصائص البديهة على مُحتَجِب العواقب .

فارتَبِطْ يا فلان هذه النُّعْمى التى جادت دِيَمُها مغانِيَكَ ، وحقَّقت الأَيامُ بمكانها أَمانِيَّكَ ، بشكر ينطِقُ به لسان الاعتراف ، فيؤَمِّن وَحْشِيَّ النِّعم من النِّفار والانحراف ، واسْلُكْ فى جمال السيرة والاقتداء بهذه الأَوامر المتينة [1] المذكورة جَدَداً يُغْرى بحمدك الأَلسنة ، ويعرب عن كونك من الَّذين يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه ، والله يُصدِّق مَخِيلَةَ أَمير المؤمنين فيك ، ويُوزِعك شُكْرَ ما أَولاك ويُوليك ، ويجعل الصواب غرضا لِنبال عزائمه ، ويَذود عن دولته القاهرة كتائبَ الخطوب بصوارم السَّعْد ولهاذِمِه ، ويصل أَيامه الزاهرةَ بالخلود ، ويبسط على أَقاصى الأَرض ظِلَّه الممدود ، ما (٢٤٤ ب) استهلَّ جَفْنُ الغيث المِدرار ، وابتسمت ثغور النُّوَّار ، إن شاءَ الله تعالى .

الأُسلوب الثالث

أَن يفتتح ما يكتب بخطبة مبتدأَة بالحمد لله ، وهو أُسلوب نادر الوقوع فيما كُتب به عن الخلفاء ، لم يُعرف منه إلا ما تقدم ذكره من عهد الملك الكامل محمد بن

(١) في صبح الأعشى : المبين .

العادل أبى بكر بن أيوب بمملكة الديار المصرية ، على ما تقدم فى عهود الخلفاء للملوك فى الفصل الأول من هذا الباب ، إلاَّ أنه كان قد استقرَّ عليه اصطلاح الفاطميين بالديار المصرية .

وعليه أورد على بنُ خلف مثل ما يُكتب عنهم فى الولايات ، وتبعهم ملوك الديار المصرية من بنى أيوب ، فَمَن بعدهم على ذلك ، على ما هو معروف فى ذلك .

ولما استقلَّ الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس بالخلافة والسلطنة جميعاً ، عند القبض على الناصر فرج ، كتب عنه كما كان يكتب عن الملوك قبله ، لم يختلف الحال فى ذلك إلاَّ (١) فى الألقاب السلطانية ، فكان يقال : فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوىّ الإمامىّ النبوىّ المستعينىّ ، ثم بطل ذلك بانتقال السلطنة عنه ، ورجع الأمر فى ما يكتب إلى السلطان إلاَّ فى الأمور الخاصة بالخلافة .

(١) في الأصل : لا في الألقاب .

وهذه نسخة تفويض شريف

كتب به عن الإمام المعتضد بالله خليفة العصر الموضوع له هذا الكتاب ، بتفويض نظر الجامع الجديد بمصر للمقرّ الناصرىّ محمد بن البارزى كاتب السر الشريف بالممالك الإسلامية ، من إنشاءِ الشيخ الإمام علاَّمة الدهر تَقىِّ الدين بن حجَّة . وهى :

الحمد لله الذى جعل التفويض العباسى متصلا بمحمد ، ونفَّذ (١٢٤٥) أَحكام الخلافة الدَّاوُودية قديماً وحديثاً إلى أَن تسلسل حديثها المُسند ، وعضَّد الإسلام والمسلمين بمعتضدٍ ما قام فى نُصرة بيتهِ إلاَّ من هو مُؤَيَّد ، نحمده على أَن أَتحفنا من هذا البيت بكل أَمين على الأُمة ورشيد ، ونشكره على أَن أَقام له بعد أَبى مسلم أَبا النَّصر فأَمسى وهو بأَركان الشَّرف مَشِيد .

ونشهد أَن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، بشهادة تجمع بين حسن النظر والشهادة ، ونشهد أَن محمدا عبده ورسوله الذى هو جامعُ شَمْل هذه الأُمة وقبلتها وسراجها المنير للعبادة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

الذين تمسَّكوا بطيب أثـره ، وتبصَّروا بحسن نظره ، صلاةَ تُعْلى منارَ الشهادتين فى جوامع الكلم بَرَكَتُها ، وتعلو فى جوامع الأَمصار بمحمّد كَلِمَتُها ، ما سجع على أَفنانِ المنابر ساجع وغرَّد ، وأَعلن تحت العلمين[1] العباسية بقرب المعتضد من مُحمد ، وسلّم تسليما .

وبعد ، فإن سَجايا الكرم فى آل بيت النبىّ ما برحت لعقود المنائح خُلاصَة ، وكيف لا وهو الذى أَنزل بأَكنافه ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَة﴾ [2] لا سيما بنو العباس فإن شجرتهم التى أَصلها ثابت وفرعها فى السماءِ نعم الخَلَف ، وما منهم إلاَّ واثق بالله ومتوكل على الله ومعتضد به وهذا غاية الشَّرف ، فمن أَخذ عنهم حديثا فى أَمر بيت من بيوت الله فقد ظفر بحُسْنِ نظرٍ وفضْلٍ جامع ، فإن البيت والحديث لهم بغير منازع ، فلا مَعْبَدٌ إلاَّ وله الطَّرَب عند جَسِّ عيدان المنابر بأَوصافهم المشهورة ، ولا خائف من عصاة الأُمة إلاَّ دَاسَ بساط الطاعة فى جوامعهم ودخل تحت أَعلامهم المنشورة ، فمن قصد

(١) هكذا في الأصل .

(٢) سورة الحشر الآية ٩

القُرْب إليه فقد فاز بأَعظم قُرْبة ، لا سيما إن نَهَل من سقايتهم نَهْلَةً فإنه لم يجد بعدها فى المناهل منهلا مستعذبا للمحبَّة ، وكان الجناب الكريم العالى(٢٤٥ ب) القاضوىّ الكبيرىّ السفيرىّ الناصرىّ محمد بن البارزىّ الجهمىّ الشافعىّ صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الشريفة المحروسة الإسلامية ـ ضاعف الله تعالى نعمته ـ هو الركن السامى فى قواعد بيتنا الشريف ، والمنتصب لرفع علمه العباسى حتى تَفَيَّأَ كلُّ قائل بظلّه الوَريف ، والملاحَظ بعين سِرّه الذى هو فى نسبنا أَبدع من بديع النسيب ، والسرّ المحمدىّ ما برح لبنى العباس فيه حظٌّ ونصيب ، والمساعد بعد عمارة بيتنا فى عمارة بيت الله الذى صار بحُسنِ نظره قريرَ العَيْنَ ، ولقد أَبدع فى إنشاءِ نظمها حتى تحقَّق الناس أنه أَعظم من إنشاء نَظْمِ البَيْتَين .

فلذلك رسم بالأَمر الشريف العالىّ المولوىّ الإمامىّ المعتضدىّ ، لازالت تفاويضه الشريفة العباسية محروسة بالأَسرار المحمدية ، أَن يُفَوَّض إلى المشار إليه نظرُ الجامع الجديد بمصر المحروسة ووَقْفِه المنسوبِ إلى السلطان الشهيد الملك الناصر بَقَّى الله تعالى عهده ، عِلْمًا أَنه إن شَمِل نظره

الجـامـعَ المصرىَّ فقـد مدَّ الله هـذا النظرَ فى سـائـر الأَمصار ، ويعلم أَنه يصير بحسن مهاجره لمُوقفه الناصرىِّ من أَعظم الأَنصارِ ، ويحق لهذا الجـامـع أَن يقول : ما برحتُ بمصر متمسـكا من محمد بالآثار ، ولقد هـام البيتُ العتيق إلى رُؤيَـةِ هـذا البيتِ الجـديد الذى هو بالمدينة الآهلة بالجناب المحمدىِّ ودارِ الخلافة ، وَوَدَّ الأَقصى أَن يـكون الأَدنى إليـه ليطالع تفسيره الذى يجعل من البحر اغترافه ، وتمنى الأَموىّ أَن يطير بأَجنحة النَّسْرِ ليُزوِّجه بعروسه العالية المنار ، واستصغر تنكزُ نفسَه عن مقابلة الناصر وأَحـكم الحاكم وقصَّر طولون عن السبق فى هذا المضمار ، وقال الأَزهر : هذا بنور النظـر المحمدى أَزهر ، وقال الأَقمر هذا بالطلعة البارِزِيَّة أَقمر ، فَلْيتَلَقَّ حديث هذا التفويض عن (٢٤٦ ا) أَبى الفتـح عن أَبى النصر ويَتبَرَّك بسنده العـالى ، ويُمْلِى ما أَخذه من شواهد المحبة عن المعتضد عن المؤيَّد لا عن القـالى ، وليُباشِرْ ذلك على ماعهد من أَدواته التى ما نُسبت إلى غير الـكمال ، فإن الخَلَل لم ينظر إليه بعينـه من خِلال ، والوصايا كثيرة ولـكنه بحمد الله أَبو عُذْرتها ، وابنُ

بجْدتها وجُهَيْنَة أخبارها ، وكاتب أسرارها ، والله تعالى يمدُّ فروعَ أُصوله حتى تستظل الأُمة بظل هذه الشجرة ، ويفتح له أبواب الخير بأَبى الفتح فإن أبواب العلم لديه مُحَرَّرة ، ويديم على بيوت الله بالممالك الإسلامية نظره ، والاعتمادُ على الخطّ الشريف أعلاه ، حجّة بمقتضاه ، إن شاءَ الله تعالى .

الأُسلوب الرابع

أَن يفتح ما يكتب بلفظ : أَحق ، أَو : أَولى ، أَو نحو ذلك ، وبذلك كان يُكتب فى تواقيع صغار الولايات .

وهذه نسخة [1] توقيع من ذلك

كتب به عن الإمام الناصر لدين الله للقاضى محيى الدين ابن فَضْلان بتدريس المدرسة النظامية ببغداد ، فى سنة أَربعَ عشرَة وستمائة وهى :

أَحق من أُفيضت عليه مَجَاسِدُ النِّعم ، وجُذِب بِضَبْعِهِ إلى مقام التنويه وتقدُّم القَدَم ، من أَسفر فى أَقْضية

(١) صبح الأعشى جـ ١٠ ص ٢٩٢ .

الفضائل صباحُه ، وانتشر فى العالم علمه وأَزهر مِصْباحُه .

ولمـا كان الأَجلُّ الأَوحد العالم ، محيي الدين ، حُجَّة الإِسلام ، رئيس الأَصحاب ، مفتى الفريقين ، مُفيد العلوم ، أَبو عبد الله محمد بن يحيي بن فَضْلان أَدام الله رفعته ، ممن نَظَم فرائدَ المحامدِ عِقْدُهُ النَّضيد ، وأَوى من العلم والعمل إلى ركن شديد ، وثبتَتْ قدمُه من الديانة على مُسْتَثْبَتٍ راسخ وقرار مَهِيـد ، رُئِّى (٢٤٦ ب) التعويل فى تفويض التـدريس بالمـدرسة النظاميـة إليـه ، ثقة باضطلاعه واستقلاله ، وتبريزه فى حَلَبات الاستباق على نظرائه وأَمثاله ، وأَسند إليه أَدام الله رفعته النظرَ فى أَوقاف المدرسة المذكورة بأَجمعهـا ، واعتمـاد ما شرطه الواقفُ فى مصارفها وسُبلها ، سُـكونا إلى كفايته ، وركونا إلى سداده وأَمانته .

ورسم له تقديم تقوى الله تعالى التى ما زال مُنتهجـاً لطرائقها ، مستمسكا بِعِصَمِها ووثائقها ، وأَن يشرح صدره للمتعلمين ، ولا يأْخذه ضُجْرَة من المستفيدين ، ولا تَعْدُوَ عيناه عن الطالبين ، ولا يتبرَّم بالمبالغة فى تفهيم المُبتـدى ، ولا يغفل عن تذكير المُنْتهـى ، فإنه إذا

احتمل هذه المشقّة ، وأعطى كل تلميذ حقه ، كان الله تعالى كفيلا بمعونته ، بحسب ما يعلمه من حرصه عليهم وإخلاص نيَّته ، وليكن بسائر المتفقهة مُعْتنيا رفيقا ، وعليهم حَدِبا شفيقا ، يُفرِّع لهم من الفقه ما وضَح وتَسهَّل ، ويبيِّن لهم ما التبس من غوامضه وأشكل ، حتى تَستنير قلوبهم بأَضواءِ علوم الدين ، وتنطلق أَلسنتهم فيها باللفظ الفصيح المُبين ، وتظهر آثار بركاته فى مراشده وتَبين ، ولْتَتَوَفَّرْ همَّتُه فى عِمارة الوقف واستِنْمائها ، والتوفر على كل ما عاد بتزايُدها وزَكائِها ، بحيث يتَّضح مكان نظره فيها ، ويبلغ الغاية الموفية على من تقدَّم ويُوفيها ، ولا يستعين إلا بمن يُؤَدّى الأَمانة ويُوفِّيها ، ويقوم بشرائط الاستحفاظ ويَكْفيها ، وهو أدام الله رفعته يَجْرى من عوائد المدرِّسين والمتولِّين على أَوفى معهود ، ويرقى [1] فيه إلى أَبعد مُرتقًى ومقام محمود ، وأَذن له فى تناول إيجاب التدريس ، ونظر الوقوف المذكورة أُسوةَ مَنْ تقدَّمه فى التدريس والنظر فى الموقوف ، على كل ما شرطه الواقف فى كل وِرْد وصَدَر ، واعتمادِ كلِّ ما حَدَّ له فى ذلك ومثَّله من غير تجاوز .

---

(١) فى صبح الأعشى : ويسامى به .

أَن يفتح ما يكتب بلفظ : هذا كتاب ، ثم يقال : أَما بعد فالحمد لله ، ويؤتى بخطبة مناسبة للحال ، وربما أَتى فيها بثلاث تحميدات ، ثم أَتى على المقصود إلى آخره .

وعلى ذلك كان يكتب لزعماءِ أَهل الذمة من البطاركة ونحوهم .

وهذه نسخة توقيع من ذلك[١]

كتب به أَمين الدولتين ابن مُوصَلاَيا عن القائم بأَمر الله لعبد يَسوع [٢] الجاثَلِيق الفَطْرك [٣] بمدينة السلام وسائر البلدان فى ربيع الأَول سنة سبع وستين وأَربع مائة وهى :

هذا كتاب أَمر بكتبه عبدُ الله أَبو جعفر عبدُ الله الإمام القائم بأَمر الله أَميرُ المؤمنين لعبد يسوع الجاثليق الفَطْرك .

أَما بعد فالحمد لله الواحد بغير ثان ، القديم لا عن وجود زمان ، الذى قَصُرت صنيعة الأَوهام ، عن إدراكه

(١) صبح الأعشى ح ١٠ ص ٢٩٤
(٢) كتب في صبح الأعشى : عبد يشوع .
(٣) في كتب اللغة : البطرك

وحارَتْ ، وضلّت صنيعة الأَفهام ، عن بلوغ مدى صفاته وحالَتْ ، المتنزّه عن الولد والصاحبة ، العاجزة عن إحاطة العلم به دلائل العقول الصافية الصائبة ، ذى المشيئة الحالية بالمضَاءِ ، والقدرة الجارية عليها تصاريف القدر والقضاء ، والعظمة الغنيّة عن العون والظهير ، المتعالى بهـا عن الكُفءِ والنظير ، والعزة المكتفية عن العَضُد والنصير ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [1] .

والحمد لله الذى اختار الإسلام دينا وارتضاه ، وشام به عَضْب الحق على الباطل وانتضاه ، وأَرسل محمدا صلى الله عليه وسلم منقذا من إشراك الضِّلة ، وكاشفا عن الإيمان ما غمره من الإشراك وأَظَلّه ، وبعثه مَاحِياً أَثر الكفر عن القلوب والأَسماع ، وناحيًا فى اتِّباع ما جَدَّ فى البِدار (٢٤٧ ب) إليه والإسراع ، وأَدْلى ما حمله أَحسن الإدلاء [2] ، وداوى بمعجزة النبوة من النفوس مُعضل الداء ، ولم يزل لأَعلام الهُدى مبينا ، ولحبائل الغَىِّ حاسِما مُبينا ، إلى أَن خَلَص الحق وَصَفَا ، وغدا الدينُ من أَضداده مُنتصفا ، واتضح للحائر سَنَنُ

---

(١) سورة الشورى الآية ١١

(٢) هو كذلك في صبح الأعشى ، وصوِّب : وأدى . . . الأداء .

الرَّشَد ، وانقاد الأَبِـيُّ باللِّين والأَشَدّ ، فصلى الله عليه وعلى آله الطـاهرين ، وأَصحابه المنتَخَبين ، وخلفائه الأَئمة الراشدين ، وسلَّم تسليما .

والحمد لله الذى استخلص أَميرَ المؤمنين من أَزكى الدوحة والأُرومة ، وأَحلَّه من عِز الإِمامة ذِرْوةً للمجد غيرَ مَرومة ، وأَصَار إِليه من تُراث النبوة ما حَواه بالاستحقاق والوجوب ، وأَصاب به من مرامى الصلاة ما حُمِيتْ شموسُه من الأُفول والوُجوب ، وأَولاه من شرف الخلافة ما استقدم به الفخر فَلَبّى ، واستخدم معه الدهرَ فيما تَـأَبَّى ، ومنـح أَيَّامه من ظهور العـدل فيهـا وانتشاره ، ولَقَاح حَوائل [1] الإِنصـاف فيها ووضْـع عِشَارِه ، ما فضـل به العصورَ الخاليـة ، وظلَّت السِّيَرُ متضمنة من ذكرها ما كانت من مثله عاريةً خاليـة ، وهو يستديمـه سبحـانه المعونةَ على ما يُقَرِّب لديه ويُزلِفُ عنده ، ويستمدُّه التوفيقَ الذى يغدو لعزائمه الميمونة أَوفى العَضُد والعُدَّة ، وما توفيق أَمير المؤمنين إِلاَّ بالله عليه يتـوكل وإِليـه ينيب .

وأَمير المؤمنين مع ما أَوجب الله تعالى عليه من اختصاص

---

(١) في صبح الأعشى : « حوامل » هذا والحوائل جمع حائل وهى كل أنثى لا تحمل .

رعاياه بأَكنافه الذى يَمُدُّ عليهم رُوَاقها ، ويردُّ بها إلى أَغصان صلاحهم أَوراقَها ، ويُلْقى على أَجيادهم عقودَهَا ، ويقى رِياح ائتلافهم رُكودَها ، يرى أَن يُولِيَ أُولى الاستقامة من أَهل ذمَّته ضُروب الرأْفة وصُنوفَها ، وأَقسام العاطفة الدافعــة عنهم حوادث الغِيرِ وصُرُوفَهـا ، بمقتضــى عُهودهم القويَّةِ القُوَى ، وذِمَّتهم التى يــلزم أَن يُحــافظ عليها أَهلُ العــدل والتقوى ، ويَغْتمدهم من الصَّوْنِ [1] الغامر ، (٢٤٨ ا) والإِجمام المضاهى الآنفُ منه الغابر ، بمــا قنص [2] يد الضــيم وكَفَّه ، ويُفيض عليهم من الملاحظة كــلَّ ما حسم الضير دونهم وَكفَّه [3] ، وأَن يَحْتويهم [4] من الحِياطة بما يحْرُس رسومهم المستمرّة من أَسباب الاختــلال ، ويُجْرِيهم فيها عــلى ما سنَّه السلف الصالح معهم من مأْلوف السجايا والخلال .

ولَمَّا أُنْهِــى إلى حضرة أَمير المؤمنين تمييزُك عن نظرائك ، وتحلِّيك من السَّداد بما يستوجب معه أَمثالُك المبالغَــةَ فى وصفك وإطرائك ، وتخصُّصك بالأَنحــاء التى فُتَّ فيها

(١) في صبح الأعشى : الضرر .
(٢) في صبح الأعشى : بما يقبض.
(٣) جملة : « ويفيض عليهم ... وكفه » غير موجودة في صبح الأعشى .
(٤) في صبح الأعشى : وأن يحبوهم .

شَأْوَ أقرانك ، وأفدْتَ بها ما قصَّر معه مُساجلك من أَبناء جنسك أَن يَعْدِلَك فى ميزانك ، وما عليه أَهلُ نِحْلتك من حاجتهم إلى جاثليق كافلٍ بأُمورهم ، كاف فى سياسة جُمهورهم ، مستقلٍّ بما يلزم القيامُ به ، غيرُ مُقِلٍّ بما يَتَعَيَّن مثله فى أَدوات مَنْصبه ، وأَن كُلاًّ ممن يُرْجَع إليه منهم لمَّا تصفَّح أَحوالَ متقدِّمى دينهم واستشَفّ ، وأَعمل الفكر فى اختيار الأَرجح منهم والأَشَفّ ، واتفقوا من بعدُ على إجالة الرأى الذى أَفاضوا بينهم قدَاحه ، وراضُوا به زَند الاجتهاد إلى أَن يُورى حين راموا اقتداحه ، فلم يصادفوا مَنْ هو بالرياسة عليهم أَحقّ وأَحَرى ، وللشروطِ الموجبةِ التقديمَ فيهم أَجمع وأَحْوى ، وعن أَموال وقوفهم أَعفّ وأَورع ، ومن نفسه لداعى التحرّى فيها أَطوع وأَتبع ، منك ، اختاروك لهم راعيا ، ولما يشدُّ نظامهم ملاحظا مراعيا ، وسأَلوا إمضاء نصِّهم عليك والإذن فيه ، وإجراء الأَمر فيما يخصك أَسَدَّ مَجاريه ، وترتيبَك فيما أُهِّلْت له وحُمِّلْتَ ثِقْله ، واختصاصك على من تقدّمك من الأَضراب بمزيد من الإرعاء والإيجاب ، وحَمْلَك وأَهلَ نِحْلتك على الشروط المعتادة ، والرسوم التى إمضاءُ الشريعة لها أَوْفَى الشهادة ، رأَى أَمير المؤمنين الإجابَة إلى ما وُجِّهَتْ

إليه فيه الرغبة ، واستخارة الله تعالى (٢٤٨ ب) فى كل عَزْم يُطلِق شَبَاهُ ويُمْضِى غَرْبَه ، مقتديا فيما أسداه إليك وأسناه من النعمة [١] لديك ، بأفعال الأئمة الماضين ، والخلفاء الراشدين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، مع أمثالك من الجَثَالقة الذين سبقوا ، وفى مَقامك اتّسقوا ، وأوعز بترتيبك جاثَليقا لنُسْطور النصارى بمدينة السلام وسائر البلاد والأصقاع وزعيما لهم وللروم واليَعَاقبة طُرّا ، ولكلٍّ من تحويه ديار الإسلام من هاتين الطائفتين ممن بها يستقرّ وإليها يَطْرَا ، وجعل أمرك فيهم ممتثلا ، وموضعك من الرياسة عليهم مُتَأَثّلا ، وأن تنفرد بالتقدّم على هذه الطوائف أجمع ، ليكون قولك فيما يجيزه الشرعُ الشريفُ فيهم يُقْبل وإليك فى أحوالهم يُرْجع ، وأن تتميّزَ بأُهبة الزعامة فى مجامع النصارى ومُصَلَّياتهم عامّة ، من غير أن يَشْركك فيها أو يشاكلك فى النسبة الدالة عليها مَطْرَان أو أُسْقُف للروم أو اليعاقبة ، لتغدُوَ شواهدُ ولايتك بالأوامر الإمامية بادية للسامع والناظر ، وآثار قصورهم عن هذه الرتبة التى لم يبلغوها كافّة للمجادل منهم والمُنَاظر ، ومُنِعوا بأسرهم عن مساواتك

(١) في صبح الأعشى : أنعمه .

فى كل أمر هو من شروط الزعامة ورسومها ، والتزيِّى بما هو من علاماتها وَوُسومها ، إذ لا سبيل لأَحدهم أن يَمُدَّ فى مباراتك باعه ، ولا أَن يخرُج عن المُوجب عليه من الطاعة لك والتِّباعة ، وحملك فى ذلك على ما يدلُّ عليه المنشور المنشأُ لمن تقدّمك ، الممضى لك ولكلّ [(١)] من يأْتى بعدك ، المُجدِّد بما حواه ذكْر ما نطقتْ به المناشيرُ المقرَّرة فى أَيام الخلفاء الراشدين ، صلوات الله عليهم أَجمعين ، لمن تقدَّمك فى مقامك ، وأَحرز سَبْق مَغْزاك ومرامك ، من كون المنصوب فى الجَثْلَقة إليه الزعامة على ما تضُمُّه ديار الإسلام من هذه الفِرَق جَمْعا ، والمنصوص عليه فى التقدم الذى ليس لغيره من رياضه مَرْعى ، (٢٤٩ ا) وتقدَّم أَميرُ المؤمنين بحياطتك وأَهلِ نِحْلتك فى نفوسكم وأَموالكم وبِيَعِكُم ، وديارکم ومقار صلواتكم وحراسة أَمواتكم [(٢)] ، واعتمادكم بأَقسام الكلاءة على أَجمل الرسم معكم ؛ وأَن تُحْمَوْا من نَقْضِ سُنَّة رَضِيَّةٍ قُرِّرت لكم ، ودَحْضِ وَتيرة حَميدة اسْتُعمِلت فى فَرْضكم ، وأَن تُقْبَض الجِزْية من رجالكم

---

(١) في الأصل ولعمل من يأتي .

(٢) في صبح الأعشى : أموالكم .

ذوى القدرة على أَدائها بحسب ما جرت به عادتكم دون النساء ومن لم يبلغ الحلم دفعة واحدة فى السنة ، وتُجْرَوْا فى ذلك على السَّجِيَّة التى تناقَلَها الرُّواة وتداولَتْها الأَلْسنة ، من غير تَثْنِية ولا تكرير ، ولا تَرْنيق لمنهل المَعْدَلَة عندكم ولا تكدير ، وأَن تُحْبَى بالشَّدِّ دائما وتقوية يدك على من نَصَبْتَه فى أُمورهم ناظرا ولشملهم ناظما ، ويُفْسح لك فى فصل ما شَجَر بينهم على سبيل الوَسَاطة ، لتقصد فى ذلك ما يَحْسِم دواعىَ الخُلْف ويَطْوِى بِساطه ، وأَنْ تُمْضِى تثقيفك لهم وأَمرَك فيهم ، أُسوَة ما جرى عليه الأَمر مع من كان قَبْلَك يليهم ، لتُحْسِن معه السيرةَ العادلة [1] عليهم بحِفْظ السَّوَام ، المطابقة للشروط السائغة فى دين الإِسلام .

وأَمر بإِنشاءِ هذا الكتاب مشتملاً على ما خصَّك به ، وأَمضى أَنْ تُعامل بمُوجبه ، فقابِلْ نعمةَ أَمير المؤمنين عندك بما تستوجبه من شكر تَبلغ فيه المَدَى الأَقصى ، وبِشْرٍ لا يُوجِدُ التصفُّح له عندك قُصورا ولا نَقْصا ، وواظب على الاعتراف بما أُوليته من كلّ ما جَمَّلك ، وصدَّقَ ظنَّك وأَمَلك ، واستَزِد الإِنعامَ بطاعة تَطْوِى عليها الجوانح ، وأَدعية لأَيامه تُتْبِع الغادىَ منها بالرائح ،

(١) وضع هامش في صبح الأعشى نصه : لعله العائدة . تأمل .

وتجنَّب التقصير فيما بك عُدِق،[1] وإليك وُكِلّ وعليك عُلِّق ، واحتفظ بهذا الكتاب جُنَّة تمنع عنك رَيْب الدهر وَغِيَرَه ، وحُجَّة تَحْمِل فيها على ما يَحْمِى ما مُنِحْته من كُلٍّ ما شَعَّثَه وغَبَّرَه ، وليعمَلْ بهذا المِثال كافة المطارنة والأَساقفة والقِسِّيسين ، والنصارى أجمعين ، وليعتمدوا (٢٤٩ ب) من اتباعه كُلَّ ما يستحقه تقديمُك على الجماعة ، ولْيَثِقُوا بما يغمرهم من المعاطف [2] الحامية سِرْبَهُمْ من التفريق والإضاعة ، إن شاء الله تعالى .

تنبيه : قد ذكر محمد بن عمر المدائنى أنه كان يكتب للأُمراء فى قرطاس من نصف طومار وللعمال والكُتَّاب فى قرطاس من ثلث طومار ، وللتُّجَّار وأشباههم فى قرطاس من ربع طومار ، وللحُسَّابِ والمُسَّاح فى قرطاس من سُدس طومار ، وقد تقدم أن المراد بالطومار قَطْع البغدادى الكامل ، ولا يخفى أن المُناسب لقطع النصف قلم الثلث الخفيف ، ولقطع الثلث قلم الكوفة ، ولما دون ذلك قلم الرِّقاع .

---

(١) عدق يده : أدخلها في نواحي البئر أو الحوض ونحوهما كأنه يطلب شيئاً . وكأنه يراد هنا تجنب التقصير فيما طلب أن يكون فيك .

(٢) في صبح الأعشى : العاطفة .

البـــاب الخامس

فيما كان يــكتب عن الخلفاء من الإقطاعات وتحويل السنين وإلزام أَهل الذمة الشرائط اللازمة لهم وفيه [ثلاثة فصول] .

الفصل الأَول

فيما كان يــكتب عنهم من الإقطاعات ، وقد كان عاداتهم فيه أَن يُــكتب : هذا كتابٌ من عبد الله فلان الإمامِ الفلانــيِّ . ويأْتى على المقصد إلى آخره من إقطاع استغلال ، وهو الذى يؤخذ فيه خراج الأَرض وَرَقبتها باقية لبيت المــال ، أَو إقطاع تمليك ، وهو أَن يملك الأَرض ويقرر عليه قَطِيعة تؤخذ منها لبيت المــال ، وتسمى هذه : المقاطعة .

والأَصل فى ذلك ما رواه الحافظ بن عساكر فى « تاريخ الشام » بسنده إلى أَبى قائد [1] الدارِىّ أَن النبى صلى الله عليه وسلم أَعطاه أَرضا بفلسطين ، وكتب له بها كتابا

(١) في صبح الأعشى : بسنده إلى زياد بن فائد عن أبيه فائد عن جده زياد ابن أبى هند عن أبى هند الدارى . . . . . . انظر صبح الأعشى حـ ٢٣ ص ١١٨

فى قطعة من أَدَم ، وهو ، بعد البسملة : هذا ذِكْرُ ما وَهَبَ محمد رسول الله للدَّارِيِّين إذا أَعطاه الله الأَرض . وَهَب لهم بيت عَيْنُون وحَبْرُون وبيت إبراهيم بمن فيهن لهم أَبدا .

شهد عبّاسُ بن عبد المطلب وجُهَيم[1] بن قيس وشُرَحْبِيل ابن حَسَنة . وكَتَب . فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كتب لهم بذلك كتاباً .

ونسختـــه [2]

هذا ما أَنْطى محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم تميمَ الدارِيَّ وأَصحابه ، إنى أَنطيتـــكم عينون [3] وحَبْرُون . (٢٥٠ ا) والرطوم وبيت إبراهيم برُمَّتهم وجميــع مافيهم ، نَطِيَّةَ بَتٍّ ونفَّذْتُ وسلَّمت ذلك لهم ولأَعقابهم من بعدهم أَبدَ الأَبَدِ ، فمن آذاهم فيها آذاه الله .

شهد أَبو بـــكر بن أَبي قحافة ، وعُمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وعلىٌّ بن أَبى طالب ، ومعاوية بن أَبى سفيان [وكتب] .

---

(١) في صبح الأعشى : جهم « وفي الهامش نقلا عن السيرة الحلبية ص ٣٩٦ حـ ٣ خزيمة » . وانظر الإصابة : جهم بن قيس ... أبو خزيمة ويقال له جهيم بالتصغير

(٢) صبح الأعشى حـ ١٣ ص ١٢٠

(٣) كتب في الأصل : عين .

وفى رواية : إنما كتب أولا : هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم بن أوس الدارى ، إن له قرية حبْرا وبيت عينون [1] قَرْيَتَها كُلَّها ، سهلَها وجبلَها ماءَها وحَرْثها [2] وأنباطَها وبَقَرها ولعَقبه من بعده ، لا يُحَاقُّه فيها أحد ، ولا يَلِجُه عليهم أَحدٌ بِظُلم ، فمن طلبهم [3] أو أخذ من أحدهم شيئا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين [وكتب علىّ] .

وروى الحافظ ابن منده نحوَهُ [4] ، فصار ذلك أُسلوبا ينسجُ على منواله .

قلت : ويقال : إن الرقعة موجودة عند التميميِّين ببلد الخليل [5] إلى الآن فى رقعة أدم .

وهذه نسخة مقاطعة [6]

كتب بها أبو إسحاق الصابى عن المطيع لله بإقطاعِ أرضٍ إقطاعَ تمليك وهى :

(١) في الأصل : «عينوا» والتصويب من صبح الأعشى جـ ١٣ ص١٢١
(٢) في صبح الأعشى : وحرّتها
(٣) في صبح الأعشى : فمن ظلمهم .
(٤) انظرنصه في صبح الأعشى جـ ١٣ ص ١٢٢
(٥) في صبح الأعشى : خدام حرم الخليل .
(٦) صبح الأعشى جـ ١٣ ص١٢٣ — ١٣١

هذا كتاب من عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين لفلان بن فلان .

إنك رفعت قِصّتك تذكر حال ضَيعَتِك المعروفة بكذا وكذا [من رُسْتاق كذا وكذا] من طَسُّوج كذا وكذا ، وأنها أَرض رَقيقةٌ قد نزل عليها (1) الخراب ، وانغلق أكثرها بالسَّدِّ والدغَل ، وأَنَّ مِثْلها لا [تتسع يد الليالى للإنفاق عليه وفلب بالابله (؟) واستخراج سدوده وقفل أرضه ولا] يرغب الأَكرة فى ازدراعه والمعاملةِ فيه ، وإن أمير المؤمنين مقاطِعُك (2) عن هذه الضيعة على كذا وكذا من الوَرِق المُرْسل فى كلّ سنة ، على استقبال سنة كذا وكذا الخراجية ، مقاطعةً مُؤَبَّدة ، ماضية مُقررة نافذة ، يُستخرج مالها فى أَول المحرَّم من كل سنة ، ولا تُتبع بنقض ولا يتأَول فيها مُتَأَوِّل ، ولا تُعتَرض فى مستأْنِف الأَيام ما اجتهدت فى عمارتها وتكلفت الإنفاق عليها (٢٥٠ ب) ، واستخراج سدودها ، وتَنقية (3) أَراضيها واحتفار سواقيها واجتلاب

(1) في صبح الأعشى : قد توالى عليها .

(2) في الأصل : وإنه يأمر المؤمنين بمقاطعتك . .

(3) في صبح الأعشى : وتقفل

الأَكرة إليها ، وإطلاق البذور والتقاوى فيها ، وإرغاب المزارعين بتخفيف طُسُوقها [بحق الرقبة] ومقاسماتها ، وكان فى ذلك توفيرٌ لحقّ بيت المال وصلاح [ظاهر] لايختلّ .

وسأَلتَ أَمير المؤمنين الأَمرَ بذلك والتقدم به والإسجال لك به ، وإثباته فى ديوان السواد ودواوين الحضرة وديوان الناحية ، وتصييرَه ماضيا لك ولعَقِبِك وأَعقابهم [ومن لعل هذه الضيعة أَو شيئا منها ينتقل إليه ببيع أَو ميراث أَو صدقة أَو غير ذلك من ضروب الانتقال] فإن أَمير المؤمنين بإيثاره الفلاح [1] واعتماده أَسبابه ، ورغبته فيما عاد بالتوفير على بيت المال ، والعمارة والتَّرفيه للرعية ، أَمرنا بالنظر فيما ذكرته ، واستقصاء البحث عنه ، ومعرفة وجه التدبير ، وسبيل الحظ فيه ، والعمل بما يوافق الرشد فى جميعه ، فرُجع إلى الديوان فى تعرُّف ما حَكَيْته من أَحوال هذه الضَّيعة ، فأَنفذَ منه رجلاً مختارًا ثقةً مأْموناً من أَهل الخبرة بأُمور السواد وأَعمال الخراج ، قد عرف أَميرُ المؤمنين أَمانته وديانته ، وحكمه [2]

(١) في صبح الأعشى : الصلاح .

(٢) في صبح الأعشى : وعلمه .

ومعرفته ، وأمره بالمصير إلى هذه الناحية وجمع[1] أهلها من الأَدِلَّاء والأَكَرة والمزارعين [وثقات الأُمناء] والمجاورين والوقوف على هذه الأَقرحة ، وإيقاع المساحة عليها وكشف أَحوال غامرها وعامرها ، والمَسير على حدودها ، وأَخْذ أَقوالهم وآرائهم فى وجه صَلاَحِ وعمارةِ قَراحٍ قَراحٍ منها ، وما يوجبه صواب التدبير فيما التمسته من المقاطعة بالمبلغ الذى بَذَلْته ، وذكرتَ أَنه زائد على الارتفاع ، والكِتابِ بجميع ذلك إلى الديوان ليُوقَف عليه ويُنْهى إلى أَمير المؤمنين لينظر فيه ، فما صحَّ عنده منه أَمضاه ، وما رأَى الاستظهار على نظر الناظر فيه استظهر فيما يَرى منه ، حتى يقف على حقيقته ، وَيَرْسُم بما يُعْمَل عليه .

فذكر ذلك الناظرُ أَنه وقف على هذه الضيعة ، وعلى سائر أَقْرِحتها وحدودها ، وطافها[2] بمشهد من أَهل الخبرة بأَحوالها (٢٥١ ا) من ثقات الأَدِلَّاء [والمجاورين] والأَكرة والمزارعين [والأُمناء] الذين يرجع إلى أَقوالهم [ويُعمل

---

(١) في الأصل وجميع .

(٢) في صبح الأعشى : ونطاقها .

عليهـــا] فوجد مساحة بطون الأَقرحة المزدرعة من جميعها ، دون سَواقيهـــا وبرُورها وتِلالها ومُستنقعاتها وما لا يُعتمد من أَرضها ، بالجَرِيب الهاشميّ الذى تُمســـح به الأَرض فى هذه الناحية كذا وكذا جَرِيباً ، منها قراح كذا وكذا [1] وقراح كذا وكذا ، ومنهـــا [الحصن و] البيوت والساحات [والقراحات] والخزّانات ، ووجد حالها فى الخراب والانسداد وتـــكدّر [2] العمـــارة والحاجة إلى عظـــيم المعرفة ومفرط النفقة [3] ، على ما حـــكيتَه وشـــكوتَه ، ونظر فى مقدار أَصل [هذه الخزانات من] هذه الضيعة وما يجب عليها وكيفية [4] الحـــال فى ذلك .

ونظر أَمير المؤمنين فيما رفعه هذا المؤتمن المُنْفَذ من الديوان ، واستظهر فيه بما يراه من الاستظهار ، ووجب عنده من الاحتياط ، فوجد ما رفعـــه صحيحاً صحّةً عرفها أَمير المؤمنين وعَلِمها ، وقامت فى نفسه وثبتت عنده ،

---

(١) في صبح الأعشى : منها جميع القراح المعروف بكذا وكذا .

(٢) في صبح الأعشى : وتعذر العمارة .

(٣) في صبح الأعشى عظيم المئونة ومفرط النفقة

(٤) في صبح الأعشى : وكشف الحال .

ورأى إيقاع المقاطعة التى التمستَها على حقّ بيت المـال فى هذه الضَّيعة ، فقاطعك عنه فى كلّ سنة هلاليّة ، عـلى استقبال سنة كذا وكذا الخراجية ، عـلى كذا وكـذا ، درهما صحاحا مرسلة بغير كسر (١) ، ولا حَقِّ حَرْب ولا جَهْبَذة ، ولا محاسبة ولا زيادة ، ولا شىء من جميـع الْمؤَن وسائر التوابـع (٢) والرسوم ، تُؤدّى فى أول المحرم كلّ سنـة حسب مـا تؤدّى المقـاطعة ، مقاطعةً ماضيةً مُؤبَّدة ، نافذة ثابتة ، على مُضِىّ الأَيام ، وكرور (٣) الأَعوام ، لا تُنقض ولا تُفسـخ ولا تُتْبـع ، ولا يُتَـأَوَّل فيها ، ولا يُعتبر (٤) ، على أَن يـكون هذا المال ، وهو من الوَرَقِ المرسلِ كذا وكذا فى كل سنة ، مُؤَدَّى فى بيت المـال ، ومصحَّحا عند من تُورَد عليه فى هذه الناحية أَموالُ خراجهم ومقاطعاتُهم وجباياتُهم ، لا يُعْتَلُّ فيها بـآفة (٥) تلحق الغـلات سماويّة ولا أَرضيـة ، ولا بتعطُّل أَرض

(١) بعدها في صبح الأعشى كلمة غير واضحة في أصله عليها استفهام وهذه الكلمة لا توجد في كتابنا هذا . وصور تهانيه « ولا كماله »

(٢) في صبح الاعشى : وسابق التواقيع .

(٣) في صبح الأعشى : ولزوم الأعوام .

(٤) في صبح الأعشى : « ولا تغيّر » وهو الأقرب للصواب .

(٥) في الأصل : لا تقبل فيها آفة .

ولا بقُصورِ عمارة ، ولا نُقصان رَيْــع ، ولا بانحطاط سعر ، ولا بتــأَخر قَطْر ، ولا تشرُّب علة[1] ، ولا (٢٥١ ب) حَرَق ولا سَرَق [2] ، ولا بغير ذلك من الآفات بوجه من الوجوه ، ولا بسبب من الأَسباب ، ولا يحتَــجُّ فى ذلك بحجــة يحتج بها [التُّناء و] [3] المزارعون وأَرباب الخراج فى الالتواء بما عليهم ، وعلى أَن لا يدخل عليك فى هذه المقاطعة يدُ ماسِح ولا مُخَمِّن ولا حازِر [ولا مقدَّم ولا أَمين ولا حاظر] ولا ناظر [ولا] متتبــع [ولا متعرف لحال زراعة وعمارة] ولا كاشف لأَمر زرع وغلة ، ماضيا ذلك لك ولعقبك من بعدك ، وأَعقابهم وذريتك وذريتهم [3] أَبدا ما تناسلوا ، ولمن عسى أَن تنتقل هذه الأَقرحة أَو شىء منهــا إليه بإرث أَو بيــع أَو هبــة ، أَو نَحْل أَو صدقة أَو وقف أَو مُناقلة أَو إجازة أَو مُهايــأَة أَو تمليك أَو إقرار ، أَو بغير ذلك من الأَسباب التى تنتقل بهــا الأَملاك من يد إلى يد ولا يُنقَض ذلك ولا شىء منــه ، ولا يُغيَّر

---

(١) في صبح الأعشى : ولا بشرب غله .

(٢) في صبح الأعشى : شرق .

(٣) زيادة الكلمــة من صبح الأعشى وقد وضع عليها عــلامة استفهام فيه . والتناء هم سكان البلد .

(٣) في صبح الأعشى ورثتك وورثتهم .

ولا يُفسخ ولا يُزَال ولا يُبَدَّل ، ولا يُعَقَّب ولا يُعتَرَض فيه بسبب زيادة عِمارة ولا ارتفاع سعر ولا وُفور غَلَّة ولا زَكَاءِ رَيْع ولا إحياء مَوَات ، ولا إعمال [1] مُعَطَّل ولا عمارة خراب ، ولا استخراج غامر ، ولا صلاح سرب [2] ولا استحداث غَلاَّت لم يجر الرسم باستحداثها وزراعتها ، ولا يُعَدُّ ولا يُمْسَح ما عسى أن يُغرس بهذه الأَقرحة من النخل وأَصناف الشجر المعدود والكُروم ، ولا يَتَأَوَّل عليك فيما لعلَّ أَصلَ المساحة أَن تزيد به فيما تُعَمِّره وتستخرجه من [الجبابين و] [3] المُسْتَنقعات ومواضع المشارب المستغنى عنها ، إذ كان أَمير المؤمنين قد عرف جميع ذلك ، وجعل ما يجب على كل شيء منه عند وجوبه داخلا فى هذه المقاطعة وجاريا معها [4] .

وأَمر أَمير المؤمنين بإثبات هذا الكتاب فى الدواوين ، وإقراره فى يدك حُجَّةً لك ولعقبك من بعدك وأَعقابهم

---

(1) في صبح الأعشى ولا اعتمال .

(2) في صبح الأعشى شِرْب .

(3) فسرت الجبابين في صبح الأعشى بأنها الصحارى .

(4) بعد هذا في صبح الأعشى زيادة طويلة مقدارها فيه ثلاث صفحات من ص١٢٧ جـ١٣ إلى ص ١٣٠

وورثتك وورثتهم ، وثيقةً فى أَيديكم ، وفى يد من عسى أَن تنتقل هذه الضيعة أَو الأَقرحة أَو شيء منها إليه بضرب من ضُروب الانتقال التى ذُكرت فى هذا الكتاب ، والتى لم تُذكر فيه ، وأَن لا يخلفوا إيرادًا من بعده [1] ، ولا يَتَأَولُ عليكم مُتَأَوِّل فيه .

فمن وقف (٢٥٢ ا) على هذا الكتاب أَو قرأه أَو قُرئ عليه ، من جميع الأُمراء وولاة العهود والوزراء والكتاب والعمال والمُشرفين والمتصرفين والمباشرين [2] فى أُمور الخراج ، وأَصحاب السيوف على اختلاف طبقاتهم ، وتبايُن منازلهم وأَعمالهم ، فليمتثل ما أَمر به أَميرُ المؤمنين ولْيُنفِّذ لفلانِ بنِ فلان ، وورثتِه وورثتِهم ، وعقبه وأَعقابهم ، ولمن تنتقل هذه الأَقرحة أَو شيء منها إليه ، هذه المقاطعة ، من غير مراجعة فيها ، ولا استئمار عليها ، ولا تكليف أَحد ممن يقوم بأَمرها إيرادَ حُجَّة بعد هذا الكتاب بها ، وليعمل بمثل ذلك من وقف على نُسخة من نُسَخ هذا الكتاب فى ديوان من

(١) في صبح الأعشى : وأن لاتكلفوا إيراد [حجة] من بعده .

(٢) في صبح الأعشى : والناظرين في الخراج .

دواوين الحضرة وأعمالها أو الناحية ، ولْيُقَرَّ فى يد فلان بن فلان ويد من يُورده ويحتجُّ به ، ممن يقوم مقامه ، إن شاء الله تعالى .

تنبيـــه ـ قد تقدم عن محمد بن عمر المدائنى أنه كان يـكتب للأُمراء فى قرطاس من نصف طومار ، وأن المراد نصف قطـع البغدادى ، ومقتضى ذلك أن إقطاعاتهم كانت تـكتب فى هذا القطـع ، ومَنْ دونهم من الجند كُلٌّ منهم بحسب رتبتـــه .

الفصل الثـــانى

من الباب الخامس

فيما كان [1] يـكتب فى تحويل السنين الخراجية عن الخلفاء ، وهو أن يـكتب بنقل السنة الشمسية إلى السنة الهِلالية بالاسم دون الحقيقة ، توفيقا بينهما ، وإزالةً للشبهة فى أمرهما ، وذلك أن أيام السنـــة الشمسية فى المدة التى تقطع الشمسُ الفلكَ فيها مرّة واحدة حسب ما تُوجبه حركتُهـــا فى ميلها فى الجنوب والشمال ثلاثمـــائة وخمسة

(١) انظر صبح الأعشى ج ١٣ ص ٥٤

وستون يوما وربع يوم بالتقريب ، وأيام السنة الهلالية فى المدة التى يقطع القمرُ الفلَك فيها اثنتى عشرة دفعة ثلاثمائة وأربعةٌ وخمسون يوماً وسدس يوم ، فيكون التفاوت بينهما أحد عشر يوما وسدس يوم ، وتكون زيادة السنين الشمسية على السنين الهلالية فى كل ثلاث سنين شهرا واحدا وثلاثة أيام ونصف يوم تقريبا ، وفى كل ثلاث وثلاثين سنة سنة واحدة بالتقريب ، فإذا تمادى الزمان زاد تفاوُت ما بين السنين حتى يكون كل ثلاثمائة سنة (٢٥٢ ب) شمسية ثلاثمائة وتسعَ سنين هلالية ، وعليه حَمل بعضُ المفسرين قوله تعالى ﴿ وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلاَثِمائةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ [1] وربما كان استحقاق الخراج فى أول سنة من السنين العربية ، ثم تراخى الحال فيها إلى أن صار استحقاقه فى أواخرها ، ثم تراخى حتى يصير فى السنة الثانية ، فيصير الخراج منسوبا للسنة السابقة واستحقاقه فى السنة اللاحقة ، فيحتاج حينئذ إلى تحويل السنة الخراجية السابقة إلى التى بعدها ، حتى انتهت الحال فى جباية الخراج سنة إحدى وأربعين

(١) سورة الكهف الآية ٢٥

ومائتين فى خلافة المتوكل وخراج كل سنة يجبى فى السنة التى بعدها ، فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين كان قد انقضى من السنين التى قبلها ثلاث وثلاثون سنة ، أولهن سنة ثمان ومائتين من خلافة المأمون . فاجتمع من [هذا] المتأخر فيها أيامُ سنة شمسية كاملة وهى ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة الكسر . وتَهيأَ إدراك غلاّت سنة إحدى وأربعين ومائتين فى صدر سنة اثنتين وأربعين [ومائتين] فأمر المتوكل بإلغاء ذكر سنة إحدى وأربعين ومائتين إذ كانت قد انقضت ونُسب الخراج إلى سنة ثنتين وأربعين ومائتين ، وأمر إبراهيمَ بنَ العبّاس فكتب كتابا عنه بذلك ، وهو أول كتاب كُتب فى هذا المعنى . ولم أقف على نسخته .

وجرى العمل بعد المتوكل على ذلك سنة بعد سنة ، إلى أن انقضت ثلاث وثلاثون سنة . آخرُهنّ انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين . فجرى فيها خَبْطٌ بين الكُتّاب ، وبقى الأمر إلى سنة ثمان وسبعين ومائتين فى خلافة المعتضد ، فعُرِّف ما كان من فعل المتوكل من نقل سنة إحدى وأربعين ومائتين إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين . فأمر بنقل

سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين ، وكان هذا النقل بعد مُضِىِّ أَربــع سنين من استحقاقه ، وكُتب بذلك كتابٌ [1] عن المعتضد وخُلِّد فى الدواوين .

ونسخته [2] (٢٥٣ ا) أما بعد ، فإن أَولَى ما صرف إليه أَميرُ المؤمنين عنايتــه ، وأَعمل فيــه فــكره ورويَّته ، وشغل فيه تَفَقُّدَه [3] ورعايته ، أَمْرُ الفَىءِ الذى خصه الله به ، وأَلزمه جمعه وتوفيره ، وحياطته وتكثيره ، وجعله عماد الدين وقوام [4] أمر المسلمين ، وفيما يُصرف منه أعطيــات الأَولياء والجنود ، ومن يستعمــل بــه فيــه لتحصين البَيْضة والذَّبِّ عن الحريم ، وحجّ البيت ، وجهاد العدو ، وسدّ الثغور ، وأَمْن السبيل ، وحقن الدماء ، وصلاح ذات البين ، وأَمير المؤمنين يسأَل اللهَ راغبا إليه ، ومتوكلا عليه ، أَن يُحسن عَوْنه على ما حمَّله منــه ، ويديم توفيقه [إلى ما أَرضـاه] ، وإرشاده إلى ما يقْضى بالخير عنه وله .

---

(١) في الأصل : كتابا .

(٢) صبح الأعشى جـ ١٣ صفحة ٦٣

(٣) في الأصل : مفتقدة .

(٤) في الأصل : وقيام .

وقد نظر أَمير المؤمنين فيما كان يجرى عليه أَمرُ جِباية هذا الفيء فى خلافة آبائه الخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم ، فوجده على حسب ما كان يُدْرك من الغَلاَّت والثِّمار فى كل سنة أَوَّلاً على مجارى [شهور] سِنِى الشمسِ فى النجوم التى يَحِلُّ مالُ كلِّ صنف منها فيها ، ووجد شهور السنة الشمسية تتأَخَّر عن شهور السنة الهلالية أَحد عشر يوما ورُبعا وزيادةً عليه ، ويكون إِدراكُ الغلاَّت والثمار فى كلّ سنة بحسب تأَخُّرها .

فلا تزال السنونَ تمضى على ذاك سنة بعد سنة ، حتى تنقضى منها ثلاث وثلاثون سنة ، ويكون عَدَدُ الأَيام المتأخرة منها أَيامَ سنة شمسية كاملة ، وهى ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربعُ يوم وزيادةٌ عليه ، فحينئذ [يَتَهَيَّأُ] بمشيئة الله وقدرته إدراك الغَلاَّت التى تجرى عليها الضرائبُ والطُّسُوق فى استقبال المُحَرَّم من سِنِى الأَهِلَّة ، ويجب مع ذلك إلغاءُ ذِكْر السنة الخارجة ، إذ كانت قد انقضَتْ ، ونِسْبَتُها إلى السنة التى أَدركتِ الغَلاَّتُ والثمارُ فيها ، وإنه وجد ذلك قد كان وقع فى أَيام أَمير المؤمنين المتوكّل على الله رحمةُ اللهِ عليه عند انقضاء ثلاث

وثلاثين سنة (٢٥٣ ب) آخرتُهن سنة إحدى وأربعين ومائتين ، فاسْتَغْنى عن ذلك ، وأمر بإلغائه ، ونسبه إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، فجرت المكاتباتُ والحُسباناتُ وسائر الأعمال بعد ذلك سنةً بعد سنة ، إلى أن مضت [١] ثلاث وثلاثون سنة آخرتهنّ انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين [ووجب إنشاء الكتب بإلغاء ذكر سنة أربع وسبعين ومائتين] [٢] ونسبتها إلى سنة خمس وسبعين ومائتين ، فذهب ذلك على كُتَّاب أمير المؤمنين المعتمد على الله ، وتأخر الأمر فيه أربع سنين . إلى أن أمر أمير المؤمنين المعتضدُ بالله [رحمه الله] فى [سنة سبع وسبعين ومائتين بنقل خراج سنةِ ثمان وسبعين ومائتين إلى] سنة تسع وسبعين ومائتين ، فجرى الأمر على ذلك ، إلى أن انقضت فى هذا الوقت ثلاث وثلاثون سنة أُولاهن السنة التى كان يجب نقلها فيها ، وهى سنة خمس وسبعين ومائتين ، وآخرتهن انقضاء شهور خراج سنة سبع وثلاثمائة ، ووجب افتتاح [خراج] ما تجرى

(١) في الأصل : بقيت .

(٢) هذه الزيادة أيضا خلا منها أصل صبح الأعشى وزادها محققوه من المقريزى جـ ١ ص ٢٧٧ وقالوا إنها لازمة لاستقامة الكلام .

عليه الضرائب والطسُوق فى أولها . مِنْ صواب التدبير واستقامة الأَعمال واسْتعمال ما يَخِفُّ على الرعية معامَلَتُها به نَقْلُ سنة الخراج لسنة سبع وثلاثمائة إلى سنة ثمان وثلاثمائة ، فرأى أمير المؤمنين – لما يُلْزِم به نفسَه ويأخذها [1] به من العناية بهذا الفىء ، وحِياطة ، أسبابه ، وإجرائها مجاريها ، وسلوك سبيل آبائه الراشدين رحمة الله عليهم فيها – أن يُكْتب إليك وإلى سائر العمال بالنواحى بالعمل على ذلك ، ويكون ما يَصْدر [إليكم] من الكتب وتُصْدِرونه عنكم وتجرى عليه [أعمالكم و] رُفوعكم وحُسباناتكم وسائرُ مناظراتكم على هذا النَّقْل .

فاعلم ذلك من رَأْى أمير المؤمنين ، واعمل به ، مستشعرا فيه وفى كل ما تمضيه تقوى الله وطاعته ، ومستعملا ثِقات الأَعوان وكفاتهم [2] مُشرفا عليهم ومقوِّما لهم ، واكتب بما يكون منك فى ذلك ، إن شاء الله تعالى .

ولم يزل الأَمر جاريا على ذلك فى كل ثلاث وثلاثين

(١) في صبح الأعشى : لما يلزمه نفسه ويؤاخذها به .

(٢) في الأصل : ثقات أعوان كفاتهم .

سنةً تُنْقلُ سنةٌ . إلى آخر الدولة العباسية بالعراق .

قلت : أما الديار المصرية فقد ذكر صاحب « المنهاج (١٢٥٤) فى صنعة الخراج » أن أول نقل [1] السنين فيــه كان فى سنة تسع وتسعين وأربعمائة الهلالية .

وكُتب فيها كتاب من إنشاء القاضى الفاضل [2] ، وهى مستمرة على النقل فى كل ثلاث وثلاثين سنة إلى زماننا هذا يــكتب بها عن السلطان .

الفصل الثالث

من البـاب الخامس

فيما كان يــكتب عن الخلفاء فى إلزام أهل الذمة ما يلزمهم بشريطة عقد الذمة وأخذهم بذلك .

وأول ما كُتب بذلك فى خلافة المتوكل على الله بن [المعتصم بن] هارون الرشيد وذلك [3] أنه حج فسمع رجلا يدعو عليه ، فهمَّ بقتله ، فقال له الرجل : والله يا أمير المؤمنين

(١) صبح الأعشى حـ ١٣ ص ٦٠

(٢) انظر صبح الأعشى حـ ١٣ ص ٧١

(٣) صبح الأعشى حـ ١٣ ص ٣٦٦

ما قلتُ ما قلت إلاَّ وقد أيقنتُ بالقتل ، فاسمع مقالى ثم مُرْ بقتلى ، فقال : قل . فشكا إليه استطالةَ كُتَّابِ أهل الذمة على المسلمين ، فى كلام طويل ، فخرج أمرُ أمير المؤمنين المتوكل بأن يلبس النصارى واليهود ثياب العَسَلِيِّ وأن لا يُمكَّنُوا من لُبْس البياض كى لا يتشبهوا بالمسلمين ، وأن تكون رُكُبُهُم خَشَباً ، وأن تهدم بِيَعُهم المُستجدَّة وأن تُطْلَق عليهم الجِزية ، ولا يُفْسح لهم فى دخول حمّامات [خدمها من] المسلمين ، وأن تفرد لهم حَمَّامات [خدمها] من أهل الذمة ، وأن لا يستخدموا مسلما فى حوائجهم ، وأفردهم بِمَنْ يَحْتَسِب عليهم ، وأمر أن يُكتب بذلك كلّه كتابا فكُتب .

وهذه نسخته (١)

أما بعد فإن الله تعالى اصطفى الإسلام دينا ، فشرّفه وكرَّمه ، وأناره ونَصَّرَه وأظهره ، وفضله ، وأكمله فهو الدين الذى لا يَقْبَل غيرَه ، قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

(١) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣٦٧.

(٢٥٤ ب) الخَاسِرِين ﴾ (١) بعث به صفيَّه وخيرته من خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم ، جعلَه خاتَم النبيين ، وإمـام المتقين ، وسيّد المرسلين ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) وأنزل كتابا عزيزا ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٣) أَسعد به أُمَّته وجعلهم خيرَ أُمَـة أُخرجت لِلنَّاسِ يأْمُرون بالمعروف وَيَنْهَوْن عن المُنْكَر ويُؤْمنون بالله ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَاب لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤) وأَهان الشِّرك وأَهله وَوضَعهم وَصغَّرهم ، وقمعهم وخذَلهم وتبرَّأَ منهم ، وَضَرَبَ عَلَيْهِم الذِّلَّةَ والمَسْكَنة وقال ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٥) واطَّلَـع (٦)

(١) سورة آل عمران الآية ٨٥
(٢) سورة يس الآية ٧٠
(٣) سورة فصلت الآية ٤٢
(٤) سورة آل عمران الآية ١١٠
(٥) سورة التوبة الآية ٢٩
(٦) في الأصل : وطبع .

عـلى قلوبهم وخُبْثِ سرائرهم وضمائرهم ، فَنَهى عن ائتمانِهم والثقةِ بهم ، لعَداوتهم للمسلمين ، وغِشِّهم وبغْضائهم فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَت البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1] وقال [تعالى] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُون الْمُؤْمِنِين [أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾[2] وقال تعالى ﴿ لا يَتَّخِذِ المؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُون الْمُؤْمِنِينَ] وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِى شَىْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾[3] وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[4]

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٨

(٢) سورة النساء الآية ١٤٤

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٨

(٤) سورة المائدة الآية ٥١

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناسا لا رأى لهم ولا رَوِيّة يستعينون بأهل الذِّمَّة فى أفعالهم ، ويَتَّخذونهم بطانة من دون المسلمين ، ويُسَلِّطونهم على الرعيَّة فيَعْسِفُونهم وَيَبْسُطون أيديهم إلى ظُلمهم وغِشِّهم والعُدوانِ عليهم ، فأَعظَمَ أميرُ المؤمنين ذلك ، وأنكره وأكبرَه ، وتبرَّأ منه ، وأحب التقرُّب إلى الله تعالى بِحَسْمِه والنَّهى عنه ، ورأى أن يَكتُب إلى عماله (٢٥٥ ا) على الكُوَر والأمصار ، وولاة الثغور والأجناد ، فى ترك استعمالهم [لأهل] الذمة فى شئ من أعمالهم وأُمورهم ، والإشراك لهم فى أُمورهم [1] وأماناتهم ، وما قلّدهم أمير المؤمنين واستحفظهم إياه ، إذ جعل فى المسلمين الثِّقةَ فى الدين ، والأمانة على إخوانهم المؤمنين ، وحُسْنَ الرعاية لما استرعاهم ، والكِفاية لما استُكْفوا ، والقيام بما حُمِّلوا . بما أغنى عن الاستعانة من [2] المشركين بالله ، المكذِّبين برسله ، الجاحدين لآياته ، الجاعلين معه إلٰها آخرَ لا إلٰه إلاَّ هو وحده لا شريك له .

ورجَا أميرُ المؤمنين ـ بما ألهمه الله من ذلك وقذف فى

(١) لا توجد هذه اللفظة في صبح الأعشى .

(٢) كذا هى أيضا في أصل صبح الأعشى وزاد المحققون : [بأحد] من المشركين .

قلبه – جزيل الثواب ، وكريم المآب ، والله تعالى يعين أمير المؤمنين على نِيّته على تَعْزيز الإسلام وأهله ، وإذلالِ الشرْك وحِزْبِه .

فَلْتَعْلَمْ هذا من رأى أمير المؤمنين ولا تستَعِنْ[1] بأحد من المشركين وأنزِلْ أهل الذمة منازلهم التى أنزلهم الله بها ؛ واقرأْ كتابَ أميرِ المؤمنين على أهل أعمالك وأشِعْهُ فيهم ولا يَعْلَمُ أميرُ المؤمنين أنك استعنتَ ولا أحدٌ من عُمَّالك وأعوانك بأحد من أهل الذمة فى عمل الإسلام .

قلت : ثم لم يزل الخلفاء بعد المتوكل يتداولون كتابة مثل ذلك فى كل زمن ويُشدِّدون فيه حتى أن المقتدر بالله فى سنة خمس وتسعين ومائتين عَزل كُتَّاب النصارى وعُمَّالهم ، وأمر بأن لا يُستعان بأحد من أهل الذمة ، وَقَتَل بعضَ النصارى وكتب إلى عماله بها .

نسخته [2]

عوائدُ الله عند أمير المؤمنين تومى على عَادة [3] رضاه ،

---

(١) في صبح الأعشى : فلتعلم هذا ولا تستعن .
(٢) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٣٦٨ – ٣٦٩
(٣) في صبح الأعشى : على غاية رضاه .

ونهاية أمانيــه ، وليس أَحدٌ يُظْهِر عصيانه إلاَّ جعله اللهُ عظةً للأنام ، وبَادَرَهُ بِعاجِـل الاصطـلام ، والله عزيز ذو انتقام ، فمن نَـكَث وطغى وبغى ، وخالف أمير المؤمنين ، وخالف محمدا صلى الله عليه وسلم ، وسَعَـى فى إفساد دولة (٢٥٥ ب) أمير المؤمنين ، عاجَلَه أَميرُ المؤمنين بسطوته ، وطهَّر من رجسه دَوْلَته ، والْعَاقِبَـةُ لِلْمُتَّقِينَ .

وقد أَمر أَمير المؤمنين بترك الاستعانة بأَحد من أَهل الذمّة ، فليحذر العمال تَجاوز أَمْر أَمير المؤمنين ونواهيه .

وكذلك[1] وقع فى زمن الآمر الفاطمى بالديار المصرية ، أمر بِـكِتَابٍ كِتابٍ عنه بإلباس أَهل الذمة الغِيَار وإنزالهم بالمنزلة التى أَمر الله تعالى أَن ينزلوا بها من الذل والصغار ، وأَمر أَن لا يُولَّوْا شيئا من أَعمال الإسلام ، وأَن ينشأَ فى ذلك كتابٌ يقف عليه الخاص والعام ، فـكُتب .

وأَوله : الحمد لله المعبود فى أَرضه وسمائه ، والمُجيب دعاء من يَدْعوه بأَسمائه .

---

(١) صبح الأعشى حـ ١٣ ص ٣٦٩

وهو كتاب طويل [1] قص عليهم فيه كلّ نــكال .

وعلى ذلك جرى ملوك الديار المصرية ، إلى أن كان آخر ما كُتب بمثل ذلك عن الملكِ الصالحِ صالحِ بنِ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة خمس وخمسين وسبــع مائة [2] .

(١) انظره في صبح الأعشى حـ ١٣ ص ٣٧٠

(٢) في الأصل : وخمسمائة والتصويب من صبح الأعشى حـ ١٣ ص ٣٧٨ وانظر فيه نص الخطاب .

الباب السادس

في الـكتب الصادرة عن الخلفاء وولاة العهد بالخلافة ، والـكتب الصادرة إلى الخلفاء وولاة العهـد من الملوك ونـحوهم ، وفيه فصلان :

الفصل الأول

في الـكتب الصادرة عن الخلفاء وولاة العهد .

أما الـكتب الصادرة عن الخلفاء

فللـكتاب في المـكاتبات العامة فيها أربعة مذاهب :

(٢٥٦ ا) المذهب الأول

أن يفتتـح الـكتاب بلفظ : أما بعد ، وربما أتى فيه بعد البعدية بالتحميد ، إذا كان الـكتاب مما يدل على نعمة ظاهرة من فتـح أو غيزه ، وقد ينتهـى التحميد إلى ثُلُثه ، وقد يُقْصر فيه على تحميدة واحدة ، وربمـا أهمل التحميد ووقـع الافتتاح بـأما بعد فإن أمير المؤمنين .

والأصل في ذلك أن النبي صلى الله عليهم وسلم كان

يفتتح كتبه بأما بعد ، كما كتب صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نجران [1]

[بسم الله الرحمن الرحيم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب]

أما بعد ، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عِبادة العباد ، وأدعوكم إلى وِلاية الله من وِلاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم [2] فقد آذنتكم بحرب الإسلام [3] .

وعلى ذلك

كتب [4] أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه حين حُصِر فى داره إلى أمير المؤمنين علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

أما بعد فقد بلغ السَّيل الزُّبَى والحزامُ [5] الطُّبْيَيْن وطَمِع فىَّ كلُّ من كان يَضْعف عن نفسه [6] ، ولم يَغْلِبْكَ مثل مُغَلَّب . فأَقْبِلْ إلىَّ صديقا كنت أم عَدُوًّا

(١) صبح الأعشى حـ٦ ص ٣٨١
(٢) في الأصل : فبالجزية فان أبيتكم .
(٣) هى كذلك أيضا في صبح الأعشى وعلق عليها بأن المناسب لها : بحرب والسلام .
(٤) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٣٨٨
(٥) هى كذلك أيضا في أصل صبح الأعشى وأضيف إليه [وجاوز] الحزام .
(٦) زيد على أصل صبح الأعشى [عن الدفع] عن نفسه .

فإن كُنتُ مأكولاً فكُنْ خيرَ آكلٍ
وإلاَّ فأَدْرِكْنِي ولَمَّا أُمَزَّقِ

وعلى مثل ذلك كتب [1] يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة وقد خرجوا عن طاعته :

أما بعد ، فإن ﴿ اللهَ ، لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [2] وإني واللهِ قد لَبِسْتكم فأخلقتُكم ، ورفعتُكُم على رأسي ، ثم على عيني ، ثم على فمي ، ثم على بطني ، وايم اللهِ لئن وضعتكم تحت قَدمي لأَطَأَنَّكُمْ وطأَةً أُقِلُّ بها عدَدكم ، وأَترُككم بها أحاديث (٢٥٦ ب) تُنسخ منها أخباركم كأخبار عاد وثمود .

وعلى هذا الأُسلوب

كتب عن المعتصم بالله إلى ملوك الآفاق من المسلمين عند

---

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٣٩٠

(٢) سورة الرعد الآية ١١

قبض الأَفْشين على بابَك ملك الروم . وهو من الفتـــوح العظيمة فى الإسلام .

وهذه نسختـــه [1]

أَما بعد ، فالحمد لله الذى جعل العاقبةَ لدينه ، والعصمةَ لأَوليائه ، والعزّ لمن نصره ، والفُلجَ لمن أَطاعه ، والحقَّ لمن عرف حقه ، وجعل دائرة السوءِ على من عصاه وصدف عنه ، ورغب عن ربوبيته ، وابتغى إلَهًا غيره ، لا إلَه إلا الله وحده [2] لا شريك له ، يحمده أَميرُ المؤمنين حمْدَ من لا يعبد غيرَه ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يفوض أَمره إلا إليه ، ولا يرجو الخير إلا من عنده ، والمزيد إلا من سعة فضله ، ولا يستعين فى أَحواله كلها إلا به ، ويسأَله أَن يصلى على محمد عبده ورسوله ، وصفوته من عباده ، الذى ارتضاه لنبوته ، وابتعثه بوحيه ، واختصه بكرامته ، فأَرسله بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا . والحمد لله الذى توجه لأَمير المؤمنين بصنعه ، فيسَّر له

(١) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٤٠٠

(٢) في صبح الأعشى : لا إله إلا هو وحده . . .

أمره ، وصدَق له ظنَّه ، وأنجح له طَلِبَتَه وأنفذ له حيلتـه ، وبلّـغ له بغيتـه [1] وأدرك المسلمون بثأْرهم على يده . وقتل عدوهم ، وأسكن روعهم ، ورحم فاقتهـم . وآنس وحشتهم ، فأَصبحـوا آمنين مطمئنين مقيمين فى ديارهم ، متمكنين من أوطانهم . بعد القتل والحرق [2] والتشريد وطول العناء ، وتتابـع البـلاء ، مَنًّا من الله عز وجل على أمير المؤمنين بما خصه به ؛ وصنعا له فيما وفقه لطلبه ، وكرامة زادها فيما أجرى على يده . فالحمد لله كثيرا كما هو أهله ، ويرغب إلى الله فى تمام نِعَمِه ودوام صنعه ، وسعة (٢٥٧ ا) ما عنده بمنّه ولطفه .

ولا يعـلم أمير المؤمنين – مع كثرة أعـداء المسلمين وَتَكَنُّفِهم إياه من أقطـاره ، والضغائن التى فى قلوبهم على أهله ، وما يترصدونه من العداوة ، وينطوون عليـه من المكايدة . إذ كان هو الظاهرَعليهم ، والآخذ منهم – عدوًّا كان أعظم بلية ، ولا أَجَـلَّ خَطْباً ، ولا أشد طلبا [3] ولا أبلـغ مـكايـدة ، ولا أرمى بمـكروه ، من هؤلاء

---

(١) في صبح الأعشى : وبلّغ له محبّتَه .

(٢) في صبح الأعشى : الخوف

(٣) في صبح الأعشى: ولا أشد كلباً .

الـكفرة الذين يغزوهم المسلمون ، فيستعلون عليهم ، ويضعون أيـديَهم حيث شاءوا منهم ، ولا يقبـلون لهم صلحـاً ، ولا يميلون معهم إلى موادعة ، وإن كانت لهم على طول الأَيام وتصرف الحالات وبعض ما لا يزال يكون من فترات وُلاة الثغور أَدنى دولة من دولات الظفر وخُلْسةً من خُلسِ الحرب ، كان مالهم [1] من خوف العاقبـة فى ذلك مُنَغِّصاً لما تعجّلوا من سروره ، وما يتوقعون [من] الدوائر بَعْدُ تـكدُّرا [2] لما وصل إليهم من فرحة .

فأَما اللعين بابَك وكفرته ، فإنهم كانوا يَغْزُون أَكثر مما يُغْزَوْنَ ، وينالون أكثر مما يُنال منهم ، وهم المنحرفون عن الموادعة ، المتوحِّشون عن المراسلة ، ومَنْ أُديلوا من تتـابـع الدول ، ولم يتجافوا [3] عاقبة تدركهم ، ولادائرة تدور عليهم ، وكان مما وطّأَ ذلك ومـكنه لهم أنهم قوم ابتدءُوا أَمرهم على حالِ تشاغـلٍ من السلطان ، وتتابع من الفتن ، واضطراب من الحبل ، فاستقبلوا أَمرهم بِعزَّة من أَنفسهم ، وضعف واستشارة [4] ممن باراهم ، فأَجْلوا من

(١) فى صبح الأعشى : كان بمالهم . . .
(٢) في صبح الأعشى : مكدرا لما وصل ....
(٣) فى صبح الأعشى : ولم يخافوا
(٤) في صبح الاعشى : واستثارة

حولهم لتخلص البلاد لهم ، [ثم أخربوا البلاد] ليعِزّ مطلبُهم وتشتد المؤونة وتعظم الكُلْفة ، ويَقْوَوْا فى ذات أيديهم ، فلم يتواف[1] إليهم قواد السلطان إلا وقد توافت إليهم القوة من كل جانب ، فاستفحل أمرهم ، وعظمت شوكتهم ، واشتدت ضراوتهم ، واستجمع لهم كيدهم ، وكثر عددهم واعتدادهم ، وتمكنت المصيبة [2] فى صدور الناس منهم ، وتحقق فى نفوسهم أن كل ما يَعِدُهم الكافر ويمنّيهم أخذٌ باليد (٢٥٧ ب) [وكان الذى بقى عندهم منه كالذى مضى ، وبدون هذا ما يُخْتَدَع الأريب] ويُستزل العاقل ويُعتقل الفطن ، فكيف من لا فكرةَ له ، ولا رويةَ عنده ؟

هذا مع كل ما يقوم فى قلوبهم من حسد أهل النِّعم ومنافستهم على ما فى أيديهم ، وتَقَطُّعهم حسرات فى إثر ما خُصُّوا به ، وأنهم إلا يكونوا يرون أنفسهم أحق بذلك ، فإنهم يرون أنفسهم فيه سواء .

ولم يزل أمير المؤمنين قبل أن تُفْضِىَ إليه الخلافة

---

(١) في الأصل : فلم يتواق . . .

(٢) في صبح الأعشى : وتمكنت الهيبة . . . .

مادًّا عنقه ، موجِّها همته إلى أن يولِّيه الله أمر هؤلاء الكفرة ويملكه حربهم ، ويجعله المقارع [1] لهم عن دينه والمناجز لهم عن حقه ، فلم يكن يألو فى ذلك حرصا وطلبا واحتفالا [2] ، فكان أمير المؤمنين رضى الله عنه يأبى ذلك لضنِّه به ، وصيانته بقربه ، مع الأمر الذى أعده الله وآثره به ، ورأى أن شيئا لايَفِى بِقِوام الدين وصلاح الأمر .

فلما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته ، وأطلق الأمر فى يده ، لم يكن شىء أحبَّ إليه ولا آخَذَ بقلبه من المعاجلة للكافر وكفرته ، فأعزه الله وأعانه الله ، فلله الحمد على ذلك وتيسُّره ، فأعد من أمواله أحصرها [3] ، ومن قواد جيشه أعلمهم بالحرب وأنهضهم بالمعضلات ، ومن أوليائه وأبناء دعوته ودعوة آبائه ـ صلوات الله عليهم ـ أحسنهم طاعة ، وأشدهم نكاية ، وأكثرهم عدة ، ثم أتبع الأموال بالأموال ، والرجال بالرجال ، من خاصة مواليه وعدد غلمانه ، وقبل ذلك ما اتّكَلَ عليه من صنع

(١) في الأصل : القارع .
(٢) في صبح الأعشى : حرصا وطلبا واحتيالا .
(٣) في صبح الأعشى : فأعد من أمواله أخطرها .

الله جل وعز ، ووجَّه إليــه من رغبتــه [١] فـكيف رأى الـكافرُ اللعينُ وأَصحابُه المـلاعينُ ؟ أَلم يُـكـذب اللهُ ظنونَهم ، ويَشْفِ صدور أَوليائه منهم ، فقتلوهم كيف شاءوا فى كل موطن ومعترك ، ما دامت عند أَنفسهم مقاومة .

فلمــا ونوا وقلوا [٢] وكرهوا الموت ، صاروا لا يتراءَوْن إلا فى رؤوس الجبال ومضايق الطرق وخلف الأَودية ومن وراءِ الأَنهار ، وحيث لا تنالهم الخيل ، حبا للمطاولة [٣] وانتظارا للدوائر ، فكادهم الله عند ذلك وهو خير (٢٥٨ ا) الكائدين ، واستدرجهم حتى جمعهم إلى حصنهم معتصمين فيه عند أَنفسهم ، فجعلوا اعتصامهم لِحَيْنٍ لهم ، وصنع لأَوليائه وإحاطة منه به تبارك وتعالى ، فجمعهم وحصرهم كى لا تبقى منهم بقية ، ولا يُترجى لهم عاقبة ، ولا يكونَ الدين إلا لله ، ولا العاقبة إلا لأَوليائه ، ولا التَّعْس والنَّكْس إلا لمن خذله .

فلما حَصرهم الله تعالى وحبسهم [٤] ودانتْهم مصارعُهم ،

---

(١) في صبح الأعشى : ووجه إليه من رعيته .
(٢) في صبح الأعشى : فلما زلوا وقلوا .
(٣) في صبح الأعشى : حصنا للمطاولة . . .
(٤) في صبح الأعشى : وحبسهم عليهم .

سلطهم الله عليهم كَيَدٍ واحدة ، يختطفونهم بسيوفهم ، وينتظمونهم برماحهم ، فلا يجدون ملجأً ولا مهربا ، ثم أمكنهم من أهاليهم وأولادهم ونسائهم وخدمهم[1] وصير الدار دارهم والمَحِلَّة مَحِلَّتَهم ، والأَموال قَسْماً بينهم ، والأَهل إماء وعبيدا لهم ، وفوق ذلك كله ما فعل بهؤلاء وأَعطاهم من الرحمة والثواب ، وما أَعد لأُولئك من الخزى والعقاب ؛ وصار الكافر بابك لا فى من قُتل فيسلم من ذل الغلبة ، ولا فيمن نجا فعاين فى الحياة بعضَ العوَض ، ولا فيمن أُصيب فيشتغل بنفسه عن المصيبة بما سواه ، ولكنه سبحانه وتعالى أَطلقه وسَدّ مذاهبه ، وتركه مُلَدَّدًا بين الذل والخوف ، والغصَّة والحسرة ، حتى إذا ذاق طعمَ ذلك كله وفهمه ، وعرف بموقع المصيبة ، وظن مع ذلك كله أنه على طريق من النجاة ، فأَضرب اللهُ وجَهه ، وأَعمى بصره ، وسد سبيله ، وأَخذ بسمعه وبصره ، وحازه إلى من لا يرقّ له ، ولا يرثى لمصرعه ، فامتثل ما أَمر به الأَفْشِين (حيدر بن طاووس) مولى أَمير المؤمنين فى أَمره فبثَّ له الحبائل ، ووضع عليه الأَرصاد ، ونصب له

(١) في صبح الأعشى : وحرمهم

الأَشراك حتى أَظفره الله به أَسيره ذليلا مُوثَقاً فى الحديد ، يراه فى تلك الحالة من كاد يراه ربًّا ، ويرى الدائرةَ عليه مَنْ كان يظنُّ أَنها ستكون له .

فالحمد لله الذى أَعز دينه ، وأَظهر حجته ، ونصر أَولياءه وأَهلك أَعداءه ، حمدا يُقْضَى به الحق وتتم به النعمة ، (٢٥٨ ب) وتتصل به الزيادة .

والحمدُ لله الذى فتح على أَمير المؤمنين وحقّق ظنه وأَنجح سعيه ، وحاز له هذا الفتح وذُخره وشرفه ، وجعله خالصا لتمامه ، وكمله بأَكمل الصُّنع وأَحسن الكفاية ، ولم ير يوما [1] فيه يقذى عينه ، ولا خلا من سرور يراه ، وبشارة تَتجدَّد له عنه ، فما يدرى أَميرُ المؤمنين ما مُتِّع فيه من الأَمل ، أَو ما خُتِم له من الظفر ، فالحمد لله أَولا ، والحمد لله على عطاياه التى لا تُحصى ، ونعمه التى لا تنسى [2] .

المذهب الثانى

فيما يكتب عن الخلفاءِ من الكتب أَن يفتتح الكتاب بلفظ : من فلان إلى فلان .

---

(١) في صبح الأعشى : ولم ير بؤسا فيه ما يقذى عينه .

(٢) زاد في صبح الأعشى بعده : « إن شاء الله تعالى » .

والأَصل فى ذلك أَن معظم كتب النبى صلى الله عليه وسلم الصادرة عنه كانت على هذا النمط .

كما كتب[1] عنه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم : من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتّبع الهدى .

أَما بعد فإِنى أَدعوك بدعاية الإِسلام ، أَسْلِمْ تَسْلَم ، أَسْلِمْ يُؤْتك اللهُ أَجرَك مرتَين ، فإِن تولَّيت فإِنّ عليك إِثْمَ الأَرِيسِيِّين و﴿ يا أَهْلَ الكتابِ تَعَالَوْا إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [2] .

وكان أَبو بكر رضى الله عنه فى خلافته يُكتَب عنه : من أَبى بكر خليفة رسول الله ، ثم الباقى من نِسْبَةِ ما يُكتب عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم كُتب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أَول

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٣٧٦

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٤

خلافته : من عمر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أن لُقّب بأَمير المؤمنين فكتب (٢٥٩ ا) من عِمر أمير المؤمنين ، فلزمها مَن بعده من الخلفاء إلى أن كانت خلافة المأْمون ، فزاد بعد التحميد : وأَسأَله أَن يصلى على محمد عبده ورسوله ، فتبعه من بعده مِن الخلفاء على ذلك ، ثم يؤتى بالبعدية ويدعى للخليفة مثل : أَطال الله بقاءك ، ونحوه ، ثم يؤتى على المقصود ، وكان صلى الله عليه وسلم يكتب فى كتبه إلى أَصحابه بعدَ مِنْ محمد رسول الله : سلامٌ عليك فإنى أَحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

وهذه نسخة كتاب كُتب به عن أَبى بكر الصديق (١) رضى الله عنه الى أَهل الردة حين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى :

من أَبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بَلَغَهُ كتابى هذا من عامَّة وخاصة ، أَقام على الإسلام أَو رجع عنه :

سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعَمَى ، فإنى أَحمد إليكم الله الذى لا

(١) صبح الأعشى ج ٦ ص ٣٨٤

إلّه إلا هو ، وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وأُقر بما جاء به [وأُكَفِّرُ مَنْ أَبَى وأُجاهده] (١) .

أما بعد ، فإن الله أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، ﴿ لينذر من كان حيًّا ويَحِقَّ القول على الكافرين ﴾ (٢) يهدى الله للحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه ، حتى صار إلى الإسلام طوعا وكرها ، ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نَفَّذَ لأمر الله ، ونصح لأمته ، وقضى الذى عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام فى الكتاب الذى أنزله فقال : ﴿ إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٣) وقال ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخالِدُون ﴾ (٤) وقال للمؤمنين : ﴿ وما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ (٢٥٩ ب) قَبْلِه الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى

---

(١) الزيادة في صبح الأعشى نقلا عن «العبر» أما أصله فلا توجد فيه .
(٢) سورة يس الآية ٧٠
(٣) سورة الزمر الآية ٣٠
(٤) سورة الأنبياء الآية ٣٤

عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [1]
فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات . ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله بالمرصاد . حي قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه بجزبه . وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله . وما جاء به نبيكم . وأن تهتدوا بهديه . وأن تعتصموا بدين الله . فإنه من لم يهده الله ضل . ومن لم يعافه مبتلى . وكل من لم ينصره مخذول . فمن هداه الله كان مهديًا ، ومن أضله كان ضالاًّ : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ومَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً ﴾ [2] ولم يُقبل منه في الدنيا عمل حتى يُقِرَّ به ، ولم يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل .

وقد بَلَغَنى رجوعُ من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به ، اغترارا بالله وجهالة بأمره ، وإجابة للشيطان . وقال الله جل ثناؤه : ﴿ وإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤

(٢) سورة الكهف الآية ١٧

عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونى وهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمينَ بَدَلاً ﴾[1]. وقال : ﴿ إِنَّ الشَّيطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ، وإنى أنفذتُ إليكم فلانا فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرته ألاّ يُعاجِلَ أحدا ولا يقتله[3] حتى يدعوه إلى ما عند الله[4] . فمن استجاب له وأقر وكفَّ وعمل صالحا قَبِلَ منه وأعانه عليه . ومن أبى أمرتُه أن يقاتلَه على ذلك ، ولا يُبْقِيَ على أحد منهم قَدَرَ عليه . وأن يُحَرِّقَهم بالنيران ، ويقتلهم كل قِتْلة ، ويَسْبِى النساء والذَّرارى ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، فمن آمن فهو خير له . ومن تركه فلن يُعْجِزَ الله ، وقد أمرتُ رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم ، والداعيةُ الأذانُ ، (٢٦٠ ا) فإن أَذَّن المسلمون فأَذَّنوا كُفُّوا عنهم ، وإن لم يُؤَذِّنوا سَلُوهم[5] عمّا عليهم ، فإن أبوا عاجلوهم ،وإن أقرُّوا قَبِلَ منهم وحملهم على ما ينبغى لهم .

---

(١) سورة الكهف الآية ٥٠

(٢) سورة فاطر الآية ٦

(٣) في صبح الأعشى : وألا يقاتل أحدا ولا يقتله .

(٤) في صبح الأعشى : حتى يدعوه إلى داعية الله .

(٥) زاد محققو صبح الأعشى نقلا عن الطبرى : وإن لم يؤذنوا [عاجلوهم وإن أذنوا] سلوهم.

وهذه نسخة كتاب[1]

كتب به عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص وقد بلغه فاشيةُ مال فشت له وهو يومئذ أمير مصر وهى :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، سلام عليك .

أما بعد فإنه قد بلغنى أنه فشتْ لك فاشيةٌ من خيل وإبل وبقر وعبيد ، وعهدى بك قبل ذلك ولا مال لك ، فاكتُبْ إلىَّ من أين أَصلُ هذا المال .

وهذه نسخة كتاب من ذلك[2]

كتب به عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف وقد بلغه أنه تعرض لأنس بن مالك رضى الله عنه وهى :

من عبد الله عبدالملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف :
أما بعد فإنك عَبْد قد علت بك الأمور فطغيت ، وعلوت فيها حتى جُزت حدّ قدرك ، وعَدَوْت طَوْرك ، وايمُ الله

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٣٨٦
(٢) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٣٨٩

لأَغْمِزَنَّك كبعض غَمَزَات الليوثِ الثعالِبَ ، ولأَركُضَنَّكَ ركضة تدخل منها في وَجْعَاء أُمِّك ، اذكر مكاسب آبائك في الطائف ، إذ كانوا ينقلون الحجارة على أعناقهم ، ويحفرون الآبار والمَنَاهر بأيديهم ، قد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدَّناءة واللُّؤم والضَّراعـة ، وقد بلغ أميرَ المؤمنين من استطالتك على[1] أنس بن مالك ، جُرْأَةً منك على أمير المؤمنين ، وغِرَّة بمعرفةِ غِيَرِه ونَقِمَاته وسَطَواته على من خالف سبيله وعمد إلى غير محجَّته ، ونزل عند سخطه[2] وأظنك أردت أن تَرُوزَه بهـا فتعلم ما عنده (٢٦٠ ب) من التغيير والتنكير فيها ، فإن سُوِّغْتَهـا نَصَبْتَ[3] قُدُما ، وإن غُصِّصْتَها[4] ولَّيت دُبرا ، أيها العبد الأخفش العينين ، الأَصكُّ الرِّجلين ، الممسوح الجاعِرَتين ، ولن يخفى على أمير المسلمين[5] نبوُك ، و ﴿ لكل نَبإٍ مُسْتَقَرٌّ وسوفَ تعلمون ﴾ [6]

---

(١) في صبح الأعشى : من استطالة منك .

(٢) في صبح الأعشى : عند سخطته .

(٣) في صبح الأعشى : مضيت قدما .

(٤) في صبح الأعشى : غصصت بها .

(٥) كذا هي في الأصل وفي صبح الأعشى : : عن أمير المؤمنين .

(٦) سورة الأنعام الآية ٦٧

وهذه نسخة كتاب على هذه الطريقة [1]

كتب به أبو إسحاق الصابى عن الطائع إلى صمصام الدولة بن عضد الدولة بن بويه ، عند قبضه على كردويه الكردى ، شاكرا همته فى ذلك ، فى ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، وهى :

من عبد الله عبــد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى صمصام الدولة وشمس الملة أبى كاليجار ابن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إلّه إلا هو ، ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد ــ أطال الله بقاءك ــ فإن أمير المؤمنين وإن كان قد بوأك المنزلة العليــا ، وأنالك من أُثْرَتِهِ الغايــة القصوى ، وجعل لك ما كان لأبيك عضد الدولة وتاج الملة رحمة الله عليه من القَدْرِ والمحلّ ، والموضع الأرفع الأَجَلّ ، فإنه يوجب لك عند ذلك [2] أثرا يكون لك فى الخدمة ،

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٣٩٦

(٢) فى صبح الأعشى : فإنه يوجب لك عند بذلك . . . .

ومَقاما حميدا [1] تَقُومه فى حماية البَيْضة ، إنعاما بتظاهُره ، وإكراما بتتابعه وتواتره [2] ،والله يؤيدك من توفيقه وتسديده ، ويمدك بمعونته وتأْييده ، ويَخير لأَمير المؤمنين فيما رأْيه مستمر عليه من مَزيدك وتمكينك ، والإبقاء بك وتعظيمك ، وما توفيق أَمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنيب .

وقد عرفْتَ - أَدام الله عزك - ما كان من أَمر كردويه كافر نعمة أَمير المؤمنين ونعمتك ، وجاحد صنعه وصنيعك ، فى الوثبة التى وثبها ، والكبيرة التى ارتكبها ، وتقديره [3] (١٢٦١) أَن ينتهز الفرصة التى لم يمكنه الله منها ، بل كان [من] وراء [ذلك] دفعه ورده عنها ، ومعاجلتك إياه الحرب التى أَصلاه الله نارها ، وأَتبعه عارها وشنارها ، حتى انهزم والأَوغاد الذين شركوه فى إثارة الفتنة على أَقبح أَحوال الذلة والقِلّة ، بعد القتل الذريع ، والإثخان الوجيع .

فالحمد لله على هذه النعمة التى جلّ موقعها ، وبان على الخاصة والعامة أَثرها ، ولزم أَمير المؤمنين خصوصا

---

(١) في صبح الأعشى : ومقام حمده تقومه . . . .

(٢) في صبح الأعشى : إنعاما يظاهره ، وإكراما يتابعه ويواتره .

(٣) في صبح الأعشى : وتقريره .

والمسلمين عموما نشرُها ، والحديث بها ، وهو المسئول عن إقامتها وإدامتها برحمته .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يجازيك عن هذا الفتح العظيم ، والمقام المجيد الكريم ، بخلع تامة ، ودابتين ومركبين ذهبا من مراكبه ، وسيف وطوق وسوار مرصع ، فتلقّ ذلك بالشكر عليه والاعتداد بنعمته فيه ، والبس خِلع أمير المؤمنين وتكرمته ، وسر من بابه على حملاته ، وأظهر ما حباك به لأهل حضرته ، ليُعِزَّ الله بذلك وليّه ووليك ، ويذل عدوّه وعدّوك [إن شاء الله تعالى] والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وعلى نحو من هذه الطريقة [1]

كُتب عن الإمام المستكفى بالله أبى الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ثانى خلفاء بنى العباس بالديار المصرية إلى الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك المظفر يوسف صاحب اليمن من ملوك بنى رَسول فى الدولة الناصرية محمد ابن قلاوون فى سنة سبع وسبعمائة حين منع صاحب اليمن

(١) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٢١؛

الهدية التى جرت العادة بحملها من ملوك اليمن إلى ملوك الديار المصرية ، يهدده فيه ، ويطلبه بالقيام معه فى المساعدة له على التتار بمال يبعث به إليه ، مصدرا بآية من القرآن متبعا للتصدير بخطبة ، وهى : ﴿ يأَيُّها الَّذِينَ آمنُوا أَطِيعُوا اللهَ (٢٦١ ب) وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [1].

من عبد الله ووليه أبى الربيع سليمان .

أما بعــدَ حَمْدِ الله مانح القلوب السليمة هداها ، ومرشدِ العقول إلى أمر مَعادها ومَبْداها ، وموفِّقِ من اختاره إلى محجة صواب لا يضل سالكها ، ولا تُظْلِمُ عند اختلاف الأُمور العظام مسالكُها ، وملهم من اصطفاه لابتغاء[2] آثار السنن النبوية ، والعمــل بموجبات القواعد الشرعية ، والانتظام فى سلك من طوّقتْه الخلافة عقودَها ، وأفاضت على سُدّته الجليلة بُرُودَها ، وملّكَتْه أَقاصِىَ البلاد ، وأناطته[3] بأَحكامه السديدة أُمورَ العباد ، وسارت تحت خوافق[4] أَعلامه أَعلام الملوك والأَكاسرة ، وشُيِّدت بأَحكامه مناجح الدنيا

(١) سورة النساء الآية ٥٩

(٢) في صبح الأعشى : وملهم من اصطفاه لاقتفاء . . . .

(٣) في صبح الأعشى : وأناطت بأحكامه . . . .

(٤) في الأصل : خواص .

ومصالح الآخرة ، وتبختر كل منبر من ذكره فى ثوب من السيادة مُعْلَم ، وتهللت من ألقابه الشريفة أسارير كل دينار ودرهم .

يحمده أمير المؤمنين على أن جعل أُمور الخلافة ببنى العباس منوطة ، وجعلها كلمة باقية فى عَقِبِه إلى يوم القيامةِ مَحوطة . ويصلى على ابن عمه محمد الذى أخمد الله بمبعثه ما ثار من الفتن ، وأَطفأَ برسالته ما اضطرم من نار الإحنِ ،صلى الله عليه وعلى آله وأَصحابه الذين حموا حمى الخلافة وذادوا عن مواردها ، وعمدوا إلى تشييد[1] المعالم الدينية فأَقاموها على قواعدها ، صلاةً دائمة الغُدُوِّ والرواح ، متصلا أَوَّلُها بطرة الليل وآخرها بجبين الصباح ، هذا وإن الدين الذى فرض الله على الكافة الانضمام إلى شَعبه ، وأَطْلَعَ فيه شموس هداية تشرق من مشرقه ولا تغرب فى غربه ، جعل الله حكمه بأَمرنا منوطا ، وفى سِلْك أَحكامنا مخروطا ، وقلدنا من أَمر الخلافة المعظمة سيفا طال نِجاده ، وكثر أَعوانه وأَنجاده ، وفوض إلينا أَمر الممالك الإسلامية فإلى حرمنا تُجْبَى ثمراتُها ، ويرجع[2] إلى ديواننا العزيز

(١) في صبح الأعشى : وعمدوا إلى تمهيد المعالم . . . .
(٢) في صبح الأعشى : ويرفع إلى ديواننا العزيز . . . . .

(٢٦٢ ا) نفيُها وإثباتها ، يخلف الأَسد فى غابه إن مضى شبله ، ويُلْفَىَ فى الخُبْرِ والخَبَرِ مثلُه .

ولما أَفاض اللهُ تعالى علينا حُلَّةَ الخلافة ، وجعل محلنا الشريف محل الرحمة والرافة ، وأَقعدنا على سُدّة خلافة طالما أَشرقت بالخلائف من آبائنا ، وابتهجت بالسادة الغطاريف من أَسلافنا ، وأَلبسنا خلعة من سواد السؤدد مصبوغة ، ومن سواد العيون وسويداء القلوب مصوغة ، أَمضينا على سدتنا الشريفة أَمر الخاص والعام ، وقلّدنا كل إقليم من أَعمالنا من يصلح لسياسته على الدوام ، واستكفينا بالكُفاة من عمالنا على أَعمالنا ، واتخذنا مصر دار مُقامنا ، وبها سُدَّة مقامنا ، لما كانت فى هذا العصر قبةَ الإِسلام وفيئة الإمام ، وثانية دار السلام ، تعين علينا أَن نتصفح جرائد أَعمالنا ، ونتأَمل نظام عمالنا ، مكانا مكانا ، وزمانا زمانا ، فتصفحناها فوجدنا قطر اليمن خاليا من ولايتنا فى هذا الزمن ، عرّفنا هذا الأَمر من اتخذناه للممالك الإِسلامية عينا وقلبا ، وصدرا ولُباًّ ، وفوضنا إليه أَمر الممالك الإِسلامية فقام فيها مقاما أَقعد الأَضداد ، وأَحسن فى ترتيب ممالكها نهاية الإِصدار وغاية الإِيراد ، وهو السلطان الأَجَلّ ، السيد

الملك الناصر المبجل ، لازالت أَسباب المصالح على يديه جارية ، وسحابة الإحسان من أُفق راحته سارية ، فلم يُعِدْ جوابا لما ذكرناه ، ولا عذرا عما أَبديناه ، إلا بتجهيز شرذمة من جحافله المشهورة ، وتعيين أُناس من فوارسه المذكورة ، يقتحمون الأَهوال ، ولا يعبأُون بتغييرات الأَحوال ، يرون الموت مغنما إن صادفوه ، وشَبا المُرهف مكتسبا إن صافحوه ، لا يشربون سوى الدماءِ مدامة[1] ، ولا يلبسون غير السرابيل[2] عِمامة ، ولا يعرفون طربا إلا ما أَصدره صليل الحسام من (٢٦٢ ب) غِنا ، ولا ينزلون قفرا إلا ونبت ساعة نزولهم من قَنا . ولما وثقنا منه بإنفاذهم راجعنا رأْينا الشريف ، فاقتضى أَن يكاتب مَن بسطَ يده فى ممالكها ، واحتاط على جميع مسالكها ، واتخذ أَهلها خَوَلا ، وأَبدى فى خلال ديارها من عدم سياسة خللا ، برز مرسومنا الشريف النبوى أَن يكاتب من قعد على تخت مملكتها ، وتصرف فى جميع أُمور دولتها ، فطولع بأَنه ولد السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر الذى له شبهة تمسك بأَذيال المواقف المستعصمية ، وهو مستصحب الحال على زعمه ،

(١) في صبح الأعشى : لا يشربون سوى المدام مدامة (والمدام : المطر الدائم) .
(٢) في صبح الأعشى : ولا يلبسون غير الترائك عمامة .

أَوَ ما علم الفرق بين الأَحياء والأَموات ؟ أَوَ ما تحقق الحال
التى بين النفى والإثبات؟ ، أَصدرناها إلى الرحاب التعزِّيَّة ،
والمعالم اليمنية ، تشعر من تولى عنها فاستبدّ ، وتولَّى كِبره
فلم يعرج على أحد ، أَن أَمر اليمن ما برحت نوابنا تحكم فيه
بالولاية الصحيحة [1] ، والتفويضات التى هى غير جريحة ،
وما زالت تحمل إلى بيت المـال المعمور ما تمشى به الجمال
رويدا [2] ، وتقذفه بطون الجوارى إلى ظهور اليعملات وليدا ،
ويطالعنا بـأَمر مصالحه ومفاسده ، وبحال دياره ومعاهده ،
ولك أُسوة بوالدك فلان ، هلا اقتفيت ما سنه من آثاره ،
ونقلت ما دونته أَيدى الزمن من أَخباره .

واتصل بمواقفنا الشريفة أُمور صدرت منك .

منها – وهى العظمى التى ترتب عليها ما ترتب –قطع الميرة
عن البيت الحرام ، وقد علمت أَنه واد غير ذى زرع ،
ولا يحل لأَحد أَن يتطرق إليه بمنع .

ومنها انصبابك إلى تفريغ مال بيت المال فى شِرَى [3]

(١) في صبح الأعشى : تحكم فيه بالآية الصحيحة .
(٢) في صبح الأعشى : تمشى به الجمال مشيا وئيدا .
(٣) في صبح الأعشى : في شراء لهو الحديث . . .

لهو الحديث ، ونقض العهود القديمة بما تبديه من حديث .

ومنها تعطيل أَجياد المنابر من عقود اسمنا ، وخلوّ تلك الأَماكن من أُمور عقدنا وحلنا ، ولو أَوضحنا لك ما اتصل بنا من أمرك لطال ، ولاتسعت فيه دائرة المقال ، (٢٦٣ ا) رسمْنا بها والسيف يود لو سبق القلمَ حَدُّه ، والعلَمُ المنصور يود لو فات العلم واهتز بتلك الروابى قَدُّه ، والكتائب المنصورة تختار لو بَدَرَتْ عنوانَ الكتاب ، وأَهل العزم والحزم يودون إليك إعمال الرِّكاب ، والجوارى المنشآت قد تكونت من ليل ونهار ، وبرزت كَصُوَرِ الأَفيلة لكنها على وجه الماءِ كالأَطيار ، وما عمدنا إلى مكاتبتك إلا للإنذار ، ولا احتجنا إلى مخاطبتك إلا للإعذار ، فأَقلع عما أَنت بصدده من الخيلاءِ والإعجاب ، وانتظم فى سلك من استخلفناه فأَخذ بيمينه ما أُعطى من كتاب ، وصُنْ بالطاعة من زعمتَ أَنهم مقيمون تحت لواءِ عَلَمك ، ومنتظمون فى سلك أَوامر كَلِمِك ، وداخلون تحت طاعة قلمك ، فلسنا نشنّ الغارات على من نطق بالشهادتين لسانُه وقلبُه، وامتثل أَوامرَ الله المطاعةَ عقلُه ولبُّه ، ودان بما يجب من الديانة ، وتقلّد عقود الصلاح والْتَحَف مطارفَ الأَمانة ، ولسنا ممن

يأمر بتجريد سيف إلا على من علمنا أنه خرج عن طاعتنا ، ورفض كتاب الله ونزع عن مبايعتنا ، فأصدرنا مرسومنا هـذا إليه يقص عليه من أنبـاء حلمنا ما أطال مدة دولته ، وشيّد قواعد صولته ، ونستدعى منه رسولا إلى مواقفنا الشريفة ، ورحاب ممالكنا المُنيفة ، لينوب عنه فى قبول الولاية مَنابَ نفسه ، ولْيجْنِ بعد ذلك ثمار شفقاتنا إن غَرَسَ شجرَ طاعتها – وَمِن سعادة المرءِ أن يجنى ثمار غرسه – بعد أن يُصحبه من ذخائر الأَموال ما كَثُرَ قيمةً وخَفَّ حَمْلا ، وتعالى رتبةً وحسن مِثْلاً ، واشْرُط على نفسك فى كل سنة قطيعة ترفعها إلى بيت المال ، وإياك ثم إياك أن تكون عن هذا الأَمر ممن مال ، ورتِّبْ جيشا مقيما تحت علم السلطان الأَجل الملك الناصر للقاء العدو المخذول التتار ، ألحق الله أَولَهم بالهلاك وآخرهم بالبوار ، وقد علمتَ (٢٦٣ ب) تفاصيلَ أَحوالهم المشهورة ، وتواريخ سيرهم المذكورة ، فاحرص على أن يَخُصَّك من هذا المشرب السائغ أَوْفَرُ نصيب ، وأن تكون ممن جهَّز جيشا فى سبيل الله فرمى بسهم فله أَجرٌ مُصيباً كان أَو غيرَ مُصيب ، ليعود رسولُك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملا أَعلامنا [1]

(١) فى صبح الأعشى : حاملا أهلة أعلامنا .

المنصورة ، شاكرا بِرَّ مواقفنا المبرورة ، وإن آلَ حالك إلى[1] أن استَمرَّيْتَ على غيِّك ، واسْتَمْرَيْت مرعى بَغْيك ، فقد منعناك التصرف فى البلاد ، والنظر فى أَحكام العباد ، حتى تَطأَ خيلُنا العتاق مُشْمَخِرَّاتِ حُصونك ، وتُعجِّل حينئذ ساعةَ مَنُونِك ، وما أَعلمناك غيرَ ما عَلِمه قَلْبُك ، ولا فَهَّمناك غير ما حَدَسَه لُبُّك ، ولا تكن كالصغير يَزيده كثرةُ التحريك نَوْما ، ولا ممن غَرَّه الإمهال يوما فيوما . أَعلمناك ذلك فاعمل بمقتضاه ، موفقا إن شاء الله تعالى .

وعلى نحو من هذه الطريقة فى الابتداء

كان يكتب عن الإمام المستعين بالله أَبى الفضل العباس ابن المتوكل على الله حين استقلّ بالخلافة والسلطنة ، مع زيادة فى أَلقاب الخليفة ، وإثبات أَلقاب المكتوب إليه التى يُكتَب إليه بها فى المكاتبات السلطانية . فكان يكتب عنه لمن رتبته المَقَرُّ الكريم : من عبد الله ووليّه الإمامِ المستعين بالله أَبى الفضل أَمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، المُفْتَرَضِ طاعتهُ على سائر الخلائق أَجمعين ، أَعزَّ الله ببقائه الدين ، وأَمتع به الإسلام

(١) في صبح الأعشى : وإن أبى حالك إلا أن .

والمسلمين ، إلى المَقَرِّ الكريم ، أو : إلى الجناب الكريم ، أو الجناب العالى ، أو : المجلس العالى ، أو : المجلس السامى أو : مجلس الأمير ، بالألقاب التى يُكتب بها عن السلطان من ديوان الإنشاء الآن ، وكذلك فى سائر الرتب .

(٢٦٤ ا) المذهب الثالث

مما يكتب عن الخلفاء أن يفتح الكتاب بخطبة ، ثم يؤتى بِبَعْدِيَّة

و [1] ، منها إلى مقصد الكتاب .

وعلى ذلك كُتِب عن الإمام الحاكم بأمر الله

أبى العباس أحمد بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان إلى السلطان الملك الناصر أحمد بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون مُسْتَدْعًى من الكَرَك إلى الديار المصرية لتقليده السلطنة ، بعد خلع أخيه الأشرف كُجُك بن الناصر محمد بن قلاوون ، وإمساك الأمير قُوصُون ومن معه من الأُمراء ، من إنشاء المَقَرِّ الشهابى بن فضل الله تغمده الله برحمته .

---

(١) هنا فراغ صغير لعله أيضا : و [يخلص] منها .

وهذه نسخته[1] مصدرة بآية من القرآن

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾[2]

فالحمدُ لله الذى أسبغ نِعمه الظاهرة والباطنة ، وألف قلوب أوليائه المُتَّفقة والمُتباينة . وأخذ بنواصى أعدائه الكاذبة المائنة[3] ، وأعلى جَدَّ هذه الدولة القاهرة ، وأطلع فى أسنَّة العوالى نُجومَها الزاهرة ، وحرَّك لها العزائم فملكتْ والأُمورُ — بحمد الله — ساكنة . والبلاد واطنةٌ للهآمنة[4] ، والرعايا فى مَظانِّها[5] قاطنة . والسيوف فى أغمادها مثل النيران فى قلوب حُسَّادها كامنة ، وأقام أهلَ الطاعة بالفرض ، واستوفى منهم القَرْض[6] ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا (٢٦٤ ب) الأَرْضَ ﴾[7] وأعز أنصار المقام

---

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٤٢٦

(٢) سورة لقمان الآية ٢٠

(٣) في صبح الأعشى . أعدائه المراجعة والبائنة .

(٤) في صبح الأعشى : والبلاد — والمِنَّة لله — آمنة . وهو أحسن

(٥) في صبح الأعشى : في مكانها .

(٦) في صبح الأعشى : واستوفي بهم القرض .

(٧) سورة الزمر الآية ٧٤

العالى وأعز نصره ، وأعد لعدوه حصره ، وأتى بدولته الغراء تسمو شموسُها ، وتثمر غُروسُها [وتظهر فى حلل الصباح المشرق عروسها] [1] وتجىء منه بخير راع للرعية يسوسها ، وبشره بالملك والدوام ، [وسره بما اجتمع له من طاعة الأنام . وأقدمه على كرسى مُلْكه تُظلِّه الغمام] [2] وأراه يوم أعـدائه وكان لا يظن أن يرى فى المنام ، ولا يزال مؤيد الهمم ، مؤكد الذِّمَم ، مجدد البيعة على رقاب الأُمم ، ولا برحت أيامه المقبلة مقبلة بالنعم ، خضر الأكناف على رغم من كاد وغيظ من رَغِم ، ولا فتئت عهود سلفه الشريفة تُنشأُ له كما كانت ، ورعاياه تَدين له بما دانت ، وجنوده تفديه من النفوس بأعز ما ذخرت وما صانت ، وسعادة سلطانه تكشف الغُمم ، وتنشر الرِّمم [3] ، وتعيد إلى أُنوف أهل الأَنَفة الشَّمم ، وتحفظ على ما بقى [4] لأَوليائه من بياض الوجوه وسواد اللِّمَم .

سَطَّرها وأصـدرها وقد حُقِّقت بعوائد الله الظنون ،

(١) الزيادة من صبح الأعشى .
(٢) الزيادة من صبح الأعشى .
(٣) في صبح الأعشى وتنشر الذمم .
(٤) في صبح الأعشى : وتحفظ مابقى

وصَدّقت الخواطرَ العيون ، وأنجز الله وعده ، وأتم سعده ، وجمع على مقامه الكريم قلوب أوليائه ، وفَرّقَ فِرَقَ عدوه بإجابة ندائه [1] ، ووطّد لرقيه المنابر ، ورجّل لتلقيه [2] العساكر ، وهيّأ لمقاتل أعدائه فى أيدى أوليائه السيوف البواتر ، وأخفق [3] قوصون وأُمسك ، ونُهب ماله واستهلك ، وهدمت أبنيته ، وخُرِّبت دياره ، وقلعت آثاره ، وأُخليت خزائنه ، [وأُخرجت من بطون الأَرض دفائنه ، وما منعت عنه تلك الربائب] [4] التى ظنها قساور ، ولا ناضلت تلك القسى التى طبعها أساور ، ولا أغنى عنه ذلك المال الذى ذهب ، ولا ذلك الجوهر الذى كان عَرَضا لمن نهب ، وأُعيد إلى المهد ذلك الطفل الذى أكل الدنيا باسمه ، وقهر أبناءها بحكمه ، وموه به على الناس ، وأخلى له الغاب وما خرج من الكِناس ، وغالب به الغَلَب حتى وطىء الرقاب ، وداس الأعقاب ، وخادع ودَلّهُ الشيطان بغروره ، ودلس عليه عاقبة أموره ، فاعْتَدّ بعتاده ، واغترّ بعناده [5] واغتر بأن الأرض

(١) فى صبح الأعشى : وأباته بدائه .
(٢) فى صبح الأعشى : ورجّل لترقيه العساكر
(٣) فى صبح الأعشى وأخذ توصون ....
(٤) الزيادة من صبح الأعشى .
(٥) فى صبح الأعشى : واعتز بقياده .

له وما علم أن الأَرض لله يورثها من يشاء من عباده ، فأُمسك ومعه رؤوس من أشياعه ، وحَصِرت بالخوف (٢٦٥ ا) نفوس أتباعه ، ومنهم الطنبغا ، وقد أَحاط به العِلم الشريف بكيفية وصوله وحقيقة الخبر ، وما قاساه فى طريقه من العِبرَ ، وداس عليه حتى وصل من وخز الإبر ، وكذلك من جاء معه ، وخلَّف وراءه الحق وتبعه ، بعد الهزيمة التى أَلجأَهم إليها خوف العساكر المنصورة التى قعدت لهم على الطريق ، وأَخذت عليهم بمدارج أنفاسهم فى فم المضيق ، وعُبئت لهم صفوف الرجال ، وأَعدت لهم حتوف الآجال ، وحيرتهم فى سعة الفجاج ، وأَرتهم بوارق الموت فى سحب العَجاج ، ثم لم يصلوا إلا وهم أشلاء ممزقة ، وأَعضاء مفرقة ، قد فنى تحتهم الظهر ، وفنى[1] بيومهم الدهر ، وساقتهم سعادة سلطان المقام العالى إلى شقاوتهم وهم رقود ، وعُبئت لهم الخيل والخلع إلا أنها ملابس الذل وهى القيود ، فأُخذوا جميعا هم ومن كانوا على موالاته ، وفارقوا الجماعة لمواتاته ، وحُملوا إلى المجلس[2] النائى المكان ، وأُودعوا أَحياءَ فى ملحدة إلا أنهم

(١) فى صبح الأعشى : وفنى بيومهم الدهر .

(٢) فى صبح الأعشى : وحملو إلى الحبس النائى . . .

كالأَموات ، وقد فاتوا [١] المقصد إلا أَنهم ما أَمنوا الفوات ، ووكِّل بحفظهم إلى أَن يُشَرَّف سرير الملك بقعود مقامه وعقود أَيامه الحوالى ، وسعود زمانه التى أَزهرت بطلوعها الليالى [٢] .

وهذا النصر إنما تهيأَت — ولله الحمد — أَسبابه ، وهذا الفتح إنما فتحت بمشيئة الله أَبوابه ، بِمِنَّة الله تعالى ونية المقام العالى لا بمنة أَحد ، ولا بشدة بأْس من أَقر [٣] ، ولا يأْس من جحد [٤] ، وما قضى الله تعالى به من سعادة هذه الأَيام . ومضى به القدر السابق وعلى الله التمام ، وبمظافرة الجَناب الكريم السيفى ، قطلوبغا الفخرى الساقى الناصرى ، أَدام الله نصرته بهذه العصابة المؤيدة ، وبمضاء عزائمه التى ما ونت ، وقضاء قواضبه التى ما انثنت ، وبمؤازرة من التفَّ عليه من أَكابر الأُمراء ، وبما أَجمعوا عليه من مظافرة الآراء ، ونزولهم على التيه لا يضر بهم من خذلهم [٥] ، ولا يهينهم من بذلهم ، ولا يبالون (٢٦٥ ب) بعساكر دمشق المقيمة

---

(١) في صبح الأعشى : وقد نالوا المقصد . . .
(٢) في صبح الأعشى : وسعود زمانه الذى لا يحتّم بالنجوم إلا خدم الليالى .
(٣) في صبح الأعشى : ولا بمنة بأس من أقدر .
(٤) في صبح الأعشى : ولا يأس من حجر .
(٥) في الأعشى : على النية لايضرهم

على حلب ومن مال إليهم ، وتمالأ معهم عليهم ، ومن انضاف إليهم من جنود البلاد ، وجيوش العناد ، ولا لواهم ما كان يَبْعَثُ إليهم ذلك الخائنُ من وعيده ، ولا ولاّهم ما كاد يخطف أبصارهم من تهديده ، ولا بَالَوْا بما تألب[1] به عليهم جند الشام من كل أوب ، وصب عليهم سيوله من كل صوب ، وخادعهم بالرسائل التى ما تزيدهم عليه إلا إباء ، ولا تشككهم أن السيف أصدق منه إنباء . حتى ولّى لا تنفعه الخدع ، ولا تنصره البدع ، فما أسعدته تلك الجموع التى جمعها ، ولا أجابته تلك الخيول[2] التى سار عليها إلى مكمن أجله ، ولا وَقَتْهُ تلك السيوف التى لم يظهر له من بوارقها إلا حمرة خجله ، حتى أُخذ مع طاغيته بل طاغوته بمصر ذلك الأَخذَ الوبيل ، وقُذف به إلى مهوى هلكه سَيْلُ ذلك السبيل ، وقام من بالديار المصرية قيام رجل واحد ، وتظافروا على إزالة ذلك الكافر النعمة الجاحد ، ولم يبق من الأُمراءِ إلا من بذل الجهد ، وجمع قلوب الرعية والجند ، وفعل فى الخدمة الشريفة مالم يكن منه بد ، حتى حُمِد الأَمر ، وخَمد الجمر ، وتواترت الكتب بما عمت به

(١) في صبح الأعشى : ولا بالوا بما ألب عليهم من جند . . . .
(٢) في صبح الأعشى : الجنود

البشرى ، من إقامة البيعة باسمه الكريم ، وأنه لم يبق إلا من أعطى اليمين وأُعطِي الثمين[1] ، وأتم الحَلِفَ إتماما لا يغدر معه يمين[2] ، وأُقيمت له السّكّة والخطبة ورفع على المنابر اسمه وتهلل به وجه النقود ، وظهر على أسارير الوجود ، وضُرِبت البشائر ، وَنَهبتِ المسرَّاتُ السرائر ، وتشوقت أولياء هذه الدولة القاهرة ـ أدام الله سلطانها ـ إلى حضور ملكها ، وسُفُور الصباح لإذهاب ما أبقته عقائب[3] تلك الليلة من حَلَكِها ، والمقام العالى ما يزداد عِلْما ، ولا يُزاد عزما ، وهو أدرى بما فى التأخير ، وبما فى بعده من الضرر (٢٦٦ ا) الكثير ، ومثله لا يُعلَّم ، ومنه يُتَعلَّم ، فهو أعلم بما يجب من مسابقة قدومه للبشير ، وما يتعين من معاجلته لامتطاء جواديه ظهر الحصان[4] وبطن السرير ، فالله الله . فى تعجيل حفظ هذا السوام المشرَّد ، وضم هذا الشمل المشتت ونظم هذا العقد المبدد ، وجمع كلمة الإسلام التى طالما افترقت ، وانتجاع عارض هذه النعمة

---

(١) في صبح الأعشى وأنه لم يبق منهم إلا من أعْطَى اليمين وأعْطي اليمين .

(٢) في صبح الأعشى : لا يقدر معه ثمين .

(٣) في صبح الأعشى : عقابيل تلك الليلة .....

(٤) في صبح الأعشى : وما سيعن من معالجته لامتطاء جواديه ظهر الحمال ....

التى أبرقت ، وسرعة المسير فإن صبيحة اليوم المبارك الذى يُعرف من أوله قد أشرقت ، فما بقى ما به يعتذر[1] ، ولا سوى مقدمه السعيد ينتظر .

وقد كتبناها ويدنا ممدودة لمبايعته ، وقلوب الخلق [كلها] مستعدة لمتابعته ، وكرسى الملك قد أُزلف إليه مقعده ، ومؤمِّل الظَّفَر قد أُنْجز له مَوْعِدُه ، والدهرُ مطاوعه والزمان مُسْعِده ، وطوائف أوليائه ليوم لقائه ترصده ، [والعهد له قد كُتب] ولواء الملك عليه قد نُصب ، والمنبر باسمه عليه قد خُطب ، والدينار والدرهم هذا وهذا له قد ضُرب ، ولم يبق إلا أن يَقْترب ، وترى العيونُ منه ما تَرتقب ، ويجلس على السرير ، ويُزْمِع المُبشِّر ويَعزم على المسير ، وتتزين الأقاليم ، ويتبين لتسيير شهابه ما كان يقرأ له فى التقاديم[2] . لازال جيب ملكه على الأقطار مزرورا ، وذيل فخاره على السماء مجرورا ، وجَدُّ وَلِيِّه مُقبلا[3] وقلبه مسرورا ، ومقدمه يحوز له من إرث آبائه نعما جمة ومُلكا كبيرا ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) في صبح الأعشى : فما بقى ما به يقتدر .

(٢) في صبح الأعشى : التقاويم .

(٣) في صبح الأعشى : وحبل وليه متصلا .

المذهب الرابع

مما يكتب به عن الخلفاء أن يفتتح الكتاب بالسلام ، بأن يُكتب : سلام الله تعالى ورحمته وبركاته يَخُصُّ : المَقَرَّ الكريم ، أو : الجناب الكريم ، أو غير ذلك من الألقاب (٢٦٦ ب) التى يكتب بها عن السلطان ، ويُؤتى على تلك الألقاب إلى آخرها ، ثم يقال : ويُبدى لعلمه ، أو : يوضح لعلمه ، على حسب ما تقتضيه تلك المكاتبة فى السلطانيات .

وعلى ذلك كانت كُتب الإمام المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان وولده الإمام المستعين بالله فى أول ولايته ، ولم يكن فيه من المكاتبات الجليلة ما يُدَوَّن فأذكره .

وأما الكتب الصادرة عن ولاة العهد بالخلافة

فقد قال أبو جعفر النحاس فى كتابه « صناعة الكتاب » بعد أن ذكر أن صورة ما يكتب به عن الخليفة : من عبدالله أبى فلانٍ فلانٍ الإمام الفلانىِّ إلى فلانٍ ، أتبع ذلك

بأن قال : وليس أحد من الرؤساء يكاتب عنه بالتصدير إلاّ الإمام وولى العهد ، ولم يزد على ذلك .

والتصدير على ما فسّره ابن حاجب النعمان فى كتابه، « ذخيرة الكتاب » ، هو : من عبد الله أبى فلانٍ فلانٍ إلى آخره على ما تقدم ، وقد قال النحّاس فى الكلام على العنوان : إنه يُحذفُ من الكتاب عن ولى العهد لفظُ أمير المؤمنين ، ويقال فيه : ولى العهد ، ومقتضى ذلك أن المكاتبة عن ولى العهد كالمكاتبة عن الخليفة إلاَّ أنه لا يقال فيه : ولىُّ العهد الإمامُ ، ويقام لفظُ ولىّ العهد فيه مُقام أمير المؤمنين .

فيكتب فيه : من عبدالله ابن فلانٍ فلانٍ الواثق بالله مثلا - ولىِّ عهد المسلمين ، سلامٌ عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأسأله أن يُصلى على محمد عبده ورسوله ، أما بعد ، فإن كذا ، ويُؤتى على المقصد إلى آخر الكتاب ، على نحو ما تقدم فى الكتابة عن الخليفة.

تنبيه : قد تقدم عن محمد بن عمر المدائنى أنه كان يُكتب عن الخلفاء للإمراء فى قرطاس نصف طومار وللعمال والكتاب فى قرطاس من ثلث طومار ، وللتجار وأشباههم

فى قرطاس من ربع طومار ، وللحُسَّاب والمُسَّاح فى قرطاس من سدس طومار ، وتقدم بيان أن المراد بالطومار قطع البغدادى الكامل .

أَما الذى استقر عليه الحال فيما يكتب به عن خلفاء بنى العباس بالديار المصرية إلى ملوكها فقد ذكر صاحب « الدر الملتقط » ، عن المقرّ الشهابى بن فضل الله أنه كتب الكتاب الصادر عن الإمام الحاكم بأَمر الله أَبى العباس أحمد بن المستكفى بالله أَبى الربيع سليمان إلى الملك الناصر أَحمد بن الناصر محمد بن قلاوون عند استدعائه للسلطنة من الكرك على ما تقدم ذكره فى هـذا الفصل ، كُتب فى قطع البغدادى الكامل ، فايجْرِ الأَمر على ذلك .

(٢٦٧ ا) الفصل الثاني

من الباب السادس

فى الكتب الصادرة عن الملوك ومن فى معناهم إلى الخلفاء وولاة العهد بالخلافة .

أما الكتب الصادرة إلى الخلفاء

فللكاتب فيها [١] ستة أساليب

الأسلوب الأول وهو أقدمها اصطلاحا أن يفتتح الكتاب بلفظ : لفلان من فلان ، ثم يصدر بالسلام والتحميدِ وسؤالِ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يقال : أما بعد ، فإن كذا ، ويختم بالسلام ونحوه ، على نحو ما تقدم فى المكاتبات عن الخلفاء ، لا يختلف ذلك فى شىء إلاَّ فى تقديم اسم المكتوب إليه على المكتوب عنه .

والأصل فى ذلك أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يكتبون فى غالب كتبهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم : لمحمد رسول الله .

---

(١) في الأصل : فيه .

كمـــا كتب [1] إليه خالدُ بنُ الوليد رضى الله عنه بإسلام بنى الحارث بن كعب حين وجَّهه إليهم :

لمحمد النبى صلى الله عليه وسلم [رسول الله] من خالد ابن الوليد .

السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أحمد إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو .

أَما بعد يارسول الله ، صلَّى الله عليك ، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب ، وأَمرتنى إذا أَتيتهم أَن لا أُقاتلهم ثلاثة أَيام ، وأَن أَدعوهم إلى الإسلام ، فإن أَسلموا قبِلتُ منهم وعلَّمتهم مَعَالِم (٢٦٧ ب) الإسلام ثلاثة أَيام وكتاب الله وسنَّة نبيِّه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم ، وإنى قدِمْتُ إليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، كما أَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم رُكْبانا : [2] يا بنى الحارث أَسلِموا تَسْلَموا ، فأَسلَمُوا ولم يقاتلوا ، وأَنا مقيم بين أَظهُرِهم ، آمرهم بما أَمرهم الله به ، وأَنهاهم عما نهاهم

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٤٦٥

(٢) في صبح الأعشى : « كتابا » وبالهامش نقلا عن « مفتاح الأفكار » ص٦٦ : وبعثت فيهم ركبانا قالوا : يابنى الحارث .

الله عنه ، وأُعلمهم مَعَالم الإسلام ، وسُنَّة النبى ، حتى يَكتب إلىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

وعلى نحو من ذلك كتب إليه صلى الله عليه وسلم النجاشىُّ ملكُ الحبشة والمُقوقس صاحب مصر أَيضا فى رواية ذكرها ابنُ عبد الحكم ، وقد ذكرت كتابيهما فى « صبح الأَعشى فى كتابة الإِنشا » [1] .

ثم لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولُقِّب أَمير المؤمنين ، وزاد فى أَول كتبه الصادرة عنه لفظ عبد الله ، قبل اسمه ، فكان يكتب : من عبد الله عمر أَمير المؤمنين ، على ما تقدم ذكره فى المكاتبات الصادرة عن الخلفاء ، اعتمدُوا مثل ذلك فى المكاتبة إليه أَيضا .

كما كتب[2] عمرو بن العاص لأَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى جواب الكتاب الوارد من أَمير المؤمنين عليه يذكر فيه بأَنه بلغه فاشيةُ مالٍ فشتْ له .

---

(١) انظر الجزء السادس ص٤٦٦ ، ٤٦٧ من صبح الأعشى .

(٢) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٤٧٧

لعبد الله عمر أمير المؤمنين . سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ، فإنه أتانى كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه فاشيةَ مالٍ فشَتْ لى ، وأنه يَعْرِفنى قبل ذلك ولا مال لى ، وإنى أُعلم أميرَ المؤمنين أنى ببلدٍ السِّعرُ فيه رخيص ، وأنى أُعالج من الزراعة ما يعالجه الناس ، وفى رزق (٢٦٨ ا) أمير المؤمنين سعة ، واللهِ لو رأيت خيانتك حلالا ما خُنتك .

فى كلام آخر [١] . وجرى الناس بعد ذلك على هذا الأُسلوب فى الدولة الأَموية وأول الدولة العباسية .

كما كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان [٢]

فى جواب كتابه إليه بتوبيخه له بسبب تعرُّضه لأَنس بن مالك رضى الله عنه ، على ما تقدم ذكره :

لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين ، فإنى أَحمد [٣] إليه الله الذى لا إله إلا هو .

---

(١) بعده في صبح الأعشى : فأقصر أيها الرجل فإن لنا أحسابا هى خير من العمل لك إن رجعنا إليها عشنا بها . ولعمرى إن عندك من لا يذم معيشة ولا تذم له ، فإن كان ذلك فلم يفتح قفلك ولم يشركك في عملك .

(٢) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٤٧٨

(٣) جملة « فإنى أحمد . . . . . أما بعد أصلح الله » ساقطة من صبح الأعشى .

أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه ، وشلا حظه [1] وحاطه ولا أعدمناه ، فقد وصلني كتاب أمير المؤمنين أطال الله بَقَاه ، وجعلني من كل مكروه فِداه ، يذكر شتمي وتوبيخي بِآبائي ، وتعْييري بما كان قبل نزول النعمة بي من عند أمير المؤمنين ، أتمّ الله نعمته عليه وإحسانه إليه ، ويذكر أميرُ المؤمنين استطالةً منّي على أنس بن مالك ، وأميرُ المؤمنين أحقُّ من أقال عَثْرتي ، وعفا عن ذنبي ، وأمهلني ولم يُعْجِلني عند هفوتي ، للذي جُبِل عليه من كريم طباعه ، وما قلَّده اللهُ من أُمور عباده ، فرأْيُ أمير المؤمنين أصلحه الله في تسكين رُوعِي وإفراج كُربتي ، فقد مُلِئت رعبا وفَرقا من سَطواته ، وقحمات نِقْماته ، وأميرُ المؤمنين - أقاله اللهُ العثراتِ ، وتجاوز له عن السيئات ، وضاعف له الحسنات ، وأعلى له الدرجات - أحقُّ من صفح وعفا وتغمّد وأبقى ، ولم يُشمِت بي عَدُوًّا مُكِبّا ، ولا حسودا مُضِبّا ، ولم يُجَرِّعني غُصصا ، والذي وصفَ أميرُ المؤمنين من صَنيعته إليّ ، وتقويمه [2] بما أسند من عمله إليَّ ، وأوطأني رقاب رعيَّته ، فصادقٌ فيه مَجْزِيٌّ عليه

(1) في الأصل : وسلا بحظه وفي صبح الأعشى : وسهل حظه . هذا : وشلاه رفعه .
(2) في صبح الأعشى . وتنويهه بما أسند .

بالشكر . والتوسُّلُ منى إليه بالوِلاية ، والتقرُّب له بالكِفاية ، (٢٦٨ ب) وقد حضعت عند كتاب أمير المؤمنين ، فإن رأى – طوّقنى الله شكره ، وأعاننى على تأْدية حقه ، وبلّغنى إلىَّ ما فيه موافقة مرضاته ، ومدَّ فى أَجله – أن يأْمر بالكتاب إلى من رضاه ، وسلامة صدره ، ما يُؤَمِّننى به من سفك دمى ، ويردُّ ما شَرَدَ من نومى ، ويَطمئنُّ به قلبى ، فعل ، فقد وَرد عَلَىَّ أَمرٌ جليل خَطْبُهُ ، عظيم أَمْره ، شديد كَرْبُه ، أَسأَل الله أن لا يسخط أَمير المؤمنين علىَّ ، وأن يُنيله فى حزمه وعزمه ، وسياسته وفراسته ، ومواليه وحشمه ، وعمَّاله وصنائعه ، ما يُحْمَدُ به حسنُ رأْيه ، إنه ولىّ أَمير المؤمنين ، والذابُّ عن سلطانه ، والصانعُ له فى أَمره ، والسلام .

ولما زاد المأْمون فى الكتب الصادرة عنه بعد التحميد : وأَسأَله أَن يصلِّى على محمد عبده ورسوله ، أُلحقت فى الكتب المكتوبة إلى الخليفة أَيضا ، ويؤتى بعد البَعْدِيَّة بالدعاءِ للخليفة بما يناسبه من طول البقاءِ ونحوه .

والذى[1] استقرّ عليه الحال بعد ذلك فى الدولة العباسية فى العراق على ماذكره قُدامة فى كتاب « الخراج » أن يُكتب :

(١) انظر صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٨١

لعبدِ الله فلانٍ أَبى فلانٍ ــ باسمه و كنيته ونَعْته ، ثم يقال : ــ أَميرِ المؤمنين ، سلامٌ على أَمير المؤمنين ، فإنى أَحمد إليه الله الذى لا إله إلا هو ، وأَسأَله أَن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أَمّا بعدُ ، أَطال الله بقاء أَمير المؤمنين ، وأَدام عزه وتأْييده . و كَرامته وحِراسته ، وأَتمَّ نعمته عليه ، وزاد فى إحسانه إليه ، وفَضْلِه عنده ، وجميلِ بَلائه لديه ، وجزيل عطائه له .

قال فى « صناعة الكتاب » ثم يقال : أَما بعد ، فإن كذا وكذا ، حتى يأْتى على المعانى التى يحتاج إليها ، وتكون المكاتبة : وقد فعل عبدُ أَمير المؤمنين كذا [فإذا زادت حاله لم يقل عبد أَمير المؤمنين] فإذا بلغ إلى الدعاءِ ترك فضاءً وكتب : أَتم الله على أَمير المؤمنين نعمته ، وهنَّأَه كرامَته[1] ، وأَلبسه عفوه وعافيته[2] ، وأَمْنه وسلامته (٢٦٩ ا) والسلام على أَمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . واعلم أَنه إن كان الكتاب فى معنى حدوث نعمة من فتح أَو غيره أَتى بعد البعدية

(١) في صبح الأعشى : نعمته وهناءه وكرامته .

(٢) في الأصل : وعاقبته .

بخطبة مفتتحة بالحمد ، وربما زيد على ذلك إلى ثلاث تحميدات ، ويكون خطاب الخليفة : بأمير المؤمنين ، وتعبير المكتوب عنه عن نفسه بلفظ الإفراد ، ويختم الكتاب بالإنهاء وما فى معناه .

وهذه نسخة [1] كتاب كتب به أبو إسحاق الصابى

عن عز الدولة بن معز الدولة بن بويه الديلمى ، إلى المطيع لله عند وصوله الموصل وانهزام أبى تغلب بن حمدان عنها فى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة يوضح لك هذه الطريقة ويبين سبلها . وهو

لعبد الله الفضل [الإمام] [2] المطيع لله أمير المؤمنين ، من عبده وصنيعته عز الدولة بن معز الدولة مولى أمير المؤمنين ، سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله فإنى أحمد إلى أمير المؤمنين اللهَ الذى لا إلٓه إلا هو ، وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٤٨٢

(٢) الزيادة من صبح الأعشى نقلا عن مختارات الصابى .

أما بعد أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له العز والتأييد والتوفيق والتسديد ، والعلو والقدرة ، والظهور والنصرة .

والحمد لله العلى العظيم ، الأزلى القديم ، المنفرد بالكبرياء والملكوت ، المتوحد بالعظمة والجبروت ، الذى لا تَحُده الصفات ، ولا تَحُوزه الجهات ، ولا تحصُره قرارة مكان ، ولا يغيره مرور زمان ، ولاتتمثله العيون بنواظرها ، ولا تتخيله القلوب بخواطرها ، فاطر السموات وما تُظِلّ ، وخالق الأرض وما تُقِلّ ، الذى دل بلطيف صنعته ، على جميل[1] حكمته ، وبين بجَلِّى برهانه ، على خفى وحدانيته[2] ، واستغنى بالقدرة عن الأعوان ، واستقلّ بالعزة على الأقران[3] ، البعيد عن كل معادل ومضارع ، الممتنع عن كل مطاول ومقارع ، الدائم الذى لا يزول ولا يحول ، العادل الذى لا يظلم ولا يجور ، الكريم الذى لا يضن ولا يبخل ، الحليم الذى لا (٢٦٩ ب) يعجل ولا يجهل ، ذلكم الله ربكم ﴿لا إلّه إلا هو فادعوه مخلصين له الدين﴾[4] ، مُنْزِل الرحمة على كل ولى توكل عليه ، وفوض إليه ، وائتمر

(١) في صبح الأعشى : على جليل حكمته .
(٢) في صبح الأعشى : عن خفى وجدانه .
(٣) في صبح الأعشى : واستعلى بالعزة عن الأقران .
(٤) سورة غافر الآية ٦٥

بأوامره ، وازدجر بزواجره ، ومُحِلّ النقمة بكل عدو صد عن سبيله وَسنَنِه ، وصدف عن فرائضه وسُنَنِه ، وحاد فى مكسب يده ومسعاة قدمه ، وخائنة عينه وخافية صدره ، وهو راتع رتعةَ النَّعَم السائمة ، فى أكلاء النعم السابغة ، وجاهل جهلها بشكر آلائها ، ذاهـل ذهولها عن طـرق استيفائها ، فلا يَلبث أن يُنْزعَ سرابيلَها صاغرا ، ويُتَعرَّى منها حاسرا ، ويجعل الله كيده فى تضليل ، ويورده شر المورد الوبيل ، إن الله لا يصلح عمـل المفسدين ، ولا يَهدى كيد الخائنين .

والحمد لله الذى اصطفى للنبوة أحق عباده بحمل أعبائها ، وارتداء ردائها ، محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وعظَّم خَطَرَه و كرم ، فصدع بالرسالة ، وبالغ فى الدلالة ، ودعى إلى الهداية ، ونَجَّى من الغواية ، ونقل الناس عن طاعة الشيطان الرجيم ، إلى طاعة الرحمن الرحيم ، وأعلقهم بحبال خالقهم ورازقهم ، وعصمة محييهم ومميتهم ، بعد انتحال الأكاذيب والأباطيـــل ، واستشعار المحالات والأضاليل ، والتهوّك فى الاعتقادات الذابّة [1] عن النعيم ، إلى

---

(١) في صبح الأعشى : الذائدة عن النعيم .

العذاب الأَليم ، فصلى الله عليه مِنْ ناطقٍ بالحق ، ومنقذ للخلق ، وناصح للرب ، ومُؤَدٍّ للفرض ، صلاة زاكية نامية ، رائحة غادية ، تزيد على اختلاف الليل والنهار ، وتعاقبِ الأَعوام والأَدوار .

والحمد لله الذى انتخب[1] أَمير المؤمنين [أَطال الله بقاءه] [2] من ذلك السِّنْخِ الشريف ، والعنصر المنيف ، والعترة الثابت أَصلها ، الممتد ظلها ، الطيب جناها ، الممنوع حماها ، وحاز له مواريث آبائه الطاهرين ، صلوات الله عليهم أَجمعين ، واختصه من بينهم بتطاول أَمد الخلافة ، واستحصاف (٢٧٠ ا) حبلها فى يده ، ووفقه لإِصابة الغرض من كل مرمى يرميه ، ومقصد ينتحيه ، وهو — جل ثناؤه — الحقيق بإِتمام ذلك عليه ، والزيادة فيه لديه . وأَحمده سبحانه حمدا أَبتديه ثم أُعيده ، وأُكرره وأَستزيده ، على أَنْ أَهَّلَ ركنَ الدولة أَبا على ، وعضد الدولة أَبا شجاع ، موليا أَمير المؤمنين ، وأَهَّلنى للأُثْرة عنده التى نَدَدْنا فيها الأَكفاء[3] ، وفُتْنَا فيها القُرناء ، وتقطعت دونها أَنفاس

(١) في صبح الأعشى : انتجب أمير المؤمنين .

(٢) الزيادة من صبح الأعشى نقلا عن مختارات الصابى .

(٣) في صبح الأعشى : التى بذذنا فيها الأكفاء .

المنافسين . وتضرمت عليها أحشاء الحاسدين ، وإن أولانى في كل مَغْزًى في خدمة أمير المؤمنين أغزوه ، ومَنْحى أنحوه وشَأْى أَرْأَبه . وَشَعث أَلُمّه [وعدو أُرغمه] ، وزائغ أُقومه ، أفضل ما أولاه عباده السليمة غُيوبهم . النقية جيوبهم ، المأمونة ضمائرهم . المشحوذة بصائرهم . من تمكين يده . وتثبيت قدمه . ونصرة رأيه . وإعلاء كلمته . وتقريب بغيته . وإنالة أُمنيته . وكذلك يكون مَنْ إلى ولاء أمير المؤمنين اعتزاؤه . وبشعاره اعتزازه . وعن زناده قدحه . وفي طاعته كدحه . والله ولىّ [بإدامة] ما خوّلنيه من هذه المنقبة . وسوّغنيه من هذه الموهبة ، وأن يتوحد[1] أمير المؤمنين في جميع خدمه الذابين عن حوزته ، المنتمين إلى دعوته . بيمن الطائر . وسعادة الطالع . ونجاح المطلب ، وإدراك الأرب . وفي أعدائه الغامطين لنعمته ، الناقضين مواثيق بيعته . بإضراع الخد ، وإتعاس الجد ، وإخفاق الأمل ، وإحباط العمل ، بقدرته .

ولم يزل مولانا أمير المؤمنين [أطال الله بقاءه] [2] ينكر

(١) في صبح الأعشى : وأن يتوجه أمير المؤمنين . . . .

(٢) الزيادة في صبح الأعشى عن المختارات .

قديما من فضل الله بن ناصر الدولة أحوالا حقيقا مثلها بالإنكار ، ومستحقا من ارتكبها الإعراض . وأنا أذهب فى حفظ غيبه ، وإجمال محضره . وتمحّل حجته وتلفيقها وتأْليف معاذيره وتنميقها . مذهبى الذى أعمر [1] به كلّ من جرى [مجراهُ] من ناشئٍ فى دولته . ومغتذٍ (٢٧٠ ب) بنعمته ، ومنتسب إلى ولايته ، ومشهور بصنيعته ، وأقدر أن أستصلحه لأَمير المؤمنين ، [أطال الله بقاءه] وأُصلحه لنفسه بالتوقيف على مسالك الرشاد ، ومناهج السداد ، وهو يرينى أن قد قبل وارعوى ، وأبصر واهتدى ، حتى رغبت إلى أمير المؤمنين فيما شفّعنى متفضلا فيه ، من تقليده أعمال أبيه ، والقناعة منه فى الضمان بميسور بذله ، وإيثاره به على من هو فوقه من كبراءِ إخوته وأهله .

فلما بلغ هذه الحال ، أَلَطَّ بالمال ، وخاس بالعهد ، وطرّق لفسخ العقد ، وأجرى إلى أمورٍ [2] كرهتها ، ونفد الصبر منى عليها ، وخفت أن أستمر على الإغضاء عنها والمسامحة فيها ، فيطلع الله منى على إضاعه الاحتياط فى أمر قلدنى أمير المؤمنين زمامه ، وضمننى دركه ، وإرخاء

(١) فى صبح الأعشى : مذهبى الذى أُعِمُّ به .

(٢) فى صبح الأعشى : إلىّ أموراً

لبب رجل قَبِل فى الاعتماد عليه رأيى ، وعوّل فى أخذه بما يلزمه على نظرى واستيفائى – فتناولته بأطراف العدل مُلَوِّحا ، ثم بأثباجه مفصحا مصرِّحا .

ورسمتُ لعبد أمير المؤمنين الناصح أبى طاهر أن يحل [1] به وبوسطائه وسفرائه فى حال ، ويدخل عليهم من طريق المشورة والرفق فى أُخرى ، وينتقل معه بين الخشونة التى يقفو فيها أثرى ، واللين الذى لا يجوز أن يحسه منى ، تقديرا لانثنائه ، وزوال التوائه ، ففعل ذلك على رسمه فى التأنى لكل فاسد حتى يصلح ، ولكل آبٍ حتى يسمح ، ولم يَدَع التناهى فى وعظه ، والتمادى فى نصحه ، وتعريفه سوء عاقبة اللجاج ، ومغبة الإحراج ، وهو يزيد طمعاً فى الأموال وشرها ، وعَمًى فى الرأى وَعَمها ، إلى أن كاد أمرنا معه يخرج عن حدّ الانتظار ، إلى حدّ الرضى بالإصرار ، فاستأنفت ادِّراعَ الحزم ، وامتطاء العزم ، ونهضت إلى أعمال المَوْصِل وعندى أنه يغنينى عن الإتمام ، ويتلقّانى بالإعتاب وينقاد إلى المراد ، ويتجنّب طرق العناد .

(١) فى صبح الأعشى : أن يُجِدَّ به .

فحين عرف (٢٧١ ا) خبر مَسيرى ، وجِدِّى فيه وتشميرى ، برز بروز المخالف ، المكاشف ، وتجرَّدَ تجرد الـمُواقِع المُواقِف ، وهو مع ذاك إذا ازددت منه قرباً ازداد منى رعبا ، وإذا دلفت إليه ذراعا ، نكص عنى باعا.

وتوافت إلى حضرتى وجوهُ القبائل من عقيل وشيبان وغيرهما فى الجمع الكثيف من [صعاليكهما ، والعدد الكثير من] صناديدهما ، داخلين فى الطاعة ، متصرِّفين فى عوارض الخدمة .

فلما شارفتُ الحَدِيثةَ انتقضت عزائم صبره ، وتقوضت دعائم أَمره ، وبطلت أَمانيه ووساوسه ، واضمحلت خواطره وهواجسه ، واضطرب عليه من ثقاته وغلمانه من كان بهم يعتضد ، وعليهم يعتمد ، وبدأُوا بخذلانه والأَخذ لنفوسهم ، ومفارقته والطلب لحظوظهم ، وحصل منهم بحضرتى إلى هذه الغاية زهاء خمسمائة رجل ذوى خيل مختارة ، وأَسلحة شاكية ، فصادفوا عندى ما أَمَّلوا من فائض الإحسان ، وغامر الامتنان ، وذكروا عمن وراءهم من نظرائهم التَّنَزِّىَ إلى الانجذاب ، والحرص على الاستئمان ، وأَنهم يرِدون ولا يتأَخرون ، ويبادرون ولا يتلوَّمون .

ولما رأى ذلك لم يملك نفسه أنْ مضى هاربا على طريق سنجار ، منكشفا عن هذه الديار ، قانعا من تلك الآمال الخائبة ، والظنون الكاذبة ، بسلامة حُشاشة هى رهينة غيِّها ، وصريعة بغيها .

وكان انهزامه بعد أن فعل الفعل السخيف ، وكاد بالكيد الضعيف [1] ، بأن أغرق سفن الموصل وعُرُوبَها [2] ، وأحرق جسرها ، واستذمَّ [3] إلى أهلها ، وتزود منهم اللعن المُطيف به أين يَمَّم ، الكائن معه حيث خيَّم .

ودخلتُها يومى هذا — أيد الله أمير المؤمنين — دخولَ الغانم الظافر ، المستعلى الظاهر ، فسكّنتُ من نفوس سكانها ، وشرحتُ صدور قُطّانها ، وأعلمتهم ما أمرنى به أمير المؤمنين — [أدام الله عزه] ، وأعلى الله أمره — من (٢٧١ ب) تأنيس وحشتهم ، ونظم ألفتهم ، وضمِّ نَشرِهم ، ولمِّ شعثِهم ، وإجمال السيرة فيهم فى ضروب معاملاتهم وعُلَقهم ، وصنوف متصرفاتهم ومعايشهم ، وكثر منهم الثناء

(١) في صبح الأعشى : و كادنا الكيد الضعيف .

(٢) العروب نوع من السفن الرواكد كان في دجلة « هامش صبح الأعشى » .

(٣) استذَم : فعل ما يُذمُّ عليه . « هامش صبح الأعشى » .

والدعاء ، والله سامع مارفعوا ومجيب ما سألوا ، وأجلَتْ حالُ هذا الجاهل -[1] أيد الله أمير المؤمنين - عن أقبح هزيمة ، وأذل هضيمة ، وأسوإ رأى ، وأنكر إخساء[2] ، لأنه لم يلقنى لقاء الباخع بالطاعة ، المعتذر من سالف التفريط والإضاعة ، ولا لقاء المصدق لدعواه فى الاستقلال بالمقارعة ، المحقق لزعمه فى الثبات للمدافعة ؛ ولا كان فى هذين الأمرين بالبر التقى ، ولا الفاجر الغوىّ [3] ، بل جمع بين نقيصة شقاشقه وغدره ، وفضيحة جبْنه وخوره ، متنكبا للصلاح ، عادلا عن الصواب ، قد ذهب عنه الرشاد ، وضربت بينه وبينه الأسداد ، وأنزله الله منزلة مثله ممن أساء حفظ الوديعة ، وجوار الصنيعة ، واستوجب نزعهما منه ، وتحويلهما عنه ، وتأملت - أيد الله مولانا أمير المؤمنين - أمره على التجريب ، وتصفحته بالتقليب[4] ، فإذا هو الرجل الذى أطاع أبوه فيه هوى أمه ، وعصى دواعىَ رأيه وحزمه ، وقدّمه من ولده على من هو آنس

(1) فى الأصل : وأجلت حال هذا الحال .
(2) فى صبح الأعشى : وأسوأ رأى ، وأنكر اختيار .
(3) فى الأصل الفاجر القوى .
(4) فى الأصل : أمره بالتجريب ، وتصفحته على التقليب .

رشدا ، وأكبر سنا ، وأثبت جأْشا ، وأجرأ جنانا ، وأشجع قلبا ، وأوسع صدرا ، وأجْدَر بمخايل النجابة ، وشمائل اللَّبابة ، فلما اجتمعت له أسباب القدرة والثروة ، وأمكنته مناهز الغِرَّة والفرصة ، وثب عليه وثبة السِّرحان ، فى ثلة الضان ، وجزاه جزاء أُم عامر بمجيرها ، إذ فرَته بأنيابها وأظافرها ، واجتمع وأخوه من الأُم ، المرتضع معه لبان الإثم ، المكنى أبا البركات – وليس بأب لها ، ولا جَرَى[1] لشيء منها – على أن نشَزا عنه وعقَّاه ، وقبضا عليه وأوثقاه ، وأقرَّاه من قلعتهما بحيث تُقَرّ العتاة ، وتُعَاقَب الجناة ، ثم أتبعا ذلك باستحلال دمه ، وإفاضة مهجته ، غير راعييْن[2] فيه حق (٢٧٢ ا) الأُبوة ، ولا حانِيَيْنِ عليه حنو البنوة ، ولا متذمِّمَيْن من الإقدام على مثله ممن تقدمت عند سلطانه قَدَمهُ ، وتوكدت أواصره وعِصَمهُ ، ولا راحِمَيْن له من ضعف شيخوخته ، ووهل كِبْرنه[3] ولامصغييْن إلى وصية الله إياهما به ، التى نصها فى محكم كتابه ، وكررها فى آيه وبيناته إذ يقول ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[4] وإذ يقول

(١) في صبح الأعشى : ولاحريّ بشيء

(٢) في الأصل : غير راعين فيه . . . . ولا حانين .

(٣) في صبح الأعشى : وذهل كبرته .

(٤) سورة لقمان الآية ١٤

﴿ وقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ وبِالْوالِدَيْنِ إحْسَاناً إمّا يَبْلُغَنَّ عِنْدكَ الكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُمَا فلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُمَا وقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً . واخْفِضْ لَهُما جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُلْ ربِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً ﴾ (١)

فبأَى وجه يلقى الله قاتل والد حدب قد أُمر ألا ينهره ؟ وبأَى لسان ينطق يوم يسأَلُ عما استجازه فيه وفعله ؟ وتالله لو أن بمكانه عدوًّا لهما قد قارضهما الذحُول (٢) ، وقارعهما عن النفوس ، لقبح بهما أَن يَلْؤُما ذلك اللؤمَ عند الظفر به ، وأَن يركبا تلك الخطة الشنعاء فى الأَخذ بناصيته ؛ ولم يرض « فضل الله » بما أتاه إليه حتى استوفى حدود قطع الرحم ، بأَن تتبع أكابر إخوته السالكين خلاف سبيله ، المستبرئين إلى الله من عظيم ما اكتسب، ووخيم ما احتقب ، لما غضبوا لأَبيهم ، وامتعضوا من المستحل فيه وفيهم ، فقبض على محمد بن ناصر الدولة حيلة وغيلة ، وغدرا ومكيدة ، ونابذ حمدان بن ناصر الدولة منابذة خار الله له فيها ، بأَن أَصاره من فناء أَمير المؤمنين إلى الجانب العزيز ،

---

(١) سورة الإسراء الآيتان ٢٣ ، ٢٤

(٢) في الأصل : قارصهما الدخول .

والحِرْز الحريز ، وأن أجرى الله على يده الحرب الواقعة بينه وبين المعروف بكنيته أبى البركات ، التى لقّاه الله فيها نحْسَه ، وأتلف نفسه ، وصرعه بعقوقه وبغيه . وقنّعه بعاره وخزيه . ومع ذلك لا يتعظ . ولا ينزع ولا يقلع ولا يزدجر ، إصرارا على الجرائر التى الله عنها حسيبه ، وبها طَلِيبه ، والدنيا والآخرة (٢٧٢ ب) مرصدَتان له بالجزاء المحقوق عليه ، والعقاب المسبوق[1] إليه ، وأعظم من هذا كله ــ أيد الله أمير المؤمنين ــ خَطْبا ، وأوعر مسلكا ولَحْبَا ، أنّ من شرائط العهد الذى كان عهد إليه ، والعقد الذى عقد له ، والضمان المخفَّف مبلغه عنه ، المأْخوذ عفوه منه أن يتناهى فى ضبط الثغور وجهاد الروم ، وحفظ الأَطراف ، ورم الأَكناف ، فما وَفَى بشىء من ذلك ، بل عدل عنه إلى الاستئثار بالأَموال واقتطافهـا ، وإحرازها فى مكامنها وقلاعها ، والضنّ بها دون الإخراج فى وجوهها ، والوضع لها فى حقوقها ، وأن تراخى فى أمر عظيم الروم مُهملا ، واطَّرَح الفكر فيه مُغفلا ، حتى هجم فى الديار ، وأثَّر الآثار ، ونكى القلوب ، وأبكى العيون ، وصدَع الأَكباد

(١) فى صبح الأعشى : والعقاب المسوق إليه .

وأحرّ الصدور ، فما كان عنده فيه ما يكون عند المسلم القارئ لكتاب الله إذ يقول ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ والإِنْجِيلِ والْقُرْآنِ ومَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [١] بل صدف عن ذكر الله لاهيا ، وعدل عن كتابه ساهيا ، واستفسخه ذلك البيع والعقد ، وتنجّزه الوعيد لا الوعد ، ولاطف طاغية الروم وهاداه ، وأماره [٢] وأعطاه ، وصانعه بمال المسلمين الذين يلزمه ، إن سلم دينه وصح يقينه ، أن ينفقه فى مرابضهم [٣] ، ويذب به عن حريمهم ، لا أن يعكسه عن جهته ، ويلفته عن وجهه ، بالنقل إلى عدوهم ، وإدخال الوهن بذلك عليهم ، وقاد إليه من الخيل العِتاق ما هو الآن عون للكفر على الإيمان ، ونجدة للطاغية على السلطان ، وكان فيما أتحفه به الخمر التى حَظرَ الله عليه أن يشربها

(١) سورة التوبة الآية ١١١

(٢) في صبح الأعشى : وماره ، هذا وماره وأماره بمعنى واحد هو تقديم الميرة .

(٣) في صبح الأعشى : أن ينفقه في مرابطهم .

ويستميها ، وتعبّده بأن يجتنبها (٢٧٣ ا) ويجتويها ، وصلبان ذهب صاغها له وتقرب بها إليه تقربا قد باعده الله فيه عن الإصابة والأصالة ، وأدناه من الجهالة والضلالة ، حتى كأنه عامل من عماله ، أو بطريق من بطارقته .

فأما فشله عن مكافحته ، ولهجه بملاطفته ، فضد الذى أمره الله به فى قوله تعالى : ﴿ يَـأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ ولْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١) . وأما ما نقله من الخيل عن ديار المسلمين إلى ديار أعدائهم . فنقيض قوله عز وجل ﴿ وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ومِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُمْ ﴾ (٢) .

وأما إهداؤه الخمر والصلبان . فخلافٌ عليه تبارك اسمه إذ يقول ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ والْمَيْسِرُ والأَنْصَابُ والأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣) كل ذلك عنادا لرب العالمين ، وطمسا لأعلام الدين ، وضنًّا بما

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٣

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٠

(٣) سورة المائدة ٩٠

تحامى عليه من ذلك الحطام ، المجموع من الحرام ، المُثَمَّر من الآثام ،المقتطع من فىء الإسلام ، [وقد فعل الآن بى وبالعسكر التى معى ومن نضُمّ من أولياء أمير المؤمنين] (١) الذين هم إخوته وصحبه ، إن كان مؤمنا ، وأنصاره وحزبه إن كان موقنا ، من توعير المسالك وتفريق (٢) العروب ، وتضييق الأقوات ، واستهلاك الأزواد ، ليوصل إلينا الضر ، ويلحق بنا الجهد ، فِعْلَ العدو المبين ، المخالف فى الدين ، فهل يجتمع فى [أحد من المساوى – أيد الله أمير المؤمنين – ما اجتمع فى] (٣) هذا الناد العائد ، والشاذ الشارد ؟ وهل يُطمع من مثله فى حق يقضيه ، أو فرض يؤديه ، أو عهد يرعاه ، أو ذمام يحفظه ، وهو لله عاص ، ولإمامه مخالف ، ولوالده قاتل ، ولرحمه قاطع ؟ كلا والله ! بل هو الحقيق بأن تثنى إليه الأعنّة ، وتشرع نحوه الأسنة ، وتنصب له الأرصاد ، وتشحذ له السيوف الحداد ، ليقطع الله بها دابره ، ويجبّ غاربه ، ويصرعه مصرع (٤) الأثيم المُليم ، المستحق

---

(١) الزيادة من صبح الأعشى .

(٢) في صبح الأعشى : وتغريق الغروب .

(٣) الزيادة في صبح الأعشى نقلت عن مختارات رسائل الصابى أما في الأصل فساقطة وترك لها فيه فراغ صغير و كذلك كانت غير موجودة في أصول صبح الأعشى .

(٤) في الأصل : ويصرعه المصرع الأثيم .

للعذاب الأليم ، أو يفيء إلى الحق ، إفاءة الداخل فيه بعد (٢٧٣ ب) خروجه ، العائد إليه بعد مروقه ، التائب المنيب ، النازل المستقيل ، فيكون حكمه شبيها بحكم الراجع عن الرِّدَّة ، المحمول على ظاهر الشريعة ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

والحمد لله الذى هدانا لمراشدنا ، ووقف بنا على السبل المُنجية لنا ، والمقاصد المفضية إلى رضاه ، المُعِيذة [1] من سُطاه .

والحمد لله الذى أعز أمير المؤمنين بالنصر ، وأعطاه لِواء القَهْر ، وجعل أولياءه العالين الطاهرين ، وأعداءه السافلين الهابطين ، وهنَّأه اللهُ هذا الفتحَ ولا أخلاه من أشكال له تقفوه وتَتْبعه ، وأمثال تتلوه وتَشفعه ، وَاصِلاً فيها إلى ما وصل فيه إليه من حيازته مُهَنَّأً ، لم يُسفك فيه دم ، ولم ينْتهك فيه محرم ، ولم يُنَل جَهد ، ولم يَمْسَسْ نَصَب .

أنهيت إلى أمير المؤمنين ذلك ليضيف صنع الله [له] فيه ، إلى السالف من عوارفه عنده وأياديه ، وليجدِّد من

(١) في صبح الأعشى : البعيدة .

شكره جلّ وعلا ما يكون داعيا إلى الإدامة والمزيد ، مقتضيا للعون والتأييد ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثانى

مما يكتب به إلى الخلفاء أن يفتتح الكتاب بخطبة مفتتحة بالحمد لله ، وربما كرر الحمد إلى ثلاث ، ويقع ذلك فى الكتب التى تظهر فيها النعمة كالفتوح ونحوها

وهذه نسخة من ذلك[1]

كتب بها العماد الأصفهانى عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الإمام الناصر لدين الله بفتح طبريّة وعكّا وما معهما من سواحل الشام ، مصدرة بآية من كتاب الله تعالى ، وهى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ ﴾[2] .

(٢٧٤ ا) الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد ، على نصرة هذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد ، وعلى أن أجرى هذه الحسنة التى ما اشتمل على مثلها كرائم

(١) صبح الأعشى ح ٦ ص ٥١٧
(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٥

الصحائف ، ولم يجادَل عن مثلها فى المواقف . فى الأَيام الإمامية الناصرية زادها الله غررا وأَوضاحا ، ووالى البشائر إليها (١) بالفتوح غُدُوًّا ورواحا ، ومكن سيوفها فى كل مَازِق ، من كلّ كافر ومارق ، ولا أَخلاها من سِيرة سَرِيَّةٍ تجمع بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق ، وأَطال أَيدى أَوليائها لتحمى بالحقيقة حِمَى الحقائق ، وأَنجزها الحقَّ وقذف بها على الباطل الزاهق ، وملكها هوادىَ المغارب ومرامىَ المشارق ، ولا زالت آراؤها فى الظلمات مصابح ، وسيوفها للبلاد مفاتح ، وأَطراف أَسنتها لدماءِ الأَعداءِ نوازح .

والحمد لله الذى نصر [سلطان] الديوان العزيز وأَيده ، وأَظفر جنده الغالب وأَنجده ، وجلا به جلابيب الظلماء وجدد جدده ، وجعل بعد عسر يسرا ، وقد أَحدث الله بعد ذلك أَمرا ، وهون الأَمر الذى ما كان الإسلام يستطيع عليه صبرا ، وخوطب الدين بقوله ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ (٢) فالأُولى فى عصر النبي والصحابة ، والأُخرى هذه التى عَتَق فيها من رق الكآبة ، فهو قد أَصبح حُرًّا ،

(١) في صبح الأعشى : ووالى البشائر فيها . . . . .

(٢) سورة طه الآية ٣٧

فالزمان كهيئته استدار ، والحق ببهجته قد استنار .
والكفر رد ما كان عنده من المستعار ، وغُسِل ثوب الليل بما فجّر الفجر منها أنهار النهار ، وأتى الله بنيان الكفر من القواعد ، وشفى غليل صدور المؤمنين برقراق الموارد ذات البوارد[1] ، أنزل ملائكة لم تظهر للعيون اللاحظة ؛ ولم تخف عن القلوب الحافظة ، عَزّت غُزَاةُ الإسلام بِمسوّميها[2] وترادف نصره بمُرْدَفيها ، وأُخذت القرى وهى ظالمة فترى مترفيها كأَنْ لم تُرَ[3] فيها ؛ فكم أقدم بها حيزوم ، وركض فأتبعه (٢٧٤ ب) سحابُ عجاجٍ مَرْكُوم ؛ وضرب فإذا ضربه كتابُ جراحٍ مرقوم ، وإلا فإن الحروب إنما عقدت سجالا ، وإنما جمعت رجالا ، وإنما دعت خفافا وثقالا ، فإما سيوف تقاتل سيوفا ، أو زحوف تقاتل زحوفا ، فيكون حد الحديد بيد مذكرا ويد مؤنثا ، وهو أن السيف فى اليد الموحِّدة ، يغنى بالضربة الموحَّدة ، وفى اليد المثلِّثة لا يُغنى بالضرب مثلَّثا ، وذلك أنه فى فئتين التقتا ، وعدوتين لغير مودة اعتنقتا ، وإن هذه النصرة

(١) في صبح الأعشى : برقراق ماء الموردات البوارد .
(٢) في صبح الأعشى : عزت سيما الاسلام بمسوّمها .
(٣) في صبح الأعشى : فترى مترفيها كأن لم تَوَ فيها .

إن رويت عن ملائكة الله فما جحدت كراماتهم ، وإن رويت عن البشر فقد عرفت قبلها مقاماتهم . فما كان سيف يتمَيط من جفنه قبل أن ينبه الصريخ . ولا كان ضرب يُطير الهامَ قبل ضرب يراه الناظر ويسمع المُصيخ ، فكم ضربة [1] كأنها هجره الموت وبها التاريخ ، وكم طعنة تخرّ لها هِضاب الحديد وهى [2] شماريخ .

والحمد لله الذى أعاد الإسلام جديدا ثوبه ، حديدا حبله ، مبيضًّا نصره . مخضرًّا نصله ، متسعا فضله . مجتمعا شمله . والخادم يشرح من نبــإ هذا الفتح العظيم ، والنصر الكريم ، ما يشرح صدور المؤمنين ، ويمنح الحبور لكافة المسلمين ، ويكرر البشرى بما أنعم الله به – من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر إلى يوم الخميس منسلخه – وتلك سبع ليال وثمانية أيام حُسُوما سخرها الله على الكفار ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [3] ورايتها إلى الإسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باكية ، فيوم الخميس الأول فتحت

---

(١) في صبح الأعشى : فكم قرية كأنها . . . . .

(٢) في صبح الأعشى : ولها شماريخ . وفي الأصل وكم طعنة تجر .

(٣) سورة الحاقة الآية ٧

طبرية وفاض رِى النصر من بُحيرتهـ ، ووقفت على جَسْرِها الفرنجُ بقلقها وَحَيْرَتِها[1] ،وفى يوم الجمعة والسبت كُسِر الفرنج الكسرة التى مالهم بعدها قائمة ، وأَخذ الله أعداءه بأَيدى أوليائه أَخْذَ القرى وهى ظالمة ، وفى الخميس منسلخ الشهر فُتحت عكَّا بالأَمان ، وأُقيمت بها أَعلام الإِيمان ، (٢٧٥ ا) وهى أُم البلاد ، وأُختِ إِرم ذات العماد ، وأَصبحت كأَن لم تَغْنَ بالكفر ولم تفتقر من الإِسلام ، إِذ بلغ المسلمون من أَعدائهم المراد .[2]

وقد أَصدر هذه المطالعة وصليب الصَّلبُوت مأْسورٌ ، وقلب ملك الكفر الأَسير جيشُه المكسورُ مكسور ،. والحـديد الكافر الذى كان فى يد الكفر يضرب وجه الإِسلام ، قد صار حديداً مسلما يفرق خطوات الكفرعنالإقدام ، وأَنصار الصلبوت وكباره ، وكـل مَن المعموديةُ عُمْدته والدير داره ، قد أَحاطت به يد القبضة ، وأُخذ رهنا فلا تقبل فيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وطَبَرِيَّة قد رُفعت أَعلام الإِسلام عليها ، ونكصت من عَكَّا مِلَّة الكفرِ على عقبيها ، وعُمِّرت إِلى أَن شهدت يوم الإِسلام وهو خير

(١) في صبح الأعشى : وقفت على جسرها الفرنج فقضت نحبها بحيرتها .

(٢) جملة : « إذ بلغ ... » ليست في صبح الأعشى

يوميها ، بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير ، وقد غُسل من بلاد الإسلام بدماءِ الشرك ما كان يتخلَّلها فلا ضرر ولا ضَير ، وقد صارت البِيَع مساجدَ [1] بها من آمن بالله واليوم الآخر ، وصارت المناجِر مواقفَ لخطباء المنابر ، واهتزت أَرضها لوقوف المسلمين فيها وطالما ارتجّت لموقف الكافر ، والبأْس الإمامىّ الناصرىّ قد أَمضى فتكاته على يد الخادم حتى بالدمى [2] فى الكنائس ، وإن عِزَّ أَول الإسلام بِحَطِّ تاج فارس [3] ، فكم حطت سيوفه فى هذا اليوم من تاج فارس .

فأَما القتلى والأُسارَى فإنها تزيد على ثلاثين أَلفا .

وأَما فرسان الداوِيّة [4] والاستبارية فقد أَمضى حكم الله فيهم وقطع بهم سيوف نار الجحيم ، ووصَّل الراحل منهم إلى الشقاء المُقيم ، وقتل بابرنس كافر الكفار [5] [ومشيد النار ، من يده فى الإسلام كما كانت يد الكليم ،] [6]

(١) في صبح الأعشى : مساجدهم بها .
(٢) في صبح الأعشى : قد أمضى مشكاته على يد الخادم حتى بالدّنىّ في الكنائس .
(٣) في صبح الأعشى : بحط تاريخ فارس .
(٤) في صبح الاعشى : و أما فرسان الديوية .
(٥) في صبح الأعشى : وفتك بافرنس كافر الكفار .
(٦) الزيادة من صبح الأعشى .

وعجل بجسده إلى السيف . وبروحه الخبيثة إلى النار[1]
وافترت النصرة عن ثغر عكا بحمد الله الذى يَسَّرَ فتحَها .
وتسلّمنها الملّة الإسلامية بالأَمان وعَرَفت فى هذه الصفقة
ربْحَها . وأما طبرية فاقتسرتها[2] يد الحرب فأَنْهَرَت
الحربُ جُرْحَها .

فالحمد لله حمدا لا تُضْرَب عليه (٢٧٥ ب) الحدود ،
ولا تُزَكَّى بأَزكى منه العقود ، وكأَنه بالبيت المقدس وقد
دَنَا الأَقصى من أَقصاه ، وبلَّغ الله فيه الأَمل الذى علم أَن
لن يُحْصِيَه وأَحاط بأَجلِّه وأَقصاه[3] : لكل أَجل كتاب ،
وأَجلُ العدوِّ هذه الكتائب الجامعة : ولكل عمل ثواب ،
وثواب من جُزِى بطاعته[4] جنات نعيمه الواسعة ، والله المشكور
على ما وهب ، والمسئول فى إدامة ما استيقظ من حَدِّ الإِسلام
وهبّ .

وقد توجه من جانبه الأَمير رشيد الدين دام تأْييده
فى إهداء هذه البشرى نيابة عن الخادم ، ووصف ما يسَّره

---

(١) جملة « وعجل بجسده . . . . . . إلى النار » غير موجودة في صبح الأعشى .

(٢) في صبح الأعشى : فافترتها .

(٣) في صبح الأعشى : الذى علم أن يحصيه .

(٤) في صبح الأعشى : وثواب من هدى بطاعته . . . . . .

الله لأوليائه من العزائم[1] ، والبلاد والمعاقل التى فُتِحت هى :

« طَبَرِيَّة ، عكا ، الناصرة ، صَفُّورية ، قَيْسَارِيّة ، نابُلُس ، حَيْفَا ، مَعْلَيَا ، القزلة ، الطُّور ، الشَّقِيف » وقلاعٌ بين هذه كثيرة . والولدُ المظَفَّرُ تقيٌّ الدين بصُور وحِصنِ تِبْنِين . والأخ العادل سيفُ الدين نصره الله قد أرْكب بالوصول[2] مَنْ عنده من العساكر ، فنزل فى طريقه على غَزَّة وعَسْقلان ، ويُجهِّز مراكب الأُصطول المنصور فيكثر عددها ، ويُسَيِّرها إلى ثغر عكّا المحروس ويشحنها بالرجال ، ويوفر سلاحها وعُدَدها ، والنهوض إلى القدس فهذا أوان فتحه ، ولقد دام عليه ليل الضلال ، وقد آن أن يستقر فيه الهدى مشكور الإحسان ، إن شاء الله تعالى .

الأُسلوب الثالث ، مما يكتب للخلفاء أن يفتتح الكتاب بالتصلية على الخليفة على مذهب من يُجَوِّز من الفقهاء الصلاةَ على غير الأَنبياء عليهم السلام إلا بطريق التبعية .

---

(١) في الأصل ووصف بالنصرة لأوليائه

(٢) في صبح الأعشى : قد أوفت (؟) بالوصول مِنْ عنده مَنْ عندى من العساكر.

وهذه نسخة كتاب من ذلك [1]

كتب به القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى عن السلطان صلاح الدين (١ ٢٧٦) يوسف بن أيوب أيضا فى البشرى بفتح بلد من بلاد النُّوبة وانهزام ملكها بعساكره وهى :

صلوات الله التى أعدَّها لأَوليائه وذَخَرها ، وتحيــاته التى قذف بشهبها شياطين أَعدائه ودَحَرها ، وبركاته التى دعا بها كلُّ موحد فأَجاب ، وانقشع بها غمام الغم وظلام الظلم فانْجابَ عن أنجاب ، وزكاته [2] التى هى للمؤمنين سَكَن ، وسلامه الذى لا يعترى الموقنين فى ترديده حَصَرٌ ولاَ لكَن ، على مولانا أمير المؤمنين عاقد ألوية الإيمان ، وصاحب دَوْر الزمان ، وساحب ذيل الإحسان ، وغالب حزب الشيطان ، الذى زلزلت إمامتُه قدمَ الباطل ، وحلَّت خلافتُه ترائبَ الدهر العاطل ، واقتضَت سيوفُه ديونَ الدِّين من كل غريم ماطل ، وأَمضتْ غَرْب كلّ عزم للحق مفلول وأَطلعت غارب [3] كل نجم آفل ، وشفعت يقظات استغفاره

(١) صبح الأعشى حـ ٦ ص ٥١٢

(٢) فى الأصل وبركاته .

(٣) فى الأصل : وأطلقت غارب كل هدى .

إلى غافر ذنب كلّ غافل ، وعلى آبائه الغايةِ والمفزع .
والملاذ فى وقت الفزع ، والقائمين بحقوق الله إذ قعد الناس ،
والحاكمين بعدل الله إذ عُدِم القِسْطاس ، والمستضيئين
بأنوار الإلهام المؤرَّثة من الوحى إذا عجز الاقتباس ،
والصابرين فى البأساء والضراء وحين الباس ، خُزّانِ الحِكَم
وحفاظها ، ومعانى النِّعَم وألفاظها ، وأعلام العلوم المنشورة
إلى يوم القيامة ، وكالِئى السُّروح المنتشرة من كلاءته
بيد الإمامة ، ومن لا ينفُذُ سهم عمل إلا إذا شُحِن[1] بموالاتهم ،
ولا يتألّق صبح هداية إلا إذا استصبح السارى بدلالاتهم .

المملوك يقبل الأَرض بمطالع الشرف ومنازله ، ومرابع
المجد ومعاقله ، ومحابس الجود ، ومحالّ السجود ، ومختلف
أنباء الرحمة المنزّلة ، ومرسى أطواد البسيطة المتزلزلة ،
ومُفترِّ مباسم الإمامة ، ومَجَرّ مَسَاحِب الكرامة ، ومكان
جنوح أجنحة الملائك ، ومُشتجر مناسك المناسك ،
حيث يدخلون (٢٧٦ ب) من كل باب مُسلِّمين ، وتتبعهم
ملوك[3] الأَرض مُستسلمين ، ومشاهد الإسلام كيوم أُنزل فيه :

---

(١) في صبح الأعشى : شحذ .

(٢) في صبح الأعشى : ومجالس .

(٣) في الأصل : ملائكة .

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [1] . وينعقد على الولاية فأما غيره فله قوله ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ﴾ [2] ويناجيها بلسان جلّى الإخلاص الصادق عقيدته ، ونَشَّط الولاء السابق عقيلته ، وأرهف الإيمان الناصح مضاربه ، وفَسَّحَ المعتَقَدُ الناصح مذاهبَه ، فأعرب عن خاطر لم يخطُر فيه لغير الولاء خَطْرة ، وقلبٍ أعانه على ورد الولاء صفاءُ [3] المصافاة فيه فِطْرة ، ويُخبر [أَنه ما وهنَ] عما أَوجبته آلاؤه ولا وَهىَ ، ولا انثنى عزمه عن أن يقف حيث أَظلّت سِدرةُ المُنتهى ووضحت الآياتُ لأُولى النهى ، والله سبحانه يزيل عنه فى شرف المثول عوائقَ القدر وموانِعه ، ويكشف له عن قناع الأَنوار التى ليست هِمتُّهُ مما دون نظرها قانعة ، وكان توجّه منصورا بجيش دعائه ، قبل جيش لوائه ، وبعسكر إقباله ، قبل عسكر قتاله ، وبنصال سلطانه ، قبل نِصَال أَجفانه ، لا جرم أَنَّ كتائب الرعب سارت أَمام الكتائب ، وقواضبَ الحذر غُمِّضَت فى جفونها عُيونُ القواضب ، وسار أَولياءُ أَمير المؤمنين الذين تجمعوا من كل أُمة ، وتداعوا بلسان النعمة ، وتصرفوا بيد الخدمة ، وصالوا بسيف العزمة ،

(١) سورة المائدة الآية ٣
(٢) سورة التوبة الآية ١٢٣
(٣) أضيف في صبح الأعشى من المحققين : الولاء [أن] صفاء .

متواخية نياتهم فى الإقدام ، متألفة طوياتهم فى طاعة الإمام . كالبنيان المرصوص انتظاما ، وكالغاب المُشْجِر أعلاما ، وكالنهار الساطع حديدا وهَّاجا . وكالليل السابل[1] عَجَاجا عَجَّاجا . وكالنهر المتدافع أصحابا ، وكالمُشْط المُطَّرد اصطحابا ، والأرض تَرْحَل بِرَحْلهم لما ترفعه الحوافر من غيومها . والسماء تَنْزِل بنزولهم لما تضعه الذوابل من نجومها . فما انتشرت رياضها المزهرة . وغياضها المُشجرة ، إلا دلَّت على أن السحاب الذى سقاهم كريم . والإنعام الذى غمَرهم عظيم . والدنيا التى وسعتهم من عزمتهم تَظْعَن وتُقيم . (٢٧٧ ا) ولما علم العدوُّ أن الخطب المظنون قد صرّح خِطَابه . والأمل المخدوع قد صَفِر وِطابه ، راسلَ ورأى سَلَّ السيوف يُغْمِدُه ، ومَا كَر وما كَرَّ لعلمه أن الحتف يَعْمِدُه ، واندفع هاربا هائبا ، وخضع كائبا كاذبا ،فمضى المملوك قُدُما ، وحمَّله ظُلْمَه ﴿ وقد خاب من حمل ظلْما ﴾ [3] وأجابه بأنه إن وطئ البساط برجله وإلا وطئه برأسه ، وإن قدم على المملوك بأمله وإلا أقدمه ببأسه[2] ، وإن لم يُظهر أثر التوبة وإلاَّ أَقام عليه الحدَّ بسكرة الموت من كأسه ، فلم

---

(١) في صبح الأعشى : الشامل .
(٢) في الأصل : أقدر .
(٣) سورة طه الآية ١١١

يخرج من مراوغة تحتها مُغاورة ، ومُكاسرة وراءها مكاشرة فاستخار الله فى طَلَبِه ، وانتهز فيه فرصة شغل قبه بِرِيَبِه ، ولم يَغُرّه ما أُمْلِى له فى البلاد من تَقَلُّبه ، وسار ولم يزل مُقتحما ، وتقدمّ أول العسكر مُحتَدِما ، وإذا الدار قد ترحَّل منها أهلها فبانوا ، وظعنوا عن ساحتها فكأَنهم ما كانوا ، ولم يبق إلا مواقد نيران رَحَلت قلوبهم بضرامها [وَأَثافِىّ دُهْم أَعجلت المهابةُ ما رَدَّ سَغَبهم عن طعامها] وغِربان بَيْنٍ كأَنها فى الديار ما قُطع من رؤوس بنى حَامِها ، وعوَافِى طيرٍ كانت تنتظر من أَشلائهم فِطْر صيامِها ، وعادت الرسل المُنَفَّذةُ لاقتفاء آثارهم وأَداء أَخبارهم ، ذاكرة أَنهم لَبِسوا الليل حِدَادا على النعمة التى خُلعت ، وغسَلُوا بماء الصبح أَطماع نفس كانت قد تطلّعت ، وأَنهم طلعوا الأَوعارَ أَوعالا ، والعِقَاب عِقْبانا ، وكانوا لمَهابط الأَودية سيولا ولأَعالى الشجر قضبانا .

فرأَى المملوك أَن الكتاب فيهم قد بلغ أَجَله ، والعزم منهم قد نال أَمله ، والفتك بهم قد أَعمل مُنْصُلَه ، وأَن سيوف عساكر أَمير المؤمنين منزّهة عن أَن تُرِيق إلاَّ دماء أَكفائِها من الأَبطال ، وأَن تَلْقَى إلاَّ وجوهَ أَنظارها من الرّجال ، وأَن المذكورين

نمْلُ حطمه سليمانُ عليه السلام وجنوده ، وَرمْل أطارَه العاصفُ الذى يُسْحِفُهُ[1] ويقوده ، وأصدرهذه الخدمة والبلادُ من بُعُوثهم[2] عارية ، والكلمة بانخفاضهم [غالية] عالية ، ويد الله على أعدائه عادية ، وأنفُس المخاذيل فى وثاق (٢٧٧ ب) مهابته العالية عانية ، ورأى المملوك أن يرتّب بعده الأميرَ فلاناً ليبذُل الأمانات لسوقة أهل البلاد ومزارعيها ، ويَفْصِل المحاكمات بين متابعى السلطنة ومطاوعيها ، ويُفَسِّح مجال الإحسان لمعاودى المواطن[3] ومُرَاجعيها ، فيعمُرَ من البلاد ما قد شَغَر ، ويشعر بالأَمنة مَنْ لا شَعَر ، فإنَّ مُقَام المملوك ومن معه من عساكر تمنع الشمس من مطلعها ، وتردُّ جِرْية البحر عن موقعها ، مما يضُرُّ بالغلال ويَنْسِفها ، ويُجحف بالرعايا ويَعْسِفها .

فالحمد لله الذى جعل النصر لائِذًا بِأعطاف اعتزامه ، وأنامِل الرعب السائر إلى الأعداءِ محرِّكةً عَذَبات أعلامه ، والعساكر المناضلة بسلاح ولائه ، تغنى بأسمائها عن

(١) يسحفه يذهب به : أسحفت الريح السحاب وسحفته ذهبت به ، وفي الأصل : يستحفه .

(٢) في صبح الأعشى : معرتهم .

(٣) في الأصل : الوطن .

مرهفاتها ، والكتائب المقاتلة بشعار علائه[1] ، تقرأ كتب النصر من حماتها . إن شاء الله تعالى [2] .

الأُسلوب الرابع

مما يكتب به إلى الخلفاء أن يفتتح الكتاب بالسلام على الخليفة ، قال ابنُ شيث فى « معالم الكتابة » وعليه العمل فى زماننا ، وكان فى أَواخر الدولة الأَيوبية .

وهذه نسخة كتاب من ذلك [3]

كتب به القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين إلى الخليفة ببغداد يعتذر فيه عن تأْخير الكتب ، ويذكر خبر صاحب قسطنطينية وصاحب صقلية من ملوك النصرانية من الروم والفرنج وهى :

سلام الله الأَطيب ، وبركاته التى يستدرّها الحُضَّر والغُيَّب ، وزَكواته التى ترفع أَولياءه إلى الدَّرَج ، ونعمه التى لم تجعَلْ على أَهل الطاعة فى الدين من حَرَج ، على مولانا سيد الخلق ، وسَادِّ

(١) في الأصل : أعلامه .

(٢) هذه الجملة غير موجودة في صبح الأعشى .

(٣) صبح الأعشى ج ٦ : ٥١٥

الخَرْق ، ومُسدِّد أَهل الحَق ، ولابس الشعار الأَطهر سوادا ، ومستحق الطاعة التى أَسعد الله (٢٧٨ ا) من خصه بها [بَدْءًا ومعادا] ، ومولى الأُمة الذى تشابه يوم نداه وبأْسه إن ركض جُودًا أَو جوادا ، وواحد الدهر الذى لايُثَنَّى ، وإليه القلوب تُثْنَى ، ولا يقبل الله جمعا لا يكون بولائه جمع سلامة لا جمع تكسير ، ولا استقبال قبلة ممن لا تكون محبته فى قلبه تقيم واسمه فى عمله إلى الله يسير ، مولانا أَمير المؤمنين ، وعلى آبائه المالئى الأَرض عدلا ، المِلاء أَهلا[1] فضلا ، والضاربين فَيْصلا والقائلين فصْلا ، ومن تقول الجنة لأَهلها بهم أَهلا ، المخصوصين بالعناية الإلهية ، الحاكمين فكلُّ أُمة بطاعتهم مأْمورة وعن معصيتهم منْهِيّة ، والمشرِّفى الأَسارير على أَسِرَّة الشرف فكم ملأَت البَهْوَ مناظرهم البَهِيّة .

المملوك يخدم الحرم الشريف باحترامه ، والفناء الكريم بإعظامه ، والبساط المُقَبَّل بطول استلامه ، والسِّتر الذى أَسبله الله على العباد بتحيته وسلامه . ويُنْهِى أَنه آخِر الخَدَم عن أَن ينتظم الأَوقاتَ المُتجدِّدة ، ويقتضب الحالات

(١) فى الأصل : المملبى أهلها .

المتجرِّدة ، والرسلِ عن أن تتوارد دِرَاكا ، وتتوالَى وِشاكا ، والإنهاءات عن أن تثبت بالمقامات الشريفة النبوية ، ومجالس العَرْض العلية ، ما انتهت إليه الأقدار ؛ وما أفضى إليه من كثير المناجح وقليل الأعذار ؛ فإن أدب الأمساك[1] عن المطالعة كالصوم لا يُفَضُّ ختامه ، ولا يُحلُّ نِظامه ، إلا بُعَيْدَ يَطْلُع هلاله مُبشِّرا ، ويُبَثُّ خبره فى الآفاق مُعطِّرا ، فلو أن متكلّفا أفطر قبل موعده ؛ وورد الماء قبل مورده ، لكان مُفسدا لعقده ، نا كثا لعهده .

كذلك المملوك أمسك حين كانت الأخبار بجانبه مُشتبهة ؛ والحقائق لديه غير مُتوجِّهة ، فإنَّ طاغيتَىِ الكفر بقُسطنطينية وصِقِلِّية كانا قد أوقدا للحرب نارا ؛ ورفعا لها أوزارا ؛ واتخذا لها أسطولا جاريا وعسكرا جرّارا ، وتبارَيَا ولم يزد الله الظالمين إلاَّتبَارا ، وكَتَبا إلى الفرنج بعد انهزامهم بالنجدة والنُّصْرة ، وتضمَّنا لهم الخروج والكَرَّة ، ويَصفان (٢٧٨ ب) ما استعدَّا به بمالا يعبّر إلا بالكثرة ، واستطارت الشناعة وتداولتها الألسن ، وخرجت من الأفواه حتى لقد كادت تدخل فيما رأته الأعين ، وورد إلى المملوك رسُول

(١) في صبح الأعشى : أدب الأمالى .

من طاغية القسطنطينية وهو أقدم ملوك النصرانية قَدَما ، وأكثرهم مالاً مُنْتَمى ، يعرض عليه مُوادَعة يكون بها عسكرُهُ مُودَعا ، ويكون له بها مَفْزَعا ، ولصاحب صِقِلِّيَّة الذى زعم أنه أصْلٌ للشرِّ يكون الشرُّ منه مُفَرَّعا ، فلم يَهِنْ ولم يُجب إلى السلم ، ولم يَزَعْه أن عسكره خذله الله مُبَارٌ فى البَرِّ وفى اليَمّ . إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الخامس

مما يكتب به إلى الخلفاء أن تُفتتح المكاتبة بالدعاء بشيء من متعلقات الخلافة فى الجملة .

وهذه نسخة [1] كتاب من ذلك

كُتب به إلى ديوان الخلافة ببغداد عن بعض ملوك بنى أيوب [2] اعتذارا عن التقصير فى وصف إنعام صدر له عن الخليفة ، وهو :

أسعد الله عظماء الأملاك بالانتساب إلى الخدمة الشريفة النبوية ، وأوزعهم ما أمرهم به من طاعتها . وخلّد مُلْك

(١) صبح الأعشى جـ ٦ ص ٥٠٤

(٢) في صبح الأعشى : كتب به القاضى الفاضل عن الملك الناصر صلاح الدين .

الديوان العزيز النبوىّ ما دامت الأَفلاك قائمة . والنجوم ناجمة ، ونقَع بغمائمها غُلَل الآمال الحائمة ، وفسَّر بمكارمها حُلُم الأَمانىِّ الحالمة ، ورَتق بتدبيراتها المعصومة فُتوق النُّوَب المتعاظمة ، وأَظهر على أَيدى أَوليائها معجزات نَصْرِها ، وصرَّف الأَيام والليالى بين المرضيَّين لله نَهْيِها وأَمرِها ، وأَودع بركات السماء والأَرض بمُودَعها ومستقرِّها .

المملوك وإن كان قد يسَّر الله له ـ مذ أُطلقت عذَبَةُ لسانه ـ خدمةَ الدولة العباسية ، فتفسَّح فى وسيع مآثرها ، وتخيَّر من بديع جواهرها ، وامْتَاح من نَمِير زواخرها ، فإنه لا يعتذر عن الحَصَر الذى اعتراه فى وَصْف المُنعَم عليه به من الخطاب الشريف ، الذى (٢٧٩ ا) لولا أَن عِصْمة الموالاة تُثبِّت قلبه[١] الخافق ، وتُسدِّد لسانه الناطق ، لَمَا تعاطَى وصفَ ما أَعطاه من كتابه المرقوم ، وسبق إليه من سحابه المركوم ، فإنه مما يشفُّ عنه الأَمل ناكصا وهو كَسِير ، وَينقلب دونه البصر خاسئا وهو حَسير ، إلا أَن الإِنعام الشريف يبدأُ الأَولياء بما لو وكَلَهم إلى أَمانِيِّهم لتهيَّبتْ أَن تتعاطى خُطبته ، ولو فوَّضه إلى طلبتهم لنكلت

---

(١) في الأصل : ولاه .

عن أن تترقى هَضْبته[1] ، ولا غرو أن للسحاب أن يصافح قطرُه الثَّرى ، وللفجر أن يشرق على غير[2] الكرى والسرى .

فالحمد لله الذى قرَّبَ على المملوك منال الآمال ، وثبت قوى[3] فؤاده لما لا تستقلّ بحمله صُمُّ الجبال ، ويستنيب عن جهر الشكر بسِرّ الأَدعية ، ويقتصر على ما يُفضى به إلى المحاريب وإن لم يقصر عما يفيضه[4] فى الأَندية ، ويطالع بأَن مملوكَ الخدمةِ وابن مملوكها أخذ الكتاب بقوة ، وشمَّر لخدمته تشمير خلافة لا تشهير بنوة[5] ، وتلقاه تلَقِّىَ أَبيه الأَوَّلِ الكلمات ، ورأى إطلاع اللهِ لأَمير المؤمنين على ما فى ضميره من طاعته إحدى المعجزات والكرامات ، وسمع المشافهة خاشعا متصدّعا ، واشتمل عليها بفهمه ساميا طرفه متطلعا .

ولقد أَشبه هذا الكتاب الكريم بيعة أُخذت عليه ، مد لها يده آخذا بكلتا يديه[6] .

(١) في صبح الأعشى : ...أنت تتعاطى حظيته ، ولو فوضه إلى راحتهم لنكلت عن أن تترقى نصيته .

(٢) في صبح الأعشى أن يشرق نوره على عين الكرى والسرى .

(٣) في صبح الأعشى : وثبت حصاة .

(٤) في صبح الأعشى : عما يقصه .

(٥) كذا في الأصل . وفي صبح الأعشى : وشمر لخدمة أشرف خلافة لأشرف نبوة .

(٦) في الأصل : بكلتى يديه .

والمملوك يرجو بل يتحقق أن هذا العبد المشار إليه سَيُوفِى على سابقه من عبيد الدولة العباسية فى الزمان ، ويكون بمشيئة الله أسبق منهم بالإحسان .

وقد صدرت خِدمتان من جهته وبعدهما تصدُرُ الخِدَم ، ولا يَأْلُو جَهْدا فى الخدمتين مباشرا بيده السيف مستنيبا عنها للقلم (١) ، وله نُصرة باقية فى الولاء وهو غَنِىٌّ عن النظير (٢) ، وسريرة بادية فى الطاعة هو إليها أسكن منه إلى كلّ مشير .

يعود المملوك إلى ما [لا] يزال يفتتح به الصلوات المفروضة ، ويختتم به الخَتَمات المعروضة ، من الدعاء الصالح الذى إن أغنى الله وَلِيَّهُ عنه فقد أحوج ذوى العقائد (٢٧٩ ب) السليمة إليه ، لأنه مُزَكٍّ لأعمالهم ، بل متمّم لإسلامهم ، وكيف لا يَدْعُون لِمَن يُدْعَوْنَ به يوم يُدْعَى كُلُّ أُناس بإمامهم .

فيقول : جمع الله لأمير المؤمنين طاعة خلقه ، وأذل رقاب الباطل بسيف حقه ، وجعل الله ما هو قبضتُه فى

---

(١) في صبح الأعشى : ومستنيبا عنها العلم .

(٢) في صبح الأعشى : النصير .

الأخرى قبضةَ أَمير المؤمنين فى الأُولى من الأرض التى هى موطوءة كالسماءِ ذات العُلا ، وأدام نعمه على هذه الأُمة بإمامته ، وأَظهر كرامة نبيه عليه السلام بما يُظاهره من كرامته ؛ وعجّل لمن لا يقوم بفرض ولائه[1] إقامة قيامته ، وردّ بسيوفه التى لا تُردُّ ما الإسلام ممطول به من ظُلامته ، وأَقام به مناهج الدين لأَهله ، وأَظهره بمظاهرته على الدِّين كلِّه ، حتى يلقى الله وما خلَّف فى الدنيـــا كافرا ، ولا ضميرا إلا بالتوحيد عامرا ، ولا بلدا إلا وقد بات بالإسلام آهلا ؛ وقد أَصبح منه الكفر داثِرا [2].

الأُسلوب السادس

أَن يفتتح الكتاب بالدعاء لديوان الخلافة ، وعليه الاصطلاح الآن ، قال فى « التعريف » وكان سببُ مخاطبتهم الديوان الخضعانَ عن مخاطبة الخليفة .

ورسمه[3] على ما ذكره المقر الشهابى بن فضل الله فى كتابه « التعريف بالمصطلح الشريف » أَن يقال : أَدام الله أَيام

(١) في صبح الأعشى : ولايته .

(٢) بعده في صبح الأعشى : إن شاء الله تعالى .

(٣) انظر صبح الأعشى جـ ٧ ص١١٩

الديوان العزيز المولوىّ السيدىّ الإمامى الفلانىّ ، ثم يؤتى بالدعاء المعطوف ، والصدر بالتعظيم المألوف ، وقد يفتتح بغير هذا الدعاء ، مثل : أدام الله سلطان الديوان العزيز ، وخلد الله سلطان الديوان العزيز ، أو أيام الديوان العزيز ، وما أشبه ذلك مما يقتضى العز والدوام .

والصدر نحو : العبد ، أو المملوك ، أو الخادم ، يقبِّل الأرض أو العتبات أو مواطئ المواقف ، أو غير ذلك .

ويختم الكتاب تارة بالدعاء ، وتارة : بـ « طالَعَ » ، أو « أنهى » أو غيرهما مما فيه معنى الإنهاء ؛ ويخاطب الخليفة (٢٨٠ ا) فى أثناء الكتاب بالديوان العزيز ، وبالمواقف المقدّسة أو المشرفة ، والأبواب الشريفة ، والباب العزيز ، والمقام الأشرف ، والجانب الأعلى أو الشريف ، وبأمير المؤمنين ، مجرَّدة عن سيدنا ومولانا ، ومرة غير مجرّدة ، مع مراعاة المناسبة والتسديد والمقاربة .

وأما خطاب المكتوب عنه فاختلف بحسب من كُتِب [عنه] ، فكتَبَ بعض ملوك بنى أيوب بالديار المصرية والممالك الشامية : الخادم ، وبعضهم : المملوك ، وبعضهم

العبد ، وبعضهم : أَقل المماليك ، وبعضهم : أَقل العبيد .
وكان علاء الدين خُوارزم شاه صاحب خُوارزم وما معها يكتب : الخادم المِطْواع ، وتبعه ابنه جلال الدين على ذلك ، وكانت أُمُّ جلال الدين تكتب : الأَمَة الداعيـة . قال فى « التعريف » : والملوك والسوقة فى ذلك لا تختلف .

وهذه نسخة كتاب من ذلك[1]

كتب به المقَرُّ الشهابىّ بن فضل الله ، إلى الحاكم بأَمر الله أَبى العباس أَحمد بن المستكفى بالله أَبى الربيع سليمان ، أَحد الخلفاء العباسية بالديار المصرية ، عن رماة البندق بالشام جوابا عما ورد عليه من كتابهم ، وهو يومئذ الحاكم فى رماية البندق فى أَمر نـاصر الدين بن الحِمْصىّ [2] أَحد الرماة . وهى :

أَدام الله تعالى أَيام الديوان العزيز المولوىّ السيدىّ النبوىّ الإِمامىّ الحاكمىّ ، ونصر به جَمْع الإِيمان ، وبشر بأَيامه الزمان ، ومتّعه بالملك الذى لا ينبغى لأَحد من بعده بما ورثه من سليمان .

---

(١) صبح الأعشى ج ٧ ص ١٣٠

(٢) يكتب في الأصل دائما : « الحمص » وأثبت ما في صبح الأعشى .

ولا زال يخضع لمقامه كل جليل ، ويُعرف لأَيامه كلُّ وجه جميل ، ، ويعترف لشرفه كلُّ معترف بالتفضيل ، ولا كان إلاَّ كرمه المأْمول ، ودعاؤه المقبول ، وعدوّه المصروع ووليه المحمول ، ولا برحت طاعته يُعقد عليها كلُّ جمع ، (٢٨٠ ب) ومراسمه يُنصِت إليها كل سَمْع ، وطوائف الذين كذبوا عليه لا تتلى عليهم آياته إلاَّ تَولَّوْا وأَعينهم تفيض من الدمْع .

المماليك يقبِّلون الأَرض بالأَبواب العالية التى هى خُطَّة شرفهم ، ومكان تعبد القدماء منهم ومن سَلَفِهم ، ويلوذون بذلك المقام ، ويعوذون بذلك الحرَم الذى لا يبعُد نسبه من البيت الحرام ، ويؤمّلون ذلك الكرم الذى ما منهم إلا من سَعِد به طائره ، وجاءته به فى وجه الصباح أَشائره[1] ، وفى وجه العِشاء بشائره ، فنالوا به أَقصى المرام ، وقضوا به من العمر ما إذا قالوا يا سعْدُ لا يعنون به إلا ذلك الإِمام ، وينتهون إلى ما ورد به المرسوم الشريف الذى ما من المماليك إلا مَنْ مَتَّ إليه بقديم عبودِيَّته ورِقِّه ، وسارع إلى طائره الميمون وحماه[2] بسبقه ، وفتح له عينه وظن أَنه حالم[3] ،

(١) أشائره لعلها جمع إشارة أى إشاراته .
(٢) في صبح الأعشى : وحمله .
(٣) في الأصل : حايم وفي صبح الأعشى : حاكم .

وامتثلوا أَمره وكيف لا تمتثل الرُّماة أَمر الحاكم ، ولا سيما ابنُ عم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام الحاكم ، وأَجلُّوه عن رفعه إلى العين إذ كانت تلك منزلة الحاجب[1] ، وقدموا إليه خفوق قلوبهم الطائرة وما علموا أَنْ كانوا قاموا بالواجب ، ووقفوا على أَحكام حاكمه فما شَكُّوا أَن زمان هذا الفَنّ بزمان ناصره[2] فى بغداد قد عاد ، وأَن مثاله المتمثِّل فى سواد الحدق مما حكَتْه أَيامه العباسية من شِعار السواد ، وعلموا ما رسم به فى معنى محمد بن الحمصىّ الذى ما نَوَّرت الليلةَ الظلماء أَكاريخُه ، ولا بعُدت فى الإقعاد له تواريخُه ، بل أَخمدت دموع ندمه نيرانَه المشتعلة ، وأَصبح به لا يحمل القوس فى يده إلا أَنه مَشغله ، وما كان أَنهاه إلى الديوان العزيز مما لم تذكر الخواطر الشريفةُ بأَنه فيه المفترِى[3] وأَنه صاحب القوس إلاَّ أَن مَالَه سعادة المُشترِى ، وأَنه موَّه تمويه الجاحد ، وتلوَّن مثل قوس قُزح وإلاَّ فقوس البندق لونٌ واحد ، ودَلَّ بغروره ، وَعَرض المَحضر الذى حمله على تغريره ،

(١) في صبح الأعشى : على العين إذ كانت تلك بمنزلة الحاجب .

(٢) في صبح الأعشى : بزمان ناصره .

(٣) في صبح الأعشى : قبة المفترى .

وذلك فى غَيْبة الأمير (٢٨١ ا) بهــاء الدين البُندقدار الحاكمىّ . الذى لو كان حاضرا لنَبَّأَ بخبره . وأحسن بالإعلام بسوء محضره . وتحيّل لأخذ الخط الشريف الذى لو عقل لكان[1] حجة عليه ، ومؤكدا لإبطال رميه وقوسه وبندقه فى يديه . لما تضمَّنه الخط الشريف [المقيَّد اللفظ] المكتتب على المصطلح ، الساحب ذيل فخاره على المُقْتَرَح ، الذى هدى إلى الخير ، وبدأ به ما وُهب من الملك السليمانىّ الذى أُوتى من كل شىء وعُلِّم منطق الطــير ، فإنه لم يُكتب له إلاّ بأن يرمى عــلى الوجه المرضِىّ بساعده ، واستيفاء[2] شروط البندق والخروج من جميع الأشكال عملا بقواعــده ، ويُعلِم أنه إنما رعى حقّ قُدْمته ولا [فعــل] فى الباب العزيز ما يجب من التحلىّ بشعار الصدق فى خدمته وأنه خالف عادةَ الأدب ، وأخطأ فى الكل لكنه نَدَب ، وذلك بعدأن عمل له جميعُ رماة البندق ، وسُئل فأجاب بأنه سالم من كُلّ إشكال يُشكل ، وأنه بعد أن أُقعد رَمَى وحَمَل وحُمِل ، فشهد عليه السادة الأُمراء ولاةُ العهد إخوة

(١) فى صبح الأعشى : سقط كلام من أول قوله « لو كان حاضرا » إلى قوله « لكان حجة » ونصه فيه : لو كان حاضرا لكان حجه عليه .

(٢) فى صبح الأعشى : المرضى واستيفاء .

أمير المؤمنين ومن حضر ، وكتبوا خطوطهم فى المحضر ،
وما حصل الآن عند عرض قصة المماليك بالمواقف المقدّسة ،
ووضوح قضيَّته المدنّسة ، من التعجُّب من اعتراف المماليك
لكونهم رمــوا معه بعد أن رأوا الخطّ الشريف وهو لفظ
مُقَيَّد ، وأَمرٌ أُيِّد به رأىُ الإمام الحاكم بأَمر الله المسترشد
بالله والمُؤَيَّد ، و كل ما أَمر به أَميرُ المؤمنين لا معْدِلَ عن
طُرُقه ، ولا جدال إلاَّ به إذا أُلزم كلُّ أَحد طائِرَه فى عُنُقه ،
وأَمير المؤمنين بحر لا يُورد إلاَّ عن علمه [1] ، وهو الحاكم
ولا رادَّ لحُكمه ، وإنما ابن الحمصىّ المذكور عَدِم السّداد ،
وخــالف جارىَ العادة فى الحِمَّص فإنه هو الذى سُلِق فى
الافتراء بأَلسنة حِداد ، ولم يُوقِفِ المماليك من الخط
الشريف إلاَّ على بعضه ، ولا أَراهم من بَرقه المتهلّل غير
وَمْضِه . والذى أَوقفهم عليه منه أَن يَرْمِى محمدُ بن الحمصىّ
ويُرمى معه ، و كلمة أَمير المؤمنين (٢٨١ ب) مُستَمعَة ،
ومراسيمه مُتَّبعة ، وإذا تقدم كان الناس [2] تبعه ، غير أَن
المذكور بَدَتْ منه أُمور قطع بها الأَمير صارم الدين صارُوجا
الحاكم البُنْدُقدار فى حقه ، وأَقعده عن قُدْمته التى كان

(١) فى صبح الأعشى : لا يرد إلا من علمه .
(٢) فى الأصل : الراس .

يَمُتُّ فيها بِسَبْقه ، وانتقل عنه غلمانُه ، وثقل عليه زمانُه ، ونودى عليه فى جمع كبير يزيد على تسعين قَوْسا ، وجُرح لِخطإٍ بندقه جرحا لا يُؤْسَى ، ثم بعد مدّة سنين توسّل بولد الأَمير المرحوم سيف الدين تنكز إلى أَبيه ، وتوصّل به إلى مراميه ، فأَمر أَن يُرمى معه وهدَّد المخالف[1] بالضرب ، ولم يَرْمِ معه أَحد برضاه إلاّ خوف أَن تُوقد نارُ الحرب ، فلما مضت تلك الأَيام ، وانقضت تلك الأَحلام ، جمع مملوكُ الأَبواب العالية الأَميرُ علاءُ الدين بن الأَبو بكرى الحاكم فى البندق الآنَ مِنْ رُماة البندق جمعا كثيرا ، واهتم به اهتماما كبيرا ، وذكر أَمر المذكور ، وأَحضر محضره المسطور ، ولم يكن عليه تعويل ، ولا فى حكم الحاكم المُقدَّم[2] تعليل ، ولا عند هذا الحاكم الذى ادّعَى له وادّعى عنده تجوز الأَباطيل ، وتحقّق أَن الحق فيما حكم عليه فتُبع ، وترجَّع أَنْ لا يقام منه من أُقعِد ولا يُوصل منه ما قُطِع ، فنفَّذ حكم الحاكم المتقدّم ، واستمرّ بقعوده المتحتِّم ، ووافقه على هذا سائر الرماة بالبلاد الشامية وحُكَّامها ، ومن يرُجْعَ إليه فى الرماية وأَحكامها ، وبطلت

---

(١) في الأصل : وهودا يخالف .

(٢) في صبح الأعشى : المتقدم .

قُدْمَةُ المذكور التي ذهب فيها عمرُه ضائعا ، وزمانه الذى إذا اشتريت منه ساعة بالعمر لم يكن نافعا .

ولما ورد الآن هذا المرسوم الشريف زاده الله شرفا قبَّلوا الأَرض لديه ، وأوقفوا عليه حاكمهم المُسمَّى فوقف له وعليه ، وجمع له جمعا لم يَدَع من الرُّماة مُعْتَبرا ، ولا من يُلْقِم القَوْسَ وتَرَا ، ولا من إذا قَعَد كالعَيْن جَرىَ ما جَرَى ، ثم قرأَ عليهم ما تضمَّن ، ودَعَوْا لأَمير المؤمنين ولم يبق منهم إلاَّ من دَعَا وأَمَّن ، وتضاعف سرورهم بحكمه الذى رفع الخَلَل ، وقطع الجَدَل ، وقالو لا عَدِمْنا أيام هذا الحاكم الذى أنصف (٢٨٢ ا) والإمامِ الذى عَدَل ، وبقى ابن الحمصىِّ مُثْلَة ، ونودى عليه إنه مَنْ رمى معه كان مُخطئا مِثْله ، وَوَقَرتْ هذه المناداة فى كل مَسْمَع ، وقرَّت استقراراً انْفَصل عليه المَجْمع[1] ، وذلك بما فُهم من أَمير المؤمنين وبنصِّ كتابه المبين ، وبما قضى الله به على لسان خليفته الحاكمِ والله أَحكمُ الحاكمين ، وطالعوا بها وأَنْهَوْا صورةَ الحال ، وجمعوا فى إمضائه الآمال ، لا زالت سعادة أَمير المؤمنين مُنزَّهةً عن الشُّبَه ، بعيدةً عن الشِّبْه[2]

(١) في صبح الأعشى : استقرار الفضل عليه المجمع .

(٢) في صبح الأعشى : سعادة أمير المؤمنين منزهة عن الشبه ، آخذة .

آخذة من خير الدارين كلَّ اثنين فى وَجْه ، حتى تَحْصُل كل رمية من كَثَب ، ولا يَرْمى فى كل لعبة [1] إلا كل مُصْطَحب ما غَبَّ فى السماء المِرْزَم ، ووقع العُقاب على ثَنِيَّتِهِ يَقْرَع سِنَّه ويتندَّم ، وعلا النَّسرُ الطائر والواقع على آثاره وسائرُ طيور النُّجوم والحُوَّم ، إن شاء الله تعالى .

قلت : وهذا الكتاب أنشأَه المقرّ الشهابى بن فضل الله المقـدّم ذكره بناء على مذهبه فى أن المكاتبة إلى الخليفة تكون بالدّعاء للديوان العزيز من الملك والسوقة لايختلف ، وفيه نظر ، بل الذى ينبغى أن يُفتتح الكتابة إليه بتقبيل الأَرض ، على ما يكتب به للملوك ، إذ الملوك نُوَّابه وأَتباعه ولا أعلى منه رتبة .

وأَما الكتب إلى ولاة العهد بالخلافة [2]

فقال أَبو جعفر النحاس فى « صناعة الكتاب » : ويكون التصدير فى المكاتبة إلى ولىّ العهد على ما تقدَّم فى المكاتبة إلى الخلفاء مع تغيير الأَسماء ، يعنى أنه لا يقال فيه الإمام ولا أَمير المؤمنين ، بل ولى عهد المسلمين ، وفى

(١) فى صبح الأعشى : «كل أمنة» وفى الأصل الكلمة غير منقوطة .

(٢) انظر صبح الأعشى حـ ٦ ص ٤٥٦ وحـ ٧ ص ١٣٤

التصدير مع السلام : وبركاته ، فى أول الكتاب وآخره ، وفى ولى العهد يحذف « وبركاته » من التصدير ، فكانوا يكتبون لولى العهد : لعبد الله أبى فلان فلانٍ ولىِّ عهد المسلمين ، سلامٌ على وَلِىِّ عهد المسلمين ورحمة الله (٢٨٢ ب) فإنى أحمد إليه الله الذى لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، أما بعد ، أطال الله بقاء ولى عهد المسلمين . ويأتى على المقصد على ما تقدم فى الكتب إلى الخليفة ، ثم يختمه بقوله : والسلام على ولىِّ عهد المسلمين ورحمة الله وبركاته .

أما على المصطلح المستقر عليه الحال فقد ذكر المقرّ الشهابى بن فضل الله فى كتابه « التعريف » أنه يكتب إلى ولى العهد بالخلافة ما صورته : ضاعف الله تعالى جلال الجانب الشريف المولوىّ السيدىّ النبوىّ الفلانىّ . ثم يُدعى له ، قال صاحب « التثقيف » : والخطابُ له بمولانا ولىّ العهد ونحو ذلك ، والتعبير عن المكتوب عنه : بالخادم يقبل العتبات الشريفة ، أو اليد الشريفة ، ونحو ذلك . والعلامة إليه : الخادم . على نسبة ما فى الصدر ، والعنوان عن نظير الألقاب التى فى الصدر . قال فى « التثقيف » :

وهذا على عادة من تقدم من الملوك ، أَما فى زماننا وقبله بمُدّة مديدة فإنه لم يكتب إلى ولىٍّ عهد

قلت : ومما يجب التنبيه عليه قطع الورق الذى يُكتب فيه إلى الخليفة ، لا شك فى أَنه كان يكتب للخليفة وولىّ العهد حين كانت الخلافة بالعراق فى قطع البغدادى بقلم مختصر الطومار على ما يظهر ، أَو فى ثلثى القطع البغـدادى على ما ذكره محمد بن عمر المدائنى حيث كانت بيعاتهم وعهودهم تكتب فى ذلك ، أَما الآن حيث صارت عهودهم وبيعاتهم تكتب فى قطع الشامى الكامل بقلم الثلث الخفيف فإنه ينبغى أَن يكون الكَتْب إليهم على هذا النمط ، تأَسِّياً بما اعتمدوه فى ذلك ، وإلا فالواجب الكتابة فى البغدادى الكامل ، على ما كان الأَمر عليه فى الزمن القديم .

الباب السابع

(٢٨٣ ا) في ذكر أوائلَ منسوبةٍ إلى الخلفاء ، وغرائبَ ومُلَحٍ وأعاجيبَ تتعلق بهم ، وفيه فصلان :

الفصل الاول

في ذكر نبذة من الأوائل المنسوبة إليهم :

أوّل من بويع بالخلافة أبو بكر الصديق بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد مر ذكر ذلك في الباب الأول في الكلام على الطرق التي تنعقد بها الخلافة ، وهو أول خليفة ولي وأبوه حيٌّ ، فقيل لأبيه أبي قُحافة : استُخْلِف أبو بكر ، قال : أقرَّت بذلك بنو قُصَيّ ، قيل : نعم ، قال : يفعل الله ما يشاء . وبقي أبو قحافة بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه ستة أشهر وأيام ، ثم توفي في المحرم سنة أربع عشرة ،

وهو أول من عَهد بالخلافة ، عَهِد بها لعمر بن الخطاب ، وقد مر ذكره في الباب الأول أيضا ،

وهو أول من جمع القرآن حين قُتِل القُرّاءُ باليمامة في

حرب مُسيلمة الكذاب ، وسمّاه مصحفا ، وكان قبل ذلك مكتوبا فى عُسُب النخل أو أكتاف الإبل ونحوها .

[أول خليفة سمى بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهو أول من فتح الفتوح وأول من مصر الأمصار] (١) وهو أول من دوّن الدواوين فى الإسلام ، قال القضاعى : دوّنها فى سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين . قال الماوردى(٢) : واختلف فى سبب وضعه فقيل : إن أبا هريرة رضى الله عنه قَدِم عليه بمال من البحرين فقال : ماذا جئت به ؟ قال : خمسمائة ألف درهم ، فاستكثره عمر وقال : أتدرى ما تقول ؟ قال نعم ، مائة ألف خمس مرات ، فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس قد جاء مال كثير ، فإن شئتم كِلْنا لكم كَيْلا ، وإن شئتم عَدَدْنا لكم عَدًّا ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين قد رأيتُ الأعاجم يُدَوِّنون دِيوانا لهم ، فَدَوِّن لنا أنت ديوانا . فأمر

---

(١) في الأصل سقط وزدت ما اقتبسته من تاريخ الخلفاء للسيوطى ص٥٣ وكتاب محاضرة الأوائل ص ٨٠ . هذا وفي تاريخ الخلفاء أيضا أنه أول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات وأول من احتبس صدقة في الاسلام وأول من أخذ زكاة الخيل وأول من قال : أطال الله بقاءك وأول من قال : أيدك الله وأول من استقضى القضاة في الأمصار . وفي كتاب محاضرة الأوائل: أول من رتب الناس والجنود شرقا وغربا . وسير الأعلام ورتب الألوية وسير الجيوش شرقا وغربا وفرض الفرائض وعرف العرفاء .

(٢) انظر صبح الأعشى حـ١٣ ص ١٠٦ والأحكام السلطانية ١٧٥

بوضع الدواوين ، وقيل : بل بعث (٢٨٣ ب) عمر رضى الله عنه بعثا وعنده الهرمزان ، فقال لعمر : قد أعطيت أهل هذا البَعْث الأموال ، فإن تخلّف منهم رجلٌ أخلَّ بمكانه من أين يعلم صاحبُه . فأثبت لهم ديواناً ، فسأله عن الديوان ففسره له ، فأمر بوضع الديوان . وقيل : إن عمر استشار المسلمين فى أمر المال فقال عَلِيٌّ : نَقْسِم كلَّ سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تُمسك منه شيئا ، فقال عثمان أرى مالا كثيرا ، وإن لم تُحْصِ الناس حتى تعلم من أخذ ممن لم يأْخذ انتشر الأَمر ، فقال خالد بن الوليد : قد كنتُ بالشام فرأيت ملوكها دوَّنوا ديوانا وجنَّدوا جنودا ، فدَوِّنْ ديوانا وجَنِّد جنودا ، فأخذ بقوله .

وهو أول من أرخ بعام الهجرة ، قال فى « ذخيرة الكتاب » : لما أراد وضع التاريخ جمع الناس للمشورة ، فقال بعضهم : نؤرخ بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم : بل بوفاته ، وقال بعضهم : بل بهجرته من مكة إلى المدينة لأنها أول ظهور الإسلام ، فصوَّبه عمر وأجمع رأيُهم عليه ، وكانت الهجرة فى شهر ربيع الأول بعد عشر من النبوة ، وقدم المدينة لاثنتى عشرة ليلة خلت منه ، فاختلفوا فى

الشهر الذى يبـدؤُون به ، فأَشار بعضهم بالبَـدَاءة برمضان لشرفه ، فقال عمر : بل بالمحرم ، لأَنه مُنْصَرَف الناس من حجّهم ، فرجع القَهقرى ثمانيةً وستين يوما ، وهى القدر الذى مضى من أَول المحرم إلى اثنتى عشرة ليلة من ربيع الأَول ، وابتداءُ التاريخ من أَول المحرم لتلك السنة .

قال أَبو هلال العسكرى : أَراد بذلك اجتماع الأَشهر الحرم فى سنة واحدة .

وهو أَول من اتخذ بيت مال ، فيما ذكره العسكرىُّ عن قتادة .

وهو أَول من سنَّ قيام شهر رمضان وجمع الناس على إمام واحد فى التراويح ، وذلك فى سنة أَربعَ عشرة .

وهو أَول من عَسَّ بالليل .

وهو أَول من عاقب شاعرا على الهجاء ، عاقب الحطيئة حين هجا (٢٨٤ ا) الزِّبرقان بن بدر ، بأَن حبسه فى بئر ثم أَخرجه وطلب شَفْرة يُوهمه أَنه يريد قَطْعَ لسانه تخويفا له ليكف عن الهجاء .

وهو أَول من ضرب فى الخمر ثمانين ، وكان أبو بكر رضى الله عنه قبل ذلك يجلد فيه أَربعين .

وهو أَول من حرم المُتعة بالنساء ، وهى أَن تُنكح المرأَة على شىء إلى أَجل ، وكانت مباحة قبل ذلك .

وهو أَول من نهى عن بيع أُمَّهات الأَولاد وهِبَتِهن وجَعْلِهِنَّ ميراثا .

وهو أَول من مَسحَ سوادَ العراق على يد عثمان بن حُنَيْف ، وهو من أَرض الموصل إلى عَبَّادان طولا ، وذلك مائة وخمسة وعشرون فرسخا ، ومن عَقَبة حُلْوَان إلى القادسية عرضا ، وذلك ثمانون فرسخا [1] ، وبلغت جُرْبَانه ستةً وثلاثين أَلف أَلف جريب [2] .

وهو أَول من صالح العمال على مال يأْخذه منهم ، وكان من ذلك أَنه شاطر عمرَو بن العاص مالَه وهو أَميرُ مصر يومئذ .

---

(١) في معجم البلدان : وحدّ السواد من حديثة الموصل طولا إلى عبادان ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضا فيكون طوله مائة وستين فرسخا وأما العراق في العرف فطوله يقصر عن طول السواد وعرضه مستوعب لعرض السواد . . . . فيكون طوله مائة وخمسة وعشرين فرسخا يقصرعن طول السواد بخمسة وثلاثين فرسخا وعرضه كالسواد ثمانون فرسخا . انظر « السواد » .

(٢) انظر حسابه بالجريب في معجم البلدان « السواد » .

وهو أَول من حمل الطعام من مصر فى بحر أَيْلَة إلى المدينة حين أَقحطوا فى عام الرَّمادة ، والأَمير على مصر يومئذ عمرو بن العاص ، قال القضاعى : حفر خليج القاهرة من الفسطاط إلى السويس فى ثمانية أَشهر ، وجرت فيه السفن بالطعام من عامه ، فكان ينقل منها إلى السفن ببحر القُلْزُم فيحمل منها إلى المدينة .

وهو أَول من أَعال الفرائض ، فيما ذكره العسكرى عن ابن عباس ، وكان ابن عباس ينكر القول ، ولم يظهر ذلك إلاَّ بعد موت عمر ، فقيل له : هَلاَّ قلت ذلك فى زمن عمر ؟ قال : كان رجلا مَهيبا فهِبته .

وهو أَول من اتخذ الدِّرَّة وحملها ليعذب بها الجناة ، وكانت من الهيبة بحيث قال الشَّعْبِىّ : إن درة عمر لأَهيبُ من سيف الحجَّاج .

أَول خليفة وَلى وأُمُّه فى قيد الحياة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ثم موسى وهارون ابنَا المهدىِّ ، ثم المعتضد ثم المطيع

وهو أَول من أَقطع القطائع (٢٨٤ ب) بالأَرضين .

من الخلفاء ، قال العسكرى : فعل ذلك اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم .

وهو أَوّل من حمى الحمى لإبل الصدقة ونحوها .

وهو أَول من خفض صوته بالتكبير فى الصلاة ، فيما ذكره العسكري عن عاصم بن أَبى محكن .

وهو أَول من خَلَّق المسجد .

وهو أَول من ارتقى إلى مقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر ، إذ كان أَبو بكر قد نزل عنه درجة ، ثم جاء عمر فنزل عنه أُخرى ، فلما جاء عثمان رَقِىَ إلى حيث كان يرْقى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال سلمان : اليوم وُلد الشرّ ، وقد ذكر ذلك بعضُ الخلفاء فأَنكره ، فقال له بعض الحاضرين : اشْكُره يا أَمير المؤمنين ، فلولا ذلك لكنتَ اليوم تخطب فى بئر .

وهو أَول من أُرتِج عليه فى الخُطبة فقال : أَيها الناس إن اللذين تقدَّمانى كانا يُعِدَّان لهذا الموقف كلاما ، وأَنتم إلى إمام عادل أَحوجُ منكم إلى إمام قائِل ، وستأْتيكم الخطبة على وجهها ، ثم نزل .

وهو أَول من قدّم الخطبة قبل الصلاة فى العيدين حين رأَى كثيرا من الناس يذهبون قبل سماع الخطبة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأَبو بكر وعمر وعثمان فى أَول خلافته يصلون ثم يخطبون كما هو الآن .

وهو أَول من فوض إِلى الناس إِخراج زكواتهم بأَنفسهم من غير دفعها إِلى الإِمام .

وهو أَول من اتخذ صاحب شُرطة .

قال الثعالبي فى « لطائف المعارف » : وهو أَول من قيل : تَنَحَّ عن الطريق عند سير الخليفة .

أَول من بايع علياً رضى الله عنه بالخلافة طلحة ، وكانت يده شلاء ، فقال حبيب بن ذُؤَيب : أَول من بايعه أَشلّ فما أَظن هذا الأَمر يتم ، وقيل : أَول من بايعه الأَشتر النَّخَعى .

وهو أَول خليفة وقع فى زمنه قتال بين أَهل القبلة ، وذلك فى وقعة الجَمَل .

وهو أَول من اتّخذ بيتا يُطرح فيه القِصَص (٢٨٥ ا) حتى كتبوا شتمه وأَلقوه فيه ، فتركه ، ثم اتخذه المهدى أَيام خلافته .

وهو أول من فرق بين البينة فى شهادة الخصوم .

أول من اتخذ ديوان الخاتم معاوية ، جعل ديوانا لختم كُتبه التى تكتب عنه ، وكان سبب ذلك فيما ذكره الثعالبى أن عَمْرو بن الزُّبير قدم عليه ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وكتب له بذلك كتابا إلى زياد بالعراق ، ففضَّ عمرٌو الكتابَ وجعل المائة مائتين ، فلما اطلع معاوية على ذلك اتخذ ديوان الخاتم .

أول من بايع لولده معاوية بن أبى سفيان ، بايع لابنه يزيد بالخلافة بعده .

وهو أول من وضع البريد فى الإسلام ، نقله عن ملوك الفرس ، وأحكمه بعد ذلك عبد الملك بن مروان .

وهو أول من سمى الغالية غالية ، شمها من عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، فسأله عنها ، فوصفها له ، فقال : إنها غالية . ويقال : إنه شمها من مالك بن أسماء بن خارجة ، وكانت أُخته هند أول من صنعتها ، وأنكر الجاحظ ذلك كله وقال : إنا نجد فى أشعار الجاهلية ذكر الغالية ، وربما قيل : إنها أتت العرب من جهة الحبشة .

وهو أَول من عمل المقصورة فى الجامع ليصلِّىَ فيها ، قيل : إنه رأَى على مِنبره كلبا فاتخذها ، وقيل : أَول من اتخذها مروان بن الحكم ، اتخذها من حجارة منقوشة ، وجعل لها كُوًى ، خوفا على نفسه ، وقيل : أَول من اتخذها عثمان رضى الله عنه ، خوفا أَن يصيبه ما أَصاب عمر .

وهو أَول من خطب جالسا حين كَثُر شَحْمه وعظُم بطنُه .

وهو أَول خليفة عبثت به رعيته واجترأَت عليه ، حتّى قام إليه رجل فقال : لِيُخْبِرْنا أَميرُ المؤمنين مَنْ كان زوج أُمِّه قبل أَبى سفيان : فقال : حفص بن المغيرة ، ثم كلم ذلك الرجلُ عمرَو بنَ الزُّبير ، فأَغلظ عليه فى كلامه ، فأَمر به فضُرب حتى مات ، فبلغ ذلك معاويةَ فلامه ، فقيل : إنه القائل لك كذا ، فقال : إذن قَتَلْتُهُ وأَنا أَحقُّ مَنْ وَدَاه .

وهو أَول من أَمر بإِقراء السلام (٢٨٥ ب) على الخلفاء ، وأَقره عمر بن عبد العزيز .

وهو أَول من استلحق فى الإِسلام ، استلحق زياداً عَمَلاً بقول أَبيه أَبى سفيان لولا أَن يُشَبْرِقَ عُمَرُ إهابى لعَرَّفت أَن

زيادًا قريبُ النسب منى ، أنا غرسته فى رحم أُمِّه .

وهو أول من اتخذ الخصيان لخاص خِدْمته .

أول من أخرج المنبر إلى الصحراء فى العيد مروانُ بن الحَكَم .

وهو أول من أخذ الجار بالجار ، فيما ذكره العسكرى ، أخذ فتى بأبيه فجلده وتمثل بقول الشاعر :

جانِيك مَنْ يَجْنِى عليكَ وَقَدْ

تُعْدِى الصِّحَاحَ مَبَارِكُ الْجُرْبِ

فقال الفتى : ما هكذا قال الله تعالى بل قال ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [1] فرقَّ له وخلاَّه .

ويحكى مثلُ ذلك عن الحجاج بن يوسف .

أول من نهى عن الكلام بحضرة الخليفة عبدُ الملك ابن مروان ، وكان الناس قبل ذلك يُراجعون الخليفة فيما يقول ويعترضون عليه فيما يفعل ، وأكثر ما كان ذلك على عثمان .

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٤ وسورة الإسراء الآية ١٥ وسورة فاطر الآية ١٨ وسورة الزمر الآية ٧

وهو أول من ضرب الدراهم فى الإسلام وكتب فى أولها ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [1] سنة خمس وسبعين . وجعل كل عشرة منها وزن سبع مثاقيل ، فاستمر هذا الوزن إلى الآن . وإنما كان قبل ذلك الدراهم المشخصة ، ثم ضربها الحجاج ونقش عليها ﴿ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ [2] ونهى أن يَطْبع أحدٌ غيرَه ، فطبع سهير اليهودى دراهمه السُّهيرية من فضة خالصة ، وجعل فيها ذهبا ، فأَمر الحجاج بقتله ، فقال : انْظُر فإن لم تكن أَجود من دراهمك فاقتلنى ، فوجدها [أجود] منها ، فأَمر بقتله لجُرأته على ضَرْبها ، قال : فإنى أعرض عليك أمرًا فإن رأيته أصلح للمسلمين من قتلى فأَعْفنى ، قال : هاته ، فوضع الأَوزان وزْنَ ألفٍ وخَمْسِ مائة وثلاثِمائة إلى وزْنِ رُبع قيراط ، فجعلها حديدا ، ونقشها ، وجاء بها إلى الحجاج ، فأَعجبه وعفا عنه ، وكان الناس قبل ذلك يأْخذون الدرهمَ الوازنَ فيزنون به غيره ، وأَكثر ذلك يؤخذ عددا .

وهو أول من نقـــل الديوان من الفارسية بالعراق ومن الرومية (٢٨٦ ا) بالشام إلى العربية .

---

(١) سورة الإخلاص الآية ١

(٢) سورة الإخلاص الآية ١ ، ٢

وهو أول من رفع يده على المنبر ، وهو أول خليفة بَخِل حتى كان يقال له : رَشْحُ الحجر ، لبخله ، كما تقدم فى ترجمته ، يقال إن بعض أخصائه لامه يوما على ذلك فقال : أما سمعت قول القائل : أَجِـعْ كلبّك يتبَعْك ؟ فقال : أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يُلَوِّح له غيرك بكِسْرة فيتركك ويتبعه ؟

أول من اتخذ البيمارستان للمرضى فى الإسلام الوليد بن عبد الملك ، بنى بيمارستانا بدمشق وسَبَلَه على المرضى ، أما مصر فأول من اتخذه بها أحمد بن طولون ، بناه بالفسطاط ، وهو باق إلى الآن ، ثم اتخذ السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب بيمارستانا بالقاهرة فى قاعة من قاعات القصر أُخْبِرَ أنه لا يدخلها النَّمل ، وهو باق إلى الآن ، ثم اتخذ المنصور قلاوون البيمارستان الكبير ، بين القصرين ، فأنسى ذِكْر ما كان قبله .

وهو أول من أجرى الرواتب على القُرَّاء والعميان وأصحاب العاهات .

وهو أول خليفة أقام ناموس المُلْك ومنع من دعاء الخليفة باسمه ومراجعته فى الكلام ، وقام بذلك خطيبا فقال :

أيها الناس إنكم كنتم تُكلّمون من قبلى من الخلفاء بكلام الأَكْفَاء ، تقولون يا معاوية ، يا يزيد ، وإنى أُعطى اللهَ عهدا يأْخذنى بالوفاء به لا يُكلِّمنى أحد بمثل ذلك إلاَّ أتلفتُ نفسه ، ثم إن رجلا قال له بعد ذلك : اتق الله ياوليد فإن الكبرياء للهِ . فأَمر به فَوُطِئَ بالأَقدام ، فأَيقظ الناسَ ذلك .

أَول خليفة اتخذ الأَتراك أَبو جعفر المنصور ، اتخذ حَمَّادا التركىَّ ، ثم اتخذ المهدى بعده مُباركاً التركىّ وغيره .

وهو أَول خليفة جمع لعاملٍ بين الحَرْث والخَراج ، جمع بينهما لخالد بن برمك بفارس .

أَول خليفة زاد فى الكتب : وأَسأَله أَن يصلى على محمد وآله ، هارونُ الرشيدُ[1] كما تقدم فى المكاتبات (٢٨٦ ب) قالوا : وكان ذلك من أَفضل مناقبه .

وهو أَول خليفة جلس فى المصائب على البساط دون أَنماط تحته حين نُعِى إليه إبراهيم بن صالح بن علىّ ، وصار إلى

(١) الذى تقدم فى ذلك هو المأمون وكذلك هو فى صبح الأعشى حـ ٦ ص ٤٨١

داره وقال : لا يَحْسُن بأَحد أَن يجلس فى دار حبيب من أَهله على نَمط ولا نُمْرُقة . فاستنَّ بنو العباس ذلك فى المصائب .

أَول من دُعِيَ بنعْتِه على المنبر محمدٌ الأَمين فقيل [(١)] اللهم وأَصلِـحْ عبدك وخليفتك عبدَ الله محمدًا الأَمينَ . ولم يُذْكر قَبْله نَعْتُ أَحد من الخلفاء على منبر .

أَول من أَخَّر النَّيروز المتوكلُ ، وقد مرّ القول عليه فى الكلام على نقل السنة .

وهو أَول من أَمر بتغيير زِىِّ أَهل الذِّمة ، وقد مر القول على ذلك فى بابه أَيضا .

الفصل الثانى

فى ذكر غرائب وملح وأَعاجيب تتعلق بالخلفاء

غرائب تتعلق بولاية الخلافة

من ولى الخلافة فى حياة أَبيه

أَبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وليها وأَبوه حىّ .

---

(١) في الأصل : من دعا . . . . فقال : والتصويب مما سبق في الأصل عند ذكره لترتيب الخلافة .

الطائع لله انخلع له أبوه المطيع منها حين ضعف وعجز عن القيام بها وولى مكانه ، وعاش أبوه بعد ذلك أربعين يوما ثم مات .

من ولى الخلافة وله أخ أسنُّ منه (١) .

أمير المؤمنين علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وليها وأخوه عَقِيل أسن منه بعشرين سنة .

يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وليها وأخوه عبد الله أسن منه .

هشام بن عبد الملك وليها وأخوه مَسْلمة أسنُّ منه .

يزيد بن الوليد وأخوه إبراهيم ، ولياها وأخوهما العباس وغيره من إخوتهما أسن منهما

أبو العباس السفاح وليها وأخوه أبو جعفر المنصور أسن منه بسنين وأعقل منه .

---

(١) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتى :
هذا من الخلفاء . وأما من غيرهم فإن موسى بن عبيدة الذى يروى عنه الحديث كان أخوه عبد الله أسن منه بثمانين سنة وهو من أغرب الغرائب وأعجب العجائب وأعجب منه في التقارب أن عمرو بن العاص كان بينه وبين ابنه عبد الله ثلاث عشرة سنة . ومهم الاتفاقيات؟؟

هارون الرشيد وليها وأخوه (٢٨٧ ا) محمد [بن] المهدى أسن منه

محمد الأَمين وليها وأَخوه المأْمون أَسن منه بستة أَشهر وأَعقل منه .

الواثق بالله وليها وأَخوه محمد والد المستعين أَسن منه .

المتوكل على الله وليها وأَخوه أَحمد أَسن منه .

المعتز بالله وليها وأَكثر إخوته أَسن منه .

القاهر بالله وليها وأَخوه هارون أَسن منه .

المطيع لله وليها وأَخوه العباس وغيره من إخوته أَسن منه .

الطائع لله وليها وأَخوه عبد العزيز أَسن منه .

من ولى الخلافة من الإخوة :

أَربعة إخوة وَلُوا الخلافة : هم الوليد ، وسليمان ، ويزيد ، وهشام ، بنو عبد الملك بن مروان ، لا يعرف ذلك لِسِواهم .

ثلاثة إخوة ولوا الخلافة ، هم الأَمين والمأْمون والمعتصم بنو هارون الرشيد .

والمنتصر والمعتز والمعتمد بنو المتوكل .

والمكتفى والمقتدر والقاهر بنو المعتضد .

والراضى والمقتفى والمطيع بنو المقتدر .

وأما أخوان وليا الخلافة فكثير ، منهم يزيد وإبراهيم ابنا الوليد .

والسفاح والمنصور ابنا محمد

والهادى والرشيد ابنا المهدى .

والواثق والمتوكل ابنا المعتصم ، وغيرهم .

من ولى صبياً :

جعفر بن المقتدر ولى ولم يستكمل إحدى عشرة سنة .

معاوية بن يزيد ولى وله تسع عشرة سنة .

من ولى مُسِنًّا قد جاوز الستين :

أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ولى وله إحدى وستون سنة .

عبدالله بن الزبير ولى وله أربع وستون سنة .

مروان بن الحكم ولى وله إحدى وستون سنة .

اتفاقية عجيبة فى خلع الخلفاء

قال الصولى : الناس يرون أن كل سادس يقوم بأمر الدين منذ أول الإسلام لا بد أن يُخلع . النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، والحسن حلع .

ثم معاوية ، ويزيد ، ومعاوية ، ومروان ، وعبد الملك وعبد الله بن الزبير فخلع .

ثم لم يكن فى الدولة الأموية من يكمل الستة فكان منهم يزيد بن الوليد (٢٨٧ ب) ، ثم إبراهيم بن الوليد ثم مروان بن محمد وهو آخرهم .

ثم أتى الله تعالى بالدولة العباسية

فكان منهم السفاح ، والمنصور ، والمهدى ، والهادى ، والرشيد ، والأمين فخلع .

ثم المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، والمنتصر والمستعين فخلع .

ثم المعتز ، والمهتدى ، والمعتمد ، والمعتضد ، والمكتفى ، والمقتدر ، فخلع فى فتنة ابن المعتز ثم ردَّ .

قال صاحب « رأس مال النديم » : ثم القائم ثم الراضى ثم المقتفى ، ثم المكتفى ، ثم المطيع ، ثم الطائع فخلع .

قال الصلاح الصفدى : ثم القادر ثم القائم ثم المقتدى ثم المستظهر ثم المسترشد ثم الراشد فخلع .

ثم المقتفى ثم المستنجد ثم المستضىء ثم الناصر ثم الظاهر ثم المستعصم فخلع ، وقتل أيام هولاكو ملك التتار .

قلت : ثم بويع المستنصر بالله أحمد بن الظاهر بالديار المصرية فى الدولة الظاهرية بيبرس ، وجهزه الملك الظاهر إلى بغداد ليقتلعها من التتر فقتله التتر قبل وصوله إليها ، فهو فى الحقيقــة من خلفــاء العراق وإن بويع له بمصر ، ثم بويع بعده بالديار المصرية الحاكم بأمر الله أحمد بن الحسين ، واستقرّ بها قدمه ، فهو فى الحقيقة أول خلفائها ، ثم كان بعده بها ابنه المستكفى سليمان ، ثم الحاكم الثانى أحمد بن المستكفى ، ثم ابنه الثانى الواثق إبراهيم ، ثم ابنه الثالث المعتضد أبو بكر ، ثم المتوكل محمد بن المعتضد أبي بكر فخلع ، ثم أُعيد ، ثم خلع ، ثم أُعيد ، ثم كان بعده ابنه الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس

ابن المتوكل ، ثم ابنه الثانى الإمام الأعظم المعتضد بالله أبو الفتح داود خليفة العصر ، خلد الله أيامه ، والله أعلم بمن يكون السادس فيخلع .

ملح ونوادر تتعلق بالخلفاء

ثمانية كانوا موجودين فى زمن واحد ولى كل منهم الخلافة وهم .

أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، والحسن ، ومعاوية وعبد الله بن الزبير ، ومروان بن الحكم ، (٢٨٨ ا) كلهم كانوا موجودين عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ولى كل منهم الخلافة .

أحد عشر كانوا فى زمن واحد ولى كل منهم الخلافة وهم :

الوليد بن عبد الملك ، وسليمان بن عبد الملك ، وعمر ابن عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك ، وهشام ابن عبد الملك ، والوليد بن يزيد ، ويزيد بن الوليد ، وإبراهيم بن الوليد ، ومروان بن محمد ، وأبو العباس السفاح ، وأبو جعفر المنصور ، كانوا موجودين

فى آخر أيام الوليد بن عبد الملك ، وقد ولوا الخلافة .

خليفة أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة هو :

مروان بن الحكم .

وأولاده العشرة .

عبد الملك ، ومعاوية ، وعبدالعزيز ، وبشر ، وعمر ، ومحمد ، وعبيد الله ، وعبد الله ، وأيوب ، وداود .

وإخوته العشرة (١)

عثمان الأكبر ، وعثمان الأصغر ، والحارث ، وعبد الرحمن ، وصالح ، وأبان ، ويحيي ، وحبيب ، وعمرو .

وأولاد إخوته العشرة (٢)

عبد الواحد ، وعبدالملك ، وعبد العزيز ، وسعيد ، أولاد [. . . .] (٣) الحكم ، وحرب ، وعثمان ، وعمر ،

(١) في نسب قريش ص ١٥٩ أن الحكم بن أبي العاصى ولد أحداً وعشرين رجلا ونسوة .

(٢) في نسب قريش ١٦٩-١٧١ أولاد الحارث بن الحكم : عبد الملك وعبد العزيز وعبد الواحد وعبد ربه وعثمان وأبو بكر . وولد عبد الرحمن بن الحكم [حرب وأبان وغيرهما] وولد أبان ابن الحكم : الحكم وعثمان . وولد يحيى بن الحكم : مروان ويوسف وأبو بكر وعمرو وسلمة وحبيب . وولد حبيب بن الحكم : أم عبد الله . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٧٩ ولد الحكم بن أبي العاصى .

(٣) لعله عثمان بن الحكم وانظر الهامش قبله .

أولاد الحارث بن الحكم ، ويوسف وسليمان ويحيي أولاد عبد الرحمن بن الحكم .

خليفة جرت أحواله على شهر رمضان .

هو عبد الملك بن مروان ، كان يقول : وُلدت فى شهر رمضان وفُطمت فى شهر رمضان وأُعذِرْت فى شهر رمضان ، وخَتمت القرآن فى شهر رمضان ، وبلغت الحلم فى شهر رمضان ، وأتتنى الخلافة فى شهر رمضان ، وأخشى أن أموت فى شهر رمضان . فلما دخل شوال وأَمِنَ ، مات .

أربعة خلفاء تزوجوا إلى رجل واحد هم :

الوليد بن عبد الملك ، وسليمان بن عبد الملك ، ويزيد ابن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك . تزوّج[1] الأربعة بنات عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فتزوج الوليد بنته عبدة ، وسليمان بنته عائشة ، ويزيد بنته أم سعيد ، وهشام بنته رُقية ، ولا يعرف مثل ذلك

خليفة ركب البريد

لا يُعرف ذلك إلاّ لموسى الهادى ، كان غائبا بجُرجان ،

(١) في الأصل : تزوجوا . وهى على لغة ضعيفة .

فلما مات أَبوه المهدىّ كتب إليه أخوه الرشيد بالخبر ، وأَخذ البيعة له بالخلافة ، ووجّه مع الرسول (٢٨٨ ب) الخاتمَ والبُرْدة والقضيب ، فبلغ جُرْجان فى ثمانية أَيام ، ووافى موسى بغداد على البريد بعد ثلاثة عشر يوما من موت المهدى .

خليفة سلَّم عليه بالخلافة عمُّه وعمُّ أَبيه وعمُّ جده هو :

الرشيد ، سلم عليه عمه سليمان بن المنصور ، ثم العباس ابن محمد عم أَبيه المهدى ، ثم عبد الصمد بن على عم جده أَبى جعفر .

خليفة سلم عليه سبعة من أَهل بيته كلهم ابن خليفة هو :

المتوكل ، سلم عليه محمد بن الواثق ، وأَحمد بن المعتصم ، وموسى بن المأْمون ، وعبدالله بن الأَمين ، وأَبو أَحمد بن الرشيد ، والعباس بن الهادى ، ومنصور ابن المهدى .

خليفة قبَّل يد خليفة ثم قبَّل ذلك الخليفةُ يده ، هو :

المعتصم ، وقف لإبراهيم بن المهدى أَيام خلافته ، ثم نزل فقبَّل يده ، ثم أَدنَى منه ابنَه هارونَ فقبَّل يده وقال :

يا أَمير المؤمنين ، عبدُك هارون ابنِى ، فأَمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما استُخْلِف المعتصم ، وكان إبراهيم قد خُلِـع فقبَّل يده وقال : ياأَمير المؤمنين عبدُك هبةُ الله ابنِى ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثـم حكى المعتصم هذه الحكاية لعلىٍّ بن الجُنَيد ، فلامه على عدم إنصافه لإبراهيم بن المهدى وقال : إبراهيم إنما أَمر لابنك هارون بعشرة آلاف درهم وفى يده بغداد فقط ، وأَنت فى يدك الدنيا ، فقال : صدقت ، وأَمر لهبة الله بن إبراهيم بعشرة آلاف دينار . قال الصولى ولا يُعرف خليفة قبَّل يدَ خليفة ، ثم قبَّل ذلك الخليفةُ يده إلاَّ فى هذين .

خليفة جرت أُموره كلها على ثمانية ، هو :

المعتصم ، لأَنه الثامن من ولد العباس[1] ، والثامن من خلفاء بنى العباس ، والثامن من أَولاد الرشيد ، وولد سنة ثمان وسبعين ومائة ، ومات وعمره ثمان وأَربعون سنة ، وملك ثمان سنين وثمانية أَشهر وثمانية أَيام ، وخلَّف ثمانية

(١) أى أنه المعتصم بن الرشيد بن المهدى بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس . فهم ثمانية .

بنين وثمان بنات ، وخلّف العَيْن ثمانية آلاف ألف دينار وثمانية وعشرين ألف ألف درهم وثمانى عشر ألف دابّة ، وفتوحه ثمانية ، وتوفى لثمان بقين من ربيع الأول . إلى غير ذلك من عدد (١٢٨٩) الثمانية ، أمور قدّرها الله تعالى له .

خليفة تنقل فى خمس طبقات هو :

إبراهيم بن المهدى ، كان فى طبقة أبناء الخلفاء ، ثم صار خليفة ، ثم صار فى طبقة النُّدماء ، ثم صار فى طبقة المُغَنِّين ، ثم صار فى مشيخة بنى هاشم .

خليفة كانت خلافته يوما أو بعض يوم هو :

عبد الله بن المعتز ، وقد تقدّم ذكره .

خليفة قَتَل ابنَه هو :

سليمان بن عبد الملك ، قتل ابنه أيوب صَبْراً .

خليفة قتل أباه هو :

المنتصر ، قتل أباه المتوكل بأن قيَّض له غلمانه من الترك فقتلوه .

خليفة قتل أخاه هو :

المعتز ، قتل أخاه المُؤيَّد بعد أن خلعه من العهد

خليفة قتل عمه هو :

أبو جعفر المنصور ، قتل عمه عبدالله بن على .

أما من قتل ابن أخيه فكثير ، كالمعتصم قتل العباس ابن أخيه المأمون بالمرازب .

خليفة ليس له عقب ، هو :

معاوية بن يزيد بن معاوية .

خليفة انقطع عقبه هو :

أبو العباس السفاح .

خليفة جاوز سنهُ التسعين هو :

القادر بالله ، بلغ ثلاثا وتسعين سنة .

خليفة لم يبلغ عمره عشرين سنة هو .

معاوية بن يزيد بن معاوية .

امرأة زوجها خليفة وابنها خليفة وزوج ابنتها خليفة هى :

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زوجها

أَمير المؤمنين علىّ بن أَبى طالب وابنها الحسن السبط .

وزوج ابنتها أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ زوجُ بنتها أُمِّ كلثوم بنتِ علىّ .

ثلاث نسوة لا رابعة لهن ولدت كلٌّ واحدة منهن خليفتين وهن :

ولاَّده بنت العباس العَبْسِيَّة زوجة عبد الملك بن مروان ، ولدت له الوليد وسليمان ، كل منهما ولى الخلافة .

وشاهريد بنت فيروز بن يزدجرد ، زوجة الوليد بن عبد الملك ، ولدت له يزيد وإبراهيم ، كل منهما ولى الخلافة .

والخَيزُران زوجة المهدىّ ، ولدت له موسى الهادى وهارون الرشيد ، ولى كل منهما الخلافة .

امرأة لها اثنا عشر محرما كل منهم خليفة هى :

عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، يزيد أَبوها . معاوية جدها ، معاوية بن يزيد أَخوها ، عبد الملك بن مروان زوجها ، مروان بن الحكم حَمُوها ، يزيد بن (٢٨٩ ب) عبد الملك

ابنها ، الوليد وسليمان وهشام بنو زوجها ، إبراهيم ويزيد ابنا الوليدِ ابنا ابنِ زوجها .

ونحوها ، فاطمة بنت عبد الملك ، أَبوها عبد الملك ، وجدها لأَبيها مروان ، وإخوتها الوليد وسليمان ويزيد وهشام أَولاد عبد الملك ، وبنو عمها الوليد بن يزيد ويزيد وإبراهيم ابنا الوليد ، وزوجها عمر بن عبد العزيز ، وجدها لأَبيها يزيد بن معاوية ، وأَبو جدها معاوية بن أَبى سفيان ، وعمها معاوية بن يزيد بن معاوية .

وقريب منها فى بنى العباس ، زبيدة بنت جعفر بن أَبى جعفر المنصور ، جدها المنصور ، وأَخو جدها السفاح ، وزوجها الرشيد ، وعمها المهدى ، وابنها الأَمين ، وابنا زوجها المأْمون والمعتصم ، وابنا ابن زوجها الواثق والمتوكل .

أُم خليفة تزوجت بعد خلافة ابنها هى :

أُم خالد بنت أَبى هشام أُمُّ معاوية بن يزيد ، تزوجت بعد موت زوجها [1] مروانَ بنَ الحكم .

امرأَة تزوجها ثلاثة خلفاء هى :

(١) فى الأصل : موت ابنها . هذا وقد تزوجت هى فى حياة ابنها .

عبدة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية ، تزوجها الوليد وهشام بن عبد الملك ومروان بن محمد .

ليلةٌ وُلد فيها خليفة ومات خليفة وولى خليفة هى :

ليلة السبت لأَربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الأَول سنة سبعين ومائتين ، وُلد بها المأْمون ، ومات الهادى ،واستُخلف الرشيد .

أَعاجيب فى سَعَةِ أَموال الخلفاء

رأَيت فى بعض التواريخ أَن يزيد بن عبد الملك بن مروان كان قماشه يحمل على ستمائة جمل ، وأَنه خلف عشرة آلاف قميص لنفسه . ولْيُقَسْ على ذلك باقى أَمواله . هذا والخلافة بعدُ لم تبلغ حَدَّ العظمة .

وحكى الثعالبيُّ أَن أَبا جعفر المنصور مات عن تِسعِ مائة أَلف أَلف درهم ، وخمسين أَلف أَلف درهم .

وحكى الصولى أَن الرشيد خلف مائة أَلف أَلف دينار .

وحكى غيره أَن الرشيد خلّف من الأَموال ما لم يُخَلِّف أَحدٌ مثله منذ كانت الدنيا ، وذلك أَنه خلف من الأَثاث والعَيْن

والجَوهر والوَرِق والدَّوابّ ما قيمته مائة ألف ألف وخمسة وعشرين ألفا خارجاً عن الضِّياع والعَقَار .

(٢٩٠ ا) وحكى إبراهيم بن نوح أن الذى خلفه المكتفى مما جمعه المعتضد ومن بعده مائة ألف ألف دينار ، والجوهر والطيب وما يجرى مجراه عشرون ألف ألف دينار ، والكسوة والفرش عشرون ألف ألف دينار ، والكُراع والسلاح والغلمان عشرون ألف ألف دينار ، والضياع والعقار والأملاك عشرون ألف ألف دينار ، وكان فيما أُحصِى من المتاع المخلَّف عن المكتفى من الثياب المَرْوَزيّة والخراسانية ثلاثة وستون ألف ثوب ، ومن المُلاء ألف ملاءة ، ومن العمائم المروزية ثلاثة عشر ألف عمامة ، ومن الثياب المروزية المقصورة أربعة آلاف ثوب خارجا عن الخام ، ومن الحُلل الوَشْى اليمانىّ المعدَّة والمنسوجة بالذهب ألف ألف وثمان مائة حُلّة ، ومن البطائن التى تُحمل من كرمان فى أنابيب قصب فارس مما لم يُعْهد مثله ثمانية عشر ألف أنبوبة ، بيعت كل أنبوبة منها بدينارين ، وما أُحصى فى خزائن الفرش من البُسط الأرمينية وغيرها ثمانية عشر ألف بساط

وعقد المأْمون فى يوم واحد لأَخيه المعتصم على المغرب وأمر له بخمسمائة أَلف دينار ، ولابنه العباس على الثغور والعواصم وأَمر له بخمسمائة أَلف دينار ، ولعبد الله بن طاهر على الجَبل ومحاربة بَابَك وأَمر له بثلاثمائة أَلف دينار ، ثم أَمر لسائر القوّاد بسبعمائة أَلف دينار ، فكان جملة ما فرَّقه فى ذلك اليوم أَلفى أَلف دينار ، فقال عمرو بن الفرج الرُّخَّجِى : هذا يوم فُرِّق فيه من المال ما لم يُفَرَّق مثله مذ كانت الدنيا .

وقد مرَّ أَن المعتصم خلف ثمانية آلاف أَلف دينار وثمانية وعشرين أَلف دينار ، وثمانية عشر أَلف دابةّ خارجا عما عدا ذلك من الأَموال .

ويقال : إن المقتدر خلف نَيِّفا وستين أَلف أَلف دينار بتكرير الأَلف مرتين ، وذلك مما جمعه الرشيد ومَنْ بعده .

ولما عُمِلت دعوةُ المأْمون حين تَزوَّج بوران بنت الحسن ابن سهل أَقام أَبوها للمأْمون ولجميع قواده وأَصحابه بفَمِ الصِّلْح أَنزالهم أَربعين يوما ، واحتفل بما لم يُرَ مثلُه نفاسة وكثرة .

قال المبرّد : سمعت الحسن بن بغا يقول : كنا نُجْرِى أَيام مُقام المأْمون عند (٢٩٠ ب) الحسن على ستة وعشرين أَلف ملاّح ، ولما كانت ليلة البِناء وجُلِيت بورانُ على المأْمون فُرِش حَصيرٌ من ذهب ، وجِئ بمِكْتل مُرَصَّع فيه دُرٌّ كبارٌ فنُثِرت على مَنْ حضر من النساء ، وفيهن أُمُّ جعفر وحَمْدونة بنت الرشيد ، فما مسَّ مَنْ حضر من الدُّرِّ شيئا ، فقال المأْمون : شَرِّفْنَ أَبا محمد وأَكرِمْنها ، فمدَّت كلٌّ واحدة يدها فأَخذت دُرَّة ، وبقيت سائرُ الدرر تَلُوح على حصير الذهب ، فقال المأْمون : قاتل الله الحسن بنَ هانئ ، كأَنه قد رأَى هذا حيث يقول :

كأَنَّ صُغْرَى وكُبرى من فواقِعها
حصباءُ دُرٍّ عَلى أَرضٍ من الذَّهَبِ

وكان فى المجلس شمعة عنبر فيها مائتا رطل ، فضجَّ المأْمونُ من دُخانها ، فعملت له مُثُلٌ من الشمعِ فكان الليل مدّة مُقامه مثل النهار ، ولما كانت دعوة القوّاد نُثرت عليهم رقاعٌ فيها أَسماء ضِياع ، فمن وقعتْ فى يده رقعةٌ بضَيْعة أَشهد له الحسنُ بها ، ويقال : إنه أَنفق

فى هذه الدعوة أربعة آلاف ألف دينار ، فلما أراد المأمون أن يَصعد أمر له بألف ألف دينار ، وأقطعه الصِّلْح ، وعَتَبه على احتفاله ذلك الاحتفال ، وحَمْله على نفسه ، فقال له : ياأمير المؤمنين ، أَيُظَنُّ ذلك من مال سَهْلٍ ؟ واللهِ ما هو إلاّ مالُك رُدَّ إليك ، وأردت أن يُفَضِّل اللهُ أيامك ونكاحك كما فضَّلك على جميع خلقه .

فانظرْ إلى هذه الدعوة وما كان فيها وهى نَغْبةٌ فى بحر الخلافة .

ولما أعذر المتوكل ابنَه المعتزّ جلس بعد فراغ القواد والأكابر من الأكل ، فقُدِّمت بين يديه مرافع ذهب مرصعة بالجوهر ، وعليها أمثلة من العنبر والمسك والنَّدّ المعجون على جميع الصور ، وجُعلت بساطا ممدودا ، وأُحضر القواد والجلساء وأصحاب المراتب فوُضعت بين أيديهم صوانٍ من ذهب مرصعة بأصناف الجوهر من الجانبين وبين السماطين فُرجة ، وجاء الفرّاشون بزنابيل قد غُشِّيت بالأَدَم مملوءة دراهم ودنانير نصفين ، نُصّتْ فى الفرجة التى بين السماطين حتى ارتفعت على الصوانى ، وأُمر الحاضرون

أن يشربوا (٢٩١ ا) ويأْخذ كل واحد ممن يأْكل ويشرب من تلك الدراهم والدنانير بثلاث حَفنات ما حملت يديه ، وكلّما خَف موضع صُبَّ عليه من تلك الزنابيل حتى يُرَدَّ إلى حالته ، ووقف غلمان فى آخر المجلس وقالوا : إن أَمير المؤمنين يقول لكم : ليأْخذْ من شاء ما شاء . فمدَّ الناس أَيديهم إلى المال فأَخذوه ، وكان الرجل يُثقله ما معه فيخرج به ويسلمه إلى غلمانه ويرجع إلى مكانه ، ولما انقضى [1] المجلس خلع على الناس أَلف خلعة ، وحُملوا على أَلف مركب بالذهب والفضة ، وأَعتق أَلف نسمة .

وحكى العسكرى فى كتابه « الأَوائل » عن أَحمد بن حمدون قال : عملت أم المستعين قلاَّية لم يبق شىء حسن إلاَّ جعلته فيها ، وأَنفقت عليها مائة أَلف دينار وثلاثين أَلف دينار . وسأَلت ابنها المستعين أَن يقف عليها ، قال أَحمد : فقال لى ولأُتْرُجَّة الهاشمىِّ : اذهبا وانظرا إليها وصِفاها لى ، فمضينا فرأَيناها ، فما رأَينا فى الدنيا شيئا حسنا إلا وقد عمل فيها ، ومَدَدْت أَنا يدى إلى غزال من ذهب مُلِئ عنبرا ، عيناه حَبَّتا جوهر ، وعليه سَرْج ولجام

(١) لعلها محرفة أيضا عن : انفض .

وركاب من ذهب ، فأَخذته ووضعته فى كُمِّى ، وجئنا فوصفنا له حسنها ، فقال له أُتْرُجَّة : إنهسُرِق منها ، وغمز به علىَّ . فقلت : ياسيدى ، أُلاَمُ على مثل هذا ؟ فقال : ارجع فخذ ما أَطقْتَ حَمْلهَ مما تريده ، فقال أُترجة : وأَنا معه ؟ قال : وأَنت معه ، فمضينا فملأْنا أَكمامنا وخِفافنا ، وفتحنا أَقْبيتَنَا وجعلنا تحتها ما قدرنا عليه ، وعقدنا أَطراف الشفاشح فوق ذلك ، وأَقبلنا نمشى مَشْى الحَبَالى ، فلما رآنا ضحك ، فقال له الجلساء : فنحن ما ذنبنا ؟ قال : قوموا أَنتم أَيضا ، وقال المغنّون مثل ذلك ، فأَذن لهم ، وجاء فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون ما معهم ويضحك ، فنظر يزيدُ المُهلَّبى إلى سطل من ذهب مملوء مِسكا ، فأَخذه وخرج ، فقال : إلى أَين ؟ قال : إلى الحَمَّام ، فضحك وأَمر الأَطباء والخدم والفرَّاشين فانتهبوا الباقى ، فوجَّهت إليه أُمه تقول : سَرَّ الله أَميرَ المؤمنين فى جميع أَفعاله ، كنت (٢٩١ ب) أُحب أَن تراها قبل أَن تُفَرِّقها ، فقال ، يعاد مثلها ، فأُعيد مثلها فى مدة شهرين .

إلى غير ذلك من حكايات أَموالهم التى لا يأْخذها حصر ولا تدخل تحت حَدّ .

ولله خزائن السموات والأَرض .

قال الثعالبى : وكان يقال : لبنى العباس فى المال فاتحةٌ وواسطةٌ . وخاتمةٌ ، فالفاتحة المنصور ، والواسطة المأْمون ، والخاتمة المُعتضد ، يقال : إن ما جمعه السّفَّاح إلى الرشيد فرّقه الأَمين .

اعتبارٌ وعظة فى موت عظماء الخلفاء الذين ملكوا الأَرض ودوَّخوا البلاد ، وأَحاطوا بالأَقاليم والأَقطار ، وحُمِل إليهم أَموالها .

قال أَحمد بن أَبى دُوَاد : لقد شددت لَحْيَىِ المأْمون والمعتصم والواثق بيدى ، فما تهيّأَ لى فى القيام على واحد منهم عند تلك الحالة وجود خرقة أَشد بها لَحْيَيْه ، وإنما كان مُعَوَّلى على الدراريع التى تكون معى أَخرق منها .

ولما مات المكتفى شُغِل الناس عن مواراته بأَمر المقتدر المستخْلَف بعده ، فاجتاز به صاحب خزانة الكسوة ، فوجد على وجهه ردَاء قصب فأَخذه ، وقال : هذا أُطالب به ، فاجتاز به بعض خدمه فبكى لمّا رآه مكشوفا ، فأَخذ منديلا كان على رأْسه فنشره على وجهه ، ولما نُقل إلى دار

الغُسل والتكفين لم تُوجد مِجْمرة يُبَخَّر فيها ، فأُخِذَتْ غَضَارةٌ من غضائر الخزف الأحمر فبُخِّر فيها الموضع ، وكان مما خلّفه أُلوفٌ من مجامر الذهب والفضة ، وقد مرَّ ذِكْر ما خلَّفه فى الكلام على سعة أموال الخلفاء قبل هذا.

ولله أبو نواس حيث يقول :

إذا اختبرَ الدُّنيا لبيبٌ تَكَشَّفَتْ
لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فى ثيابِ صَدِيقِ

عِبْرة ، قال الصولى : حدثنى الحسين بن يحيى الكاتب قال : لما ولى المعتز لم يَمض إلاَّ مدة حتى أُحضِر الناسُ وأُخرجَ المُؤَيَّد فقيل : اشهدوا أنه دُعىَ فأَجاب ، وليس به أثر ، ثم مضت أَشهر ، فأُحضِرَ الناسُ وأُخرج المُستعينُ فقال : إن مَنِيَّته أَتت عليه وها هو لا أَثر فيه ، فاشهدوا . ثم مضت مُدَيدة (٢٩٢ ا) واستخلف المهتدى ، فأُخرج المعتزُّ ميتا وقيل : اشهدوا أنه قد مات حَتْف أَنفه ولا أَثرَ بِه ، ثم لم تكمل السنةُ حتى استُخلف المعتمدُ فأُخرج المهتدِى ميتا وقيل : اشهدوا أنه قد مات حَتْف أَنفه من جراحته ، فتعجَّب الناس من تلاحقهم فى مدة يسيرة .

مثلها ، لما اشتدت عِلّة الواثق دخل أيتاخ لينظر إليه هل مات أم لا ، فلما دنا منه نظر إليه الواثق بمُؤْخِرِ عينيه ، ففزع أيتاخ وجزع ، وخرج القهقرى ، فسقط على وجهه هيبة منه فاندقّت يده وانكسر سيفه ، فلم يمض إلاّ ساعة حتى مات الواثقُ فعُدِل به إلى بيت ليُغسل فيه ، فجاءت فأْرة فأَكلَت عينه التى نظر بها إلى أيتاخ ، فعجب الناس من أَكل فأْرة عيناً فَزِع من لَحْظها أيتاخ حتى تراجع وسقط على سيفه فانكسر ، وذلك فى بعض يوم.

نظيرها ، لما جِيءَ برأْس مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أُمية إلى عبدالله بن على أمر بعزله ، فجاءت هِرَّة فقطعَت لسانه وجعلت تَمضغه ، فقال عبدُ الله بن علىٍّ أو غيرُهُ : لو لم يُرِنَا الدهرُ من عجائبه إلاَّ لسانَ مروانَ فى فم هذه لكَفَانا . وكان مروان قبل ذلك قد عرض [1] فى ظهر الحِيرَة سبعين أَلف عربىّ على سبعين أَلف فَرَس ، ثم قال : إذا انقضت المُدَّة لم تنفع العُدَّة .

تعقيب ، قد تقدم فى الكلام على تراجم خلفاء بنى

---

(١) فى الأصل اعرض .

العباس بالديار المصرية أنه مذ نقلت الخلافة إلى الديار المصرية رَادَف خلفاؤها الخلفاء الماضِين فى ألقاب الخلافة ، فتلقَّب أحمد بن الظاهر أول من بويع بها بالمستنصر ، وتلقّب أحمد بن الحسين بعده بالحاكم ، وتلقّب ابنه بعده بالمستكفى ، ثم تلقب بنو المستكفى بالحاكم والواثق والمعتضد ، على ما تقدّم بيانه فى تراجمهم ، وهذا إنما كان ينبغى إذا لم يتأَتَّ الإتيان بألقاب جديدة مُقتضبة ، وذلك أمر غير مُمتنع ، فكان من حَقِّهم أن يقتضبوا لكل واحد لقبا غير ما تقدم .

وقد ذَكر فى « نقط العروس » ألقابا تصلح للخلافة (٢٩٢ ب) لم يتلقّب بها أحد ، فعدَّ منها : المُعَوِّل على الله ، المُؤَمِّل لله ، الراغب إلى الله ، الساعى لله ، المحيي لدين الله ، المستجيش بالله ، المُؤْثر للحق فى الله ، المُرْتَقِب فى الله ، المراقب لله ، المتعزز بالله ، المستعِدُّ بالله ، المسدَّد بالله ، السَّدِيد بالله ، الشديد بالله ، المُستهدى بالله ، المُستعصم بالله ، العاضد لحق الله ، المعان بالله ، الكافى فى الله ، المظْهر لدين الله ، الحـامى فى الله ، المُحْتمى فى الله ،

الراجى لله ، المرتَجِى لله ، المكتفى بالله ، المُرْضِى لأَمر الله ، المُسْلِم لله ، المستسلم لله ، المُحامى فى الله ، المُرشد إلى الله ، المحافظ فى الله ، المحفوظ بالله ، العائذ بالله ، اللائذ بالله ، الصادع عن الله ، المستند إلى الله ، الذَّابّ عن دين الله . وهذه لم يتسمَّ بها أَحد من الخلفاء إلى الآن ، وعدَّ منها المستكفى بالله ، الحافظ لدين الله ، والمستعلى بالله ، وهذه قد تُلُقِّب بها بعد زمانه ، فالمستكفى تلقَّب بها بعضُ خلفاء بنى العباس ، والحافظ لدين الله ، والمستعلى بالله تلقب بهما بعض الخلفاء الفاطميين بمصر ، على أَن المتتبِّع لو تتبع ذلك لأَتى منه بالقدر الكبير . والله أَعلم .

الخاتمة

فيما يختص بالإمام الأعظم المعتضد بالله خليفة العصر الموضوع له هذا الكتاب

وفيه فصلان :

الفصل الأول

فى نسبه

هو الإمام الأعظم المعتضد بالله أبو الفتح داود بن الإمام المتوكل على الله أبى عبدالله محمد بن المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن الأمير الحسين بن الأمير أبى بكر بن الأمير على المعروف بالقبِّىِّ بن الأمير حسن ابن الراشد بالله أبى جعفر المنصور بن المسترشد بالله أبى منصور الفضل بن المستظهر بالله أبى العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله أبى محمد عبدالله بن ذخيرة الدين ولىّ عهد المسلمين محمد بن القائم بأمر الله أبى جعفر عبد الله بن القادر بالله أبى العباس أحمد بن (١٢٩٣) الأمير

إسحاق بن المقتدر بالله أَبى الفضل جعفر بن المعتضد بالله أَبى العباس أَحمد بن الأَمير الموفّق طلحة بن المتوكل على الله أَبى الفضل جعفر بن المعتصم بالله أَبى إسحاق محمد ابن الرشيد أَبى محمد هارون بن المهدى أَبى عبد الله محمد ابن المنصور أَبى جعفر بن محمد الكامل بن علىٍّ السَّجَّاد بن عبد الله حَبْر الأُمَّة بن العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كِلاب ابن مُرَّة بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان بن أُدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام بن تارح وهو آزر بن ناحور ابن شاروح بن راغو بن فالغ بن عابر بن أَرفخشد بن سام ابن نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلح بن خنوخ وهو إدريس عليه السلام بن برد بن مهليل بن قينن بن يانش ابن شيث بن آدم عليه السلام .

هذا ما ذكره ابن إسحاق[1] فى «سيرته» ، وفى كثير من

(١) أى في امتداد النسب من عبد المطلب إلى آدم أو من عدنان إلى آدم .

التواريخ ما يخالف فى بعض هذه الأسماء فيقال فى نابت نبت وفى لامك لمك ، وفى خنوخ أخنوخ بألف فى أوله ، وفى مهليل مهلاييل ، وفى قينن قينان ، وفى يانش أنوش ، والمتفق عليه إلى عدنان ، وفيما وراء ذلك إلى آدم اختلاف كثير.

قلت : وعلى هذا النسب يكون من أمير المؤمنين إلى آدم عليه السلام خمسة وسبعون أبا .

منه إلى العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم تسعة وعشرون أبا ، ومن العباس إلى آدم عليه السلام ستة وأربعون أبا ، ويكون نسبه الشريف قد اشتمل على ثمانية عشر خليفة ، منهم أربعة خلفاء بمصر ، وهم المتوكل والمعتضد والمستكفى والحاكم ، وثلاثة عشر خليفة بالعراق ، وهم الراشد والمسترشد والمستظهر والمقتدى والقائم والقادر والمقتدر والمعتضد والمتوكل والمعتصم والرشيد والمهدى والمنصور ، وصحابيّان وهما العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم وابنُه حبْرُ الأُمة عبد الله (٢٩٣ب) وستة أنبياء وهم إسماعيل وإبراهيم ونوح وإدريس وشيث وآدم عليهم السلام . ويلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى هاشم[1] وكذلك مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب ،

(١) في هامش الأصل بخط مختلف مايأتى : هذا خطأ بل يلتقى في عبد المطلب بن هاشم ولعل في النسخة خطأ وصوابه : في عبد المطلب بن هاشم .

ويلتقى مع أَبى بكر الصديق فى مُرَّة بن كعب ، ومع أَمير[1] المؤمنين عمر بن الخطاب فى كعب بن مُرَّة ، ومع أَمير المؤمنين عثمان بن عفان ومعاوية بن أَبى سفيان وسائر خلفاء بنى أُمية فى عبد مناف ، ومع عبد الله بن الزُّبير فى قُصَىٍّ بن كلاب . وأَكْرِمْ به من نَسبٍ طاب أَصلُه وزكَتْ فروعُه .

الفصل الثانى

فى ذكر طرف من مناقبه وأَوصافه .

هو أَجلُّ من نطقت بمفاخره الأَقلام ، وحُبِّر فى وصفه الكلام . وأَجملَ اللسانُ فى محاسنه البثّ ، وأَعمل البيانُ نُجُب الأَقلام فى رَقْم محامِدِه الحَثّ ، وأَتى بِشِيمه التى كم عِطْفٍ هَزَّتْه ، وكم جوادٍ فَخَارٍ لَزَّتْه ، وكم عِزٍّ أَسمعته ، وسامعٍ أَعزَّتْه ، ومَهارقَ عادتْ بتسطير مناقبه حِبَرًا ، وجَمٍّ فضائِلَ كانت لذلك مبتدأً وخَبَرا .

فَهِى الشِّيَمُ التى لو تجسدت
* لكانتْ لِوَجْهِ الدهر عَيْناً وحَاجِبَا *

---

(١) فى الأصل : وفى أمير المؤمنين .

من بخلافته فخر العصر ، ومن لا تُدرك معاليه بإحصاء ولا حَصْر ، ومن أتت صفاته من كلٍّ فضل بالجَمْع إذا أَتى غيرُها بالقَصْر ، ومن غدا بابُه الشريفُ محَطَّ رِحال الآمال ، ومَلْقَى عصا الترحال[1] ، وسبيلَ غَيْث الجدَا ، ومَطلعَ نَجْم الهُدَى ، وَمَحلَّ مَحَلِّ الحُبَا[2] وموطن الجُود والحِبَا ، لا تَعِنُّ له فرصةُ خير إلاَّ انتهزها ، ولا شاردةُ مثوبةٍ إلاَّ أَحرزها ، ولا مساءَةٌ إلاَّ حجَبَها[3] ولا مَبَرَّة إلا أَبرزها ، فلا لسانٌ عن ذِكْر محاسنه عَشَا ، ولا مَلِك إلاّ ومِن بابه أَوْ بابِ آبائه الخلفاء الراشدين انْتَشَى ، فهو على الحقيقة إمام الدين وخليفة الإسلام ، والإمام الذى اتصل نسبه بالأَئمة فهو (٢٩٤ ا) الإمامُ بنُ الإمامِ بن الإمام ، ما تكلّم إلاَّ أَتى بكل مُعجب مُعْجِز ، ولا تحدَّث فأَوجزَ إلاَّ وَدَّ المُحَدَّثُ أَنه لم يُوجِزْ ، فلو كان الفصلُ رايةً لكان عَرَابَتَها ، أَو وُجوهاً لكان وسامَتَها ، كم حَلَّى من جِيد ، وأَعاد بمسرة الإحسان إلى الخلق مِنْ عِيد ، وأَجرى من صَدَقَات ، ونَحَل أَبكار المعالى من صَدُقات ، وأَضحى لأُولى الرتب ببابه

(١) في الأصل : « الآمال » وهو تكرار والمشهور ألقى عصا الترحال .

(٢) محل الأولى بمعنى المكان ومحل الثانية من حل الشيء وفكه .

(٣) لعلها أيضا : حجزها .

الشريف ازدحام ، ولثغر الرجاء برحابه ابتسام ، فالمال فى وجوه المعروف يصرفه ،وفى المَبَرَّات يُفْنيهوفى القُرُبات يُتلِفُه .

فصَيَّرَ الشَّطْرَ إنعاما ومَوْهِبةً
وصَيَّر الشَّطْر أَحْبَاساً وَأَوْقَافَا

فساحتُه ، التى يَأْوِى إليها الظاعنُ ولايَظعن عنها المُقِيم ، وبرُّه ، الذى غدا للسائل المُنِيلَ وفى دَعَتِه المُنِيم ، فمنْهل بابه العذبُ كثير الزحام ، ومسلكه العَالُّ للطلاَّب سهْلُ الاقتحام ، وأفضاله مُتَّسقةُ الفرائد ، وبِرُّه يانعُ الروضِ للرَّائد ، فلجَبْهة الخلافة منه غُرَر ، ولأُفُقِها من طلعته الميمونة نجم يُربِى على القمر ، فكل رداء يرتديه جميل ، وكلُّ أَوصافه لها إلى حسن الثناء سبيل ، حاجات المضطَرِّين تُوافيه فيَقضيها ، وساعاتُ يومه فى اصطناع المعروف يَقضيها ، ورِحابُه الفسيحة مُستجْمَع الرائح من الناس والغادى ، وملجَأُ الحاضر والبادى .

لمُلْتَمِسى الحاجاتِ جَمْعٌ ببابِه
فهذا له شأْنُ وهذا له شَأْنُ

فللبائس النُّعْمى وللمُعْدِم الغِنَى
وللظاعن المَأْوى وللخائف الأَمْنُ

فلا راحةٌ تخلو من رَاحةِ جُوده ، ولا ساحةُ أَمل تُقْفِر من وُفُوده ، ولا مُنْقَطِعٌ إلاَّ وله منه صِلَةٌ وعائِد ، ولا سائلٌ إلاَّ أُجْرِى من عطائه على أَجمل العوائد ، قطوفُ الأُجور لديه دانية ، ومعروفُه المعروفُ يَسْرِى إلى كافة الآنام سِرًّا وعَلاَنية ، فلم يأْتِ أَحد بمثل إيثاره ، ولم يستطع فى الخير سُلوكَ آثاره ، فالرُّواة (٢٩٤ ب) تتحدث بأَخباره ، والحُداة تترنّم بأَسماره ، والأُمَّةُ تُلقى عصا تسيارها لديه ، وتُهْرَعُ من كُلِّ فجٍّ إليه ، فتجد مآثِرَه لا تُحْصَى عجائبُها ، ولا تُعَدُّ فرائدها وغرائبها ، وأَنى تُحْصَرُ مآثره وهل تُحصر البحار بمقال ، أَو يُحْصَى وافرُ كَرَمه وهل تُحْصى الرِّمال .

وقَدْ وجَدْتَ مكانَ القَوْلِ ذَا سَعَةٍ
وإن وَجَدْتَ لساناً قَائلاً فَقُلِ

والمسئولُ من الله تعالى أَن يُديم أَيامه دواما لا يَنْقُصَه اختزال ، ويُمدَّ رُواقَ دولته مَدًّا لا يعتريه زوال ، ويجعل مَدْحَه الظاعنَ وشَخْصَه المُقيم ، ويمنحه فى هذه الدار النِّعمةَ وفى الدار الآخرة النعيم ، إنه وَلِىُّ ذلك والقادِرُ عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الفهـارس

٢ ــ فهرس الآيات

رقم الآية	الآيـــــــــة	الصفحة
	سورة الجمعة	
٩	يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن تعلمون	١٩ــ٢٠، ١٧٣
	سورة المنافقون	
٤	كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم	٤٥
	سورة الطلاق	
١	ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه	٧٦
٢	وأشهدوا ذوى عدل منكم	١٤٦
٢ ، ٣	ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب	١٦
٥	ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا	١٠٧
	سورة الحاقة	
٧	فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية	٣٠٤
	سورة المطففين	
١ ــ ٦	ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين	٣٧ ، ١١٩ ، ١٥٠
	سورة الاخلاص	
١ ، ٢	قل هو الله أحد * الله الصمد	٣٤٥

٣ ـ فهرس الأحاديث

٤ ـ فهرس القوافي ومثل

أول البيت	قافيتــه	بحره	الصفحة
كأن صغرى	من الذَّهَب	البسيط	٣٦٦
جانبك	مباركُ الجُرْبِ	الكامل	٣٤٤
وإنك لا	هو أسعدُ	الطويل	١١
ولو مَنّ	إليك المنبرُ	الكامل	٦٨
فَصَيَّر الشطر	وأوقافا	البسيط	٣٨٠
إذا اختبر	ثياب صديق	الطويل	٣٧١
فإن كنت	ولمّا أُمزَّقِ	الطويل	٢٣٨
وقد وجدت	قائلاً فقُلِ	البسيط	٣٨١
لملتمس الحاجات	له شأنُ	الطويل	٣٨٠

شطر بيت

لكانت لوجه الدهر عيناً وحاجبا ٣٧٨

مثل

أجِــعْ كلبك يتبعك ٣٤٦

٥ ــ الكتب التى ذكرها المؤلف

٦ ــ فهرس الأعلام

٧ ـ فهرس الأماكن والطوائف

٨ ـ نوادر وطرائف وكتب بعهود وغيرها

٩ ـ فهرس المراجع

إتحاف فضلاء البشر : المطبعة الميمنية ١٣١٧
الأحكام السلطانية : مطبعة السعادة ١٣٢٧
الاستيعاب بهامش الإصابة ١٣٢٨
الإصابة : مطبعة السعادة ١٣٢٨
الأغانى : طبع دار الكتب ودار الثقافة ببيروت
إنباه الرواة : طبع دار الكتب
تاريخ الخلفاء : المطبعة الميمنية ١٣٠٥
تاريخ الطبرى : طبع أوربا بريل ١٨٩٣
تاريخ أبى الفداء : طبع الآستانة ١٢٨٦ واسطنبول ١٢٨٠
جمهرة أنساب العرب : دار المعارف
حياة الحيوان : مطبعة المعاهد ١٣٥٣
ابن خلكان وفيات الأعيان : المطبعة الميمنية
ديوان الأفوه الأودى (الطرائف الأدبية) : مطبعة التأليف ١٩٣٧
ديوان الشريف الرضى : مطبعة نخبة الأخبار ١٣٠٦
ديوان كثير : طبع الجزائر ١٩٢٨
ديوان المتنبى : مطبعة التأليف والترجمة والنشر
سنن الترمذى : مطبعة الصاوى ١٣٥٣
سنن أبى داود : المطبعة الكستلية ١٢٨٠
سنن النسائى : المطبعة المصرية
السيرة لابن هاشم : مطبعة بولاق ١٢٩٥
شذرات الذهب : القدسى ١٣٥١
شرح أشعار الهذليين : نشر دار العروبة ١٩٦٣
صبح الأعشى : مطبعة دار الكتب
صحيح البخارى : مطبعة بولاق ١٣١٥

صحيح مسلم : المطبعة المصرية ١٣٤٩
العقد الفريد : مطبعة بولاق ١٢٩٣
عيون الأخبار : مطبعة دار الكتب
فتوح البلدان : مطبعة بريل ١٨٦٦
فوات الوفيات : مطبعة السعادة ١٩٥١
الكامل لابن الأثير : المطبعة الأميرية ببولاق ١٢٩٠
الكشاف للزمخشرى : المطبعة الأميرية ١٣١٨
المثل السائر : مطبعة حجازى ١٣٥٤
مجمع الأمثال : المطبعة العامرة الخيرية ١٣١٠
محاضرة الأوائل : المطبعة العامرة الشرفية ١٣٢٥
مروج الذهب : مطبعة بولاق ١٢٨٣
مسند الإمام أحمد : المطبعة الميمنية ١٣١٣
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة : مطبعة الجامعة ١٩٥١
معجم البلدان : مطبعة ليبزج ١٨٦٦
مفاتيح العلوم : مطبعة بريل ١٨٩٥
المنتظم : طبع حيدر أباد ١٣٥٧
المنتقى : طبع ليبزج ١٨٥٩
النجوم الزاهرة : مطبعة دار الكتب
نسب قريش : دار المعارف
النهاية لابن الأثير : المطبعة العثمانية ١٣١١
الوزراء للصابى : مطبعة عيسى الحلبى ١٩٥٨
الولاة والقضاة : طبع بيروت ١٩٠٨